يلماز أوزتونا

تاريخ الدولة العثمانية

ترجمة
عدنان محمود سلمان

مراجعة وتنقيح
دكتور: محمود الانصاري

المجلد الثاني

منشورات
مؤسسة فيصل للتمويل
تركيا
استانبول ـ ١٩٩٠

طبع

شركة الهلال المساهمة

للطباعة والنشر والسياحة والصحافة والدعاية

تركية / استنبول - ١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

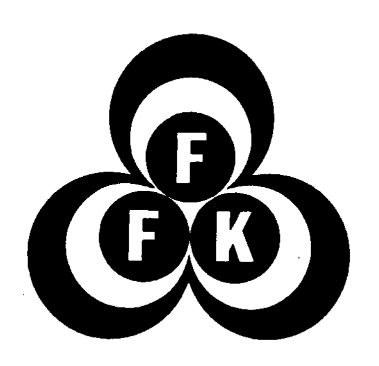
﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾

صدق الله العظيم
فصلت : ٣٣

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم



FAİSAL FİNANS KURUMU

FAISAL FINANCE INSTITUTION INC.

الفصل الثامن

التجديد والتنظيمات

(1876 - 1826)



1 - الحرب مع روسيا (1827 - 1829)

بعد الواقعة الخيرية أصبحت الامبراطورية العثمانية الواسعة ، المترامية الأطراف ، بلا جيش يدافع عنها حيث إنها لم تكن قد أسست بعد جيشها الحديث . لم يكن لديها قوة عدا جنود الإيالات المتطوعين . ومن الطبيعى ألا تفوّت روسيا فرصة الاستفادة من هذا الوضع .

وقع الباب العالي - الذي لم يجرؤ على فتح حرب روسية - على معاهدة أكرمان Akkerman (1827/10/7) ، بدعوى أن المعاهدة الجديدة لا تزيد على كونها توضيحًا لمعاهدة بخارست 1812 . وبموجب هذه المعاهدة تم توسيع الاستقلال الداخلي لإمارات رومانيا وصربيا ، كما تقرر عدم وجود أي مسلم محلي في قلاع صربيا عدا جنود الجيش التركي . وبموجبها أيضا ينتخب الباب العالي بكوات الأفلاق وبغدان من بين بويارات (أشراف) الرومان (كان الوضع كذلك قبل 1711) ، وليس من بكوات الروم في بطريقية فنار في استانبول ، ويعين الباب العالي هؤلاء الأمراء لمدة 7 سنوات ، وليس له حق تغييرهم ما لم تكن هناك أسباب جدية .

هذه الأشهر تصادف الأشهر التي أخرجت فيها روسيا إيران من قفقاسيا بشكل كامل ومحتها من صفوف الدول العظمى .

ومن ناحية أخرى ، قوبل إخماد الثورة اليونانية بالاستياء في أوروبا ؛ ووقعت الدول العظمى الأولى والثانية والثالثة في العالم وهي انكلترا وفرنسا وروسيا فيما بينها على اتفاقية

لندن (1827/7/6) . وقرروا الضغط على الباب العالي لصالح اليونان . كانوا يريدون تأسيس إمارة يونانية (عبارة عن شبه جزيرة مورا) مستقلة ذاتيا مرتبطة بالباب العالي ، تدفع الضريبة لتركيا مثل صربيا وأفلاق وبغدان . اشتركت انكلترا في الاتفاقية دون رغبة منها ، فقد كان المثقفون الانكليز يريدون مشاهدة دولة يونانية ، لكن انكلترا لم تكن راغبة في ذلك ، كانت تخشى استفادة روسيا من ضعف الدولة العثمانية ، ومن ثم فإنها لم تشأ أن تترك منافستيها الكبريين فرنسا وروسيا كحاميتين لليونان تنفردان بتسيير دفة القضية .

اتحدت صيف عام 1827 الأساطيل الانكليزية ، الفرنسية ، الروسية تحت قيادة الأميرال الانكليزي Cordington ودخلت البحر اليوناني (Iyonya) ، للضغط على تركيا في قضية الاستقلال الذاتي لليونان .

كان محمود الثاني قد رفض الاستقلال الذاتي اليوناني بعد استرداد مورا ، وكان يخشى أن تصبح اليونان نموذجا تقتدي به الدول البلقانية الأخرى .

شوهدت أساطيل الاتفاق أمام ميناء نافارين Navarin في رأس مورا الجنوبي – الغربي . كانت خيرة قطع الأسطولين العثماني والمصري رأسية هنا ، تحت قيادة القبطان دريا جنكل أوغلو طاهر باشا . لم يكن أسطول الاتفاق رافعا لعلم الحرب خلافا لقواعد القانون الدولي ، وكانت تركيا أساسا في حالة صلح مع كل من الدول الثلاث .

ظن طاهر باشا أن الأسطول جاء بهدف الضغط المعنوي . ولم يكن من الميسور على كل الأحوال إمكانية الوقوف تجاه العدو الذي يفوقه بمراحل . أطلق المتفقون مدافعهم سويا . غرقت 57 سفينة عثمانية خلال ثلاث ساعات ونصف واستشهد 8000 جندي . وهذه هي غارة نافارين المشهورة (1827/10/20) .

قوبلت الغارة باستياء في أوروبا الغربية ، ووصفتها الصحافة الحرة بأنها لطخة عار

افادت لندن وباريس وبطرسبورغ ؛ أنها لم تصدر أمرا بهذا الشأن إلى أميرالاتها

قدمت الدول الثلاث اعتذارا للباب العالي ، لكنها لم تعط الضمانات التي طلبها الباب العالي ولا الغرامات الناشئة عن المسألة اليونانية . غادر سفراء الدول الثلاث استانبول (1827/12/8) .

كانت الدولة العثمانية ، بلا جيش ، والآن أصبحت بدون أسطول .

أعلنت روسيا الحرب على تركية (1828/4/26) ، وكان قد مضى على مصالحة بخارست 15 سنة و 10 أشهر و 29 يوما .

تمكن محمود الثاني خلال سنتين من وضع النواة فقط لتأسيس جيش حديث . قضى السنين في غرفة حجرية في ثكنة رامي ، كان يخرج للتدريب في طين الشتاء أمام الجيش كأي زعيم عسكري . لا ينام الليل ويدقق في الكتب الواردة ويشتغل بأمور الدولة . لم يثنه حادث نافارين عن عزمه ، وأخذ يستعد لتأسيس أسطول جديد . وخلال هذه الفترة ابتاع أول سفينة بخارية ، وهي المسماة « سرعت » (سرعة) في 1827 .

اجتاز الروس Prut ، ودخلوا الأراضي العثمانية (1828/5/8) . وهجموا كذلك من قفقاسيا . وفي 12 آيار ، وبدءوا بمحاصرة Anapa (آنابا) وهي قلعة عثمانية مهمة تقع على مسافة 50 كم من قرم في مصب نهر كوبان . سار السر عسكر مشير آغا حسين باشا من استانبول في 24 أيار . كان سيحارب بأفواج المتطوعين اختياريا ، ولم يكن لديه إلا القليل من الجند الحديث . وفي حزيران احتل الروس Isakci وإبرائيل واستولوا على دلتا ألطونة . احتلوا في 11 حزيران Anapa ، وفي 15 تموز قارص ، وفي 28 آب آخيسكا ، انتصروا في الشرق كذلك وأخرجوا العثمانية من سواحل البحر الأسود الشرقية . وفي البلقان احتلوا رومانيا ودوبروجه ، وفي 11 ت 1 احتلوا فارنا . حضر القيصر Nikolay الأول بنفسه إلى فارنا .

ولما كان بتدرلي محمد سليم سري باشا صدر أعظم الواقعة الخيرية قد حافظ على منصبه مدة 4 سنوات ، وشهر ، و 10 أيام فقد احتل مكانه بعد 3 أشهر ، دارنده لي طوبال عزت محمد باشا (1828/10/24) ، وكان من أبطال الواقعة الخيرية ، يبلغ عمره 36 عاما وقبطان دريا (مشير بحري) . جاء مكانه بعد 3 أشهر و 5 أيام رشيد محمد

باشا بكلر بك روملي (1829/1/28) ، وحضر في 4 نيسان إلى شومنو وترأس الجيش .

مرّ ربيع وصيف عام 1829 في حروب شديدة بين الطرفين . احتل الروس في 1 تموز سلسترة ، وفي 8 منه أرضروم في الشرق . وبعد احتلالهم بورغاز واسليمية دخلوا أدرنة في 19 آب . تقدم Paskieviç في الأناضول ، ومن أرضروم نحو طرابزون و Dibieç في روملي من أدرنة نحو قيرقلارايلي ، تكرداغ وأنيز Enez . تدخلت كل من إنكلترا وفرنسا وبروسيا وذكّرت القيصر بأنه فتح الحرب كان لأجل الدولة اليونانية وليس لأجل الفتوحات .

عند بدء الحرب الروسية أنزلت فرنسا بقيادة الجنرال Maison في 29 آب فرقة من نافارين إلى مورا . بدأ قاوالالي إبراهيم باشا في 7 أيلول بإخلاء مورا . احتل الفرنسيون مورا وأعطوها لليونانيين . اضطر الباب العالي إلى قبول معاهدة لندن (1829/8/15) ، والتي تم الاتفاق فيها على إمارة يونانية تتألف من مورا وجزر كيكلاد ، تابعة لتركيا ، ينتخب أميرها من سلالة إحدى الدول الأوروبية التي ليست من الدول العظمى بموافقة كل من تركية و إنكلترا و فرنسا وروسيا ، وتسدد للباب العالي ضريبة سنوية قدرها 375 000 قطعة ذهبية .

وبعد حرب دامت سنة ، و 4 أشهر و 19 يوما وقعت مع روسيا معاهدة أدرنة التي تتكون من 18 مادة (1829/9/15) . والتى تضمنت أن يترك لروسيا ، ساحل البحر الأسود الشرقي بكامله ، من نهر كوبان في قفقاسيا إلى حد باطوم (باطوم تبقى لدى العثمانية) ، وفي البلقان دلتا ألطونة ، وأن يترك كذلك لروسيا المناطق المسكونة بالأتراك من كرجستان مثل آخيلكلك ، آخيسكا ، كما تضمنت موافقة الباب العالي على اعتبار كرجستان قطرًا روسيًا . وهكذا أصبحت السواحل الروسية في البحر الأسود مساوية تقريبا لسواحل العثمانية فيها .

كما تضمنت المعاهدة كذلك إخلاء الأراضي المحتلة الأخرى ، وزيادة حرية الحكم الذاتي لإمارات بغدان ، أفلاق ، صربيا ، وأن تدفع تركية لروسيا غرامات حرب قدرها 11/5 مليون قطعة ذهبية ، وفي حالة استمرار تسديد هذه الغرامات ستخلي روسيا

الأراضي العثمانية التي استولت عليها بالتدريج . وقد كان القيصر Nikolay يفكر في ذلك لإيقاع السلطان محمود الذي كان يحسد شخصيته جدا ، في ضيق مالي يعوّق تحقيق مشاريعه التجديدية . وفي الواقع ، فإن الحرب في حد ذاتها كانت قد استنفدت مالية العثمانية ودمرتها . وبناء عليه فإن الجيش الروسي لم ينسحب من سلسترة Silistre إلا في 1836/4/8 ، ولم ينسحب من رومانيا إلا في 1834/1/29 .

ترك الاحتلال الروسي الذي دام 5/5 عام ذكريات مريرة في رومانيا . وسيكون تعاون اليونان الأرثوذكسية بعد الآن مع انكلترا وفرنسا ، وليس مع روسيا ، كذلك سيكون اتجاه رومانيا الأرثوذكسية في المستقبل نحو أوروبا الغربية وليس نحو روسيا ، وذلك أن الرومانيين واليونانيين الذين ليسوا « سلافا » ، أصبحوا يخشون روسيا بصورة كبيرة رغم أنها أعادت لهم استقلالهم .

ألغت معاهدة بخارست شروط معاهدة لندن التي عقدت قبل سنة . تأسست دولة يونانية تفوق جدا ما كان يتصوّر . منحت اليونان استقلالا كاملا . كانت أول دولة مستقلة انفصلت عن العثمانية في البلقان . كانت اليونان التي اعترف بها الباب العالي – مستقلة وليست تابعة للعثمانية – بعد 7 أشهر من معاهدة بخارست (1830/4/24) تشمل عدا مورا وكيكلاد ، شبه جزيرة Attika وكذلك جزيرة آغريبوز الكبيرة ، على أن تكون العاصمة أثينا . وهكذا تأسست من العدم ملكية مساحتها 49 424 كم^2 ، وتعداد سكانها 1 100 000 نسمة . أصبح أحد الأمراء البافاريين ملكا على اليونان .

وسّعت صربيا بمنحها 6 أقاليم أخرى (1830/8/29) . كذلك منحت جزيرة سيسام (Susam ، باليونانية : Samos) الاستقلال الذاتي (1832/12/20) . كان يعيش في هذه الجزيرة التي تبلغ مساحتها 550 كم^2 30 000 رومي . وسوف ترسل هذه الجزيرة التي كأنها ملتصقة بالساحل الأناضولي إلى استانبول سنويا مبلغ 100 000 قطعة ذهبية ، وستكون في الجزيرة كتيبة عثمانية مؤلفة من 150 جنديا فقط ، ويعيّن أمراء الجزيرة من قبل الباب العالي ومن التبعية العثمانية على ألا يكونوا من العائلة ذاتها ،

ولن تتدخل في الشئون الخارجية ، استمرت الجزيرة على هذا النظام لحين انضمامها إلى اليونان عام 1913 .

2 – احتلال فرنسا لمدينة الجزائر (1830/7/5)

ضرب أزميرلي حسين باشا – آخر بكلربك للجزائر وكان يطلق عليهم اسم « دايي » – بمهفته على وجه القنصل الفرنسي عام 1827 ، كانت فرنسا قد استدانت من الجزائر عام 1797 ، وقد تذرعت بأعذار كثيرة في عدم تسديد دينها . راجعت فرنسا الباب العالي طالبة تقديم الباشا ترضية إلى قنصلها . ورغم أن الباب العالي الذي يسبح في خضم البلايا أمر الباشا بتقديم الترضية ؛ لم يستمع حسين باشا لذلك . حاصر الفريق البحري الأميرال Duperré ميناء الجزائر (1827/6/12) . ورغم أن الحصار البحري دام 3 سنوات لم يعجز حسين باشا ، واستعمل الموانئ الأخرى .

أنزل الجنرال Bourmont 36 000 جندي بالقرب من مدينة الجزائر (1830/6/14) وشرع الأسطول الفرنسي يقصف المدينة . استسلم حسين باشا الذي قاوم 21 يوما وكان ذلك في يوم (1830/7/5) ثم (توفي في الإسكندرية عام 1838) .

هدّدت فرنسا بالحرب عند اقتراب قبطان دريا طاهر باشا إلى مياه الجزائر . لم يجرؤ الباب العالي – الذي لم يمض عام على خروجه من الحرب الروسية – على الحرب . لم تبق للعثمانية أى علاقة بالجزائر بعد ترك أمير لواء قسنطينة القتال بعد مقاومته عدة سنوات . احتل الفرنسيون سواحل الجزائر . صار الدفاع عن الجزائر بيد العرب وزعيمهم العظيم الأمير عبد القادر . استمرت الحرب زمنا طويلا ، لم يتوقع الفرنسيون أن تجابههم مقاومة بمثل هذه الدرجة (وحتى في الأعوام الأخيرة للعصر 19 ، كانت هنالك في قبيليّة مناطق لا تعترف بالحكم الفرنسي) إلى حد أن فرنسا فكرت في فترة ما في إخلاء القطر . لكنها لم تقدم على ذلك باعتبارها دولة استعمارية ، كما أنه كان العديد من الفرنسيين قد استوطنوا القطر ، ونهبوا أراضيه .

3 – عصيان مصر (1831 ، 1933 ، 1839)

إن عدم إرسال والي مصر ، قاوالالي محمد علي باشا ؛ الجند للحرب الروسية 1828 – 1829 وتعلله بأعذار مختلفة قد ولّد الشبهات تجاهه لدى محمود الثاني . ولكن وضع محمود الثاني كان ضعيفا ؛ بسبب عدم تمكنه من تأسيس جيشه الجديد . كان البادشاه يعلم جيدا أنه سيقاوم في حالة عزله إياه . وبناء على ذلك فإن علاقة الدولة كانت قد توترت مع والي مصر في 1829 . كان محمد علي يعتقد أنه قدّم للدولة خدمات كبيرة ، وكان يريد أن يحصل على امتيازات ومناطق نفوذ ، كان محمد علي يتصور المجيء إلى استانبول وتصدر مقام الصدارة ، وإدخال السلطان تحت نفوذه والتحكم في الإمبراطورية .

أقام محمد على باشا في مصر منشآت معمارية ضخمة وعلى رأسها قناة وسد محمودية . ولذا فإنه شغل الفلاح المصري بشكل لا يكاد يختلف كثيرا عما كان عليه في زمن الفراعنة . هرب من مصر 6000 فلاح لم يتحملوا ذلك وذهبوا إلى فلسطين . طلب محمد علي من والي صيدا (فلسطين) الوزير عبد الله باشا ، القبض على الفلاحين وإعادتهم إليه . أفاد عبد الله باشا بأن الفلاحين هم أتباع الدولة وأناس أحرار وليسوا عبيدًا ، ولأن مصر وفلسطين هما من ولايات الدولة ذاتها ؛ فإن لهم الحق في السكنى في المكان الذي يرغبونه . وعلى أثر ذلك سار الوزير إبراهيم باشا الابن الأكبر لمحمد علي باشا البالغ عمره 43 عاما بجيش يبلغ عدده 40 000 جندي وبأسطول مكون من 23 قطعة بحرية نحو فلسطين (1831/10/10) . كان العصيان المصري قد بدأ .

احتل إبراهيم باشا فلسطين دون مقاومة . لجأ عبد الله باشا مع 2000 من جنده إلى قلعة عكا في شمال فلسطين على البحر الأبيض . استولى إبراهيم باشا على هذه القلعة – التي لم يتمكن نابليون من فتحها – بعد محاصرته لها مدة 6 أشهر و 11 يوما (1832/5/27) . ثم احتل الشام (1832/6/15) . وانتصر على كل من حلبلي محمد باشا والي طرابلس الشام ، قرب حمص (1832/7/8) ،وعلي أغا حسين باشا في بلن Belen في هاتاي (الإسكندرون) (1832/7/29) . جاء إلى قونية (1832/11/21) . لم يلق أي مقاومة في الأناضول، لأن الأناضول كانت معتادة على مثل هذه الصدامات

التي يجريها الولاة والأعيان . كان جيش إبراهيم باشا مشكلا من الأتراك أو من الأرناءوط (الألبان) المستتركين والجراكسة . كوّن هؤلاء شعبا غريبا بالنسبة لأهالي الأناضول . حتى إنه شوهد أهالي بعض المناطق الذين كانوا حانقين بسبب الانقلابات التي حققها السلطان محمود يستقبلون إبراهيم باشا بسرور . سار الصدر الأعظم والسر عسكر رشيد محمد باشا في 3 ت 2 بجيش عدده 60000 جندي من استانبول . وصل قرب قونية . وفي جو مثلج ومعتم ، دخل بين خيالة إبراهيم باشا ، ظنا منه أنهم خيالته هو ، وأسر . استقبل إبراهيم باشا الصدر الأعظم بتقبيل ردائه . لم يكن لدى الجيش العثماني رغبة في إسالة الدم المسلم ، وعندما شاهد وقوع الصدر الأعظم في قبضة إبراهيم باشا عاد إلى إستانبول ، تاركا ساحة القتال إلى إبراهيم باشا . هذا الانتصار غير المتوقع لإبراهيم باشا جعل المسألة المصرية في مصاف المسائل ذات الأهمية العالمية .

جاء إبراهيم باشا إلى كوتاهية (1833/2/2) ووقف عندها . حاول تعيين والٍ على أزمير . كان يتحرك وكأنه وزير من وزراء الباب العالي ، ويسعى جهده في عدم إيذاء الشعب . أطلق الصدر الأعظم حرا . عاد رشيد محمد باشا إلى استانبول خجلا . كان السلطان محمود يخشى مجيء إبراهيم باشا إلى استانبول والحصول على الصدارة لأبيه منه عنوة . لم يكن السلطان محمود بحاجة إلى مثل هذا الصدر الأعظم .

أخذت إنكلترا وفرنسا تفكران في كيفية الاستفادة من محمد علي . ولإرهابهما ، طلب البادشاه من القيصر إرسال عدد من الجند . نزل عدة آلاف من الجنود الروس ، الذين جاءوا بواسطة 10 سفن [illegible] في رصيف هنكار ، وخرجوا إلى بيوك ده ره جايري ومكثوا فيها مدة من الزمن . [illegible] السلطان محمود جملته « الغرقان يستنجد بالثعبان » ، التي أصبحت بعد ذلك قولا مأثورا لدى الأتراك ، بهذه المناسبة .

فرنسا وإنكلترا اللتان شاهدتا وجود الجيش الروسي في المضيق ، أبلغتا محمد علي بالانسحاب من الأناضول .

كانت فرنسا ترى أن لها الحق في مصر التي احتلها نابليون لعدة سنين ، ومن هنا فإننا سنجد أن فرنسا ستتخذ سياسة مساندة محمد علي إلى النهاية لتحقيق نفوذ عن هذا الطريق .

أما انكلترا فكانت تخشى بشكل كبير من تبعثر الامبراطورية العثمانية وانتقال أقطارها العديدة لروسيا ، وهبوط روسيا إلى البحار الدافئة . أخذت انكلترا تضغط على محمد علي باشا للاتفاق مع البادشاه .

أيقن إبراهيم باشا عدم إمكان الحصول على الصدارة . وبمعاهدة كوتاهية (1833/4/8) . أخلى الأناضول عدا إيالة أدنة . منح محمد علي باشا وابنه بموجب هذه المعاهدة منصب الولاية على إيالات مصر – سودان ، جدة (الحجاز وإريتره) ، صيدا (فلسطين) ، طرابلس (لبنان) ، شام ، حلب وأدنة . لم يسبق في تاريخ الدولة العثمانية أن تعطى ولاية 7 إيالات إلى وال واحد دفعة واحدة . لم يكن محمود الثاني يفكر قط في استمرار هذا الوضع ، فضلا عن أنه كان يود إقصاء محمد علي من مصر .

وقعت مع روسيا معاهدة رصيف هنكار (1833/7/8) ، وبموجب هذه المعاهدة ؛ تعترف تركيا بحق مرور السفن الحربية الروسية من المضايق ، في حالة دخولها في حرب مع أي دولة ، وتتعهد بعدم إمرار سفن الدولة التي تكون روسيا معها في حالة حرب من المضايق ، ومقابل ذلك ترسل روسيا جيشا – شرط عدم تجاوز عدده الحد المعقول – إلى القطر الذي يحدده البادشاه ، في حالة دخول تركية الحرب . وقعت المعاهدة لمدة 8 سنين حتى 1841 . وكان السلطان محمود يخطط خلال هذه السنوات الـ 8 لتأسيس الجيش الحديث وإنهاء قضية محمد علي باشا . ورغم احتجاجات لندن وباريس لم يفسخ السلطان محمود المعاهدة . وبهذا تكون المرحلة الأولى للقضية المصرية قد أغلقت لمدة ٦ سنين .

يمكن القول بأن هنالك علاقة بين الاتفاقية التجارية لعام 1838 التي عقدت مع إنكلترا وعصيان محمد علي ، ولهذا السبب انتقد السلطان محمود مصطفى رشيد باشا – الذي كان أثناء ذلك سفيرا في لندن – المعاهدة انتقادا شديدا ؛ ذلك أن المعاهدة تلغى ضرائب الدولة المفروضة على بعض المواد ، كذلك تجري تخفيضات جمركية لصالح إنكلترا ، وهذا يعنى أن الاتفاقية تجعل من الامبراطورية سوقا مريحا ومربحا جدا لإنكلترا لتصدير حاجياتها . ولأن مصر إيالة من إيالات الإمبراطورية فالمعاهدة تشملها كذلك . أما محمد علي فإنه كان يجمع 60٪ من إيرادات جيشه وبحريته من

تلك الضرائب . وهكذا يصبح محمد علي في وضع لا يتمكن فيه من تجهيز وتموين جيشه . ورغم رفع العثمانية الضرائب الجمركية فيما بعد وقصر التطبيق على بعض المواد فقط ، فقد كتب العديد من المقالات حول عرقلة هذه الاتفاقية تأسيس الصناعات الحديثة في تركيا ، وحول امتلاء الإمبراطورية بالمنتجات الرخيصة للصناعة الإنكليزية ، الأمر الذي يغلق مجال المنافسة أمام الصناعة التركية ، ولكنه على كل الأحوال لا يمكن إلقاء تبعة عدم تأسيس الصناعات الحديثة في العثمانية على هذه المعاهدة ، وإنما يمكن فحسب القول بأن المعاهدة قد جلبت ضررا ماديا على الدولة . وأن الدولة قد أخذت بعين الاعتبار هذا الضرر . ولقد كان عصيان محمد علي باشا أكبر عصيان شهدته الدولة العثمانية طيلة أحقاب التاريخ ، وقد مثل هذا العصيان بالنسبة لحياة الدولة العثمانية مشكلة أكبر بكثير من مشكلة الثورة الأمريكية التي جابهتها إنكلترا قبل نصف قرن .

بدأت الحرب الداخلية التي كان من المتوقع أن تحدث في أي لحظة منذ 6 سنوات بسبب تأخر محمد علي في إرسال ضرائبه السنوية إلى استانبول .

كان إبراهيم باشا الذي يعلم أن البادشاه .. لن يسمح باستمرار هذه الحالة قد جهز في سورية جيشا يبلغ عدده 80000 جندي . وكان محمد علي ينتظر في مصر ، مع 50000 جندي وأسطول . جاء مشير حافظ محمد باشا الذى لا مزيّة له سوى شجاعته مع 40000 جندي إلى نيزيب . انهزم إبراهيم باشا في الحرب الميدانية نيزيب (1839/6/24) . وخلال هذه الأيام كان السلطان محمود على فراش الموت ، ومات بعد 7 أيام . وصل الخبر إلى استانبول قبل وفاة البادشاه بـ 36 ساعة ، وأخفى خبر الهزيمة عن البادشاه .

فتحت المرحلة الثانيـة من عصيان مصر . انتقلت الأزمة بكامل ثقلها إلى خلف السلطان محمود الذي لم يتسن له إنهاء أزمة قاوالالي محمد علي باشا في حياته .

4 ـ الإصلاحات الجذرية (1826 – 1839)

بدأ محمود الثاني بإصلاحاته الجذرية ، بعد انتهاء الواقعة الخيرية (1826) والحرب الروسية (1829) ، كانت هذه الإصلاحات عبارة عن تطبيق النظام الجديد بشكل

جذري وبصورة أكثر شمولا ودون تعويض . كان يتحتم عليه تطبيق هذه الإصلاحات ، في الوقت الذي وصلت فيه سياسة التوسع الاستعماري الأوروبي حدها الأعلى في الخارج ، وعصيان قاوالالي في الداخل . كانت الدولة العثمانية ستقتبس المجالات التي تفوّق فيها الغرب ، شرط البدء من قطاعي الجيش والبحرية ، وكان يجب تنفيذ هذه العملية بسرعة وقبل تفكك الدولة . لم تكن هناك فسحة من الوقت تكفي لقطع مرحلة التكامل التي قطعها الغرب خلال عصور . وبالإضافة إلى ذلك كان الأمر يقتضي الحفاظ على الثقافة والعرف والعادات والتقاليد وعدم الإضرار بها . من الطبيعي أن تكون هنالك أخطاء في حملة إصلاح معقدة إلى هذه الدرجة ، ومن ذلك إغفال بعض العناصر التي يتحتم اقتباسها من الغرب ، واقتباس ما لا يقتضي اقتباسه . وفي الواقع لا توجد في التاريخ العالمي حملة انقلابية تخلو من الخطأ . وتلك الأخطاء يمكن رصدها فقط ، من قبل المؤرخين بعد ذلك وفي ضوء التطورات التي ترى فيما بعد ، حيث إنها كثيرا ما تفوت عن الأنظار خلال حمى الانقلاب وفورانه . وكثيرا ما تحدث عن حسن نية . وبالرغم من كل هذه التحفظات ، فإنه من الحقائق البينة التي لا تدعو إلى الجدل أن إصلاحات محمود الثاني كانت ناجحة ، وأنها أكسبت الدولة الحيوية ، كما أنها كانت الأساس في تكوين تركيا الحديثة . واعتبارا من محمود الثاني وحتى يومنا هذا لم ترض أي حكومة بالتراجع ولو خطوة واحدة إلى الوراء عما أتي به من الإصلاحات ، فضلا عن أنها لم تفكر في ذلك . ولولا تلك الإصلاحات لآل وضع أتراك العثمانية ، بالتأكيد ، إلى ما آل إليه العديد من المجتمعات والأقوام الآسيوية . وآخر ما يقال في هذا الصدد أن تركية هي إحدى الدول الآسيوية النادرة جدا ، التي لم تذق طعم الاستعمار في أي وقت من الأوقات ؛ ويرجع الفضل في ذلك إلى هذه الإصلاحات .

لقد كان قول صهر السلطان مشير خليل رفعت باشا الذي جاء إلى إستانبول (1830/1/13) وتسلم وظيفة قبطان دريا منقولا من سفارة بطرسبورغ : « إن لم نتشبّه بالأوروبيين ، فنحن مضطرون آن ذاك للانسحاب إلى آسيا » ، كان له التأثير في حث البادشاه على زيادة تشدده في الحركة الانقلابية . صرف السلطان جهدا يمكن أن يقال عنه إنه معجزة في تشكيل الجيش الجديد .

خرج البادشاه بنفسه في الشتاء للتدريب في الوحل ، وتحت الثلج المتساقط ، وفتح مكتب فنون حربيه ء شاهانية (المدرسة الحربية الإمبراطورية) التي بدأت بتخريج ضباط المشاة والخيالة الذين يشكلون عماد الجيش . منح للملازمين المتخرجين راتب الزعيم . وسع وجدد مدرسة « مهندسخانهء برّىء همايوني » التي كانت تخرج ضباط المدفعية والاستحكامات منذ القدم ، وأضاف إليها القسم الثاني وهو « مهندسخانهء بحرىء همايون » التي تخرج الضباط البحريين (حاليا الجامعة التكنولوجية ومدرسة الحربية البحرية) وجلب إليهما من أوروبا ضباطا ومهندسين وأساتذة ، وكتبا وأدوات تكنولوجية ، وجعلها من أحدث المؤسسات . فتح « مكتب طبيهء عدليهء عسكريهء شاهانه » (مدرسة الطب العدلي العسكري الإمبراطوري) التي أخذت في تخريج الأطباء العسكريين والجراحين والصيادلة ، وكانت الدراسة في هذه المدرسة بكاملها باللغة الفرنسية . فتح الباب العالي غرفة الترجمة وجعلها تابعة للصدارة (رئاسة الوزارة) . وفي هذه الغرفة تلقي أكثرية الصدور الأعاظم لدور التنظيمات دروسهم إبان شبابهم ، كما أقبل الموظفون الشباب على تعلم اللغة الفرنسية في هذه الغرفة (غرفة الترجمة) .

نظم تشكيلات السراي العظيم الذي يرجع تاريخه إلى عصور مضت ، على طراز قصور العائلات المالكة الأوروبية دون ترك التقاليد العثمانية . أسس الوزارات الحديثة . أطلق اسم وزير الخارجية على رئيس الكتاب ، وعلى كتخدا الصدارة اسم وزير الداخلية ، وعلى الباش دفتر دار اسم وزير المالية ، وبعد فترة سمي الصدر الأعظم رئيس الوزارة ، ولكن هذه التسمية تركت بعد ذلك . ولن نسهب في هذا الموضوع لأننا سوف نتناوله فيما بعد بالتفصيل .

وخلال عدة سنين تمكن السلطان محمود من تأسيس أسطول كبير بدلا من الأسطول الذي أحرق في نافارين . أسس مجالس في الولايات قامت بإنشاء وإصلاح آلاف الأبنية ، وشقت الشوارع ، وأنشأت الجسور ، وأسست نظمًا مالية أكثر حداثة . تم تأسيس تشكيلات البريد والحجر الصحي . جرى تعداد السكان . نشرت جريدة رسمية باسم **تقويم وقائع** اعتبارا من 1 ت /1831/2 باللغات التركية والفرنسية والعربية وبنسخ منفصلة ، وهي المستمرة حاليا باسم **رسمي غزته** (الجريدة الرسمية) . وبّخ البادشاه العالم المشهور أسعد أفندي الذي كلفه بأمور نشر الجريدة بسبب استعماله لغة

صعبه لا يتفهمها الشعب . دخلت الموسيقى الغربية البيانو ، الجوقة ، الأوركسترا ، المسرح ، الأوبرا ، إلى المجتمع العثماني ، وعلى أقل تقدير إلى استانبول . كانت هذه الفنون موجودة سابقا ، يتولاها ويقوم بها الأوروبيون ، والآن أصبحت من مؤسسات الدولة الرسمية .

يعد أكبر انقلاب حققه السلطان محمود في النظام هو تمكينه المدنيين من إدارة الدولة . فرزت الرتب المدنية عن العسكرية . سيتولى إدارة الإيالات والمحافظات منذ الآن موظفون مدنيون وليسوا عسكريين كما كان عليه الحال خلال تاريخ الدولة العثمانية ، وسيكون الآمر المدني في المقدمة في البروتوكول . لن يعنى الضابط بإدارة الدولة وسيقوم بالأمور العسكرية فقط . قلصت كذلك صلاحيات رجال الدين من ذوي اللباس الرسمي ، ونظمت المناهج الانقلابية بشكل يمكن فيه سحب صلاحيات إدارة الأقضية والبلديات والأوقاف والمدارس والمعارف وأخيرا العدلية من أيدي هذا الصنف . ولم يبق في النهاية تحت إدارة رجال الدين سوى المدارس التي تدرس الدين ، ومحاكم الحقوق المدنية وأمور الدين . أعطيت إدارة المحاكم الجزائية والتجارية التي كانت لدى الصنف المدني إلى رجال العدل . كذلك انتقلت مؤسسات المعارف والبلديات إلى المدنيين . تأسست الدبلوماسية التركية الحديثة . احتل العاملون بالخارجية المراكز الحيوية في الدولة كأكبر صنف من الأصناف المدنية .

قانون القيافة (اللباس) الذي صدر في 3 آذار 1829 ، جاء باللباس الأوروبي الطراز إلى المدنيين ، بالإضافة إلى تنظيمه اللباس الرسمي للأصناف العسكرية ورجال الدين . كان على كل موظف حكومي لا ينتمي إلى صنف العسكرية ورجال الدين ، ومن بينهم البادشاه ، أن يرتدي الجاكيت (السترة) والبنطلون (السروال) والطربوش . منع ارتداء القلنسوة ، العمامة ، الشلوار (السروال العريض) ، الجاروك (نعل بشكل خاص) ، الباشماق ، والعمامة والجبة لا يرتديهما سوى رجال الدين فقط . لم يكن جميع رجال الدولة يوافقون البادشاه على إجراءاته ، وكان سكوتهم بسبب خوفهم . لم يكن الشعب مدركا ضرورة هذه الانقلابات . وصار الشعب يسمي محمود الثاني « كاوور بادشاه » أي البادشاه الكافر ؛ ذلك أنه علّق تصاويره في الدوائر الرسمية . وكان يلبس ابنته السلطانة عطية الملابس الرجالية الرسمية للضباط بحيث يجمع شعرها

تحت الطربوش ، ويلبسها السروال ، ويرفق معها أخاها الذي يكبرها سنة واحدة ولي عهد ـ شهزاده السلطان عبد المجيد ويرسلهما إلى الثكنات العسكرية بين الجنود .

عوقب بشدة كل من سعى ضد الإصلاحات ، سواء من لم يطبقها بشكل جيد أو الذي لم يعرها الأهمية الواجبة ، وأفهم من كان منهم موظفا بالدولة أنه لن يكون له مكان فيها إن لم يبدل أفكاره ؛ لأن عدم تطبيق هذه الإصلاحات معناه انتهاء الدولة ، وفي حالة انتهاء الدولة لن يبقى دين ولا وطن ولا بادشاه ولا دواوين . لم تهمل أبدا الثقافة الشرقية . بدأ ينشأ جيل له إلمام باللغات والثقافات الشرقية (العربية والفارسية) ، ويجيد الفرنسية كذلك ليتمكن من الاطلاع على المدنية الغربية أيضا من الداخل ، وهؤلاء هم الذين احتلوا مناصب الدولة خلال سنوات التنظيمات . تحققت هذه الانقلابات في ظروف كان يمكن لأوروبا فيها أن تزعج الدولة ، وأن تضع العراقيل أمامها وتخلق لها المشاكل في كل لحظة . كانت الإمبريالية الأوروبية كأنها متكالبة على رأس إمبراطورية هائلة مفتوحة الحدود . لم تكن العثمانية قطرا محدودا كاليابان لا يتجاوز النصف مليون كم^2 ، بل كانت منتشرة على أراض تزيد مساحتها على العشرة ملايين كم^2 . ولم تكن دولة قومية يعيش فيها شعب واحد ويتكلم لغة واحدة كاليابان . كانت إمبراطورية ذات أديان ومذاهب متعددة ، ولم تكن قطرا له موانع طبيعية ومحاط بالبحار كاليابان ، كانت مفتوحة وفي متناول يد أوروبا . وخلاصة القول : لم يكن الأمر يقتصر على أن يفقد البادشاه منصبه بل كان الأمر يتعدي ذلك إلى فقدانه رأسه .

سحق السلطان محمود بشكل صارم الولاة المستبدين (الذين يحكمون ذاتيا) ، والإقطاعيين المحليين الذين يسمون الـ « أعيان » والأشراف . لم يتساهل أبدا مع الذين لايصغون لأوامر المركز . أمر بإرسال الأسطول إلى عائلة قره مانلي التي حكمت ليبيا كإقطاعية عثمانية مدة عصر كامل ، وأصبح الولاة يرسلون إليها من استانبول . أوقف المماليك الذين حكموا العراق على أساس أنهم بكلربك بغداد ، وكذلك أشكودرالي ـ زاده لر (عائلة أشكودرا) الموجودون في أشكودرا والمشابهون لهم ، أرسل لكل الأماكن ولاة من المركز . ألغيت المؤسسة المسماة « الأعيان » ، أسست

إدارات حديثة خاصة في الأناضول وروملي وشمال البلاد العربية . سمي البكلر بك وإلى ، والسنجق بك (أمير لواء) متصرف .

ولو قدر للسلطان محمود أن يعيش 10 سنوات أخر ، لكان من المتوقع أن تتغير وجهة تركيا بشكل أعم وأعمق . جهّز أسس التنظيمات ، لكنه مات قبل أن يتمكن من إعلانها .

باختصار استطاع السلطان محمود خلال 13 عاما مشحونة بالكوارث والبلايا أن يغير وجهة الإمبراطورية تغييرا يتعذر معه إمكان العودة إلى الوراء .

5 – وفاة السلطان محمود خان الثاني (1839/7/1)

توفي محمود الثاني كعمه وكأبيه نتيجة الآثار السيئة التي تركتها الحرب الروسية في صحته ، في الساعات الأولى من صباح اليوم الأول من تموز . كان في سن تتجاوز الـ 53 بـ 11 شهرا و 12 يوما . دامت سلطنته 31 عاما إلّا 26 يوما (30 سنة و 11 شهرا و 4 أيام) وهذه المدة هي أطول مدة سلطنة بين محمد الرابع (1648 – 1687) عبد الحميد الثاني (1876 – 1909) . أعلنت أسس التنظيمات التي جهزها هو بعد 4 أشهر و 3 أيام من وفاته . دفن في المقبرة الكائنة في جغالوغلو ، ديوان يولو وباختصار في المكان المسمى « تربه » التي دفن في حديقتها وحول قبره رجال التنظيمات .

مولوده الأول السلطانة فاطمة التي ولدت في 1809/2/4 ومولوده الأخير شهزاده نظام الدين الذي ولد بعد ولادة السلطانة فاطمة بـ 25 عاما في 1833/12/29 . مات له 13 ابنة و 12 ابنًا ، دون أن يتجاوز أحد منهم سن الـ 3 أعوام . أولاده الآخرون هم :

ولي عهد – شهزاده سلطان مراد (1811/12/25 – 1812/7/14) ، ولي عهد – شهزاده سلطان عبد الحميد (1813/3/6 – 1825/4/20 = 12 ، 1 ، 15) ، عبد المجيد الأول (1823/4/25 – 1861/6/25) ، عبد العزيز خان (1830/2/18 –1876/6/4) ، شهزاده نظام الدين (1833/12/29– آذار 1838) ، السلطانة فاطمة (1810/4/30 – 1825/5/7) السلطانة صالحة (1811/6/16–1843/2/5) ، السلطانة مهرماه (1812/6/10 –1838/7/3) ، السلطانة عطية (1824/1/2 – 1850/8/11) ، السلطانة خديجة (1825/9/6 – 1842/12/19) ، السلطانة عادلة (1826/5/25 – 1899/2/12) .

تزوجت السلطانة صالحة من داماد محمد خليل رفعت باشا (1795 – 1856/3/4) مشير ، سر عسكر ، قبطان دريا (7 سنين ، 4 أشهر و 6 أيام) ، مشير طوبخانة ، سفير بطرسبورغ ، من مؤيدي التنظيمات الشهيرين . رزقت بابنين توفيا صغيرين وابنة واحدة (خانم – سلطانة صديقة ، زوجها الوزير سروه Server باشا) .

وتزوجت السلطانة مهرماه من داماد بورصه لي محمد سعيد باشا (1798 – ك 1868/1) مشير ، قبطان دريا سر عسكر (وزير حربية + رئيس أركان الجيش) ، وزير تجارة . وهو معارض للتنظيمات ، رفض الصدارة عام 1861 . لم يرزق بأولاد عدا ابن واحد ولد ميتا .

وتزوجت السلطانة عطية من داماد أحمد فتحي باشا (1801 – 1858/2/14) ، مشير ، مشير طوبخانة « مستشار السلطنة » في أواسط عهد السلطان مجيد ، من مؤيدي التنظيمات المشهورين . وأنجبت منه خانم – سلطانة سنية (1843 – 1910) (زوجها مشير حسين حسني باشا) وخانم – سلطانة فريدة (1847 – 1913) (زوجها مشير محمود نديم باشا) .

وتزوجت السلطانة عادلة من داماد محمد علي باشا (1813 – 1868/6/30) وهو صدر أعظم (1852 - 1853) ، مشير المابين ، قبطان دريا (أميرال كبير) (12 سنة و 1 شهر و 2 يوم) . وأنجبت منه خانم – سلطانة خيرية (1846 – 1869) (زوجها وزير اشكودرالي – زادة علي رضا باشا) . وعدا ذلك توفى لها ابنتان وابن في سن الطفولة .

6 – جلوس السلطان عبد المجيد خان الأول (1839/7/1)

جلس السلطان عبد المجيد الأول وعمره يتجاوز الـ 16 سنة بشهرين و 6 أيام . أمه السلطانة – الوالدة بزم عالم (1807 – 1853/5/2) وهي السلطانة – الوالدة لدور التجدد ، وقد شيدت مؤسسات خيرية كبيرة بصفتها هذه ، وبهدف تجديد الإمبراطورية . عبد المجيد الأول (باللغة الشعبية : سلطان مجيد) ، أصبح وليا للعهد

فور وفاة أخيه الكبير سلطان عبد الحميد وعمره سنتان (1825/4/20) . هو حاكم التنظيمات الشهير الذي تلقى منذ حداثته الثقافتين الغربية والشرقية . أول من تعلم الفرنسية بطلاقة من بني عثمان ، حصل على إجازات في خط الثلث ، والجلي ، والرقعة . عازف على البيان ، له إلمام بالموسيقى الغربية . أول حاكم لم يتعلم الموسيقى التركية . مولوى ونجّار دقيق . قام بـ 6 سياحات رئيسية ، خلال سلطنته وزار روملي والعديد من جزر إيجا ومن بينها كريت ، وتمكن من زيارة الأماكن القريبة فقط من الأناضول كازميت ، بورصة ، جنا قلعة . وزار كذلك جزيرتي قوش آداسي ، مارماريس وبودروم .

كان محمود الثاني قد كلّف رءوف باشا بالصدارة للمرة الثانية (1833/2/18) ، بعد صدارة رشيد محمد باشا التي دامت 4 سنوات و 21 يوما . وكان قد مضى على خروج رءوف باشا من صدارته الأولى مدة تزيد على الـ 15 سنة . هذه الصدارة الثانية لرءوف باشا اعتبارا من 1805 هي أطول مدة صدارة حتى نهاية السلطنة . وقد كان في منصب الصدارة عند جلوس السلطان مجيد .

شيوخ الإسلام الذين بقوا في المشيخة أطول مدة ، في عهد محمود الثاني ، هما ياسينجي – زاده عبد الوهاب أفندي الذي بقي 6 سنوات و 4 أشهر و 16 يوما (1819 – 21 و 1828 – 33) ، ومكي – زاده مصطفى عاصم أفندي . وقد اعتلى عاصم أفندي مقام المشيخة 3 مرات مجموعها 17 سنة و 6 أشهر و 18 يوما ، وهو بهذا يعتبر السابع من بين شيوخ إسلام العثمانية من حيث مدة بقائه في المشيخة ، (1818 – 19 و 1823 – 25 و 1833 – 46) . وقد أبقاه السلطان مجيد في مقامه حتى وفاته . وكانت الفترة الثالثة له في المشيخة هي أطول فترات المشيخة عموما بين الأعوام (1574 – 1891) .

السلطان مجيد ، جميل الوجه جدا ، ومقبول الهندام ، متوسط القامة ، عسلي العينين ، كان كأبيه مشغولا بالنساء والشراب ، وبينما كان أبوه معجبا بالنساء السمراوات ، ذوات الشعر الأسود والعيون السود ، كان السلطان مجيد تعجبه النساء الشقراوات ذوات العيون الزرق والقد الرقيق الممشوق . كان مؤدبا ، رقيقا ، حسّاسا ، رحيما ، ذكيا ، وقورا . لم تكن له سطوة أبيه الصلبة ، ولا دهاؤه الواسع ، لكنه صار في مقدمة المتميّزين بين حكام الطراز الأوروبي ، في عصره . لم يقم بإدارة الدولة بشخصه كأبيه ،

ولقد كانت تلك هي رغبة أبيه الذي خطط التنظيمات على أساس ترك إدارة الدولة إلى الطبقة البيروقراطية العليا .

جلس السلطان مجيد على العرش في ظروف صعبة . تُرى هل سيكون بالإمكان في ظل هذه الظروف إعلان التنظيمات ؟

لقد كان الموقف عقب وفاة السلطان محمود على الوجه التالي :

– لم يتردد المعارضون من رجال الدولة للتنظيمات وحركة التجديد في كشف النقاب عن حقيقة نواياهم قبل مواراة البادشاه التراب ، بعد أن زالت خشيتهم من السلطان المسجى .

– انقسم رجال الدولة إلى قسمين :

● قسم محافظ يرى التراجع عن بعض النقاط التي حققها السلطان محمود ، وإن تعذر ذلك فالوقوف تماما عندما حققه وعدم تجاوزه . وهؤلاء هم الأكثرية .

● قسم متحمس لحركة التنظيمات والتجديد ، مصمم على المضي بالحركة على النهج الذي رسمه السلطان .

وفي كل الأحوال لم يكن هنالك من يفكر في الاستغناء عن الجيش الحديث ، أو إغلاق المدارس التي فتحها ، كما كان النفور شديدا وعاما من دور الإنكشارية ، خاصة أن أكبر عصيان شهدته الدولة على مدى تاريخها كان قد اكتسب مرحلة جديدة بهزيمة نيزيب .

دامت صدارة رءوف باشا الثانية مدة 6 سنوات و4 أشهر ، 12 يوما . كان رءوف باشا من المجددين المعتدلين ، ينفذ كل ما يشير به السلطان محمود ، كما كان رجل دولة ذا قدرة على تطبيق إرادة البادشاه بشكل جيد .

انتزع خسرو باشا الطاعن في السن والذي يترأس حزب المحافظين ، الختم الهمايوني من رءوف باشا عنوة ، في تشييع جثمان السلطان محمود ووضعه في صدره . لم يتدخل السلطان مجيد مع أنه لاحظ أنهم ينظرون إليه كطفل ، وفي الحقيقة فإن السلطان

مجيد كان لديه العزم والشجاعة لتحقيق كل ما أوصاه به أبوه بحذافيره (1839/7/2) .

علم قبطان دريا أحمد فوزي باشا ، قائد الأسطول الهمايوني في جناقلعة ، في اليوم التالي ، بخبر صدارة أعدى أعدائه خسرو باشا . سحب الأسطول من جنا قلعة ، وسار به إلى الإسكندرية ، وسلمه إلى محمد علي باشا . حيث كان يعتقد أنه سيأخذ محمد علي باشا ويتجهان معًا إلى إستانبول ؛ ليعطي الصدارة لمحمد علي باشا ويجعله الشخص الثاني .

جعل أحمد فوزي باشا بعمله هذا ، محمد علي مالكا لأقوى أسطول في العالم بعد انكلترا .

يصف التاريخ العثماني أحمد فوزي باشا بالخيانة لقيامه بهذا العمل ، وإن كان هو يبرر عمله هذا بأنه لم يسلم الأسطول إلى محمد علي باشا ، وأن المسألة لا تعدو مجرد نقل الأسطول من ميناء من موانى الدولة العثمانية إلى ميناء آخر تابع للدولة أيضا ؛ وهو الإسكندرية . (هذا القول لا يزيد على كونه تبريرا ؛ لأن القصد كان واضحًا) .

المهم أن الدولة فقدت أسطولها الذي أنشأه السلطان محمود بجهود جبارة وتضحيات كبيرة ، خاصة بعد واقعة نافارين منذ 12 سنة ، كما أن تسليم الأسطول لمحمد علي باشا جعل من الصعب إمكان تقويم محمد علي باشا بواسطة الجيش ، ولذلك فقد قرر مصطفى رشيد باشا اللجوء إلى الطرق الدبلوماسية لتنحية محمد علي باشا .

7 ـ نشأة التنظيمات وحركة التجديد

ولكي ندرك أسلوب هذه التنظيمات بشكل أعمق ، فإن الأمر يقتضي منا التطرق إلى نشأتها .

وقع مؤرخو التاريخ العثماني في خطأ تاريخي جوهري غير قابل للنقاش ، حينما قالوا بأن : مصطفى رشيد باشا هو رائد هذه التنظيمات التي تعتبر بداية لتركيا الحديثة . والحقيقة أن رائد هذه التنظيمات هو السلطان محمود الثاني ، وعلى هذا فإنه يمكن القول بأنه لولا الواقعة الخيرية ، واصلاحات السلطان محمود الجذرية لما أمكن تحقيق هذه التنظيمات .

لقد وجه المؤرخون النقد إلى مصطفى رشيد باشا باعتباره رائدًا للتنظيمات ، في حين أن مصطفى رشيد باشا لم يكن إلا صنيعة السلطان محمود الثاني وتابعه الخاص الذي سار على نهج سيده وأتم ما بدأه .

ومن الواضح أن الذي بدأ حركة الإصلاح ذات النمط الأوروبي الغربي بشكل قطعي هو السلطان محمود الثاني وليس رشيد باشا وذلك بعد الواقعة الخيرية ، وأساسًا فإنه لم يكن ليجرؤ أي بادشاه أن يقوم بإلغاء الجيش وتأسيس جيش جديد بدلا منه ، ولا أن يقوم بسحب العسكريين من الإدارة المدنية وتسليمها للمدنيين ، ولا أن يلغى لبس القلنسوة واستبدال الطربوش بها ... ولا القيام بإصلاحات كثيرة مشابهة . وساعده على ذلك إشراف الدولة العثمانية على شفا الهاوية ، حيث لم يكن فى مقدور أي من بنى عثمان أن يحقق مثل هذه الإصلاحات ، على الرغم من الاعتقاد الخاطئ بأن إرادة العثمانيين هي من إرادة الله .

ويقتضي الأمر من الباحث في الحركة الإصلاحية وضرورتها في الدولة العثمانية أن يمعن النظر إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : وتشمل الإصلاح الذاتي الداخلي للدولة ، والمرحلة الثانية : وتشمل النمط الجذري للحركة الإصلاحية التي استلهمت فلسفة الإصلاح من النمط الأوروبي الغربي والتي بدأت مع النظام الجديد عام 1793 .

وخلال المرحلة الأولى لم تتوسع الدولة العثمانية في الاقتباس من النمط الأوروبي الغربي حيث لم يكن قد ثبت لدى قادة الدولة التفوق الأوروبي على آسيا بشكل يدفعهم إلى التوسع في الاقتباس منه ، وكانوا يعتبرون الدولة العثمانية دولة عظمى بالدرجة الأولى ، على الأقل خلال الفترة من 1683 حتى 1770 .

وخلال هذه المرحلة حاول كثير من قادة حركة الإصلاح في الدولة العثمانية القيام بالإصلاحات من منطلق ذاتي دون الاقتباس من الغرب ، ومن هؤلاء القادة : شيخ الإسلام وخواجه سعد الدين أفندي ، خواجة سلطاني عمر أفندي ، والسلطان عثمان الثاني ، كوجي بك – كاتب جلبي ، ومراد الرابع ، وكوبرولو محمد باشا .

ثم تلا هؤلاء القادة فريق من مؤسسي المنشآت الجديدة ، حاولوا الاقتباس من النمط

الأوروبي ولكن بدرجة قليلة حفاظا على الدولة من الأضرار التي يمكن أن تحدث من جراء التوسع في الاقتباس من النمط الأوروبي ، وأيضا لاتقاء شر الإنكشارية الذين لا يرحبون بالاقتباس من النمط الأوروبي ، ومن هؤلاء القادة الجدد : الداماد نوشهرلي ، وإبراهيم باشا ، ومحمود الأول ، ومصطفى الثالث ، وعبد الحميد الأول . والإصلاح الجذري الذي تبناه النظام الجديد لم يقم به سليم الثالث كما كان مفهوما ، وإنما الذي قام به هو خليل حميد باشا الذي قام بمحاولة انقلاب في السلطنة عام 1785 بغرض تسليم زمام الأمور لسليم الثالث ، ولكن محاولة الانقلاب هذه كانت قد انكشفت ، الأمر الذي أدى به إلى الإعدام ، فذهبت أفكاره معه ولم يتمكن من تحقيق إصلاحاته الجوهرية .

وكان خليل حميد باشا قد قام بتنشئة رئيس الكتاب أبو بكر راتب أفندي الذي تزعم الراديكاليين في البيروقراطية العثمانية . وقد كان راتب أفندي أحد أصحاب الـ 21 لائحة التي قدمت لسليم الثالث عام 1791 حول النظام الجديد . الأمر الذي أدى إلى إعدامه عام 1799 في رودس .

وقد كان راتب أفندي سياسيا ، وشغل بعض المناصب السياسية وأهمها وظيفة سفير بلاده في فيينا ، وكان يستعين بمستشار ذي خبرة وتخصص في التاريخ العثماني هو الشاب النمساوي البارون فون هامر المستشرق الشهير .

وخلال تلك الفترة كان يترأس الدولة المجدد الراديكالي سليم الثالث الذي تفوق على الكثير من اسلافه الذين لم يجرءوا على تحقيق الإصلاح الجوهري المنشود ، ومن بينهم أبوه وعمه . وتولى سليم الثالث السلطة وجلس على العرش وهو أصغر من إسلافه سنا وأوفرهم ثقافة . وكان النظام الجديد بالنسبة له عبارة عن جيش جديد . وكان يتوق إلى إصلاح أساسي شامل ، وبدأ بتحقيق هذه الإصلاحات في مجالات عديدة امتدت إلى الموسيقى . وبالإضافة إلى ذلك فإن سليم الثالث كان أول من وضع الراديكالية موضع التطبيق ، وكان أول من حاول من الأسيويين إدخال إصلاحات واسعة تستلهم أسسها من الغرب الأوروبي .

وقد بقي النظام الجديد خلال الفترة من 1793 حتى 1806 حيث وضح آنذاك مدى التفوق الأوروبي ، وكانت الدولة العثمانية قد فقدت القرم أحد شرايينها الأساسية .

خلف سليم الثالث في رئاسة الدولة محمود الثاني الذي لم يتمكن من البدء بالإصلاحات الجوهرية إلا في عام 1826 ، حيث كان الراديكاليون يحافظون على أفكارهم بعناية ، وكانوا يتحفظون جدا في إبداء أفكارهم الجديدة ؛ ليتمكنوا من إنقاذ رءوسهم من سطوة المحافظين والرجعيين الذين كانوا يشكلون الطبقة الحاكمة .

وقد ضحى رجال النظام الجديد أصحاب روسجوك بالعديد من الشهداء . وقد انتشرت الراديكالية في صفوف الجيش كذلك . وكان على رأسهم قاضي عبد الرحمن باشا . وقد كان علمدار مصطفى باشا أحد هؤلاء ولكنه كان جاهلا ، في الوقت الذي كان فيه جميع الراديكاليين على درجة كبيرة من الثقافة . وفي الحقيقة لم يتمكن علمدار مصطفى باشا من الانسجام حتى مع عبد الرحمن باشا الذي كان من مؤيدي النظام الجديد ، رغم أن كليهما كانا ماريشالين للدولة يرومان تأسيس جيش جديد ويؤيدان الحركة الإصلاحية .

انتقلت زعامة الراديكاليين ، بعد إعدام راتب أفندي ، إلى دبلوماسي آخر هو رئيس الكتاب محمود رائف أفندي الذي استشهد في عصيان قباقجي في 1807/5/25 ، وقد أقام محمود رائف أفندي في لندن لمدة ثلاث سنوات تعلم خلالها الإنجليزية والفرنسية بشكل جيد ، وقد خلفه في الزعامة محمد سعيد غالب أفندي الذي صار فيما بعد صدر أعظم غالب باشا (إستانبول 1763 – باليق أسير 1829) ، وكان كل من محمود رائف أفندي ومحمد سعيد غالب أفندي صنيعة للآخر . هذا وقد قام غالب باشا بنقل أفكاره الإصلاحية إلى وزير الداخلية : وزير سعيد برتو باشا (داريجة 1786 – أدرنة 1836/10/8) الذي فقد رأسه في سبيل هذه الحركة فيما بعد .

ظهر في نهاية هذه التغيرات الزعيم الأكبر مصطفى رشيد باشا الذي تعهده بالرعاية والجهود المكثفة رائد البيروقراطية الراديكالية برتو Pertev باشا ، وأيضا بفضل جهود رئيس الدولة الراديكالي محمود الثاني (1800/3/13 – 1858/1/7) .

ثم خلفه الصدر الأعظم محمد أمين عالي باشا ، (1815/3/5 – 1871/9/7) الذي تتلمذ على يد رشيد باشا وكذلك تأثر بالرائد الثاني للحركة التجديدية والتنظيمات الصدر الأعظم كيجه جي زاده بيوك دكتور محمود فؤاد باشا ، وجميعهم من تلاميذ رشيد باشا .

وكان عالي باشا من خريجي غرفة الترجمة ، بينما كان فؤاد باشا من المدرسة الطبية ، وكلاهما عمل بالسلك الدبلوماسي مثل رشيد باشا . وقد توفى فؤاد باشا قبل عالي باشا ، وبموتهما تحطمت فكرة التجديد والتنظيمات والانقلابات الفكرية ، وانقسمت الحركة إلى قسمين :

(ا) مؤيدي التنظيمات المحافظين : الذين استهدفوا استمرار مدرسة الباشوات رشيد – عالي – فؤاد .

(ب) الانقلابيين : الذين كانوا يهدفون إلى قلب نظام الحكم وإحداث تغيير حذري ، ولكنهم لم يستطيعوا تحقيق هدفهم إلا في عام 1908 .

وقد تزعم الفريق الأول السلطان عبد العزيز ، ثم جاء بعده السلطان عبد الحميد الثاني ، كلاهما أيد فكرة إدارة البيروقراطيين ذوي المناصب العالية في الدولة لبيروقراطية التنظيمات .

وقد وقف الانقلابيون ضد هذه الفكرة حتى عندما كان عالي باشا على قيد الحياة ، واستمروا في معارضتهم للسلطان عزيز والسلطان حميد .

وتزعم الفريق الثاني ضياء بك (وزير عبد الحميد ضياء الدين باشا) ومعاونه نامق كمال بك اللذان أسسا حزبا أو تيارا فكريا غير رسمي باسم : العثمانيون الجدد (بني عثمانليلر) .

ولم يستطيعا القيام بالمعارضة داخل تركيا ، لذلك أقاما في أوروبا وسعيا لقلب نظام الحكم ، ورشحا مدحت باشا ليتولي زعامة المعارضة ويكون صدرا أعظم ونامق كمال وزيرا للخارجية . ولكن فكرتهم هذه لم تحظ بتأييد البيروقراطيين المؤيدين للتنظيمات ، وقد حاول مدحت باشا استغلال فكرة الثنائي ضياء – كمال ، وارتبط بدولة أجنبية هي انجلترا التي كانت زعيمة أوروبا في ذلك الوقت ، مخالفا بذلك من سبقوه في التاريخ العثماني كله .

وحاول تجريد البادشاه من صلاحياته ليصبح دمية ويستأثر هو بالسلطة ، ولكن خطته هذه لم تجد قبولا من مؤيدي تنظيمات رشيد باشا فضلا عن أنها لم تكن خطة عملية

لأنها ستقوض أركان الإمبراطورية في الحال ، ويتضح من ذلك أن مدحت باشا كان يسعى إلى منافع شخصية .

ورغم أن عبد الحميد الثاني اضطر إلى تغيير جزء كبير من مقررات التنظيمات الإصلاحية وركز على قسم كبير منها فإنه حافظ على استراتيجية التنظيمات كنظام أساسي حتى عام 1908 .

وبعد تنحية مدحت باشا ، ورث أفكاره حزب الاتحاد والترقي السري الذي مارس راديكالية تفوق تصورات رشيد باشا وضياء باشا ، بمراحل كبيرة .

تلك هي الخطوط الرئيسية الأكثر وضوحا في حركة التجديد في الدولة العثمانية ، ذكرناها بإيجاز لتوضيح أن التنظيمات الإصلاحية لم تظهر فجأة ، وإنما مرت بمراحل متعددة . ولنوضح أيضا أن هذه التنظيمات الإصلاحية ليست من بنات أفكار رشيد باشا .

8 ـ إعلان التنظيمات (1839/11/2)

رشيد باشا الذي يعتبر تلميذا للسلطان محمود ، كان وزيرا للخارجية ، وعند وفاة السلطان محمود كان رشيد باشا في لندن ، فعاد مسرعًا وأبلغ السلطان مجيد الشاب طلبات أبيه ، حاول الصدر الأعظم خسرو باشا إقناع البادشاه الشاب بإعدام مصطفى رشيد باشا (عمره آنئذ 40 عاما) ولكن البادشاه كان حكيما فأعلن موافقته على إعلان تنظيمات رشيد باشا .

تلا رشيد باشا ـ مجازفا بحياته ـ أمام كل رجال الدولة والشعب والأجانب فرمان البادشاه الذي هو بمثابة الدستور (1839/11/2) الذي يوضح الحقوق الرئيسية .

تمثل موافقة السلطان مجيد على إعلان التنظيمات تنازلا عن الكثير من الحقوق المتوارثة منذ عصور طويلة لأجداده مؤسسي الدولة ، وقد كان ذلك بلا شك حرصا من السلطان مجيد على مصالح الدولة واستمرار بقائها .

تمت تلاوة فرمان التنظيمات في كلخانة في سراي طوب قابو ، ولذلك فإنه يطلق عليه اسم « كلخانة خط همايوني » ، ويطلق عليه الأوروبيون « خط شريف » ، وبإعلان الدستور أصبحت إصلاحات السلطان محمود قانونية وموثقة .

يوضح الدستور أن الشعب هو أساس وجود الدولة ، وأن الدولة إنما تقوم من أجل الشعب ، وأن مؤسسات الدولة قد تسرب إليها الفساد منذ 150 عاما ، وأنه قد حدث إخلال بحقوق الشعب في الفترات الأخيرة ، ولذلك فقد فقد الشعب رفاهيته كما فقدت البلاد إعمارها ، وأنه على الدولة أن تؤمن الحقوق الأساسية للشعب ، وبناء على ذلك ينص الدستور على أنه لا يجوز بعد الآن :

– إصدار حكم بالإعدام ولا بالسجن ولا بالنفي على أي مواطن ، ما لم تقره المحكمة في جلسة مفتوحة ، لا يمكن مصادرة أموال ونقود شخص أو مؤسسة لصالح الخزانة العامة على أساس أنها أموال دولة مسروقة ؛ ما لم تقر ذلك المحكمة .

– لا يمكن طلب ضرائب أو رسوم ، أو أي خدمات زائدة من الشعب عدا الضرائب التي تقرها القوانين المرعية .

– لا يجوز تجنيد أي مواطن خلافا للقانون أو إبقاؤه في العسكرية مدة أطول من المدة المنصوص عليها في القوانين المرعية .

– لا يجوز لأي موظف أن يتعدى حدود صلاحياته الممنوحة له قانونا ؛ فإن كان عسكريا يشتغل بالأمور العسكرية ، وإن كان من العلماء يشتغل بالأمور الدينية والواجبات الأخرى المحددة .

– يجوز لكل مواطن الاشتغال بالتجارة والزراعة والصناعة بحرية تامة في إطار القوانين .

– لا يجوز إصدار أحكام إعدام أو سجن أو نفي أو مصادرة بإرادة الوزير والبادشاه ، واستنادا لأسباب سياسية مبهمة كما كان في السابق .

– لا يكون للبادشاه بالذات حق سجن ، أو نفي أي شخص .

– يقسم البادشاه على رعاية أحكام الدستور .

– تطبق التعديلات فورا بإنشاء المؤسسات اللازمة لها في كل الإيالات .

– ينفذ هذه الإجراءات الصدر الأعظم الذي يعينه البادشاه .

- ينبغي أن يكون الصدر الأعظم مدنيًا ، فإن كان عسكريا ، فيتحتم أن تكون له مكانة متميزة بين الوزراء الآخرين . (كان ذلك هو الواقع المطبق وإن لم يذكر في الفرمان ، ويعني هذا أن تترك إدارة الدولة بصورة رسمية للطبقة العليا من البيروقراطيين) .

- يقوم البادشاه بواجبات السلطنة ولا يحكم .

- يصدق البادشاه على قرارات الحكومة وعرائض الصدارة بصورة تلقائية ، ما لم يكن هنالك سبب مجبر لردها . (يوضح هذا أن صلاحيات البادشاه قد قلصت بما فيه الكفاية بالنسبة لصلاحيات القيصر مثلا) .

وافق البادشاه على ذلك بمحض إرادته وحريته دون أي ضغط من الشعب أو الجيش كما حدث في معظم الدول الأوروبية .

ومن الواضح أن هذا النظام يعطي السلطة إلى البيروقراطية التي يتزعمها رشيد باشا وإلى الشباب ، ولذا قاومه البيروقراطيون المحافظون المسنون القدامى .

استغرق تأمين التوازن بين هذين التيارين من قِبَل البادشاه مدة طويلة نوعًا ما ، عين خلالها في فترات متفاوتة صدورًا عظامًا من المحافظين .

انتقلت إدارة الدولة في النهاية إلى مؤيدي التنظيمات تماما ، وعدا حادث 1876 ، لم يظهر جنرال يميل إلى التدخل في السياسة ، وقد تولى بعض العسكريين وظائف مدنية نظرا لعدم توافر العدد الكافي من الموظفين المدنيين ، ولكنهم كانوا يقومون بأعباء وظائفهم هذه كأنهم موظفون مدنيون ، وأكثر الذين تولوا هذه الوظائف ، كانوا برتبة مشير .

أخذت صلاحيات زمرة العلماء في التقلص تدريجيا على مر الزمن ، مما سبب عدم الارتياح الداخلي لدى هذه الطبقة .

لم تعد الرغبة السابقة في الانتساب إلى المدارس المدنية كما كانت عليه ، وكانت حصة المدارس العسكرية من الطلاب محدّدة .

والكل يرغب في إلحاق ابنه كاتبا في الدوائر الحكومية ؛ أي جعله في السلك المدني . كانت وظيفة الكاتب ، هي المرحلة الأولى في الوظائف المدنية ، وكان يجري تدريب الموظفين ثم تفريعهم إلى 5 فروع أساسية : الخارجية ، الداخلية ، المالية ، المعارف والعدلية ، وفي ضوء هذا فإن وظيفة الكاتب كانت تعتبر الخطوة الأولى لمنصب الصدارة .

بدأت بيروقراطية الباب العالي التقليدية الكبرى ، وأصبحت للمدنيين رتب معادلة لرتب صنف العسكرية وصنف العلماء ، كما أصبحت لهم ملابس للمراسم ، لكنهم كانوا يرتدون هذه الملابس في المراسم فقط وليس بصفة مستمرة كالعسكريين والعلماء .

دامت صدارة قوجا محمد خسرو باشا ، مدة 11 شهرا و 7 أيام . كان هذا الشيخ غنيا جدا ، ومن كبار أصحاب الخير ، وكان عدوا لدودا لمحمد علي باشا .

صار واليا على مصر قبل محمد علي باشا وشغل منصب قبطان دريا مدة 10 سنوات و 4 أشهر و 12 يوما (1811 – 18 و 1822 – 27) . لم يتمكن من القضاء على وزير الخارجية رشيد باشا لكن رشيد باشا أسقطه . أقنع البادشاه بأنه لا يمكن حل المشكلة الأولى للدولة ، مشكلة محمد علي مادام خسرو باشا باقيا في الصدارة . كان خسرو باشا أكبر عدو لمحمد علي في الظاهر ، لكن الحقيقة أن رشيد باشا ، كان أكبر عدو لمحمد علي على وجه الأرض . كان رشيد باشا عازما على الانتقام من محمد علي جزاء عصيانه لسيده السلطان محمود . لكن محمد علي لم يتمكن حتى النهاية من التعرف على هذه النية التي كان يبيتها له رشيد باشا .

تصدر رءوف باشا للمرة الثالثة (1840/6/8) . بقي في السلطة مدة 1 سنة ، 5 أشهر و 26 يوما . كان مؤمنا بحركة التجديد التي قام بها السلطان محمود ، وتعاون مع رشيد باشا بشكل منسق ؛ كان رشيد باشا مسيطرا على كل الشئون الخارجية للدولة ، ولم ينشغل بالأمور الداخلية لأنها لم تكن من اختصاصه في الأصل .

صار دارنده لي طوبال عزت محمد باشا الذي شغل هذا المقام قبل 12 سنة ، صدرا أعظم (1841/12/4) ، وعزل بعد 8 أشهر و 27 يوما (1842/8/30) . جاء رءوف باشا إلى السلطة للمرة الرابعة .

مجموع صدارتي عزت 1 سنة ويومان .

انقسمت القوات البرية للإمبراطورية على أيام صدارة رءوف باشا الرابعة ، إلى 5 جيوش (1843/9/6) ، وسوف تنقسم فيما بعد إلى 7 جيوش .

9 ـ حل القضية المصرية (1840 – 41)

تجدد أمل محمد علي باشا الكبير السن في الصدارة ، بوفاة السلطان محمود وجلوس خاقان ـ خليفة شاب على العرش . كان رشيد باشا قد أجرى اتصالات سرية جدا حول محمد علي في لندن وباريس ، قبل مجيئه لإعلان التنظيمات .

لم يوفق في اتصالات باريس في هذا الشأن حيث كانت باريس مصممة على مساندة محمد علي بصورة مستمرة والحصول بواسطته على النفوذ في مصر . لكن من الثابت أنه وفق في لندن ، وسوف تكون السياسة التي سوف ينتهجها رشيد باشا هي التعاون مع إنكلترا أعظم الدول العالمية ، ولقد كان من دواعي ذلك ومهيئاته عدم رغبة إنكلترا في التوسع الروسي ، واتخاذها الدولة العثمانية أكبر ضمان لذلك . إلى جانب ذلك فقد رأي رشيد باشا أنه من الخطأ اتخاذ جبهة مضادة تجاه فرنسا الدولة العظمى الثانية ، حيث لم تكن لها أطماع توسعية صريحة تجاه الإمبراطورية العثمانية كروسيا . ولذلك فقد قرر ترك الفرنسية لسياسة التموّج (الاتفاق معها تارة والاختلاف تارة أخرى) ، مع تثبيت العلاقة مع إنكلترا .

وقع رشيد باشا ، الذي ذهب إلى إنكلترا بعد إعلان التنظيمات ، على معاهدة لندن (1840/7/15) . وقّعَ على هذه المعاهدة المكونة من 13 مادة ، كلٌ من تركية ، إنكلترا ، روسيا ، النمسا ، بروسيا . أصرت فرنسا على عدم التوقيع . وهكذا اتفقت جميع دول أوروبا الكبرى ـ عدا فرنسا وأسبانيا ـ حول قضية محمد علي .

كان ذلك بالنسبة للعثمانية نصرا دبلوماسيا كبيرا بدرجة لا تصدق .

تنص هذه الاتفاقية على أن تقدم الدول الـ 5 الكبرى إخطارين لمحمد علي ، كل منهما لمدة 10 أيام يتضمن الإخطار الأول أن يقوم محمد علي بإعادة الأسطول العثماني إلى إستانبول وإخلاء جزيرة كريت وإدنة وسورية ولبنان والحجاز ، وتعطى له كوالي

للدولة العثمانية ولأبنائه من بعده مصر والسودان ، وتعطى له فلسطين مدى حياته ، فإذا انقضت مهلة الأيام العشرة و لم يستجب ، تؤخذ منه فلسطين وتعطى له مصر والسودان فقط ، فإذا انقضت مهلة العشرة أيام التالية و لم يستجب ، تؤخذ منه مصر كذلك ، وتتعهد الدول الـ 4 بأن تضع الجيوش اللازمة تحت أمر البادشاه لتنفيذ هذا الإخطار .

بعث رشيد باشا مستشار الخارجية صادق بك (باشا) بالإخطارات . أجاب محمد علي باشا صادق بك محاولا الدفاع عن خيانته وتغطية أطماعه الشخصية ، بأنه خاضع ومذعن لأي فرمان يصدر من البادشاه ، ثم تساءل بعد هذا الرياء السافر عن ماهية تقصيره ، وأن أمثال خسرو باشا من أعدائه في شبابه ، قد غشوا سيدنا البادشاه ، وأقنعوه بإرسال جيش ضده ، وأنه جعل من مصر بلادا معمورة للبادشاه ، وأنه يرسل ضرائبه لاستانبول ويرسل الجنود . وأفاد بعد ذلك ، بأنه كعثماني كبير السن ، تأثر جدا من أن تبلغه إخطارات الدولة الأجنبية عن طريق موظف عثماني ، ولذا فإنه لا يقبل الإخطارات . وأخذ في الدفاع عن الإمبراطورية التي أوشكت بفضله على الاضمحلال ، قائلا بأنه لا يمكن لأي دولة ، التدخل في الشئون الداخلية للعثمانية ، ولا يمكنها أن تملي على وال عثماني مثله أمرا . تكلم صادق بك مع محمد علي باشا ، بإسلوب شديد اللهجة ليثير غضبه حسبما أوصاه رشيد باشا .

عاش رشيد باشا يوما من أسعد أيام حياته عندما علم بالرفض . بلغ الدول الـ 4 برفض الباشا ، للإخطار ، وطلب إجراء اللاّزم .

رأت روسيا أنه في حالة أخذ مصر من يد محمد علي ، فسوف تتوجه العثمانية نحوها بعد حل مشكلتها هذه (وبالفعل حدث ذلك) ، ومن ثم فقد ألقت باتفاقية لندن عرض الحائط وتبعتها في ذلك بروسيا التي سايرت السياسة الروسية ، ضد علوتها النمسا ، فلم ترسلا جيشا .

أرسلت إنكلترا وفرنسا الجنود والأساطيل التي طلبها الباب العالي . التقوا مع الجيش العثماني ونزلوا في بيروت (1840/9/15) . تعقبوا أثر قاوالالي إبراهيم باشا البالغ عمره آنذاك 51 عاما . انهزم إبراهيم باشا قرب بيروت بشكل حاسم . كانت حالة النفور

عامة في جميع سوريا ولبنان وفلسطين ضد إبراهيم باشا بسبب تكليفه لهم بأعمال إضافية كثيرة دون مقابل . كانت هذه الأقطار تريد عودة العثمانية . ثار الشعب ضد إبراهيم باشا وأظهر موالاته للعثمانية . دخل الجيش العثماني إلى حلب (1840/11/13) ، وإلى الشام (1840/12/29) ، وإلى عكا (1840/11/4) ، وإلى طرابلس (1840/10/16) . نجا إبراهيم باشا بنفسه بالكاد مع بقايا جيشه ، وعاد إلى مصر وسرد الوضع على أبيه البالغة سنة 71 عاما .

في هذا الوضع ، لعبت إنكلترا لعبتها في التحايل على الباب العالي ؛ بالنسبة إلى معاهدة لندن ، كان الأمر يقتضي إخراج محمد علي من مصر كذلك . وعلى أثر تبليغ محمد علي في اتفاقية الإسكندرية (1840/11/27) بأنه يوافق على شروط المذكرة الإخطارية الثانية ، طلبت إنكلترا من الباب العالي إبقاء مصر والسودان – عدا القسم الساحلي – لدى محمد علي . إن إعراض روسيا وبروسيا عن تطبيق معاهدة لندن ، وإعلان فرنسا معارضتها واستعدادها عند اللزوم لمساندة محمد علي بالسلاح ، صراحة ، جعل إنكلترا في تردد . وإضافة إلى ذلك ، كان محمد علي يقوم بوظيفة الولاية بصلاحيات حاكم منذ 35 عاما ، وكانت جذوره قد امتدت وغيَّرت وجهة مصر . وبناء على ذلك ، طلب رشيد باشا إلى البادشاه أن يعلن فرمان مصر (1941/5/24) الذي بقي مرعيا في مصر كدستور حتى نهاية عام 1914 ونهاية الحكم العثماني .

تشتمل أحكام هذا الفرمان على ما يلي :

يتنازل محمد علي عن الإيالات الـ 7 التي أخرج منها أساسًا ، يرسل الأسطول إلى إستانبول . تعطى له ولاية مصر والسودان وراثيًا . تبقى سواحل السودان المسكونة والمشرفة على البحر الأحمر ، لدى العثمانية . تبقى أريتره كذلك لدى الإدارة العثمانية . تعطى فقط نصف شبه جزيرة سيناء إلى محمد علي . يكون أكبر الأبناء الذكور من صلب محمد علي واليا على مصر ، تنتقل الإيالة إلى العثمانية في حالة انقطاع الذكور من سلالة قاوالالي ، لا يكون لأبناء البنات حق في السلطة . يحمل والي مصر لقب « والي » ورتبة وزير كولاة العثمانية الآخرين ، يدخل في البروتوكول حسب تسلسل القدم ضمن وزراء ومشيري العثمانية الآخرين . يرسل إلى إستانبول ضريبة سنوية

مقطوعة قدرها 4 ملايين آقجه ، يجوز للباب العالي أن يزيد مقدار هذه الضريبة في حالة ازدياد رفاهية البلاد ، ولكن لا يمكن إنقاصها . يكون لوالي مصر الباشا 18 000 جندي . يساق هؤلاء في حالة الحرب إلى الجبهة التي يأمر بها الباب العالي ، وفي حالة السلم يرسل سنويا (بشرط تبديلهم سنويا كذلك) 400 جندي مصري إلى إستانبول . يُسرح الجنود الفائضون ، تباع السفن الحربية ، يلغى الأسطول . يرتدي الجيش المصري البزة العسكرية العثمانية . يرفرف في مصر العلم العثماني ، ولا يستعمل علم غيره . تصك النقود باسم البادشاه . لا تستدين الإيالة من دولة خارجية . تطبق في مصر جميع أسس التنظيمات والقوانين التي أعلنها وسيعلنها الباب العالي . لا يجوز لوالي مصر أن يمنح أحدا رتبة تعلو على رتبة الباي (زعيم) أو ما يعادلها من رتب الصنف المدني وصنف العلماء ، تمنح للمصريين الرتب التي تعلو على رتبة الزعيم من قبل البادشاه فقط ، علامات التقدير والأوسمة تمنح من قبل البادشاه كذلك . وبالنسبة إلى فرمان التنظيمات لا يجوز لوالي مصر معاقبة أي مصري ما لم يكن هنالك قرار صادر من محكمة ، ولا يمكنه جمع الضرائب عدا الضرائب التي تجمع أمثالها من الأقطار العثمانية . لا يجوز للوالي أن يرتبط بأي علاقة خارجية ، يتلقى الأوامر من الباب العالي بشأن كل مسألة مهمة يروم تنفيذها داخل مصر .

يعد هذا الفرمان ، من أعمال رشيد باشا الكبيرة التي دفعت محمد علي إلى حدود التعقل . دام عصيان محمد علي مدة 9 سنوات و 7 أشهر و 5 أيام . امتثل محمد علي بعد ذلك لهذا الفرمان بشكل تام ، حيث إن إحدى فقرات الفرمان تنص على أن تؤخذ مصر من عائلة قاوالالي في حالة مخالفته أي حكم من أحكامه . منح السلطان مجيد عام 1842 محمد علي رتبة الصدارة التي تفوق رتبة الوزارة ، وهذه الرتبة منحت كذلك للولاة الذين جاءوا بعده ، وبذلك تفودى دخول والي مصر في تسلسل البروتوكول بعد الوزراء والمشيرين الأقدم منه . أخذ والي مصر مكانه في البروتوكول الإمبراطوري بعد أعضاء العائلة المالكة ، الصدر الأعظم وشيخ الإسلام ، كثالث موظف دولة كبير ، واستمر ذلك حتى انفصال مصر عن الإمبراطورية في نهاية عام 1914 .

جاء محمد علي باشا ، في 19 تموز 1846 إلى إستانبول وقَبَّل قدم السلطان عبد المجيد

الذي يصغره بـ 54 عاما . كانت سنه آنذاك 77 عاما (عمر البادشاه 23 عاما) . ظل في إستانبول 29 يوما . وحتى في هذا العمر ، أجرى اتصالاته ليكون صدرا أعظم . تدل محاولاته هذه على طبيعة الانتقام ، فقد كان يريد الصدارة لينتقم من أكبر عدو له في الحياة وهو رشيد باشا . زيارة محمد علي هذه لإستانبول هي الأولى والأخيرة طيلة حياته . أما ابنه الكبير إبراهيم باشا ، فكان قد بقي في إستانبول مدة سنة واحدة في شبابه . زار محمد علي بعد عودته من إستانبول مدينة قاوالا التي غادرها قبل 47 عاما . أكرمه البادشاه بضم إدارة جزيرة تاشوز Tasoz المقابلة للمدينة لولاية مصر .

بعد أن انتهى أكبر عصيان وقع في التاريخ العثماني ، كان من الطبيعي أن يعود رشيد باشا إلى موضوع روسيا بعد حله قضية مصر . وقعت معاهدة المضايق (1841/7/13) . وقع على هذه المعاهدة كل من تركيا وإنكلترا فرنسا روسيا والنمسا وبروسيا . وابطلت بشكل كامل اتفاقية رصيف هنكار . تنص المعاهدة على أنه لا يجوز لأي دولة عدا تركية وروسيا اللتين تملكان سواحل في البحر الأسود ، إبقاء أي سفينة حربية في هذا البحر ، ولا يجوز مرور أي سفينة حربية من المضايق إلى بحر مرمره . وعلى هذا ، يكون أسطول البحر الأسود الروسي محجورا في هذا البحر ، وفي الوقت الذي تجبر فيه روسيا على أن تجعل لها في البحر الأسود أسطولا منفصلا ، تكون تركية حرة في سوْق أسطولها إلى البحر الذي تريده . ومن الطبيعي أن العثمانية هي التي ستعيّن السفن التي يمكنها المرور من المضايق في حالة الحرب .

لم يتمكن محمد علي من مجابهة الضربة التي أصابته من رشيد باشا بسبب تأخره الكبير في حسابها . وفي أحد الأيام ، قال محمد علي لسفير روسيا في مصر عن رشيد باشا « سيلعب هذا الشخص لعبة مدهشة على القيصر Nikolay الذي أزعج سيده السلطان محمود ، كما حكم علي بالحجر في مصر » ابتسم القنصل الذي استبعد هذا الاحتمال . ولكن رشيد باشا سيلعب على القيصر كذلك في حرب القرم ، سينتحر القيصر بخروجه في شدة مرضه لتفتيش جيشه في البرد الشديد هربا من التوقيع على معاهدة باريس التي تعتبر فاجعة له .

بدأت الملكية الفرنسية التي تلقّت ضربة شديدة في القضية المصرية بالتسلط على

لبنان . كانت تعتبر العرب الكاثوليك، المارونيين الموجودين فيه ، ذكرى دور الصليبيين لحكم الفرنسيين في لبنان ، وتعتبر نفسها وارثة لسواحل سورية . اشتد في 1843 صدام المارونيين والدروز في جبل لبنان . حاول الباب العالي في ايلول 1845 اتخاذ بعض التدابير لمنع تحركات الفرنسيين ؛ أسس في جبال لبنان قضاءين مستقلين ذاتيا أحدهما للدروز ، والآخر للمارونيين . وربط القضاءات بالوالي المستقر في صيدا .

10 – الوضع العام في أواسط العصر 19 :

عزل رءوف بك عن صدارته الرابعة (1846/9/28) . ووجد السلطان عبد المجيد أخيرا في نفسه الشجاعة لتعيين زعيم التنظيمات مصطفى رشيد باشا البالغ عمره 46,5 عام . زاد تعيين عالي أفندي (31,5 سنة) ، أقرب الأشخاص لرشيد باشا لتولي وزارة الخارجية ، رد الفعل لدى المحافظين . لم يتمكن رشيد باشا من الصمود تجاه رد الفعل هذا سوى سنة و 7 أشهر . صار إبراهيم صارم باشا وهو من العاملين بالسلك الدبلوماسي كذلك ومن مؤيدي التنظيمات المعتدلين ، صدرا أعظم لمدة 3 أشهر و 14 يوما (1848/4/28 – 1848/8/12) . كان في الـ 46 من عمره . جيء برشيد باشا ، الذي كان وزيرا للدولة في تلك الوزارة ، إلى الصدارة للمرة الثانية . كان رشيد باشا ، قد شكل في صدارته الأولى وزارة المعارف العامة وربط كل المدارس بها ، وبقيت المدارس الدينية تحت إدارة شيخ الإسلام ، والعسكرية تحت إدارة السر عسكر ، واستمرت على هذا الشكل حتى نهاية الإمبراطورية .

صادفت ثورة 1848 الأوروبية الكبرى أيام صدارتي رشيد باشا . بدأت الثورة في فرنسا . تقوضت الملكية البرلمانية وأعلنت الجمهورية الثانية . صار الأمير نابليون ابن أخي نابليون الكبير رئيسا للجمهورية (سيكون أول إمبراطور في نظام الإمبراطورية الثاني لفرنسا بلقب نابليون الثالث عام 1851) . سقط الأمير مترنيخ Metternieh رئيس وزراء الاتحاد النمساوي الذي سيطر على الدبلوماسية الأوروبية طيلة نصف قرن ، وهكذا سقط نظام مترنيخ . فقد الإمبراطور فرديناند عرشه وجلس على العرش Franz Joseph الإرشيدوق الشاب البالغ عمره 18 عامًا الذي سيظل على العرش حتى 1916 . حاولت الدولتان الألمانية والإيطالية الاتحاد ، ولم تتمكنا من تكوين ألمانيا وإيطاليا

متحدة . كان الأمير بسمارك يتزعم الوحدة الألمانية ، ورئيس ساردونية Piemonte الكونت Cavour يتزعم الوحدة الإيطالية .

امتدت الثورة إلى الإمارتين الرومانيّتين اللتين تسميهما تركيا « مملكتين » . خلع الشعب الأميرين . دخل الجيش التركي رومانيا واحتل إبرائيل (1848/8/2) . جاء كيجه جي – زاده فؤاد أفندي إلى بوخارست كمفتش فوق العادة واتخذت تدابير شديدة . وعندما احتل جيش عثماني يتألف من 35 000 جندي روماني ، احتلت روسيا كذلك مولدافيا بـ 35 000 . وافقت روسيا على سحب قواتها فور سحب العثمانية قواتها باتفاقية بلطه ليماني (1849/5/1) . تحاشى رشيد باشا الحرب مع روسيا في هذه المرحلة ، وكان قد وضع جميع خطط هذه الحرب في ثورة عام 1848 ، لكنه أخر الحرب ، لعدم تمكنه من اتخاذ حلفاء حتى ذلك الحين . ثار المجريون في النمسا والبولونيون في روسيا ثورة كبيرة ، كانوا يريدون الاستقلال والجمهورية . ذبح الروس عشرات الآلاف من البولونيين وأخمدوا الثورة . جاء البولونيون الذين نجوا من سيف الروس إلى المجر واتحدوا مع الجيش المجري وزعيمه Layos Kossuth . وعند انكسار الجيش النمساوي أمام المجريين ، طلب الإمبراطور مساعدة القيصر . دخل الجنرال Paskieviç الذي خاض التجربة في الحروب العثمانية ، إلى المجر مع 200 000 جندي ، وأغرق البلاد في الدم وأخمد الثورة (1849/9/12) . دخل الحدود العثمانية 1120 زعيما مجريا وبولونيًا وطلبوا من الباب العالي حق اللجوء . كانت دبلوماسية رشيد باشا ، التي عاصرت تلك الظروف قد بلغت قمتها . كان من بين جماعة الوطنيين اللاجئين جنرالات ودبلوماسيون وفنانون معروفون لدى أوروبا كلها . أبلغت روسيا والنمسا الباب العالي ، بأن يقبل حالة الحرب في حالة عدم إعادته اللاجئين . رفض وزير الخارجية عالي باشا كلا من مذكرتي فيينا وبطرسبورغ بالمذكرتين المؤرختين 17 أيلول و 22 ت2 ونفذ أمر رشيد باشا . اللندنيون الذين خلعوا أحصنة عربة السفير ، سحبوا العربة على أكتافهم وذهبوا بها إلى السفارة العثمانية . جرت مظاهرات كبيرة موالية للعثمانية في الأوساط الحرة في لندن وباريس وأوروبا الغربية . البولونيون والمجريون المقيمون في تلك الأقطار ، كانوا السبب في إثارة هذه المظاهرات . وخلال هذا الظرف ، حاول رشيد باشا إدخال إنكلترا وفرنسا في الحرب ، لكن رئيس الجمهورية الأمير نابليون

الذي لم يكن يفكر آنذاك في شيء سوى إعداد إمبراطوريته ، لم يرغب في الحرب . بقيت إنكلترا في تردد . لم يكن رشيد باشا راغبا في أن يبقى وحيدا تجاه روسيا . أرسل كيجه جي - زاده فؤآد أفندي إلى القيصر برتبة (أولى) ، رجله رقم 2 الدبلوماسي العظيم البالغ عمره 34 عاما . أجرى فؤاد أفندي مع القيصر مقابلة طويلة ، وعلى انفراد خلافا للعادة (1849/10/4) . أقنع القيصر بعدم نشوب حرب . كانت أوروبا متأكدة من نشوب حرب روسية - عثمانية جديدة . عمت شهرة فؤاد أفندي في كل أنحاء أوروبا كدبلوماسي ناجح . فؤاد أفندي الذي بقي في روسيا مدة 3 أشهر بناء على رجاء القيصر ، منح عند عودته إلى إستانبول رتبة « أولى » ووسام الامتياز . ذهب فورا مع جودت أفندي (باشا) كمفتش فوق العادة إلى مصر . ظل في مصر 4 أشهر ، فتش خلالها كيفية تطبيق أسس التنظيمات في مصر .

دامت صدارة رشيد باشا الثانية 3 سنوات و 5 أشهر و 15 يومًا . وظّف مؤيدي التنظيمات في السلطة خلال هذه الفترة . ضعف المحافظون ، وقل جدا معارضو التنظيمات . أثبت رشيد باشا عمليا ، أن حركة التجدد والتنظيمات مفيدة للدولة . السلطان عبد المجيد الذي كان يخشى — حتى ذلك الحين — من أن يؤدي تنافس الحزبين إلى عراك شديد ، أخذ بمساندة رجال التنظيمات بمزيد من الجرأة .

صار رءوف باشا ، صدرًا أعظم للمرة الخامسة والأخيرة (1852/1/26) ، لكنه توفى بعد شهر و 9 أيام (1852/3/5) . كان في الـ 80 من عمره . مجموع صداراته الـ 5 هو : 14 سنة و 9 أشهر و 25 يوما . وهذه هي المدة السابعة من حيث الطول بين رؤساء وزراء تركية . اعتلى السلطة مرتين في عهد السلطان محمود و 3 مرات في عهد السلطان عبد المجيد . أصبح رشيد باشا صدرا أعظم للمرة الثالثة بعد فترة 39 يوما . استقال بعد 5 أشهر لعدم انسجامه مع داماد أحمد فتحي باشا ، من مؤيدي التنظيمات الشهيرين ومشير طوبخانة .

بدأت الصدارة الأولى لمحمد أمين عالي باشا ، شخصية التنظيمات رقم 2 البالغ عمره 37,5 عام (1852/8/4) ، لكنها دامت 59 يوما (1852/10/3) . كانت سنه تصغر رشيد باشا بـ 15 عاما ومساوية لسن فؤاد باشا . شغل في شبابه منصب سفير في

سفارات باريس ، لندن ، كان أكبر دبلوماسي بعد رشيد باشا . أصبح قبطان دريا (مشير البحر) داماد محمد علي باشا ، الضعيف الشخصية البالغة سنة 39 عاما ، صدرا أعظم .

أسّس رشيد باشا خلال فترة صدارته الثانية الأكاديمية الإمبراطورية التي كانت تسمى « أنجمن دانش » (1851/7/18) .

كان قد انتهى النصف الأول من العصر 19 . ارتفع تعداد العالم الذي كان يقدر بـ 955 مليون نسمة في 1825 إلى 1 137 000 000 نسمة في 1850 ، من بين هذا العدد 902 مليون نسمة لدى الدول الـ 9 العظمى ، والبقية البالغة 235 مليون نسمة كانت تتقاسمها جميع الدول الأخرى (كانت هذه النسبة عام 1825 ، 301 مليونا مقابل 654 مليونا) . ومن دول العالم العظمى لعام 1850 ، ملكية بريطانيا العظمى (إنكلترا) ازداد تعدادها خلال ربع قرن من 119 مليونا إلى 259 مليونا ، جمهورية فرنسا من 32 مليونا إلى 39 مليونا ، إمبراطورية روسيا من 48 مليونا إلى 68 مليونا ، إمبراطورية تركيا من 58 مليونا إلى 54 مليونا ، الإمبراطورية الصينية من 320 مليونا إلى 380 مليونا ، إمبراطورية النمسا من 30 مليونا إلى 39 مليونا ، ملكية بروسيا من 11 مليونا إلى 17 مليونا . الولايات المتحدة الأمريكية من 5 ملايين إلى 23 مليونا ، ملكية أسبانيا من 19 مليونا إلى 23 مليونا نسمة . 20 مليونا من سكان روسيا سرف (عبيد يعملون في الأراضي) ، و 3,2 مليونا من نفوس أمريكا ، من العبيد الزنوج . ألغى نظام العبيد في الدولة العثمانية .

منذ عصور ، ولأول مرة ، يزيد عدد سكان مدينة على عدد سكان إستانبول . لندن التي بلغت عام 1825 1 500 000 ، بلغت عام 1850 2 337 000 نسمة . وفي ربع القرن نفسه ، زاد سكان إستانبول من 1 300 000 إلى 1 400 000 وباريس من 1 000 000 إلى 1 398 000 ، ونيويورك من 300 000 إلى 991 000 ، كان قد ارتفع تعداد مانجستر ، بفضل صناعة المنسوجات من 280 000 إلى 569 000 . بكين 1 100 000 ، كانتون 1 000 000 ، تين جين 800 000 نسمة . كان سكان المدن الـ 5 الآتية يتراحون بين 400 إلى 500 ألف نسمة . بطرسبورغ 432 000 ، وبرلين 412 000 ، وفيلادلفيا 409 000 ، ونابابولي

408 000 ، فيينا 000 400 . يقدر عدد سكان المدن العثمانية الأكثر ازدحاما بعد إستانبول كما يلي : القاهرة 000 355 والشام 000 215 وأدرنة 000 200 والإسكندرية 000 184 ومكة 000 180 وبورصة 000 170 وبغداد 000 160 وحلب 000 150 وأزمير 000 150 . وكان هنالك ضمن حدود الإمبراطورية العثمانية عدا هذا 8 مدن يتراوح عدد سكانها بين 100 و 150 ألفا ، و 22 مدينة تتراوح نفوسها بين 50 – 100 ألف نسمة . كان لدى الإمبراطورية البريطانية 63 مدينة تتجاوز نفوسها الـ 000 250 ، لدى العثمانية 40 ، لدى فرنسا 17 ، لدى روسيا 15 ، لدى النمسا 12 ، لدى إيران 10 ، لدى اليابان 10 ، لدى أسبانيا 11 ، لدى الولايات المتحدة 6 ، لدى الصين 33 ، لدى بروسيا 7 ، لدى هولندا 5 . وفي 1825 كان هنالك 227 مدينة في العالم يتجاوز عدد سكانها الـ 000 50 ، ارتفع عددها في 1850 إلى 291 ألفا ، أما المدن التي تتجاوز الـ 000 100 فارتفع عددها من 000 106 إلى 000 115 .

كانت بقية الدول الأخرى ترى أنه من ضروب الخيال أن يتم لها سبق إنكلترا في كل المجالات الرئيسية الأخرى عدا الجيش البري . كانت فرنسا التي جربت الجمهورية للمرة الثانية ولمدة 3 سنوات فقط ، تملك أقوى جيش وثاني أسطول في العالم ، وكانت الدولة الثانية التي تملك الصناعات الحديثة بعد إنكلترا . كانت فرنسا تحاول تقليد إنكلترا في الرأسمالية والاستعمار . إنكلترا ، التي استعمرت الهند ، أصبحت تملك مستعمرات كبيرة في القارات الـ 6 . روسيا كانت تملك الجيش البري القوي الثاني في العالم بعد فرنسا . كان لديها ثلاثة أساطيل مستقلة غير مرتبطة بعضها ببعض ، في البلطيق . البحر الأسود ، المحيط الهادي ، لا يمكن ارتباطها بعضها ببعض .

تضعضعت مكانة النمسا بعد سقوط الأمير مترنيخ ، كان لديها ساحل في الأدرياتيك فقط .

كانت بروسيا تملك جيشا عظيما ، ولم يكن لديها أسطول .

الولايات الأمريكية المتحدة كانت تزدهر في الصناعات الكبرى ، ولم تكن قواتها العسكرية والبحرية ذات أهمية بالنسبة للأوروبيين .

الصين كانت مغلقة على نفسها ولا تزال تحافظ على عظمتها .

أسبانيا كانت قد فقدت مستعمراتها الأمريكية العظيمة وفي حالة سيئة .

تكبدت العثمانية خلال ربع القرن هذا خسائر مهمة ؛ مثل الجزائر ، مورا ، آتيكا ، جزر كيكلاد ، آغري بوز ، دلتا الطونة ، ساحل البحر الأسود . لكنها تمكنت من تأسيس جيشها وأسطولها الحديث بفضل حركة التجديد والتنظيمات ، فتحت مدارسها الحديثة . كان جيشها البري ، الجيش الثالث بعد فرنسا وروسيا ، وأسطولها ، الرابع في العالم بعد إنكلترا ، فرنسا ، روسيا .

11 - حـرب قـرم (1853 - 1856)

كان القيصر نيقولاي الأول المتعصب جدا ، يتابع بقلق تدارك العثمانية لما فاتها وإنقاذها نفسها من التشتت بحركة التجديد والتنظيمات ، هذا عدا نموها وتطورها . حيث تكون تركيا قوية فإن ذلك يعني بالنسبة لروسيا قيام سد لا يمكن اجتيازه أمام تحقيق هدفها في الهبوط إلى البحار الدافئة . إن هذا الهدف الذي وضح في وصية القيصر بطرس الكبير ، لا يمكن تحقيقه مادامت تركيا قويّة . إن نيقولاي ، الذي كان يحسد شخصية محمود الثاني ومناداته في أوروبا بلقب « الكبير » سلّط عليه الآن رشيد باشا . لم يكن نيقولاي يبالي بالسلطان مجيد ، فقد كان يعتبره طفلا ، كما كان يعلم أن السلطان مجيد كان سلطانا فقط ، لا يعني بشئون الحكم .

كان مما يزيد من غضب القيصر تمكن رشيد باشا من حل كل المشاكل الخارجية ، الواحدة تلو الأخرى ، وتمكنه من كسب إنكلترا إلى صفه بكل الوسائل ، واتباعه تجاه فرنسا سياسة مذهلة بالاتفاق معها تارة والاختلاف تارة أخرى ، ثم خرج تجاهه إلى الحلبة عالي باشا وفؤاد باشا . شخّص القيصر سياستهما على أنها سياسة شيطانية ومضرة على الإطلاق بمصالح روسيا . كان تشخيصه هذا متأخرا إلى حد ما . كان يفكر بعصبية متزايدة على مر الزمن في كيفية تمكن رشيد باشا من إذلال روسيا في أوروبا الغربية في 1849 ، بعد إذلاله شرف روسيا في أوروبا الوسطى كذلك ، وإرساله له شخصية رقم 2 فؤاد أفندي (باشا) واستطاعة فؤاد أفندي التغرير به . كان القيصر قد أشرف على نهاية سلطته ، وكان عازما بشكل أكيد على اختتام سلطنته بتأديب العثمانية . كـان قـد تأخر في كشف نوايا رشيد باشا . لم يتمكن بعـد من تعـليل محاولة

رشيد باشا بدقة متناهية إغضاب روسيا وإخراجها من طورها المعتدل .

لم يكن بالإمكان ابتلاع العثمانية دون إبعاد إنكلترا أولا . ولغرض تنحية إنكلترا ، فإن الأمر يقتضي إعطاء حصة لها .

استعمل تعبير « الرجل المريض » ، الذي اشتهر فيما بعد ، لأول مرة عند مكالمته للسفير الإنكليزي في بطرسبورغ ، مشيرا عليه باقتسام تركيا أو تشذيب أطرافها على أقل تقدير . أعلمت إنكلترا الباب العالي بتلك النوايا السرية للقيصر ، ولم تعلم روسيا بانتقال هذا الخبر إلى العثمانية . أخذ القيصر الذي ظن أنه اصطاد إنكلترا بوضع الطعم لها ، في التضييق على الباب العالي والانتقاص من كرامته ، محرضا على إعلان الحرب ، معتقدا أنه سيواجه العثمانية منفردة . كان رجلا أرثوذكسيا متعصبا ، لا يستوعب إمكان وقوف دولة مسيحية جانب دولة مسلمة في حرب مسلحة ضد دولة مسيحية (أي روسيا) . وعلى كل الأحوال كان يتصور أنه يمكن أن تكتفي إنكلترا بالتدخل بالطرق الدبلوماسية ، وإعطائها حصة من التركة مقابل ذلك . كان هذا هو تفكير القيصر .

دبلوماسية نابليون الثالث كانت تراقب الوضع بقلق ، ولم تكن فرنسا تخفي نفورها من رشيد باشا الذي يعرض دائما عن فرنسا ويتركها في إحدى الزوايا ويتفق مع إنكلترا ، وقد أعلنت فرنسا عن ذلك بصراحة . كان رشيد باشا يعلم نفور فرنسا منه ، لذلك فقد حرص على تقريب عالي باشا كشخص رقم 1 إلى فرنسا (لم تكن فرنسا مدركة لهذا التخطيط) . بالإضافة إلى ما تقدم كانت فرنسا تعتبر إنكلترا أكبر منافسة لها في السياسة العالمية والاستعمار ، ولم تكن لها مصلحة مع روسيا كما لم يكن لها عداء خاص تجاهها . وإلى جانب ذلك فإن نابليون الثالث لم ينس المعاملة التي عاملت بها إنكلترا عمه نابليون الكبير .

لم تكن باريس متأكدة على وجه اليقين مما إذا كانت إنكلترا سوف تدخل فعلا في حرب عثمانية – روسية ، أم لا ؛ فالسياسة الخارجية الإنكليزية كانت متشعبة ، لكنها كانت موقنة من عدم سماح إنكلترا لروسيا بأن تهبط إلى البحر الأبيض . كانت فرنسا متأكدة من أن إنكلترا ستساند العثمانية على أي حال من الأحوال . وكانت فرنسا تقدر أنه لو دخلت إنكلترا الحرب فعلا ضد روسيا فإن الأمر يستلزم أن تدخل فرنسا

كذلك في هذه الحرب ، وإلا فستكون إنكلترا وحدها هي الحاكمة على نظام وتوازن الدول الكبرى الذي يعقب الحرب .

كان من المؤكد أن إنكلترا – تركيا المتفقة ، ستخضع روسيا ومن ثم ستبقى فرنسا مهملة بشكل أكبر ، وسوف لا تكون لها كلمة في السياسة العالمية ، ومن الطبيعي أن تخضع روسيا فورا تجاه اتفاق إنكلترا – فرنسا – تركيا ، أي أنه لن تكون الحرب طويلة الأمد ... هكذا فكرت باريس ، وانطلت حيلة رشيد باشا عليها . لم تقدر أبدا مدى جدية وضخامة الحرب التي أقدمت عليها .

أرسل القيصر الأمير Menaikof إلى إستانبول كسفير فوق العادة (1853/2/28) . قدم الأمير الذي يشغل مناصب والي فنلندا العام ، ووزير البحرية وأميرال كبير ، للباب العالي مذكرة إخطارية لمدة 5 أيام . طلب فيها تنحية الرهبان الكاثوليك ، وأن يكون الرهبان الأرثوذكس هم أصحاب الكلمة في الأماكن المسيحية المقدسة في القدس . أجاب الباب العالي في نهاية الـ 5 أيام (10 آيار) بأن الدولة العثمانية قد نظمت حقوق الأرثوذكسيين بفرماني فاتح والقانوني ، وأنه لا يمكن تغييرهما ، وأن هذه الحقوق تطبق بشكل كامل ، وأن البطريق الأرثوذكسي العالمي بالذات من التبعة العثمانية ، وأن البادشاه هو حامي المذهب الأرثوذكسي . كان هذا الجواب يعني رفض المذكرة ، ويعنى بالتالي قبول الحرب . استصحب الأمير منجيكوف في 21 آذار جميع العاملين بالسفارة الروسية في إستانبول – وهم كثير – وترك تركية . انقطعت العلاقة الدبلوماسية بين البلدين .

انتهت في 13 آيار (1853) صدارة داماد إبراهيم باشا التي استمرت 7 أشهر 11 يوما . وصار ، مصطفى نائلي باشا الذي هو أصلا عرنووط (ألباني) والذي يسمى « كريتلي » لشغله منصب والي كريت لمدة [illegible] عاما ؛ صدرا أعظم . كان رشيد باشا وزيرا للخارجية والصدر الأعظم المسن ، كان تحت وصايته .

بدأت الحرب بشكل فعلي بدخول 35 000 جندي روسي و 72 مدفعا إلى الإيالة العثمانية رومانيا (1853/7/3) . كان القائد العام لروسيا الأمير Gorçakof . أبلغت روسيا الدول الأوروبية بأنها لم تدخل حربا شاملة ، وأنها احتلت رومانيا لحين اعتراف

الباب العالي بحقوق الأرثوذكس في كنيسة قمامة Kamame في القدس ، وأنها سوف تنسحب فور هذا الاعتراف . يلاحظ أن هذه المذكرة تتعارض مع العرض الذي قدمه القيصر إلى إنكلترا في اقتسام الدولة العثمانية .

خلال هذه الفترة قامت كل من الدولتين المتخاصمتين بإعداد حشود على طول ألطونة في القفقاس . كان في جبهة الطونة (الدانوب) تجاه جيش الأمير غورجاكوف البالغ 152 000 جندي ، 133 000 جندي من جنود السردار الأكرم (القائد الأعلى) المشير عمر باشا ، الذي كان جيشه مجهزا – بالقياس إلى الجيش الروسي – بأسلحة أكثر حداثة ، هذا عدا أن لباسه كان أحسن .

وفي قفقاسيا كان جيش المشير عبد الكريم نادر (عبدي) باشا البالغ 150 000 جندي تجاه جيش Muaviev البالغ 160 000 جندي ، وهؤلاء من الجنود الذين دربوا تدريبا حديثا وإن لم يكونوا قد سلحوا بالدرجة التي سلح بها الجيس التركي في ألطونة .

بدأت الحرب في جبهة ألطونة بقصف المدفعية التركية (1853/10/23) . اجتاز عمر باشا في 27 ت1 منحنى نهر ألطونة في Vidin ودخل رومانيا ، واحتل Kalafat . أدخل إلى رومانيا فرقتين الأولى من Tutrakan والأخرى من يركوي Yerkoy . انهزم الجيش الروسي في الحرب الميدانية Dljeniça الدائرة على الضفة المقابلة لـ Tutrakan (1853/11/5) . أما في القفقاس فلم يتمكن عبد الكريم نادر باشا من التقدم ، رغم مساندة الشيخ شامل له من قفقاسيا الشمالية . عين بدلا منه لقيادة الجبهة رئيس أركان الجيش أحمد باشا .

قام أسطول البحر الأسود بقيادة ناخيموف بهجوم مفاجئ على 12 قطعة من قطعات الأسطول التركي الراسية في سينوب (1853/11/30) . أفنى الأسطول كاملا . استشهد 2 000 جندي عثماني تقريبا وتمكن 2 000 تقريبا من النجاة من الموت سباحة . يقال إن إرسال رشيد باشا أسطولا مكونا جميعه من مراكب بحرية قديمة كهذا إلى سينوب كان متعمدًا ؛ حيث إنه أراد بذلك أن يقضي على تردد إنكلترا وفرنسا في دخولهما الحرب تجاه روسيا ، ويلقي في روع لندن وباريس بأن المضايق قد فتحت للأسطول الروسي . ولقد نشرت بالفعل بعد غارة سينوب في صحف لندن وباريس مقالات شديدة حول الخطر الروسي .

على أثر انهزام الجيش الروسي في الحرب الميدانية جاتانا çatana قرب قالافات (1854/1/15) وعدم تمكنهم من دفع الجيش العثماني من رومانيا إلى ما وراء ألطونة ، رغم هجومهم الذي دام 5 أيام وانسحابهم بشكل مبعثر إلى بخارست ، عزل القيصر الأمير غورجاكوف . وعين الماريشال Paskieviç قائدا عاما .

راجع رشيد باشا امبراطور فرنسا ، وطلب إليه التوسط لدى روسيا للصلح . نابليون الثالث الذي انطلت عليه هذه الخدعة ، قدم مذكرة إلى بطرسبورغ لوقف الحرب ، وأفاد بأنه سوف يتوسط في تحقيق الصلح .

القيصر الذي لم يرض بوقف الحرب في وضع تتفوق فيه العثمانية ، أذاع بلاغا شديد اللهجة أعلن فيه أن الفرنسيين والإنجليز قد خانوا الدين المسيحي بانحيازهم للأتراك المسلمين ، يدخل ذلك في باب قصر النظر . قال القيصر : « أشعر أن يد السلطان علي خدّي » .

عرض نابليون على إنكلترا الاتفاق ضد القيصر قائلا « أشعر أن يد القيصر على خدي » . كانت لندن عازمة بشكل قطعي على مساندة العثمانية ، وكانت قلقة من احتمال اتفاق فرنسا مع روسيا . قبلت عرض فرنسا بحماس . كان القيصر قد خسر الحرب منذ البداية بالطرق الدبلوماسية ، وكان هذا هو المهم . انتصار عمر باشا في رومانيا في حروب ميدانية كان في الدرجة الثانية . غادر كل من سفيري إنكلترا وفرنسا بطرسبورغ (1854/2/6) . أثبت رشيد باشا أنه أكبر دبلوماسي في العالم بشكل لا يقبل الجدل .

أثبتت معاهدة إستانبول (1854/3/12) موافقة ملكة إنكلترا فكتوريا وإمبراطور فرنسا نابليون 3 ، على دعوة السلطان عبد المجيد لاتفاقهما مع الدولة العثمانية . وقع على المعاهدة رشيد باشا عن تركية ، تتضمن المعاهدة ألا تعقد أي من دول الاتفاق الثلاث صلحا منفردا مع روسيا . يكون لجيش الاتفاق قائد عام واحد ، يتفاهم قواد دول الاتفاق الثلاث في حربهم تجاه روسيا . تكون الوحدات الإنكليزية والفرنسية والسفن الحربية التي ستأتي إلى إستانبول خاضعة للقوانين العثمانية .

وفي هذه الظروف العصيبة ظنت اليونان الصغيرة بأن العثمانية تورطت مع روسيا

وأن إنكلترا وفرنسا ستستمران في سياسة المساندة لها ، وأرادت الحصول على مقاطعة Epir (Yanya) من العثمانية . أخرج الباب العالي سفير الأورطة اليوناني من تركيا ووضع يده على كل السفن والأموال اليونانية في الأقطار العثمانية . جاء فؤاد باشا إلى Epir و Tesalya وشاهد الوضع . لم يكن بالإمكان أن تساند إنكلترا وفرنسا ، اليونان ، في ظرف وقعتا فيه معاهدة جنبا لجنب مع العثمانية . نزلت في 5 آيار ، فرقة فرنسية إلى Pire واحتلت أثينا مدة 3 سنين . سقطت الحكومة اليونانية الموالية لروسيا .

أعلنت كل من إنكلترا وفرنسا الحرب على روسيا بصورة رسمية في 27 آذار (1854) احتل الروس Dobruca . انتصر عمر باشا في 17 نيسان في الحرب الميدانية قالافات ، وطارد الروس مسافة 80 كم إلى حد Karayova . جاءت القوات الأولى للاتفاق إلى غاليبولي في 31 آذار . كان قائد القوات الفرنسية ، وزير الحربية الماريشال Leroy والماريشال Sainf – Arnaud ، وقائد الإنكليز الماريشال لورد Reglan . ذهب أسطول الحلفاء إلى أوديسا واستولى على 13 سفينة وقصفت المدينة بالمدفعية (1854/4/22) .

بدأ الروس بمحاصرة سلسترة ، القلعة التركية المهمة في Dobruca الجنوبية (1854/5/15) . خلال هذه الأيام ، نصبت إحدى أولى الشبكات اللاسلكية في العالم في تركية وهي خط إستانبول – فارنا – بالقلاوا (قرم) . وصلت أخبار الحرب الجارية في قرم خلال ثوان إلى إستانبول . توجه الماريشال القائد العام إلى سلسترة مع 130 مدفعًا . كان الفريق موسى باشا ، يدافع عن القلعة بواسطة 10 000 جندي . جرح Paskieviç بجرح بليغ في 9 حزيران وعاد إلى روسيا . أصبح الأمير غورجاكوف قائدا عاما للمرة الثانية . جرح هو الآخر في 13 حزيران . مات العميد Shildev وجرح العميد Luders بجرح بالغ إلى درجة قاتلة . رفع الجيش الروسي الحصار الذي دام 41 يوما بعد خسارته 15 000 قتيل و 25 000 جريح (1854/6/25) . مات 9 جنرالات روس ، وجرح جنرالان وماريشالان بجراحات بليغة . منح البادشاه رتبة مشير (ماريشال) إلى موسى باشا ، بعد رفع الحصار بـ 3 أيام . وفي اليوم التالي ، استشهد

موسى باشا بطلقة مدفعية . وفي اليوم الذي يليه شاهد رئيس أركان الجيش رفعت باشا انسحاب الروس مهزومين . (أكسبت مسرحية Vafan Yahud Silistre هذا النصر خلودا وسجلته في القلوب بشكل لا يمحى) . أخلى الروس الأفلاق (رومانيا) وانسحبوا إلى بغدان (مولدافيا) أمام جيش عمر باشا الفتي .

صار قبرصلي محمد باشا صدرا أعظم ، بدلا من مصطفى نائلي باشا الذي دامت صدارته سنة و 17 يوما (1854/5/29) . من كبار رجال التنظيمات الذين أكملوا تحصيلهم في فرنسا .

هزم عمر باشا الروس في 8 تموز ، في الحرب الميدانية يركوي Yerkoy . خسر الروس 6 000 قتيل ، اثنان منهم برتبة جنرال . استرجع عمر باشا أفلاق ، وجاءت الأساطيل التركية . قرر الحلفاء تحقيق عملية إنزال على قرم (1854/7/21) . دخل الجيش العثماني إلى بخارست وسط تصفيق الرومانيين الذين ضاقوا بالظلم الألماني (1854/8/6) .

نزل إلى قرم أولا 24 000 جندي فرنسي و 22 000 جندي إنكليزي و 7 000 جندي عثماني (1854/9/14) . دعم الإنزال 15 سفينة حربية فرنسية و 10 سفن إنكليزية و 9 سفن عثمانية . كان الأمير منجيكوف يدافع عن قرم مع 40 000 جندي ، وبمرور الزمن زادت قوات الطرفين .

حشد الحلفاء قوات كبيرة بواسذة (أكثر من 50 سفينة حربية وأكثر من 300 سفينة نقل) . دخل الروس الذين انهزموا في الحرب الميدانية Alma (1854/9/20) وخسروا فيها 7 000 قتيل و 600 أسير إلى القلعة البحرية المستحكمة سيفاستوبول ، واستماتوا في الدفاع عنها . كانت قوات الروس في سيفاستوبول في نهاية ت 1 حوالى 54000 جندي و 250 مدفعا . خسر الروس كذلك المعركتين الميدانيتين Balaklava (25 ت 1) و Inkermon في 5 ت 2 . لعب العثمانيون الدور الأساسي في Inkerman وخسر الروس 11 000 قتيل و 850 أسيرا . كانت خسائر الحلفاء 4 680 شخصا . مات الأمير Mençikof متأثرا بذلك وتسلم القيادة الأمير Gorçakof . سحبت روسيا جيشها من بغدان (مولدافيا) .

استقال قبرصلي محمد باشا لعدم احتماله سيطرة وزير الخارجية بيوك رشيد باشا ، بعد 5 أشهر و 25 يوما . صار رشيد باشا صدرا أعظم للمرة الرابعة (1854/11/23) .

بعد إخراج الجيوش الروسية من جميع الأراضي العثمانية في جبهة الطونة لم يبق للسردار الأكرم (القائد الأعلى) عمر باشا ما يعمله ، جاء إلى قرم في بداية شباط وكسر الجيش الروسي في المعركة الميدانية Gozleve (1855/2/17) . بلغت قوات الحلفاء المحتشدة في قرم خلال هذه الأيام 000 202 ، منها 000 55 تركية . مات في 2 آذار نيقولاي الأول ، رجل القرون الوسطى المتعصب ، عدو العثمانية والإسلام الكبير الذي أصر على تفتيش جيشه في البرد القارص وهو في أشد حالات مرضه . أصبح ابنه الكساندر الثاني الحر الفكر ، المتعقل ، قيصرا . وقعت معاهدة اتفاق بين العثمانية وملكية ساردونيا (Piemonfe) في 15 آذار . وقع على هذه المعاهدة الصدر الأعظم رشيد باشا ووزير الخارجية عالي باشا Vifforid Emanuele الثاني ملك ساردونيا الذي استهدف تحقيق الوحدة الإيطالية تحت تاجه ، أرسل إلى قرم 000 16 جندي تحت قيادة الجنرال لامارنورا . لم تكن ساردونيا في عداد الدول الكبرى لعدم تحقق الوحدة الإيطالية بعد .

احتل عالي باشا ، مكان رشيد باشا بعد 5 أشهر و 9 أيام ، وصار صدرا أعظم للمرة الثانية (1855/5/2) . كان رشيد باشا قد استقال بسبب معارضته لفتح قناة السويس حيث كان متأكدا من أن هذه القناة سوف تفتح شهيّة فرنسا وإنكلترا للاستيلاء على مصر .

احتل الحلفاء كرج Kerç (1855/5/24) ، و Anapa (1855/5/28) . وفي الهجوم العام الكبير الذي جرى على قلعة سيفاستوبول (1855/6/7) خسر الروس أكثر من 000 20 شخص و 73 مدفعا . كانت خسائر الحلفاء قرابة 000 5 شخص . مات في الجبهة الماريشال لورد Reglan قائد القوات الإنكليزية في قرم (1855/6/28) ، وخلفه الفريق الأول Simpson ، وكان الماريشال Sainf Arnaud قائد القوات الفرنسية قد مات قبله (1854/9/29) ، وخلفه أولا ، الفريق الأول Canrobert ، ثم في (1855/5/19) الفريق الأول Pelissier .

بدأت خلال هذه الأيام (1855/6/28) الدولة العثمانية ، ولأول مرة في تاريخها كله ، الاستدانة من الخارج . اقترضت مبلغ 5 ملايين قطعة ذهبية بفائدة قدرها 5٪ من إنكلترا لتغطية نفقات الحرب . استمر الاقتراض بعد ذلك دون انقطاع ووصلت الخزانة التركية قبل مضي 20 سنة ، إلى درك الإفلاس .

في المعركة الميدانية Traktir (1855/8/16) انهزم الروس وخسروا 7 400 شخص . كان الفريق الأول الروسي Read ، بين القتلى . كان الحلفاء يقصفون سيفاستوبول بـ 800 مدفع ، استولى الماريشال الفرنسي Duc de Mac - Mahon في 1855/9/8 على خندق Malakof الذي يشكل أهم موقع استحكام لحماية القلعة ، (هذا الماريشال من الملكيين وسينتخب في 1873 رئيسا للجمهورية لفرنسا) . بلغت خسائر الروس في المعركة الميدانية Malakof 500 13 ، وبلغت خسائر الحلفاء 340 12 . سقطت سيفاستوبول في اليوم التالي . استمر الحصار 11 شهرا وكان حصارا دمويا شديدا . عين لقيادة سيفاستوبول الفريق الأول الفرنسي Bazain الذي صار بعد ذلك ماريشالا (مشيرا) . قصف القلعة 800 مدفع للحلفاء بـ 000 600 1 طلقة ، قابلها 100 1 مدفع روسي ، استولى الأسطول الإنكليزي خلال ذلك على جزر Aland ، وانقطعت علاقة مدينة العرش الروسية بطرسبورغ بالبحر . لم يبق للروس مجال للاستمرار في القتال .

حاصر الروس الذين احتلوا بيازيد (Dogubayazit) (بيازيد الشرقية) ، قارص (1855/7/15) . دافع عن المدينة المشير محمد واصف باشا بـ 000 15 جندي تجاه 000 40 من جنود Muraviyef والي قفقاسيا العام . لم تكن استحكامات قارص جيدة كما يجب . كانت الإمدادات تصل للروس باستمرار . استمر الروس في القتال رغم خسارتهم في هجومهم العام الذي جرى في 29 أيلول 000 7 قتيل وأكثر من 000 10 جريح . صعد السردار الأكرم إلى Sohumkale ، في أقصى شمال – غرب كرجستان . كانت تحركات الشيخ شامل تجاه الروس في داغستان مفيدة جدا . شتّت عمر باشا الروس في المعركة الميدانية Ingur (1855/11/6) . وبينما كان على وشك الدخول إلى Kufayis ، توجه نحو قارص . لكنه لم يتمكن من اللحاق . استسلمت المدينة بسبب الجوع (1855/11/28) ، بعد حصار استمر 4 أشهر و 15 يوما . لم يبق في القلعة ما يؤكل من الحشيش والنبات . وهكذا شهدت قارص احتلالا روسيا آخر بعد 27 سنة .

انتهت الحرب فعلا ، بسقوط قارص ، لكن روسيا لم تكن راغبة في الصلح . ايقنت بعد المذكرة التي قدمتها النمسا ، بأن دولة محاربة جديدة ستقف ضدها . ثبت بروتوكول فينا ، قواعد الصلح (1856/2/1) . وعلى هذا ، تكون حرب قرم قد استمرت مدة تتجاوز الـ 2.5 سنة . حاربت الدولة العثمانية في السنة الأولى منها ، مدة تزيد على السنة وحدها (1853/7/3 – 1854/9/14) . واتضح أن التهيؤ الحربي للجيش العثماني الحديث ، أثر محمود الثاني ، لا يقل عن التهيؤ الحربي للجيش الروسي . سيعقد الآن مؤتمر الصلح في باريس ويتبوّأ نابليون الثالث ذروة شهرته . كان قد أدخل إلى فرنسا الصناعات الكبيرة والنهضة التجارية خلال مدة قصيرة .

مدّت الإمبراطورية العثمانية التي طورت الخطوط اللاسلكية خلال مدة قصيرة ؛ أول خط لاسلكي في 9 أيلول 1855 . وقد احتلت مكانها في المرتبة الخامسة بعد أمريكا ، وإنكلترا ، وروسيا ، وفرنسا بمدها 95063 كم من الخطوط اللاسلكية حتى عام 1870 . شرعت تركيا في مد أول خط حديدي بين أزمير – طورغودلو . ولكن ذلك التطور الذي حدث في الخطوط اللاسلكية لم يحدث في السكك الحديدية . كان قد تم حتى 1875 ، مد 4632 كم من السكك الحديدية وبهذا تحتل العثمانية المرتبة التاسعة بين الدول العظمى . ومع ذلك ، لم يكن حتى 1875 لا في الصين ولا في اليابان أي خط حديدي (Almanaeh de Gotha - 1873 ص 869) .

12 – المرسوم الهمايوني لإصلاحات عام 1272 هجري (1856/2/18)

انتهت حرب قرم ، أكبر حرب على وجه الأرض جرت بين حروب نابليون وحرب روسيا – فرنسا (1815 – 1870) . نشر السلطان عبد المجيد ، بعد فرمان (أمر سلطاني) التنظيمات بـ 16 سنة و 3 أشهر و 15 يومًا فرمانًا على نفس الدرجة من الأهمية اشتهر باسم « إصلاحات خط همايوني » (ومختصرا 1272 خطي ، أي أمر 1272) .

هذا الفرمان هو من صنع عالي باشا ، وقد نشر بقصد كسب الرأي العام الأوروبي ، والخروج بربح من معاهدة باريس ، وإكساب العثمانية طابع الدولة الأوروبية . ومع ذلك تعرض هذا الفرمان لانتقاد الكثيرين ومن بينهم رشيد باشا ، وأبدى المواطنون

المسيحيون والمسلمون كذلك عدم ارتياحهم له . وقد بقيت أحكام هذا الفرمان سارية المفعول حتى نهاية الإمبراطورية كجزء من دستور النظام الجديد .

وينص الفرمان على أنه :

- لا يجوز للبطارقة أو الأساقفة أو الرهبان جمع إعانات من جماعاتهم ، وسوف يتقاضون الرواتب كالموظفين الحكوميين (هذه المادة أغضبت جميع الرهبان) .

- يكون تشييد الكنائس الجديدة أو إنشاء أوقاف ، بإذن من الباب العالي ، كما كان في السابق ولا حاجة للإذن في إصلاح القديم منها .

- للمواطنين المسيحيين نفس حقوق المواطنين المسلمين ، وتلغى جميع الفروق الموجودة بينهم .

- تجريم استعمال تعبيرات تحقر المسيحيين (لا يجوز تسمية « الكاوور » بكلمة « كاوور » أي لا يجوز تسمية الكافر بكلمة « كافر ») ؛ إذ إن السلطان محمود قال بصورة رسمية « إنني لست خليفة للمسلمين فقط ، إنني بادشاه (سلطان) لجميع مواطني الدولة مسيحيين وموسويين » . وقد صدرت فرمانات مشابهة لهذا في زمن فاتح والقانوني . ونتيجة لذلك ، سوف يمكن قبول غير المسلمين في جميع المدارس الحكومية عدا المدارس الدينيّة ، وستكون جميع وظائف الحكومة مفتوحة لهم .

- تنظر المحاكم الكنسية ، كما كان في السابق ، الدعاوى المدنية التي تحصل بين غير المسلمين ، أما الدعاوى الجزائية فسوف ينظر فيها الحكام العثمانيون ، كما كان في السابق أيضا ، لكنه سوف يكون من الممكن أن يوجد في المحكمة حاكم أو مدع عام مسيحي .

- يجند المسيحيون الذين لم يجندوا حتى هذا التاريخ ، ومن ثم فسوف تلغى الجزية ، وللمسيحيين الذين لا يرغبون في أداء الخدمة العسكرية دفع البدل النقدي .

- يمثل المسيحيون في مجالس الولايات (الإيالات) ، السناجق (الولايات ، الألوية) ، الأقضية ، بنسبة عدد نفوسهم .

كان تعيين غير المسلم حتى عام 1856 في وظائف الدولة ، أمرًا عرضيًا واستثنائيًا .

واعتبارا من عام 1856 وحتى عام 1922 ستستخدم الدولة العثمانية موظفين غير مسلمين . سوف نجد من نالوا رتبة الوزير ، والي فعلي لإيالة ، سفير ، ناظر (وزير) ، وحتى وزير خارجية من بين الرعايا الروم ، ثم الأرمن ، ولكن قليلا جدا من الموسويين وأقل جدا من الأقوام المسيحية الأخرى (العرب المسيحيين ، الألبان المسيحيين ، الخ) من نالوا هذه الرتب . لن نشاهد أي صدر أعظم ، سر عسكر (وزير الحربية + رئيس أركان الجيش) . سيبقى قبول غير المسلمين في المدارس العسكرية حبرا على ورق ، لن نشاهد حتى نهاية الإمبراطورية ، ليس فقط جنرالا ، بل وحتى ضابطا موظفا غير مسلم . إن الجنرالات المسيحيين الموجودين في الجيش العثماني ، ليسوا غير مسلمين من المواطنين العثمانيين ، وإنما هم عسكريون خبراء جُلبوا من الدول الأوروبية لاستخدامهم بعقود لقاء أجر معين . ومن الواضح أن اسم الجزية قد بدّل وسمي بدلا نقديا .

13 – معاهدة باريــس (1856/3/30)

افتتح مؤتمر باريس في 25 شباط ، ووقعت المعاهدة بعد 34 يوما . اشترك في المؤتمر كل من إنكلترا وفرنسا وروسيا وتركيا والنمسا وبروسية وساردونيا لاشتراكها في الحرب ، رغم أنها ليست من الدول العظمى . مثل تركيا الصدر الأعظم عالي باشا وسفير باريس الوزير محمد جميل باشا الابن الأكبر لبيوك رشيد باشا . ومـمثل فرنسا الكونت Walewski وزير الخارجية ، الابن غير الشرعي المولود من Maria Walewska عشيقة نابليون الكبير الشهيرة . ومـمثل ساردونيا رئيس الوزراء الكونت Cavour ، ومـمثل إنكلترا Of Clarendon (كونت) Earl . وتنص هذه الاتفاقية الهامة التي خططت الوجهة السياسية لأوروبا العصر 19 ، مع اتفاقيات فينا 1815 وفرساي 1871 وبرلين 1878 ، على ما يلي :

يخلي الروس قارص ويتم تسليمها للعثمانية ؛ ويخلي الحلفاء قرم ويعيدونها إلى روسيا . تعود قوات الحلفاء إلى أوطانها خلال أقصر مدة ممكنة . تنسحب روسيا من دلتا الطونة وتعيد بيسارابيا الجنوبية (بالتركية : بوجاق) ، مع مركزها إسماعيل إلى إمارة بغدان (مولدافيا) التابعة للعثمانية . أما جزر ييلان Yilan فتنتقل إلى العثمانية .

أهم مادة في المعاهدة هي جعل البحر الأسود منطقة محايدة وغير عسكرية . كانت هذه المادة كارثة بالنسبة إلى روسيا ، ذلك أنه لن يجوز بعد الآن أن توجد لا للروس ولا للعثمانية أي سفن حربية أو ميناء لصنع السفن العسكرية وتصليحها في البحر الأسود . تسحب روسيا سفنها العسكرية من البحر الأسود وتنقلها إلى بحر البلطق . ليس لهذا المنع ، أهمية بالنسبة للعثمانية ؛ لأنها سوف تتمكن في حالة الحرب من أن تمرر أسطولها من بحر مرمره والمضيق إلى البحر الأسود خلال ساعات . أما روسيا ، فلأنها لن تتمكن بأي حال من الأحوال من وضع سفن حربية أو إدخالها إلى البحر الأسود ، فهذا يعني أن البحر الأسود قد ترك فعلا إلى السيطرة البحرية العثمانية . وقد وضعت هذه المادة المتشددة لأن غارة سينوب أفزعت الحلفاء وجعلتهم يتحسبون لدخول الروس إلى المضايق. سوف تنوء روسيا سنوات طويلة تحت نير هذه المادة . ستقوم الدول الأربع : إمبراطوريتا تركيا والنمسا وملكيتا بافيرا ورتنبورغ التي لها سواحل على الطونة بوضع نظام المرور في نهر الطونة على أسس النظام الحر ، بواسطة لجان مشتركة . ورغم ذلك لم يستحسن رشيد باشا المعاهدة لعدم الحصول على مكاسب أكثر . أراد الاشتراك في مؤتمر باريس بنفسه وكوزير خارجية ، لكن نابليون الثالث اعترض على ذلك لحقده الشخصي تجاه رشيد باشا .

14 – وفاة بيوك مصطفى رشيد باشا (1958/1/7) وشخصيته

انتهت صدارة عالي باشا الثانية بعد سنة و 6 أشهر (1856/11/1) . تصدر رشيد باشا للمرة الخامسة . وبعد 7 أشهر و 7 أيام عين للصدارة مصطفى نائلي باشا للمرة الثانية (1856/8/6) . وبعد شهرين و 17 يوما (1857/10/22) صار رشيد باشا صدرا أعظم للمرة السادسة . مجموع صدارتي نائلي باشا سنة و 3 أشهر ويومان .

دامت صدارة رشيد باشا حتى وفاته مدة 7 أشهر و 16 يوما (1858/1/7) . مات وسنة لا تتجاوز الـ 57 عاما بـ 9 أشهر و 26 يومًا . مجموع صداراته الست 6 سنوات و 10 أشهر و 18 يوما (السادس والعشرون في تسلسل المدة في تاريخ تركيا) ، مجموع وزاراته الثلاث للخارجية 6 سنوات و 3 أشهر و 4 أيام (الثامن في تسلسل المدة بين وزراء الخارجية) ومن ناحية أخرى كسفير في لندن 10 أشهر و 15 يوما ، كسفير في

باريس 6 سنوات و 22 يوما . وشغل عدا ذلك وظائف عديدة . هو أعظم رئيس وزارة في التاريخ التركي بأجمعه وأحد أكابر الدبلوماسيين النادرين . بدأ عمله في إمبراطورية كبيرة أشرفت على شفا هاوية الاضمحلال . وعند وفاته ، كانت هذه الإمبراطورية مرفهة ، منتصرة وقوية . رشيد باشا كذلك ، هو المؤسس الأصلي للبيروقراطية والدبلوماسية التركية الحديثة . كانت آراء رشيد باشا تتلخص في : أنه لا يمكن إدارة إمبراطورية كهذه بالديمقراطية والمجالس كما في إنكلترا ، بسبب عدم وجود فارق بين الوطن الأم والإيالات التابعة واعتبار كل إيالة وطنا أما ، وأنه يمكن تشكيل مجالس شعبية في الإيالات ويمكن أن تكون هذه المجالس استشارية ، وإنه يحظر اشتغال البادشاه بأمور الحكومة ، لأن هذا الاشتغال سيرهق البادشاه صحيا ، وأنه يجب أن يتولى إدارة الدولة موظفو الإدارة العليا ، ويقتضي هذا بصورة حتمية التثقف بالثقافة الغربية بالإضافة إلى الثقافة الشرقية . كما كان يرى أن بقاء الإمبراطورية يتعلق بـ 4 مبادئ : الدين الإسلامي ، خاقان من بني عثمان ، إستانبول كمدينة عرش (عاصمة) ، التركية كلغة رسمية .

وكانت آراؤه في السياسة الخارجية تتلخص في محاولة انتهاج سياسة خارجية موازية على قدر الإمكان لأعظم دولة في العالم ، ومحاولة عدم مجابهتها ، وإن انتهاج مثل هذه السياسة هو العنصر الرادع لتصورات جميع الدول الأخرى ضد العثمانية .

كانت إنكلترا هي أعظم دولة في العصر ، ومن ثم فإنه يجب عدم الدوس على ذنب الأسد البريطاني ، وإن أمكن التعايش مع فرنسا بشكل جيد ، وإن لم يتسنّ ذلك فتترك السياسة الفرنسية لحالة التموج (التقارب تارة والإعراض تارة أخرى) (كانت قضية احتلال فرنسا للجزائر ، لا تزال ضمن منهاج عمل الباب العالي في هذه المرحلة) . كان من غير الممكن جعل روسيا تترك أطماعها تجاه الإمبراطورية العثمانية ، سدت تركيا هذا الطريق عليها . لذا ، كان يلزم الدخول تجاه روسيا ، من خلال توازن الدول العظمى . يجب المحافظة على حداثة الجيش والأسطول والتوسع فيهما . لا يجوز للضابط التدخل في السياسة بأي شكل من الأشكال . لم تترك إيران فكرة عدم التعاون مع العثمانية ، رغم كونها مسلمة ورغم إدارتها من قبل سلالة تركية (القاجاريون) . لم تغير إيران هذه السياسة التي ولّدت وستولّد نتائج سيئة لها . يجب الحذر من اليونان

رغم صغرها ؛ حيث إنها كانت تعامل معاملة طفل أوروبا المدلل ، ويقتضي الأمر التشدد معها في كل مناسبة . حيث إنه ، في حالة التساهل معها ، لن تتوقف طلباتها عند حد .

ومن أعمال رشيد باشا الأخرى الموفقة جدا ، عمله مع فريق (طاقم) جيد ، إيمانه بالعمل على شكل فريق ، دهاؤه في اختيار القابليات أصحاب الاستعدادات والقدرات ومساعدته شخصيا في إعدادهم وعدم تردده في توجيه أخطر الأعمال ذات المسئولية إلى أصغرهم سنا . ومن مشاهير الذين عني بإعدادهم ، عالي باشا ، وفؤاد باشا وجودت باشا وضياء باشا وأحمد وفيق باشا وصفوت باشا وشناسي . لم يتوصل أي رجل دولة عثماني منذ عهد السلطان سليمان القانوني إلى منزلة رشيد باشا بشأن إعداد الصفوف التالية ولن يصل بعده إلى يومنا هذا من يضاهيه في هذا المجال . ويمكننا القول إن فكرة الفريق الممتازة لرشيد باشا في التاريخ السياسي التركي ، قد ماتت بموته . سيفضل أصحاب السلطة الذين تلوه ، التعاون مع الشخصيات الضعيفة والأضعف على مر الزمن ، وسيعنون بدقة بعدم اختيار الشخصيات القوية للسلطة . إن هذه العقلية ، ستدمر الدولة .

لم يحقق رشيد باشا نجاحاته هذه ، التي لا يستوعبها العقل ، وسط التصفيق وهتافات التقدير . تمكن من تحقيقها في محيط مليء بالحسد ، بالمنافسة ، بوضع العراقيل ، بالانتقادات غير البناءة ، بالاتهامات وحتى بمحاولات الاغتيال . الواقع أنه كان تحت الحماية الدائمة للسلطان محمود وابنه السلطان مجيد . لكن مجرد نجاحه في جو كهذا ، يكفي للحكم على مبلغ عظم دهائه . وفي الإدارة الداخلية ، أكمل أثر السلطان محمود ، وتمكن رشيد باشا من تطهير بقايا الإقطاع في الإمبراطورية مثل الأعيان وأمثالهم . أسس نظام التنظيمات المركزي جدا .

صار الصدر الأعظم بعد رشيد باشا ، أشهر تلامذته ، عالي باشا للمرة الثالثة وأصبح صديقه الحميم فؤاد باشا وزيرا للخارجية . وبعد سنة و 9 أشهر و 12 يوما صار قبرصلي محمد باشا صدرا أعظم للمرة الثالثة (1859/10/18) . وبعد شهرين و 6 أيام احتل مكانه مترجم رشدي باشا (1859/12/23) . وبعد 5 أشهر و 5 أيام جاء

إلى السلطة قبرصلي محمد باشا للمرة الثالثة (1860/5/27) . وهو الصدر الأعظم الأخير للسلطان مجيد .

وبموجب معاهدة باريس 19 آب 1859 ، تم اتحاد الإمارتين الرومانيتين (بالعثمانية : مملكتين) أفلاق وبغدان . ولأول مرة في التاريخ ، وولدت رومانيا كاملة . كانت مستمرة في تبعيتها للدولة العثمانية . وقع على المعاهدة فؤاد باشا ، أصبح Couza بك أميرا على رومانيا (1859/9/25) .

بدأت مرة ثانية بعد 15 عاما في جبال لبنان (جبل لبنان) اضطرابات أكثر شدة (1860 – 61) . وعلى أثر انحياز فرنسا لأحد الطرفين المتخاصمين ، المارونيين الكاثوليك العرب ، انحازت إنكلترا للدروز المسلمين . امتد العصيان إلى الشام كذلك ، قتل القنصلان الأمريكي والهولندي . كان في هذه الأثناء المجاهد الجزائري الكبير الأمير عبد القادر ، يسكن الشام . حال دون قتل المسلمين للمسيحيين واقتحام السفارة الفرنسية . حصل على أرفع وسام شرف Légion dHonneur من نابليون 3 . نُقل وزير الخارجية فؤاد باشا إلى سورية . أمر بإعدام 185 شخصا . انتقد بشدة إعدامه المشير أحمد باشا قائد الجيش الموجود في الشام رميا بالرصاص بسبب عدم سيطرته على الوضع . أحمد باشا ، من ضباط الأركان الأوائل . شغل منصب قيادة الحربية ، انتصر في المعركة الميدانية جاتانا Gatana أمام الروس . ساق فؤاد باشا كذلك إلى ديوان الحرب (المحكمة العسكرية) ضابطا واحدا برتبة الباي (زعيم) ، ضابطين برتبة يارباي (عقيد) ، ضابطين برتبة بكباشي (رئيس أول) وأعدموا رميا بالرصاص . حيل دون ابتلاع نابليون 3 لبنان . ظل فؤاد باشا سنة ونصف سنة في سورية . كان وضع سفير باريس أحمد وفيق أنفدي الذي لا يرضى بالتعويض ، يغضب الإمبراطور الفرنسي جدا . شكل الباب العالي في جبال لبنان لواءً له استقلال ذاتي (1861/6/9) . يكون متصرف هذا اللواء البالغ 100 3 كم² مسيحيا ، وكان مركزه دير القمر . أما القسم الأكبر من لبنان ، فسوف يشكل إيالة بيروت . سيسدد اللواء المستقل سنويا 500 3 ثم 000 7 كيس من الضرائب المقطوعة إلى إستانبول . ألغي الاستقلال الذاتي لهذا اللواء بعد 53 عاما في نهاية عام 1914 .

15 ـ وفاة السلطان عبد المجيد خان الثاني (1861/6/25) وشخصيته

مات السلطان عبد المجيد وسنه تزيد على الـ 38 عاما بشهرين (1861/6/25) . دفن في فناء جامع السلطان سليم ، بجوار ضريح ياووز سلطان سليم ، واحتراما له ، دفن في قبره الذي تعمد أن يكون أقل منه ارتفاعا . دامت سلطنته مدة تقل عن 22 سنة بـ 5 أيام .

شخصيته : كان حاكما عظيما . شيد آثارا عمرانية كثيرة . كان كريما ، مسرفًا ، فارسًا ممتازا ، كان مولعا بأولاده ونسائه ، كان له اعتبار كبير في أوروبا . ذهب لأول مرة صالة الرقص . قبل السلطان مجيد من نابليون 3 في حرب قرم أعلى رتبة من وسام Legion d' Honneur ، ومن الملكة فكتوريا وسام رباط الركبة وأرسل إليهم أوسمة بالمقابلة . كان حتى ذلك الحين لا يتقبل البادشاهات الأوسمة من الحكام الأجانب .

شيوخ الإسلام في عهده مصطفى عاصم أفندي (للمرة الثالثة 1833/2/8 ـ 1846/11/20) ، عارف حكمت أفندي (حتى 1854/3/21) ، مشرب ـ زاده محمد عارف أفندي (حتى 1858/12/27) خواجه ـ زاده محمد سعد الدين أفندي (حتى 1863/11/23) .

ولد مولوده الأول في 1840/5/31 ، وولده السادس والأخير محمد وحيد الدين في 1861/2/22 . ولد له 11 ابنا و 15 ابنة ماتوا قبل بلوغهم سن الـ 3 سنوات . أولاده الآخرون مدونون أدناه . استمرت السلالة من السلطان مجيد باسم « مجيد يلر » (المجيديون) ومن أخيه السلطان عزيز باسم « عزيز يلر » (العزيزيون) إلى يومنا هذا . الأول هو الفرع الكبير ، والثاني هو الفرع الصغير . أبناؤه هم :

1 ـ السلطان مراد الخامس (1840/9/22 ـ 1904/8/29) .

2 ـ السلطان عبد الحميد الثاني (1842/9/22 ـ 1918/2/10) .

3 ـ السلطان محمد رشاد الخامس (1844/11/2 ـ 1918/7/4) .

4 ـ أحمد كمال الدين أفندي الذي توفى عندما كان ولي عهد ثانيا (1848/7/16 ـ 1905/4/26) .

5 ـ محمد برهان الدين أفندي الذي توفي عندما كان وليا للعهد (1843/5/23 ـ 1876/11/4) .

6 ـ محمد نور الدين أفندي الذي توفي عندما كان ولي عهد ثالثا (1852/3/31 ـ 1885) .

7 ـ سليم سليمان أفندي الذي توفي عندما كان ولي عهد ثانيا (1860/7/25 ـ 1909/6/16) .

8 ـ السلطان محمد وحيد الدين السادس (1861/2/22 ـ 1926/5/16) .

أولاد أبنائه الأربعة الذين لم يجلسوا على العرش : نور الدين أفندي ، تزوج مرتين ، ليس له أولاد ، وكمال الدين أفندي صار له ابنة واحدة ، وابنة أخرى له ماتت بعد عدة شهور ـ السلطانة منيرة (1880/11/13 ـ 1939/10/7) زوجها أمير اللواء داماد محمد صالح باشا (1884 ـ 1913) (ابن الصدر الأعظم تونسلي خير الدين باشا) (صار لهما ابن واحد) .

أولاد سليمان أفندي : محمد عبد الحليم أفندي (1894/9/28 ـ 1926/5/26) ، السلطانة أمينة ناجية (1896/11/28 ـ 1957/12/5) ، داماد محمد شرف الدين أفندي (1904/5/19 ـ 1966) . السلطانة ناجية زوجها داماد أنور باشا (1881 ـ 1922) ، ناظر الحربية ووكيل القائد العام (2 خانم ـ سلطانة ، 1 سلطان ـ زاده) ؛ السلطانة ناجية ، تزوجت بعد ذلك بالدماد محمد كامل باشا (1886 ـ 1962) (1 خانم ـ سلطانة) . ابنة شرف الدين أفندي : السلطانة مبجل بزم عالم (الولادة 1930/10/27) (1 سلطان ـ زاده) . أولاد عبد الحليم أفندي : السلطانة فاطمة سامرة (الولادة 1920/6/21) وجنكيز أفندي (1925/12/23 ـ ت1950/1) . السلطانة سامرة زوجها داماد دكتور حسين شوقي بك أفندي (من سفراء مصر) (1 خانم ـ سلطانه) .

أولاد برهان الدين أفندي (1849 ـ 1876) : السلطانة فلانة (1876 ـ 1890) وإبراهيم توفيق أفندي (1847/9/25 ـ 1931/12/31) . أولاد الشهزاده توفيق أفندي : السلطانه عارفة قدرية (1895/3/1 ـ 1933/4/5) زوجها داماد فناري ـ زاده محمد

رشيد بك أفندي (وفاته بعد 1955) (2 خانم - سلطانه) ؛ السلطانة فاطمة زهراء (1895/3/20 - 1965/5/26) زوجها داماد سلامي بك أفندي (وفاته قبل 1950) (ابن المشير كاظم باشا وابن الصدر الأعظم أسعد باشا) (1 خانم - سلطانه (أمير) ؛ السلطانة رابعه نيلوفر (1913/1/22) (تزوجت مرتين ، 1 سلطان - زاده) ؛ السلطانة عائشة فتحية (1914/5/8 - 1946) زوجها داماد رشيد بك أفندي (ابن شفيق باشا) (2 خانم - سلطانه) ؛ برهان الدين جم أفندي (1920/4/5) (ابنه : الشهزاده توفيق أفندي 1953) ؛ بيازيد أفندي (1924/11/5) ؛ السلطانة فوزية (1927/12/6) زوجها داماد محمد بك أفندي (ابن جركس محمود خيري باشا والأميرة قدرية حسين كامل) .

بنات السلطان عبد المجيد خان الأول :

1 - السلطانة فاطمة (1840/11/1 - 1884/8/26) زوجها الأول داماد وزير علي غالب باشا (1829 - 1858) (ابن الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا) (وزير خارجية ، أوقاف ، تجارة) أنجبت خانم - سلطانة واحدة توفيت وهي طفلة ؛ زوجها الثاني داماد محمد نوري باشا (1840 - 1890) ، وزير ، مشير مابين ، ووزير دوله (ابن الفريق عارف باشا) أنجبت منه 1 سلطان - زادة و 1 خانم سلطانة ماتا طفلين) .

2 - السلطانة بهية (1841/2/22 - 1847/6/3) .

3 - السلطانة رفيعة (1842/2/7 - 1880/1/4) زوجها داماد مشير محمود أدهم باشا (1836 - 1886) (ابن الصدر الأعظم داماد محمد علي باشا) أنجبت خانم - سلطانة واحدة توفيت وهي طفلة .

4 - السلطانة جميلة (1843/8/17 - 1915/2/26) زوجها داماد وزير جلال الدين باشا (1836 - 1884) (ابن الداماد أحمد فتحي باشا) (وزير التجارة ، مشير طوبخانة) أنجبت فتحية خانم - سلطانة (1859 - 1887) ، التوأمين محمد محمود جلال الدين بك أفندي (1864 - 1916) وثاقب بك أفندي 1864 - 1897 ، عائشة صديقة خانم - سلطانة (1875 - 1937) ، فاطمة خانم - سلطانة (1879 - 1890)

سلطان ـ زاده (أمير) توفي في الثانية من عمره .

5 ـ السلطانة منيرة (1844/12/9 ـ 1862/6/29) زوجها الأول داماد وزير قاوالالي إبراهيم هامي (الهامي) باشا (الولد الوحيد لوالي مصر عباس باشا) (1836 ـ 1860) ؛ زوجها الثاني داماد فريق إبراهيم باشا (1828 ـ 1880) (ابن السر عسكر مشير جهان سر عسكري رضا باشا) . أبناؤهما : السلطان ـ زاده علاء الدين بك أفندي 1861 ـ 1915) .

6 ـ السلطانة بهيجة (1848/8/26 ـ 1876/11/30) زوجها داماد خليل حميد بك أفندي (1854 ـ 1888) (حفيد ، حفيد الصدر الأعظم خليل حميد باشا) .

7 ـ السلطانة سنيحة (1851/12/5 ـ 1931/9/15) زوجها داماد وزير محمود جلال الدين آصاف باشا (1854 ـ 1903) (ابن داماد مشير خليل رفعت باشا) . أبناؤهما : محمد صباح الدين بك أفندي (1877 ـ 1947) وأحمد لطف الله بك أفندي (1880 ـ بعد 1955) .

8 ـ السلطانة مديحة (1856/7/31 ـ 1928/11/7) زوجها الأول داماد وزير أحمد نجيب باشا (1855 ـ 1885) (ابن وزير سامي باشا) أبناؤهما : عبد الرحيم سامي بك أفندي زوجها الثاني الصدر الأعظم داماد محمد فريد باشا (1854 ـ 1923) .

9 ـ السلطانة نائلة (1856/9/30 ـ 1882/1/18) زوجها داماد مشير قبة صاقال جركس محمد باشا (1846 ـ 1909) (زوجة الباشا الثانية : السلطانة أسماء ابنة السلطان عبد العزيز) .

16 ـ جلوس السلطان عبد العزيز خان (1861/6/25)

لم يكن سن السلطان عبد العزيز خان ، عند وفاة أبيه السلطان محمود الثاني ، قد بلغ تسعةأعوام ونصف العام . شغل منصب ولي عهد طيلة مدة سلطنة أخيه الكبير عبد المجيد البالغة 22 عاما . أمه السلطانة ـ الوالدة برتو ـ نيال (1812 ـ 1883/2/5) من كبيرات الخيرات . جلس عبد العزيز خان الذي يسميه الشعب « سلطان عزيز » ، على العرش وسنه تزيد على الـ 31 عاما بـ 4 أشهر و 16 يوما . يصغر أخاه الكبير بـ 6

سنوات و 9 أشهر و 23 يومًا . ملحن.، مولوي ، خطّاط ، أستاذ في العزف على الناي ، عازف على البيانو، لوطه جي ، شاعر ، رسام ، أخصائيٌ في السفن ، مصارع ؛ عسكري كامل من حيث النشأة والخلق والمعلومات . كان مثل أخيه الكبير كريما ومسرفا . لكنه لم يكن يتعاطى المشروب مثله . لم يكن مفرطا في ولعه بالنساء ، وكان يعنى بدقه بإبعادهن عن أمور الدولة . لم يتخذ له جواري عدا زوجاته . ذكي ، فعال ؛ يعشق الجيش ، الأسطول والإعمار ، شديد الثقة بنفسه . ذو سطوة ، ذو مهابة ، وقور ، وقف نفسه لإعلاء شأن الدولة . على خلاف أخيه ، لم يتعلم الموسيقى الغربية . عزل قبرصلي محمد باشا عن صدارته الثالثة بعد جلوسه بـ شهر و 11 يوما . مجموع صداراته الثلاث سنة و 10 أشهر و 11 يوما . صار عالي باشا الذي كان وزيرا للخارجية ، صدرا أعظم للمرة الرابعة (1861/8/6) . وبعد 3 أشهر و 17 يوما صار فؤاد باشا صدرا أعظم وعالي باشا وزيرا للخارجية (1861/11/22) .

استقال فؤاد باشا ، الشخصية الثالثة للتنظيمات بعد رشيد باشا وعالي باشا ، بعد سنة وشهر 10 أيام (1863/1/2) . صار يوسف كامل باشا الذي ينحدر من سلالة آق قيونلولر Akkoyunlu صدرا أعظم . احتفظ عالي باشا بوزارة الخارجية ، في هذه الوزارة ؛ أما فؤاد باشا ، فأصبح ناظرا (وزيرا) للعدل . أخمد عصيان قره داغ ، من قبل عمر باشا (آب 1862) . وعند عصيان العربيين في بلغراد ، أمر قائد القلعة عشير باشا بقصف العصاة بالمدافع (1862/6/15) . قتل قسما من شعب بلغراد . ثارت أوروبا . أخليت النقاط العسكرية العثمانية التي كانت موجودة في مدينة بلغراد التي أقرتها اتفاقية إستانبول (1862/9/8) وأعطيت خنادق القلعة إلى الصربيين . انسحب العثمانيون بشكل تام إلى داخل قلعة بلغراد . ترك العثمانيون قلعتين صغيرتين للصرب ، بقيت لدى العثمانية عدا بلغراد 3 قلاع أخرى . هاجر آخر المسلمين من الأراضي الصربية .

17 – تغيير وراثة مصر (1866/5/28) . سياحة السلطان عزيز إلى مصر (نيسان 1863) :

غادر السلطان عزيز إستانبول ، لزيارة مصر بواسطة باخرة فيض جهاد

(1863/4/3) . يرافقه أبناء أخيه الثلاثة الذين تبلغ أعمارهم 19 و 21 و 23 (أبناء السلطان مجيد) وأول 3 من ورثة العرش ، ولي العهد مراد ، شهزاده (أمير) عبد الحميد ، شهزاده محمد رشاد أفندي . اشترك في هذه السياحة الصدر الأعظم السابق ، حاليا سر عسكر (ناظر الحربية) كيجه جي - زاده دكتور بيوك محمد فؤاد باشا ، قريب السلطان عزيز قبطان دريا آتش محمد باشا ، رئيس أساتذة البادشاه خواجه سلطاني وشيخ الإسلام في المستقبل حسن فهمي أفندي . صار نائب السلطنة في إستانبول ، خلال مدة السياحة ، الصدر الأعظم يوسف كامل باشا . شغل المنصب الذي لم يتمكن قاوالالي محمد علي باشا من نيله أبدا ، صهره . سيكون ابن أحد أبناء محمد علي باشا صدرا أعظم فيما بعد .

لم تطأ قدم أي بادشاه ، أرض مصر ، منذ عهد السلطان ياوز سليم . حيث كان هنالك محاذير في ابتعاد الخاقانات العثمانية وذهابهم إلى إيالات بعيدة وتركهم العاصمة ، عدا الحملات الهمايونية . كان من الممكن الآن السياحة بسرعة بوسائط بخارية . انتهى عهد السياحة على الحصان . ولذلك احتشدت مصر كلها . جرت مراسم استقبال السلطان - خليفة ، بود عميق ، حيث كانت مصر تشاهد سلطانا ثانيا بعد مرور 345 عاما . كان والي مصر أثناء ذلك ، إسماعيل باشا حفيد محمد علي باشا وابن إبراهيم باشا .

دامت صدارة يوسف كامل باشا البالغة سنه 55 عاما ، مدة 5 أشهر . وعند العودة من سياحة مصر ، صار فؤاد باشا صدرا أعظم للمرة الثانية (1863/6/1) وظل محافظا على منصب سر عسكر . ولأنه كان متزوجا من عمة إسماعيل باشا والي مصر ، صار يوسف كامل باشا - الذي هو زوج أخته - ناظرا للعدل مرة أخرى .

كان إسماعيل باشا واليا على مصر لكونه أكبر الأفراد الذكور لسلالة قاوالالي محمد علي باشا وذلك بموجب أحكام الفرمان المؤرخ 1841/5/24 الذي قدمه السلطان مجيد إلى محمد علي باشا . كان سيخلفه أخوه مصطفى فاضل باشا . لكن إسماعيل باشا أخذ يحاول منذ سنوات عديدة حجب وراثة مصر عن أخيه وإعطاءها إلى ابنه . وقد أنفق لتحقيق هذا الغرض الملايين من النقود الذهبية على رجال الدولة في استانبول . وفي النهاية لم ير الصدر الأعظم فؤاد باشا وصديقه المقرب الذي لا يفارقه وزير الخارجية

عالي باشا ، بأسا في تغيير وراثة مصر . وطلبا إلى السلطان عزيز نشر فرمان حول نظام مصر (1863/5/28) .

ويقضي هذا الفرمان ، بانتقال ولاية مصر من الأب إلى الابن الكبير ؛ أي أن الذي سيخلف إسماعيل باشا في الولاية ، هو ابنه محمد توفيق باشا .

فقد مصطفى باشا ، أخو إسماعيل باشا ، حق الوراثة ، أو على الأصح ابتعد جدا عن هذا الحق ؛ حيث إنه يلزم لكي يأتي عليه الدور في الولاية ، ألا يكون لأخيه الكبير إسماعيل باشا أي ابن أو حفيد على قيد الحياة . والحال أن لإسماعيل باشا ، أولادًا كثيرين جدا .

كان فاضل مصطفى باشا وزيرا لمالية الدولة العثمانية . تنكر للدولة ، وانتقاما من عالي باشا وفؤاد باشا ، أخذ يدعم الجمعية السياسية غير الرسمية المعارضة لهم المسماة بني عثما نليلر (العثمانيون الجدد) الأكثر راديكالية والتي تطالب بالحكم بواسطة المجالس النيابية . فر زعيما الجمعية ضياء بك (باشا) ونامق كمال بك إلى أوروبا تاركين وظائفهما العالية في الدولة ، وبدآ المعارضة بإدخال الصحف التركية التي يصدرونها في الخارج إلى الدولة العثمانية ، بغرض التأثير على البادشاه لإسقاط ثنائي الباشوات عالي – فؤاد ، وتنصيب ضياء بك صدرًا أعظم ونامق كمال وزيرا للخارجية كان كلاهما شاعرا وأديبا يملكان حظا وافرا من الدهاء ، لكن السلطان عزيز ، رغم أنه أرسل إلى ضياء بك الموجود في جنيف ، مبلغ ألف قطعة ذهبية لم يفكر في المساس بالثنائي عالي – فؤاد .

وبناء على ذلك ، صارت مسألة الوراثة المصرية ، على أساس أن بني عثمانليلر (العثمانيون الجدد) سيستمرون في معارضتهم خارج الدولة العثمانية وذلك بحصولهم على الدعم المادي من مصطفى فاضل باشا ، وفي حالة اعتلاء ضياء بك منصب الصدر الأعظم سيعيد إلى مصطفى باشا حقه في مصر حتى ولو أدى الأمر إلى أن يعزل إسماعيل باشا ويعينه واليا على مصر !

لكن ، وخلال مدة قصيرة ، أدرك مصطفى فاضل باشا عدم إمكان نجاح هذه الخطة

وقرر التقرب إلى البادشاه وذهب وقبل قدمه معتذرا . وعندما رفع دعمه المادي عن العثمانيين الجدد ، ظهر « العثمانيون الجدد » في أوروبا باسم « جون تركلر » وأخذوا في هذه المرة يبتزون إسماعيل باشا .

وبموجب فرمان 28 أيار ، أعطيت إدارة قضاء سواكن التي هي ميناء السودان ومصوّع (أريتره) ، إلى إيالة مصر . وخوِّل والي مصر حق رفع جيشه من 18 000 إلى 30 000 جندي ، وزيدت الضريبة السنوية التي تقدمها مصر إلى إستانبول ؛ من 80 000 إلى 150 000 كيس . وبفرمان (مرسوم سلطاني) آخر ، صدر بعد خمسة أيام (1866/6/2) ، تقرر أن يحمل والي مصر لقب « خديو » الذي يعادل تماما مفهوم اللقب الذي أطلقته إنكلترا ، خلال تلك الأيام ، على الولاة العامين لإنكلترا في الهند وهو « Viee - Roi = نائب الملك » .

رغب السلطان عزيز في الزواج بابنة إسماعيل باشا الكبيرة توحيدة خانم . عارض فؤاد باشا ذلك بشدة . كان يرى أن إكتساب إسماعيل باشا لقب أب زوجة السلطان سيكون سببًا في حيازته على نفوذ كبير . كانت توحيدة خانم في سن الـ 16 . تزوجت بعد سنتين بوزير منصور باشا ابن وزير أحمد باشا من فرع عائلة قاوالايلر المسماة يكن لر Yegenler . عزل فؤاد باشا عن صدارته الثانية التي دامت 3 سنوات و 4 أيام (1866/6/5) . مجموع صدارتيه 4 سنوات وشهر و 14 يومًا (الـ 45 في التسلسل) ، مجموع مدة وزارته للخارجية لـ 5 مرات هي 7 سنوات و 11 شهر و 4 أيام (السادس في التسلسل) . شغل منصب سرعسكر (وزير حربية) 3 سنوات و 3 أشهر . صار مترجم محمد رشدي باشا ، وزير العدل ، صدرا أعظم للمرة الثانية .

ترك الباب العالي 4 قلاع موجودة داخل إمارة صربيا إلى الإمارة ، وسحب جيشه شرط أن يرفرف العلم العثماني فيها (1867/4/10) وهذه القلاع هي بلغراد ، سمنديره ، بوغورده لن ، فتك الإسلام . كانت قلعة بلغراد قد فتحت في أول حرب همايونية بقيادة السلطان سليمان القانوني قبل 345 سنة و 7 أشهر و 3 أيام . آخر قائد لقلعة بلغراد ، هو الفريق جزائرلي علي رضا باشا ـ الذي صار بعد ذلك مشيرًا ـ ألف عددا من الكتب القيمة .

كانت المشكلة الأخرى خلال هذه السنوات ، هي مشكلة كريت . كانت إنكلترا قد منحت اليونان في 1864 جزر أيونيا Iyonya (يونان) المسماة الجزر السبع التي كانت تحت حماية العثمانية حتى أوائل القرن 19 . وبهذا بلغت مساحة اليونان 51371 كم^2 وتعدادها 1,5 مليون نسمة . وبعد حصولها على هذه الجزر زادت أطماعها ، وأثناء حرب قرم أخذت تفكر في Epir وإن أمكن Tesalya ، ولما لم يتحقق أملها أخذت تفكر في فتح موضوع كريت . كان يعيش في الجزيرة ، الإيالة العثمانية التي تبلغ مساحتها 8379 كم^2 ، حتى ذلك التاريخ 240 000 نسمة . كان عدد اليونانيين قد زاد زيادة طفيفة على عدد المسلمين الذين يتكلمون اليونانية . كانت روسيا تحشد السلاح في كريت وتحرض ملك اليونان Yorgi (1863 – 1913) المتزوج بدوقة روسية . كانت فرنسا تؤيد روسيا في السياسة الخارجية واليونان في مسألة كريت ؛ ولقربها الشديد من اليونان ، حشدت في الجزيرة كمية كبيرة من الأسلحة والجنود اليونانيين وبدأ العصيان (1866/9/2) . لم يتمكن 40 000 جندي عثماني من إخماد العصيان ؛ لأنها لم تكن حربا اعتيادية ، كان العصاة يختلطون بالقرويين في حالة تطويقهم ، وعند انسحاب العثمانيين يقتحمون القرى الإسلامية ويذبحون أهاليها . أُرسِل إلى الجزيرة لمدة ستة أشهر ونصف ، الصدر الأعظم السابق المسن مصطفى نائلي باشا الذي يجيد التكلم باليونانية والذي يسمى « كريتلي » (كريتي بالنسبة إلى كريت) لشغله سابقا وظيفة والي الجزيرة مدة 30 عاما . لكنه لم يتمكن من التفاهم مع الروم الذين لا يريدون سوى الانضمام (باليونانية : Enosis) .

استقال مترجم رشدي باشا من صدارته الثانية بعد 8 أشهر و 6 أيام (1867/2/11) . صار وزير الخارجية علي نائلي باشا ، صدرا أعظم للمرة الخامسة ، وصار فؤاد باشا وزيرا للخارجية ورشدي باشا سر عسكر (وزير الحربية) .

جاء الصدر الأعظم عالي باشا بنفسه إلى كريت (1867/10/2 – 1868/2/29) وفي الوقت الذي كان عمر باشا ، على وشك إفناء العصاة ، قدمت كل من فرنسا وروسيا وبروسيا وإيطاليا مذكرة رجت فيها الباب العالي ، وقف الحركات العسكرية . لم تشترك إنكلترا والنمسا والمجر في هذه المذكرة . أصدر عالي باشا ، الذي جاء إلى خانيا ، عفوا عاما (1868/1/4) . وتلا بنفسه الفرمان الذي ينظم الإيالة مجددا في 15 شباط .

بقي في الجزيرة مدة 4 أشهر و 29 يومًا . بموجب الفرمان أصبح أحد المعاونين الاثنين لوالي الجزيرة روميًا ، ونصف المتصرفين الـ 5 و القائمقامين الـ 19 أرواما ، ويكون معاونوهم رومًا إن كانوا هم مسلمين ، ومسلمين إن كانوا هم أرواما . وافقت العثمانية على أن تكون اليونانية لغة رسمية مع اللغة التركية . عين مشير حسين عوني باشا واليا وقائدا للفيلق للإشراف على تطبيق النظام الجديد .

لما كان الغرض الحقيقي هو ضم الجزيرة إلى اليونان ، فإن هذه الامتيازات ، عدا أنها آذت الشعب المسلم ، لم يعرها الروم أي أهمية . بدأت سياسة إفناء الشعب المسلم الموجود في الجزيرة وإجباره على الهروب رغم تكلمهم اللغة اليونانية .

18 – سياحة السلطان عزيز لأوروبا (1867/6/21 – 1867/8/7) :

كانت سياحة السلطان عزيز لأوروبا التي استغرقت 46 يوما ، هي السياحة الوحيدة التي أجراها بادشاه لقطر أجنبي في التاريخ العثماني . حتى عام 1950 لم يزر أي رئيس دولة تركي أي قطر أجنبي .

زار السلطان عزيز الإمبراطور نابليون الثالث والملكة فكتوريا بصورة رسمية ، بناء على دعوة منهما . كان ضمن الوفد ولي العهد مراد أفندي البالغ عمره 27 عاما ، وولي العهد الثاني عبد الحميد أفندي البالغ عمره 25 عاما ، الابن الكبير للسلطان عزيز يوسف عز الدين أفندي البالغ عمره 10 سنوات . عمر فهمي أفندي أستاذ السلطان الذي صار شيخا للإسلام بعد مدة قصيرة ، ووزير الخارجية كيجه جي – زاده فؤاد باشا ، ورئيس مترجمي الديوان الهمايوني صدر أعظم المستقبل عارفي بك ، وسفير فرنسا في إستانبول Bourée والمسؤولين الآخرين . كانت عدة سفن تركية مدرعة ترافق يخت الخاقان . ظل الصدر الأعظم عالي باشا في إستانبول كنائب للسلطنة .

وفي مدخل مضيق جنا قلعة ، رافق الأسطول الفرنسي الأسطول العثماني . أما الأسطول الإيطالي فشيّع الموكب من Messina إلى كورسيكا . نزل السلطان عزيز إلى اليابسة (1867/6/29) بمراسم عظيمة جدا ، بعد بربروس خير الدين باشا بـ 324 عاما . تغدى فيها وتعشى في مرسيليا التي وصلها بالقطار . استقبله نابليون الثالث في

محطة قطار ليون لباريس في الساعة 11 من صباح يوم 30 حزيران . جلس مع الإمبراطور الفرنسي في عربة مفتوحة وذهبا إلى سراي Tuileries وسط مظاهرات هائلة . تعرف هناك الخاقان ـ خليفة ، على الإمبراطورة Eugénie . خصص قصر Elysée لإقامته ، وهو القصر المخصص لإقامة رؤساء جمهورية فرنسا حاليا . تعرف في اليوم التالي على القيصر الكسندر الثاني الموجود في باريس . نال ولي العهد مراد أفندي الوسيم الطلعة ، الممتلئ حيوية والذي يتكلم الفرنسية بطلاقة إعجاب الجميع . شيّع نابليون الثالث السلطان عزيز في 10 تموز في محطة القطار ، بعد بقائه في باريس مدة 10 أيام . ركب السفينة في Boulogne . ترك الأسطول الفرنسي ، الوفد التركي ، في بحر المانش لمرافقة الأسطول الإنكليزي ونزل في ميناء دوفر . استقبله أدوارد الـ 7 أمير غال . التقى في لندن مع الملكة فكتوريا . خصص لإقامته سراي باكنجهام المحل الذي يقيم فيه الحكام الإنكليز حاليا ، (كانت الملكة فكتوريا تسكن سراي وندسور خارج لندن) . بقي السلطان عزيز في لندن 11 يوما ، أكل الطعام مع الملكة وذهب معها إلى المراقص ، الدعوات الرسمية ، المسارح ، المعارض ، مجلس العموم ، مصنع السفن في بورتسموث . منحه رئيس بلدية لندن براءة مواطنة فخرية من الدرجة الأولى . شاهد مع الملكة مناورات السفن الإنكليزية . ذهب إلى دار رئيس الوزراء Palmerston الذي توفي قبل سنتين ، وكان صديقا للأتراك وعدوا للروس ، وواسى عائلته . قابله الشعب بالتصفيق الشديد إلى درجة الجنون . وهنا كذلك ، ولّد ولي العهد مراد أفندي ، حوله هالة من الإعجاب الشديد وانتسب إلى الماسونية تحت إلحاح أمير غال Edward الأستاذ الأعظم لمقصورة أسكتلندا الذي يعتبر كبير ماسونيي العالم . تأسست في إستانبول مقصورة مراد . ورغم التفكير في تزويج مراد أفندي بابنة الملكة فكتوريا الرابعة البالغ عمرها 19 عاما ؛ فإن السلطان عز[illegible] عارض ذلك .

ودّع السلطان عزيز في 23 تموز [illegible]ة فكتوريا الجالسة على العرش منذ 30 عاما والبالغ سنها 48 عاما . شيّعه الأسطول الإنكليزي من دوفر إلى كاله . وركب القطار منها ووصل في اليوم التالي إلى بروكسل عاصمة البلجيك . تغدى مع الملك ليوبولد الثاني وتحرك في نفس اليوم . زيارته لبلجيكا ، غير رسمية . جاء في اليوم التالي (25 تموز) إلى Koblenz على نهر الراين بالقطار . كانت تلك الأراضي بروسية . استقبله في كوبلنز ملك بروسيا ولهلم الأول والملكة .

دعي السلطان عزيز ، خلال وجوده في باريس إلى برلين من قبل سفير بروسيا في باريس باسم مليكه . اعتذر له البادشاه وأخبره بأن منهاجه قد استوجب القطيعة ، عند ذلك حضر ملك وملكة بروسيا إلى كوبلنز التي تبعد عن برلين 460 كم بترتيب من لأمير بسمارك Bismarek ، وتقابلا مع السلطان عزيز . تثير هذه الزيارة الانتباه من حيث الإشارة إلى هيبة واعتبار العثمانية في ذلك العصر ، ذلك أن دبلوماسية الأمير بسمارك لم تكن لتأخذ بعين الارتياح اعتذار السلطان عزيز عن مقابلة حاكم بروسيا في الوقت الذي قابل فيه السلطان حكام إنكلترا وفرنسا والنمسا ، كما قابل القيصر في باريس ، وبخاصة أن بسمارك يعلم ، أن ولهلم الأول هذا سيكون إمبراطورا لألمانيا ، عند تحقق الوحدة الألمانية بعد 3 سنوات ، وكان بسمارك يستعد لذلك . ولما كان كل من نابيون الثالث والملكة فكتوريا قد أطلعا السلطان على الجيش والبحرية حيث أعد نابليون الثالث استعراضًا عسكريًا كبيرًا في Champ de Mars في باريس ؛ كما رتبت الملكة فكتوريا مناورة بحرية لعرض أسطولها ، فقد عرض الملك ولهلم – حتى لا تكون بروسيا أقل شأنا من فرنسا وإنجلترا – في كوبلنز جيشه على السلطان عزيز وجعله يفتشه وأجرى له مناروة كبرى . قال السلطان عزيز لجنرالات العثمانية عند عودته ، إن جيش بروسيا سيكون المنتصر في حرب فرنسية — بروسية . لم يشارك أي جنرال عثماني البادشاه هذا الرأي ؛ حيث كان جيش فرنسا البري هو الجيش الأول في العالم . دار هذا الحادث على الألسن بكثرة أخيرا كمثال لبيان المعلومات العسكرية وبعد نظر السلطان عزيز .

في محطة قطار فيينا استقبل إمبراطور النمسا وملك المجر Franz Joseph الخاقان في 28 تموز . كانت الإمبراطورية النمساوية ، قد تحولت قبل عدة أشهر (1867/2/8) إلى سلطنة ثنائية تتكون من دولتين اتحاديتين إمبراطورية النمسا + ملكية المجر . كان فرانز جوزيف ، ترب السلطان عزيز (كلاهما في سن 37) ، لكنه كان جالسا على العرش منذ 19 عاما . مكث البادشاه 3 أيام في فيينا . جاء بيخته إلى بودابست على نهر ألطونه . استقبل المجريون حفيد حاكمهم السابق بمظاهرات تأييد كبيرة . مكث يوما واحدا في بشته . استقبل في السراي الملكي أعضاء الحكومة المجرية وأشرافهم . غادر باليخت ووصل الحدود العثمانية في ألطونة في 3 آب ، وبعد مدة قصيرة دخل Vidin ، ثم جاء بعدها إلى روسجوك مركز إيالة ألطونة (بلغاريا) . استقبل مدحت باشا ، الذي كان واليا لإيالة ألطونة ، البادشاه في بودابست . صعد لحضور السلطان عزيز ،

متبوعة Karol أمير رومانيا (الملك فيما بعد) الذي جاء إلى روسجوك في 5 آب . في 6 آب جاء إلى فيينا بالقطار من روسجوك . وفي اليوم التالي ، عاد إلى إستانبول من فارنا بواسطة يخته وأسطول تركي . أنيرت إستانبول مدة 3 ليال وأطلقت قذائف الأفراح الهوائية . كانت سياحة ناجحة جدا .

19 - تشكيل مجلس شورى الدولة (1868/4/1) :

كان فؤاد باشا قد أعلن قانون « تشكيل ولايت » (تشكيل الولاية) ، (1864/11/7) . نظمت بهذا الإصلاح الإيالات التي تسمى « ولاية » بنظام وتسلسل جديد ، وبشكل حديث . تشكلت مجالس الولاية في الولايات (الإيالات) ، ومجالس اللواء في الألوية (ولاية = بالتركية : IL) ، ومجالس القضاء في الأقضية (بالتركية : Ilee) . ينتخب ممثلو الشعب في هذه المجالس بالنسبة إلى عدد المنتسبين إلى أديانهم ومذاهبهم . لم تكن لهذه المجالس في الحقيقة صلاحية إجرائية . كانت صلاحياتها استشارية فقط . لكنها على كل حال كانت تشكل مرحلة مهمة في إشراك الشعب في الإدارة ، ومع أن هذه المجالس تجتمع بصورة مستمرة ، فقد كان أعضاء ومجالس جميع الأقضية التابعة لكل ولاية يجتمعون مرة واحدة سنويا في مجلس الإيالة ويعدون تقريرا للوالي .

كان قانون شورى الدولة الذي أعلنه عالي باشا في 1 نيسان 1868 ، متمما مهما لهذا الإصلاح . تأسس « مجلس عالي تنظيمات » ومن ثم « مجلس والا » (مجلس العدل) ، بغرض أن تنال الحكومة مساندة الطبقة العليا من البيروقراطيين . يقسم بهذا القانون « مجلس والا » إلى قسمين ، سمي أحدهما شورى الدولة والآخر ديوان الأحكام العدلية . الأول كان يعنى بأمور الدولة الإدارية العليا ، أما الثاني فبالأمور القضائية العليا . سيطلق على رئيس ديوان الأحكام العدلية اسم « عدلية (ومذاهب) ناظري » ويكون تسلسله في بروتوكول الوزارة ، الرابع بعد الصدر الأعظم ، شيخ الإسلام ، سر عسكر (كان رئيس مجلس والا ، عضوا في الوزارة) ، كذلك كان رئيس شورى الدولة ، عضوا في الوزارة ووزيرا وهو الخامس في تسلسل البروتوكول .

لم تكن شورى الدولة التي استمرت حتى نهاية السلطنة ، عبارة عن محكمة إدارية

عليا ، كما في دانشتاى (شورى الدولة) للجمهورية التركية . كانت إما أن تضع بذاتها جميع قوانين الدولة ، أو تصوغ القوانين التي تقرها الدولة وتضع لها شكلها النهائيَّ . أي أنه كان نوعا من المجلس التشريعي الذي تشكله الطبقة العليا من البيروقراطيين .

كانت الميزانية كذلك ، من أعمال شورى الدولة ، لكونها قانونا من قوانين الدولة . وبالأصح ، فإن الميزانية التي تعدها وزارة المالية ، تعرض أولا على الدائرة المالية لشورى الدولة ، ثم على عموم المجلس ، وبعد أن يعطى لها شكلها النهائيَّ ، تعرض على الأمر السامي (تصديق الصدر الأعظم) ، ثم على الإرادة السنية (تصديق الخاقان) . ومن ناحية أخرى ، كان هذا المجلس يقوم بواجبات الديوان العالي وله صلاحية محاكمة الوزراء . يحضر سنويا الأعضاء المنتخبون من الإيالات إلى إستانبول ويعلمون شورى الدولة بمشاكلهم وطلباتهم ، تدرس هذه المشاكل ، أولا ، في الدائرة المدنية لشورى الدولة ومن ثم لدى الهيئة العامة للمجلس ، وتتم مناقشتهاوتبادل الآراء فيها مع الممثلين القادمين كذلك .

أما دائرة التنظيمات التي تعتبر أهم قسم في شورى الدولة ، فتراجع ملاءمة القوانين مع نظام التنظيمات ، وهي مسئولة عن تطبيق التنظيمات في الإمبراطورية ، أي أنها تقوم بواجبات محكمة الدستور حاليا . لا يتدخل شورى الدولة ولا الديوان العدلي بالأمور الدينية ، ويترك هذا المجال تماما إلى المشيخة .

ينقسم ديوان الأحكام العدلية إلى دائرتين كبيرتين هما : التمييز والاستئناف . لا يمكن عزل أعضائه ويعينون مدى الحياة . كان المرجع الأخير لجميع الدعاوى الجزائية والتجارية عدا دعاوي الحقوق المدني . كانت الجرائم المرتكبة ضد الدولة والتي تنظر من قبل محاكم الإدارة العرفية ، خارج نطاق المحاكم .

أراد عالي باشا ، في مجال الحقوق المدني ، اقتباس **القانون المدني الفرنسي (Code Napoléon)** وتطبيقه على الكيان العثماني ، ولكن صديقه جودت باشا ـ أكبر مؤرخ وحقوقي عثماني في العصر 19 ـ منعه من ذلك . دوّن أحكام الحقوق المدني بالتعاون مع هيئة ، باسم **مجلة الأحكام العدلية** . هكذا ولدت **المجلة** التي تعتبر الذروة في القانون العثماني ، والذي تطبق أحكامه في بعض الأقطار العربية إلى يومنا هذا وطبق في تركيا

حتى عام 1926 . وأصبح القانون المدني لجميع المسلمين في الدولة العثمانية . وقد عدّلت بعض أحكامه ونشرت في **عائلة حقوقي قرارنامه سي** التي نشرت عام 1914 . وأصبح الزواج بأكثر من امرأة واحدة متعذرا من الناحية العملية ، وإن كان ذلك ما يزال متفشيا بين القرويين في الأناضول بصورة فعلية إلى يومنا هذا .

تلك هي الحدود النهائية للديمقراطية التي وضعها نظام التنظيمات للإمبراطورية . واجتياز هذه الحدود ، لم يكن يلائم بنية الإمبراطورية الموزائيكية المكونة من مزيج من الشعوب والأديان والمذاهب المختلفة . كانت الديمقراطية التامة خلال هذه الأيام ، لدى النظام الأنكلو – سكسوني ، كانت لدى إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية و لم تكن تشمل أقطارها التي تعتبر مستعمرة لها . ومن الدول العظمى الأخرى فرنسا ، بدأت الديمقراطية التامة فيها اعتبارا من 1871 فقط . أما الدولتان الأوروبيتان العظيمتان : روسيا وأسبانيا ، فكان نظامهما بالنسبة إلى تركيا التنظيمات ، أقسى سلطة ونفوذا .

أوشكت ، في شتاء عام 1868 – 69 ، أن تنشب حرب مع اليونان . قدّم الباب العالي إلى سفير الأورطة لليونان جوازاته (1868/12/2) . طوق الأسطول التركي جميع الموانئ اليونانية بما في ذلك Pire . قدّم إلى اليونان مذكرة إخطارية في 11 ك1 . وبينما كان الباب العالي يتوقع أن ترفض هذه المذكرة وتوقّف اليونان عند حدها ، طلب انعقاد مؤتمر باريس باجتماع شتى الدول الكبرى . لم يسمح باشتراك اليونان في المؤتمر لكونها دولة صغيرة ، أبلغ المؤتمر اليونان بالأسس التي تتضمنها المذكرة التركية وهي : وقف تدفق السلاح إلى كريت ، ومنع المظاهرات المعادية للعثمانية في أثينا (1869/2/18) . وافق الممثل العثماني الموجود في المؤتمر . لم تتحقق فكرة عالي باشا في إعلان الحرب ضد اليونان .

توفي كيجه جي زاده بيوك محمد فؤاد باشا الركن الثالث من أركان التنظيمات ، أثناء استراحته في نيس (1869/2/12) . نقلت جثمانه سفينة حرب فرنسية إلى إستانبول في 28 شباط ودفن في قبره الكائن قرب سلطان أحمد . أعلن الحداد العام في ذلك اليوم وأغلقت المتاجر . فقد عالي باشا مساعده الأكبر ، وبقي وحده . استمرت عائلة كيجه جي – زاده إلى يومنا هذا وشغلت مناصب مهمة في الدولة العثمانية .

حادثة مهمة أخرى لهذا الدور ، هي افتتاح قناة السويس (1869/11/19) . شرع في حفر القناة في 1859/4/24 واستغرق الحفر 10 سنوات و 6 أشهر و 25 يوما . عمل 60 000 فلاح في حفر القناة البالغة 162,5 كم والتي تمتد بين مينائي السويس في البحر الأحمر وبورسعيد في البحر الأبيض ، لم تكن القنال عميقة وعريضة كما هي اليوم ، لكنها تختصر المسافة جدا بين المحيط الهندي والأطلسي ، وتقضي على احتكار طريق رأس الرجاء الصالح وتعيد إلى البحر الأبيض وضعه الممتاز الذي فقده منذ ما يقارب 4 عصور . وفي نفس الوقت ، كانت تثير أطماع فرنسا وبخاصة إنكلترا حول مصر .

20 – وضع الدولة العثمانية عند وفاة عالي باشا (1871/9/7) :

انتصرت بروسيا في الحرب البروسية – الفرنسية 1870 – 71 ، خلافا للتخمينات . توحدت ما يقارب 30 دولة ألمانية كانت تساندها ومستقلة استقلالاً تاما منذ 1806 على شكل اتحاد . أُنتخب ملك بروسيا إمبراطورا على ألمانيا . ولم تنته سلالات الـ 30 دولة ، على عكس الاتحاد الإيطالي ، بل استمروا في سلطناتهم بعناوين ملك ، دوق كبير ، دوق أو أمير .

أصبحت إمبراطورية ألمانيا هذه التي تكونت حديثا ، الدولة العظمى الثانية في العالم بعد إنكلترا . فقدت فرنسا مرتبتها الثانية وتركيا مرتبتها الثالثة وهبطت إلى مراتب بعد هذه الدولة وبعد روسيا .

انتهى الحكم الإمبراطوري في فرنسا . تأسس نظام الجمهورية الثالثة . لم يستقر هذا النظام الجمهوري الغريب الذي يشكل فيه الملكيون الأكثرية في المجلس ، كجمهورية ديمقراطية ، إلا بعد مضي سنوات طويلة .

احتلت ألمانيا ، مكان فرنسا من حيث حيازتها الجيش البري الأول في العالم . كانت ألمانيا تخشى بحرية وأسطول فرنسا المغلوبة وإنكلترا الدولة الكبرى في الاستعمار .

بدأ رئيس الوزراء الأمير بسمارك بتأييد روسيا في السياسة الخارجية . تغير الميزان الدولي الأوروبي ، كان عالي باشا ، هو الدبلوماسي الداهية الوحيد الذي يمكنه تطوير الدولة في ضوء هذا الميزان الجديد ، إلا أنه مات في مثل هذا الظرف .

بعد مؤتمر دام 57 يوما ، اعترفت معاهدة لندن (1871/3/13) ، بحق روسيا في وجود أسطول وميناء لصنع وإصلاح السفن في البحر الأسود . والواقع أن تأسيس أسطول لروسيا في البحر الأسود ، سيستغرق سنين عديدة . بهذا أصيبت معاهدة باريس بضربة شديدة .

توفي عالي باشا ، أثناء ذلك (1871/9/7) . كانت سنه 56,5 عام . صدارته الأخيرة دامت 4 سنوات و 6 أشهر و 24 يوما . تبلغ مجموع صداراته الخمس سنوات و 3 أشهر و 19 يوما (تسلسله الثامن عشر) ، مجموع سنوات وزاراته للخارجية الخمس تبلغ 14 سنة و 4 أشهر و 4 أيام وهي أطول مدة لوزارة الخارجية في تاريخ تركيا منذ تأسيس النظارة (الوزارة) إلى يومنا هذا . وعدا ذلك ، شغل منصب سفير لندن ووزارات أخرى لمدة سنتين و 10 أشهر و 25 يوما . اتفقت صحافة أوروبا بعد وفاته على أنه أعظم سياسي في أوروبا .

منح الخديو إسماعيل باشا الذي كان يحلم بالاستقلال ، رئيس كتابه في اللغة التركية ـ كان له رئيس كتاب في اللغة العربية كذلك ـ مبلغ 1000 قطعة عندما بشره بوفاة عالي باشا . لم يخف ضياء بك (باشا) ونامق كمال رئيسي « العثمانيين الجدد » الداهيتين ، سرورهما بوفاة عالي باشا ، كان عالي باشا ــ كأستاذه رشيد باشا ــ قد وفق في إنجاز أعماله الكبيرة رغم وجود معارضين أشداء من أمثال هؤلاء حصل على شهرة عظيمة في أوروبا ، كان له نفوذ تام لدى البادشاه . أظهر السلطان عزيز تعقلا باقتفائه أثر أخيه الكبير السلطان مجيد ، ولم يرفض له طلبا و لم يتدخل بأمور الحكومة . كان أحد نجاحات عالي باشا الأخيرة دخول اليمن وعسير تحت إدارة الدولة مجددا . أصبحت صنعاء مركزا للإيالة الجديدة وللجيش السابع الذي تأسس حديثا (أيلول 1871) .

21 ـ فساد أسس التنظيمات (1871/9/7 ـ 1876/5/30) :

بدأت في الدولة العثمانية بعد عالي باشا ، دورة « قحط الرجال » . قل مع مرور الزمن ، في كل المجالات رجال الدولة الذين يمكنهم إدارة إمبراطورية كبيرة كما يجب . الصدور الأعظم الذين أعقب بعضهم البعض ، كانوا قاصرين عن أن يسدوا الفراغ الذي أحدثه عالي باشا . أكثر هؤلاء كانوا وزراء موفقين في وزارات عالي باشا وفؤاد باشا وتحت إشرافهما . لكنهم لم يوفقوا كصدور أعظم . يتمكنوا من تشكيل طاقم في العمل ولا شخصية . بدأ الواحد منهم يحفر الحفرة للإيقاع بالآخر . أصبحت غايتهم الرئيسية ، الحصول على المنصب وتسخير الدولة في جمع الثروة والغنى الشخصي . أعقب عالي باشا ، خلال الـ 5 سنوات ، الصدور الأعظم التالية أسماؤهم :

محمود نديم باشا (1871/9/7) ، وبعد 10 أشهر و 24 يوما أحمد شفيق مدحت باشا (1872/7/31) ، وبعد شهرين و 19 يوما مترجم محمد رشدي باشا للمرة الثالثة (1872/10/19) ، وبعد 3 أشهر و 27 يوما أحمد أسعد باشا (1873/2/15) ، وبعد شهر و 28 يوما شيرواني – زاده محمد رشدي باشا (1873/4/15) ، وبعد 9 أشهر و 29 يومًا حسين عوني باشا (1874/2/13) ، وبعد سنة وشهرين و 10 أيام أسعد باشا للمرة الثانية (1875/4/25) ، وبعد 4 أشهر ويوم محمود نديم باشا للمرة الثانية (1875/8/26) ، وبعد 8 أشهر و 16 يوما مترجم رشدي باشا للمرة الرابعة (1876/5/11) . مجموع صدارتي محمود باشا الاثنتين سنة و 7 أشهر و 11 يوما . ومجموع صدارتي أسعد باشا الأثنتين 5 أشهر و 29 يومًا .

كان محمود نديم باشا مرشح العثمانيين الجدد (أي للمعارضة) . كان العثمانيون الجدد يضغطون على البادشاه منذ سنوات لعزل عالي باشا وتعيين محمود نديم باشا بدلا منه .

محمود نديم باشا هو ابن مظلوم باشا أحد الوزراء ، شاعر ، مثقف ، طموح ، مخلص للعائلة المالكة ، لكنه لص ، عديم الأخلاق ، كذاب ، مذبذب ، عديم الكفاءة . ورغم أنه كان قد نشأ كرجل دولة للتنظيمات . والي إيالة ، ووزيرا لها ، لكن سرعان ما ظهرت السجية الإنكشارية المتفسخة المندسة في طبيعته . دمّر أسس التنظيمات وقلبها رأسا على عقب خرب البيروقراطية . لم تبلغ صدارته مدة السنة . جاء مكانه مدحت باشا ، ألمع ولاة الإيالات الذي أنجبه دور التنظيمات ، لم يتمكن من البقاء في السلطة أكثر من 3 أشهر . نشر الفرمان الذي يجيز للخديو إسماعيل باشا الاقتراض من الخارج (1872/9/28) . وزع إسماعيل باشا ، رشا على رجال الدولة والسراي بمقدار مائة إلى مائتي ألف قطعة ذهبية لكل منهم في سبيل صدور هذا الفرمان . من المعلوم أن الاقتراض من الخارج مكّن إنجلترا من السيطرة على مصر . اتضحت بعد سنوات حكمه إصرار عالي باشا ــ سنين عديدة ــ على عدم منح هذا الفرمان للخديو . تورطت مصر ، وفقد الخديو كذلك عرشه . تمكن إسماعيل باشا من استصدار فرمان يجمع جميع الامتيازات المعطاة لولاة مصر تحت متن واحد (1873/6/10) . وبينما كان يعتقد أنه سينال الحكم الاستقلالي ، إذ به ينزل الضربة على سياسة الخلافة للسلطان عزيز ويحطم الوحدة الإسلامية ويرمي بمصر ، قرة عين العالم الإسلامي ، في أحضان الإمبريالية الغربية .

أعطى مدحت باشا بيانا كاذبا للبادشاه (يعتبر ذلك أكبر جرم في النظام العثماني) ، بقوله : « إن هنالك فائضا في الميزانية التي تعاني العجز » . حصل حسين عوني باشا على عمولات ضخمة في مبيعات الأسلحة من الشركات الأمريكية والألمانية . تعاقبت الحكومات . زال الاستقرار . عاد محمود نديم باشا إلى الصدارة . ترك العثمانيون الجدد الذين يسمون المشروطيين (مؤيدي الحكم البرلماني) ، مرشحهم للصدارة محمود باشا ، وأخذوا في تأييد مدحت باشا بكل ما يملكون من قوة . أحدث هذا شعورًا بعدم الارتياح لدى المحافظين من مؤيدي التنظيمات والمعارضة وحتى لدى البرلمانيين الراديكاليين ، تجاه السلطان عزيز الذي عاد وعين محمود باشا للسلطة مجددا بعد 3 سنوات .

أحاطت بالدولة على أيام صدارة محمود باشا الثانية ، أزمات كبيرة ؛ استمر عصيان هرسك ، وتعذر إخماده نتيجة عدم المبالاة وتزويده بالأسلحة من قبل روسيا ، من ناحية والنمسا والمجر من ناحية أخرى . أشرفت مالية الدولة على الإفلاس . كلفت مصروفات الجيش والأسطول الحديث الذي أسسه السلطان عزيز والخطوط الحديدية وإنشاء السرايات مبالغ باهظة . حيازة الأسطول العالمي الثالث بعد إنكلترا وفرنسا ، والجيش العالمي الرابع بعد ألمانيا وروسيا وفرنسا ووجود 750000 جندي تحت السلاح (50000 منهم من صنف البحرية) ، كل ذلك ، كان يزيد من أعباء الميزانية ويرهقها .

تلفظ البادشاه عفوا بعزمه على استرجاع قرم ، فلفت أنظار روسيا ، وللتمويه على روسيا ، عين محمود نديم صديق الروس صدرا أعظم ، فسبب هذا إثارة شبهات إنكلترا .

كانت إنكلترا ، تريد أن ترى ولي العهد مراد أفندي على عرش العثمانية ، ومدحت باشا في السلطة . لن تترك إنكلترا هذه الخطة مدة 10 سنين ولحين وفاة مدحت باشا .

كان مراد أفندي ، الصديق الشخصي لولي عهد إنكلترا ، أدوارد السابع في المستقبل وكان مزاجه لا يسمح له بالتدخل في شئون الدولة . أما مدحت باشا ، فكان يعتبر

من رجال إنكلترا . وكانت إنكلترا تريد أن ترى حسين عوني باشا الذي كان له علاقات معها ، على رأس الجيش العثماني . ولأول مرة في تاريخ تركيا نشاهد دولة أجنبية تنشغل بالسلطة الداخلية للدولة العثمانية ؛ ومحاولة أعظم دولة في العالم تنظيم هذه السلطة حسب مقتضيات مصالحها وتوزيع الأدوار لرجال العثمانية . تكالبت .C.I.A ذلك العصر (Intelligence Service) على العثمانية ، بكل قوتها ؛ ببنوكها ، بمقصوراتها الماسونية ومؤسساتها . بدأت بدسائسها الشيطانية المظلمة وحيلها الخفية . ولأن الدولة العثماينة ، لم تكن معتادة على هذا النوع من التدخل ، فقد أصابها الكثير من التردد وعاشت فترة من الحيرة .

بلغت الديون الخارجية في 1876 مبلغ 200 مليون قطعة ذهبية (كانت في 1861 – 25 مليون سكة ذهبية) . يقتطع من الميزانية سنويا مبلغ 14 مليون قطعة ذهبية ، للديون الخارجية . لم يكن هذا المبلغ كافيا ، وكان يستلزم سداده الاستدانة مجددا . كان هنالك عجز في الميزانية يقدر بـ 5 ملايين قطعة ذهبية .

أذاع محمود نديم باشا 6 **رمضان قرار نامه سي** (قرارات 6 رمضان) (1875/10/6) : أعلن هذا القرار من جهة واحدة ، أي دون أخذ موافقة الدول لدائنة إنكلترا وفرنسا ، وهو يتضمن تخفيض فائدة الديون إلى النصف . احتجت إنكلترا وفرنسا . تضرر المواطنون العثمانيون الذين اشتروا سندات قرض وتأملوا الربح منها . ويروي أن الفريق الأول الكونت Ignatiev السفير الروسي في إستانبول وزعيم التيّار المسمى Panslavist (الرابطة السلافية) ، قد أغرى الصدر الأعظم بهذا العمل لإذلال كرامة العثمانية لدى الدول الغربية . هبطت في اليوم التالي ، قيم السندات إلى النصف حدثت اضطرابات كبيرة . باع كل من محمود نديم باشا ومدحت باشا الموجود في الوزارة كوزير مالية ووزير التجارة داماد محمود جلال الدين باشا ، والكونت Ignatiev السندات التي بحوزتهم قبل يوم واحد ، وحصلوا على أرباح طائلة . أما السلطان عزيز الذي لم يسلك هذا المسلك ، فقد خسر 3 ملايين قطعة ذهبية .

قام البلغار بعصيان كبير في بلغاريا (إيالة ألطونة) (1876/5/2) ، كانت روسيا قد خططت له من قبل . اشترك في العصيان 55 قرية بلغارية . اجتاحوا القرى المسلمة

وقتلوا 1000 مسلم بوحشية كبيرة . كان عدد نفوس الأتراك يفوق قليلا عدد نفوس البلغار في إيالة ألطونة . واجه المشير عبد الكريم نادر (عبدي) باشا ، العصاة بفرقتين ، قتل 4 500 متمرد وأخمد العصيان . نقلت الصحافة الأوروبية الخبر على أن الأتراك قتلوا عشرات الألوف من المسيحيين وهدموا مئات القرى البلغارية وجعلوها قاعا صفصفا . اجتاحت أوروبا موجة دعاية معادية للأتراك . وفي 6 آيار ، قتل الشعب المسلم – نتيجة تدبير روسي يوناني وقنصلي ألمانيا وفرنسا – في سلانيك . ازداد التوتر بشكل كبير . وفي هذا الظرف ، ظل الذين قرروا خلع السلطان عزيز ووضع يدهم على الدولة ، متفرجين ، كان على رأس هؤلاء حسين باشا ، ويدعمهم مدحت باشا .

22 – خلع السلطان عزيز (1876/5/30) :

وزع مبلغ مجيديه واحدة (خمس القطعة الذهبية) على كل فرد من الـ 1000 طالب تقريبا من طلاب المدارس الدينية العالية الذين يسمون « طلبة علوم » والتحق بهم عدة أشخاص من مدرسي العلوم الدينية وجماعة من العاطلين من الشعب ودبرت مظاهرة ضد الصدر الأعظم ، في الباب العالي . هذه الدراهم أخذت من ولي العهد مراد أفندي . وفي اليوم التالي 11 مارس عزل السلطان عزيز ، محمود نديم باشا ظنا منه أن هذه المظاهرات المدبّرة تعبر عن رغبة الشعب . عين مترجم رشدي باشا ، صدرا أعظم . طلب رشدي باشا البالغة سنه 65 عاما ، موافقة السلطان على وزارته التي عين فيها المشير والصدر الأعظم الأسبق حسين عوني باشا البالغة سنه 55 عاما ؛ سر عسكر أي رئيس أركان الجيش ، وحسن خير الله أفندي البالغ عمره 42 عاما ، شيخا للإسلام حيث كان قد شغل هذه الوظيفة سابقا لعدة مرات لفترة من الزمن ، وافق البادشاه . هكذا سلم السلطان عزيز جيشه ليد أعدى أعدائه عوني باشا .

منصب سر عسكر ، كان يشمل وظائف وصلاحيات وزير الدفاع الحالي إلى جانب رئيس أركان الجيش بالإضافة إلى قائد القوات البرية . كان الأسطول والمعامل العسكرية فقط ، خارج نطاق صلاحياته . وإضافة إلى ذلك ، كانت المدارس العسكرية بما فيها الأكاديمية العسكرية ، تحت أمر السر عسكر . كان الذي يشرف على الأسطول ، هو القبطان دريا والوزير الذي يسمى منذ عدة سنوات ناظر البحرية قيصر لي أحمد باشا ؛

بحريا كبير السن ونشأ في البحرية منذ أن كان جنديا وهو مطيع لعوني باشا . كان عوني باشا ، أحد الضباط الأركان الخمسة الذين تخرجوا في الدورة الأولى من الأكاديمية الحربية . ولم يكن قسم الأركان موجودا قبلها في الدولة العثمانية كما هي الحال في بقية الأقطار .

كان حسين عوني باشا ذكيا ، مثقفا ، يجيد لغة أجنبية ، ناجحا عسكريا . منظما . ذا سيطرة . لكنه من عائلة سيئة ، معقد ، مسلّط على أعراض الناس ، مقامر ، لص ، لا يرحم ، ظالم ، حقود إلى درجة ليس لها نظير . تمكن حتى من خلال قواعد نظام التنظيمات ، من دس السم لمنافسيه شيرواني – زاده رشدي باشا ، ومشير أسعد باشا من الصدور الأعظم السابقين . كان عدوا لدودا للبادشاه بسبب نفيه من قبل السلطان عزيز إلى بلده أسبارطة لمدة سنة واحدة ، بعد أن خلع عنه رتبته وأوسمته بموجب المادة التي تقضي بذلك على من يعتدي على أعراض الناس . لكن السلطان عزيز ، كان غافلا إلى درجة أن يعفو عنه ويمنحه أعلى الرتب . عوني باشا ، كان جنرالا ، تدرج في المناصب تحت حماية كيجه جي – زاده فؤاد باشا . كان قد ذهب إلى لندن وأسس فيها علاقات .

إنكلترا ، خشيت من سياسة البادشاه البحرية ونقدته بصورة علنية وتساءلت بصورة رسمية عمّا سيفعله بهذا الأسطول . لم تلق نهضة العثمانية ارتياحا من إنجلترا ، وكما حدث في السابق عندما تم خلع زعيم النظام الجديد سليم الثالث ، لعرقلة النهضة ، فسوف تتكرر نفس اللعبة .

كان مدحت باشا على علاقات مباشرة مع إنكلترا ، وهو الذي أدخل سفير إنكلترا في إستانبول (1867 – 77) Lord Elliot ، ضمن أعضاء زمرة الخلع وتحرك بموجب توصياته . ورغم أنه كان يكره العثمانيين الجدد في قرارة نفسه ، لكن تأييده لفكرة المشروطية (الديمقراطية المتوجة) للعثمانيين الجدد الذين رفعوه إلى السماء بواسطة الصحافة ؛ كان بسبب رغبته في البقاء في الصدارة مدى الحياة . لم يكن في استطاعة مدحت باشا خلع البادشاه ، لولا وجود عوني باشا ، كانت تعوزه هذه الواسطة . كان يرجح التفاهم مع البادشاه على أن يتعاون مع عوني باشا الذي يكرهه . لقد دهش الجميع من اشتراك وزير كبير السن مثل رشدي باشا ، في ثنائي عوني – مدحت

لغرض بقائه في الصدارة إلى نهاية حياته هو كذلك . أما خير الله أفندي ، رابع رجال الدولة الذين يسمون الأربعة الكبار أو أركان الخلع ، فكان مغرورا بفخفخة مقام المشيخة ، شابا ، طموحا ، تافها ، متعصبا تعصبا أعمى ، محتقرا ومكروها من قبل طائفة العلماء ، معروفا باسم « مفسد إمام » (الإمام المفسد) ومتملق عادي من متملقي السراي .

الذي خلع السلطان عزيز من العرش بصورة فعلية ، هو أمير اللواء سليمان باشا . كان قائدا للمدرسة الحربية ، اشتهر بكتبه الأدبية والتاريخية ، عمره 38 عاما . خدع طلاب الحربية وكتيبتين من الجنود الذين جلبوا من سورية قبل عدة أيام ولا يحسنون التكلم بالتركية ، ثم أخبر البادشاه بأن هنالك حادث اغتيال مدبرًا ضده وأن سراي دولمه بقجه سوف يطوق لغرض حمايته ، وفي صباح يوم (1876/5/30) ، استصحب البادشاه معه بالقارب وذهب به إلى سراي طوب قابو وخلعه من العرش . خطط عوني باشا ، مع أصدقائه الوزراء الآخرين الذين أخبرهم بالانقلاب ، بأنه في حالة فشل الانقلاب ، سيلقي الذنب كله على سليمان باشا ، وسيقبض عليه فورا ويعدمه عوني باشا رميًا بالرصاص ، وبهذا يكون عوني باشا قد حقق أمله كذلك في بقائه في الجيش مدى الحياة بصفته منقذ حياة البادشاه . كانت هذه فكرته .

دامت سلطنة السلطان عزيز 14 سنة و 11 شهرًا و 5 أيام وبتعبير آخر 15 سنة إلّا 25 يوما . تقسم فترة السلطنة هذه إلى قسمين : القسم الأول قبل وفاة عالي باشا والثاني بعد وفاته . الدور الأول الذي دام 10 سنوات و 3 أشهر ، هو دور الشوكة والعظمة والنهضة والنظام . والدور الثاني الذي دام 4 سنوات و 8 أشهر و 6 أيام هي سنو الاضطرابات والخيانة والتفكك والفساد . تدخل السلطان عزيز المتزايد في الأمور الحكومية ، خلافا لتعليمات التنظيمات ، بعد مشاهدته عدم كفاءة الصدور الأعظم ، كثّفت الانتقادات ضده .

نهب سراي دولمه بقجه يوم الخلع . سرق الجنود والضباط والجنرالات الذين دخلوا السراي الكثير جدا من الحاجيات . اقتسمت الجواهر الثمينة جدا بين الشخصيات ذوي لرتب العالية الذين اشتركوا في الخلع . أعطيت بقية الجواهر الثمينة التي يقدر

ثمنها بمليون قطعة ذهبية ، إلى صراف السلطان مراد الرومي خريستاكي لبيعها في باريس . يرجع خريستاكي بعد ذلك إلى تركيا و لم يبعث ولا بقرش واحد من ثمن الجواهر . أعطيت سندات القرض العائدة إلى السلطان عزيز البالغ قيمتها 7 400 000 قطعة ذهبية إلى البنك العثماني لتسديد الديون الخارجية . أما النقود الذهبية فوزعت على أفراد الجيش الأول الذين أخذوا يتهامسون مدعين بأنهم غشّوا . وفي اليوم الذي تلا الخلع ، منح كل ضابط من ضباط الجيش الأول رتبة أعلى . ظهرت علامات عدم الارتياح الشديد لدى الجيش السادس الموجود في الخارج . وتشتّتت وحدة الجيش . صرح عوني باشا ، ــ الذي حقق عملا لا يتقبله العقل ، كخلع السلطان عزيز دون سفك ولا قطرة من الدماء ــ إلى إحدى الصحف الأجنبية مفتخرا ، بأن الذين كانوا يعلمون بمؤامرة خلع السلطان هم 68 شخصا فقط ، وأن الآخرين انضموا إلى عملية الخلع دون أن يعرفوا ماهية عملهم .

23 – عائلة السلطان عزيز :

تزوج السلطان عزيز بـ 5 قادين أفندي (زوجة السلطان) ،ولم تقم علاقة بينه وبين أي جارية أخرى . زيجته الأولى في 1856 عندما كان شهزادة (أميرًا) ، زيجته الأخيرة في 1873 . بناته ــ عدا 3 بنات وابن ــ ماتوا قبل إتمامهم السنة الأولى من أعمارهم ، وهم :

1 – السلطانة صالحة (1862/7/11 – 1941) : زوجها داماد مشير ذو الكفل أحمد باشا (ابن مشير خاتون أوغلو كرد إسماعيل حقي باشا) ، رزقا بابن مات في سن السادسة . هذه السلطانة ، كانت في سن طفولتها مخطوبة لإبراهيم حلمي باشا أحد مشيري العثمانية وابن الخديو إسماعيل باشا . لكن عبد الحميد الثاني الذي يكره إسماعيل باشا ، فسخ الخطبة عند جلوسه على العرش .

2 ـ السلطانة ناظمة (1866/2/25 – 1947) : زوجها داماد مشير علي خالد باشا (1862 ؟ – 1950 ؟) (ابن سر عسكر مشير لوفجالي إبراهيم درويش باشا) . لم يرزقا أولادا .

3 ـ السلطانة أسماء (1873/3/21 – 1899/5/7) : زوجها داماد مشير قبة صاقان جركس محمد باشا (1846 – 1909) : (زوجته الأولى : ابنة عبد المجيد الأول ،

السلطانة نائلة) . وُلد لها من هذه الزيجة 3 سلطان ـ زاده (أمير) ، ومن ناحية أخرى سلطان ـ زاده مات طفلا وخانم ـ سلطانة (أميرة) .

4 ـ السلطانة أمينة (1874/8/24 ـ 1920/1/29) : زوجها داماد وزير جاودار أوغلو أحمد شكري باشا) (رئيس شورى الدولة ، وزير معارف والنافعة (الأعمار) ، مؤلف) رزقا بـ خانم ـ سلطانة توفيت وهي طفلة .

أبناء السلطان عزيز :

1 ـ يوسف عز الدين أفندي (1857/10/11 ـ 1916/2/1) : مشير ، صار وليا للعهد مدة 6 سنوات و 9 أشهر و 4 أيام ، 1909/4/27 ـ 1916/2/1 . أولاده ، عدا ابن واحد مات طفلا : محمد نظام الدين أفندي (1908/12/18 ـ 1933/3/19) ، السلطانة خديجة شكرية (1906/2/24 ـ 1972/4/1) ، السلطانة مهربان مهرشاه (1916/6/21) . السلطانة شكرية ، تزوجت 3 مرات أول أزواجها هو شهزادة داماد محمد شرف الدين أفندي بن سليمان أفندي بن عبد المجيد الأول . لم تنجب من أي منهم . السلطانة مهرشاه ، تزوجت بالشهزاده داماد عمر فاروق أفندي عام 1948 ، لم ترزق بأولاد ، عمها ، ابن عبد المجيد الثاني .

2 ـ محمود جلال الدين أفندي (1862/11/14 ـ 1888/9/1) : توفي عندما كان ولي عهد سابعا .

3 ـ الخليفة عبد المجيد خان الثاني (1968/5/29 ـ 1944/8/23) : (للتعرف على أولاده انظر البحث) ، هو آخر من توفى من أحفاد محمود الثاني الذكور ، أما حفيدته ، فهي السلطانة نظيمة الأخت الأكبر منه التي توفيت عام 1947 .

4 ـ محمد شوكت أفندي (1872/6/5 ـ 1899/10/22) : توفي عندما كان ولي عهد تاسعا . ابنه : محمد جمال الدين أفندي (1891/3/1 ـ 1947) . أبناء هذا الشهزاده : محمود حسام الدين أفندي (1916/8/25 ـ 1966/8/7) وسليمان سعد الدين أفندي (1917/11/20) . حصل لسعد الدين أفندي شهزاده (أمير) واحد وسلطانة (أميرة) واحدة ، والشهزاده الذي ولد عام 1955 هو الأمير الوحيد الذي سيديم فرع السلطان عزيز .

5 – محمد سيف الدين أفندي (1874/9/22 – 1927/10/19) : ملحن عظيم ، كان في 1922 ولي عهد ثالثا . أولاده : محمد عبد العزيز أفندي ، ومحمود شوكت أفندي (1903/7/30 – 1973/1/31) وأحمد توحيد أفندي (1904/12/2 – 1966/4/24) وهو توأم السلطانة فاطمة جوهري (1904/12/2 – 1980/12/10) . تزوج شوكت أفندي ، السلطانة نعيمة ابنة عبد الحميد الثاني والسلطانة عادلة خانم – سلطانة ابنة داماد مشير نور الدين باشا ابن غازي عثمان باشا وأنجب من هذه الزيجة السلطانة حميدة نرمين نزاهت (1923/1/27) ، تزوجت ثم انفصلت عن زوجها .

الابن الكبير لسيف الدين أفندي ، هو محمد عبد العزيز (الثاني) أفندي (1901/9/26 – 1977) . كان رئيسا للسلالة العثمانية مدة 4 سنوات من 1973/5/22 حتى وفاته . تزوج بركمال خانم أفندي (السيدة) ، ابنته السلطانة خرّم (1940) .

24 – وفاة السلطان عزيز (1876/6/4) :

قتل السلطان عزيز ، بعد 5 أيام من خلعه (1876/6/4) . فصد القتلة شرايين ذراعيه ، بشكل يشبه الانتحار ، خطط الجناية ، حسين عوني باشا . وأعلنت الدولة انتحاره ببيان رسمي ، لكن الشعب لم يصدق ذلك . ذرف الأتراك والعرب ، وجميع المسلمين الذين يشكلون الدولة العثمانية ، الدموع الدامية ، كتبوا ولحّنوا فيه المراثي كانت سن البادشاه تتجاوز الـ 46 عاما بـ 3 أشهر و 14 يوما . نهضت على زمانه الدولة نهضة كبيرة ، أنفق على إنشاء الخطوط الحديدية فقط مبلغ 20 مليون قطعة ذهبية ، فتح العديد من المدارس الحديثة ، جهز الجيش بأحدث الأسلحة الموجودة في ذلك العهد ، جدد القلاع واستحكاماتها ، كوّن بجهوده الشخصية وبتعشقه العميق للشئون البحرية ، بحرية عظمى ، حوّر مصنع السفن بشكل يمكن المصنع من إنشاء بوارج . كان شابا ، صحته جيدة . خطط تنفيذ أعمال كثيرة . الدول الأجنبية التي استشعرت خطورة هذه النهضة ، دبرت مؤامرة خلعه واستعملت قسما من رجال الدولة العثمانية أداة لتحقيق ذلك . أخل بأهم مبدأ من مبادئ التنظيمات وهو مادة عدم إشراك الضباط في السياسة إخلالا كبيرا . أقحم الجيش في السياسة ، وفي خضم العراك على السلطة . صارت السياسة غذاء لطالب الحربية الشاب . كأنما بعث للوجود ، نوعًا جديدًا من الانكشارية .

كان حسين عوني باشا مستبدا عظيما . عدوا لإعلان المشروطية (الحكم بواسطة مجلس) وإعلان الدستور . اتخذ طور الدكتاتور الكامل . لكن سلطنته لم تدم أكثر من 16 يومًا . اقتحم مرافق الهنكار وأخو زوجة السلطان عزيز البكباشي (الرئيس الأول) جركس حسن بك ، أثناء اجتماع الحكومة ليلة 15 حزيران 1876 مكان الاجتماع ، وقتل بمسدسه عوني باشا وناظر الخارجية رشيد باشا مع عدة أشخاص آخرين .

واقعة جركس حسن زادت في إخلال التوازن العقلي للسلطان مراد . أثر على عقله خطأ وقع يوم خلع عمه ، حيث ظن أن العسكري الذي دخل غرفته لدعوته إلى الجلوس على العرش ؛ قد أرسل من قبل عمه لغرض اعتقاله ، فقد كان الانقلاب قد قدّم عن موعده يوما واحدا ، دون أن يخبر مراد بذلك . خلع السلطان مراد – أمل العثمانيين الجدد ومؤيدي المشروطية – اضطراريا بعد 3 أشهر . وشفي تماما ، بعد مدة وجيزة .

25 – السلطان مراد خان الخامس (1876/5/30 – 1876/8/31) :

السلطان محمد مراد ، هو الابن الكبير للسلطان عبد المجيد الأول وأول الحفداء الذكور لمحمود الثاني . أمه السلطانة – الوالدة شوق أفضاء (1820/12/12 – 1889/9/17) ، أصبحت الزوجة الثالثة للسلطان مجيد في 1839 والثانية في 1849 . لعبت دورا سيئا جدا في واقعة السلطان عزيز .

كان السلطان مراد ولي عهد ثانيا ، طيلة مدة سلطنة والده وفور ولادته ، وولي عهد السلطنة طيلة مدة سلطنة عمه التي دامت 15 عاما . جلس على العرش وهو في سن تتجاوز الـ 35 عاما بـ 8 أشهر و 9 أيام . خلع بعد 93 يوما . عاش بعدها 28 عاما ، لم يخرج خلال هذه الفترة من سراي جراغان الذي خصص له ولعائلته وتوفي في 1904/8/29 بمرض السكّر . كانت سنه تنقص عن الـ 64 عاما بـ 24 يوما . دفن في قبره الكائن في يني جامع . مدة سلطنته ، هي أقصر مدة سلطنة في التاريخ العثماني .

نشأ السلطان مراد مجهزا بالثقافة الأوروبية ، أكثر من أبيه . وكان يملك شخصية على النقيض من شخصية عمه السلطان عزيز المتبحرة في الإسلام ، الشرقية ، العثمانية ، التي نشأت على الثقافة والتربية التركية . كان تحصيله كاملا . كان يجيد كلا من الموسيقى الغربية والتركية ، لكنه كان ينشغل أكثر بالموسيقى الغربية . يسير بين

الشعب ، مدمنًا على الشرب ، وسيم الطلعة جدا ، يعزف موسيقى الساز المختلفة ، شاعرًا ، نجارا دقيقا . انتسب إلى الماسونية عام 1867 . أظهر حرصا شديدا وقبيحا قبل أوانه في الجلوس على العرش مكان عمه . ولم يكن بإمكانه ملء الفراغ الذي أحدثه عمه . أصبح آلة بيد إنكلترا والوزراء الذين يلعبون لعبة مؤيدي المشروطية (الحكم البرلماني) . كان معارضا لقتل عمه . كان رجلا رحيما يكره رؤية اللم كأبيه . بنات السلطان مراد ، عدا ابنيه اللذين ولدا وتوفيا في نفس العام ، هن :

1 ـ السلطانة خديجة (1870/5/5 – 1938/3/13) : زوجها الأول داماد وزير علي واصف باشا (1870 – 1918) ، انفصلت عنه وتزوجت زواجها الثاني بالداماد رءوف خير الدين بك أفندي (1871 – 1936) (دبلوماسي ، حقوقي) . وولد لها من زيجتها الأولى الخانم ـ سلطانة عائشة (1902) ، تزوجت باشكدرالي ـ زادة جلال باشا . رزقت من زيجتها الثانية ، عدا ابن واحد مات طفلا ؛ خيري بك أفندي (1912) وخانم سلطانة سلمى (1914 – 1942) التي تزوجت بنواب كتوارا Kutwara في الهند ورزقت منه ابنة . (استلهم الروائي التركي الشهير رفيق خالد قاراي في روايته Turk Prensi Nilgun من سلمى خانم ـ سلطانة هذه) .

2 ـ السلطانة فهيمة(1875/8/2 – 1929/9/15) : زوجها الأول داماد وزير علي غالب باشا (1871 – 1950) افترقت عنه وتزوجت زوجها الثاني محمود بك . ليس لديها أولاد .

3 ـ السلطانة فاطمة (1879/6/19 – 1932/11/20) : زوجها داماد قرة جهنم ـ زادة رفيق إيريس بك أفندي (وفاته 1952) (دبلوماسي) (ابن العين قره جهنم ـ زاده فائق بك والي قونية) . وعدا 2 سلطان ـ زادة ، ولد لها الخانم ـ سلطانة عائشة خديجة (1909 – 1968) وتوأمها محمد علي إيريس بك أفندي (1909) وجلال الدين إيريس بك أفندي (1916) .

4 ـ السلطانة عليّة (1880/٨/24 – 1903/9/19) : لم تتزوج .

الابن الوحيد للسلطان مراد ، هو محمد صلاح الدين أفندي ، توفي عندما كان ولي عهد ثالثا (1861/8/15 – 1915/4/29) . وهو من طلاب سليمان باشا الذي أسقط

السلطان عزيز وحقق الانقلاب وصار مشيرا بعد فترة وجيزة . بنات صلاح الدين أفندي :

1 – السلطانة بهية (1881/8/21 – 1947) : زوجها داماد أمير اللواء حافظ إسماعيل حقي نوري باشا (1878 – 1915) (استشهد عندما كان قائدا للجيش الثالث) ، ليس له أولاد .

2 – السلطانة جليلة (1882/2/3 – 1899/11/24) : لم تتزوج .

3 – السلطانة رقيّة (1885/6/1 – 1971/6/16) : زوجها داماد شريف عبد المجيد بك أفندي (1889 – 1965) (سفير الأردن في لندن وباريس وأنقرة) (ابن وزير شريف علي حيدر باشا ناظر الأوقاف وأمير مكة ، عين الرئيس الثاني لمجلس الأعيان) ، لم يخلّف أولادا .

4 – السلطانة عادلة (1887/2/10 ت 1973/1) : زوجها الأول داماد فائق بك أفندي (ابن مشير عارف باشا ، استمر عقد النكاح 3,5 سنة وحصل الطلاق قبل الزفاف . زوجها الثاني داماد مورالي – زاده صلاح الدين بك أفندي (1885 – 1918) (حفيد مشير مورالي إبراهيم باشا) . ابنتهما الخانم – سلطانة نيلوفر (1916) تزوجت نواب شجاعت علي خان معظّم – جاه وبقيت في عصمته مدة 21 عاما ثم طلقت وتزوجت مرة ثانية . معظّم – جاه ، هو الابن الصغير لعثمان خان نظام حيدر آباد .

5 – السلطانة صفيّة (1887/5/20 – 1911/2/20) : لم تتزوج .

6 – السلطانة أمينة عطية (1892/1/3 – 1978/10/10) : زوجها سركاتبي – زاده عثمان هاني أفندي (حقوقي ، دبلوماسي) (1890) (ابن وزير عثمان فريد باشا) ، ليس له أولاد .

ابنا صلاح الدين أفندي ، عدا ابنيه اللذين توفيا فور ولادتهما ، هما :

1 – أحمد (الرابع) نهاد أفندي (1883/7/6 – 1954/6/4) : صار رئيسا للسلالة العثمانية مدة 9 سنوات و 9 أشهر و 12 يومًا (1944/8/23 – 1954/6/4) .

2 – عثمان (الرابع) فؤاد أفندي (1895/9/26 – 1973/5/22) : أصبح رئيسا

للسلالة العثمانية مدة 18 سنة و 11 شهرًا و 18 يومًا (1954/6/4 – 1973/5/22) . تزوج بالأميرة كريمة عباس حليم ثم طلقها ، ليس له أولاد . تخرج في الأكاديمية العسكرية البروسية . من أبطال الحرب العالمية الأولى ، عين في ك 1918/2 قائدا على الجبهة الليبية برتبة فريق أول . ركب الغواصة من تريسته ونزل في ليبيا ، وتسلم الجبهة . حارب الإيطاليين بنجاح على رأس المجاهدين الليبيين ومع الضباط العثمانيين . وفي الهدنة ، أمر الباب العالي الشهزاده بالتسليم إلى الإيطاليين . لم يطع الأمر رغم مرور أسابيع عديدة . أخفى مجاهدية ، وزّعهم . اعتقله الإيطاليون ، وسجن في نابولي في أحد القصور مدة سنة تقريبا . كانت له معرفة سابقة بليبيا ؛ لأنه كان قد دافع عن ليبيا تجاه الإيطاليين مع أنور بك (باشا) عندما كان طالبا عمره 16 عاما . درس روميل حرب العصابات التي نفذها فؤاد أفندي في حركات ليبيا . وعند استيلاء روميل على ليبيا ، منحت إنكلترا رتبة الزعيم والصلاحية الكاملة لفؤاد أفندي لتدريب الليبيين وتجهيزهم ضد الألمان . أعلم الأفندي بأنه لا يمكنه لبس اللباس العسكري الإنكليزي ، ولا يمكنه مقاتلة زملائه في السلاح ، القدامى . وعند إخراج السلالة من تركيا (1924) ، كتب أتاتورك إليه رسالة يبدي له فيها تأثره لعدم تمكنه من استثناء زميله في السلاح . وفي الهدنة ، قام بحماية الزعيم عصمت بك (اينونو) ، وأسكنه في قصره أشهرا عديدة .

ابن أحمد (الرابع) نهاد أفندي : داماد علي واصب أفندي ، رئيس السلالة العثمانية منذ 1977 . ولد في 1903/10/14 . تخرج في غلطه سراي والكلية الحربية مثل جميع الشهزادات المتأخرين . تزوج بالسلطانه أمينة مقبلة حفيدة السلطان محمد رشاد (1931/4/24) . أبناؤه الشهزاده عثمان صلاح الدين أفندي (1941) ، وأولاد هذا الشهزاده هم شهزاده نهاد رشاد أفندي (1978/9/17) شهزاده محمد مراد أفندي (1972) وسلطانة واحدة (1974) .



الفصل التاسع

السلطان عبد الحميد الثاني (1876 - 1909)



1 ـ جلوس السلطان عبد الحميد خان الثاني (1876/8/31) ، فترة إمارته :

عبد الحميد الثاني هو الابن الثاني للسلطان عبد المجيد خان الأول ، الذي ولد بعد مراد الخامس . هو يصغر مراد الخامس بسنتين بالضبط . ولد في الساعة الخامسة من صباح يوم 22 أيلول عام 1842 في السراي الهمايوني جراغان القديم . كان عند ولادته ، ولي عهد ثالثا . وظل كذلك طيلة مدة سلطنة والده . كان ولي العهد عمه عبد العزيز أفندي وولي العهد الثاني أخاه الكبير مراد أفندي .

والدة شهزاده عبد الحميد أفندي ، هي زوجة السلطان الرابعة تير مشكان ، جركسية الأصل كزوجات أكثرية السلاطين المتأخرين . رفعت في 1849 إلى رتبة الزوجة الثالثة . توفيت السلطانة نعيمة التي ولدتها ، قبل ولادتها لعبد الحميد أفندي ، في سن 2,5 بمرض الجدري (1840/10/11 – 1843/5/1) ، مدفونة في مقبرة لاله لي . عاش شهزاده محمد عابد الذي ولدته بعد ذلك 15 يوما فقط (1848/4/22 – 1848/5/7) ، دفن في مقبرة السلطانة رفيعة في يني جامع . تير مشكان (1819/٨/16 – 1852/10/3) من قبيلة شابصغ « كانت خضراء العينين ، ذات شعر أصفر فاتح ، ذات جلد أبيض شفاف ، نحيفة البنية » . ماتت بمرض السل وسنها 33 عاما ، مدفونة في مقبرة مراد الخامس في يني جامع .

هكذا فقد عبد الحميد أفندي والدته وعمره 10 سنوات . كان من السائد إعطاء أولاد البادشاهات الذين توفيت أمهاتهم إلى زوجات البادشاهات اللواتي لم يلدن ، أو اللواتي فقدن أولادهن ، للعناية بهم ، وليكن أمهات معنويات لهم .

كانت خلال هذه الأيام ، باش أقبال بره ستو خانم ـ أفندي الزوجة الخامسة للسلطان مجيد ، ولم تكن قد رزقت أولادا بره ستو Perestu قادين أفندي التي كانت في آيار 1861 زوجة السلطان الرابعة (بالفارسية : بيرستو = سنونو) (1830 – 1904) كانت الابنة المعنوية للسلطانة « كوجوك » أسماء (1778 – 1848) الأخت الكبرى لمحمود الثاني المشهورة (السلطانة أسماء ، لم ترزق أولادا) ، زوجتها بابن أخيها السلطان عبد المجيد . من قبيلة أوبوخ الجركسية « كانت ذات عينين زرقاوين ، ذات شعر ذهبي أصفر ، وجلد شفّاف ، ونحيفة ، وصغيرة الجسم » (هذه

الأوصاف نجدها عند السلطانة عائشة ، ابنة عبد الحميد الثاني ووالدتها مشفقة قادين أفندي) .

فاطمة خانم ، أخت بيرستو قادين أفندي تزوجت بفاضل بك وولدت طبيب العيون الدكتور أسعد باشا وهو أب حسن أيشيق وزير الخارجية عام 1965 . أخو فاضل بك ، منابير – زادة نوري بك (1840 – 1916) ، هو أخو السلطان حميد بالرضاعة ، من العثمانيين الجدد .

كانت ، بيرستو قادين التي عهد إليها بالسلطان حميد أفندي البالغ عمره 10 سنوات كابن معنوي ، تكبره بـ 12 سنة . وقد أولته حبها وعنيت بتربيته كأم حقيقية . كانت السلطانة جميلة (1843 – 1915) وهي أخت السلطان حميد التي تصغره بـ 11 شهرا . قد فقدت كذلك أمها دزد دل Duzd - Idil قادين أفندي (1825 – 1845/8/18) عندما كانت في سن الثانية من عمرها وأعطيت إلى بيرستو قادين أفندي قبل السلطان حميد بـ 7 سنوات . وبناء على ذلك ، تكون نفس امرأة الأب قد قامت بتربية كل من السلطان حميد والسلطانة جميلة . وهذا هو سبب المحبة الخاصة من السلطان حميد لها أكثر من أخواته الأخريات .

كانت بيرستو قادين من صاحبات الخير . وعند وفاة زوجها السلطان مجيد عام 1816 ، سكنت السراي الذي أهداه لها السلطان عزيز أخو زوجها ، الكائن في ماجقا . سكنت هذا السراي حتى وفاتها (مدته 43 عاما) . أنشأت في إستانبول حنفيات لتوزيع المياه مجانا ، [illegible] مسجد طوبجوباشي (سيبوري قابوسي ، تكيه زقاق) ، حنفيات للوضوء ، [illegible] (دار توقيت الزمن) ، ابنية (1893 – 5) (Istanbul çesmeleri ، 1 ، 298 ؛ Istanbul Sebilleri ، 61) توفيت عن عمر يناهز الـ 74 عاما ، دفنت في قبرها الكائن في منطقة أيوب .

بزرعتهببحت بيرستو قادين ، السلطانة – الوالدة مدة 28 سنة . منح السلطان حميد والدته المعنوية عند جلوسه على العرش رتبة السلطانة – الوالدة (1876/8/31) . هي السلطانة – الوالدة الوحيدة التي لم تلد السلطان بالفعل . وفي نفس الوقت ، هي آخر سلطانة – والدة في التاريخ العثماني . حيث إن السلاطين الذين جاؤا بعده ، جلسوا

كلهم على العرش بعد أن توفيت أمهاتهم بمدة طويلة . كانت السلطانة – الوالدة بيرستو ، سيدة فاضلة قضت حياتها في إعانة المعدمين ووهبت نفسها ، خاصة للنساء والبنات الفقراء ، وفضلا عن أنها لم تكن تتدخل في السياسة ولا تقابل السياسيين فقد كانت لطيفة ، ذات خلق ليّن ، بعيدة عن حرص السلطنة ، وقورة ، متواضعة . ماتت شريفة كريمة وسط جو من المحبة والاحترام . هي الثانية بعد السلطانة خديجة تارخان في التاريخ العثماني ، من حيث مدة شغلها منصب السلطانة الوالدة .

تلقى عبد الحميد الثاني الذي يسميه الشعب السلطان حميد دروسه خلال فترة إمارته (شهزاده) على أيدي الشخصيات التالية : تعلم الموسيقى الغربية والبيان على يد أمير اللواء **Guatelli** باشا ، وأمير اللواء **Dussep** باشا ، وأمير اللواء **Lombardi** بك ، والعزف على البيان على يدي **Aleksan** أفندي ، والخط عن جلال الدين أفندي واعتبارا من 1850 على يدى القضعسكر (القاضي العسكري) توسيالي مصطفى عزت أفندي والعزف على الكمان ، على يدى الكماني هدايت بك ، والفارسية على يدي قضعسكر روملي عجم علي محوي أفندي والصدر الأعظم صفوت باشا . والعربية على يدي القضعسكر شريف أفندي ، وفريد أفندي ، وشيرين حافظ أفندي ، وعمر خلوصي أفندي وتلقى الفرنسية عن مشير نامق باشا و **Mosyo Gardet** ، والتركية ، والأدب العثماني والعلوم الإسلامية وخاصة الحديث (البخاري) عن كموشخانة لي كردانقيران عمر خلوصي أفندي ، والاقتصاد السياسي عن وزير المعارف وزير محمد طاهر منيف باشا عام 1876 ، والتاريخ العثماني ، عن مؤرخ الوقائع القضعسكر لطفي أفندي ، والرياضة والفروسية عن مربيه محمد صادق آغا وبعد وفاته في 1857 عن مابينجي عثمان بك ، والأدب الفرنسي عن الصدر الأعظم إبراهيم أدهم باشا ، وآداب الطريقة الشاذلية عن شيخه طرابلس غربلي محمد ظافر أفندي ، وبعد وفاة هذه الشخصية ، تلقى آداب الطريقة القادرية على يد شيخه عبد الله أفندي ، ودرس علوم التصوف اعتبارا من 1879 على يد شيخه قضعسكر روملي حلبلي (خان سيحون) صيّاد – زاده أبو الهدى أفندي ، وتعلم العسكرية على يد ضباط عديدين قاموا بواجب زرافق الهنكار (السلطان) . أشرف على تدريسه جميع هذه الدروس وامتحنه فيها ، وزير أحمد كمال باشا (1808 – 1887) الذي صار وزيرا للمعارف 6 مرات ، وللأوقاف مرتين .

السلطان حميد من السلاطين النوادر الذين لم ينتسبوا إلى المولوية . مربياته هن أولا – نركس – مثال خلقه ، ومن ثم دلبر – جنان خلقه . أجرى له عملية الختان وزير دكتور حكيم إسماعيل باشا في قصر حيدر باشا عام 1847 عندما كان في الـ 5 من عمره وبدأ الدراسة في نفس اليوم . أخوته في الرضاعة هم مناعير – زادة نوري بك ، أثوابجي باشي عصمت بك (1842 – 1906) ، طيّار – زادة أحمد بك الذي توفى في سن الـ 6 . ومع أن تربيته جرت على يد بيرستو قادين أفندي ، فإن السلطانة – الوالدة برتونيال والدة السلطان عزيز أشرفت كذلك على تربيته . نظم السلطان حميد عدة أشعار ، وهو أيضا رسام ، وعازف على البيان ، وعازف على الكمان ، وخطاط ، كتب عدة الحان على طراز الموسيقى الغربية . لم يتعلم الموسيقى التركية . لكن استعداداته في الفنون الجميلة تجلت في نجارته الدقيقة ، ويعتبر أثاث الصالون الذي صنعه بيده من أرفع آيات الفن النّجاري . بعض هذه القطع موجودة في المتاحف ، والتي منها مملوكة لأشخاص ، تشترى وتباع بمبالغ ضخمة جدا . تعلم النجارة عن خيل أفندي .

كانت سن عبد الحميد أفندي – أحب الأولاد لأبيه ، عند وفاة أبيه – تتجاوز الـ 18 عاما بـ 8 أشهر و 9 أيام . وعند جلوس عمه ، صار ولي عهد ثانيا ، وظل في هذا المنصب طيلة 15 عاما . اشترك في سياحات عمه التي زار فيها مصر وأوروبا . تقابل مع الحكام والأمراء الذين زاروا إستانبول على عهد عمه ، وأهم الذين زاروا عمه من هؤلاء الحكام إمبراطورة فرنسا Eugénie (1869) ، وإمبراطور – ملك ، النمسا – المجر Franz Joseph (1869) ، وولي عهد بروسيا (ثم الإمبراطور – ملك) Friedrich الأول (1869) ، أمير غال (ثم الملك ادورد السابع) (18621869-) ، ناصر الدين شاه (1873) ، وولي عهد فرنسا الأمير نابليون . وتقابل كذلك مع مجاهدي المسلمين والعرب العظام كالشيخ شامل والأمير عبد القادر .

وخلال فترة إمارته ، كانت له شقة خاصة في دولمة بقجة لكنه لم يكن يسكنها بصورة دائمة بسبب كثرة المراسم في قصر البادشاه ، كان يمكث معظم الوقت في مزرعته الكائنة في طرابيا ، قصر مسلخ الكائن في كاغدخانة ، سراي والدته المعنوية بيرستو قادين الكائن في ماجقة .

كان عبد الحميد أفندي ذا صحة جيدة ، يزاول الرياضة ، وركوب الخيل واستعمال السلاح . مارس الشراب فترة من الزمن ثم تركه . لم يكن يتوانى أبدا في أداء واجباته الدينية . كان مقتصدا ، لكنه لم يكن شحيحا . لديه قدرات وبخاصة في الأمور المالية . كان أغنى الشهزادات (الأمراء) ؛ ففي الوقت الذي بلغت فيه ديون أخيه الكبير مراد أفندي مليون قطعة ذهبية عام 1876 تقريبا . بلغت قيمة مزارعه وأمواله غير المنقولة وسنداته وجواهره ونقوده ملايين القطع الذهبية . حذرا ، كتوما جدا ، قليل الكلام كثير الإصغاء . كان ولوعا جدا بتمحيص أخلاق البشر والنفوذ إلى نقاط ضعفهم . من الصعب جدا غشه . كان أبوه يقول له عند تودده إليه « ابني الشكّاك والصامت » انتمى إلى جمعية العثمانيين الجدد في بداية تشكيلها كأخيه الكبير ، وخلال سنة ، اكتشف غاية الجمعية ووجدها مضرة بمصالح الدولة وسحب يده منها ، بينما ظل أخوه مرتبطا بها إلى النهاية . كان يقابل الشعراء والفنانين والصحفيين ورجال الدولة والأجانب ويحميهم ويهتم بهم ، لم يكن يحضر كأخيه موائد الشراب ويتكلم بما لا يعني . كان يحب عمه بإخلاص ويحترمه ، لم يستطع أن ينسى حتى نهاية حياته فاجعة خلع عمه وقتله . كان قد ترعرع مع أخيه الكبير مراد أفندي ، كانا صديقين ، يحب أحدهما الآخر من صميم قلبه . لكنه لم يكن يستصوب طريقة حياة أخيه . وبخاصة عندما شاهد اشتراكه في الدسائس ضد عمه ، وكان يبتعد عنه بنفس مقدار تورطه . لم تكن له علاقة مع أخيه محمد رشاد أفندي الذي خلفه ، لم تكن طباعهما متفقة . أما أخوه أحمد كمال الدين أفندي الذي ولد بعده ، فكان يحبه جدا ويصادقه . وكان هنالك فارق كبير في العمر بينه وبين أخيه برهان الدين أفندي الذي ولد بعد ذلك ، فكان يحبه ويقوم بحمايته كابنه . لم يكن محبا لأخوته المؤخرين نور الدين وسليمان أفندي . كان يحب أصغر أخوته ، وحيد الدين أفندي الذي سنه ، سن ابنه ، وكان يبسط عليه حمايته .

كان عبد الحميد أفندي يشبه عمه السلطان عزيز في طريقة حياته . يعيش محافظا على التقاليد الشرقية ، الإسلامية ، العثمانية ، التركية . وكان من مؤيدي المحافظة عليها . كان يرى أنه ينبغي الوقوف عند اقتباس تكنولوجيا وعلم الغرب فقط ، والاطلاع على الثقافة الغربية ، دون تقليد الغرب في معيشته ، وبذلك كان تفكيره يختلف عن تفكير أبيه السلطان مجيد وأخيه الكبير السلطان مراد ، لم يرتح لتفرنجهم . كان مؤمنا بنظام

التنظيمات ، وكان معجبا بجده السلطان محمود . كان يعلم أنه ورشيد باشا ، أنقذا الامبراطورية من التبعثر والعاقبة التي لحقت بتركستان وقفقاسيا ، كان قد درس ذلك جيدا ، وكان تفكيره مثل تفكير رشيد باشا ، الذي يعتنق مبدأ الانتفاع من التوازن الدولي . وقد كانت كل الدول تعيش على هذا النمط ، ومن غير الممكن أن تشذ العثمانية على ذلك . كان يعشق السياسة الخارجية وله في هذا الجانب قدرات ممتازة ، وكان مولعا بمعرفة كل ما يجري في العالم ، يتابع الصحافة يوميا .

عاش عبد الحميد الثاني الذي له هذه السجايا ، مدة تزيد على الـ 33 سنة ، لم يفكر فيها قط في السلطنة . كان عمه كالأسد صحة ، وكان أخوه الكبير شابا . ويحتمل ألا يلحقه الدور . لكن عمه خلع بشكل لا يخطر على البال . وأظهر أخوه الكبير علامات عدم التوازن العقلي يوم جلوسه على العرش . أحدثت واقعة جركس حسن ردود فعل على نطاق عالمي . شاهد العالم حرص وطمع رجال الدولة ، كما شاهد الظالم الجبار المسمى حسين عوني باشا ، ورأي الأطماع السريّة المستندة على القوى الأجنبية لشخص كمدحت ، والرياء والتملق الخسيس لشخص كالمترجم رشدي .

شعر عبد الحميد أفندي باقتراب دور سلطنته ، كانت مدة ولاية عهده عبارة عن مدة سلطنة أخيه الكبير وهي 93 يوما . ولو عاش حسين عوني ، لما أمكن خلع السلطان مراد . كان قصده أن يجعل صلاح الدين أفندي ابن السلطان مراد البالغ عمره 15 عاما نائبا للسلطنة إلى أن يتم شفاء أبيه ، وأن يبقى هو دكتاتورا مدى الحياة . اقنع عبد الحميد أفندي ، مترجم رشدي باشا الكبير السن بإيحائه إليه بأنه سيبقي مدحت باشا في الصدارة مدى الحياة ، وقدم إليه هدايا من البرلنت والماس ، متظاهرا أنه من مؤيدي المشروطية . الحقيقة أنهم لم يقتنعوا ، ولكن لم يكن لهم بد من ذلك . كان من المتعذر أن يبقى بادشاه مختل الشعور على العرش . لم يجر حتى احتفال السيف والتتويج للسلطان مراد . بدأ الهمز واللمز والقيل والقال على نطاق واسع ، كان أكثرية الوزراء والمشيرين يرون أنه لا مخرج من ذلك إلا بإجلاس عبد الحميد أفندي .

صوت كل النظّار (الوزراء) في اجتماع وزاري لصالح إجلاس عبد الحميد أفندي ، عدا رأي واحد أيد بقاء مراد خان .

أعلن عبد الحميد أفندي ، خاقان ـ خليفة بلقب « السلطان عبد الحميد خان الثاني » . كان عمره آنذاك 34 عاما إلّا 19 يوما .

جلس على العرش الذي أخرج إلى فناء سراي طوب قابو وتقبل البيعة (1876/8/31 ، الساعة 12) . وفي 7 أيلول جرت مراسم السيف . زار دائرة السر عسكر (رئاسة أركان الجيش) ، نظارة البحرية والمشيخة والمستشفيات العسكرية وأكل القاراوانه (الطعام المطبوخ بقدر كبير) مع الجنود كعمه . أقام مأدبة لرجال الدولة في السراي وخطب فيهم . خرج الشهزادات مع رجال الدولة إلى البحر الأسود وإلى بحر مرمرة باليخت . ذهب إلى المساجد فجأة وصلّى بين الشعب . أخرج أغوات الحرم (الخصي) من البروتوكول ، وأصبحت الرتب التي يحملونها معتبرة داخل السراي فقط . سوف نرى فيما بعد سلسلة الحوادث التي أجبرت السلطان حميد ـ الذي شوهد في صورة الحاكم الديمقراطي ـ على ملازمته سراي ييلدز ، خلال مدة قصيرة .

استقال مترجم رشدي باشا من صدارته الرابعة بعد 7 أشهر و 9 أيام (1876/12/19) . تصدّر للمرة الثانية مدحت باشا رئيس شورى الدولة . استقال رشدي باشا ؛ لخشيته من المشروطية التي تمت الاستعدادات لإعلانها ، ولسأمه من دسائس مدحت باشا التي يحيكها لإسقاطه . ولو كان يملك العزيمة القوية التي تمكنه من الاتفاق مع البادشاه ، لكان من المكن تنحية مدحت باشا وأعوانه . كانت لديه هذه المقدرة ، لكنه رجح الاستقالة .

ومن ناحية أخرى فإن اقتراب حرب روسية الجديدة ، كانت قد أخافت الدول العظمى . اجتمع مؤتمر ترسخانة في إستانبول برئاسة ناظر الخارجية صفوت باشا . عقدت 9 جلسات (1876/12/23 ـ 1877/1/20) . وبينما كان عصيان بوسنة ـ هرسك والاضطرابات في كريت مستمرة ، أعلنت كذلك إمارتا صربيا وقرة داغ العصيان ، وحتى الخديو إسماعيل أرسل وحدات مصرية إلى البلقان . وفي 29 ت1 (1876) تمكن الفريق (غازي) عثمان باشا من الانتصار بسهولة على الجيش الصربي الذي يقال إن الفريق الأول الروسي çernayef « فاتح طاشقند » كان يقوده متنكرا ؛ في المعركة الميدانية Aleksinaç . وبينما كان على وشك دخول بلغراد ، قدمت

روسيا مذكرة . منح الباب العالي إلى تبعته الصرب والقرة داغيين العصاة هدنة لمدة شهرين . مثّل في مؤتمر Tersane ، كل من إنكلترا وألمانيا وروسيا وفرنسا وتركيا والنمسا والمجر وإيطاليا ، عدا سفرائهم الموجودين في إستانبول ؛ رئيس مفوض من كل منهم . كان أهم هؤلاء وزير الهند لورد (ماركيز) سالزبوري Salisbury ، صديق الأتراك ، عدو الروس الذي سيكون بعد 4 سنوات رئيسا للمحافظين ورئيسا للوزارة . استقبل البادشاه ، هذا اللورد في 20 ك1 وتكلم معه بواسطة مشير المابين سعيد باشا الملقب « إنكليز » الذي قام بالترجمة . افاد سالزبوري ، بأنه يمكن تفادي الحرب بتقديم تعويضات طفيفة ، وإن إنكلترا ستبقى على الحياد ولا تحارب بجانب روسيا في حالة وقوع حرب ، وعلى العكس من ذلك فإن ألمانيا سوف تساند روسيا . ناقش مدحت باشا البادشاه وأصر على أن اللورد يكذب ويتكلم باسمه هو وليس باسم رئيس وزراء إنكلترا . لم يكن القيصر المصلح الكساندر الثاني ، الذي أطلق حرية 20 مليونا من اسراء الأراضي ، يريد الحرب . لكن كان في روسيا ، كما هي الحالة في تركيا صقور ، وهم الرابطة السلافية ، شنوا حملة واسعة لسحق تركيا . وفي جو كهذا ، بدأت المشروطية الأولى في الدولة العثمانية .

2 – إعلان المشروطية الأولى (1876/12/23) نفي مدحت باشا (1877/2/5) افتتاح مجلس المبعوثان (النواب) (1877/2/19) :

يمكن اعتبار نظام « المشروطية الأولى » التي تسمى (الديمقراطية المتوجة) الذي عاش مدة قصيرة جدا والمعروف كذلك باسم « مشروطية 93 » (بالنسبة إلى السنة الرومية 1293) ، أثرا لمدحت باشا . أعلن القانون الأساسي (الدستور) بصورة رسمية (1876/12/23) ، وبقي ساري المفعول حتى عام 1960 .

لم يحدث إعلان الدستور لدى الدول الأوروبية تأثيرا مواليا للعثمانية ، على عكس ما كان يتصوره مدحت باشا . لكن الباشا الذي لم يدرك ذلك ، استمر على تحريضه لإشعال نار الحرب . مؤتمر ترسخانة ، كان يضغط على الباب العالي لإجراء إصلاحات في إيالات ألطونة (بلغاريا) وبوسنة – هرسك . شكّل مدحت باشا في الباب العالي مجلسا فوق العادة يتألف من : 240 شخصا (60 منهم مسيحيون) لغرض مراجعة

مقترحات المؤتمر (1877/1/18). خطب في هذا المجلس بشكل اتهم فيه مقدما ، الذين يصوّتون ضد الحرب بأنهم غير محبين لأوطانهم بل واتهمهم بالخيانة . وفضلا عن أنه هاجم روسيا بألفاظ لا يصح أن تصدر من رئيس حكومة ، فإنه تطاول على الدول الأوروبية الأخرى كذلك . رفض المجلس اقتراحات مؤتمر ترسخانة ، ووزع الباشا الدراهم على طلاب المدارس الدينية وعلى صنف العاطلين ورتب مظاهرات ساقها حتى نافذة البادشاه تنادي بـ « الحرب » . لم تكن الصحافة العثمانية الجديدة بأقل من الباشا تحريضا على إشعال نار الحرب . ذهب السكون وبدأت ريح الانقلاب تعصف . كان من الطبيعي ألا تسري قواعد الدبلوماسية في مثل هذا الجو ، وإن سرت فإن نتيجتها سوف تكون عكسية . متملقا مدحت باشا الاثنين الجهلة ؛ داماد محمود جلال الدين باشا ومشير رديف باشا ، أفادا للبادشاه بأن الجيش كذلك يطلب الحرب وأن روسيا سوف تندحر ، وأن إنكلترا بطبيعة الحال ستقف بجانب تركيا في الحرب . ورغم أن عبد الحميد الثاني [illegible] بهذه المعلومات ، لم يكن بوسعه منع وقوع الحرب ؛ إذ أن الذين يتشبهون بزعماء ثورة الفرنسية الكبرى ، سوف يخلعونه عن العرش ويجلسون أخاه الكبير السلطان مراد الذي قيل أنه شُفي ويعلنون الحرب . صادق الخاقان على رفض مقترحات مؤتمر ترسخانه . عين جميع سفراء الدول العظمى الموجودين في إستانبول ، قائمين بالأعمال بدلا عنهم وتركوا العاصمة العثمانية . أصبحت تركيا بمفردها وجها لوجه أمام روسيا . بالرغم من كل هذا لم يتراجع مؤيدو الحرب عن تفكيرهم .

لم تدم صدارة مدحت باشا الثانية ، في غمرة هذا الجو الهائج ، أكثر من 47 يوما . عزل عبد الحميد الثاني ، الصدر الأعظم (1877/2/5) . لم تدم صدارتا مدحت باشا ــ الذي أصبح اسمه حديث الجميع والذي روّج أنه أدار دفة الإمبراطورية سنين طوالا ــ أكثر من 4 أشهر و 6 أيام . ومجموع مدة عضويته في وزارات الإمبراطورية كرئيس لشورى الدولة ، ووزير للعدل ، ووزير للدولة عبارة عن سنتين و 4 أشهر و 12 يوما . نشأت شهرته من كونه أقوى والي إيالة انجبته التنظيمات . صار واليا عاما على كل من إيالة ألطونة التي تزيد مساحتها على بلغاريا الحالية ، إيالة بغداد التي تزيد مساحتها على العراق الحالية ، وإيالة سورية ، وإيالة آيدن التي مركزها أزمير وتشمل منطقة إيجه

بكاملها ، إيالة أدرنة التي تشمل كامل تراقيا ، إيالة نيش التي تشمل كل صربيا الجنوبية ، سلانيك (مكدونيا الجنوبية) . شهرته الأولى عمّت في إيالة ألطونة . وضع هنا أسس النهضة لبلغاريا الحالية . وإضافة إلى تأمينه استتباب الأمن والنظام بشكل جيد جدا ، تمكن من تحقيق أعمال كبيرة في المجالات الاقتصادية والتجارية والاعمارية والمواصلات ، مستندا على عشق السلطان عزيز الشديد للاعمار . أثنت عليه الصحافة الأوروبية كثيرا وقدّمته على أنه من أقوى الولاة في العالم . وفى الداخل قامت الصحافة — التي يوجهها العثمانيون الجدد — بنفس العمل . وبينما اتخذ العثمانيون الجدد من مدحت باشا وسيلة لتحقيق غرضهم وجعل زعيمهم الشاعر ضياء باشا صدرا أعظم ؛ إذا به يدوس على ظهور العثمانيين الجدد ويعتلي بواسطتهم السلطة ، وتتأزم علاقته مع الزمرة القيادية للعثمانيين الجدد . وعندما أسس علاقات متينة مع إنكلترا ، وشاهد الصدور العظام وحتى السلاطين ، احتضان لندن في مختلف المناسبات ، لمدحت باشا ، اضطروا إلى منحه السلطة رغم عدم محبتهم له . والسبب في أنه لم يكن محبوبا ، أنه كان أنانيا إلى درجة مذهلة ، يقيم كل الأمور من زاوية نفعه الشخصي ، يرتب كل ليلة موائد الشرب ، يضع أكبر أسرار الدولة المحظورة النشر موضع نقاش وجدل ، يحاول إخافة البادشاه وأصدقائه الوزراء ويهددهم بصحافة إنكلترا والصحافة العثمانية . لم يتمكن أبدا من النجاح في الإدارة المركزية كنجاحه في إدارة الإيالات ؛ كان يجهل السياسة الخارجية تماما لعدم نشوئه في السلك الدبلوماسي . ولذلك فقد ارتكب أخطاء كبيرة وعديدة . ولأن الدولة العثمانية ، لم تكن دولة شعب واحد بل اتحادا لمختلف الشعوب ، فهي تكوين سياسي لا يمكن أن يديره صدر أعظم ووزراء لا يتقنون السياسة الخارجية إتقانا جيدا .

لم يكتف عبد الحميد الثاني بعزل مدحت باشا ، بل نفاه خارج حدود العثمانية . وقد استند في ذلك على المادة التي أدخلها مدحت باشا إلى الدستور خلافا لأسس التنظيمات والتي تمنح الحاكم حق نفي الأشخاص الذين يرى أن بقاءهم مضر من الناحية السياسية . مدحت باشا الذي استند على هذه المادة ، خلال صدارته القصيرة ، في نفي عدد من مخالفيه من رجال الدولة ؛ مهد في ذلك السبيل للخاقان الشاب . والسلطان عبد الحميد الذي شاهد مبلغ سهولة تطبيق هذه المادة ، طبقها أولا على أستاذ هذه المادة .

صار إبراهيم أدهم باشا ، الذي أصبح قبل مدة رئيسا لشورى الدولة بعد أن كان في سفارة برلين ، صدرا أعظم مكان مدحت باشا . كان مدرسا للّغة الفرنسية للبادشاه في عهد إمارته . أخرج مدحت باشا بسفينة خاصة ، إلى برنديزي بناء على طلبه .

افتتح مجلس النواب ، بعد نفي مدحت باشا ، على أيام صدارة أدهم باشا (1877/3/19) . كانت عضوية مجلس سناتو الإمبراطورية التي تسمى « مجلس أعيان أعضاليغي » (عضوية مجلس الأعيان) ، مدى الحياة . أما انتخابات النواب فكانت على مرحلتين . حتى الإيالات البعيدة كاليمن ، ليبيا ، بوسنة .. فانتخبت نوابا وجاءوا إلى إستانبول . بعضهم كان يحضر إستانبول لأول مرة في حياته . كان بعضهم يحسن التكلم بالتركية بالدرجة الكافية، وبعضهم لا يستطيع التكلم بالمرة . ولأن اللغة الوحيدة في المناقشات هي اللغة التركية ، فقد كانوا فقط يرفعون أصابعهم . افتتح المجلس السلطان عبد الحميد الثاني بخطاب . اشترك في الافتتاح أخواه ولي عهد السلطنة محمد رشاد وولي العهد الثاني أحمد كمال الدين أفندي . ترأس المجلس أحمد وفيق أفندي (باشا) . وأخذ في تنظيم وإدارة الجلسات ، حيث لم تكن ماهية النظام البرلماني ، (ما يجب وما لا يجب عمله) ، معروفة ، كانت الأصوات تعلو من كل جانب .

وقعت خلال ذلك ، الدول الأوروبية الـ 6 العظمى ـــ التي سحبت سفراءها من إستانبول ، فيما بينها ، عدا العثمانية ـــ بروتوكول لندن (1877/3/31) . يعرض هذا البروتوكول على الباب العالي شروطا أخف من شروط مؤتمر ترسخانة . يؤمن حدود العثمانية مقابل إجرائها بعض الإصلاحات في الإيالات البلقانية لصالح الرعايا المسيحيين ، وكانت روسيا بالذات مشتركة في هذا التأمين . كان البروتوكول يطلب إعطاء قضاءين من سنجق (ولاية) هرسك المسكونة بالصرب الأرثوذكس ، إلى إمارة قره داغ . سوف تستمر قره داغ في تبعيتها للعثمانية . ويطلب المؤتمر كذلك انسحاب كل من الجيشين العثماني والروسي واللذين احتشدا في الأشهر الأخيرة على الطونة بشكل متقابل ، وإعادتهما إلى العدد كانا عليه كل منهما في وقت السلم . وافق القيصر على ذلك . ورفض الباب العالي هذه الشروط (1877/4/10) . وبناء على ذلك ، أبلغ القيصر الكساندر الثاني الذي لا يريد الحرب ، الباب العالي طالبا إعطاء قضاء Niksik فقط إلى قره داغ ، وبهذا فقط يمكنه إرضاء الوطنيين من الرابطة السلافية الموجه [illegible] روسيا والذين

يريدون الحرب ، وقره داغ هي أساسًا قطعة من الإمبراطورية التركية . صار رفض الباب العالي لهذا الاقتراح الأخير فاجعة على العثمانية . لم يفكر الباب العالي فيما سيفقده ويضحى به مقابل عدم إعطاء قضاء تافه مسكون بالمسيحيين إلى قره داغ ، بدعوى أنه « مخالف للقانون الأساسي » (مغاير للدستور) . دُعي القائم بالأعمال العثماني في بطرسبورغ توفيق بك (توفيق باشا آخر صدر أعظم للدولة العثمانية) إلى وزارة الخارجية وأعطي له جواز سفره . زار القائم بالأعمال Nelidof لسفير روسيا في إستانبول الفريق الأول الكونت Ignatiev الموجود في أوروبا ، وزير الخارجية صفوت باشا ، وقدم مذكرة إعلان الحرب لقيصره ، بكل احترام ؛ استصحب معه منتسبي السفارة ، اثنان منهم أمير ، وركب يخته وذهب إلى أوديسا . بدأت الحرب الكبرى (1877/4/24) . أن هذه الحرب الروسية – التركية التي اشتهرت في التاريخ العثماني باسم « حرب 93 » إذ حدثت سنة 1293 الرومية ، هي أكبر حرب عالمية جرت خلال الفترة بين الحرب الألمانية – الفرنسية عام 1870 – 71 والحرب الروسية – اليابانية عام 1904 – 1905 .

بلغ تعداد العالم خلال هذه الأيام (أوائل 1876) 1326 مليونا (1137 مليونا في 1850) . كان تعداد سكان الدول العظمى 898 مليون نسمة في 1850 ، 1108 ملايين نسمة في 1876 . وبينما كان تعداد جميع الدول الأخرى في 1850 ، 219 مليون نسمة ، هبطت في 1875 إلى 189 مليون نسمة . كانت الدول العظمى في 1876 بالنسبة إلى تسلسل الأهمية هي : إنكلترا ، ألمانيا ، روسيا ، فرنسا ، تركيا ، النمسا – المجر ، الصين ، الولايات الأمريكية المتحدة ، إيطاليا ، أسبانيا . وخلال ربع قرن (1850 – 1875) ارتفع تعداد إنكلترا مع مستعمراتها من 259 مليونا إلى 303 ملايين ، وألمانيا من 17 مليونا (بروسيا فقط) إلى 42 ، وفرنسا من 39 مليونا إلى 45 ، وروسيا من 68 مليونا إلى 89 ، وتركيا من 54 مليونا إلى 64 ، والنمسا من 39 مليونا إلى 38 ، والصين من 380 مليونا إلى 430 ، وأمريكا من 23 مليونا إلى 45 ، وإيطاليا إلى 27 مليونا ، وأسبانيا من 19 مليون إلى 25 .

وفي 1850 ، زاد عدد المدن التي يربو تعداد سكانها على مليون نسمة من 5 إلى 8 ، والتي عدد سكانها بين نصف مليون ومليون من 6 إلى 14 ، والتي عدد سكانها بين

المائة ألف ونصف مليون من 104 إلى 169 ، والتي بين الخمسين ألف والمائة ألف من 187 إلى 192 ، وجميع مدن العالم التي يزيد عدد سكانها على الخمسين ألفا من 291 إلى 375 . وفي 1876 كان عدد المدن التي يتجاوز سكانها الخمسين ألفا في إنكلترا 86 ، وفي تركيا 39 ، وفي الصين 34 ، وفي ألمانيا 28 ، وفي فرنسا 26 ، وفي أمريكا 23 ، وفي روسيا 16 ، وفي أسبانيا 15 ، وفي إيطاليا 14 ، وفي اليابان 13 ، وفي النمسا 11 ، وفي هولندا 10 ، وفي إيران 9 ، وفي جميع بقية الدول 51 مدينة .

وفي هذا التاريخ ، ولأول مرة في العالم يصل تعداد سكان مدينة إلى 4 ملايين : لندن 4 ، باريس 2,2 ، نيويورك 1,9 ، بكين 1,7 ، إستانبول 1,2 ، برلين 1,2 ، فينا 1 ، كانتول 1 مليون .

3 – حرب 93 (1877/6/22 – 1878/1/31) :

كان السردار الأكرم مشير عبد الكريم نادر باشا قائدا لجبهة ألطونة وكان يعرف بين الشعب باسم « عبدي باشا » ، كان مقره العام في مدينة شومنو في دلي أورمان . كانت مجموعة جيوش ألطونة لعبدي باشا ، 3 جيوش : مركز جيش الغرب Vidin (مشير عثمان باشا) ، ومركز جيش الشرق روسجوك (مشير أحمد أيوب باشا) ، مركز جيش الجنوب قيزانلق (مشير سليمان باشا) . لم يكن جيش الجنوب قد احتل مكانه عند بدء الحرب ، كان ينتظر قدومه مع فرقة سليمان باشا الموجودة معه في Mostav (هرسك) . وعدا مجموعة الجيوش هذه ، كان لكل من الولاة العسكريين ولي باشا في بوسنة سراي ، ومشير علي صائب باشا في إشكودرا ، ومشير محمد علي باشا في يني بازار فرقة ، يشكلون جبهة تجاه امارتي صربيا وقره داغ العاصيتين . ومن ناحية أخرى كانت توجد في كل من Epir (Yanya) ، Tesalya ، Girit فرقة تجاه اليونان . وبين هذه الجيوش ، تبلغ مجموعة جيوش ألطونة ، 000 200 جندي وأكبر وحدة فيها ، هي جيش أيوب باشا الذي يحتوي على 000 100 جندي تقريبا .

كانت قوات الروس عند بدء الحرب في جبهة ألطونة تبلغ 000 250 جندي و 800 مدفع . وكان احتياطهم كبيرا إلى درجة لا تقبل القياس مع احتياطي العثمانية . كان الخيالة الروس قد جهزوا تجهيزا فائقا . كانت الأسلحة النارية ، لدى العثمانية ، أحدث

وأمتن . ومن ناحية أخرى ، كان على رأس وحدات العصاة في إمارة صربيا جنرالات وضباط روس . وكان في إمارة رومانيا التابعة للعثمانية جيش حديث مكون من 50 000 شخص (4 فرق) .

كانت نقاط الضعف الاستراتيجية والعسكرية متعادلة في كلا الطرفين المتحاربين . ونقاط الضعف هذه كانت كبيرة في كلا الطرفين . إمبراطوريتاهما كانتا متراميتي الأطراف . روسيا تمتد بين المحيط الهادي وبحر البلطيق ، وبين بحر الشمال الجليدي والخزر والبحر الأسود ؛ أما العثمانية ، فكانت تمتد بين أوروبا الوسطى وأفريقيا الوسطى . بناء على ذلك ، لم تكن كل من الإمبراطوريتين قادرة على حشد قواتها العظمى والحرب في جبهات ضيقة كجيوش ألمانيا وفرنسا البرية . الجبهات كانت واسعة . لم يكن بإمكان كل الإمبراطوريتين إخلاء أقطارها البعيدة من الجيش وحشده في الجبهة . كان الجيش العثماني السابع في اليمن ، كان لدى العثمانية فرقة في كل من الحجاز واليمن ، كما كان لها قوات في الحدود الإيرانية . لم يكن اشتراك هذه القوات في القتال ، واردا في أي وقت من الأوقات . المواصلات في العثمانية ، كانت أسوأ مما كانت عليه في روسيا ، كانت العثمانية من حيث التعداد ، أقل من روسيا بشكل لا يقبل النسبة ؛ حيث كانت جماعة المسيحيين الكبيرة ، لا تشترك في الخدمة العسكرية .

وضع رومانيا كان حرجا . طلبت رومانيا صديقة الأتراك وعدو الروس عند بدء الحرب من الباب العالي أن يمنحها الاستقلال وأن تنفصل عن كيان الإمبراطورية العثمانية ، وفي هذه الحالة تبقى على الحياد في الحرب . رفض الباب العالي هذا الطلب بخشونة . وهكذا رمى بشعب لاتيني في أحضان روسيا التي تتزعم السلاف ، واشتراك القوات الرومانية الفتية في الحرب بجانب روسيا ، قضى على التوازن الموجود في جبهة ألطونة . وسنرى فيما يلي ، الوضع في الجبهة القفقاسية .

اجتاز الجيش الروسي ألطونة بنجاح ، بعد إعلان الحرب بشهرين . تمكن ، ليلة 21 حزيران (1877) الجنرال الروسي ، الألماني الأصل Zimermann من عبور ألطونة من ماجين قرب إبرائيل مع جيشه البالغ 40 000 شخص . واجتازت خلال 4 أيام قوات كبيرة من Zistovi إلى الطرف المقابل . وهكذا تم انتقال الروس من رومانيا إلى بلغاريا

ودوبروجا عند حلول شهر تموز . هذا الاجتياز السهل للروس ، أدهش العالم وجعل العثمانية تخسر الحرب منذ البداية . المسئول عن ذلك هو ضابط ركن نشأ في فيينا لكن معلوماته العسكرية كانت قديمة ، هو عبدي باشا الكبير السن . لم يستفد من عدم سماح السردار الأكرم عمر باشا للروس عبور الطونة في حرب قرم وحيلولته دون ذلك بإجرائه حروبا ميدانية متتالية أثناء محاولتهم العبور . احتل الروس في 7 تموز Tirnova وفي 16 منه Nigbolu ، وفي 19 منه ممر شبقا Sipka . إن الجنرال Gurko باستيلائه على ممر شبقا ، وقطعه بذلك خطوط اتصال القوات العسكرية العثمانية التي بقيت في شماله وجنوبه قد أحرز نصرا كبيرا . وبالنسبة للجانب العثماني ، كان ذلك خطأ فادحا وتقصيرا كبيرا لذا عزل عبدي باشا في 17 تموز . صار المشير محمد علي باشا قائدا عاما . كان عسكريا ممتازا ، أكمل تحصيله العسكري في ألمانيا ، لكنه لم تكن لديه التجربة الكافية لإدارة حرب كبرى كهذه ، فضلا عن تحويلها إلى انتصار . ولصغر سنه لم يكن بمكنته السيطرة على المشيرين الآخرين ، بقدر ما كان ممكنا لعبدي باشا . وأثناء ذلك سار عثمان باشا البالغ عمره 45 عاما ، والذي رقي إلى رتبة مشير قبل سنة ، مع أقسام الوحدات الباقية خارج قلاع جيش الغرب ، بمسيرة إجبارية من Vidin وجاء إلى Plevne . أخذ بتحصين بلونة التي ليس لها قلعة بسرعة وبدهاء عسكري في الاستحكام يفوق عصره . كان مقتنعا بأنه بذلك يمكنه منع زحف الروس من جبال البلقان إلى الجنوب . ولكن لتحقيق ذلك ، كان يجب إمداده من الجيوش الأخرى . أما سليمان باشا فقد ركب مع 000 25 جندي مجهز بتجهيزات كاملة ، الأسطول العثماني الذي كان بانتظاره في ميناء Bar (بالإيطالية : Antivari) على بحر Adria ، وخلال 17 يوما وصل عن طريق البحر إلى السفوح الجنوبية لممر شبقا (1877/7/26) . نقل جيشه عبر البحار وأنزله في ميناء ده ده آغاج ، ونقله من هناك إلى قيزانلق ودمج الوحدات الموجودة هنا ، وشكل جيش الجنوب .

أدرك الجنرال الروسي ، الألماني الأصل Childer - Sehuld نية عثمان باشا وأراد المجيء بسرعة إلى بلونة لكنه شاهد الباشا الذي وصلها قبل 6 أيام بمسيرة جبرية لا تصدق مختبئا تحت الاستحكامات الترابية . أراد قصف جنود عثمان باشا الذين أعياهم حفر الخنادق والمسيرة الإجبارية ، قبل إتمامهم استحكاماتهم وتسلمهم الإمدادات .

انسحب بعد أن ترك 2847 قتيلا ومهمات على نطاق واسع (انتصار بلونة الأول 1877/7/20) . أيقن من عدم كفاية قوته وأخذ ينتظر الإمداد .

تسلم الجنرال Krudner الذي جاء حديثا القيادة ، وهو ألماني . هجم على بلونة مع 50 000 جندي و 184 مدفعا . خسر 7305 قتلى وانسحب للم شعث جيشه المشتت (انتصار بلونة الثاني ، 1877/7/30) . كانت أضرار العثمانية 100 شهيد و 400 جريح فقط . تحولت أنظار العالم إلى بلونة . كثيرون من مراسلي الحرب والملحقين العسكريين الأوروبيين جاءوا إلى طرفي بلونة الروسي والعثماني وأخذوا في متابعة الوضع . نقلت الخطوط اللاسلكية وضع بلونة إلى العالم ساعة بساعة .

سليمان باشا ، الذي أخرج Gurko من Zagva القديمة ورماه إلى شبقا (1877/7/31) ، جعل مقره قزانلق . كان يريد المرور من ممر شبقا والاتصال مع الجيشين الموجودين في الشمال . دفع بالجيش العثماني بعناد مدة 7 أيام و 7 ليال دون أن يبالي بتساقط الجنود بدفعات الرشاشات التي ترش عليهم من فوق رءوسهم أثناء عبورهم من ممر شبقا الضيق والقائم عموديا بشكل مخيف (20 – 1877/8/26) . تابع القيصر والبادشاه حركات شبقامدة أسبوع دون أن يتركوا أماكنهم ليلا قرب جهاز اللاسلكي . وفي 26 آب سحب سليمان باشا جيشه إلى قيزانلق بعد أن أيقن عدم إمكان اجتيازه الممر وتكبده خسائر جسيمة . إن مسئولية إعطاء موقع إستراتيجي كهذا إلى العدو في بداية الحرب ، يقع بلا شك على عاتق عبدي باشا . وفي ليلة 17 أيلول قام سليمان باشا بهجوم مفاجىء تجاه الجنرال لكنه لم يوفق في اجتياز الممر .

كان علي باشا في الشمال في مواجهة أخ القيصر Granduk Nikolay . دافع عن دلي أورمان . ورغم انتصاره في المعارك الميدانية آيازلر (22 آل) ، قهرمان (30 آب) ، قاجيلوفا (5 أيلول) وآبلوفا . لم يتمكن من الوقوف في مواجهة الروس الذين يتسلمون إمدادات مستمرة لا تنضب . وبذلك لم يتمكن لا من تطبيق خطة فتح الممر في هذه المرة من الشمال والوصول إلى شبقا ودحر غوركو ، ولا من تطبيق فكرة الذهاب إلى بلونة وإنقاذ عثمان باشا من الحصار . ومع ذلك كان القتال شديدا . لم يزل الوضع بالنسبة للروس مضطربا وغير واضح في مستهل شهر أيلول . في 21 أيلول

انتصر الغراندوق Nikolay ، على محمد علي باشا في الحرب الميدانية جاقيركوى . قضى محمد علي باشا أسبوعين وهو في ذهول ، و لم يتمكن من الذهاب لا إلى شبقا ولا إلى بلونة خشية فقدانه جنوده . وفي 28 أيلول عزل ، وصار مشير سليمان باشا ، قائدا عاما لجبهة الطونة . جيء به للقيادة بسبب جرأته . حيث إن عامل الجرأة فقط ، هو الذي يمكن أن يجدي نفعا في هذه الحال .

جاء القيصر ألكساندر الثاني مع أخيه قائد عام جيش الطونة الماريشال غراندوق نيقولاي أمام بلونة . قامت مظاهرات مضادة للحكومة في بطرسبورغ . بدأت المحافل العسكرية الأوروبية تستهزئ بالروس . أخذ حشد الوحدات في التزايد أمام بلونة . تسلم عثمان باشا كذلك مساعدات أقل . لكن القوات الروسية لم تكن كافية . وبناء على رجاء القيصر ، انضم الأمير كارول الأول ، مع 50 000 من الجنود الرومانيين (فرقة خيالة ، 3 فرق مشاة) ، إلى 6 فرق روسية . أعطى القيصر قيادة جيش بلونة إلى الأمير كارول . كان رئيس أركان الجيش الجنرال Tottleben ألماني الأصل كأمير رومانيا واشتهر بتشييده استحكامات سيفا ستوبول في حرب قرم . ولأول مرة في التاريخ ، أخذ الجيش الروماني الفتي ، مكانه بجانب أعدى أعدائه الروس بدافع الحصول على استقلال رومانيا . وفي هذه الأثناء اشتد القتال مع صربيا وقرة داغ . كان جيشان عثمانيان يقاتل كل منهما كلا من هاتين الإمارتين بنجاح . كان العدو يقصف بلونة ليلا ونهارا بواسطة 432 مدفعا . كان لعثمان باشا 30 000 جندي و 58 مدفعا . كانت هنالك في الضواحي وحدات تابعة لعثمان باشا ، لكن ارتباطها مع بلونة أخذ في الانقطاع على مر الزمن . وكان سليمان باشا في الجنوب يحاصر شبقا لمنع اجتياز الأعداء . كان يلزم القضاء على بلونة أولا مهما كلف الأمر . قام الروس بهجومهم العام الكبير ظنا منهم أن بلونة أصبحت ملائمة إلى درجة كافية للحملة عليها . استمر الهجوم 12 ساعة . لم تنقطع إطلاقات رصاص البنادق ولا لحظة واحدة خلال مدة الـ 12 ساعة بكثافة لم يشهدها تاريخ الحرب في العالم . خسر العدو 15 553 قتيلا 3 منهم برتبة جنرال و 350 منهم برتبة ضابط . كانت خسائر العثمانية 3 500 تقريبا بين قتيل وجريح (انتصار بلونة الثالث ، 1877/9/11) .

كانت خسائر الروس في أواسط شهر أيلول ، أمام بلونة فقط 50 000 قتيل

وجريح . لم يقدموا في أي قطاع خسائر جسيمة بهذه الدرجة . وباحتلال لوفجة Lofca في 3 أيلول ، أصبحت بلونة محاصرة من ثلاث جهات . كان طريق صوفيا في الجنوب – الشرقي مفتوحا فقط . بالإمكان تسلم العتاد من صوفيا . قطع الجنرال غوركو في 28 ت1 طريق صوفيا – بلونة بواسطة 35000 جندي . وبهذا تمت محاصرة بلونة . اشترك شعب بلونة رجالا ونساءً في القتال ، لكن العتاد قل بشكل خطر . لم يكن المشيران التركيان الآخران يساعدان عثمان باشا – أكبر عسكري تركي أنجبه العصر التاسع عشر – الذي طبقت شهرته الآفاق . نشرت وثائق هذا الوضع المشين ، بعد ذلك بمدة طويلة . منح عبد الحميد الثاني ، عثمان باشا لقب « غازي » على أثر انتصار بلونة الثالث . ورغم أن سليمان باشا أمر ، كلا من المشير محمد علي باشا والمشير رءوف باشا ، لفتحهما طريق بلونة ، فقد كان كلاهما لم يحاول ذلك . انتصر فريق دلي فؤاد باشا في 4 ك1 ، في المعركة الميدانية Elena وغنم 11 مدفعا روسيا . لكن سليمان باشا خسر المعركة الميدانية ماجقة Maeka ولم يتمكن من استعادة Tirnova . حل الشتاء وحل معه البرد والجوع والمرض .

أراد عثمان باشا ، في هذه الليلة الخروج من بلونة ، بطلعة ليلية . إلا أن يهوديا من رعايا العثمانية في مدينة بلونة ، هرب خفية إلى طرف الروس وأخبرهم بأن جيش عثمان باشا وشعب بلونة سيخرجون ويذهبون . اتخذ الروس الذين لم يصدقوا في البداية ، كل التدابير . عثمان باشا ، الذي خسر في طلعته الليلية 2 500 شهيد و 3 500 جريح ، لم يشأ إتلاف جيشه أكثر من ذلك واستسلم (1877/12/10) . قتل الحصان الذي كان يمتطيه عثمان باشا برصاصة ، الرصاصة نفسها ، كانت قد جرحت الباشا في ركبته اليسرى . ضمّد الغراندوق نيكولاي [illegible]اح عثمان باشا وجاء إلى الخيمة وأعاد له سيفه وهنّأه بسبب دفاعه المدهش . والمعلوم [illegible] مقاومة بلونة ، جاءت بمبادئ جديدة في أصول الحرب الدفاعية وفي التعبئة للاستحكام . استقبل القيصر غازي عثمان باشا وهنأه . تم سوقه إلى روسيا ، لا كأسير بل كضيف إلى نهاية الحرب مع معيته الضباط . استقبل وودع بمراسم عسكرية في كل مدينة روسية . وعلى هذا تكون مقاومة بلونة قد استمرت 4 أشهر ، 23 يوما . تكاتف الجيش الروسي – الروماني البالغ 150 000 شخص بعد سقوط بلونة وهجم بكل قواه على جيوش الشمال والجنوب للعثمانية . حيث

تم القضاء على جيش الغرب لعثمان باشا ، سواء بوحداته الأساسية في بلونة ، أو بفرقه وأفواجه المنتشرة في الغرب . لم يعامل الروس الجيش التركي الذي استسلم في بلونة ، المعاملة نفسها التي عاملوا بها عثمان باشا . قتلوا القسم الأعظم من الجيش المستسلم في الطريق بحجة سوقهم إلى روسيا .

دخل الصرب إلى نيش في 14 ك1 . أخذ القره داغيون رصيف بار ولأول مرة خرجوا إلى الأدرياتيك (1878/1/10) . احتل الرومان Vidin (1878/2/24) . أدخلت اليونان 12 000 من جنودها إلى Tesalya دون أن تعلن الحرب (1878/2/2) .

إن العداوة الشديدة والمعيبة بين القائد العام سليمان باشا وقائمقام (وكيل) السر عسكر رفعت باشا ، قضت حتى على أمل إيقاف الروس في جبال البلقان . شتّت الجنرال Radetski بجيشه البالغ 50 000 جندي ، جيش الفريق ويسل Veysel باشا وفتح ممر شبقا نحو الجنوب (1878/1/9) . استسلم ويسل باشا مع 12 000 جندي و 280 ضابطا 4 منهم برتبة آلباي (زعيم) ، وفر النصف الآخر من الجيش متفرقا دون نظام ولم يتجمع بعدها . كان سليمان باشا قد انسحب من قيزانلق إلى تاتاربازارجكي . أخذ بالانسحاب لتفادي الانكسار تجاه جيوش Radetski وقائده Gurko الذي يطارده . انسحب حتى كمولجينه . وهكذا ترك روملي الشرقية (بلغاريا الجنوبية الحالية التي تقع في جنوب البلقان) تحت وطأة أقدام العدو . وسمح للعدو بالوصول إلى تراقيا بقليل من الجهد .

احتل الروس صوفيا (3 ك2) ، قيزانلق (8 ك2) ، Samakov (9 ك2) ، تاتاربازارجكي (14 ك2) ، جيربان (14 ك2) ، Tirnova (16 ك2) ، Filibe (17 ك2) ، جسر مصطفى باشا (19 ك 2) ، وفي النهاية في 20 ك2 (1878) ، احتل الروس أدرنة من أكبر مدن أوروبا . لم يدافع عن هذه الأراضي القائد العام الانقلابي الشهير المؤرخ والأديب « بطل شبقا » المشير سليمان حسني باشا . ترك المشير أحمد أيوب باشا ، أدرنة دون دفاع وانسحب إلى قيرقلارايلي لئلا تخرب المدينة . لكنه أثناء تفجيره العتاد الزائد ، قبل انسحابه ، تسبب في تخريب آثار تاريخية عديدة بسبب تطاير الشرر . والروس الذين دخلو المدينة ، خربوا كذلك آثارا تاريخية كثيرة جدا . جاء

في 26 ك2 القائد العام الماريشال الغراندوق Nikolay إلى أدرنة . سقطت Dimetoka (26 ك2) ، أوزون كوبري (Egene) (26 ك2) ، جورلو (29 ك2) سيليوري (5 شباط) ، جطالجة (6 شباط) . وحتى يشيل كوى إحدى ضواحي إستانبول احتلت كذلك . نصب الغراندوق مقره العام فيها .

وبذلك ، تكون الحرب ، في الجبهة الأوروبية قد انتهت بانتصار الروس الحاسم . جرت حروب كبيرة في جبهة الأناضول (القفقاس) كذلك وخلاصتها كما يلي : في بداية الحرب ، كان الجيش الرابع الموجود في الحدود القفقاسية عبارة عن 90 000 جندي ، 97 مدفعا صحراويا تحت قيادة بورصة لي أحمد مختار باشا المشير الشاب ذي المقدرة الممتازة والذي فتح قبل عدة سنوات اليمن وفتح عسير مجددا . ولا يدخل ضمن هذا التعداد الجنود الموجودون في القلاع ، ومدافع القلاع . وأهمها كانت قلعة أرضروم . كان مشير خانون أوغلي كرد إسماعيل باشا قائد موقع مستحكما فيها . وكان مشير لوفجالي درويش باشا مع جيش ، في باطوم . كان الخلاف شديدا بين هؤلاء المشيرين الثلاثة و لم يرق للاثنين الآخرين تعيين مختار باشا الأصغر منهم سنا للقيادة العامة للجبهة . وتجاه هذه القوات العثمانية ، كان للفريق الأول Melinkof الأرمني الأصل 125 000 جندي و 189 مدفعا . إلّا أنه حصل على إمدادات مستمرة منذ الأشهر الأولى للقتال . أما الإمدادات التي حصل عليها الطرف العثماني ، فكانت لا أهمية لها .

بدأ القتال في هذه الجبهة قبل جبهة الطونة . احتل الروس بيازيد (1877/4/30) وأردخان (1877/5/17) وأثناء مسيرهم نحو قارص ، انهزم الجنرال Tergukasof في الحرب الميدانية Halyaz أمام أحمد مختار باشا (1877/6/21) . اتجه Melinkof إلى مختار باشا لكنه انهزم بدوره في الحرب الميدانية Zvin (1877/6/25) . عزل القيصر Melinkof ، وعين للقيادة العامة لجبهة القفقاس أصغر إخوته الثلاثة الغراندوق الماريشال Mihaylo الذي له أخ يكبره سنة واحدة Nikolay الذي كان قائدا عاما لجبهة الطونة . أنزل الفريق فاضل باشا فرقة واحدة عن طريق البحر بواسطة أسطول إلى سوخوم قلعة . انتصر مختار باشا كذلك في الحرب الميدانية كدكلر Gedikler (1877/8/25) . حصل من السلطان عبد الحميد الثاني على لقب « غازي » قبل عثمان باشا بـ 17 يومًا . ثم

هزم الروس مرة أخرى في الحرب الميدانية يخنيلر Yahniler (1877/10/4) . أحرز هذا الانتصار بجيش قوامه 34 000 في مواجهة 740 000 روسي . كانت خسائر العثمانية 2 500 والعدو 10 000 تقريبا . لكن الروس هزموا مختار باشا في الحرب الميدانية آلاجاداغ (1877/10/15) . جرت هذه الحرب في الجنوب الشرقي من قارص . هجم الروس دفعة واحدة بواسطة 254 مدفعًا ، 27 فوج خيالة و 29 كتيبة مشاة على قوات مختار باشا الضعيفة . ونظرًا لوقوع الفريق عمر باشا وحاجي راشد باشا ، أسيرين مع 6 000 جندي بأيدي الروس ، لم يستمر مختار باشا في القتال وانسحب . أدخل وحداته في 4 ت2 ، إلى أرضروم بشكل منظم جدا . كان رشيد باشا الذي وقع في الأسر رجلا دنيء النفس ، عين محافظا للبادشاه المخلوع في واقعة السلطان عزيز .

سقطت قارص (1877/11/18) . جاء الروس بكامل قواتهم إلى أرضروم واستولوا على استحكامات عزيزية . تمكن شعب أرضروم الذي دخل الخنادق والذي يشكل أكثريته النساء ، من إخراج الروس من استحكامات عزيزية بعد صدام بطولي يفوق الخيال . حصل الروس في نهاية شهر ت2 على انتصار حاسم في الجبهة الشرقية ، رغم عدم تمكنهم من احتلال أرضروم .

طلب عبد الحميد الثاني من الملكة فكتوريا لاسلكيا ، التوسط لعقد الصلح . رجت الملكة فكتوريا القيصر لاسلكيا عقد الهدنة (1878/1/19) . جاء كل من وزير الخارجية سروهر Server باشا ومشير نامق باشا إلى قيزانلق لمقابلة الغراندوق نيكولاي لعقد الهدنة . غير أن الغراندوق لم يقبل الهدنة إلا بعد الدخول إلى أدرنة (هدنة أدرنة ، 1877/1/31) . وبهذا تكون الحرب قد استمرت 9 أشهر ، 7 أيام . كان أحمد مختار باشا قد استدعي من جبهة القفقاس للدفاع عن استانبول وعين كرد إسماعيل باشا للقيادة العامة لجبهة القفقاس . لم يكن سقوط استانبول محتملا ؛ وكانت قد اتخذت ترتيبات عسكرية فائقة ، هذا علاوة على أن أوربا سوف تتكتل ضد الروس في حالة دخولهم إلى إستانبول ، خاصة أن أسطول البحر الأبيض الإنكليزي جاء أمام إستانبول بحجة الزيارة ، والحقيقة أنه جاء لمنع تعدي الروس على المدينة .

عزل إبراهيم أدهم باشا البالغ سنه 60 عاما عن الصدارة بعد 11 شهرا ، 4 أيام

وأرسل إلى سفارة فيينا (1878/1/11) . ولم يتمكن وزير الداخلية أحمد حمدي باشا من البقاء في السلطة أكثر من 24 يوما . أبعد بعد إعطائه ولاية آيدن (أزمير) . كانت سنه 51 عاما . صار أحمد وفيق باشا ، الدبلوماسي الكبير والأديب الشهير البالغ عمره 55 عاما ، صدرا أعظم (1878/2/4) . كان رئيسا لمجلس النواب وهو الذي أعد لائحة تعطيل المجلس إلى أمد غير معلوم .

4 – تعطيل مجلس النواب ونهاية المشروطية الأولى (1878/2/13) ، واقعة علي سعاوى (1878/5/20)

دامت المشروطية الأولى ، اعتبارا من تاريخ إعلان الدستور ، مدة سنة ، شهر ، 21 يوما ، ظل مجلس النواب مفتوحا خلال الأشهر الـ 10 و 25 يومًا الأخيرة . عطّل المجلس بقرار الحكومة الموشح بالإرادة السنية لأمد غير معلوم (1878/2/13) . سوف يستمر هذا التعطيل مدة 30 سنة ، 5 أشهر ، 9 أيام . هذه المدة التي استغرقت 30 سنة ونصف سنة ، هي دور الإدارة الشخصية للسلطان حميد والتي أطلق عليها معارضو النظام الحميدي « دور الاستبداد » . لم يكن البادشاه قد ألغى أو نحّى الدستور (بالعثمانية : قانون أساسي) . أفصحت الدولة عن عدم إلغائها الدستور بنشرها متن الدستور في النشرة السنوية الرسمية للدولة مدة 31 سنة متوالية ودون انقطاع ، وإن كانت أحكام الدستور لم تطبق فعليا . وطبعا كان هناك على رأس هذه الأحكام ، المجلس الشعبي الذي جاء بالانتخابات . وواقع الأمر أنه لم يكن هنالك مجلس ولا نائب منذ 30 سنة .كانت الحياة التشريعية لنواب (بالعثمانية : مبعوث) المجلس الأول عبارة عن 11 شهرا . ولم يجتمع كذلك سناتو الإمبراطورية المسمى مجلس الأعيان ، وإن كان الأعيان ، قد استمروا في تقاضي رواتبهم واستعمال صفة الأعيان بصورة رسمية مدى الحياة . وعند إعلان المشروطية الثانية في 1918 ، لم يبق على قيد الحياة من الأعيان الذين عينوا مدى الحياة سوى 3 ، واشترك هؤلاء في مجلس عام 1908 كأعضاء طبيعيين .

وعلى هذا الأساس فإن عبد الحميد الثاني ، بإدارته الدولة دون مجلس ، عاد إلى نظام التنظيمات لرشيد باشا وعالي باشا . لكنه تعدى إلى ما وراء هذا النظام وأخذ يدير الدولة شخصيا مثل جده محمود الثاني . وفي الوقت الذي لايجيز فيه نظام التنظيمات تدخل السلطان في شئون الحكومة ويجيز له إجراء السلطنة فقط ، أخذ عبد الحميد الثاني بإدارة الدولة شخصيا وباشتراكه بشئون الحكومة خلافا للتنظيمات والمشروطية التي لم يلغها بصورة رسمية . وفي الوقت الذي تعتبر فيه التنظيمات ، البادشاهات ، رءوسا للإجراء شكلا وقانونا صار هو رأسا حقيقيا وفعليا لها ولهذا اتخذ هوية بادشاه - دكتاتور ؛ حيث إنه استعمل في نظام غير ملغي صلاحيات لم تعط له . ولو كان عدّل أسس المشروطية (الديمقراطية المتوجة) والتنظيمات بصورة فعلية ، لاعتبر آنذاك قد استعمل صلاحياته الطبيعية كما فعل جده محمود الثاني ، لكنه لم يتخذ هذا الطريق .

إن كارثة 93 والتي تسمى واقعة السلطان عزيز - التي سنلخصها فيما بعد - هي النتيجة الطبيعية لقيام عدة أشخاص بخلع السلطان عزيز بدافع الحقد والانتفاع خلافا لأسس التنظيمات . خرج عن طوره ، بهذه الواقعة نظام الدولة ، الذي جاهد كل من محمود الثاني ، ورشيد باشا ، وعالي باشا وسخروا كل ما يملكون من جهد ودهاء في سبيل تقويمه وتنسيقه . كان من الواضح ومن طبيعة قوانين التاريخ ، بعد عدم الكفاءة التي أبداها الذين أعدوا فاجعة نادرة الوقوع في التاريخ التركي كفاجعة 93 ، أن يظهر سيزارا Sezar لوضع قانون جديد . إن هذا الـ Sezar هو عبد الحميد الثاني . لو كان هذا أو ذلك الباشا ، لاضمحلت الدولة . وبهذا يكون عبد الحميد الثاني قد أطال عمر الدولة 30 سنة أخرى .

ولأن فترة سلطنة السلطان حميد التي دامت 1 سنة ، 5 أشهر ، 13 يوما التي تسبق الإلغاء الفعلي للمشروطية الأولى ، قد مرت دون تدخله في أمور الحكومة ؛ فإن هذه الفترة لا تدخل ضمن فترة إدارته الشخصية ، لقد كان نفوذه في هذه الدولة قليلا ، وقد تمكن من حيازة النفوذ الحقيقي ، نتيجة انكشاف سوء تصرف معارضيه وسوقهم الدولة إلى الدمار بصورة فعلية . وبناء على ذلك ، فإن عبد الحميد الثاني غير مسئول عن هذه الدورة التي دامت سنة ونصف السنة .

ولو راجعنا محاضر جلسات مجلس المبعوثان (مجلس النواب) للمشروطية الأولى ، لشاهدنا عدم تفهم النواب ما هية المسئوليات والواجبات التي يلقيها عليهم النظام البرلماني ومحاولتهم التدخل في التنفيذ ، والأدهى من ذلك ، علاقة كل نائب من نواب الأقلية مع إحدى الدول الأجنبية وحصوله على تأييدها وتقاضيه دراهم منها وسعيهم ضد الإمبراطورية التي هم نواب لها . ظهر نواب دافعوا عن التخلي عن كريت ، Tesalya ، Epir إلى اليونان . ونواب طلبوا تأسيس إمارة أرمنية في الأناضول الشرقية . لم يكن السلطان حميد قد عثر على هذه الدولة عن طريق الصدفة ولم يكن كذلك قد ورثها عن مدحت باشا . وإنما انتقلت إليه عن أجداده . لذلك فقد حل هذا المجلس . وانقذ الإمبراطورية من الاضمحلال في تلك السنوات . ولو حدث غير ذلك ، لأصبحت تركيا في 1920 ، في وضع تدافع فيه عن قونية وسيواس وليس عن إستانبول وأزمير . كانت الإمبريالية والاستعمار في هذه الفترة في قمة الشراسة والجنون .

استصوب الأمير فون بسمارك Von Bismarek رئيس الوزراء الفدرالي للإمبراطورية الألمانية ، أكبر رجل دولة وسياسي في عصره ، حل المجلس وعلق على ذلك بقوله « إن لم يكن قوام الدولة شعبا واحدا ، فإن ضرر مجلسها يكون أكبر من نفعه » . تنفس القيصر الصعداء . حيث كان اليساريون في روسيا يطالبون بمجلس . كانوا يعيرون القيصر صراحة بأنه حتى العثمانية لها مجلس . أما الديمقراطيات الحقيقية مثل إنكلترا ، وفرنسا ، وإيطاليا فلم تكن مهتمة بالنظام الذي تسير عليه العثمانية وإنما تهتم فقط بمصالحها لدى العثمانية . كان لديهم أعوان من النواب في المجلس ؛ تأثروا لفقدانهم ، لكن الذي خفف عنهم هو اقتناعهم بأنهم سوف يتمكنون من إيجاد مؤيدين لهم من بين رجال الدولة العثمانية ، ما دامت لديهم نقود .

لكن إنكلترا كانت متأثرة . كانت دولة دنيوية (بالفرنسية : Puissance Mondiale) بالمعنى الصحيح . كانت لها مصالح خاصة في كل قطر من أقطار العثمانية . كانت تريد ، بصورة مطلقة ، أن تكون إدارة هذه الإمبراطورية المسنّة من الأشخاص المقربين لإنكلترا . كانت تتخيل إمبراطورية عثمانية ، على عرشها خاقان – خليفة مراد الخامس ، يتصدرها مدحت باشا ، وعلى رأس جيشها

بصفة ـ سرعسكر ، عوني باشا . كان قد توفي من بين هؤلاء حسين عوني باشا . ومدحت باشا في أوروبا في المنفى . كان يدبر مع المسئولين الإنكليز خلع عبد الحميد الثاني وإعادة إجلاس أخيه الكبير ـ الذي شفي من اختلال الشعور ـ مراد الخامس . ومن الطبيعي أن يعين مدحت باشا ـ في حالة عودته إلى الصدارة ـ لمنصب السر عسكر ، ماريشالا صديقا لإنكلترا .

والواقع أن إنكلترا ، لتحقيق هذا الأمل ، في دولة كبرى أذهلتها الحرب الروسية ، في الإمبراطورية العثمانية ، أرادت ـ مستفيدة من تجربتها في واقعة السلطان عبدالعزيز ـ أن تحقق مؤامرة أخرى . كان يقف خلف المؤامرة الماضية اللورد Elliot سفير إستانبول . عين بدلا منه قبل مدة قصيرة الأركيولوجي الشهير Lord Layard الذي أعد انقلابا جديدا مع وكيل إستانبول للمخابرات الإنكليزية Intelligence Service . اختاروا لهذه المؤامرة الصحفي علي سعاوي أفندي ، من العثمانيين الجدد . وزع سعاوي أفندي النقود على قسم من المهاجرين المساكين القادمين من روملي الناجين من سيوف الروس والبلغار والذين تجمّعوا في إستانبول وأحالوا مدينة العرش إلى يوم حشر . اقتحموا سراي جراغان ciragan الهمايوني ، محل إقامة مراد الخامس الكائن على المضيق ؛ ولذا سمي هذا الحادث بواقعة علي سعاوي أو اقتحام جراغان (1878/5/20) .

دخولهم إلى السراي بسهولة رغم وجود الجنود في كل مكان ، دليل على وجود خيانة . هب محافظ بشكتاش حسن باشا ، وتناول عصا من أحد الحراس أهوى بها على رأس الصحفي التركي غير المتوازن وقتله . كان سلطان مراد أثناء ذلك يخرج من السراي مع سعاوي أفندي الذي يتأبطه .

كان علي سعاوي ، متزوجا بامرأة إنكليزية « جميلة جدا وأنيقة جدا » اسمها ماري . وعند عدم تسلمها الإشارة المتفق عليها من جهة جراغان ، أحرقت أوراق زوجها السرية وهربت بسفينة أجنبية تنتظرها في الميناء . ذهبت إلى لندن ، تزوجت هناك بشخص أرمني واستقرت في باريس . غضب البادشاه بشدة لعدم القبض على المرأة وحرق الأوراق . حرق الاتحاديون أوراق سراي يلدز المتعلقة بهذا الحادث في ميدان بيازيد مع الوثائق الأخرى عام 1909 . ولا يزال الأرشيف الإنكليزي يمتنع عن فتح

أضابير من هذا القبيل إلى المؤرخين . غير أنه من الواضح أن ماري سعاوي من المخابرات الإنكليزية .

مات في الاقتحام 23 متمردًا ، 15 منهم جرحوا . حوكم الكثيرون في ديوان حرب عرفي (المجلس العرفي العسكري) (لم يصدر حكم بالإعدام) . تمت السيطرة على المؤامرة خلال ساعتين . لكن تأثير هذا الحادث ، شوهد في تصرفات عبد الحميد الثاني طيلة 30 عاما . وكلف الشعب الكثير من الأذى . عبد الحميد الثاني الذي شاهد خلال 3 أشهر ، خلع سلفيه ، ومقتل عمه المفجع ، زادت أوهامه وشبهاته بشكل كبير ، بعد محاولة مؤامرة كهذه جرت في زمن غير متوقع أبدا ، وبزعامة شخص غير متوقع أبدا . تجربة تدبير مؤامرة غريبة قلما تقع حتى في جمهوريات الموز والكاكاو في أمريكا اللاتينية ، ووقوعها في إمبراطورية كبرى تقف على شفا هاوية ، جيوش الأعداء على أبواب مدنها ، أسفرت من حيث النتيجة ، عن نظام بوليسي . شكل السلطان حميد بعد ذلك ، تشكيلات أمن سريّة مرتبطة به شخصيا ، أقلق موظفو هذه التشكيلات الذين يسمون « خافيه » (تحري) راحة الشعب بشكل كبير طوال 30 عاما وحددوا حرياتهم الطبيعية . ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر أن هؤلاء ، خدموا أمن الدولة طيلة الـ 30 سنة .

عزل عبد الحميد الثاني ، الصدر الأعظم صادق باشا ، الذي يعتقد أنه وراء هذا الحادث . كان صادق باشا ، الذي صار صدرا أعظم (1878/4/18) بعد صدارة وفيق باشا التي دامت شهرين ، و 9 أيام ، في الـ 52 من عمره . جيء بدلا عنه ، بعد 40 يوما بمترجم رشدي باشا للمرة الخامسة . كانت إنكلترا قد أومأت للبادشاه بتعيينه للصدارة ، كان السلطان حميد أثناء ذلك ، في وضع يستند فيه – لعقد الصلح الروسي – في الدرجة الأولى ، على الإنكليز الذين يكرههم في الأصل أكثر من الروس . صدارة رشدي باشا البالغ سنه 67 عاما الخامسة هذه ، كانت 7 أيام . مجموع صداراته الخمس سنتان ، 23 يوما . أشهر صداراته هي الثالثة التي اشتهرت بإدراكه دور 3 بادشاهات . وفي صدارته هذه الثالثة كان رشدي باشا ، صدرا أعظم أخيرا لعبد العزيز خان ، الوحيد لمراد الخامس ، والأول لعبد الحميد الثاني . صار صفوت باشا صدرا أعظم وهو من صنائع رشيد باشا ، دبلوماسي مجرب في الـ 63 من عمره . شغل 6 مرات منصب وزير الخارجية وسفير .

5 ـ معاهدتا آياستافانوس (1878/3/3) وبرلين (1878/7/13)

أرادت روسيا أن تملي على العثمانية المغلوبة ، شروطها في الصلح بمعاهدة آياستافانوس (باليونانية : Aya Stephanos بالتركية : يشيل كوي) (1878/3/3) قبل تدخّل الدول العظمى الأخرى . وقع كل من وزير الخارجية صفوت باشا وسفير برلين سعد الله بك (باشا) وهما يذرفان الدموع ، على هذه المعاهدة ، التي لم يعمل بها في أي وقت من الأوقات . وقع عن روسيا الجنرال كونت Lgnatief و Nelidof . وبموجب هذه المعاهدة المكونة من 29 مادة (والتي أصبحت بمعاهدة برلين بعد 4 أشهر ، 11 يوما كأن لم تكن) .

تشكل إمارة بلغارية بسعة غير طبيعية ، حيث أن هذه الإمارة التابعة للعثمانية امتدّت حتى بحر إيجة .

تقسم أراضي روملي العثمانية إلى ثلاث .

تعطى بلغاريا ، مكدونيا ، تراقيا الغربية ، قيرقلارايلي ، إلى هذه الإمارة المستقلة ذاتيا والتي تقرر أن تكون ألعوبة بيد الروس .

تعطى روسيا ولايات قارص ، أردخان وبيازيد (آغري) وقضاء باطوم .

تترك ولاية نيش إلى صربيا ، وتوسع مساحة قره داغ .

حال عبد الحميد الثاني بجهد جهيد ، دون إعطاء 6 بوارج من أحدث سفن الأسطول العثماني كجزء من غرامات الحرب إلى روسيا .

تلقت الدول العظمى معاهدة آياستافانوس ، التي تؤمن التفوق الروسي في البلقان على حساب العثمانية والنمسا ، والتي توصل روسيا إلى إيجة ، بواسطة بلغاريا المستقلة ذاتيا ، وبطريقة غير مباشرة إلى البحر الأبيض ، وإلى البحار الدافئة والبحار المفتوحة ؛ برد فعل . بدأت مرحلة الدبلوماسية الشخصية لعبد الحميد الثاني التي ستستمر 30 سنة والتي ستحافظ على الإمبراطورية هذه المدة ؛ بمحاولاته لهدم معاهدة اياستافانوس. استخدم الخاقان في هذا السبيل ، كامل دهائه الدبلوماسي . عمل كل ما بوسعه لإنقاذ الدولة من المصيبة بأقل ضرر ممكن . تمكن من التوصل إلى أسس معاهدة برلين ، وحيث

كان يريد الحصول على مساندة إنكلترا بالدرجة الأولى ، فقد أعطى إنجلترا في مقابل هذه المساندة لواء قبرص . سيستمر الحكم العثماني في الجزيرة ، لكن ستكون إدارتها من قبل إنكلترا ، سوف لا تعطي إنكلترا إدارتها إلى أية دولة أخرى عدا العثمانية ، وفي حالة إعادة الألوية الثلاثة في شمال – شرقي الأناضول إلى العثمانية من قبل روسيا ، تنتقل عندئذ ، إدارة قبرص كذلك إلى العثمانية مجددا (1878/6/4) . وهكذا خطت إنكلترا خطوتها نحو غرب البحر الأبيض (جبل طارق) ، وسط البحر الأبيض (مالطة) ثم شرق البحر الأبيض .

اشتركت في مؤتمر برلين عدا روسيا وتركيا ؛ ألمانيا ، إنكلترا ، فرنسا ، النمسا – المجر وإيطاليا . كان الأمير فون بسمارك ، رئيس وزراء اتحاد الإمبراطورية الألمانية ، رئيسا . أصبحت معاهدة برلين ، آخر اتفاقية عدّلت الجغرافية السياسية لأوروبا للعصر 19 بعد معاهدات فيينا 1815 ، باريس 1856 ، فرساي 1871 . أطالت حياة العثمانية في البلقان مدة 35 عاما بدلا من معاهدة آياستافانوس التي كانت تجعل من الروس سادة البلقان وتودي بنفوذ العثمانية إلى درجة يرثى لها . وطبعا ، كانت تركية قد غلبت وسحقت بشكل مفجع .

تعتبر معاهدة برلين ، إحدى المعاهدات الأكثر جورا ضد الأتراك التي وقعوا عليها طوال التاريخ ، عدا آياستافانوس . كلتا المعاهدتين تعتبران وثيقتين مهمتين لبيان الفرق بين عقلية مدحت باشا وعقلية عبد الحميد الثاني ومبلغ توفيق كل منهما في السياسة الخارجية .

لم تعط معاهدة برلين لروسيا إلا الشيء اليسير . لا تعتبر تعويضا لتضحياتها العسكرية والمالية الكبيرة ، ولّدت في روسيا عدم ارتياح ، وشعورا بالخيبة ، على نطاق واسع . أما الشعوب البلقانية ، فكانت استفادتها كبيرة ، وهؤلاء من غير المؤكد أن يشعروا بالامتنان تجاه روسيا التي أدت بهم إلى هذا الوضع . ظهرت ، نتيجة 20 جلسة عقدها المؤتمر خلال 31 يوما ، اعتبارا من يوم 13 حزيران ، تتألف المعاهدة من 64 مادة (1878/7/13) .

من المواد المهمة جدا تلك المواد التي أجبرت العثمانية على إجراء إصلاحات في 6

إيالات (بالعثمانية : ولايات ست) في الأناضول الشرقية في صالح الأرمن وفي 3 إيالات (بالعثمانية : ولايات ثلاثٍ) في مكدونيا في صالح البلقان، لم يسر مفعول هاتين المادتين و لم يطبقهما أبدا عبد الحميد الثاني . ولتأمين ذلك ، لعب السلطان دوره بمهارة من خلال المصالح المضادة والتوازن سواء للدول العظمى أو لدول البلقان . كلهم أخذوا يتكالبون ضده ، لكنهم لم يتمكنوا من توحيد مصالحهم لإجباره على تطبيق هاتين المادتين .

ومادة أخرى مهمة جدا ، هي الحكم القاضي بتثبيت غرامات الحرب التي ستسددها العثمانية إلى روسيا وهو 55 مليونا من المسكوكات الذهبية والتي كانت 245 مليون في معاهدة آياستافانوس ، وتدفع هذه على أقساط قدر كل منها 350 000 قطعة ذهبية . سدد عبد الحميد الثاني ، هذه الأقساط بدقة طوال مدة سلطنته .

معاهدة برلين ، هي المرحلة المهمة الثانية بعد معاهدة كارلوفجة 1699 في تصفية العثمانية من أوروبا ، وسوف تستكمل هذه التصفية معاهدة لندن 1913 . تعترف تركية بالاستقلال التام لثلاث إمارات تابعة لها هي رومانيا ، صربيا وقره داغ . وهكذا أنبثقت من اليونان 3 دول بلقانية مستقلة قبل مضي نصف قرن . (هذه الدول البلقانية أرثوذكسية) هذا ، علاوة على إعطاء نيش إلى صربيا . أما قره داغ ، فتتوسع بمقدار الضعفين من ناحية المساحة والنفوس ، وتبلغ مساحتها 9 500 كم^2 ، أصبح لها منفذ إلى البحر (الإدرياتيك) بفضل رصيف بار Bar . وإضافة إلى ذلك . تأخذ رومانيا ، لواء دوبروجه ، لكنها تعيد لواء بوجاق (بيسارابيا الجنوبية) الذي أخذته من روسيا بمعاهدة باريس 1856 إلى روسيا . ومن بين الدول التي حصلت على استقلالها بعد 1878 ؛ كل من رومانيا فى 1881 ، صربيا في 1882 ، قره داغ في 1913 حصلت على الاستقلال وارتفعت من درجة الإمارة إلى الملكية . وهكذا ولدت ولأول مرة في التاريخ ، دولة رومانيا المستقلة استقلالا تاما .

ورغم بقاء بوسنة وهرسك لدى العثمانية في معاهدة آياستافانوس ، أجتثت في برلين . تبقى الإيالة تحت حكم العثمانية ، لكن إدارتها تترك إلى النمسا ـ المجر . تضع النمسا جنودا في لواء يني بازار (بالصربية : Novibazar) الذي يفصل صربيا عن قره داغ ويحول

دون حصولهما على حدود مشتركة . اضطر النمساويون على إبقاء والي الإيالة العثماني (أحمد مظهر باشا) في مقامه سنوات طويلة وجابهوا مصاعب كبيرة في السيطرة على البلاد . حيث قام البوشناق المسلمين ، في سبيل إبقائهم لدى العثمانية ، والصرب الأرثوذكس لانضمامهم إلى صربيا ، بحرب عصابات لسنوات طويلة . أما الخروات الكاثوليك الموجودون في القطر، فتقبلوا الإدارة النمساوية ـ المجرية بامتنان . أدى جشع النمسا الذي ساقها إلى وضع يدها على بوسنة ـ هرسك بصورة فعلية ، إلى عدم إمكان تحسين علاقاتها مع روسيا بعد ذلك التاريخ وشكلت أحد الأسباب الرئيسية للحرب العالمية ، حيث اعتبر ذلك في البلقان عاملا ضد السلاف وفي صالح الجرمانية .

تأسست إمارة بلغارية مستقلة ذاتيا ، تابعة للعثمانية بين نهر الطونة وجبال البلقان . أما في جنوب جبال البلقان ، فأسسوا إيالة روملي الشرقية . مركزها Filibe ، ميناؤها كان بورغاز . حدودها الجنوبية ، كانت بالنسبة إلى بلغاريا الحالية ، على الشمال أكثر ، في صالح العثمانية سواء من جهة تراقيا أو من جهة مكدونيا . اعترفت بحقوق كثيرة لصالح البلغار في إيالة روملي الشرقية . ينتخب واليها من بين رجال الدولة المسيحيين للباب العالي . عين لهذا المنصب الوزير الرومي Aleki باشا من الرجال المقربين لمدحت باشا الذي أظهر تعصبه بتشتيت السكان المسلمين بالتقتيل والاضطهاد في روملي الشرقية كما أظهر بذلك ماهية الأشخاص الذين تعامل معهم مدحت باشا في الماضي .

يترك لواء تيساليا Tesalya إلى اليونان لغرض توطيد التوازن بين دول البلقان . تلكأ عبد الحميد الثاني في تطبيق هذا الحكم لعدة سنين ، لكنه اضطر في النهاية إلى إخلائها وإعطائها إلى اليونان . أعطيت في شمال ـ شرق الأناضول ، ألوية قارص ، أردخان ، آرتفين ، قضاء باطوم إلى روسيا . لا يجوز للروس احتلال باطوم (آجارستان) عسكريا ، وتستعمله فقط كميناء . بقي لدى العثمانية لواء آغري ، الذي أعطته آياستافانوس إلى الروس . ورغم وعد فرنسا بإيالة تونس في كواليس مؤتمر برلين ، فإنه أنه لم يدرج في متن المعاهدة . احتلت فرنسا ، تونس بعد عدة سنوات .

خسرت الدولة كل ما ذكر ، في سبيل عدم ترك قضاء لقره داغ . أما الخسارة المهمة جدا ، فهي تشتيت السكان المسلمين الموجودين في بلغاريا . هرب ما يقارب

المليون تركي من إيالة الطونة ، سواء من إمارة بلغاريا ، أو من أراضي روملي الشرقية ، وتركوا أوطانهم التي سكنوها طوال خمسة عصور . أسكنوا في إستانبول ، في بورصة ، في الأناضول الغربية ، في روملي العثمانية وفي جميع المناطق . وما يقارب النصف مليون تركي ذبحوا بشكل جماعي بالقتل العام من قبل الروس والبلغار الذين سلحهم الروس . وإحدى هذه المذابح الجماعية المثالية التي حققها لجنرال Gurko في زاغرا Zagra المدينة التركية . انتقلت ليد المسيحيين ثروات المسلمين التي لا يمكن إحصاؤها ، آلاف الآثار العمارية . امّحت عائلات عثمانية عريقة وكريمة يعود تاريخها إلى 500 سنة مضت .

إجمالي الأراضي التي خسرتها العثمانية في حرب 93 المثبتة في معاهدة برلين ، يمكن حصرها كالآتي :

لواء دوبروجه مع إمارة رومانيا 135000 كم² – 5 300 000 نسمة (تعداد عام 876) .

أما صربيا مع لواء نيش 45 427 كم² – 1 564 000 نسمة .

إمارة قره داغ بشكلها الجديد 9 427 كم² – 180 000 نسمة .

لواء تيساليا 13 488 كم² – 340 000 نسمة .

بوجاق 13 800 كم² – 500 000 نسمة .

مجموع الخسائر المذكورة في أوروبا : 217 298 كم² –7 884 000 نسمة :

يضاف إلى ذلك في آسيا ألوية قارص وآرتفين الحالية وآجارستان (باطوم) .

ويلزم أن تحتسب تونس كذلك ، باعتبارها اللقمة التي أصابتها فرنسا في هذه النهيبة العثمانية .

وفي النهاية ، يلزم أن يضاف إلى كل ما مضى بلغاريا ، روملي الشرقية ، بوسنة وهرسك ، يني بازار ، قبرص اللواتي اعترف باستقلالهن الذاتي وتركن للإدارة الأجنبية ، رغم بقائهن تحت الحكم العثماني . يعيش اليوم (1985) في جميع هذه الأقطار التي فقدت أو أصبحت على وشك الفقدان ، 48 مليون نسمة .

كانت كل هذه الخسارة المخيفة ، نتيجة العمل غير الشريف الذي حقّقته الزمرة الموتورة في واقعة السلطان عزيز .

6 – صدور أعظم دور السلطان حميد

عندما حل عبد الحميد الثاني البرلمان ، وضع يده على إدارة الإمبراطورية ، كان أحمد وفيق باشا صدرا أعظم . الصدور الأعظم الذين خلفوه هم : محمد صادق باشا (1878/4/18) بعد شهرين و 9 أيام، ومترجم رشدي باشا للمرة الخامسة (1878/5/28) بعد 40 يوما، ومحمد أسعد صفوت باشا (1878/6/4) بعد 7 أيام و وتونسلي خير الدين باشا بعد 6 أشهر (1878/12/4) ، وأحمد عارفي باشا بعد 7 أشهر و 26 يومًا (1879/7/29) ،وكوجوك محمد سعيد باشا بعد شهرين و 20 يوما (1879/10/18) ، وجناني – زاده محمد قدري باشا بعد 7 أشهر و 20 يوما (1880/6/9) ، وسعيد باشا للمرة الثانية (1880/9/12) بعد 3 أشهر و 3 أيام ، وكرميان أوغلو عبد الرحمن نور الدين باشا (1882/5/2) بعد سنة و 7 أشهر و 20 يومًا ، وسعيد باشا للمرة الثالثة (1882/7/11) بعد شهرين و 10 أيام ، وأحمد وفيق باشا للمرة الثانية (1882/12/1) بعد 4 أشهر و 21 يوما (مجموع صدارتيه شهران و 11 يوما) ،وسعيد باشا للمرة الرابعة (1882/12/3) بعد يومين ، وقبرصلي محمد كامل باشا (1885/9/25) بعد سنتين و شهر و 23 يوما ، وقابا آغاجلي – زاده محمد جودت باشا (1891/9/4) بعد 5 سنوات و 11 شهرًا و 9 أيام ، وسعيد باشا للمرة الخامسة (1895/6/8 .) بعد 3 سنوات و 9 أشهر و 4 أيام ، وكامل باشا للمرة الثانية (1895/10/1) بعد 3 أشهر و 23 يوما ، وخليل رفعت باشا (1895/11/7) بعد شهر و 6 أيام ، وسعيد باشا للمرة السادسة (1901/11/9) بعد 6 سنوات ويومين ، وآفلونيالي محمد فريد باشا (1903/1/14) بعد سنة وشهرين و 5 أيام ، وسعيد باشا للمرة السابعة (1908/7/22) بعد 9 أيام ، وكامل باشا للمرة الثالثة بعد 13 يوما ، يصادف إعلان المشروطية الثانية صدارة سعيد باشا للمرة السابعة . وسوف نرى فيما بعد صدور أعظم دور المشروطية الثانية لعبد الحميد الثاني .

لا يوجد بين الصدور الأعظم السالف ذكرهم أي رجل دولة قدير بالمعنى الصحيح . يحتمل أن يكون كامل باشا أفضلهم . أما سعيد باشا الذي جلبه السلطان حميد للصدارة بإصرار ، من سلك الصحافة ، فهو رجل مثقف ، لكنه جامد ، جبان ، ثرثار متملق ، ميال للخيانة .

من الحوادث المهمة التي جرت في دور إدارة السلطان حميد الشخصية ، تأسيس مؤسسة الديون العمومية (1881/12/20) .

في هذا التاريخ ، بلغت الديون الخارجية 252 مليون قطعة ذهبية . أقنع السلطان حميد الدول الدائنة إنكلترا وفرنسا بتأسيس الديون العمومية وإسقاط 146 مليونا ، ولتسديد الـ 106 ملايين ليرة ذهبية الباقية ، وضعت بعض إيرادات الدولة الرئيسية تحت تصرف مؤسسة الديون العمومية . والحقيقة أن هذه المؤسسة كانت كوزارة مالية ثانية . وقد أمكن بهذه الوسيلة تسديد الديون الخارجية لدولة عثمانية خرجت من الحرب الروسية مدمرة حيث سدت السبل المؤدية لنهضتها ، وتدنّت منزلتها . ويعتبر إسقاط أكثر من نصف الدين نجاحا ماليا حقيقيا . سدد السلطان حميد حتى نهاية سلطنته ، القسم الأعظم من الديون الخارجية وخلّف للإدارة التي أعقبته قليلا من الدين الخارجي . كان حريصا على عدم الاستدانة من الخارج ، فلم يقترض في عهده ، من الخارج إلا القليل .

ومن الحوادث المهمة أيضا في دور إدارة السلطان حميد الشخصية ، أحكام محكمة ييلدز (1881/7/28) ؛ فقد حوكم المسئولون عن قتل السلطان عزيز في محكمة جنائية في جلسة واحدة دامت 3 أيام . حكم بالإعدام على مدحت باشا ، وداماد محمود جلال الدين باشا ، داماد نوري باشا وعدة أشخاص آخرين ليسوا على هذه الدرجة من الأهمية . بدل بأحكام الإعدام السجن المؤبد مدى الحياة في قلعة طائف في الحجاز . نجا من هذا العقاب مترجم رشدي باشا لمرضه ووفاته بعد مدة قصيرة ، أما شيخ الإسلام خير الله أفندي ، فلأنه كان منفيا في الحجاز ، فقد أراد معارضو السلطان حميد استعمال محكمة ييلدز وسيلة للتنديد به . إلا أنه كان من الضروري أولا معاقبة مسئولي واقعة السلطان عزيز وإن كان ذلك العقاب قاصرا أو حتى لو كان بعد سنوات ، كما كانت هنالك ضرورة أيضا للتخلص من مدحت باشا الذي أصبح بلوى مسلطة على رأس الدولة والذي كان ما يزال يهدد الدولة بواسطة إنكلترا .

وعدا محاولات إنكلترا الجديدة لتهريب مراد الخامس من سراي جراغان ، استمرت في علاقاتها مع مدحت باشا سواء عندما كان منفيا في أوروبا ، أو عند عودته إلى تركية

وسكناه في كريت ، أو عندما كان واليا على إيالات سورية آيدن (أزمير) . لم تكن إنكلترا ترغب في أن ترى على عرش تركية خاقانا داهية في السياسة الخارجية ، واقفا بالمرصاد لمحاولات الإمبريالية ، مواليا للعالم الإسلامي كعبد الحميد الثاني .

استمرت إنكلترا في محاولاتها لتقديم مراد الخامس - كخاقان - خليفة للدولة العثمانية ومدحت باشا كصدر أعظم . لم يترك مدحت باشا التفكير في إنكلترا ، حتى في مذكراته التي كتبها والتي بلغت مجلدين في غرفته في قلعة طائف مع خادمه بين صياح وصراخ شعب جده المعارض . كان رئيس الوزراء (مع الأسف) عدوا للإسلام والأتراك بشكل لا يتصور . كان متعصبا إلى درجة ضربه القرآن الكريم على الكرسي في مقصورة مجلس العوام . وعند تسلم الأحرار الحكم بدلا من المحافظين ، ارتاحت العثمانية نسبيا ، انتهت تماما مرحلة وجود رؤساء وزراء وسلطة موالية للعثمانية في إنكلترا . حاولت صحافة إنكلترا بمختلف الوسائل إنقاذ مدحت باشا وداماد محمود جلال الدين (الذي هو أحد رجاله) ، من أحكام محكمة ييلدز . اشترك سفير إستانبول كذلك في تلك الحملة الصحفية . أرسلت إنكلترا طرادا إلى مياه جدة لإنقاذ مدحت باشا ومحمود باشا . وقبض في الطائف على إنكليزي متنكر بزي عربي ، لم تجد كل المحاولات التي بذلت في إنقاذ الباشوات ، لكنه عندما تأكد بأن هذه المحاولات لن تتوقف ، اقتحم الجنود غرفة مدحت باشا ومحمود باشا في الطائف وخنقاهما (1884/5/6) . ترى هل أعطي هذا الأمر من قبل ييلدز ، أو من قبل العسكري الجريء جدا مشير عثمان نوري باشا والي إيالة الحجاز وقائد فرقتها ؟ إن هذا الأمر موضوع نقاش . لكن ، لم تجر تحقيقات مع عثمان نوري باشا ، وأغلق الملف .

اعتبر معارضو عبد الحميد الثاني ، مدحت باشا البالغ عمره 62 عاما ، بطلا للحرية والديمقراطية . إذا كان البادشاه هو الـ[illegible] أعطى أمر القتل فعندئذ ، يكون ذلك الحادث هو الجناية السياسية الوحيدة خلال سلطنة عبد الحميد الثاني الطويلة . عاقب عبد الحميد الثاني من لهم علاقة بواقعة السلطان عزيز باعتدال ورباطة جأش كبيرين ، بعد تحليله شخصياتهم والأضرار التي سببوها للدولة تحليلا جيدا . مما تجدر الإشارة إليه أن عاقبة كل من اشترك بهذه الواقعة ، لم تكن جيدة .

7 – القضية الأرمنية (1895 – 1896)

عاش الأرمن في الدولة العثمانية حتى حرب 93 في رفاهية وسعادة ، وأثروا بفضل مزاولتهم وظائف كالتجارة والصيرفة وصياغة الذهب . كان تعدادهم داخل الدولة العثمانية ، المليون تقريبا . كانت العائلات الأرمنية المعرفوة تعيش في إستانبول كالأمراء ، وشوهد بعد 1856 من حصل منهم على منصب وزير وهي أعلى رتبة مدنية في الدولة ؛ كان الوزير آكوب باشا وزير الخزينة الخاصة ، أحد رجال السلطان عبد الحميد المعتمدين . .كانت حرية الأديان والمذاهب مؤمنة بشكل حقيقي . أكثر الأرمن ينتمي إلى مذهب أرثوذكس – كريكوريان ، وهنالك من كان منهم كاثوليكيا ومن كان من البروتستانت . كان لبطارقة الأرمن ، مكانتهم في بروتوكول الدولة سواء كانوا كريكوريان أم كاثوليك . كان الأتراك يحبون هذا الشعب الوديع ، المنصرف لأعماله ، المتقبل للثقافة التركية بشكل كبير والمتفهم لهذه الثقافة إلى حد ما . وكما يشاهد في الوثائق الرسمية ، كان يطلق عليهم اسم « ملت صادقة » (الشعب المخلص) .

تبدل الوضع في منتصف العصر . وضعت الدول الإمبريالية روسيا ، إنكلترا ، فرنسا يدها على هذا الشعب وقامت وخاصة روسيا بتحريض الأرمن لغرض ابتلاعها أناضول الشرقية . حيث كان لها رعايا أرمن أسكنتهم في حدود الأناضول الشرقية في روان (بالأرمنية : Erevan) الذي كان قطرا تركيا بحتا حتى النصف الثاني من القرن 19 (أسمته حديثا « أرمنستان ») .

كانت المادة 61 من معاهدة برلين تطلب إجراء إصلاحات لصالح الأرمن في 6 ولايات هي : (أرضروم ، دياربكر ، سيواس ، خربوط = العزيز ، وان وبتليس) ، لم يضع السلطان حميد هذه المادة موضع التنفيذ أبدا . رفض جميع الضغوط التي أجرتها الدول العظمى لتنفيذ هذه المادة (إذا كانت أناضول الشرقية اليوم ، داخلة ضمن تركية فهي نتيجة لتلك السياسة) وحيث لم يكن الأرمن يشكلون الأكثرية في الـ 20 ولاية التي تشكل الـ 6 إيالات هذه ، فإن نسبة نفوسهم لم تكن تبلغ الـ 20٪ في الولاية التي يشكلون فيها كثافة سكانية . وفي إحدى المناسبات ، أبلغ السلطان حميد السفير الألماني بأنه يرجح الموت على أن يطبق هذه المادة السخيفة ، وتمكن من اكتساب مساندة

النمسا ـ المجر . لم يكن ضغط إنكلترا وفرنسا وروسيا كافيا لوضع هذه المادة موضع التنفيذ . ومما لا شك فيه أنه كان يراد إفناء المسلمين الذين يتكلمون التركية وخاصة الكردية بالقتل العام وإجبارهم على الهروب ولو من قسم من هذه الأراضي وجعله وطنا أرمنيا . كانت هذه الخطة قد طبقت بنجاح في كثير من الأقطار العثمانية وفي تاريخ أقرب في روان الوطن التركي منذ ألف سنة وفي قرم .

كان أمل روسيا الاقتراب إلى البصرة وخليج الاسكندرون بواسطة إمارة أرمنية تكون ألعوبة في يدها . وكذلك كانت إنكلترا تريد إمارة أرمنية تكون ألعوبة في يدها للحيلولة دون اقتراب روسيا إلى هذه الخلجان . أما فرنسا فكانت ترغب في أن تكون لها أرمنستان ، تحت نفوذها ، لإحياء الذكرى البائدة للحروب الصليبية . تم تأمين سلاح وافر للأرمن من كل الجهات ، خاصة من روسيا . كان الأرمن المتمركزون في الأقطار الأوروبية الحرة كسويسرا ، يخططون لهذه السياسة . قتل الأرمن جميعا باقتحامهم القرى المسلمة التي تتكلم اللغة الكردية كل من صادفهم دون التفريق بين النساء والأطفال . وكثيرا ما علّقوهم على الكلاليب ، كانت وسائلهم في القتل الجماعي شاذة لا يتصورها العقل ؛ كبقر بطون النساء الحوامل وإخراج الجنين بالرماح ، قطع أماكن العورة من الرجال ودسّها في أفواههم ، ملء الجوامع والتكايا والمدارس الدينية بالمسلمين وحرقها . كان القصد إجبار المسلمين على الهروب من هذه الأماكن . كانت روسيا في البداية شديدة الرغبة في تأسيس « أرمنستان » لكنها بعد ذلك أخذت في الابتعاد عن هذه الخطة على مر الزمن ، أخذت إنكلترا على عاتقها مهمة تحقيق خيال تأسيس أرمنستان . لأن الإرهابيين الأرمن ، كانوا قد شرعوا في التحرك ضد النظام القيصري في روسيا . كانوا يريدون توحيد أرمنستان التي يزعمون أنهم سيؤسسونها في الأناضول الشرقية مع أرمنستان روسيا في قفقاسيا الجنوبية .

حاولت جمعية خنجاك **Hinçak** التي أسست في سويسرا عام **1886** التحكم في أرمن العثمانية عن طريق الإرهاب . كان الأرمن راضين عن الإدارة العثمانية ، بل يحتمل أنهم كانوا يشتركون في إدارة هذه الإمبراطورية بنسبة تفوق نسبة نفوسهم . لم يشاهد ولم يسمع في الدول الاستعمارية كإنكلترا وفرنسا وروسيا التي يسكنها عشرات الملايين من المسلمين ، وزير أو حتى نائب مسلم واحد . بينما كان من الممكن في الدولة

العثمانية أن يكون هناك وزير من الأرمن . وعلى هذا الأساس بدأ الخنجاك بإرهاب الأرمن المخلصين الذين لا يرغبون في تنفيذ رغباتهم . وبعد أن اقتحموا قرى أرمنية كثيرة في الأناضول الشرقية وقتلوا كامل نفوسها ، نقلوا هذه الأخبار إلى الصحافة الغربية على أنها مظالم العثمانية ، وفي الوقت نفسه ، أظهروا بذلك مصير الأرمن الذين لا يؤيدونهم .

اتخذ مشير زكي باشا ، قائد الجيش الهمايوني الرابع – المتمركز في أرزنجان والمنتشر في جميع أنحاء الأناضول – تدابير جذرية بأمر السلطان عبد الحميد . لم يتأخر في مكافحة الإرهابيين العصاة الذين سلف ذكر أعمالهم الوحشية . وبناء على ذلك بدأت الصحافة الأوروبية بحملة عنيفة استهدفت شخص البادشاه . استعمل المؤرخ الشهير الكونت **Albert Vandal** عضو الأكاديمية الفرنسية لقب « **Le Sultan Rouge** » لأول مرة . الاتحاديون الذين ترجموا هذا التعبير إلى « السلطان الأحمر » ، سوف يتخذون من الأرمن في 1915 مواقف أشد ، سيضطرون إلى تهجيرهم . استعمل بعض الكتاب كذلك ، في عهد الجمهورية ، الذين لا يعلمون السبب في إطلاق تعبير « السلطان الأحمر » على خاقان تركي وخليفة إسلامي ، نفس التعبير الخائن الوقح ، بحق السلطان عبد الحميد الثاني . ومما لاشك فيه أن يصاب الشعب والدولة بكل أنواع البلايا في مثل هذا المحيط الذي حرّف فيه الشعور الوطني بهذا الشكل .

كان الأرمن على درجة من الهياج بحيث وجدوا في أنفسهم الشجاعة على القيام بعصيان في مراكز الإيالات كسيواس وطرابزون وأرضروم ووان وديار بكر كذلك . تم إخمادهم في قطاع الجيش الرابع الذي أعلن فيه الأحكام العرفية .

وتجاه ذلك ، كان من الطبيعي تهيئة الشعب المسلم الذي يتكلم الكردية للدفاع عن النفس ضد الخطر الأرمني . شكل السلطان حميد « أفواج الخيالة الحميدية » . انتخب ضباطها من بكوات وأولاد الأكراد . كانت الرتب المعطاة لهم والتي أكبرها رتبة آلباي (زعيم) ، معتبرة لدى أفواجهم فقط . قامت القيامة لذلك في أوروبا . إن الدول الأوروبية الاستعمارية تبعد جيوشها عن المشاكل المحلية قدر الإمكان وتشكل قوى شعبية غير عسكرية على هذه الشاكلة لتقضي على الأقطار الأجنبية من الداخل . أما الأفواج الحميدية فكانت لغرض الدفاع عن حياة قرويي الأناضول الشرقية . قامت بواجبها

هذا بنجاح حتى إلغائها عام 1908 . إن كان هنالك اليوم شعب في الأناضول يتكلم الكردية ، فذلك بفضل تلك السياسة .

إن القضاء الذي بلغ فيه تعداد الأرمن أعلى نسبة ، بالمقارنة لتعداد المسلمين ، كان قضاء Sason بين زعرت وموش . كان يسكن فيها 12 000 أرمني و 15 000 مسلم . أراد المتمردون إثارة عصيان كبير فيها . مات أثناء إخماد العصيان 5 000 أرمني تقريبا ومئات المسلمين . هرب زعيم العصيان Hamparsum Boyaeiyan ، ونجا من الموت . سيجعل الاتحاد والترقي هذا الشخص بعد 13 عاما ، نائبا لهاربوت . وبعد شهر من حادث Sason (ت1894/2) عصى الأرمن في ديار بكر ، مات في هذا العصيان 1190 أرمنيًا .

كان الأرمن يعلمون أنه لا يمكنهم الحصول على نتيجة بهذا الشكل . لكنهم كانوا يريدون لفت أنظار الدول الأوروبية العظمى بمثل هذه الاضطرابات . قدمت إنكلترا وفرنسا وروسيا مذكرة مشتركة (1895/5/11) وطلبت من الباب العالي تطبيق المادة 61 من معاهدة برلين فورا وتعيين ولاة جدد في الإيالات الست وأخذ موافقتهم حول أسماء هؤلاء الولاة وإلغاء الأفواج الكردية وتأسيس وحدات جندرمة (درك) من الأرمن .

دخلت سياسة عبد الحميد الشخصية دور التأزم . الحقيقة أنه كان قد أمّن عدم اشتراك ألمانيا والنمسا ـ المجر وإيطاليا في هذه المذكرة . لكن كان يجب تنحية إنكلترا وفرنسا وروسيا . نجح في فصل روسيا وفرنسا عن إنكلترا . يروى أن عبد الحميد الثاني أعطى رشوة ضخمة لوزير الخارجية الفرنسي المؤرخ الشهير Hanotaux : الذي منح بصورة رسمية وسام الامتياز الذي يقدم للحكام الأجانب ، حتى ذلك التاريخ . علم السلطان حميد بأن إنكلترا سوف تبقى دون مؤيد لها . رفض المذكرة المؤرخة 11 مارس (1895/6/3) . إنكلترا التي أيقنت من عدم إمكان وقوفها وحدها بحركة مسلحة تجاه تركيا ، سحبت أسطولها الذي سارت به إلى مدخل مضيق جناقلعة لإرهاب البادشاه .

ورغم ذلك ، لم يدرك الأرمن ما جبلت عليه الدول العظمى في لعبها مع الشعوب

الصغرى وسوقها إياهم نحو ما تقتضيه رغباتها ومصالحها ، ثم تركها إياهم وجها لوجه مع الدولة التي حرضتهم ضدها . استمر الأرمن الذين كانوا يغذون بكثير من الدراهم الأوروبية في تنفيذ عملياتهم . وعند عدم نجاحها في الشرق ، رتبت حركة أخرى في إستانبول ، أمام أعين العالم كله . سلّح أزميرليان بطريق الأرمن ، عدة مئات من الأرمن . تم إفناؤهم في منطقة قادرغة بعد مقاومتهم 3 أيام و 3 ليال . كان قصدهم المجيء إلى الباب العالي والقيام بمظاهرات معادية للحكومة . لكنهم عندما قطع طريقهم في منطقة سلطان أحمد ، أنسحبوا إلى منطقة قادرغة التي يكثر فيها نفوس الأرمن . كان هذا هو أول شغب تقوم به الأقلية في مدينة العرش منذ فتح إستانبول حتى ذلك الحين . كان الروم الاستانبوليون ، قد خططوا شيئا من هذا القبيل في بداية الاحتلال اليوناني ، لكنهم لم يجرأوا على تطبيقه .

أعقب الشغب الأرمني الأول (1895/9/30) في إستانبول ، الشغب الأرمني الثاني في إستانبول كذلك (1896/8/26) . اكتشفت رجال التحريات خطة الأرمن في تفجير المصرف العثماني قبل تنفيذها . اعترف المتمردون بعزمهم على تفجير المصرف والباب العالي (رئاسة الوزارة) ، قبض عليهم وهم ممسكون بأسلحة وقنابل . حرض البطرق ، على أثر ذلك ، قسما من أرمن إستانبول على العصيان وأخبرهم – غشا – أن أساطيل الدول العظمى على وشك المرور من مضيق جنا قلعة . أطلق أحد الأرمن رصاصة مسدس على الصدر الأعظم خليل رفعت باشا ، لكنها لم تصبه . قوبل الشرطة والدرك والجنود العثمانيون بالأسلحة والتحقير من الشبابيك ، عند دخولهم أزقة محلات الأرمن . وبناء على ذلك سحب عبد الحميد الثاني من المحلات الأرمنية الشرطة والجيش . أغار حمالو ميناء إستانبول – الذين كانوا حينذاك كثيري العدد وجماعات ضمن المنظمات العمالية – على المحلات الأرمنية بعصيهم ودون أن يحملوا أي آلة نارية أو جارحة . اتضح أن هذه العصي قد صنعت خصيصا في مصانع ييلدز . عزل أزميرليان ونفي إلى القدس .

تركت الدول العظمى الأرمن الذين أقحمتهم في هذه الورطة لحالهم .

8 – احتلال إنكلترا لقبرص (1882/9/15)

لم تتمكن فرنسا التي تفاهمت في كواليس مؤتمر برلين ، مع الدول العظمى حول

تونس ، من الصبر على احتلالها ، أكثر من ثلاث سنوات ، خاصة أن لإيطاليا كذلك أطماعا فيها . ساقت 23 000 جندي من الجزائر و 8 000 عن طريق البحر وشتّت جيش تونس الصغير . وبمعاهدة Bardo (بالعربية : قصر سعيد) أدخلت هذه الإيالة العثمانية المستقلة ذاتيا تحت حمايتها (1881/5/12) ولم تلحق كمستعمرة مثل الجزائر . تأسس نظام الحماية واستمر البايات (جمع باي) من عائلة حسيني ، كحكام لتونس في عهد الفرنسيين كذلك . طلب باي تونس الوزير محمود صادق باشا ، المساعدة من الباب العالي . سارت قطعة من الأسطول العثماني ووصلت إلى مياه جزيرة كريت . صدر إلى قطعة الأسطول أمر الانسحاب والعودة ، عند تهديد فرنسا الباب العالي بالحرب . هكذا فقدت تونس صفتها كقطر من أقطار الدولة العثمانية بعد نصف قرن من فقدان الجزائر. لم يعترف الباب العالي في أي وقت من الأوقات بالاحتلال الفرنسي لتونس . بيد أن تركية ، اعترفت في معاهدة لوزان 1923 بانفصال تونس عن تركية . ويشاهد في كل النشرات السنوية العثمانية الرسمية حتى نهاية الإمبراطورية ، تدوين تونس كإيالة عثمانية تحت الاستعمار الفرنسي غير الشرعي .

كانت المادة 24 من معاهدة برلين تنص على ترك لواء تيساليا Tesalya وقضاء Nadra (باليونانية : Arta) التابع لإيالة أبير Epir (يانيا) إلى اليونان . تباطأ الباب العالي في ذلك لعدة أعوام . لكنه أخلى هذه الأماكن وتركها لليونان (1881/7/2) إزاء الضغوط الكبيرة . كانت Tirhala ويني شهر في تيساليا مدينتين تركيتين تشكلان مركزين ثقافيّين عثمانيّين كبيرين . هاجر أكثرية المسلمين من هذه الأقطار إلى الأراضي العثمانية . وهكذا ارتفعت مساحة الأراضي اليونانية إلى 74859 كم^2 .

لكن المسألة الكبرى ، كانت قضية مصر . فعندما تمكن الخديو إسماعيل باشا من حصوله من الباب العالي على الفرمان الذي يجيز لمصر الاقتراض من الخارج ، اقترض مبلغا يزيد على 100 مليون ليرة ذهبية من فرنسا وإنكلترا خلال فترة 10 أعوام . وفي تلك الفترة ، كانت الأقطار كالسودان ، أريترة ، أوغندا ، تابعة لإيالة مصر . باع الخديو باشا في ت1875/2 إلى إنكلترا السندات التي يملكها في قناة السويس ، ورغم ذلك لم يتمكن من تسديد ديونه . بدأت كل من إنكلترا وفرنسا في مضايقة القاهرة وإستانبول بطلبات الديون . وإزاء هذا الضغط ، ولغرض الحد من المصروفات ، اضطر الخديو إلى

خفض عدد جنوده من 000 30 إلى 000 11 وإحالة 500 2 ضابط على التقاعد . أعلن الضباط تحت قيادة العقيد أحمد عرابي بك تمردهم على إنكلترا التي زاولت هذا الضغط وعلى إسماعيل باشا الذي خضع لهذا الضغط . أظهر عبد الحميد الثاني تأييده لعرابي بك بترقية رتبته إلى لواء (بالعثمانية مير لواء) Tumgeneral ومنحه رتبة الباشوية (كانت أكبر رتبة يتمكن الخديو من إعطائها شخصيا هي رتبة عقيد « آلباي ») . اضطربت البلاد . أحيل على التقاعد الضباط الذين هم من أصل عربي ، وبقي في الوظيفة أكثرية الذين أصلهم تركي . كان هذا الوضع سببا في شحذ الشعور القومي العربي في مصر . إن القوميين العرب كانوا يقولون إن مصر للمصريين ، لكنهم كانوا يظهرون ارتباطهم بعبد الحميد الثاني ، معلنين أن زعيمهم الأعظم هو الخليفة عبد الحميد الثاني الذي كان يتحين الفرص للإيقاع بالخديو ، عزله (1879/7/25) مستفيدا من هذه الفرصة ، وأصدر الفرمان الذي يعين فيه ابنه محمد توفيق باشا واليا على مصر بلقب « خديو وبدرجة الصدارة » . لم يرغب البادشاه ، في البداية ، حتى في رؤية إسماعيل باشا في إستانبول ، لكنه منحه إذن الإقامة في إستانبول بغرض إبقائه قريبا منه . قضى إسماعيل باشا بقية عمره في قصره الخاص في بيازيد في إستانبول ، وفي قصره الساحلي في إميركان . توفي في إستانبول عن عمر يناهز الـ 65 (1895/3/2) . كان يسمح له مع بقية الوزراء ولعدة مرات في السنة ، في مراسم المعايدات ، أن يحظى بحضور البادشاه ليقبل أطراف عرشه . والمشهور عن عبد الحميد الثاني أنه قبل زيارته طوال هذه السنين ، دون أن يلتفت إليه ودون أن ينطق ولا بكلمة واحدة . حيث إنه كان بالنسبة لعبد الحميد الثاني الشخص الذي كان سببا في استيلاء الإنجليز على قطر كمصر ، قرة عين العالم الإسلامي ، بسبب حرصه الشديد على السلطنة . حكم إسماعيل باشا الذي قام بأكبر نهضة وحركة تجديدية في مصر بعد جده محمد علي باشا ، مدة سنتين ، 5 أشهر ، 14 يوما بلقب والٍ ، و 12 سنة ، وشهر ، 23 يوما بلقب خديو . كان السلطان عزيز قد أهدى له جزيرة ياصي آدا من جزر إستانبول كملك شخصي للخديو . استرجع السلطان حميد هذه الجزيرة التي لم يسكنها الباشا . أول ملك على مصر هو فؤاد ، وهو الابن الصغير لإسماعيل باشا ، والملك فاروق حفيده .

لكن القضية المصرية لم تهدأ بعزل الخديو . أنهى عرابي باشا خدمات الموظفين الأجانب العاملين في مصر . احتجت كل من إنكلترا وفرنسا على الباب العالي ، و لم تستطع أيّ منهما التدخل العسكري لخشيتها من الأخرى ، وطلبتا بصورة مشتركة قدوم الجيش العثماني إلى مصر . لم يوافق السلطان حميد . كان لا يمكنه أن يتولى كخليفة إخماد الحركة القومية في مصر لحساب الدول الأوروبية الإمبريالية . وخلال فترة ، فكر في إلغاء الاستقلال الذاتي لمصر وجعلها كالإيالات الأخرى . لكنه وجد أن هذا لا يحل القضية المصرية ؛ إذ إن المصريين كانوا قد تعودوا على إدارة أنفسهم دون الحاجة إلى الغير ، وشيء آخر ، بالنسبة للسلطان حميد ، ذلك أن تعرض إنكلترا لمصر قد بات أمرا مفروغا منه ، وعندئذ سوف تقف مصر أمام العثمانية بسبب مخالفة العثمانية الفرمان الذي أعطي لمحمد علي باشا .

على أثر ذلك بلّغت إنكلترا كل الدول بأن الأمن مختل في مصر وأن حياة المسيحيين والأوروبيين في خطر ، وأنها راجعت الباب العالي لتأمين استتباب الأمن ، لكن الدولة العثمانية ، التي تتبعها مصر ، لم توافق على إرسال قوات عسكرية وأنه لم تعد هناك طريقة لحماية المصالح الأوروبية في هذا القطر سوى أن تقوم إنكلترا بذلك . عرابي باشا ، صار رئيسا للوزارة . في 11 حزيران ثار شعب الإسكندرية حيث قتل كثيرون وجرح 4 قناصل . قصف قائد أسطول البحر الأبيض لإنكلترا الأميرال Seymour ، الإسكندرية مدة ٦,5 ساعة بصورة مستمرة واحتلها في اليوم التالي (1882/7/12) . وفي معركة التل الكبير تمكن من تشتيت جيش عرابي باشا ، (1882/9/12) . دخل الجيش الإنكليزي القاهرة . وبذلك دخلت مصر تحت الاحتلال الإنجليزي بصورة فعلية (1882/9/15) . نفي عرابي باشا إلى سيلان .

كان وضع مصر والسودان من نهاية عام 1882 حتى عام 1914 كما يلي : وعدت إنكلترا ، مرات عديدة ، بالجلاء من هذه الأقطار ، لم تبر بوعدها . كان المصريون وكذلك الدولة العثمانية والدول العظمى الأخرى يريدون هذا الجلاء . لم يكن لاحتلال إنكلترا لمصر سند شرعي . كان أمرا واقعا . استمر هذا الاحتلال الغريب ، بهذا الوضع . فكرت إنكلترا ، أكثر من مرة وبصورة جدية بالجلاء من هذا القطر ، لكن الباب العالي استمر مترددا في إرسال الجيش ، وقد استمر الحكم العثماني ، رغم الاحتلال العسكري

في القطر ، ورغم تدخل اللورد الإنكليزي المسمى « المندوب السامي » في الإدارة المدنية بشكل واسع ، ورغم وضع اليد على قناة السويس ظلت مصر ترسل ضرائبها السنوية إلى إستانبول حتى عام 1914 ، وكذلك ظل منح الرتب التي تعلو على رتبة عقيد (آلباي) من قبل البادشاه . عاش معظم حكام مصر (خديو) في إستانبول .

ومن المميزات المهمة لهذا الدور ، اتحاد إمارة بلغاريا مع إيالة روملي الشرقية (بالعثمانية روملىٔ شرقي إيالة ممتازة سي) (1885/9/18) . اعترف الباب العالي بهذا الوضع ووافق على أن يكون أمير بلغاريا بعد الآن واليا على روملي الشرقية كذلك (1886/3/24) . إلا أن ناحيتي Rupeoz وقيرجة علي ، سلخت عن روملي الشرقية وادمجت ضمن إيالة أدرنة .

9 ـ الحرب التركية ـ اليونانية (4/18 ـ 1897/5/20)

اليونان التي سلبت تيساليا في كارثة 93 ، والتي كانت شهيتها تزداد كلما أطعمت ، ركزت أنظارها في هذه المرة على إيالة Epir (يانيا) وولاية كريت التي كانت مستقلة ذاتيا . أدخلت اليونان رجال العصابات إلى هذه الإيالات . وهللت لسحق جنود العثمانية لهذه العصابات ، مستثمرة ذلك في الإعلان عن استمرار الظلم التركي في أوروبا . كان عبد الحميد خان يعلم أن أوروبا ستنحاز للجانب المسيحي في أي حرب تنشب بين دولة مسيحية ودولة إسلامية ، مهما كلفها ذلك ، وإنها سوف تنقذ تلك الدولة ولا تعترف بأي حق للدولة الإسلامية ، كان يتحاشى الحرب في سبيل الأقطار العثمانية التي منحت الامتياز والحكم الذاتي ، لكنه لم يفقد مقاومته في سبيل الأراضي العثمانية التي لم تمنح الامتياز بعد . وقاوم كذلك في سبيل الأناضول الشرقية ومكدونيا بالرغم من معاهدة برلين . ولم يكن في نيته إعطاء أبير لقمة سائغة .

أخرج الباب العالي الرعايا اليونانيين الساكنين في الأراضي العثمانية من الإمبراطورية خلال أسبوعين ووضع يده على جميع الممتلكات اليونانية . أعلنت اليونان على أثر ذلك نفيرا عاما كاملا (1896/12/4) ، أما العثمانية فأعلنت التعبئة الجزئية ، بمقدار ربع التعبئة الكاملة (1897/2/15) وشرعت في الاستعداد للنفير للثلاثة أرباع الباقية في حالة تدخل الدول الأخرى . وإذ تمكن السلطان عبد الحميد من تجريد دول

البلقان الأخرى ، كان قد وضع في اعتباره عدم تمكن الدول الأوروبية العظمى (بالعثمانية دول معظمة) من الاشتراك في الحرب . سلم عاصم بك ، السفير العثماني في أثينا ، مذكرة إعلان الحرب إلى وزير الخارجية اليوناني (1897/4/18) . هكذا بدأت الحرب اليونانية التي ستستمر شهرا في 1313 (رومي) (1897) .

بدأت الحرب باختراق الجيش التركي الحدود في 18 نيسان . انهزمت اليونان في الحرب الميدانية Pirnar . استشهد في هذه الحرب أمير اللواء الكبير السن حافظ عبد الأزل باشا الذي اشترك في حرب قرم وحرب 93 . وفي اليوم الثاني ، انتصر الأتراك في حرب Losfaki كذلك ، رغم استشهاد أمير اللواء جلال باشا . كان القائد العام المشير أدهم باشا . كان القائد العام اليوناني ، الأمير – ولي العهد قسطنطين البالغ عمره 29 عاما والذي أصبح ملكا بعد ذلك . كان المقر العام اليوناني في ترخالا Tirhala في تيساليا . احتل الجيش التركي ترخالا (1897/4/24) وفي اليوم التالي يني شهر (باليونانية : Larissa) . كان قد بقي في كلتا المدينتين قسم من الأتراك . استقبل هؤلاء ، الجيش العثماني بمظاهرات عارمة . وقعت في يد الأتراك مهمات حربية على نطاق واسع .

انهزم بشكل حاسم الأمير قسطنطين الذي أراد إغلاق ميناء Golos (باليونانية : Volos) في المعركة الميدانية جتالجة (باليونانية : Farsala) (1897/5/5) . جاء أدهم باشا الذي انتصر في معركة Velestin كذلك إلى Domeke مع 48.000 جندي . أدخل قسطنطين جنوده البالغ عددهم 35 000 داخل الخنادق المستحكمة . أخرج الجيش التركي اليونانيين من الخنادق ودخل Domeke . امتطى الأمير جواده في ظلمة الليل وهرب (1897/5/17) . سقطت الوزارة في أثينا . راجعت الوزارة الجديدة الدول العظمى طالبة الصلح . خسر اليونانيون في جبهة أبير كذلك وعلى أثر برقية رجاء من القيصر إلى البادشاه ، وافق على الهدنة لقاء إعادة تيساليا ودفع غرامات حربية قدرها 10 ملايين قطعة ذهبية . استمرت الحرب 32 يوما ، تقدم الأتراك 150 كم نحو الجنوب واقتربوا من أثينا بمسافة 150 كم ، وأهم ما في الأمر أن أثينا كانت مفتوحة . إذ لم يعد هنالك جيش يوناني ليتمكن من حمايتها .

افتتح مؤتمر الصلح في إستانبول (1897/6/3) ، برئاسة وزير الخارجية توفيق باشا . استمر مدة طويلة . وفي النهاية وقعت معاهدة إستانبول التي تتكون من 16 مادة (1897/12/4) . أهدى السلطان عبد الحميد إلى توفيق باشا ، الذي ينحدر من عائلة خاقانات قرم ، البناية التي سميت فيما بعد بارك أوتيل والتي يملكها حاليا أحفاد الباشا تقديرا لخدماته . وعدا تعديلات الحدود التي أجريت في صالح العثمانية ، تخلى تيساليا وتعاد إلى اليونان . تسدد اليونان إلى العثمانية غرامات حربية قدرها 000 100 4 قطعة ذهبية . هدّدت كل من إنكلترا وفرنسا وروسيا وإيطاليا العثمانية بالحرب . أمّنوا كذلك ، منح الاستقلال الذاتي التام لكريت (1897/12/18) . سيترك الجيش التركي الجزيرة على مراحل ، ينتخب الوالي من الأهالي الروم ، ستستمر الجزيرة في كونها من جملة الأراضي العثمانية التي تدفع الضرائب . ترك خلال فترة 16 عاما (مابين هذا التاريخ وعام 1913) ، عشرات الألوف من مسلمي جزيرة كريت في مواجهة الضغط الذي مارسه الروم . فقدت الجزيرة هويتها كقطر مسلم .

هذا ما آلت إليه الحرب التي كسبتها العثمانية والتي أفنت فيها الجيش اليوناني خلال ثلاثة أسابيع ووصلت أبواب أثينا . الكلمة الأخيرة كانت للدول العظمى ؛ لأن اليونان كانت مسيحية ، ولأن العثمانية كانت مسلمة ، ضعيفة ؛ فقد كانت في مواجهة اتفاق أوروبي خاص لعرقلة اكتسابها القوة . الإمبريالية الأوروبية ، كانت تحكم العالم . لم تبتعد أوروبا كثيرا عن التعصب والعقلية الصليبيّة ، رغم ادعائها الفكر الحر وتظاهرها بالإنسانية . كانت أوروبا قاسية تجاه الأقوام غير المسيحية . وفي مستهل القرن 20 لم يبق على وجه الأرض ، إلا عدد قليل من الدول التي لم تعتنق المسيحية . ورغم أن المسيحيين يشكلون 1 من 3,5 من مجموع نفوس العالم ، فإنهم حازوا على القسم الأكبر من الكرة الأرضية . أوشكت الإمبريالية والتوسع الاستعماري أن يصل إلى أقصاه ، سوف يصل إلى الذروة في القريب . كان على العثمانية أن تحافظ قدر الإمكان على ما بحوزتها حتى ذلك الحين ، وذلك هو الممكن الوحيد في السياسة . وبالفعل كانت هي سياسة عبد الحميد الثاني .

10 ـ نظام السلطان عبد الحميد ، سياسة الاتحاد الإسلامي

كانت الدول العظمى في مستهل القرن 20 حسب تسلسل أهميتها ، عبارة عن :

إنكلترا ، ألمانيا ، فرنسا ، روسيا ، الولايات المتحدة ، أوستريا ـ المجر ، تركية ، اليابان ، إيطاليا والصين . خرجت أسبانيا من عداد الدول العظمى عند اندحارها أمام الولايات المتحدة الأمريكية عام 1898 وتركها مستعمراتها . حدث تغيير في مجموع النفوس خلال 1875 إلى 1900 وبضمنها المستعمرات ، في إنكلترا من 303 ملايين إلى 382 مليون نسمة ، في ألمانيا من 42 مليونا إلى 66 مليون نسمة . في فرنسا من 45 مليونا إلى 76 مليونا ، في روسيا من 89 مليونا إلى 133 . في الولايات الأمريكية من 45 إلى 86 مليونا . في النمسا من 38 مليونا إلى 45 مليونا . في تركية من 64 مليونا إلى 57 مليونا ، في اليابان من 33 مليونا إلى 56 مليونا ، في إيطاليا من 27 مليونا إلى 33 مليونا ، في الصين من 430 مليونا إلى 348 مليونا ، في أسبانيا من 25 مليونا إلى 19 مليونا . تعداد العالم الذي كان في 1875 هو 000 000 328 1 ، ارتفع في 1900 إلى 000 000 491 1.زاد مجموع نفوس الدول العظمى من 000 000 108 1 إلى 000 000 282 1 في 1900 . أما نفوس بقية الدول جميعها فزادت خلال الفترة 1875 - 1900 من 189 مليونا إلى 209 ملايين نسمة .

كانت الدول المسلمة المستقلة على وجه الأرض ، هي عبارة عن تركية ، إيران ، أفغانستان وفاس ، أما الدول الأخرى غير المسيحية فكانت : الصين ، اليابان ، سيام . جميع الدول المستقلة الأخرى كانت مسيحية (كانت كل من روسيا ، رومانيا ، صربيا ، اليونان ، قره داغ ، الحبشة أرثوذكسية المذهب ؛ والبقية كانت كاثوليكية وبروتستانتية) .

كان عدد المدن التي يتجاوز عدد نفوسها المليون نسمة عام (1875) ، 8 وفي (1900) ، 17 ؛ وعدد المدن التي يتراوح عدد نفوسها بين النصف المليون والمليون ، في (1875) ، 169 ، وفي (1900) ، 241 مدينة . وبينما كان عدد المدن التي يزيد عدد نفوسها على المائة ألف ، في (1875) ، 191 مدينة ، ارتفع عددها في (1900) إلى 288 مدينة . كانت الزيادة في النفوس ، خاصة في المدن الأوروبية ، كبيرة وسريعة خلال ربع هذا القرن . فقدت هذه الزيادة سرعتها اعتبارا من عام 1900 .

كان عدد المدن التي يتجاوز عدد نفوسها المائة ألف في 1900 ، في إنكلترا وبضمنها

المستعمرات 69 . في الولايات الأمريكية 37 . في ألمانيا 29 . في الصين 24 . في روسيا 23 . في فرنسا 18 . في تركيا 11 . في إيطاليا 11 . في اليابان 9 . في النمسا 8 . في أسبانيا 8 . وفي بقية الدول الأخرى 41 مدينة .

وبينما كانت إستانبول أكثر مدن العالم كثافة في النفوس حتى عام 1815 ، سبقتها لندن في هذا التاريخ وأنزلتها إلى المرتبة الثانية . وفي 1852 ، فاقت باريس كذلك إستانبول . وفي 1875 كانت إستانبول في المرتبة الخامسة من حيث كثافة السكان ، وهبطت إلى المرتبة الثانية عشرة عام 1900 . المدن التي يبلغ تعدادها المليون أو أكثر عام 1900 هي : لندن 6,1 ، نيويورك 4,5 ، برلين 2,4 ، شيكاغو 1,7 ، فيينا 1,7 ، فيلادلفيا 1,5 ، طوكيو 1,4 ، بطرسبورغ (لنينغراد) 1,4 ، أسّن 1,3 ، كلكتا 1,3 ، إستانبول 1,3 . موسكو 1,1 . مانشستر 1,1 . كلاسكو – 1 . بكين ثم هامبورغ 0, – أكثر المدن كثافة في السكان في الإمبراطورية العثمانية بعد إستانبول عام (1900) هي المدن التالية : القاهرة 684 ، الإسكندرية 352 ، أزمير 221 ، بغداد 160 ، الشام 154 ، حلب 140 . وكذلك كانت ضمن الدولة العثمانية عام 1900 ، 46 مدينة يتراوح عدد نفوسها بين 40 و 100 ألف نسمة .

موقف الدول في البلقان كان على الشكل التالي : ملكية رومانيا 156 135 كم^2 و 000 913 5 نسمة . ملكية صربيا 427 45 كم^2 و 000 500 2 نسمة . إمارة قره داغ 427 9 كم^2 و 000 228 نسمة . ملكية اليونان 859 64 كم^2 و 000 534 2 نسمة . إمارة بلغاريا التابعة لتركيا (بلغاريا الأصلية) 751 63 كم^2 و 000 644 2 . روملي الشرقية 594 31 كم^2 و 000 100 1 نسمة (345 96 كم^2 و 000 744 3 نسمة) . كريت التابعة لتركيا 379 8 كم^2 و 000 304 نسمة . بوسنة – هرسك تحت إدارة النمسا – المجر التابعة لتركيا 564 51 كم^2 – و 000 737 1 نسمة . الأراضي البلقانية التي تحت إدارة العثمانية مباشرة 344 155 كم^2 – و 000 954 6 نسمة (أوروبا العثمانية وبضمنها الممالك التابعة لها : 632 311 كم^2 – و 000 732 10 نسمة) .

كانت إنكلترا قرابة عام 1900 في المرتبة الأولى في العالم في جميع المجالات تقريبا – عدا الجيش البري – لكن الفروق بين الدول العظمى الأخرى ، أخذت في

التضاؤل . فمثلا ؛ أمريكا وألمانيا ، اقتربتا من إنكلترا بدرجة كبيرة في المجال الصناعي ، بل وأوشكتا أن تسبقاها . وبينما كان الجيش البري الألماني يحتل المرتبة الأولى بشكل لا يقبل القياس ، كانت البحرية الألمانية كذلك على وشك أن تحتل المرتبة الثانية بعد إنكلترا . كانت الصناعات الثقيلة في روسيا في مرحلة التأسيس ، وهذه تحتاج إلى رءوس أموال وخبرة تكنولوجية أجنبية كبيرة . كانت فرنسا ثم روسيا تليان ألمانيا في قوة الجيش وقدرته . كانت اليابان قد أسست جيشها وأسطولها الحديث وصناعتها الثقيلة ، وسحقت الصين حديثا واستولت منها على أقطار عديدة . كانت تستعد الآن للوقوف أمام التقدم الروسي في الشرق الأقصى . رفعت أسبانيا يدها في 1898 عن قارتي أمريكا وآسيا ، واستولت الولايات الأمريكية من أسبانيا - التي انهزمت أمامها - على كوبا ، بورتوريكو ، الفلبين . كانت الولايات المتحدة قد ضمت إليها حديثا إمارة جزر هاواي الكائنة في أوقيانيا ، ووطئت القارات الأخرى وسبقت ألمانيا في معدل سرعة نهضتها ، كانت في مقدمة الدول العظمي . إيطاليا ، خسرت في الحبشة ، وأخذت الصومال من العثمانية ، واتجهت أنظارها نحو الأراضي العثمانية كليبيا واليمن . كان وضع الصين كوضع الدولة العثمانية ، بل أسوأ . لأنها بقيت بعيدة جدا عن حركات التجدد التي حدثت في العثمانية . جميع الدول الإمبريالية الاستعمارية ، كانت قد اتجهت أنظارها نحو 10 ملايين كم^2 من كل من الأراضي العثمانية الشاسعة في الشرق الأوسط وعلي الأراضي الواسعة للإمبراطورية الصينية في الشرق الأقصى كذلك . كانت الدول الأفريقية المستقلة عبارة عن فاس ، الحبشة ، وجمهوريتي ليبيريا وأفريقيا الجنوبية ، وبعد سنوات ستبقى ليبيريا والحبشة فقط من هذه الدول . أما في قارة آسيا فقد كانت الدول المستقلة هي : تركيا ، إيران ، الأفغان ، الصين ، اليابان وسيام فقط .

بوفاة عالي باشا في 1871 ، فقد الاستقرار في الإدارة المركزية في الدولة العثمانية . تمكن عبد الحميد الثاني من تأمين الاستقرار عام 1880 فقط ، وبصورة قطعية قرابة عام 1882 . الانتصار في الحرب اليونانية عام 1897 والذكرى الـ 25 لجلوسه عام 1900 والاحتفال بها من قبل دول العالم بشكل باهر بإرسال الهدايا والتهاني ، كانت القمة في حكم السلطان حميد . سوف تبدأ مرحلة التقلص بعد هذا التاريخ . عصيان مكدونيا 1902 - 1903 وعدم ارتياح الطبقة المثقفة في الداخل ، خاصة لدى الشباب الجامعي ،

الرغبة في اقتسام ، وإن أمكن ، الاستحواذ على السلطة تحت شعار الحرية ، كانت من دواعي إضعاف البادشاه .

ما الصفة المميزة لإدارة السلطان عبد الحميد الشخصية التي استمرت 30 عاما على جزء كبير ومهم من العالم؟ ما مميزاته ؟ سوف تجيب عن ذلك بإيجاز .

يمكن أن يقال إن أهم ميزة هي كيفية إرتباط جميع مؤسسات الإمبراطورية وكذلك كل القضايا بشخص البادشاه . إن تحقيق طراز إداري طويل الأمد كهذا في دولة تتشكل من إتحاد شعوب مختلفة ، وليست دولة تتكون من شعب واحد ، لم يكن بفضل استعمال القوة القسرية ، على عكس ما يُدعى . كانت القوة القسرية موجودة طبعا ، الشرطة (بالعثمانية الضابطة) ، تحريات قوات الأمن الوطني (بالعثمانية خفيّة) ، لكن ليس أكثر من ذلك . لم يستعمل الجيش أبدا ف ي السياسة الداخلية . كان استعمال الجيش في السياسة الداخلية من أساليب الإتحاديين ، (اتخاذهم مؤامرة حسين عوني باشا في 1876 نموذج واضح) . استعمل الجيش فقط ، تجاه الزمر المسلحة التي عصت ضد الدولة بشكل سافر . كذلك ، لم تكن في هذه الإدارة الشخصية عقوبة الإعدام أو أسلوب الاغتيال . عقوبات السجن كانت نادرة وخفيفة . كانت عقوبات السجن لأسباب سياسية تستبدل بعد مدة وجيزة وفورا إلى نفي في أي مدينة من مدن الإمبراطورية تحت اسم « الإقامة الجبرية » . لم يكن عدد معارضي وأعداء السلطان الألداء قليلين . وحتى بين المسلمين والأتراك ، لم يكن عددهم قليلا . واستمرار الإدارة الشخصية طيلة هذه المدة الطويلة – رغم ذلك – لم يكن إلا على أساس شخصية السلطان . استعمل السلطان عبد الحميد صفة رئاسته لكل مسلمي العالم ، كخليفة وصفة كونه حاكما شرعيا للعثمانيين ، بمهارة فائقة . وبقدر ما طغى تأثيره على الأفراد ؛ طغى على الجماعات والأقوام والملل والشعوب كذلك . هنا يكمن سر دهائه . أكد بمهارة منقطعة النظير أنه أقدر مسلم وتركي على وجه الأرض . ولتوضيح شخصيته يكفي أن نقول ، صار من الواضح أنه أصبح رمزا للمسلمين والأتراك في نظر أعداء المسلمين والأتراك ، وأصبح هدفهم القضاء على هذه الشخصية ذات القدرة المتميزة ، إذ إن القضاء عليه سيؤمن لهم المكسب الرئيسى الذي يتمنونه ، وسيمكنهم بعد ذلك من القضاء على

المسلمين والأتراك بسهولة . وما أصاب المسلمين والأتراك بعد إسقاطه يكفي لإثبات كونه سياسيا قديرا . لقد استطاع عبد الحميد أن يكون رأيا عاما مؤداه أن الذين يشككون في صفاته هذه هم خارجون على الإسلام والعثمانية والأتراك . إن نظاما هذه فلسفته ، أثبت فعليا في الربع الأخير من العصر 19 قابليته للتطبيق . ترى ما وضعه عند التطبيق ؟

كان السلطان عبد الحميد يعزل وينصب الصدور الأعظم والنظار كيفما يشاء . كان من النادر أن يستشير الصدر الأعظم ويطلب رأيه حول النظّار . ويعتبر ذلك مخالفا لأسس التنظيمات . هكذا ربط النظار بشخصه وسلخ من الصدر الأعظم صفة كونه رئيسا تنفيذيا وثبت وضعه على أنه رئيس لهيئة النظار (بالعثمانية هيئة وكلاء) . كل ناظر ، كان مسئولا أمام شخص الخاقان . درجة مسئوليته تجاه الصدر الأعظم كانت مبهمة . أخذت الرقابة التي وضعت على الصحافة والنشر ، الصحف ، المجلات والكتب تشتد . صار الكتاب لا يطبع ما لم يراجع من قبل لجنة ذات صلاحية . كان أعضاء اللجنة ذات الصلاحية هذه متعصبين أكثر من البادشاه . حدث عدة مرات عدم الموافقة على طبع كتب لا محظور فيها . أصبح السلطان عبد الحميد أسيرا للنظام الذي أسسه هو ، ظل ساكتا تجاه تعاظم الاستبداد . أخذت تقارير الخفية (التحريات) ، خاصة في المدة الأخيرة ، في التنكيل بالأفراد وتسبيب نفيهم بدون داع . الحقيقة أن المنفيين من موظفي الدولة ، كانوا يتقاضون رواتبهم في المنفى ؛ لكنهم كانوا يتقاضون هذه الرواتب دون عمل وإضافة إلى ذلك ، كانوا يفارقون عائلاتهم ، إلى جانب هذا كانت هناك حالات نفي ممتازة حيث كان يعين هؤلاء في أماكن نائية ، يبقون فيها سنين ، ويمكنهم استصحاب عائلاتهم معهم . كان من هؤلاء ولاة إيالات وموظفون من ذوي الرتب العالية جدا .

وإذا قيل ما مدى ارتياح الشعب لهذا النظام وهذه الفترة من الحكم ؟ فإنه من المؤكد أن الشعب كان مقتنعا بأنه يساس بشكل جيد ، وأن الدولة تدار من قبل صاحبها الحقيقي والشرعي . وهذا يثبت أن فكرة التنظيمات وخاصة فكرة المشروطية ، لم تسر في سواد الشعب ، وبقيت منحصرة لدى طبقة المثقفين . لكن السبب البارز لهذا الارتياح هو سير التضخم في خط قريب جدا إلى (الصفر) . كانت الحياة رخيصة

إلى درجة لا تصدق . لم تكن الحاجات متعددة في الربع الأخير من القرن 19 ، كما في العصر 20 ، كانت محدودة . كان الشعب قنوعا ، وكان يؤمن عن طية قلب بأن الرخاء والنعيم هما فقط من حق العائلات المتميزة . كان يعتبر خطيئة ، أن تتطلع عائلة لا تملك الثروة ، إلى رخاء العائلات الكبيرة . كان الشعب متدينا جدا . كانت الكتلة المسلمة من الشعب الأكثر وطنية وإخلاصا في العالم ، هم أتراك العثمانية . لا يتراخى أبدا في قضاء عبادته ، ويقوم بها حبا في الله ولله فقط . المساكن كانت رخيصة . كل عائلة كانت تملك بيتا له باب خارجي . لا يسكن المسلم التركي في عمارة . كان بالإمكان تحويل الليرة العثمانية الورقية الواحدة إلى ليرة ذهبية واحدة في جميع أنحاء العالم . وكان لا يزال النقد الذهبي والفضي يتداول أكثر من العملة الورقية .

كانت الزمرة غير الراضية هي الشباب والضباط الذين يدرسون في المدارس العالية والمتميزة . إن عدم الرضى الكبير والذي أخذ بالتعاظم ، كان في « مكتب حربية شاهانة » (المدرسة الحربية الإمبراطورية) والمدرسة الطبية العسكرية الإمبراطورية . كان هنالك الكثير من الذين يشكون من النظام بين شبان المدارس المتميزة الأخرى كالمدرسة الملكية (المدنية) الإمبراطورية والمدرسة الطبية الملكية (المدنية) الإمبراطورية ، ومدرسة الأركان الحربية الإمبراطورية ، وكذلك بين شبان الكتب السلطاني (كلية غلطة سراي الإمبراطورية) الممتازة الوضع جدا (رغم عدم كونها مدرسة عالية) . ويظهر أن عدم الرضا في المدارس الأخرى والمدارس الدينية العالية ، كان في حده الأدنى . ويجب أن لا يخطر على البال أن الطلاب كافة مخالفون للنظام ، فقد كان هذا غير ممكن ، حيث إن أولاد القائمين بإدارة النظام يدرسون في معظمها . لكن الشباب معارضي النظام ، أخذوا في بث الدعاية بين رفاقهم . وهذه الدعاية التي كانت عام 1900 غير مهمة ؛ توسعت وعظمت بشكل لا يصدق في الأعوام القليلة التي تلت هذا التاريخ . ومما يلفت النظر ، أن أول من قام بالدعاية المضادّة من الشباب ، هم الشباب القادمين من روسيا ، أولاد العائلات القاطنة مدة من الزمن في أوروبا ، أولاد الأقوام المسلمة غير التركية . كانت الناحيتان اللتان أولاهما السلطان عبد الحميد أهمية مكثفة في السياسة الداخلية ، هما المعارف في الدرجة الأولى ، وفي الدرجة الثانية الإعمار . قال الصحفي الشهير حسين جاهد يالجين ، أحد كبار أعداء نظام السلطان حميد وأحد

أركان جمعية الاتحاد والترقي: « لو كان بالإمكان الحفاظ على السلطة السياسية بالإعمار ، لبقي السلطان حميد محافظا على عرشه حتى وفاته » . إذن ، هل كان السلطان قد أهمل الحياة الثقافية ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال أمر معقد جدا ، فمن الحقائق المسلم بها أن الحرب الثقافية كانت مجهولة في ذلك التاريخ . لكن فتح المدارس كان مستمرا ، وحسب أقوال محرري الاتحاد والترقي أخيرا ، فإن عدد متعلمي القراءة والكتابة قد زاد خمسة أضعاف ، وفي بعض المدن عشرة أضعاف ، خلال فترة الـ 33 سنة من جلوس السلطان حميد حتى خلعه ، وكانت الثقافة والتعليم يتطوران . كان الإعجاب بأوروبا يزداد . كانت أوروبا في هذه الآونة في قمة عظمتها . العثمانية كانت تذكر الأزمان التي كانت هي فيها في تلك القمة بتحسر . كان الشاب العثماني يتساءل بينه وبين نفسه ، لماذا يتدنى اليوم . كان يرى أن العلة في النظام ، ويجدها في عدم نيل الحرية . لتأت الديمقراطية ، وكل شيء سوف يستقيم في طريقه . كانت هذه فكرة مدحت باشا ، وكان مدحت باشا بطلا بالنسبة لهؤلاء الشباب . كان الناظر ، يشخص الأمر على الفور ، بأن الشخص الفرد والمطلق الذي يوقف هذا النظام القاصر على قدميه ، هو عبد الحميد الثاني . إذن ، كان يجب إسقاط السلطان عبد الحميد .

لاشك أن للمثقفين حقا في بعض ما ينقلونه . لكن التأثيرات الخارجية كانت قوية كذلك . إن هذه التأثيرات الخارجية ، لم تكن تفكر في سلامة العثمانية . سوف يدركون ذلك بعد فوات الوقت تماما . لاشك أن الشباب كانوا حريصين على السلطة . قسم منهم كان يؤمن من صميم قلبه بأن شعيرات لحية السلطان حميد البيضاء أو الممتزجة بالبياض تدير الدولة خيرًا مما يديرها وزراؤه ومشيروه وقضاته العسكريون .

استفحل الشعور بعدم الرضا بين الضباط والشباب . إن عدم الرضا الذي كان نادرا بين العقداء ، وقليلا بين الرواد (بكباشي) ، أخذ في التعاظم بين الرتب الأصغر ، بين الذين تخرجوا حديثا في المدرسة أو الأكاديمية الحربية ، خاصة بين الذين خدموا في البلقان المجاورة لأوروبا . معارضو النظام بين الجنرالات كانوا معدومين تقريبا . سبب ذلك مادي . والسلطان هنا مذنب من ناحية وفي نفس الوقت معذور من ناحية أخرى ؛ معذور ، لأن موارد الدولة كانت محدودة ، مذنب ، لأنه لم يدرس سبب

عدم الرضى لدى الضابط الشاب ليعالجه . كان سبب عدم الرضا هو أن الدولة بدأت ـ خاصة في السنوات الأخيرة ـ بدفع 6 رواتب بدلا من 12 راتبا إلى الموظفين ومن بينهم الضباط . وهذه الحالة خفّضت مستوى المعيشة إلى النصف . الحقيقة ، أنه كان بالإمكان ، في ذلك الوقت ، المعيشة بالرواتب الستة دون الحاجة إلى أكثر . لكن الموظفين أخذوا يشعرون بأنهم دائنون للدولة وأن الدولة مدينة لهم . ومن ناحية أخرى ، كان الفرق بين الحد الأدنى والحد الأعلى لرواتب الإمبراطورية العثمانية كبيرا جدا ، كما كان الأمر كذلك في جميع أقطار العالم . وكذلك اليوم هو كبير جدا ، لدى أقطار العالم الشيوعية والرأسمالية . زاد البعد بين الحد الأدنى والحد الأعلى بشكل خطر في الجمهورية التركية فقط . كان راتب المشير (الماريشال) في السنوات الأخيرة لعهد السلطان حميد ، 300 قطعة ذهبية شهريا ، وراتب اللواء 60 ، والعقيد 25 ، الرائد 12 ، النقيب المتقدم 10 ، النقيب 5 ، الملازم الأول 3 ، الملازم 2 ليرة ذهبية . وبسبب رخص تكاليف الحياة ؛ فإن الحاجيات التي تصنع وتشترى اليوم بـ 2,5 ليرة ذهبية ، كان ممكنا صنع وشراء ما يعادلها في ذلك الحين بـ ليرة ذهبية واحدة . رواتب الضباط في إنكلترا للسنوات ذاتها ، الفريق الأول 240 ، اللواء 90 ، العقيد 32 ، الرائد 23 ، النقيب 20 الملازم الأول والملازم 7,5 إلى 9,5 (للخيالة والمشاة) ليرة ذهبية شهريا . ولو قورنت مع رواتب الضباط العثمانيين لشوهد فورا التوافق في رواتب الرتب العليا ، وعدمه في الرتب الدنيا . وبذلك يكون كل من الملازم والنقيب العثماني مقتنعا بأنه لم يتسلم حقه ، ولا يدخل في اعتباره كون إنكلترا أغنى إمبراطورية في العالم تمتص موارد 6 قارات . أصبح الوضع وخيما عند هبوط الرواتب إلى مرة في كل شهرين . وربما زاد من وخامة الأمر أن الجيش الأول المتمركز في إستانبول ، وخاصة الفرقة الأولى التي مقرها في ييلدز التي تشكل أكبر قوة ضاربة للإمبراطورية ، أخذت تتقاضى 12 راتبا في أكثرية الأحيان . أما ضباط الجيش الإمبراطوري الثالث في مكدونيا ، فكانوا يتقاضون راتبا واحدا في كل شهرين ، رغم أنهم وجها لوجه أمام العدو ، وفي صراع مستمر ليلا ونهارا مع الثوار . أخذ كل ضابط من الضباط الشباب في الجيش الثالث ـ الذي كان كل واحد منهم في حالة حرب فعلية مع المتمردين ـ يستعدون للمعارضة العلنية ويفتحون آذانهم لمعارضي النظام . وشيء آخر ، لم يكن هنالك من

لم يسمع بأن الضباط والموظفين المقربين للسراي كانوا وما زالوا يتقاضون رواتب إضافية وشهريا من الخزينة الخاصة ، أي من جيب السلطان الشخصي . كان السلطان حميد يبدل بصورة مستمرة الضباط الموجودين في يلدز وفي إستانبول ، وينقلهم من جيش إلى جيش ، كان تفكيره أن مصاريفهم في العاصمة إستانبول كبيرة ؛ لذا يجب إرسالهم إلى المناطق النائية ليعتادوا على التقشف والاقتصاد ، لكن هذه الفلسفة لم تعد تهمهم في شيء . لم يعثر على حل لذلك ولم يتيسر إيجاد ما يصلح هذا الوضع وكما قال الأستاذ مكرمين خليل ييناج **Ord . Prof Mukrimin Halil Yinaç** « سقط السلطان حميد لعدم تمكنه من دفع رواتب الضباط في حينه » .

إن التهامس ضد النظام في عام 1900 لم يكن يستهدف شخص البادشاه . اشتد الكلام ضد الخاقان مع حلول العصر 20 أخذ المثقفون يبحثون عن الجو الحر لنظام التنظيمات خلال الأعوام 1839 – 1871 . ولم يفكروا في أن ذلك الجو قد نتج – ولو جزئيا – من عظمة الإمبراطورية في تلك السنوات . تقبل الناس هذه الفكرة – ولهم كل الحق في ذلك – وهي أن الدولة كانت في ذلك الدور تملك رجالا إداريين مقتدرين وإن هذا الدور خال منهم ، إن الإداري الداهية الفرد اليوم ، هو السلطان عبد الحميد . لكن الأشخاص المحيطين به لم يكونوا يساوون ربع القرش . كان واضحا أن الرجال الذين يدير البادشاه الدولة بواسطتهم ، لم يكونوا على مستوى الرجال في الأدوار الماضية ، شاع اصطلاح « قحط الرجال » ولكن اتضح بعد 1908 أن الشباب الذين وضعوا هذا النقد لم يكونوا حتى على مستوى رجال السلطان حميد علما وتجربة .

وبناء على ذلك فإن السلطان حميد ، كان قد وسّع وطور المعارف والإعمار بشكل كبير . لكن ذلك لم يكن عنصرا كبيرا في الاعتبار ، كان العنصر المتفق عليه تقريبا هو كون السلطان عبد الحميد داهية في السياسة الخارجية ، هذا العنصر شهد له به حتى أعداؤه .

كان البادشاه ، الذي أخذت عرى الروابط تتباعد بينه وبين طبقة الشباب من شريحة المثقفين الذين ثقفوا بمعارف التنظيمات التي زودتهم بالثقافتين الشرقية والغربية ، معتمدا

على الشعب بقوة . كان يعلم أن جميع الأقوام المسلمة في الإمبراطورية تكن له المحبة الصادقة ، وأن الذين لا يدينون بالإسلام يؤمنون بأنه شخصية جديرة بالاحترام يخشى جانبها . وخلال هذه الفترة التي تفشت فيها الفاقة (بالفرنسية : disette) والمجاعة (بالفرنسية : Famine) في معظم الأقطار العالمية ، ومات الملايين في إيرلندا والهند بسبب قلة التغذية ؛ لم تكن في الدولة العثمانية مشاكل من هذا القبيل . لم يكن هنالك شخص جائع وبلا مسكن . كان التعاون الاجتماعي متينا بفضل النظام القويم للدين الإسلامي في هذا الجانب . كان طراز الحياة التي يحيونها ، إسلامية . لا يترك أعزب أو أعزبة في محلة أو في أية قرية ، إلا وزوّجوا ، يؤمن عمل للعاطلين . لا يسمح للشباب بأن يكونوا عاطلين وشذاذ آفاق . وبسبب قلة النفوس وعدم اشتغال المرأة ، كانت مشكلة البطالة في حدها الأدنى . موسرو المحلة ، القرية وأشرافها كانوا الحماة الطبيعيين للمعوزين . وبسبب ذلك ، كان الموسرون يلقون احتراما من قبل الشعب كرجال الدولة . استمر هذا البناء الاجتماعي ، حتى الحرب العالمية الأولى . ولذلك فلم يكن ينتظر رد فعل من قبل الشعب ، تجاه النظام الحميدي . وقد جذب هذا اهتمام وأسف معارضي حميد من الاتحاديين . وحاولوا كثيرا استمالة الشعب إلى طرفهم .

السلطان حميد ، كان بالنسبة لأوروبا رجل دولة ، غير محبوب ، يمسك في قبضته ملايين المسيحيين ، وبصفة خلافته ، له نفوذ على رعايا الدول الأوروبية المسلمين ، يثير الفتن بين الدول المسيحية ، لكنه رجل دولة يجب الحذر أو تجوز الخشية منه أو الشعور بالاحترام تجاهه . وكلما ابتلعت الدول الأوروبية قطرا إسلاميا ، زادت عداوتها تجاه السلطان عبد الحميد . كانت خشيتهم الكبرى من صفة خلافته . كان على رأسهم إنكلترا التي كانت مصممة على إلغاء الخلافة ، أو على الأقل نقل الخلافة إلى شخص آخر ، وإن أمكن إلى مسلم صديق لإنكلترا . وجود الخلافة لدى أقوى حكام المسلمين ، كان يزيد من غضب إنكلترا ، إذ كانت إنكلترا آنذاك الدولة التي تشتمل إمبراطوريتها على أكبر عدد من المسلمين في العالم . والعثمانية ، كانت الثانية .

السلطان حميد ، الذي وجد منذ أوائل أيام سلطنته أنه لن يتمكن من إيجاد مجال للتفاهم المتقابل مع الدولة العظمى الأولى في العالم ، حاول مضطرا أن يجذب الدولة العظمى الثانية لصفّه . إذ كان هذا ، قانون دبلوماسية رشيد باشا في التنظيمات . إذ

إن سياسة الانفراد كانت ستجلب على العثمانية ما جلبته على الصين .

الدولة العظمى الثانية ، هي الدولة الاتحادية المغرورة المكونة من إمبراطورية ألمانيا – ملكية بروسيا . كان لألمانيا كذلك مصالح كثيرة جدا في الاقتراب من العثمانية . الإمبراطور – الملك ولهلم ، زار السلطان حميد مع إمبراطورته مرتين بصورة رسمية . لم تكترث برلين بعدم قيام البادشاه برد هذه الزيارات . أبناء الإمبراطوري وضمنهم الأمير – ولي العهد ، زاروا السلطان حميد مرات عديدة . زار الإمبراطور السلطان حميد بصورة رسمية في 1889/11/2 و 1898/11/30 . أحدثت هذه الزيارات أصداء كبيرة في جميع أنحاء العالم . اغتاظت لذلك إنجلترا وفرنسا ، لكن لم يكن هنالك بد من ذلك ، ولا يمكن لتركيا أن تبقى وحيدة . كان أعداؤها يتمنون إمبراطورية عثمانية وحيدة لتكون لقمة سائغة . زار البادشاه في تواريخ مختلفة كلا من 3 أبناء الإمبراطور ، وأخيه ، وأخته كذلك . والملكة فكتوريا كذلك ، أرسلت إبنها وحفيدها ، ولي عهد النمسا – المجر ،إمبراطور وإمبراطورة البرازيل ، ملك إيطاليا Vittorio Emanuele لمرتين ، أبناء القيصر ، إخوته ، ملكة رومانيا ، ملك وملكة السويد – النرويج وثم ولي عهده ، 3 أمراء إمبراطوريين من اليابان ، الرئيس السابق للولايات الأمريكية المتحدة لمرتين ، شاه إيران وأمراؤه ، ، ملك الصوت ، حكام ألمان كثيرون وأمراؤهم ومن فرنسا Poincaré وكثيرون آخرون دخلوا سراي ييلدز وخرجوا منه . وكلهم صرحوا بأنفسهم فيما بعد بأنهم سعدوا بلقاء البادشاه . أما أمير بلغاريا Ferdinand – الذي كان في الأصل ألمانيا – فكان يرتدي بفخر ملابس مشير عثماني ومرافق البادشاه ويكتب التقارير إلى ييلدز بتوقيع « عبدكم فرديناند » وكان يقبل رداء البادشاه في إستانبول . أما أمير قرة داغ نيقولا الكبير السن فلم يتمكن من ترك ما تعوده سابقا ، وأخذ يوقع على الرسائل حتى 1908 بتوقيع « عبدكم نيقولا » هذا ، رغم كونه حاكما مستقلا منذ 1878 . وكان معلما بالأصل ، تسلم راتبا سريا من السلطان حميد طيلة مدة بقائه على قيد الحياة . أما أمراء العالم الإسلامي ، فكانوا يدخلون قصر ييلدز بخشوع ، رغم كون أكثريتهم من الرعايا الإنكليز ، إذ إنهم كانوا فقط يحيّون الحاكم الإنكليزي ، بينما كانوا ينكبون على الأرض – رغم منع السلطان حميد ذلك بصورة قطعية – في حضور أمير المؤمنين .

منع التدريس باللغة التركية في إيران لفترة ما ، رجا البادشاه بنفسه مظفر الدين شاه فصدر الإذن باستئناف التدريس بالتركية . كان السلطان حميد قد حصل على أعلى الأوسمة ودرجات الشرف في العالم . إن هذه الأوسمة ، نهبت في نهيبة ييلدز عام 1909 .

أقيمت علاقات صداقة مع النمسا – المجر . روسيا ، التي لديها مشاكل كبرى في الشرق الأقصى وآسيا والتي تخشى ألمانيا كثيرا ، أصبحت محايدة ، لا يخشى شرها تقريبا تجاه العثمانية . لم يكن السلطان حميد يميل إلى فرنسا ، بسبب كونها جمهورية ولترويجها الآراء الثورية وتسميته باسم « السلطان الأحمر » . لكنه كان يحب الثقافة الفرنسية ، والموسيقى الإيطالية . كانت الثقافة الغربية السائدة في العثمانية ، هي الثقافة واللغة الفرنسية . الإنكليزية ، كان يتعلمها الضباط البحريون فقط تقريبا . أخذ عدد متعلمي اللغة الألمانية بين الضباط الأركان في الازدياد . أدخلت اللغة الألمانية مع اللغة الفرنسية في المدارس العسكرية . أما في المدارس البحرية ، فكانت اللغة الأجنبية ، هي اللغة الإنكليزية منذ القدم . اتخذ محمود الثاني ، النظام الفرنسي أساسا لتكوين الجيش التركي الحديث . وكان الجيش الفرنسي أساسا حتى 1871 أعظم جيش في العالم . حل محله في التدريس بعد ذلك ، النظام البروسي . استدعي الكثيرون من الضباط الألمان وبدأوا في التدريس في المدارس العسكرية . ويمكن القول بأن النظام البروسي ظل معتبرا حتى 1945 . جدد النظام بعد هذا التاريخ على أساس الطراز الأمريكي .

كان قد تم تأسيس التوازن ، سواء في أوروبا أو في البلقان . أصبح غير ممكن بعد الآن لإنكلترا ، روسيا ، فرنسا ؛ أن تستقطع أجزاء من العثمانية طيلة استمرار النظام الحميدي . إذ لم يكن بإمكان ألمانيا ، النمسا – المجر ، استقطاع شبر من الأراضي دون إعطاء حصة لإيطاليا . أما اقتسام كهذا ، فلم يكن ممكنا . وعلى هذا الأساس كان شخص السلطان حميد عاملا أساسيا وضمانا لسلامة وصيانة وحدة الإمبراطورية ، كشخص Franz joseph في النمسا . ولكن على الجانب الآخر أخذت النظرة إلى شخص السلطان حميد تتجه إلى تقييمه على أنه مانع كبير للدول الاستعمارية وعلى رأسها إنكلترا ، أخذت فكرة إسقاط هذا الحاكم بصورة مطلقة ، تكتسب ثقلا في لندن وباريس .

كان نجاح السلطان حميد الكبير في السياسة الداخلية ، يتمثل في ربطه الأقوام المسلمة في الإمبراطورية ، مع الدولة والعرش بشكل متين . كان مخلصا في عمله هذا ، والأقوام المسلمة التي لمست هذا الإخلاص ، قابلته بالمثل . إن سياسة إثارة الأقوام الإسلامية غير التركية في الإمبراطورية العثمانية ، وفصلهم عن الإمبراطورية والسيطرة عليهم تحت شعار القومية التي انتقلت عن الدول الإمبريالية الغربية ؛ لم تعط أية نتيجة جدية . لم تكن لدى الدول الغربية نية للاعتراف باستقلال أي شعب إسلامي ، وسوف لا تكون لديها هذه النية فيما بعد ذلك بكثير . ولذا ، فإن كل قوم مسلم إنفصل عن العثمانية ، كان لقمة طبيعية للاستعماريين الغربيين .

إن الناطقين باللغة العربية ، هم أكثر الأقوام الإسلامية كثافة في النفوس في الإمبراطورية ، بعد المسلمين الناطقين باللغة التركية . كان العرب راضين عن إدارة السلطان حميد . استمر السلطان حميد في السير على التقاليد العثمانية القديمة حول عدم المساس بتقاليد وأعراف وعادات العرب . كان العرب بالنسبة للعثمانيين « القوم الشريف » بل « أشرف الأقوام » بسبب ظهور الرسول ﷺ . الحقيقة أن اللغة التركية ، كانت معتبرة في جميع الأقطار العربية . لكن اللغة العربية كانت تدرس كذلك في جميع المدارس الدينية في الأناضول وروملي . وكانت اللغة العربية تدرس إجباريا مع الفارسية دون استثناء في جميع المدارس المتوسطة وجميع المدارس المدنية والعسكرية ذات الدرجة العالية التي فتحتها التنظيمات . لا يوجد تركي أنهى الدراسة المتوسطة (رشدية) لم يدرس العربية .

وكانت كل من اللغتين العربية والفارسية وآدابها إجبارية أيضا في المدارس الثانوية (إعدادي) على شكل أوسع .

كان الأكراد مرتبطين بإخلاص ، راضين عن البادشاه الذي حماهم ولم يقدمهم لقمة للأرمن . كان الجركس والأقوام القفقاسية الأخرى ، على الوضع نفسه . أنقذتهم العثمانية من سيف الروس ، فتحت لهم أبواب الدولة . وقد كانت والدة السلطان حميد ووالدات العديد من السلاطين ، من الجركس .

كان من الممكن للمسلم في إستانبول ـ دون أي تفريق بين التركي وغير

التركي – أن يعتلي أي مقام من مقامات الدولة ، عدا مقام السلطنة . كان بإمكانه بسهولة أن يكون صدرا أعظم . وبإمكانه أن يكون ضابطا ، جنرالا وماريشالا . عمل الأتراك في العسكرية بأكثرية فائقة ؛ كان بسبب عدم تحمل الأقوام المسلمة الأخرى ، مشاق المدارس العسكرية نسبيا ، وعدم رغبتهم في ذلك . لم يكن التفريق سببا في ذلك ، إذ لم يكن التفريق موضع بحث على الإطلاق . ومع أن الأكثرية الساحقة للعسكريين كانت من الأتراك ، كان هنالك بين الضباط الجنرالات والماريشالات ، عدد غير قليل ممن هم من أصل عربي ، ألباني (عرنووط) ، كردي ، جركسي ، تتري (تركي شرقي) ، بوشناق ، أباظة ، جاجان وبينهم من كانت له شهرة كبيرة . كان للبوشناق ، الجركس وخاصة الألبانيين ولع في دخول المدارس العسكرية كلما سنحت لهم الفرص وكان هؤلاء يستتركون بسهولة . أن استتراك العرب ، أي تركهم اللغة العربية وتكلمهم التركية كلغة أم أساسية ، كان أمرا صعبا . وفي مقابل ذلك ، استعرب ملايين الأتراك بعد عدة بطون سواء في عهد السلاجقة أو في الأدوار العثمانية في كل الأقطار العربية تقريبا . استعراب الأتراك ، جرى بسهولة كبيرة .

لاشك أن سياسة السلطان عبد الحميد ، الدقيقة والمخلصة تجاه الأقوام العربية ، كانت من إيجابيات خلافته . لكن عنايته الخاصة بالقوم الألباني كانت معلومة . وبسبب استقرار الدول البلقانية الجديدة في 1878 هناك ، وقرار معاهدة برلين بإجراء الإصلاح لصالح العناصر المسيحية في مكدونيا ، رأي البادشاه ضرورة الاستناد على الألبان المسلمين في غرب روملي على أطراف البحر الأدرياتيكي ، لدرجة أنه اشترط ذلك للحفاظ على روملي . ويقال إن إبقاء السلطان حميد لآخر صدر أعظم له ، التركي الأصل والذي صار ألبانيا على مر الزمن ، المنحدر من عائلة ألبانية عريقة وقديمة جدا Avlonya آفلونيالي – زاده لر ، الإداري اللّامع محمد فريد باشا ، سنوات طويلة في الحكم له علاقة بسياسته هذه .

وقع في 10 تموز 1894 في مدينة إستانبول ، أحد أكبر الزلازل في تاريخها . كانت كارثة كبيرة . أصلحت الأماكن المخربة بسرعة ، أوليت عناية خاصة بالمتضررين . وبينما كان طبيعيا ، في مثل هذه الكوارث ، أن تضعف الإدارات ، فإن هذا الوضع قد زاد في اعتبار السلطان حميد .

أصبحت يبلدز مدينة مستقلة داخل إستانبول . كان يعيش بداخلها عشرات الألوف من الناس والجنود . كل شيء صار مرتبطا ومرهونا بيبلدز . أصبحت الدولة تدار من السراي بشكل لم يسبق له نظير . انكسرت سلطة الباب العالي ، وأصبح لا يمكنه البت في شيء دون استشارة السراي . صار واضحا أن البادشاه ، لم يعد يتمكن من الاعتماد على تسليم إدارة الدولة إلى زمرة النظار الذين خلعوا عمه وسكتوا على مقتله . كان تطورا سيئا جدا بلا شك. لم يمكن منع تحكم يبلدز في كل شيء . بالعكس فقد ازدادت حصته في التدخل . لم يكن في أي وقت من الأوقات ، لا سراي طوب قابو للقانوني ، ولا جانقايا لأتاتورك ، مرجعا فردا بهذا الشكل . هذا الوضع أضعف الخاقان ، ضعضع اعتباره . إذ بدأت كل النواقص تعزى إلى يبلدز ، فبدلا من أن يكون المرجع الطبيعي لشكاوى الشاكين ، الباب العالي ، اتجهت نحو يبلدز . ومع أن نية السلطان عبد الحميد ، لم تكن هذه بلاشك ، فإن ذلك زعزع اعتبار العائلة . وكرد فعل لذلك ، أخرج الاتحاديون إلى الساحة في هذه المرة ، رجل دولة من طراز ضعيف – السلطان رشاد – لقد كان من طراز لا مثيل له في أية دولة أخرى . إن هذا الطراز سبّب في هذه المرة ضربة معاكسة ثانية للسلالة . أما السلطان وحيد الدين الذي خلفه ، فقد فقد كل اعتباره لاحتلال العدو لمدينة العرش ، على عهده . ودنت نهاية أقوى السلالات استقرارا في التاريخ .

والمعلوم ، أن السراي يقسم إلى قسمين ، مابين همايون وحرم همايون والقسم الثاني هو دار البادشاه الذي يسكنه مع عائلته ، وليس له علاقة بأمور الدولة . ما بين همايون (البلاط) ، هو القسم الذي يقوم فيه البادشاه بواجب رئيس الدولة . والآمر الأكبر لهذا القسم ، يسمى مشير المابين . بقي غازي عثمان باشا ، ناظر السراي حتى وفاته في هذه الماريشالية . وعند وفاة عثمان باشا ، آخر مشير للمابين في التاريخ العثماني ، احتفظ السلطان حميد بهذا المنصب شاغرا ، مدة 8 سنوات و لم يعين خلالها أحدا . لكنه لم يلغ المنصب . والآمر الكبير الثاني للمابين هو باشما بينجي (رئيس المابين) والموظف الثالث هو كاتب المابين الهمايوني (سر كاتب حضرت شهرياري) . إن هذه المناصب كالنظارات ، والذي يشغلها يصبح له نفوذ أكبر من النظّار . يحتوي السراي على عسكريين مرتبطين رأسا بشخص عبد الحميد الثاني الذي يسمى في السراي

« هنكار » ، وبين الشعب « بادشاه » ، ورسميا « خاقان » ، ولدى العالم الإسلامي « خليفة روي زمين ، أمير المؤمنين » ، كما يحوي على مشاورين من كل صنف ، مئات المرافقين وضباط الخدمات ، دائرة رئاسة الكتابة (التحرير) التي تحوي على تشكيلات ، أكبر من النظارة ، مكاتب البرق ، غرف الشفرة ، غرف الترجمة والمترجمين ، أركسترا (جوقة) خاصة ، باندو ، فرقة الموسيقى التركية (الساز) ، جيش من الأطباء ، وتشكيلات الأمن الوطنية الرتبطة بشخص البادشاه . ويسمى رئيس تشكيلات الأمن السرية هذه « سر خفية حضرت شهرياري » أي « رئيس استخبارات البادشاه الخاص » . شغل الفريق الأول الإنسان والمثقف جدا أحمد جلال الدين باشا ، هذا المنصب لسنوات طويلة . وآخر من شغل مقام كتبة المابين ، اثنان أحدهم ثريا باشا ثم تحسين باشا الذان بقيا مدة طويلة في الوظيفة . كانت كل المكاتبات ورئاسة التحرير باسم البادشاه ، تجري عن طريقه .

وظيفة الإخباريات ، تحولت إلى عمل غير أخلاقي . شوهد تقديم إخباريات من قبل أشخاص معروفين ضد خصومهم . وبينما تنحصر أعمال تشكيلات الشرطة السرية (الخفية) ، بالتحري عن الجرائم التي ترتكب ضد الدولة والبادشاه فقط ، أخذت هذه الحدود في التوسع بشكل خطر واعتباطي . ومع ذلك ، فقد شاهد الاتحاديون بدهشة ، في نهبي سراي ييلدز صناديق كثيرة العدد مغلقة ومليئة بالإخباريات ، و لم يفتح أي ظرف من الظروف التي تحتويها . ورغم ذلك لم يمنع البادشاه تقديم الإخباريات .

وفي الوقت الذي استقر فيه النظام على هذه الشاكلة ، بنواحيه الحسنة والسيئة ، فإن الاضطرابات التي بدأت في مكدونيا ، أخذت بالتزايد وسبّبت الحط من الهيبة وفي النهاية هدم النظام الحميدي . إن عامل تغيّر الزمن في هذه المسألة مهم جدا . لم تكن الإدارة الشخصية للحاكم غير مألوفة و لم تكن مستغربة كثيرا في السنوات التي تلت عام 1876 ، لم تكن مستغربة كذلك ، حتى في أكثر الأقطار حرية في نظامها . خرج النظام الحميدي عن كونه نظاما معاصرا . وإذ يقتضي أن يكون أكثر ليبرالية وحرية على مر الزمن ، أصبح أكثر تعقيدا ، واستبدادا .

كثر البحث عن سياسة السلطان عبد الحميد البانسلامية **Panislamizm** (بالعثمانية

اتحاد إسلام) ، بدأت هذه السياسة على يد السلطان عزيز وخاصة في سنواته الأخيرة ، ثم خلع . سار السلطان حميد في طريق عمه من ناحية ، لكنه عالج هذه السياسة الإسلامية بدقة أكثر ، وبنجاح أكثر وعلى مدى أوسع . أضافت هذه السياسة التي كانت لأجل الإسلام واستنادا إلى واجب الخلافة ، الدول الغربية بشكل كبير ، أخذوا ينظرون إلى البادشاه ، على أنه أعدى أعداء سياستهم الإستعمارية . وكان هذا مما عجّل بانهيار السلطان حميد وحال دون بقاء السلطان حميد على عرشه حتى وفاته عام 1918 وصيانته للدولة من الكارثتين الكبريين ، حرب البلقان والحرب العالمية الأولى .

إن البادشاه الذي عزز صفة الخلافة بشكل واضح ، هو السلطان عبد الحميد . وقد لقي هذا قبولا حسنا لدى العالم الإسلامي . وحتى اليوم ، يذكر العالم الإسلامي ذلك بمحبة . كان العالم الإسلامي في وضع حرج بسبب ضغط الاستعماريين . اجتمع بكل امتنان حول زعامة السلطان عبد الحميد المعنوية . شوهد بدهشة في صحف إستانبول عام 1967 ، خبر تلاوة الخطبة في مساجد بعض المناطق النائية في أفريقيا ، باسم عبد الحميد . وإنني موقن أنه حتى اليوم ما زالت تقرأ الخطب في أماكن كهذه باسم السلطان حميد . بينما جاء بعده 3 خلفاء آخرين .

من السهل ملاحظة مدى الرعب الذي أصاب كلا من روسيا وفرنسا وبخاصة إنكلترا من سياسة عبد الحميد في شأن الاتحاد الإسلامي ، وذلك من خلال الوثائق الدبلوماسية لتلك الفترة . ساح رجال الدين والضباط الذين هم مخبرو الخليفة في كل العالم الإسلامي . ذهبوا إلى جاوة ، سنغافورة ، ماليزيا ، سومطرة ، الصين ، تركستان ، الحبشة وأفريقيا السوداء . بعثوا بتحية الخليفة وجلبوا الهدايا . جابوا الهند . أرسل إلى سلطان فاس الضباط العثمانيين الذين طلبهم ، لكن فاس سقطت في قبضة الفرنسيين ، قبل تمكنهم من إصلاح الجيش الفاسي .

سببت سكك حديد الحجاز وبغداد ، زيادة صلابة أوروبا وخاصة إنكلترا تجاه عبد الحميد الثاني . كان البادشاه مصمما على مد خطوط إستانبول – صنعاء ، إستانبول – كويت ، إستانبول – أرضروم . أظهرت روسيا عدم ارتياح شديد بالنسبة للخط الأخير ؛ لذا

ترك للمرحلة الأخيرة . لكن خط بغداد ، شيّد برأس مال ألماني . وهكذا دخل في الحساب عدم إمكان اقتراب إنكلترا إلى خليج البصرة أكثر من ذلك ؛ حيث إن ألمانيا صاحبة الاعتماد ، ستحول دون ذلك . أما خط الحجاز فشيّد بدراهم العثمانية والمسلمين . أرسلت الإعانات من كل أماكن العالم الإسلامي لربط المدن المقدسة بمركز الخلافة إستانبول . أكبر مبلغ قدم من قبل البادشاه من خزينته الخاصة . وصل الخط إلى المدينة ، وقبل وصوله إلى مكة ، ترك السلطان حميد العرش .

أقلق خط الحجاز إنكلترا بشكل كبير . حيث إن ذلك سيؤمن نقل الجيش بسهولة إلى شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر . وقد أعلن بصورة رسمية التسهيلات التي جرت على سياحة الحجّاج .

والحادث المهم جدا الذي أقام أوروبا ضد السلطان حميد ، هو رفض البادشاه لطلب إسكان المهاجرين اليهود في فلسطين (بالعثمانية قدس شريف صنجاغي) (لواء القدس الشريف) . كان مؤسس الصهيونية الصحفي اليهودي هرزل Theodor Herzl (1860 – 1904) قد جمع في بازل في سويسرا 1897 المؤتمر الصهيوني الأول . فتح اعتمادا بمساندة أصحاب البنوك والممولين اليهود لغرض تأسيس وطن يهودي . جاء هرزل إلى إستانبول . توسط سفير النمسا – المجر في طلبه لمقابلة البادشاه . قابله (1901/5/19) حيث عرض هرزل ، طلب قبول المهاجرين اليهود إلى فلسطين ، مفيدا أن العثمانية قد قبلت في العصر 15 اليهود المطرودين من أسبانيا والبرتغال ، وأن رئيس الحاخامين في إستانبول قد أبلغه بأن القطر الذي لم يضغط فيه على اليهود ، على وجه الأرض ، هو الإمبراطورية العثمانية . وأضاف إلى ذلك أن المهاجرين اليهود الذين سيستوطنون في الأراضي الخالية سيكونون من رعاياها الجيدين وأنه يتكلم نيابة عن يهود العالم أجمع ، وأن مساندة يهود العالم ستكون بجانب العثمانية والبادشاه ، وسوف يقدم للبادشاه في الحال عدة ملايين من الليرات الذهبية كضريبة ودين عرفان . استمع السلطان عبد الحميد لهذا الصحفي الذي تجاسر على تغليف تقديم الرشوة له، بمهارة . كان يعلم من هم الذين وراءه ، ومن بينهم أصحاب البنك الملّي الإنكليزي روتشيلد . أدرك في الحال أن قصد اليهود هو تأسيس وطن لهم في فلسطين وليس السكن ، وفور

تحقيق أكثرية سكانية ، سيطلبون الاستقلال الذاتي ، ويحتمل الاستقلال التام مستندين على الدول الأوروبية .كان أبوه السلطان مجيد قد دخل الحرب في قرم بسبب عدم اعترافه بحقوق فوق العادة للمسيحيين في القدس . والآن ، ليس بإمكانه هو أن يعترف بهذه الحقوق للموسويين . أخرج هرزل من حضرته بشكل عنيف ، تاركا طبعه المعتاد في اللطف ، لا لطلبه ، ولكن لعرضه المغلف للرشوة . لم ينقطع الرجاء في قبول البادشاه المهاجرين اليهود إلى فلسطين . وحتى صديق البادشاه المقرب الإمبراطور ولهلم الثاني ، كان يقول إنه ليس هنالك ضرر في قبول عدد من اليهود المساكين في فلسطين . يظهر أنه كان يريد التخلص من قسم من اليهود (Yidis) المسيطرين على الاقتصاد الألماني . كان القيصر ، يهاجم القرى اليهودية في أوكرانيا ويقتل اليهود بواسطة القوزاق بشكل جماعي . عدد كبير جدا من نفوس اليهود ، لم يستطع السكن في أوروبا وأخذ يهاجر إلى أمريكا . والآن ، يراد إلقاء مشكلة أوروبا هذه على عاتق الإمبراطورية العثمانية دولة المشاكل ، لم يقدم عبد الحميد الثاني أي تعويض . وهذا مما سهّل جدا انهياره . أخذت تشكيلات الجماعة اليهودية التي تمتلك قدرة عالمية ، تنظر إلى شخص السلطان عبد الحميد ، على أنه هو العائق الأعظم لقضية فلسطين . أوعزت إلى جمعية الاتحاد والترقي السريّة في مكدونيا ، التي أخذت بتوزيع الدراهم بواسطة عضو الجمعية اليهودي عمانوئيل كاراسو Emanuel karaso الذي كان عميلا أجيرا لإيطاليا .

أعلن أمير تركستان الشرقية يعقوب بك خضوعه للعثمانية في عهد السلطان عبد العزيز ، وضرب النقود باسم البادشاه ودعا ضباطا عثمانيين . إن هذه التابعية ، استمرت في أوائل عهد السلطان عبد الحميد كذلك . ثم استولت الصين مرة أخرى على تركستان الشرقية . لكن مخبري السلطان حميد ، تحت كسوة الأئمة وغيرها انبثوا بين مسلمي تركستان الشرقية والصين الـ (دونكر) .

تمكن عدد محدود جدا من اليهود من الدخول إلى فلسطين في عهد السلطان حميد ، لم يفتح الاتحاديون هذا الباب ولكنهم واربوه . دخل إلى فلسطين خلال 1908 – 1918 قسم من اليهود وأسسوا مزارع . تأخر الاتحاديون في اكتشاف لعبة الصهيونية ، ولم يدركوها إلا بعد فوات الأوان .

إن الامتيازات الحقوقية والتجارية والاقتصادية المسماة كابيتولا سيون Capifulation التي اعترفت بها الإمبراطورية العثمانية للأوروبيين القاطنين فيها ؛ عرقلت حركة السلطان حميد في بعض الأمور . لم يستعمل الأوروبيون هذه الحقوق في تركيا فقط ، بل كانوا يستعملونها في إيران ، الصين ، البرازيل ، فاس وحتى 1900 في الإمبراطورية اليابانية وفي الدول الأخرى . أراد عالي باشا إلغاءها ، ووفق فقط في الحصول على تعويضات غير كافية .

لم يكن السلطان حميد معارضا للشعور القومي لدى الأقوام الإسلامية ، وإنما كان ضده عندما أصبح هذا الشعور يهدد الاتحاد المعنوي الإسلامي ، والاتحاد العثماني ويكون آلة لأوروبا . قدّر أن الشعور القومي الحي ، سوف ينعش المسلمين ويحركهم للتخلص من تحكم الإمبريالية . ساند القوميين للمصريين كعرابي باشا ، مصطفى كامل باشا ، ومنحهما رتبة الباشوية . وساند الحركة القومية التركية . احتضن الأتراك القادمين من روسيا . قوّى التيارات القومية في الإستانبول . قام بحركات قومية ذات مغزى كبير . تحرك بدقّة كبيرة في إيقاد الشعور القومي ؛ ولذا ، فقد بيّن مؤرخون عديدون ، اتباعه لسياسة الاتحاد التركي « Panfurk » بجانب اتباعه لسياسة الاتحاد الإسلامي « Panistam » . لكن ، يمكن القول بأن سياسته في الاتحاد التركي ، هي جزء من سياسته في الاتحاد الإسلامي . حيث إن جميع الأتراك كانوا مسلمين وكتلة كبيرة من الأتراك ، كانوا يعيشون حياة الاستعمار والاستعباد في روسيا .

عبد الحميد الثاني ، كان قوميا ، على غرار مفهوم القومية التي يتفهمها ثنائي ضياء – كمال . لكنه لم يشترك معهما في أفكارهما البرلمانية Parlamentorizm ، وبقي في هذا الشأن صادقا مع مدرسة رشيد باشا . وأساسا ، كان كل من ضياء باشا ونامق كمال قد تركا تأييد المشروطية والحياة البرلمانية بعد كارثة 93 . هذا ويمكن تلخيص هدف السياسة القومية هذه بالشكل التالي ، تكوين جامعة تركية حيّة يمكنها صيانة الاتحاد العثماني ، والاتحاد المعنوي الإسلامي ، وتعطي لصفتي الخاقان والخليفة الاعتبار اللائق بهما وتستطيع تطوير الثقافة الإسلامية والتركية .

11 – ثــورة مكدونيا (1902 – 1903)

كانت مكدونيا تحوي 3 إيالات عثمانية (بالعثمانية ولايات ثلاث) . كان يعيش في الإيالات الثلاث بضمنها كرسوفا (مركزها أسكب) (الأخريان سلانيك ومناسطر) البالغ مساحتها جمعا 400 96 كم² ؛ 4 ملايين نسمة تقريبا . إيالة أشكودرا ، الواقعة في الشمال على البحر الإدرياتيكي في الناحية الغربية وكذلك إيالة يانيا (Epir) الواقعة في الجنوب لم تكونا ضمن مكدونيا . كانت مكدونيا ، مؤلفة من عناصر مختلفة العرق والدين والمذهب . المسلمون (الأتراك والألبان) يتجاوزون قليلا الـ 50٪ من النفوس . البقية مسيحيون أرثوذكس وقليل من الكاثوليك والموسويين . كان 25٪ من مجموع النفوس مكـدون – بلغار . يتكلم المكدون والبلغار ، لهجتي اللغة البلغارية . والجماعة المسيحية الكبيرة الثانية هم اليونانيون في الجنوب ، ثم الصرب في الشمال . كان هنالك قسم من Ulah (الرومان) وعدد قليل من العناصر الأخرى . كان في الإيالات الثلاث 15 ولاية (IL) ، 9 منها ، حاليا لدى يوغسلافيا ، 4 في اليونان ، 2 لدى ألبانيا ، وعدة أقضية فقط في بلغاريا . كان الأتراك والألبان أقوياء في إيالة كوسوفا (Uskup) ، والصرب في إيالة مناسطر واليونانيون في إيالة سلانيك .

كان هنالك عداء شديد بين الأقليات المسيحية . كانت سياسة عبد الحميد الثاني ، هي عدم السماح بانتصار كل من الصرب ، اليونانيين ، البلغار – المكدونيين والرومان بعضهم على بعض ، وجعلهم يستمرون في عدم تفاهمهم ، وبهذه الطريقة حال دون اتفاقهم ضد المسلمين . كانت سياسة واقعية . لكن المادة 23 من معاهدة برلين ، كانت تجبر تركية على إجراء الإصلاحات في مكدونيا لصالح الأقلية المسيحيّة ، كالمادة 61 التي أجبرت كذلك تركية على إجراء إصلاحات لصالح الأرمن في 6 إيالات في الأناضول الشرقية . جابه عبد الحميد الثاني الضغوط الدورية للدول العظمى وحال دون اتفاق الدول المسيحية الست الكبرى (بالعثمانية دول معظمة) في الضغط على العثمانية . وتحاشى إجراء إصلاح من شأنه أن يؤدي إلى استقلال مكدونيا .

كان البلغاريون قد اتجهت أنظارهم بشكل قطعي إلى مكدونيا أو على القسم الأكبر منها على أقل تقدير . إن **Megalo idea** البلغاريين ، كانت مكدونيا ، وما زالت كذلك

اليوم . لذا كان يجب أولا قمع اليونانيين والصرب . وبعد إزاحتهم جميعا يفرغون للأتراك ، وبفضل الدول العظمى ، بسيستقطعون مكدونيا من العثمانية . كانوا معتمدين على المادة 23 . أسسوا في 1893 جمعية ثوار مكدونيا والأعضاء المنفذون لهذه الجمعية هم العصابات . وشكل اليونانيون والصربيون وحتى الرومانيون ، عصابات للدفاع عن أنفسهم . ساند الباب العالي هذه العناصر الثلاثة الأخيرة ئلا يسحقهم البلغار . وسع البلغاريون حركات عصاباتهم المنفردة في مكدونيا ، اعتبارا من 1902 بشكل يمكن أن يقال عنه حرب عصابات حقيقية . شرعوا في قتل البلغاريين الذين لم ينضموا إليهم . كانوا يضعون القنابل في كل مكان . وفي أواخر 1902 ، تحولت حرب العصابات البلغارية إلى ثورة حقيقية . أخمد الجيش الهمايوني الثالث الثورة خلال شهر واحد (1902/9/21) . عصى البلغار مجددا قبل مضي سنة واحدة (1903/8/2) . كانت الثورة في إيالة مناسطر دامية . وقد شغلت الجيش الثالث وقوات الدرك (الجندرمة) العثمانية كثيرا ، كان الضباط المتحمسون جدا والمتخرجون حديثا في المدرسة البحرية ، يرسلون إلى الجيش الثالث ، وهؤلاء خلال مدة قصيرة ، وقبل أن يتعلموا فن القيادة انصبوا إلى عناصر حرب عصابات ، كانوا في كل لحظة تحت تهديد قنبلة بلغارية ، أخذوا يتطورون إلى عصابات تركية ، كانت حالتهم الروحية كأفراد عصابات ، كحركيين . كان ضباط الجيش الآخر السادس المستعدون لحرب نظامية ، يشاهدون ملازمي ونقباء وبعض رواد الجيش الثالث بدهشة . إن شباب الجيش الثالث هؤلاء ، سوف يطبقون ما تعلموه في مكدونيا اعتبارا من 1908 ، في كل أنحاء الإمبراطورية طيلة 10 سنين . أن إدارة إمبراطورية ، هي أدق طراز إدارة في العالم وتحتاج إلى دراية كبيرة ، وعدا أنهم فقدوا الإمبراطورية ، فسوف يصلون إلى الحد الذي يخشى فيه فقدان الوطن الأم .

زادت ضغوط الدول العظمى لإجراء إصلاحات في مكدونيا . كانوا يقولون إن دماء مسيحية كثيرة سالت في مكدونيا . لقد سالت دماء الكثيرين من المسلمين كذلك ، لكن ، لا توجد دولة إسلامية كبيرة عدا العثمانية ، لتدافع عنهم . ولغرض مراقبة الباب العالي الولايات الثلاث من خلال يد واحدة ، أرسل والي اليمن الوزير حسين حلمي باشا (سيكون صدرا أعظم بعد ذلك) إلى سلانيك بشكل دائم باسم مفتش عام الولايات الثلاث ، ووضع الجيش الثالث تحت أمره (1902/2/1) . ومن ناحية

أخرى ، تم في الباب العالي تأليف لجنة إصلاح ولايات روملي الثلاث برئاسة والي إيالة قونية الوزير آفلونيالي محمد فريد باشا ، وبعد مدة وجيزة ، أصبح فريد باشا صدرا أعظم (1903/1/14) . وهي الإشارة المؤكدة لسياسة السلطان عبد الحميد في جعل الألبانيين بشكل قطعي في جانب الأتراك . لكن مكدونيا ، لم تكن في خطر مؤكد ؛ حيث إن العداوة الكائنة بين الدول البلقانية ، كانت شديدة وعدا ذلك ، كان تفاهم أوستريا – المجر مع روسيا كذلك حول البلقان غير ممكن ، أحدهم يمثل الجرمانية والآخر يمثل السلافية ، كان كلا منهم يدعي ذلك .

12 – حادث القنبلة (1905/7/21)

أراد الحركيون الأرمن جذب انتباه الدول العظمى وتشويش الدولة العثمانية وذلك بقتل البادشاه . خططت المؤامرة في سويسرة ، وجود إنكلترا خلفها شديد الاحتمال . اتفقوا مع المتآمر المحترف البلجيكي Jorris . لم يكن لجوريس أية علاقة بالقضية الأرمنية أو بالأرمن . كان أجيرا يحقق رغبة من يدفع له الدراهم . كانت أوروبا في دور اشتدّت فيه تيارات الإرهابيين الذين يرومون قلب النظام الأوروبي القائم واللاشيئيّين العدميّين (Nihilst) الذين يفخرون بعدم إيمانهم بأي شيء . لا يوجد في هذه الآونة رئيس دولة لم يتعرض لمؤامرة . وبفضل تدابير الحراسة الشديدة ، لم يكن بالإمكان الاقتراب إلى السلطان حميد . وبسبب سحقه اليونانيين في الحرب ، ورفضه طلب اليهود في إسكانهم في فلسطين ، وقمعه حركات الأرمن في الأناضول الشرقية ؛ شكّل كل من اليونانيين والروم واليهود والصهيونية العالمية والأرمن جبهة ضد البادشاه .

جاء جوريس إلى إستانبول متنكرا كسائح مع رجاله (وكان بينهم نساء) . ومن خلال مراقبته ، ثبت أن ليس بالإمكان الاقتراب من البادشاه خارج مراسم صلاة الجمعة (سلاملك) ، وأن خروج السلطان من جامع ييلدز وركوبه عربته يستغرق دقيقة واحدة ، 42 ثانية ، وأن هذه المدة ، لا تتغير أبدا . جلب العربة التي صنعت في فيينا ، إلى إستانبول على شكل قطع . وضع على هذه العربة ، القنبلة الدقيقة الصنع المسماة ماكينة جهنم (بالفرنسية Machine infernale) التي تحتوي على 80 كغم من المواد

المتفجرة و 20 كغم من المواد المعدنية الجارحة . كان من الأصول المتبعة أن يتفرج الأوروبيون على البادشاه في مراسم السلاملك . ركب العربة جمع من الرجال والنساء ثم تركت في اللحظة الأخيرة على الطريق . كان البادشاه ، قد خرج من الصلاة . وخلافا للعادة ، اعترض شيخ الإسلام جمال الدين أفندي طريق الخاقان ، وعرض عليه بعض الأمور . انفجرت القنبلة قبل علة ثوان . والأصح أنها انفجرت عندما كان البادشاه على عتبات الجامع . و لحظة من التأخر التي أنشدها توفيق فكرت في شعره ، هي التي نجّت حياة الخاقان . نفرت جياد الحرس الخاص الخيالة وتداخلت مع بعضها من شدة الانفجار . مر الخاقان من بين قطع الأجساد البشرية وجثث الخيل ، دون أن يبدو على وجهه أدنى تغيير ، وبالخطى نفسها التي كان يخطوها سابقا وركب عربته المفتوحة التي قادها بنفسه وعاد إلى سراي ييلدز . تقبّل زيارات التهنئة بالسلامة من السفراء الذين كانوا يحضرون المراسم عادة ، لم أكن بعيدا عن البادشاه . هز الانفجار المخيف الأرض التي أدوس عليها ، وكأنما دفع بي إلى الهواء . أعجبت بثبات البادشاه . كانت قسمات وجهه ساكنة . صان برج الساعة الخاقان من شظايا القنبلة المتناثرة . البرج كان متينا جدا ، لم يتأثر من القنبلة . لو انهدم لبقي الخاقان تحته . لم يصب الأمراء (الشهزادات) بضرر . لكن مات حصان أحد الشهزادات . مات اثنان من مربي الأمراء ، وكثير من الجنود . كان الميدان ، كأنه ساحة حرب قصفت بنيران المدافع . أحد جنود الخدمات منكبّ فوق ضابطه الميّت ، أحد السفراء ، كان يحاول بتقزز رمي ساق حصان سقط على حضنه (الفريق البحري **Sir Henry Woods** ، ص 161 – 3) .

هزة أرضية شديدة ، حصلت كذلك قبل مدة في صالة المعايدة في دولمة بقجة أثناء تلقي البادشاه التهنئة بالعيد ، اضطربت الصالة عند سقوط قطع كبيرة من الثريا التي تزن 4,5 طن على رءوس رجال الدولة . لم يتحرك الخاقان وبقي جالسا على عرشه الذهبي ، ورفع يده فقط داعيا الحاضرين إلى السكينة ، لكن خلال ذلك ، كان العديد من رجال الدولة قد هرب من السراي وخرج إلى الشارع .

تسلم السلطان حميد برقيات التهاني بالسلامة من جميع رؤساء الدول في العالم . قبض على المتآمرين وعوقبوا . وكذلك تم القبض على جوريس . منحه البادشاه 500 ليرة

ذهبية وأخلى سبيله . أرسل جوريس في السنوات المتعاقبة معلومات مفيدة جدا من أوروبا إلى السلطان عبد الحميد .

13 – قصبة العقبة (1906)

كان إنشاء خطوط بغداد والمدينة الحديدية ، حائلا دون أطماع إنكلترا في شبه الجزيرة العربية . يظهر أن وجود الجيش الإمبراطوري الخامس في الشام والجيش الإمبراطوري الرابع في بغداد ، والجيش الإمبراطوري السابع في صنعاء ، كان لغرض حماية شبه الجزيرة العربية وخاصة تجاه إنكلترا . ومن ناحية أخرى ، كانت في مكة فرقة مستقلة (ليست مرتبطة بأي جيش) ، تحت إمرة والي الحجاز . كان الأمراء السعوديون الوهابيون في نجد وفي جبل شمّر وأمراء الرشيدي الوهابيين كذلك وأمراء الكويت وأمراء قطر وأمراء حضرموت ولحج ، كانوا موالين للدولة . كان البادشاه يتلطف معهم في كل مناسبة . وحتى الإمام الزيدي في اليمن ، كان كذلك . كانت مراكز إيالات العثمانية في البلاد العربية هي صنعاء ، مكة ، شام ، حلب ، بيروت ، بصرة ، بغداد وموصل .

أسس السلطان عبد الحميد في 1901 ، في برشيبة التاريخية المكونة من عدة أكواخ ، مدينة بئر السبعة وركز فيها حامية عثمانية . تقع في صحراء نجف بين غزة وبحيرة لوط . كان واضحا أنها أساسًا ضد الإنكليز على طريق الحجاز ومصر (جرت معركة غزة الميدانية الثانية ، تجاه الإنكليز وحلفائهم هنا في 17 – 19 نيسان 1917 ، خسر الإنكليز ما يقارب 000 10 شخص ؛ كانت الجيوش الإمبراطورية الرابع والسابع والثامن ، المسماة رهط جيوش الصاعقة ، موجودة في الجبهة) . أثار الإنكليز عصيانا في اليمن عام 1905 . أخمد العصيان ، ولكن سال دم عثماني كثير . حدثت وفيات كثيرة بين جنود الجيش التركي المكون من جنود الأناضول وروملي الذين لم يطيقوا مناخ إقليم اليمن .

إنكلترا عندما لم تتمكن من الإحاطة بالبحر الأحمر من الجنوب ، بدأت في هذه المرة ، في المحاولة من الشمال . أرادت افتعال حادثة من لا شيء على الحدود المصرية . كان أساس المسألة ، قصبة عقبة التي هي الآن الميناء والمنفذ الوحيد للأردن إلى البحر

(البحر الأحمر) . كانت العقبة تدخل ضمن لواء كرك (الأردن) وليس مصر . إلا أن العثمانيين كانوا قد سمحوا منذ زمن طويل بوجود جماعة أو جماعتين من الجيش المصري لغرض مراقبة الحجاج المصريين . أرسلت إنكلترا جيشا إلى هناك ، مدعية أن هذه القصبة هي قطعة من مصر ، وأرادت السيطرة على رأس خليج العقبة ، وبهذا أظهرت قصدها في قطع طرق الحج وربما قطع سكة حديد الحجاز . أرسل السلطان عبد الحميد أحد مرافقيه ـ الذي صار جنرالا بعد ذلك ـ العقيد رشدي بك (هو والد فطين رشدي زورلو وزير الخارجية) مع سريتين من الجند ومدفع واحد فقط إلى العقبة . دخل رشدي بك القلعة ، وأخبر الجنود المصريين بأن البادشاه سمح لهم بالعودة إلى مصر ، وأرسلهم إلى بلدهم . احتل قصبة طابا التي يوجد فيها جنود مصريون كذلك وهي قرب العقبة . ورغم هجوم بضعة آلاف من خيالة البدو بقوة الذهب الإنكليزي الباهر في العقبة ، فلقد شتّتوا .

كان وضع إنكلترا في مصر ، من الناحية العسكرية ، ضعيفا وذلك بسبب احتلالها مصر بواسطة 5 000 جندي فقط وبسبب وجود أكثرية هؤلاء في القناة . حشدت وحدات جديدة في مصر . أعلن أسطولها في البحر الأبيض حالة الطوارئ . قام الشعب في القاهرة والمدن الأخرى بمظاهرات أثنى فيها على السلطان عبد الحميد ولعن الإنكليز . كان الاحتلال الإنكليزي لمصر غير شرعي وكان عبارة عن أمر واقع ، لم تعترف به ولا دولة واحدة . دعا السلطان عبد الحميد ، السفير Sir O'connor واستفسر منه عما إذا كان عليه استئذان إنكلترا في إرسال جنود إلى قصبتين من مصر التي هي ولايته ، إلا أن إنكلترا أرسلت إخطارا لمدة 10 أيام ، إلى الباب العالي تطلب خلاله إخلاء العقبة وطابا وفي حالة عدم الاستجابة ، ستقوم حالة الحرب بين الإمبراطوريّتين . أجاب الباب العالي مبينا أن مصر ليست أراض عثمانية ، وإن تعديلات الحدود مع إيالة مصر سوف تجري بين الضباط العثمانيين والمصريين ، ولا حق لأي إنكليزي بالاشتراك في هذه المفاوضات ، وأن احتلال إنكلترا لمصر غير شرعي ومؤقت ، وأن إنكلترا كذلك وافقت على كونه موقتا . تم تعديل الحدود بين الضباط العثمانيين والمصريين (1906/10/1) . تم التعديل على أساس حدود مصر الحالية في سيناء ، بقيت طابا لدى مصر ، والعقبة لدى العثمانية . كانت طابا أساسا قد احتلت لغرض تقديمها كتعويض عن العقبة .

14 - تشكيل جمعية الاتحاد والترقي السياسية وتطورها

أدركت سلطنة السلطان عبد الحميد عام 1908 سنتها الـ 32 وسلطنته الشخصية سنتها الـ 30 . كانت هذه إدارة طويلة ، وكانت إدارة فيها رفاهية وخالية من الويلات، ولكنه ، في الوقت نفسه ، كانت إدارة كبت . (حتى في أحسن الإدارات الطويلة الأمد ، تظهر بين الشعب آثار عدم الارتياح أو الملل على أقل تقدير) . في دور السلطان سليمان القانوني ، الذي هو أفخم دور في التاريخ التركي منذ 2 500 عام وأحد أعظم أدوار التاريخ العالمي ، ظهر عدم الامتنان لدى بعض جماعات الشعب . أما السنوات الأولى للعصر العشرين ، فلم تكن أصلا سنوات جيدة . ولا يمكن حتى مقارنتها مع دور القانوني . كانت حصة المسلمين الأتراك والعثمانية في الدنيا ومنزلتها قد هبطت إلى الحد الأدنى . وسيستمر هذا الهبوط حتى العشرينيات .

لا يمكن القضاء على الأفكار ، لم يخترع سلاح لذلك . والفكر ، لا ينتج الخير دائما ، فهنالك الفكر السيّئ الذي يسوق الشخص والجمعية والدولة ، حتى العالم إلى الدمار . إن فكرة التنظيمات ونظامها كانت قد استقرت وأصبحت مألوفة . لم يكن هنالك أحد يريد استبدال نظام التنظيمات بالنظام القديم الذي يقطع فيه الرأس بمجرد صدور كلمة تخرج من فم الخاقان أو من يمثله ، والذي يجري فيه كل شيء ، دون قانون يستند عليه غير الوجدان والأخلاق ، والذي صار فيه هروب الجيش (القابوقولو والإنكشارية) من ساحة الحرب وقدومه إلى المدينة ليقوم بأعمال الشدة والنهب تجاه شعبه ؛ مألوفا وكأنه واجب . لم يكن هنالك أحد يقول : اغلقوا المدارس الجديدة ، ألغوا الجيش الحديث . لكن هنالك أيضا المشروطية ، أي فكرة الدستور والمجلس التشريعي ، فلسفة الديمقراطية ذات التاج ، التي تتعدد فيها الآراء . لم يكن السلطان عبد الحميد يؤيد هذه الفكرة ، ولم تقترب منها أبدا . لكن المجدّدين العظام ، كانوا هم شخصيات العصر التاسع عشر الكبيرة . كان السلطان حميد سياسيا يقف على مدرج العصرين . وأثناء تخطية الخطوة الأولى نحو العصر العشرين ، سوف يستطيع تكييف نفسه مع هذا العصر ، بقدر ابتعاده عن صورة رجل العصر التاسع عشر . كان السلطان عبد الحميد أساسا بعيدا جدا عن إنكار فكرة المشروطية بصورة رسمية . كان دستور 93

المسمى القانون الأساسي « قانون أساسي » لا يزال ساري المفعول . إن مادته الأساسية الوحيدة التي لم تطبق ، هي كون المجلس التشريعي مجمدا ، عدم إجراء الانتخابات ، عدم انتخاب نواب ، صدور القوانين عن شورى الدولة وليس عن المجلس .

لا يمكن الادعاء بأن الشعب كان راغبا في مجلس ، أما المثقفون فكانوا منقسمين إلى قسمين . أكثرية الشباب كانوا يريدون إمبراطورية ذات مجلس . بذلك كان يمكنهم التخلص من بيروقراطية التنظيمات التقليدية ومشقة الترفيع التي تستغرق سنين طويلة والاشتراك في الحكم ويحتمل السيطرة على الحكم رأسا . أما المثقفون متوسطو العمر والمسنّون فكانوا – باستثناء قليل منهم – لا يريدون المجلس . أولا ، لأنهم كانوا يخشون من استناد النواب المختلفي الشعوب والأقوام ، كل منهم ، على دولة أجنبية وتمزيقهم الإمبراطورية ، ثم لم يكن هنالك مجلس مثقف بثقافة التنظيمات التي نشأوا هم عليها . وأخيرا ، كانوا لا يريدون اقتسام المناصب مع الشباب ، ويريدون الحفاظ على مناصبهم مدة أطول .

إن شخصية خاقان الدولة العثمانية وخليفة مسلمي العالم التي يسميها الشعب بادشاه ، كانت غير مصونة بشكل تام في نظام التنظيمات ، وكذلك في دستور 93 . كان بالإمكان خلعه في حالة خيانته الوطن ، جنونه أو خروجه على الدين (كفره علنا) . لكن هذه الشروط ، من الواضح أنها وضعت بالنسبة للحاكم الذي لا يدير الدولة شخصيا . أما السلطان حميد فكان يدير الدولة شخصيا ، مخالفا في ذلك ، ليس أسس المشروطية فحسب ، بل أسس التنظيمات كذلك . أجبرته الحوادث على اتخاذ هذا الدور لنفسه وإعلان سيزاريته Sezar ، وهكذا نجت الإمبراطورية . ولكن حتى الذين آمنوا بعدم إمكان إنقاذ الإمبراطورية ، إلا بالسيزارية ، أخذوا في التفكير والتساؤل : هل يسوّغ له هذا إدارة الدولة شخصيا مدى الحياة ، أم لا ؟ وبهذا السؤال تبلورت في الأذهان ، الحالة النفسية الجماعية التي تنجم عن الأنظمة طويلة الأمد . كان من المتعذر القضاء على هذه الفكرة ، فقد كانت تترعرع على مر الزمن . اللهم إلا إذا فتحت صمامات الأمان ، وذلك بسحب البادشاه يده من الإدارة ، ووضعه نظام الوزارة المسئولة في حيّز التنفيذ بشكل كامل . واتضح في غضون أوائل العصر العشرين ، أنه حتى ذلك لا يكفي . حيث فتحت المجالس في روسيا 1905 ، وفي إيران 1907 ، رغم معارضة

القيصر والشاه . غير أن العثمانية ، لم تجابه هزيمة مفجعة كهزيمة روسيا تجاه اليابان ، ولم تكن سابحة في خضم الفوضى كإيران . لكن محيطها ملئ بالدول ذات المجالس . العصر العشرون هو عصر المواصلات السريعة ، المخابرات السريعة ، التأثرات السريعة .

لم تندثر أفكار العثمانيين الجدد وذلك بسبب تركهم مؤلفات وكتابات وأشعارا ذات قيمة أدبية كبيرة ، ما زالت حيّة جدا بين طبقة المثقفين ومشوقة وجذابة بالنسبة للشباب . كان مدحت باشا بطل المشروطية ، وشهيد الحريّة ! كان هؤلاء الشباب لا يعلمون أي عميل إنكليزي لعين هو ، وكذلك لم يكن من مصلحتهم معرفة ذلك . لأنه كان يلزم لحصولهم على الحكم ، أن يرفعوا نوعا من الشعارات أو المثل ، حتى ولو كانت مفتعلة . من هو أكبر معارض لنظام حميد ؟ مدحت باشا ! إذن ، هو بطل . كان معارضو السلطان حميد الشباب ، لا يريدون التفكير حتى في كونه مستبدا ، ولا في تهيئته الجو الملائم لفاجعة 93 ، ولا جهله بكيان الإمبراطورية ، ولا في احتوائه فكرة المشروطية (الحياة البرلمانية) التي أخذها عن العثمانيين الجدد ، ووضعها في جيبه أو رأسه في سبيل حصوله على السلطة مدى الحياة . ويجب أن نبين أهمية ، أنهم كانوا متأثرين من صميم القلب ، بتناقص أطراف الدولة العثمانية في العالم على مر الزمن ، وانكسار شوكة المسلمين والعثمانية والأتراك . كانوا يعتقدون أنهم سيستطيعون معالجة هذا المرض وهذه المحنة بنظام آخر . كانت الدولة والشعب يتحدان باسم الدين والأمة ، في هذه المحنة ، سواء كان الشعب من منتسبي التيار الإسلامي ، أو العثماني ، أم التركي (قومي تركي) ، أم خارج هؤلاء – مع أن عددهم قليل جدا – من معتنقي الأفكار اليسارية والراديكاليين أكثر . كان اتحادا مدهشا . إذ كان اتحادا ضد البادشاه ، وللجماعات والأفكار التي ليست قريبة لبعضها . كان الشاعر الشاب المؤيد للدين محمد عاكف ، والشاب المفكر القومي ضياء كوكالب الشباب المؤيدون للعثمانية الذين يشكلون الأكثرية ، يتفقون في سقوط نظام السلطان حميد . بدأت الانتقادات بعد الآن تستهدف شخص البادشاه . كان هذا سيئا من ناحية كونه عبثا بكرامة وهيبة السلطنة والخلافة . كان عبثا يمزق الإمبراطورية إربا إربا . إذ إن الإمبراطورية ، في الحقيقة ، كانت تقوم على هذا الاعتبار فقط . لا يمكن لنظام إمبراطوري أن يستمر ويقف على قدميه في سلالة تضعضع اعتبارها ، لا في العثمانية فحسب ، بل حتى في

روسيا وألمانيا والنمسا وبريطانيا . يمكن أن يستمر فقط في الدول القومية التي يشكلها شعب ذو قومية واحدة . ومن الممكن كذلك أن تكون السلالة ليست ضرورية في الدول القومية . إذن ، فإن بذور نظام آخر تنثر . الحقيقة ، أنه ليس هنالك معارض ، إلا وهو من مؤيدي نظام السلطنة ، لم يكن يوجد شخص جمهوري واحد . لكن أي أحد لم يشعر بإعدادهم وسطا كهذا .

أدرك عبد الحميد الثاني في 1908 سن الـ 66 . كان قد تعب نتيجة سعيه المرهق . كان ملولا وغير مكترث ولا يمكن الادعاء بأن أفكاره ظلت على صورتها وبريقها السابق . نابليون Ausferlitz ، لم يكن هو نابليون Mropzig .

مضى على تعطيل عبد الحميد المجالس بالإرادة السنيّة 30 عاما و 5 أشهر و 6 أيام . كان دائما هو صاحب الكلمة الأخيرة في إدارة الدولة ، خلال هذه الفترة . تأخر في اكتشاف تغيّر العصر . ألّف هيئة في السراي وبدأ بترجمة الدساتير المشهورة في العالم . يستفاد من ذلك شيئان : الأول ، عدم إمكان استمرار دولة ، إذا لم يكن دستورها مطبقا بصورة فعلية . الثاني ، أن فكره لم يتغير أبدا في أن دستور 93 سيشتت الدولة ، حيث لو كان قد تغير ، لوضع الدستور المرعي حقوقا في حيز التنفيذ بصورة فعلية ، ولما حاول البحث مجددا عن سبل تعديله وتحويره ليلائم بنية الدولة . لكن القيامة ، قامت قبل أن يكمل البادشاه استعداداته هذه .

أقامت القيامة الجمعية السريّة للاتحاد والترقي . شكلت هذه الجمعية بصورة سرية عام 1890 من قسم من طلاب الحربية والطبية العسكرية ضد نظام السلطان حميد . اكتشفت تنظيمات الجمعية عام 1897 وشتّتت . نفي الكثير من أعضائها ، قسم منهم هرب إلى باريس . ذهب الفريق الأول أحمد جمال الدين باشا ، رئيس شعبة الاستخبارات الوطنية المسمى (سر خفيه ء حضرت شهرياري) ، إلى باريس . أقنع أكثرية الشباب الهاربين . كل منهم حصل على وظيفة في الدولة . لكن أحمد رضا بك ، أصر على البقاء في باريس مع حفنة من مؤيديه .

لا يمكن ادعاء عدم وجود تحريض وصحافة غير منحازة في الغرب . كذلك لا يمكن أن تكون هنالك سياسة غير منحازة . أكثرية الأشخاص الذين تمتدحهم الصحافة

الغربية ، هم الذين يعملون في صالح الدولة المادحة . والذين تذمهم الذين يعملون ضدها ، وحتى في حالات كثيرة ، الذين لا يعملون في صالحها . وإذا كان الشخص موضوع البحث ، غير مسيحي ، تكون هذه المقاييس أكثر تركيزا . ولو نظرنا بدقة ، لشاهدنا أن السلطان حميد كان يذم لخداعه إياهم وعدم خدمته مصلحتهم . ولو أسس أرمنستان في الأناضول الشرقية ، لما لقب حتى بلقب « السلطان الأحمر » . ولو أسكن اليهود في فلسطين ، لكان يصعب جدا خلعه . إذ حتى إنكلترا كانت لن تنشغل كثيرا لشخص آوى اليهود . ولو نشر بيانا يبلغ فيه مسلمي الهند بأنه لا يريد تلاوة اسمه في خطب الجمعة بعد الآن ، لامتدحته لندن . ولو اتفق مع الروس في البلقان ، واعترف لهم ببعض الحقوق في المضايق ، لما بقي لروسيا حساب معه .

لم يعمل ذلك ، لأنه كان يمثل الأتراك والعثمانيين والإسلام . حاول تحقيق هذا التمثيل بوقار في شروط العصر الداخلية والخارجية السيئة جدا . لكنه وجد أمامه صحافة الاتحاديين السرّية . أخذت تصدر ضده صحف كثيرة جدا في أوروبا . وأضيف إلى هذه صحف باللغات العربية والفرنسية وحتى الإنكليزية والأرمنية والألبانية . ولو جمعت الصحف الدورية ، التي طبعت ضد السلطان حميد في الخارج وأدخلت بصورة سرية إلى الأقطار العثمانية ، في مكان واحد لشكّلت مكتبة . ونحن المؤرخين نعلم اليوم ، أن أكثر بكثير من تسعة أعشار ما كتب فيها افتراء ، وما يقارب تسعة وتسعين بالمائة منها نتيجة لتفهم خاطىء ونقد مبالغ فيه . إن صحيفة « مشورت » التي أصدرها أحمد رضا بك في باريس ، أصبحت أكثر تلك الصحف استمرارا وأكثرها انتشارا . كان شخصيا ، رجلا مستقيما . أبوه علي رضا بك (وفاته 1886) أحد أعيان مجلس المشروطية الأولى . جده أحمد أفندي ، كاتب السر لسليم الثالث ولأنه من مؤيدي النظام الجديد ، استشهد في 1807 . (نورد هذا لأهمية إيضاح مبلغ تمركز الأفكار وتخمرها في الماضي البعيد) . سمّي علي رضا بك « إنكليز علي بك » أي (علي بك الإنكليزي) بسبب تحصيله في إنكلترا .

سبب ثبات أحمد رضا بك في باريس ، استمرار حركة الاتحاديين وعدم اندثارها . كان بإمكانه العودة والحصول من البادشاه على وظيفة كبيرة ، قاوم ثم شاهد كيف أن حزبه الذي ترأسه ، سبّب انهيار الدولة . مات في العهد الجمهوري بعد مدة وجيزة

من نشره مذكراته في جريدة **جمهوريت** ، التي اعترف فيها بعدم تفهمهم السلطان عبد الحميد ومدح فيها شخصية الخاقان وسياسته بشكل رفعه فيه إلى السماء . وقد اعترف كل من طلعت وأنور وجمال والزعماء الذين قلبوا الفكرة الاتحادية إلى مؤامرة ، بأنهم لم يستطيعوا فهم السلطان حميد وتركوا وطنهم في نهاية عام 1918 .

ساندت دول كثيرة على رأسها إنكلترا ، الحركة المعادية لحميد في أوروبا لضمان عدم خمودها . ويقتضي استثناء ألمانيا والنمسا - المجر من ذلك . ومع ذلك ، فإن الأخيرة هذه ، اشتركت في حركات كثيرة معادية للعثمانية في السياسة البلقانية .

هرب إلى أوروبا بروكسل في شباط عام 1899 الوزير المسمى داماد محمود جلال الدين باشا (1854 - 1903) ، ودون أن يخبر حتى زوجته السلطانة سنيحة (1851 - 1931) أخت السلطان حميد ، مستصحبا معه أبناءه سلطان - زادة ، صباح الدين بك أفندي (1877 - 1948) ولطف الله بك أفندي . كان ابنا للمشير خليل رفعت باشا رجل الدولة الشهير في فترة التنظيمات وصهر محمود الثاني . كان حانقا على أخي زوجته ، البادشاه ، بسبب عدم منحه امتياز أحد المعادن . مات هذا الشخص عديم المروءة والذي تقف وراءه إنكلترا ، في بروكسل بعد مدة وجيزة . نشر بيانات ضد سلطانه . تسلم مهمته بعده ابنه الكبير صباح الدين بك المسمى « Prinee » العميل الإنكليزي الخالص .

كان الأوروبيون يسمون الشباب العثمانيين الموجودين في أوروبا والذين أخذ عددهم في التزايد ويطعمون جيدا ؛ « جون تركلر » (بالفرنسية : Jeuncs Tures) أي الشبان الأتراك . اجتمع في باريس مؤتمر أحرار العثمانية (أحرار عثمانية) (4 - 1902/2/9) . اجتمع فيه أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، جميع معارضي النظام الحميدي . كان منهم الأتراك وغير الأتراك غير المسلمين . ويدعون كلهم أنهم عثمانيون ويدافعون عن الإمبراطورية العثمانية ويفكرون في إصلاحها وتطويرها وإنقاذها من إدارة الاستبداد .

اتخذ المؤتمر القرارات التالية : تؤسس في الإمبراطورية العثمانية إدارات محلية مستقلة على أساس القوميات . هذا القرار ، يتعدى شموله كثيرا المادتين 23 و 61 من معاهدة برلين التي لم يتمكنوا من إجبار السلطان عبد الحميد على تنفيذها . سيعطى فورا

الاستقلال الذاتي لكل الأقطار . صار البرنس صباح الدين بك ، أكبر ممزق للإمبراطورية بسياسته هذه (الاستقلال الذاتي) التي يسميها « عدم مركزيت » كان حينذاك شابا مسكينا في الـ 25 من عمره ، سقط في أحضان إنكلترا . لكن الإنكليز ، صرفوا الدراهم بسخاء على مصر وسوريا كذلك ، ووجدوا بين العرب عملاء لعدم المركزية (بالعربية لا مركزية) . قبل هذه القرارات من كل ممثلي الأرمن والروم والألبان المشتركين في المؤتمر . كل ممثل من هؤلاء كان عميلا أجيرا لكل من روسيا والنمسا ، وإيطاليا وإنكلترا وفرنسا أو لدولة من الدول البلقانية . بيّن صباح الدين بك للصحافة الأوروبية أن السلطان حميد ، قاتل للأرمن . توفيق فكرت في إستانبول ، حيا المتآمرين الذين أرادوا قتل السلطان حميد بأبيات مؤثرة من الشعر ووصفهم بالأبطال . رفض قرارات المؤتمر بصورة رسمية ، كل من رئيس المؤتمر علي رضا بك وعلي حيدر بك بن مدحت باشا الذي اشترك في المؤتمر ، ولم يوقعا . وعلى أثر ذلك ، انقسمت المعارضة ، وقرر الاتحاديون قيامهم بهذا العمل وحدهم في مكدونيا والحصول على تأييد الشباب من ضباط الجيش الثالث المرابط في هذه المنطقة ، وذلك بسبب وجود مخبرين كثيرين بينهم ، ووجود مؤيدين كثيرين للبادشاه في إستانبول والجيش الأول ، بأسره مؤيد للسلطان حميد . يكتسب هذا القرار أهمية جوهرية بالنسبة للتطورات التي ستحدث في الإمبراطورية العثمانية . خرجت باريس من كونها مركزا . أسس مركز سري في سلانيك . فتحت بعده فورا شعبة مناسطر . انتقلت الإدارة ليد أحد موظفي البريد الصغار المسمى طلعت أفندي (وبعد ذلك بك وباشا) .

وفي 1908 ، يمكن القول بقليل من المبالغة ، إن جميع الضباط الشباب وذوي الرتب الصغيرة ، كانوا اتحاديين . كان بإمكانهم الدخول إلى الجمعية بعد حلف اليمين على القرآن ، العَلَم والسلاح وعيونهم معصوبة ، كانوا يتسلمون الأوامر من أركان العصبة . يقتل الذين لا ينفذون الأوامر . ماذا يكون حال جيش ثالث يديره ضباط يتسلمون الأوامر ، لا من رؤسائهم ، بل من العصبة ؟ كل الملازمين والنقباء ، أعضاء في الجمعية . أخذ الرواد (بكباشي) كذلك في الدخول ، ودخل 1 أو 2 من المقدمين كذلك . وأساسا ، كان الاتحاديون لا يريدون إدخال ضباط كثيرين من ذوي الرتب العالية ، إذ لم يكونوا راغبين في تسليم الإدارة إلى الضباط ذوي الرتب العالية ، كانوا

يريدونها هم . أما الضباط ذوو الرتب العالية والذين رواتبهم ومناصبهم مؤمنة ، فكانوا لا يرغبون في الدخول إلى الجمعية ولكنهم كانوا على مر الزمن يغضون النظر – على نطاق واسع – عن مؤامرات الاتحاديين سواء بسبب عدم رغبتهم في إفساد وحدة الجيش أو بسبب خوفهم من القتل . كثيرون من المدنيين ، انتسبوا إلى الجمعية . كان قسم منهم موظفا صغيرا والقسم الآخر ، صاحب وظيفة حرّة . وفي النهاية ، شوهد دخول أشخاص من ذوي المناصب ، إلى الجمعية . أحدهم كان من أمراء قاوالالي ، محمد سعيد حليم باشا . حفيد قاوالالي محمد علي باشا (ابن ابنه) . كان عضوا في شورى الدولة في إستانبول ، كان عدوا لعبد الحميد الثاني لأنه لم يمنحه رتبة وزير . بينما كان من مؤيدي الوحدة الإسلامية ، وله مؤلف في ذلك . وآخر ، كان من شباب قاوالاليلر الأمير عمر طوسون باشا (1872 – 1944) ؛ كان ابنا لحفيد محمد علي باشا ؛ كان الاتحاديون قد وعدوه بجعله خديوا بدلا من عباس حلمي باشا ، ثم عدلوا عن ذلك . هذا الأمير كان رجلا عالما ومن مشيري الجيش العثماني وكان صهرا لحسن باشا (ابن الخديو إسماعيل باشا) من عائلة قاوالالي أيضا . من المؤكد أن أمثال هؤلاء أدخلوا إلى الجمعية لدعمها ماليا .

إلا أن الأعضاء الأكثر فعالية في الجمعية ، كانوا ؛ طلعت أفندي ، الرائد الركن أنور بك ، بيادة قول أغاسي (نقيب متقدم) نيازي أفندي . كان هؤلاء شبانا حركيين ، متآمرين من الدرجة الأولى ، لا يهابون أي خطر . وقد دخل كذلك إلى هذه الجمعية أركان حرب قول أغاسي (نقيب ركن متقدم) مصطفى كمال أفندي (أتاتورك) ، انسحب بعد ذلك لأنه كان معارضا لتدخل الجيش في السياسة ، لأنه شاهد ضرر ذلك فورا ، وكذلك لأنه لم يتحمل سيطرة أنور وحسده .

من أشهر شعارات الاتحاديين « اتحاد أنصار » . ويعني ذلك أن جميع أقوام الإمبراطورية دون تفريق بين عرق ولغة ودين ومذهب سيكونون – بعد زوال الاستبداد وحلول الديمقراطية – سواء بصفة كونهم رعايا دولة واحدة . إن هذا الشعار يتعدى كثيرا الفلسفة العثمانية لضياء – كمال ، وفيه أيضا جهل بالسياسة العالمية . بدأ الاتحاديون بالتعاون مع الحركيين في البلقان بهذا الشعار . اتفق رجال العصابات البلغار واليونان الصرب الذين أهدروا الكثير من دماء المسلمين

مع الاتحاديين لغرض هدم النظام الحميدي . ليسقط سيزار أولا ، عندئذ سيكون من السهل عليهم القضاء على الاتحاديين . وبالفعل حدث ذلك . قدمت جمعية الاتحاد والترقي السرية ، مذكرة إلى قناصل الدول الأجنبية في مكدونيا وطلبت تدخل دولها لهدم « استبداد حاضر » و « إداره ء مستبدانة » أي لهدم الاستبداد الحالي والإدارة المستبدة . لكن الديمقراطية ، لم تكن نظاما عالميا لكي تتدخل هذه الدول من أجل الطراز الإداري في العثمانية . الحقيقة أن سقوط السلطان حميد ، كان في صالح جميع الدول الكبرى عدا ألمانيا والنمسا . إلا أنه لم يكن بالإمكان تحقيق تدخل بالمعنى الذي يريده الاتحاديون .

بدأ الاتحاديون بقتل الموظفين العثمانيين الذين لا يتعاونون معهم . الرائد أنور بك جرح بمسدسه زوج أخته ، قائد مركز سلانيك العقيد الركن ناظم بك (1908/5/29) . الملازم عاطف بك ، قتل في مناسطر الفريق الأول شمسي باشا بالمسدس (1908/7/7) . اقتحم دار المشير تتار عثمان فوزي باشا الذي أرسل إلى مناسطر بدلا منه ، 2 000 من عصابة الاتحاديين وخطفوه وأرسلوه إلى الجبل (1908/7/22) . رائدان ونقيبان ثلاثة منهم أركان ، شكلوا عصابة وصعدوا إلى الجبل وأشهرهم أنور بك . وكان قد صدر أمر بالقبض عليهم ، وكان البحث عنهم جاريا .

صار لقاء Reval الذي جرى في هذه الأثناء (9 – 1908/6/10) ، وسيلة لحملة كبرى للدعاية الاتحادية . ملك إنكلترا أدورد السابع الذي هو ابن أخ لقيصر روسيا نيقولا الثاني ، التقيا في ميناء (أستونيا) الروسي . كان الموضوع ، اتفاقا إنكليزيا – روسيا تجاه ألمانيا . ولغرض إخفاء هذا الموضوع عن ألمانيا ، أشاع عملاء الروس والإنكليز أن الموضوع هو إصلاحات مكدونيا . ادعى الاتحاديون أن كلا الحاكمين قد اتفقا حول اقتسام مكدونيا و لم يتركوا هذا الادعاء سنين طويلة . والحقيقة أن استيلاء إنكلترا وروسيا على مكدونيا من العثمانية ، دون التفهم مع ألمانيا والنمسا وإعطائهما حصة منها ، شيء غير ممكن . لكن العثمانية ، لم تخل من الكثيرين من ذوي العقليات التي لم تدرك الحقائق المنطقية الواضحة .

قرر عبد الحميد الثاني ، بعد سلسلة من الوقائع التي لا داعي لذكرها هنا ، استئناف تطبيق القانون الأساسي . جيء بكوجوك سعيد باشا إلى الصدارة للمرة الـ 7 – كأول

رئيس وزارة مسئول – محل آفلونيالي فريد باشا . عين أركان حربية عمومية رئيسي (رئيس أركان الجيش) رشدي باشا ، لأول مرة بلقب « حربية ناظري » (ناظر الحربية) ، مع عدم تغيير صلاحياته ، بدلا من محمد رضا باشا الذي كان « سر عسكر » منذ 17 عاما (كان يعتبر كذلك لقب قائد القوات البرية ، وواجبات هذا المقام ، كانت ملقاة على عاتق السر عسكر أو ناظر الحربية) .

حدث هذا التغيير قبل يوم واحد من إعلان المشروطية الثانية . لم تأت المشروطية الثانية بديمقراطية حقيقية . كانت تدّعي ذلك ، وتمكنت فقط من تأسيس الديمقراطية شكلا وتحولت رأسا إلى حزب واحد وحتى إلى دكتاتورية المركز العام . ومن ناحية أخرى ، كانت تحوي كل العناصر التي تمزق الإمبراطورية إربا إربا وتمزق الوحدة الوطنية والدولة ؛ كتسليم المناصب لغير أهلها ولعديمي التجربة والجهلة بالسياسة الخارجية ، والافتتان بالأجانب وعملائهم . ولو أعلنها السلطان حميد بإرادته الشخصية ، لكان الانتقال أكثر عقلانية . لكن البادشاه أصبح في وضع أعلن فيه المشروطية مضطرا . أثر هذا على سياسة الدولة وأصبحت الكلمة للرعاع . ورغم ذلك ، كانت المشروطية نظام العصر العشرين ونظام حميد عاش في العصر التاسع عشر ولم يكن استمراره ممكنا . لم تحرك الجيوش الستة للإمبراطورية – عدا الجيش الثالث – ساكنا تجاه ذلك بصورة عامة . تلقى الجيش الأول خاصة ، ذلك بعدم ارتياح كبير . إلا أنه لم تحدث حركة مخالفة صيانة لوحدة الجيش . وأساسًا كان لا يمكنهم معارضة نظام أعلنه البادشاه بنفسه . بالنسبة للقانون الأساسي ، كان البادشاه هو القائد الأعلى . ورغم أن مؤامرة 1876 قد حققها الجيش الأول ، فإن مؤامرة 1908 ، أخذها على عاتقه الجيش الثالث بسبب أن نبض الإمبراطورية كان ينبض في مكدونيا منذ عدة سنين وكون هذه المنطقة متعددة الجنسيات والأقوام والمذاهب ومتداخلة مع أوروبا . الأقطار ذات الأهمية الحيوية كمكدونيا وأبير وألبانيا التي تشكل أحد جناحي الإمبراطورية – التي ضعفت بعد كارثة 93 – الكائنة بين نهر مريج والبحر الأدرياتيكي ، كانت في عهدة الجيش الثالث .

لو كانت المشروطية الثانية نتيجة حركة شعبية ، لأمكن تخطي الخطوة الأولى للديمقراطية الحقة . لكنها لم تكن كذلك . كان الجيش الثالث وخاصة الاتحاديين من

ضباط هذا الجيش . يقولون إن المشروطية هي صنيعتهم وحدهم دون غيرهم ، وأخذوا يكررون ذلك على الشعب يعيّرونه ويمنّون عليه حتى انقراضهم وذهابهم . وهذا أثر من آثار قلة التجربة وعدم تفهم الديمقراطية ، ويحتسب هذا الخطأ بالذات على الاتحاد والترقي .

إن الديمقراطية ممكنة بالأحزاب ، وليست ممكنة دون أن يكون هنالك حزبان على الأقل . نعم لقد تألفت أحزاب كثيرة بعد المشروطية . لكن الاتحاد والترقي استصغر شأنها ، وعلى مر الزمن ، أعلن عدم شرعيتها وخيانتها للوطن . أصبحت المعارضة سرية ، وبهذه الحالة المعنوية ، أقدموا على الحركة التحررية والهدنة ، الأمر الذي أدى إلى حدوث أوضاع لا تليق بالشعب التركي . بدأ الاتحاد والترقي بحياة حزبية سيئة للغاية . وبناء على ذلك ، لم تتحقق الديمقراطية بسبب عدم إمكان تشكيل أحزاب سليمة وإعلان الاتحاد والترقي عن نفسه بأنه هو الحزب الوحيد الذي أنقذ الشعب والدولة وأنه بصفته هذه ، صار وصيا على الشعب والدولة . لكن الأسوأ من ذلك هو إشراك الجيش في السياسة والإخلال - بشكل خياني وسافر - بالمبادئ الأساسية للانقلاب الأكبر الذي حققه السلطان محمود في 1826 وهو عدم استعمال الجيش في السياسة الداخلية وعدم تدخل الضباط في السياسة . وقد شوهد في حرب البلقان انقسام الضباط الاتحاديين والمعارضين (الذين يسمون أنفسهم « خلاصكار » أي منقذين) إلى قسمين وقد عامل أحدهما الآخر ، معاملة خائن الوطن . إن جيشا هذا شأنه ، لا يمكنه الانتصار في الحرب ، وهذا ما حدث فعلا .

حكم العوام (الديماجوجية السياسية) ، هو العنصر الذي وضعته المشروطية في حياة المجتمع التركي بشكل تام . استعملت كلمة « مرتجع » (رجعي) بمعنى « مخالف » (معارض) . كما استعملت في تر... بعد ذلك كلمة « فاشست » بمعنى « الشخص المعارض لتأسيس النظام الشيوعي » . من الواضح أن الاتحاد والترقي قد تأثر بعمق بالكثير من مبادئ الثورة الفرنسية الكبرى . إن شعار الحزب هو « حريت ، عدالت ، مساوات ، أخوت » الذي ترجم طبق الأصل عن الفرنسية . الحقيقة أن الحزب أخذ يتدارك وضعه لكن كان هذا بعد فوات الأوان .

كان الذي يمثل النظام الاستبدادي ، شخصا واحدا . عند سحب السلطة من عبد الحميد الثاني ، ينتهي هذا النظام معه . أما الاستبداد الاتحادي ، فلم يكن يمثله شخص واحد . من ناحية كونه دمويا وتآمريا وإعداميا فإنه يمتاز بالشدة عن النظام السابق الذي يرفع التقارير وينفي فقط ، ومن ناحية حشر الضباط في السياسة ، فقد وضع الديناميت في قواعد الدولة وأصبح تثبيت مصدر السلطة مطاطيا إلى درجة . عاش الناس سكرة الحرية اللطيفة بعد ضغط النظام الحميدي ، مدة عشرة أشهر . ثم فتح دور ، ثلاثي طلعت – أنور – جمال ، الدكتاتوري الاستبدادي المطلق .

15 – إعلان المشروطية الثانية (1908/7/23) وأيامه الأولى

أعلن السلطان حميد إرادة سنيّة بين فيها أنه أعاد العمل بالقانون الأساسي ، وأنه أساسًا كان هو الذي أعلن هذا الدستور قبل 32 عاما ، وعطل المجالس في حينه نظرا لما تقتضيه شروط ذلك الزمن ، وأنه ستجرى الآن التحضيرات لأجل الانتخابات لتأسيس المجالس (1908/7/23) .

وبالنسبة لأحكام المشروطية ، يعين الحاكم الصدر الأعظم وشيخ الإسلام فقط . وبالتعديل الجذري الذي أجري على القانون الأساسي ، يختار الصدر الأعظم نظّاره ، وتبدأ وزارته في العمل ، في حالة حصولها على اعتماد المجلس . للمجلس حق إسقاط الحكومة إذا رأى ذلك .

استمرت صدارة سعيد باشا السابعة 14 يوما . كان منافسه الأكبر كامل باشا ، الذي أصبح صدرا أعظم للمرة الثالثة (1908/8/4) . استقال بعد 6 أشهر و 10 أيام بسبب ملله من الضغوط السريّة المخالفة للدستور التي يمارسها الاتحاد والترقي (1909/2/14) . صار وزير الداخلية حسين حلمي باشا البالغة سنه 53 عاما ، صدرا أعظم مع احتفاظه بوزارة الداخلية . استقال بعد شهر واحد و 28 يوما على أثر واقعة 31 مارس (1909/4/13) . صار أحمد توفيق باشا البالغ سنه 64 عاما ، الصدر الأعظم الأخير لعبد الحميد الثاني والأول للسلطان رشاد . دبلوماسي ، اشتهر بشغله منصب وزير الخارجية مدة 13 سنة و 3 أشهر و 17 يوما (الثالث في التسلسل) في أواخر عهد السلطان حميد .

16 ـ انفصال بلغاريا وبوسنة ـ هرسك عن الإمبراطورية (1908/10/5)

على أثر الخطأ الذي ارتكبه الاتحاديون بعدم تخصيصهم مكانا في البروتوكول لممثل أمير بلغاريا المسمى « قابو كتخداسي » بلّغت إمارة بلغاريا الباب العالي بأنها انفصلت عن الإمبراطورية العثمانية وأعلنت الملكية من طرف واحد . وفي اليوم نفسه (1908/10/5) ، بلّغت النمسا ـ المجر ، بأنها ضمّت بوسنة ـ هرسك التي تديرها باسم العثمانية ، وأنها ستبقى تحت إدارة الحكم المطلق المزدوج ، أي أنها لن تنضم ، لا إلى الحكم المطلق للإمبراطورية النمساوية ، ولا إلى الملكية المجرية ، وأنها ستكون تحت الإدارة المشتركة لهما معا . وفي اليوم التالي (6 ت1) ، بلّغ مجلس إيالة كريت ، بأنه انفصل عن العثمانية والتحق باليونان .

بدأت المشروطية بمثل هذه الحوادث المؤلمة جدا . وأخذ يتضح مدى دهاء النظام الحميدي في السياسة الخارجية . وهكذا فقدت الإمبراطورية بلغاريا 345 96 كم^2 و 000 338 4 نسمة + بوسنة ـ هرسك 51564 كم^2 و 000 932 1 نسمة . لم تتمكن كريت من الانضمام إلى اليونان . لم ينقطع ارتباط (379 8 كم^2 و 000 344 نسمة) من الجزيرة مع العثمانية حتى 1913 . ترك الباب العالي في معاهدة إستانبول 1909/2/26 بوسنة ـ هرسك إلى النمسا لقاء تعويضات قدرها 2,5 مليون ليرة ذهبية .

منحت بلغاريا الاستقلال كذلك لقاء 5 ملايين ليرة ذهبية (معاهدة إستانبول ، 1909/4/19) . ظهرت دولة بلقانية مستقلة أخرى ، اتبعت سياسة خارجيه توسعية سبقت البلقانيين الآخرين . سحبت النمسا جيشها من لواء يني بازار الواقع بين صربيا وقرة داغ ، وجاء محله الجيش التركي .

فرضت المقاطعة على البضائع النمساوية لأشهر عديدة . تأثر الشعب بهذه الخسائر . علّموا الأطفال أناشيد « كريت حياتنا ، نفديها بدمنا » . جاء ملكا الصرب وبلغاريا ، إلى إستانبول . بقيت اليونان وحيدة ، لفترة من الزمن . كان ضم بوسنة ـ هرسك ، من قبل النمسا ـ المجر ، أحد أسباب الحرب العالمية . لأن الجرمانية ، غزت شبه الجزيرة البلقانية على العمق وفقدت روسيا ـ كرئيسة للسلافية ، منطقة نفوذ . دخلت صربيا بعد ذلك تحت حماية روسيا ، وبلغاريا تحت حماية النمسا وقسمت البلقان إلى كتلتين .

كانت صربيا وكذلك النمسا ـ المجر ، تطلبان بوسنة ـ هرسك ، وكانت تهدد كذلك من قبل بلغاريا .

17 – افتتاح مجلس المبعوثان (النواب) (1908/12/17)

جرت الانتخابات الأولى على مرحلتين – كما هي الحالة حتى 1946 – بشكل ابتدائي وبارتكاب مختلف الحيل . انتخب الشعب مرشحي الاتحاديين بقوة السلاح . استخدمت الأقليات دسائس دنيئة ، للحصول على مقاعد أكثر . كان 140 نائبا فقط من مجموع 275 نائبا تركيا . العرب 60 نائبًا (منهم مسيحي واحد) ، الألبان 25 نائبًا (بضعة منهم مسيحيون) ، الأكراد 2 ؛ أما من غير المسلمين ، الروم 23 ، الأرمن 12 ، اليهود 5 ، البلغار 4 ، الصرب 3 ، الرومان (Ulah) نائب واحد . لم يؤيد النواب الدولة منذ الجلسة الأولى ، على عكس ما كان يظن الاتحاديون ، بل أيّدوا الأقوام التابعين لها .

افتتح عبد الحميد الثاني مجلس المبعوثان (1908/12/17) . استصحب ابنه الأوسط المحبوب برهان الدين أفندي البالغة سنه 23 عاما ، بعربة السلطنة الذهبية وجاء إلى المجلس . لم يتردد في أن يشير في خطابه إلى شكّه في اتفاق النواب من مختلف الأقوام حول مصالح الدولة العليا . ورغم تأكيده بأنه هو الذي يعلن القانون الأساسي ، كما كان قد أعلنه هو قبل 32 عاما وكذلك يفتتح هذا المجلس كما افتتح هو المجلس الأول ، ورغم تشديده على هذه الكلمات ، كان الاتحاد والترقي ، بإدعائه الذي شق عنان السماء والأرض ، يعلم أنه هو صاحب « الانقلاب العثماني » . ولو أن الحزب ، تقبل بقوله أن البادشاه هو الذي أعاد العمل بالمشروطية ، وأن ذلك هو رأي الدولة الرسمي لأمكن صيانة سلطة الدولة . لقد عجز الحزب حتى عن إظهار هذه النظرة البعيدة .

وشيء آخر ، هو أن الأقليات لم ترتبط بالدولة ، على عكس إدعاء الاتحاديين بأن ذلك سيحدث فور تطبيق الديمقراطية ، أخذت الأقليات تستهزئ بشعار « اتحاد الأنصار » . عصى الأرمن في إيالة أدنة (1909/4/14) . كان الاتحاديون يتهمون السلطان حميد بسحقه الأرمن . لنرى الآن ماذا فعلوا هم ؟ .

صدر عفو عام عن أفراد العصابات ، البلغار ، الصرب ، اليونان ، الأرمن الذين

أهدروا دماء آلاف المسلمين . عادت مجددا كل العناصر الضارة الهاربة من الدولة العثمانية . فتحت كل الأبواب . أصبح تأمين الأسلحة من الأقطار الخارجية إلى الحركيين سهلا . لم يبق في جعبة الصحافة هراء ولغو لم تكتبه . أخذت مئات الصحف والمجلات في الصدور . والشوارع كل يوم تمتلئ بالمتظاهرين . فتحت جمعيتا طاشناق وخنجاك الأرمنيتان الإرهابيتان في الأناضول شعبا لهما بصورة رسمية وعلقت لوحاتها .

وفي مثل هذا الجو ، حدث تمرد في إستانبول . وفي اليوم التالي للتمرد ، أمر Museg مطران Kilikya الأرمن بالعصيان . هجم الأرمن بجوار أدنة على الناس ، الأعراض ، الأموال لمدة 4 أيام ، 4 ليال (16 – 19 و 24 نيسان 1909) . دافع الشعب المسلم عن نفسه بنفسه . الأرمن الذين قتلوا 1850 مسلما ، قدموا 17 000 قتيل . هرب Museg إلى مصر ولجأ إلى الإنكليز . واقعة أدنة هذه ، كواقعة 31 مارت في إستانبول ، دبرتها وكالة المخابرات الإنكليزية **British Intelligenee Serviee** . غضب وزير الداخلية طلعت بك ، الذي ليست لديه خبرة إدارة قائمقامية قضاء . كان يرى أن المسلمين محقون في الدفاع عن أنفسهم . لكن لماذا لم يقتل من الأرمن بقدر ما قتل من الأتراك وخسائر مواطنينا الأرمن أكثر ؟ إن هذا يتنافى مع قاعدة المساواة ! أرسل صديقه المقرب ، المقدم الركن جمال بك ، كوالٍ لإيالة أدنة .

وبدلا من أن يحقق جمال بك في كيفية سماح قوات الأمن لحدوث عصيان أرمني ، أعلن الأحكام العرفية وأعدم 47 تركيا أحدهم مفتٍ وأرمني واحد فقط . ظن الاتحاد والترقي أنه بعملهم هذا سيضمنون إخلاص الأرمن للدولة ، وقدموا لهم نموذجا في العدالة !

18 – واقعة 31 مارت (1909/4/13)

بدأ الاتحاديون بقتل معارضيهم في الشوارع . قتل على هذا الشكل بالمسدس في شوارع إستانبول كل من إسماعيل ماهر باشا ، الصحفيين الشابين أحمد صميم بك وحسن فهمي بك ، ونشرت الجملة المعهودة « رغم التحريات لم يعثر على القتلة » . لم تكن حوصلة الاتحاديين ، وخاصة زعيمهم طلعت بك ، تستوعب كيفية عدم

امتنان الشعب بأسره دون استثناء لهم رغم إسقاطهم حاكما لم يقدر أحد على إسقاطه مدة 30 عاما وجلبهم الحرية . بالنسبة لهم ، فإن كل شخص لا يقدّر خدمات وتضحيات الاتحاديين ، ولا يصفق لهم ، لا يعتبر ناكرًا للجميل فحسب ، بل خائنا للوطن . بدأ تحزّب مخيف استهدف إبعاد كل موظفي الدولة غير الاتحاديين . لم يكن من السهل تحقيق هذه التصفية بشكل كامل ؛ إذ إنه ليس لدى الاتحاديين كوادر لملء هذا الفراغ ، خاصة أنهم لم يتمكنوا إلا من تقديم ناظر أو ناظرين فقط للوزارة . لم يكن لديهم شخصيات كثيرة . كانوا مضطرين لإبقاء وزراء دور السلطان حميد في أعلى المناصب . ومن جملة هؤلاء ، سعيد باشا ، كان رجلا عديم الخلق . ورغم أنه كان من النوع الذي يمكنه عمل كل أنواع الدسائس والحيل لكسب ود الاتحاديين ، لكنه في الحقيقة ، لم يكن يميل إليهم بالمرة . أما كامل باشا ، فكان فقط يكره الاتحاديين ولا يتردد في التصريح بهذا . كان حسين حلمي باشا مقربا للاتحاديين ولكنه لم يكن منتسبا إلى الحزب .

كان الاتحاديون يشكّون في عدم تمكنهم من السيطرة على الدولة بشكل تام . كان العملاء الأجانب الذين يحيطون بهم – والذين كان الاتحاديون – يجهلون كونهم عملاء – والذين صفّقوا للذين أطلقوا عليهم اسم « جون تركلر » (الشباب الأتراك) مدة من الزمن – يدفعون بهذا الحزب ويحرضونه على القيام بحركات أوسع . كان السلطان عبد الحميد يمثل السلطنة فقط . ليست له علاقة بالحكومة والجهاز التنفيذي . لكن مجرد ظلّه كان يخيف الاتحاديين وكذلك الدول الأجنبية . كان لا يمكن تحقيق العديد من المشاريع مادام باقيا في مقامه . وفي النهاية ، اتفقت جميع قوي الشر على إسقاط حاكم هذا شأنه ، أكبر أستاذ خبير في الحكم والإدارة . العائق الوحيد ، كان الجيش الأول .

كان هذا الجيش المتمركز في إستانبول ، أكبر قوة ضاربة في الإمبراطورية ، خاصة فرقتيه الأولى والثانية ، كانتا قد جهزتا وسلحتا بشكل فوق العادة بالنسبة إلى ذلك العهد . وكان الجيش الأول مخلصا للبادشاه . والأهم من ذلك ، كان ضد الجيش الثالث . إذ إنهم كانوا قد بدأوا بالاستياء من غرور وزهو ملازمي ونقباء الجيش الثالث القادمين بعد المشروطية من سلانيك ومناسطر إلى إستانبول .

جاء الاتحاديون بأحد المشيرين الشباب محمود مختار باشا ـ وهو ابن غازي أحمد مختار باشا وصهر الخديو إسماعيل باشا القديم ـ لقيادة الجيش الأول . أرادوا بذلك منع الحركة المضادة في هذا الجيش . لكنهم لم يتمكنوا من توفير العناصر التي ستنفذ المؤامرة من بين هذا الجيش . جلبوا سرايا القناصة من فرقة الجيش الثالث في سلانيك إلى إستانبول باسم « نكهبان حريت » (حرس الحرية) و « محافظ مشروطيت » . وبهذا كسروا عزة نفس وأنفة الجيش الأول . حيث إن هذا يعني أن الجيش الأول لم تكن لديه القدرة على صيانة الحرية والمشروطية ، الأمر الذي جعلهم يجلبون عدة سرايا لذلك .

قاد العصيان المسمى 31 مارت والذي يصادف بالتاريخ الميلادي 14 نيسان 1909 ، سرايا القناصة التي سيقت إلى إستانبول . لم يكن على رأسهم ضابط واحد . عصى الجنود تحت إمرة العرفاء والرقباء ، بشعارات رجعية وواضحة جدا أنها مرتّبة . قتلوا ناظر العدلية ناظم باشا ، ظنا منهم أنه أحمد رضا بك ، ونائب لاذقية الأمير شكيب أرسلان ، ظنا منهم أنه الصحفي حسين جاهد بك ، وقبطان (رئيس الملاحين) البارجة « آثار توفيق » علي قبولي . استدعى السلطان حميد ، قائد الفرقة الثانية وأشار عليه بضرورة تشتيت هؤلاء العصاة . أفاد قائد الفرقة بأنه لم يتسلم من قائد الجيش أمرا كهذا ، لكنه إذا كان البادشاه يأمر شخصيا بذلك ، فإنه سوف ينفذ الأمر لأن البادشاه هو القائد الأعلى . تردد السلطان حميد . أشار عليه بمراجعة قائد الجيش وتنفيذ ما يأمر به . محمود مختار باشا الذي كان اتحاديا ـ الذي سيكون فيما بعد معارضا شديدا للاتحاديين ـ لم يأمر بذلك .

يتضح ، حتى من هذه الخلاصة المقتضبة ، مدى كون هذه الحادثة مدبرة . حادثة في منتهى القبح ، سبّبت أضرارا كبيرة للدولة ، دبرها الاتحاديون للتخلص من السلطان عبد الحميد . لكن الحقيقة هي أن الاتحاد والترقي ، صار آلة بيد إنكلترا . و لم ينكشف ذلك إلا بعد مرور فترة . كان إسقاط السلطان عبد الحميد ، هو الخطوة الحقيقية الأولى لتمزيق الإمبراطورية . وحتى اسمه كان شعارا يخيف العدو ويبعث الأمل في نفوس الشعوب الإسلامية المظلومة . بسقوطه ، لم تشعر الدول الأوروبية ودول البلقان فحسب بل شعرت كذلك المجتمعات الأرمنية واليهودية التي لا دولة لها ، بأنها اقتربت كثيرا من أهدافها .

واقعة 31 مارت ، حادثة قبيحة من كل الوجوه ، حادثة رجعية . لم تصدر عن الشعب . يحتمل أن يكون الشعب غير راض عن الاتحاديين . لكنه في نفس الوقت ، لم يكن الشعب هو الذي يفعل حادثة من هذا القبيل . إن سياسيين كثيرين من ذوي النوايا السيئة ، اتهموا الشعب التركي بالرجعية بعد هذا التاريخ ، وأومأوا بإصرار بأن الشعب التركي رجعي ، وبأنه يناصر الرجعية ، وبناء على ذلك يجب جعله تحت الوصاية . وهذا ، وسع الهوة ، بين الكادر الإداري والشعب بشكل كبير .

بدأ الاتحاديون بجمع قوات في سلانيك ونقلها بالقطار إلى إستانبول . سميت هذه القوة « حركت أوردوسي » أي جيش الحركة . الجيش الثالث ، كان يحتوي على قليل من الجنود النظاميّين . البقية عصابات يدّعى أنها متطوعة ، أكثرها من أفراد العصابات البلغارية ، الصربية ، اليونانية ، المكدونية والألبانية الذين أهدروا الكثير من الدماء التركية . تولى القيادة في الطريق ، الفريق الأول محمود شوكت باشا . كان قائدا للجيش الثالث . وكلّ نيابة عنه في سلانيك ، هادي باشا . ادعى جيش الحركة بأنه جاء لينقذ البادشاه من العصاة في إستانبو ل ، لكن قوة كهذه تسير نحو إستانبول يشكل أكثريتها المكدونيون قتلة المسلمين ، على رأسها جنرال عثماني معروف ، أثارت التردد لدى الجيش الأول .

مثل الجنرالات بين يدي السلطان عبد الحميد في إستانبول ، وطلبوا منه أمرا لمنع دخول هذه القوة إلى إستانبول . أمر السلطان بشكل قاطع بعدم التحرش بهم . نوقش هذا الأمر كثيرا ، إذ إن التطورات التي حدثت بعده ، كانت ذات تأثير وخيم على مستقبل وشرف الدولة التركية . وذكر بأنه لا يمكنه بعد هذا العمر أن يقتل المسلمين بالمسلمين ، وبالنسبة إلى قوانين المشروطية ، فإنه لا يمكنه التدخل في الإجراءات . وضح هنا ، عدم تركه سياسة بني عثمان ، في عدم استعمال الجيش في السياسة الداخلية ولو كان ذلك ضده . بلغ الأمر إلى حد أن السلطان عبد الحميد ، حصل من قائد الجيش الأول ناظم باشا والجنرالات الذين يرافقونه على قسم ، بعدم استعمالهم السلاح ضد جيش الحركة .

19 - خلع السلطان عبد الحميد الثاني (1909/4/27)

دخل محمود شوكت باشا ، إستانبول في 25 نيسان وسيطر على الوضع . أعلن الإدارة العرقية وأعدم الكثيرين من الأبرياء وشهرهم في الميادين . سطا أفراد العصابات البلقانية المتآمرة على قصر ييلدز ونهبوا الأشياء الثمينة التي تقدر بعشرات الملايين من الليرات الذهبية واقتسموها . وحتى عربة البادشاه الذهبية ، اقتسمت بعد تقطيعها إلى لوحات . نهبت ببغاآت السراي . (معروف من الذي سمح بهذا النهب) .

من ناحية أخرى ، كان الرئيس الثاني لمجلس النواب طلعت بك مسيطرا على المجالس ، بصفته الرئيس العام للاتحاد والترقي . دعا محمود شوكت باشا ، الذي دخل يشيل كوي في 22 نيسان ، مجلسي النواب والأعيان باسم « مجلس عمومي ملي » (المجلس الوطني العام) لاجتماع مشترك . حضر الذين استطاعوا الحضور . كان رئيس مجلس النواب ، الصدر الأعظم الأسبق كوجوك سعيد باشا ، قد اتفق حول موضوع خلع البادشاه . كان طلعت بك يخيف البرلمانيين المترددين باتهامهم بالرجعية . إذ كان قد شرع في إعدام الرجعيين . اختبأ رئيس مجلس النواب أحمد رضا بك الذي أخذت تتردى علاقته مع حزب الاتحاد والترقي الذي كان يرأسه في الماضي .

رفض « فتوى أميني » (المفتي الأكبر) التوقيع على فتوى الخلع . جلبوا أحد رجال الدين الجهلة وحصلوا على توقيعه . كان السلطان عبد الحميد متهما بتدبيره واقعة 31 مارت . ومع أنه قد وضح اليوم ، عدم وجود أية علاقة له بهذه الواقعة ، هذا علاوة على أن طلعت بك ، كان قد بين بصراحة وبصورة قطعية في حينه ، عدم وجود علاقة له بالحادث ، أما سعيد باشا فقد اكتفى بالإيماء فقط بعدم وجود علاقة له إلا أنه كان يلزم إيجاد سبب ديني لخلعه . أضيف إلى الفتوى ، إدعاء حرقه الكتب الدينية إلى جانب إدعاء تحريضه المسلمين على قتال بعضهم البعض . إن هذه الادعاءات مضحكة فقط . كان متهما بالإسراف ، رغم كونه أكثر الحكام اقتصادا . وكان يتهم بالظلم رغم كونه أكثر الحكام تحاشيا لسفك الدماء . وسوف يبين لنا الاتحاد والترقي ، بعد الآن ، وبشكل عملي كيف يكون الحكم الدموي .

إن طريقة إبلاغ قرار خلع السلطان عبد الحميد إليه ، لطخة لا يمكن محوها أبدا

من التاريخ التركي . كلّف 4 موظفين بتبليغ الخلع : نائب سلانيك عما نوئيل كراسو (Emanuel Carasso) يهودي عميل لإيطاليا وقد لعب دورا مشئوما في عملية ابتلاع إيطاليا ليبيا ؛ النائب رام أفندي الذي أباح دماء الكثيرين من الأتراك عند ترأسه الإرهابيين الأرمن ؛ نائب دراج Draç ، لواء الجندرمة (الدرك) الألباني أسعد طوبتاني باشا ، عميل لإيطاليا في استقلال ألبانيا الذي أهدر دماء الكثيرين من الأتراك والذي سبّب قتل الضباط العثمانيين ؛ النائب الكرجي الفريق البحري عارف حكمت باشا ، الذي تعاون مع دول الاحتلال خلال الهدنة . هكذا أخذ اليهود ، الأرمن ثأرهم من السلطان عبد الحميد . اعترف الاتحاديون بعد ذلك بأنهم اقترفوا خطأً كبيرا بانتخابهم هيئة كهذه . أبلغ الخليفة ، زعيم كل مسلمي العالم ، بالخلع بواسطة 2 غير مسلمين ، مسيحي واحد ، وموسوي واحد وباسم المجلس الوطني .

أركب السلطان عبد الحميد ، تلك الليلة فورا مع 38 شخصا من حاشيته ، القطار وأرسل إلى سلانيك . لم يسمح له بأخذ أية حاجة من حاجاته . صودرت كل أراضيه ، دراهمه النقدية ، سنداته التي كانت تعادل عدة مئات الملايين من الليرات الذهبية ، أكثرها تبدّدت . حرمت السلالة من هذه الثروة وصارت إلى وضع تمد فيه يدها إلى الدولة والحكومة . يا ترى ، أية قوة خفية هذه ، ولأي شيء تنتقم من بني عثمان ؟! رافق البادشاه في المنفى بناته الـ 3 اللواتي لم يتزوجن بعد و 2 من أبنائه . خصص له قصر Alatini في سلانيك . قضى هناك سنوات مفجعة جدا وتحت رقابة شديدة . لم يسمح له أبدا بقراءة الصحف .

20 – حول شخصية السلطان عبد الحميد الثاني

ظل السلطان عبد الحميد على رأس الإمبراطورية العثمانية حاكما مطلقا مدة طويلة جدا تنحصر بين الربع الأخير من العصر 19 وحتى أوائل العصر 20 وتحكم في مصير الشعوب كما تحكم في مصير الأفراد . اعتبر خلال هذه المدة الطويلة ، أحد أهم شخصيات العالم السياسية . وخلال مدة الـ 110 سنوات الماضية منذ جلوسه وحتى يومنا هذا ، نشرت عنه كتابات تستوعبها عربات قطارات عديدة ، صعد به بعضها إلى عنان السماء وهوى به البعض الآخر إلى القاع ، شخصيته غامضة ، معقدة ، ذات جوانب

عديدة.. أثر بشكل كبير على السياسة الأوروبية . دامت سلطنته 32 سنة و 7 أشهر و 27 يوما وهي أطول مدة سلطنة في تركيا منذ 1687 وحتى يومنا هذا . وهو السادس بين آل عثمان في طول مدة السلطنة بعد أرطغرل غازي سليمان القانوني وعثمان غازي ومحمد الرابع وأورخان غازي . استمر حكمه بعد المشروطية الأخيرة ، 9 أشهر و 5 أيام . كان عند خلعه عن العرش في سن 66 عاما و 7 أشهر و 7 أيام .

توحدت الآراء بشكل يقرب من الاتفاق ، على أن دهاء السلطان عبد الحميد شوهد في مجال السياسة الخارجية ، كان هذا الاقتناع سائدًا في الخارج أكثر مما هو في الداخل وعندما كان السلطان على قيد الحياة . كانت الدول الخصوم ترى دائما أن سياسة السلطان عبد الحميد عنصر يخشى منه ، عادوه ، لكنهم لم يتمكنوا من إنكار قدرته . يمكن للقارئ عند قراءته المنشورات والصحف الغربية الناقدة لسياسة السلطان عبد الحميد ، أن يدرك ، بقليل من التفكير ، أن هذا النقد ، إنما كتب من أجل المصالح الأوروبية . صرح سفير إنكلترا ـ التي لا يمكن أن يقال إنها صديقة للخاقان ـ في إستانبول (1899 – 1907) Sir Nicolas D'Connor ، أن سياسة السلطان حميد ، هي أكبر عنصر توازن في أوروبا للحيلولة دون وقوع حرب عالمية ، إن نبوءة هذا الدبلوماسي الإنكليزي ، تحققت تماما . حيث إن نشوب حرب البلقان ، التي لم يسمح السلطان حميد بإشعالها أبدا ، نثرت جميع بذور الحرب العالمية . وقد وصف سفير فرنسا (1909 – 1914) Bonpard ، الذي لم يكن كذلك صديقا للأتراك ، السلطان حميد بأنه « أكبر دبلوماسي واقعي في أوروبا » . هنالك اقتناع يقارب الاتفاق التام ، بأن الشخص الذي لم يسمح أبدا باتفاق دول البلقان الصغيرة ، هو عبد الحميد الثاني . يتفق أكثرية المؤرخين ، وأكثرية الدبلوماسيين في ذلك العهد ، على أنه لو بقي السلطان حميد على العرش ، لما أمكن للدول البلقانية ـ التي عداؤها لبعضها ، أشد من عدائها للأتراك الذين كانوا من رعاياهم حتى يوم أمس ـ أن تتوحد وتشعل الحرب . والسلطان حميد ، عدا ذلك ، لم يسمح لروسيا وللنمسا ـ المجر أن تتوحدان تجاه البلقان . وبكسبه لألمانيا بجانبه ، نجا من ابتلاع إنكلترا له .

اشتهر عبد الحميد الثاني الذي فتح في مدن أدرنة ، المؤسسات التعليمية العالية

كالجامعات والكليات والمدارس التعليمية العسكرية أو المدنية ، بتشجيعه المعارف . وكذلك عني بالتعليم الابتدائي والتعليم المهني ، وعني كذلك بتعليم البنات . فتح في مركز كل صنجق (محافظة) مدرسة إعدادية (ثانوية ، وإن كانت ذات 4 صفوف تسمى « سلطاني ») وفي مركز كل قضاء مدرسة رشدية (متوسطة) ، يضاف إلى ذلك المؤسسات الثقافية كالمتاحف ، المكتبات ومؤسسات كثيرة أخرى في مجالات الإعمار والمواصلات . أرسل مئات من الضباط ، الأطباء والمتخرجين الشباب وأرباب المهن الأخرى إلى أوروبا وخاصة إلى فرنسا وألمانيا لغرض التحصيل . ارتقت العلوم العملية كالطب ، والعلوم الاجتماعية كعلم تدقيق الكتابات (Epigraphy) وعلم المسكوكات والمعادن (numizmaties) إلى المستوى الأوروبي . ربى جيلا مجهزًا بالثقافات واللغات الشرقية والغربية . أسس الترام في المدن كإستانبول ، بيروت ، أزمير ، سلانيك . سار في البداية بواسطة الخيل ثم بالكهرباء ، أدخل الهاتف والسيارة ، إلى المدن العثمانية في هذا الدور . تم إعمار مضايق إستانبول وجناقلعة ومنشآت عسكرية كثيرة أخرى . أمكن الدفاع عن جناقلعة عام 1915 بالاستحكامات التي أسسها السلطان حميد .

سدد الديون الخارجية بكامل الدقّة ، اقتصد ، دون أن يهمل المصروفات التي تقتضيها كرامة ومكانة الدولة ، قل ، في دوره الاقتراض . أثنى كثير من المؤرخين ورجال المالية على السياسة المالية للسلطان عبد الحميد .

عاش حياة منظمة ، لم يذق طعم المشروبات الكحولية ، لم يهمل أبدا عبادته ، قام مبكرا ، أظهر مقدرة ونشاطا مذهلا في العمل . كان ملمنا على التدخين وشرب القهوة . كان مولعا بالنساء دون إفراط ودون إسراف وخصص وقتا كثيرًا لهن . لم تكن له علاقة مع أية امرأة خارج حرمه ، ليس هذا فحسب ، بل إنه لم يلتفت إليهن بعين نابية . حافظ على سراي ييلدز ، كمأوى للعفة والأخلاق . عاش في دوره ، سواء القروي ، أم الحضري ، عيشة مرفهة ، بالقياس إلى الأدوار التي تلته . حدث، دمار القرية التركية في سنوات الحرب التي تلت السلطان حميد . يجب قراءة أبيات الشعر التي يقارن فيها الشاعر محمد عاكف الذي لا يميل إلى السلطان حميد أبدا ، رفاه قرية الدور الحميدي بفاقة وفقر قرية دور المشروطية بشكل رائع . والمعروف عن ذلك

الدور ، قلة الحوادث الإجرامية فيه ، بسبب علو أخلاق الشعب التركي حينذاك .

ومن الطبيعي أن يكون لمقدرته ونشاطه المنهل في العمل هذا ، نواح منحرفة . شغل وقته بأمور فرعية كثيرة لا مصلحة وطنية عامة ترجى من انشغال حاكم بها . ولا شك أن ذلك يتعلق بشكه ووسوسته المشهورة . فإنه لم يعتمد ـ في الناحية السياسية ـ على أي شخص ، ولذا فإنه محّص الحوادث بعمق ، ورغم أنه كثيرا ما كان يعثر على الحقائق ، لكن هنالك حالات يطغى عليه الشك فيها ، ويصل بسبب ذلك إلى نتائج مضرة . وفي الحقيقة ، لم يكن تسلطه أكثر بكثير من معاصريه ؛ القيصر ولهلم الثاني ، القيصر نيقولا ، ولا يمكن حتى قياسه بالميكاد ومتسوهيتو . لكن هذه الإمبراطوريات كانت أقطارا متطورة . الأقطار العثمانية كانت متأخرة . إن هذا التأخر كان عاملا مهما . ولو قرئت أكثرية الانتقادات الموجهة لشخصه بدقة ، لتبين أنها في الحقيقة لا تعكس عيوب البادشاه ، بل إنها تعكس المشاكل الناجمة عن تأخر القطر .

وقد عرف بجانب دهائه السياسي ، بذكائه المتميز ، ذاكرته النادرة ، تجربته ومكره السياسي الذي فاق أكثرية معاصريه ، قدرته على التأثير على الأفراد ، لطفه العميق ووقاره ، مخاطبته بصوته الجهوري الرجالي المؤثر جدا . لم يخاطب أي أحد بخطاب « أنت » ، استقبل الجميع وهو واقف ، عدا معيّته . يخطر موظفو المابين (البلاط) ، كل الذين يمثلون بين يديه لأول مرة ، بعدم تقبيل الأرض . لكن المشاهدين يفيدون بأن أشراف المسلمين القادمين من الأقطار الإسلامية البعيدة ، والأمراء القادمين من خارج الأقطار العثمانية لا يبالون بهذا الإخطار ويخرون بين يديه على الأرض .

نفر من عقوبة الإعدام . صدّق خلال مدة سلطنته الطويلة على 5 عقوبات إعدام فقط ، وبدّل عقوبات الآخرين كلهم إلى عقوبة السجن المؤبد ، ومن بينها العقوبات التي حكمت بها محاكم الإدارة العرفية . نفّذ خلال دوره أقل عدد من عقوبات الإعدام في تاريخ تركيه كلها . لكنه لم يتردد في سوق الجنود لإفناء العصابات التي تقتل المسلمين بالأسلحة .

انتُقد كثيرا لإهماله الأسطول . أخذ المؤرخون البحريون في المدة الأخيرة ، يعتبرون

هذا النقد مبالغ فيه . لم يكن بالإمكان من الناحية المالية ، تجديد الأسطول الثالث في العالم بصورة مستمرة بعد هزيمة 93 . ومع ذلك ، فإن الرأي القائل بفقدان هذا الأسطول الذي أسسه عمه ، مكانته لدى السلطان عبد الحميد بسبب الدور الذي لعبه في خلع عمه – رأي صائب . ومع ذلك فقد ألحقت بالبحرية لأول مرة سفن جديدة من بينها غواصتين وطرادين ، كما تم توسيع وزيادة إمكانيات ميناء تصليح السفن ، كما تطورت مدارس البحرية .

تعتبر من الأمور الأكيدة ، محافظته على تركية من حروب البلقان والحرب العالمية ، لو كان قد بقي في العرش حتى موته الطبيعي ، لكانت سياسته الخارجية سوف تظل سائرة في هذا الاتجاه . لقد كان من الممكن عندما تحل سنوات إتمام الإمبراطوريات لأعمارها الطبيعية ، أن تقوم تركية بمحض إرادتها وبشكل أكثر عقلانية بإجراء التصفية ، فتمنح الاستقلال للأقطار غير التركية ، وترتبط معها بعلاقات مادية ومعنوية ، ويحتمل أن يكون أهم من كل ذلك أنها لن تتحطم ويصيبها الدمار في فترة الحروب التي دامت 10 سنوات بصورة مستمرة ، ولا يصيب عمرانها الخراب ، وأنها سوف تتطور أكثر ويحتمل أن يكون أهم من هذا أيضا ، أنها سوف لن تفقد في الحروب جيلا كله شباب لا مثيل له ، من حيث حيازته على الثقافتين الشرقية والغربية .

لو بقي في العرش ، لما انغمس الضابط العثماني ، حتى رقبته في السياسة ، ولوفق أكثر في سلكه . لكن السلطان عبد الحميد ، لم يتمكن من اجتياز هذا المنعطف والَسير نحو الليبرالية . وحتى في العصر الـ 20 ، يشاهد الكثير من الدكتاتوريين الذين لم يجسروا على السير نحو الليبرالية والحرية . ولهذا السبب ، فإنه يجوز ألا نتهم البادشاه بشكل مفرط . لكن من الواضح أيضا أنه لم يتمكن من الأخذ بنظام لإمبراطوريته يلائم العصر 20 و لم يتمكن كذلك الذين تسلموا السلطة منه من الأخذ بهذا النظام ، لكن هذا لا يشكل عذرا . إذ لو تمكنوا من ذلك لما تكبدت الدولة أضرارا عظيمة جدا . قال السلطان عبد الحميد يوم 30 تموز 1908 هذه الحكمة « لو تمكنوا من إدارة تركية مدة 10 سنين ، فليفرحوا بأنهم قاموا بإدارتها عصرا واحدا » قال ذلك وانسحب من السلطة . إن هذه العبارة التنبؤية إنما صدرت عن سياسي ذي تجربة كبيرة . وحتى

الشعراء المعارضون نظموا أبياتًا من الشعر كالبيت التالي الذي معناه **لو كان نعشك ، لا أنت يحكمنا ، لكان ذلك أليق بنا – ليعد ويجلس تابوتك على العرش العثماني** .

« إن مشروطية 1908 ، غيّرت مفهوم السلطة السياسية التقليدية في تركية . وهو مسألة اتفاق الجيش مع السلطة السياسية . لم يستعمل السلاطين ، في أي وقت من الأوقات ، القوة العسكرية في السياسة الداخلية . كان هذا اختراع الاتحاديين . وهكذا صارت قدرة مقاومة المثقفين السلطة السياسية قبل الاتحاديين ، عبارة عن مظاهرة بطولية خيالية ؛ ولذا فإن المشروطية الثانية ، في تاريخنا السياسي ، من ناحية السيطرة على السلطة ، هي حملة رجعية استبدادية ؛ حيث إن استبداد الزمرة ، حل محل الاستبداد الفردي ، وهذا أشد خطرا من الوضع الأول لأنه جعل المسئولية بشكل مائع ، لا يمكن تحديده » (الأستاذ الدكتور جاهد طانيول) .

كان حاكما ذا مهارة كبيرة في التجارة ؛ يجيد ركوب الخيل واستعمال السلاح ، ذا صوت جهوري ، له نغمة خاصة ، لطيفة ومؤثرة . جسور ، لطيف ، بعيد عن التعصب ، لكنه متديّن ، يتحاشى الإسراف بشدة ، يتفهم الأمور المالية ، دقيق ، حذر ، لكنه شكاك إلى درجة مفرطة . ولو نحّي عن العرش بالموت أو بعزله وجاء مكانه مراد الخامس مجددا ، أو احتل مكانه السلطان رشاد ولي عهده ، لانهارت الإمبراطورية العثمانية تحت شروط أكثر وخامة وشؤما وسرعة . لم يتمكن حتى الذين نظموا الفتوى لتنحيته عن العرش ، من إنكار كونه حاكما جيدا وممتازا ، وإذ بالغوا في بعض عيوبه ، ضطروا غير محقين ، إلى تحميله مسئولية حادث 31 مارت . إن الذين قاموا على أثر فاته بمراسم تشييع الجثمان الدولي الخاص بالأباطرة الجالسين على العرش ومشوا وراء جثمانه مطأطئين رؤوسهم ، هم أنفسهم الذين خلعوه عن العرش بالتحقير . ومع إن ئولاء ، لاشك في كونهم وطنيين ، فإنه لاشك كذلك ، وبنفس الدرجة ، في أن بينهم عملاء حركيين يخدمون أغراض الأجانب (ناهد سرّي أوريك **150 YilinTurk** 195 ، ص 44 آ **Meshurlari**) .

إن مشاهدات الفريق البحري الإنكليزي السير هنري وودز **Sir Henry Woods** التي ونها في مذكراته التي حررها بعد عبد الحميد الثاني وبعد سقوط السلطنة في تركية ، فت النظر (ص 113 – 39 و 159 – 66) :

« بالنسبة لي ، إن السلطان حميد هو أحد الذين يشغلون أعظم موقع ممتاز بين سلاطين العثمانيين كافة . أحد الحكام الناجحين جدا منذ تأسيس الدولة العثمانية ... كان يعيش عيشة هادئة وبعيدة عن التكلف . ينصت إلى الخبراء في حل مشكلة ما ، لكنه لا يكون أسيرًا لأفكارهم . كان عاقلًا ولطيفًا عندما كان شهزاده (أمير) ، وحينذاك أيضًا ، كانت الشخصيات الأوروبية الممتازة القادمة إلى إستانبول ترغب في زيارته ، ولولا وجود السلطان عبدالحميد ، وإدارته الإمبراطورية بذكائه وإطالته عمرها ، لما أمكن كذلك ، وجود حكومة أنقرة الحالية (1924) . إن تضميده جراحات حرب 93 الروسية ، التي استنزفت طاقة تركية من الناحية النقدية والبشرية ورمتها في أحضان الفاقة وعرقلت تطورها ، مما يدعو إلى الدهشة . سدد الديون الخارجية ، قوى الجيش وأعاد إلى الدولة العثمانية مكانتها إذ جعلها دولة يخطب ودها والاتفاق معها . ولو لم يسقطوا السلطان عبد الحميد ، لما حدثت الحرب العالمية . وحتى لو فرضنا عكس ذلك ، لأبقى السلطان ، تركية على الحياد ، ولبرزت تركية غير المضعضعة أبدًا ، بين الدول المضعضعة ؛ لكن نظام « الخفية » كان سيئًا . كان مخبرو البادشاه ، مع الأسف ، يخبرونه يوميًا حتى بالعلاقات السرية التي بين الدبلوماسيين الموجودين في بك أوغلو ، وبين زوجاتهم وحياتهم الخاصة ، ومحادثاتهم الشخصية السرية . إن تأسيسه شعبة جاسوسية كهذه ، ولو أنها لم تكن ملائمة لسجية السلطان تمامًا ، لكنه لم يتمكن من تركها . انشغل بكل مشاكل طبقات الشعب المعوزة وتأثر لحالهم ، والحق يقال ، إنه لم يفرق رعاياه المسيحيين عنهم . استعمل ثروته الكبيرة جدًا في هذا السبيل . كان قد قرأ ماكيافلي وتأثر به كثيرًا . بدل النظام السائد ، بنقله إدارة الدولة من الباب العالي إلى ييلدز . كان يتابع الصحافة الأوروبية يوميًا ويأمر بترجمة الكتب المهمة في نفس العام الذي تصدر فيه ويقرأها أو يستمع لقراءتها . وهكذا ترجم 6 000 كتاب ، وجدت في مكتبته على شكل دفاتر . قابله جوزيف شامبر لاين **Joseph Chamberlain** (أحد كبار رجال الدولة الإنكليز في عصره) . قال لي بعد المقابلة ، إن السلطان هو الرجل الوحيد الذي له شخصية رئيس دولة حقيقي بين الذين تعرف عليهم من الأتراك . الحقيقة أنه كان عدوًا لعدوه . لكن نفوره من المسيحيين ليس صحيحًا . ولم يكن عدوًا حتى للأرمن ، كان عدوا للأرمن المتآمرين . إن شخصين من الأشخاص الثلاثة الذين

يديرون الخزينة الخاصة (التي كانت بمثابة وزارة مالية حقيقية ثانية) برتبة ناظر (وزير) خلال مدة سلطنته الطويلة ، كانا أزمنيين وكان اعتماده على أولهما وهو الوزير آكوب الفندي كبيرًا إلى درجة أنه كان يستخدمه حتى في العلاقات الدبلوماسية السّرية . كانت المبادىء الأساسية لسياسته المضبوطة فى الخارجية هي برودة الطبع ، التريث ، اجتياز خطر الحرب ، تشخيصه السريع لنقاط عدم التفاهم الرئيسية ، العداوات ، الحسد الكائنة بين الدول واستعمالها لصالح العثمانية . كان يعمل منذ ساعات الصباح المبكر إلى ساعات متأخرة من الليل وينام قليلًا جدًا . أولى صفة الخلافة أهمية تفوق الأهمية التي أولاها السلاطين الآخرون . وبينما كانت هذه الصفة ، بالنسبة لأسلافه السلاطين ، واحدة من ألقاب الحكم العديدة التى يحملونها ، أعطاها هو مفهومًا جديدًا . اهتم بالمسلمين الموجودين فى كل أنحاء العالم . ربطهم باستانبول بروابط المحبة والاحترام . آلاف المسلمين كانوا يتواجدون فى استانبول . المسلمون في الأقطار الموجودة في أفريقيا الوسطى وحتى الصين يروحون ويغدون ، يلقنون ويتسلمون الأوامر ، كان حاكمًا أبًا للعائلة بكل معنى الكلمة ، حريصًا على أولاده ، معنيًا بتربيتهم بشكل جيد ، لطيف المعشر . ولو كان عزم على استعمال الجيش ، لما استطاعت أية قوة أن تخلعه عن عرشه . لكنه لم يقترب من ذلك . وبالأساس لم يكن يؤمن بالحرب والعراك ويؤمن بالدبلوماسية الدقيقة . كان جيش الحركة عبارة عن ثلاثة أو أربعة آلاف شخص . كان يشكل أكثريته الألبان ، اليهود ، الروم . ضباطه فقط كانوا أتراكًا . إن 8 000 من جنود الخاصة (حرس السلطان) المدربين تدريبًا جيدًا والذين رافقوه قبل عدة أيام فى استقبال الجمعة الأخير ، كان بإمكانهم تشتيت هذه القوة بمصادمة واحدة . توسل شوكت باشا إلى البادشاه أن يعمل ذلك ، لكنه لم يتمكن من الحصول على موافقته . كان الشعب يحبه جدًا . إن الشعب الذي كانت السماء والأرض ترن لهتافه « بادشاهم جوق باشا » (يعيش البادشاه) في مراسم استقبال الجمعة الأخير ، قبل خلعه بعدة أيام ؛ كان صادقًا ... » .

حرر المؤرخ عبد الرحمن شرف أفندي بعد موته هذه الأسطر : « كانت العلامات الخاصة بالسلالة العثمانية تشاهد وتتميز على ملامح وقوام السلطان عبد الحميد . كان ذكيًا وحساسًا ، لا يضيع وقته ، لطيفًا في معاملته الاعتيادية ، يملك صوتًا ذا حلاوة

خاصة . يؤدي بشكل تام ما يستوجبه وقار شخصية ومنزلة خلافته وسلطنته ، يتلطف تابعيه ، ويعلم كيف يسحر الأجانب الذين يقابلونه ، بحلاوة لسانه وجاذبية لطفه ورقته . كان قادرًا تمامًا على تحقيق وعيده ، ومقتدرا على إظهار شدته أو تسكين حدته عند اللزوم » .

شيوخ إسلام دور السلطان حميد هم خير الله أفندي ، خليل أفندي ، أحمد مختار أفندي للمرة الثانية (للمرة الثانية سنة ، 9 أشهر ، 4 أيام) ، عرياني ــ زاده أحمد أسعد أفندي (4 / 12 / 1878 – 17 / 1 / 1889 = 10 سنوات ، شهر ، 14 يوماً ، الحادى عشر في التاريخ العثماني ، من حيث المدة) ، بودرملي حاجي عمر لطفي ، محمد جمال الدين أفندي (4 / 9 / 1891 – 14 / 2 / 1909) ، ثم محمد ضياء الدين أفندي . إن المشيخة الأولى هذه لجمال الدين أفندي دامت 5 / 17 سنة . رجل دولة قدير . مكث في هذا المقام مع مشيخته في المشروطية قرابة 17 سنة ، 11 شهرًا ، 13 يوماً ويعتبر السادس بين شيوخ الإسلام من حيث المدة ، وهو شيخ الإسلام الكبير الأخير . توفي في مصر في نيسان 1919 عن عمر يناهز الـ 71 عاماً . وعند ذهابه إلى مصر بعد المشروطية قامت الأرض وقعدت وقلق الإنكليز بشكل كبير ، رغم أنه كان قد ترك مقام المشيخة بصورة فعلية .

21 ــ عائلة السلطان عبد الحميد الثاني :

سكن السلطان عبد الحميد الثاني في سراي دولمة بقجة في السنين الـ 8 الأولى من سلطنته فقط . سكن سراي ييلدز ، حتى خلعه . كان يذهب إلى سراي دولمة بقجة عدة مرات في السنة لغرض إجراء مراسم المعايدة ومرة واحدة في السنة ، إلى سراي طوب قابو . أصبح سراي ييلدز ، باستمرار إضافة الردهات إليه وبمرور الزمن ، مدينة داخل مدينة ، وإن صح التعبير ، أصبح فرساي إستانبول . سكن بعد خلعه قصر Alotini (1909 – 1912) ، ثم سراي بكلر بك الواقع في ضفة آسيا فى استانبول الذى استعمل منه غرفتين فقط ، رغم تخصيصه له (1912 – 1918) . السلطان عبد الحميد الذي خرج إلى الشوارع في مراسم تقليده السيف (13 / 9 / 1876) ، 600 000 شخص ، توفي في أواخر الحرب العالمية الأولى فى غرفة نومه المتواضعة في سراي بكلر بك (10 / 2 / 1918 ، الساعة 15) وعمره يتجاوز الـ 75 عاماً

بـ 4 أشهر ، و9 أيام . كان قد مضى على خلعه 8 سنوات ، و9 أشهر ، و13 يوماً وكانت الإمبراطورية تشتعل بنيران الحرب . دامت إقامته في قصر آلاتيني 3 سنوات و6 أشهر ، و5 أيام : وفي سراي بكلر بك 5 سنوات و9 أشهر و13 يومًا وخلال إقامته هذه ، لم يخرج من هذه الأماكن إلى الخارج « أبدا » . دفن في مقبرة عظماء الدولة التي خصصت لرجال التنظيمات والتي يسميها الاستانبوليون مختصراً « تربة » بمعنى (مقبرة) . بجوار جده محمود الثاني وعمه المحبوب السلطان عزيز وابن هذا وولي عهد السلطنة عز الدين أفندي .

إن فرع عبد الحميد ، هو فرع الحميديين ، هو أكبر فروع السلالة وأكثرهم عددًا . تزوج السلطان عبد الحميد زيجته الأولى عام 1863 من نازك ـ أداء عندما كان ولي عهد ثانٍ وعمره 21 عاماً ، وهي باش قادين أفندي (زوجة السلطان الأولى « رئيسة الزوجات » (1850 – 11 / 4 / 1895) . وهي والدة السلطانة علوية ، وظلت في رتبتها هذه باش قادين . أفندي » مدة 20 عامًا (1876/8/31)ـــ 1895/4/11 توفيت وسنها 44 عامًا . « كانت سمراء ، ذات شعر أسود اللون وعيون سوداء ، طويلة القامة ، وعازفة على البيان » . احتلت مكانها بدرفلك ، إيلينجي قادين أفندي (زوجة السلطان الثانية) (4 / 1 / 1851 – 6 / 2 / 1930) ، أصبحت « باش قادين أفندي » مدة 14 سنة ، وهي والدة سليم وأحمد أفندي والسلطانة زكية ، « كانت زرقاء العينين ، شقراء » ، تزوجت السلطان حميد في 15 / 11 / 1868 . تزوج السلطان حميد بزوجته الثالثة صالحة ناجية قادين أفندي (زوجة السلطان) (1887 – 4 / 12 / 1923) بعد 41 عاماً من زيجته الأولى (4 / 11 / 1904) ، وهي والدة عابد أفندي .

أقرب الزوجات إليه والتي مكثت معه بعد خلعه بصورة دائمة ، هي دست زر عائشة مشفقة وهي قادين أفندي الرابعة (زوجة السلطان الرابعة) (10 / 12 / 1867 – 16 / 7 / 1961) . هي والدة السلطانة عائشة . تزوجت في 12 / 1 / 1886 . « كانت زرقاء العينين ، شقراء ، بيضاء الجلد ، ذكية جدًا ، ومرتبطة بزوجها بكل كيانها » .

شهزادات (أبناء) عبد الحميد الثاني هم :

1 – محمد سليم أفندي (11 / 1 / 1870 – 5 / 5 / 1937) : ولي عهد

18 / 11 / 1922 – 3 / 3 / 1924 ، الرئيس الثاني ، للسلالة 16 / 5 / 1926 – 5 / 5 / 1937 . أولاده : محمد أفندي (1887 – 1890) ، السلطانة أمينة نميقة (9 / 2 / 1888 – 1969) ، محمد عبد الكريم أفندي (27 / 6 / 1906 – 3 / 8 / 1935) .
تزوجت السلطانة نميقة ، إبراهيم باشا – زاده داماد علي كنعان أسين بك أفندي (1884 – 1961) مهندس معادن ، مدير عام للمعادن ، مؤلف ؛ وهو الأخ الذي يكبر أخاه السفير سيف الله أسين بـ 22 عاماً . أولاده هم فاطمة فتحية خانم – سلطان (1912) ، كاظم بك أفندي ، (1918) ، أمينة ساطعة خانم – سلطان (1926) ؛ فتحية خانم – سلطان ، تزوجت سلطان – زاده إبراهيم أدهم بك أفندي ثم انفصلت عنه ؛ تزوجت ساطعة خانم – سلطان بالنائب البروفسور الدكتور عثمان طوران – أولاد الشهزادة عبد الكريم أفندي ؛ هارون أفندي (20 / 12 / 1930) ودندار أفندي (31 / 3 / 1932) . أولاد شهزادة هارون أفندي : أولاخان أفندي (25 / 8 / 1963) ، السلطانة نورخان (20 / 11 / 1973) وعبد الحميد أفندي .

اشتهر عبد الكريم أفندي بالحادث الغريب الذي أصابه والطريقة التي بات بها ؛ ذهب في 1932 إلى طوكيو واتفق مع الحكومة اليابانية على أن يكون خاقاناً لتركستان . وفي هذه الأثناء ، كانت اليابان قد فصلت منشوريًا عن الصين وجعلت إمبراطور الصين السابق إمبراطوراً لها . وفصلت كذلك تركستان الشرقية عن الصين وقررت إعلان عبد الكريم أفندي إمبراطورًا لها . ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية التى ترتبط بالصين ، والاتحاد السوفييتي الذي يخشى من اليابان كانا معارضين لهذا المشروع ، إلا أنه لم يكن هنالك ما يمكن أن يعملانه لمنع ذلك بصورة فعلية . قتل العملاء عبد الكريم أفندي بالمسدس في غرفته في الفندق الكائن في نيويورك وصّور الحادث على أنه حادث انتحار . والمعلوم أنه كان قد تقرر قبل الثورة الشيوعية في 1917 ، تعيين أحد الأمراء العثمانيين ، خاقانا على تركستان الغربية .

٢ – محمد عبد القادر أفندي (16 / 1 / 1878 – ك 2 / 1944) . توفي (30 / 1 / 1938) وهو رئيس ثانٍ للسلالة . أولاده : محمد أورخان أفندي (12 / 10 /

1909) ، الدكتور نجيب أرطغرل أفندي (27 / 3 / 1914) . علاء الدين أفندي (2 / 1 / 1917) ، السلطانة بيدار (3/ 1 / 1924 - 1943) ، عثمان أفندي (1925 - 1934) السلطانة صفوت نسل شاه (25 / 12 / 1925) . تزوجت هذه السلطانة داماد عوني بك أفندي ، أولادها هما صالح وعمر بك أفندي (من مواليد 1954 و 1959) . أولاد الشهزاد (الأمير) أرطغول أفندي ؛ سليم أفندي (1948) والسلطانة ليلي (1950) – أورخاي أفندي (1909) ، هو الرئيس الثاني للسلالة منذ 1978 . ضابط طيار تزوج نافعه يكن خانم أفندي من عائلة قاوالالي ثم انفصل عنها . أولاده السلطانة فاطمة نجلاء (14 / 9 / 1933) وسليم أفندي (1945) . تزوجت السلطانة نجلاء 3 مرات ، ابنها جم بك أفندي من زيجتها الثانية . زوجها الأول هو من عائلة قاوالالي الأمير داماد محمد سعيد حليم بك أفندي . الثاني داماد علي زكي مانكوس بك أفندي . انفصلت عن الثاني كذلك .

3 – أحمد نوري أفندي (12 / 2 / 1878 – 1944) : كان الرئيس الثاني للسلالة في الأشهر الأخيرة من حياته . اسمه الأصلي أحمد . لا ولد له .

4 – محمد برهان الدين أفندي (19 / 12 / 1885 – 15 / 6 / 1949) : توفي في 1944 وهو الرئيس الثاني للسلالة . أولاده : محمد فخر الدين أفندي (14 / 11 / 1911 – 1970) وأرطغرن عثمان أفندي (18 / 8 / 1912) ، كلاهما لا ولد له . – برهان الدين أفندي ، عازف بيانو ، ملحن ، رسام ، بّحار . انتخب في 1913 ملكاً علي ألبانيا ، لكنه رفض بسبب عدم تنازله عن حقه في عرش تركية . انتخب في 1912 ملكاً علي العراق من قبل العراقيين ، لكن الإنكليز أبطلوا ذلك بشكل دموي وأعلنوا حليفهم فيصل ملكاً .

5 – عبد الرحيم خيري أفندي (15 / 8 / 1894 – 1 / 1 / 1952) : مات في 15 / 6 / 1949 كان عند وفاته رئيسًا ثانيًا للسلالة . كان قد خطب السلطانة ناحية ، ضغط أنور باشا على السلطان رشاد وفسخ هذه الخطبة وتزوج هو بها . تزوج عبد الرحيم أفندي بأمينة خانم أفندي ، إحدي أميرات عائلة قاوالالي ثم انفصل عنها .

ابنته ، السلطانة مهرماه سلجوق (15 / 6 / 1920) ، تزوجت أمه بأمير من عائلة قاوالالي ، داماد راتب جزولي بك ، ثم انفصلت عنه ، وتزوجت بداماد إبراهيم عاصم بك أفندي ؛ أولاده هم خديجة - خانم سلطان (1941) ، تركان خانم سلطان (1943 - 1960) ، إبراهيم توران بك أفندي (1948) - كان عبد الرحيم افندي ضابطًا مدفعيًا ، أجري تدريبه في ألمانيا . كان في الحرب العالمية الأولى قائداً لكتيبة المدفعية ، لا أريد محو شهرتي هذه كقائد فرقة « كان من الأمراء الذين يحبهم أتاتورك . إذ إنه ساند حركة التحرير الوطنية . كان موسيقياً بارعاً .

6 - أحمد نور الدين أفندي (22 / 6 / 1901 - ك 1 / 1944) : لا ولد له . هو توأم محمد بدر الدين أفندي (22 / 6 / 1901 - 13 / 10 / 1903) .

7 - الدكتور محمد عابد أفندي (17 / 5 / 1905 - 8 / 12 / 1973) : تزوج سنيه خانم أفندي ، أخت ملك ألبانيا أحمد زوغو ثم انفصل عنها ، لم ينجب أولاداً . تخرج في مدرسة غلطة سراي ، الحربية ، كلية الحقوق ومعهد العلوم السياسية في السوربون وقسم اللغة الفارسية في قسم اللغات الشرقية العالية في باريس ، دكتور في الحقوق . وخلال فترة أصبح سفيرًا لألبانيا في باريس . دعته اليابان لإعلانه امبراطورا علي تركستان بعد مقتل أخيه عبد الكريم أفندي ، رفض بعد مفاوضات طويلة ، عابد أفندي هو آخر من توفي من أبناء البادشاه من الدرجة الأولي أي ابن سلطان رأساً . ذهب إلي الحج في 1971 . توفي في بيروت . دفن في حديقة جامع السلطان ياووز سليم في الشام ، وهو الجامع الذي دفن فيه أكثرية منتسبي السلالة الذين توفوا في الخارج بعد 1924 .

بنات السلطان عبد الحميد :

1 - السلطانة علوية (1864 - 29 / 11 / 1870) : ماتت قضاء .

2 - السلطانة زكية (21 / 1 / 1872 - 1950) زوجها داماد مشير علي نور الدين باشا (1865 - 1953) ، الابن الأكبر لغازي عثمان باشا . بناتها : علوية شكرية خانم - سلطان (1890 - 1893) وعليه فاطمة خانم - سلطان (1891 - 1972) التي تزوجت بمحسن باشا من فرع يكن من عائلة قاوالالي ، وأنجبت ولدين ذكرين .

3 – السلطانة نعيمة (5 / 8 / 1876) – 1945) زوجها الأول داماد مشير محمد كمال الدين باشا ، هو الابن المتوسط لغازي عثمان باشا ، انفصلت عنه وتزوجت للمرة الثانية بداماد وزير اشكودرالي – زاده محمود جلال الدين باشا (1874 – 1944) . أولادها من زيجتها الأولى : داماد محمد جاهد بك أفندي (1899 – 1976) وعادله خانم – سلطان (1900) . تزوج سلطان – زاده جاهد بك أولا بالسلطانه درّية ابنة الشهزاده ضياء الدين . أما عادلة خانم – سلطان فتزوجت أولا بالشهزاده (الأمير) محمود شوكت أفندي وولدت السلطانة نرمين ؛ طلقت ثم تزوجت للمرة الثانية وصار لها ابن واحد و 3 بنات .

4 – السلطانة نائلة (1 / 1 / 1884 – 25 / 10 / 1957) تزوجت بكرميان أوغلو وزير معارف حكمت باشا (1872 – 1942) ، هو ابن نور الدين عبد الرحمن باشا ؛ عضو مجلس الأعيان . ناظر العدلية والمعارف . لم تنجب أولاداً ـــ وبعد السلطانة نائلة ، ولد للسلطان حميد ابنتان باسم السلطانة سنية والسلطانة سنيحة في 1884 و 1885 وتوفيتا في نفس العام .

5 – السلطانة شادية (1 / 12 / 1886 – 20 / 11 / 1977) . هي آخر ولد وابنة سلطان بقيت على قيد الحياة . زوجها الأول داماد فاخر بك أفندي (1882 – 1922) ، دبلوماسي وحفيد عبد الله غالب باشا . ولد من هذه الزيجة سامية خانم – سلطان (1918) . زوجها الثاني داماد رشاد خالص بك أفندي (1885 – 1944) . كان سفيراً .

6 – السلطانة حميدة عائشة (2 / 11 / 1887 – 11 / 8 / 1960) ، هي مؤلفة المذكرات المشهورة Babam Sultan Abdulhamid (والدي السلطان عبد الحميد) . زوجها الأول داماد أحمد نامي بك أفندي (1873 – 1962) ، حفيد محمود نامي باشا . انتخب رئيساً للجمهورية في سوريا بالدعاية له بأنه صهر السلطان عبد الحميد . زوجها الثاني محمد علي بك أفندي (1877 – 1937) ، عقيد ركن وهو ابن المشير عبدي باشا – زاده سر عسكر مشير محمد رؤوف باشا (وفاته 1909) . ولد من زيجة السلطانه عائشة هذه ، عبد الحميد رؤوف بك أفندي (1921 – 1981) . ومن

زيجتها الأولى: محمد عمر نامي بك أفندي (1911) وعثمان نامي بك أفندي (1918) . وعالية نامية خانم – سلطان (1913) توفيت بعد شهرين . السلطان – زاده عمر بك له ابنة واحدة ، أمها ، ابنة صدر أعظم باشا – زاده أمير اللواء سعيد باشا . أما عثمان بك ، فتزوج مرتين ، زوجته الأولى هي حفيدة مشير البحرية (أميرال كبير) أحمد راتب باشا ابن قبطان دريا (مشير البحرية) طوبجي باشي – زاده محمود باشا ؛ شغل أحمد راتب باشا بوظيفة والي الحجاز لمدة 16 سنة (1892 – 1908) . سلطان – زاده عثمان بك له ابنتان .

7 – السلطانة رفيعة (15 / 6 / 1891 – 1938) زوجها داماد علي بك أفندي (1885 – 1953) ، دبلوماسي ، ابن مشير أحمد أيوب باشا (1834 – 1892) . بناتها هما ربيعة خانم – سلطان (1911) وعائشة حميدة خانم – سلطان . (1918 – 1936) . كانت السلطانة رفيعة ، مخطوبة في البداية إلي الملحن الشهير شمس الدين ضياء بك ابن جورلولو – زاده محمود جلال الدين باشا .

وعدا هؤلاء ، بنات عبد الحميد اللواتي توفين وهن صغار : السلطانات خديجة (1897 – 1898) علّية (1900 – 1900) ، جميلة (1900 – 1900) ، سامية (1908 – 1909) .



الفصل العاشــر

السنوات الأخيرة للإمبراطورية (1909 – 1922)

1 ـ جلوس السلطان محمد رشاد خان الخامس (27 / 4 / 1909) :

« السلطان رشاد » الذي يسميه الشعب رسميًا « السلطان محمد الخامس » ، هو الابن الثالث للسلطان عبد المجيد . والدته كل ـ جمال زوجة السلطان الرابعة (1826 ـ 16 / 11 / 1851) ، وهي كذلك والدة السلطانتين فاطمة ورفيعة . « كانت زرقاء العينين ، ذهبية الشعر ، أجمل امرأة شهدتها في حياتي » (من مذكرات الدكتور Spilzer الطبيب الخاص للسلطان مجيد) .

السلطان رشاد ؛ مولوي ، شاعر ، عازف على البيانو ، خطاط . ولد وهو ولي عهد رابع . ظل ولياً للعهد ، طيلة مدة سلطنة أخيه عبد الحميد الثاني الذي يكبره سنتين ، والتي استمرت 32 سنة و 7 أشهر و 27 يوماً (31 / 8 / 1876 ـــ 27 / 4 / 1909) . اعتلى هذا المقام قبل إتمامه سن 32 . أما جلوسه على العرش ، فكان كأكبر بادشاه عثماني عمراً ، في سن 5 / 64 عاماً . مدة ولايته للعهد هي أطول مدة بعد ولاية عهد اورخان غازي . حمل رتبة المشير خلال مدة ولايته للعهد . عاش في قصره الموجود داخل مزرعته الكائنة في بالموجي . كان أخوه السلطان حميد حتى في السنوات التي كان فيها أميرًا يستصغر أخاه هذا ، هو البادشاه الوحيد ذو العينين الزرقاوين والأشقر تماماً . السلطان رشاد ، الذي لم يكن موضع عناية السلطان عزيز كذلك ، والذي ظل مهملاً ، المحب للانزواء ، الضعيف الثقافة الأوروبية ، لكن الجيد الثقافة الشرقية والذي يجيد الموسيقى الغربية و لم يتعلم الموسيقى التركية ؛ ليست له أية علاقة ، لا قريبة ولا بعيدة بدهاء أخيه الكبير السلطان عبد الحميد . ويعتقد أنه كان قليل الحظ من الذكاء ، وقد اشتهر بظهوره بمظهر قليل الذكاء أمام الاتحاديين .

إن السلطنة الحقيقية انتهت مع عبد الحميد . إخوته الذين خلفوه ، محمد الخامس والسادس ، لا يمكن أن يكونا إلا ظلال حكام . ظن السلطان رشاد أن رضوخه وموافقته على كل أعمال الاتحاد والترقي القانونية وغير القانونية ، المشروعة وغير المشروعة ، هي تنفيذ الحكم المشروطي ، لم يتمكن من تقديم نموذج جيد للديمقراطية ذات التاج .

ارتباطه بوطنه وشعبه بإخلاص وأخلاقه العالية ، لم يؤمنا له تأييد الشعب . ورغم أن الاتحاديين وضعوا ثقلهم في صفتي الخاقان والخليفة ، إلا أن ذلك لم يجد نفعاً في رفع مكانته ؛ لأن الشعب أدرك في الحال أنه ألعوبة بيد الاتحاديين ، واكتفى بأن يظهر له المحبة الممتزجة بالشفقة ، واحترامه ، احتراماً لآبائه . من المؤكد أن الحوادث التي أصابت أخيه الكبير ، قد أخافته . وبالإضافة إلي ذلك ، فهنالك عدد آخر ، هو معاصرته لكارثتي الحرب البلقانية والحرب العالمية ، الشعب الذي تعود معرفة كل شيء من رئيس الدولة ، استصغر السلطان رشاد لعدم تمكنه من الحيلولة دون الدخول إلى هذه الحروب . وفوق ما تقدم فهنالك عذر أيضاً ، هو أنه لسوء حظه جاء خلفاً لحاكم فعّال جداً جعل العالم بأسره يتكلم عنه يومياً مؤيداً أم معارضاً .

2 ـ صدور أعظم فترة المشروطية :

استقال توفيق باشا ؛ من صدارته التي دامت 3 أسابيع بعد 8 أيام من جلوس السلطان رشاد ، صار حسين حلمي باشا ، صدرا أعظم للمرة الثانية (5 / 5/ 1909) . كان الصدر الأعظم الأسبق آفلونيالي فريد باشا ، ناظراً للداخلية . اضطر مجبراً علي الاستقالة . صار طلعت بك ناظراً للداخلية . سبب إجبار فريد باشا على الاستقالة ، بالتهديد ، هو محاولة الاتحاديين إعدام الكثيرين بادعاءآت وتهم سخيفة كترتيب حادث 31 مارت ، الرجعية ، مؤيد دور السلطان حميد . صار طلعت بك ناظرًا للداخلية ، هيأ لهم هذا الجو . ولكن لم يتحمل ضغوط الاتحاد والترقي ، حتي حسين حلمي باشا استقال بعد 7 أشهر ، 24 يوماً (28 / 12 / 1909) . مجموع صدارتيه 9 أشهر ، 21 يوماً . عمل كناظر للعدل وسفير في فيينا وتوفي في 1923 عن عمر يناهز الـ 68 عاماً .

صار سفير روما إبراهيم حقي بك برغبة الاتحاديين ، صدرا أعظم وكان عمره حينذاك 48 عاماً ، رغم أنه لم يكن وزيراً وبرتبة « بالا » تخرج في المدرسة الملكية (الحقوق) رجل قانون ، أخصائي في القانون الدولي ، قوي الثقافة الغربية ، جاهل تمام الجهل بتركيا ، معتاد علي الحياة الأوروبية ، متفرنج ، غافل ، قليل الذكاء ، محروم من الشعور بالمسئولية . صار قائد جيش الحركة محمود شوكت باشا ناظراً للحربية في هذه

الوزارة . ولأجل إنقاذ حقي باشا من الإعدام بسبب فاجعة طرابلس الغرب أشير عليه بالاستقالة بعد سنة و 9 أشهر و 3 أيام (29 / 9 / 1911) . مات في برلين عام 1918 عندما كان سفيراً لتركيا فيها .

صار كوجوك سعيد باشا ، صدراً أعظم للمرة الثامنة عندما كان رئيساً لمجلس السناتو (بالعثمانية مجلس أعيان رئيسي) أي رئيس مجلس الأعيان . استقال بعد 3 أشهر ، يوم (30 / 12 / 1911) وألّف في اليوم التالي وزارة جديدة . استقال من صدارته التاسعة هذه بعد 6 أشهر و 17 يوماً (16 / 7 / 1912) . ومجموع صدارته الـ 9 : 7 سنوات ، شهر ، 20 يوماً (تسلسله 24) . ضرب رقماً قياسياً في عدد مرات تصدره مقام الصدارة وهو 9 مرات ، بينما لم يزد من شغل هذا المقام في العهد العثماني على 6 مرات فقط ، صدارته الأولى عام 1879 ، كان عندئذ في سن 41 عاما . مات بعد مدة وجيزة (29 / 2 / 1914) عن عمر يناهز الـ 76 عاماً . ظل رئيساً لمجلس الأعيان حتى وفاته . جعله الاتحاديون صدرًا أعظم لكونه أذكى وزراء السلطان حميد ، مؤملين فيه أن يتدبر الأمر في أزمة الحرب الإيطالية . لكنه لم يستطع عمل شيء ، هرب من المسئولية بصورة مستمرة وحاز على نفور الشعب كله .

الاتحاديون الذين شاهدوا وضع الإمبراطورية الحرج ، اتجهت أنظارهم هذه المرة إلى قاطرجي أوغلو غازي أحمد مختار باشا الكبير السن العسكري الحريص الذي له شهرة عسكرية كبيرة وأعطوه مقام الصدر الأعظم . تمكن من البقاء في السلطة 3 أشهر ، 8 أيام . استقال وانسحب (29 / 10 / 1912) . قضى هذه المدة تحت تحكم وسيطرة ابنه محمود مختار باشا الذي أدخله في وزارته كناظر للبحرية . مات عن عمر يناهز الـ 82 عاماً (22 / 1 / 1919) .

جاء بدلاً عنه قبرصلي محمد كامل باشا للمرة الرابعة . سقط في حادث اقتحام الباب العالي بعد شهرين ، 25 يوماً . الحقيقة أنه كان عدواً للاتحاديين ، لكنه جيء به إلى السلطة للتخلص من حرب البلقان بأقل ضرر ، مجموع صدارته الأربع 6 سنوات ، 9 أشهر و 20 يوماً (تسلسله 27) . صدارته الأولي في 1885 . توفي بعد عدة أشهر

عن عمر يناهز الـ 81 عاماً .

ألف محمود شوكت باشا ، بعد كامل باشا وزارة نصف اتحادية (23 / 1 / 1913) . كان فريقاً أول . جعل صدرًا أعظم بعد ترفيعه إلى رتبة مشير وتكليفه بنظارة الحربية . لم يمنحه الاتحاديون الفرصة مثل كامل باشا ، قتل بعد 4 أشهر ، 19 يوماً (11 / 6 / 1913) . ولد محمود شوكت باشا في بغداد من عائلة قفقاسية ، كان عسكرياً ركنا له مؤلفات عسكرية قيمة . يجيد بشكل ممتاز اللغات العربية ، الألمانية ، الفرنسية . صار أخوه رئيساً للوزارة في العراق بعد ذلك . صار صدراً أعظم رغم اعتراض السلطان رشاد ، لأنه يميل إلى الاتحاديين . لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يصف الاتحاديين بكلمات « مخلوقات عديمة المخ » .

جعل الاتحاد والترقي ، محمد سعيد حليم باشا ، صدراً أعظم ، رغم اعتراض السلطان رشاد أيضًا . كان أميرًا موسراً جداً من عائلة قاوالالي . كان عضواً في مجلس الأعيان . جي به إلي الصدارة بعد ترقيته إلي رتبة وزير . صار ألعوبة مسخرة بيد الحزب إلى درجة أنه لم يبّلغ بالدخول إلى الحرب العامة من قبل الثلاثي الاتحادي . مدة صدارته 3 سنوات ، 7 أشهر ، 23 يوماً . استشهد في روما على يد حركي أرمني وكان عمره 58 عاماً (6 / 12 / 1921) . كان أخوته الثلاثة اتحاديين ، أحدهم عباس حليم باشا الذي صار ناظراً للمالية ووالياً على خداوندكار (بورصة) . صار محله طلعت بك الذي لا يحمل أية رتبة صدراً أعظم بعد منحه رتبة وزير ، وهذه الحادثة ، هي الوحيدة في التاريخ العثماني . وبالأساس ، كان هو ناظر الداخلية والرأس الحقيقي في وزارة سعيد حليم باشا . ظل في مقامه هذا مدة سنة ، 8 أشهر ، يومين وهو الصدر الأعظم الأخير لمحمد الخامس ، والأول لمحمد السادس . استقال عند خسران الحرب العالمية (8 / 10 / 1918) . وعندما استشهد على يد حركي أرمني في برلين ، كان عمره 5 و 46 عاماً (15 / 3 / 1921) . هو أصغر من ولد بين الصدور العظام في التاريخ العثماني . الذين تلوه ، كانوا أكبر منه سنّاً . كان سعيد حليم باشا ، ناظراً للخارجية في وزارة محمود شوكت باشا وشغل هذا المنصب كذلك لمدة من الزمن في وزارته هو (11 / 6 / 1913) . وعند قتله في الـ 58 من عمره ، دفن في حديقة مقبرة السلطان محمود . أما رفات طلعت باشا فجلبت من برلين عام 1944 إلي استانبول ودفنت في الحرية الأبدية

جنب محمود شوكت باشا .

شيوخ إسلام دور السلطان رشاد هم ، محمد ضياء الدين أفندي ، بيري - زاده محمد صاحب أفندي ، جلبي - زاده حسين حسني أفندي ، موسى كاظم أفندي ، عبد الرحمن نسيب أفندي (الذي اعتلى هذا المنصب عندماكان قاضياً على مصر) ، محمود جمال الدين أفندي للمرة الثانية ، محمد أسعد أفندي ، أوركوبلي مصطفى خيري أفندي وموسى كاظم أفندي للمرة الثانية . موسى كاظم أفندي الذي جيء به من عضوية مجلس الأعيان والذي ظل في منصبه هذا ملة 3 سنوات ، 10 أشهر ، 27 يوماً ، هو من معّممي الاتحاديين واشتهر بكونه ماسونياً . أما أوركوبلو زاده خيري أفندي ، الذي بقي في هذا المقام مدة سنتين ، وشهر ، 23 يوماً ، كان رجل دين ودولة قدير ، اتحادي معتدل ، هو والد سعاد خيري أوركوبلو ، أحد رؤساء وزارات عهد الجمهورية .

3 ـ السنوات الأولي للسلطان رشاد وسياحة روملي (1909 - 1911) :

خصص سراي جراغان ، أعظم سراي في دور التنظيمات ، الواقع في الضفة الأوروبية من المضيق في أورطه كوي والذي شيده السلطان عزيز ، لاجتماعات المجالس (مجلس النواب والأعيان) ، مخالفاً للأصول ورغم اعتراض السلطان . احترق السراق ، حتي قواعده بشكل يجلب الشك (19 / 1 / 1910) . كانت المجموعات التي أمكن إنقاذها من نهيبة يـيلدز قد نقلت إليها . تلفت هي الأخرى . خصص سراي فندقلي للمجالس إلي أن أغلق بحراب الإنجليز في آذار عام 1920 . وبعد مرور سنة احترقت كل من نظارة الداخلية في الباب العالي ، شورى الدولة ودوائر الصدارة بصورة تامة وأصبحت رماداً (4 / 1 / 1911) . حرق الاتحاديون أرشيف سراى ييلدز بدعوى أن جميعها تقارير الشرطة السرية وحرقوا قسمه الأكبر في ميدان بيازيد . أصبح معلومًا بشكل قطعي الآن أن أكثرية الاتحاديين قدموا تقارير سرية للبادشاه تلت هذه الحوادث ، عصيان الدروز في حوران (سورية الجنوبية) ، الزيديين في اليمن ، والألبانيين (العرنووط) في إيالة اشكودرا في كوسوفا كانت وراء كل منها دولة أجنبية . لكن عدم نجاح السياسة الاتحادية كان له أثر كبير في ذلك . أراد محمود شوكت باشا إخافة الألبانيين بقوة كبري مكونة من 82 سرية مشاة كأنها استعداد لفتح حرب تجاه دولة أجنبية . ولم ينتج هذا سوى

إضعاف ارتباط الألبانيين بدولتهم . ولأجل مجاملتهم قرروا إخراج البادشاه لسياحة . لم تطأ قدم أي بادشاه هذه الأراضي منذ عهد القانوني .

أبحر السلطان رشاد بواسطة أسطول ، يرافقه كبير وصغير أولاده الثلاثة ، الصدر الأعظم حقي باشا ، وعدد من النظّار (5 / 6 / 1911) . نزل في سلانيك من مدرعة « بربروس » بعد يومين . جاء إلى اسكوب بالقطار . صلى الجمعة يوم 16 حزيران في مشهد خداوندكار في صحراء كوسوفا مع 000 100 ألباني . استشهد في هذه المنطقة قبل 522 عاماً ، فاتح البلقان السلطان مراد خداوندكار وهو جده في البطن 18 ، بعد إفنائه الجيش الصليبي . مئات الألوف من الألبانيين ، داس بعضهم فوق بعض على امتداد الطريق لرؤية البادشاه . بهذا تم تأمين كسب مشاعر الدولة التي لم يتمكن محمود شوكت باشا من تأمينها بواسطة 82 سرية . لكن الدول الأجنبية التي ألقت شراكها على ألبانيا ، استمرت في تسخير عملائها الذين كانوا عبارة عن عدد من النواب العثمانيين . ذهب البادشاه بالقطار إلى مناسطر كذلك ، وهي مركز إيالة أخرى . عاد إلي استانبول في 26 حزيران . استمرت السياحة الهمايونية مدة 3 أسابيع . مرصيف 1911 هذا ، في جو مشروطي (ديمقراطي ذو تاج) لطيف . كان في انتظار الدولة ، منذ الأيام الأولي للخريف ، أولى المفاجآت المّرة التي سوف لن تنقطع .

4 ـ الحرب مع إيطاليا بسبب ليبيا (29/ 9 / 1911 ـ 1912/10/15) :

اقتسمت كل من إنكلترا وفرنسا ، بينهما ، القسم الأكبر من الكرة الأرضية ، تأخرت كثيراً كل من ألمانيا وإيطاليا في الحركة الاستعمارية ، وتمكنتا من حيازة أراض قليلة . أخذت إيطاليا من العثمانية ، الصومال الجنوبية ، أرادت أخذ الحبشة ، لكنها لم توفق . كانت تفكر في تونس ، إلا أن فرنسا بادرت إلى استعمارها . كان هدفها منذ سنين عديدة ، ليبيا التي تبلغ مساحة أراضيها ضعفي مساحة تركيا الحالية والتي تحتوي أراضيها على تشاد ونيجيريا ويعيش فيها 000 230 1 نسمة . كانت هنالك الإيالة العثمانية (طرابلس الغرب) ولواء (بنغازي) المنفصل الذي لا يرتبط بهذه الإيالة . كامل ليبيا ، كان مقسماً إلى 28 قضاء . كان فيها فرقة عثمانية مركزها طرابلس ولا ترتبط هذه الفرقة بأي جيش ، كانت مرتبطة بنظارة الحربية رأساً . كان السلطان

حميد قد أبقي هذه الفرقة في هذا القطر بإصرار ، إذ إنه كان يعلم بأطماع إيطاليا تجاه ليبيا . أما في طرابلس ، فعين فيها منذ مدة طويلة العسكري المشير رجب باشا بوظيفة والي على الإيالة وفي نفس الوقت ، قائد لهذه الفرقة . كان السلطان حميد ينفي معارضيه الأكثر شراسة إلى فيزان في ليبيا الجنوبية . كانت فيزان أصعب مكان للنفي . كان المنفيون يتسلمون رواتبهم ، ويؤجرون بيوتهم ويعيشون حياة حرة في مركز لواء فيزان . وبعد بقائهم فيها لسنة أو سنتين وإعلانهم أنفسهم أبطال حرّية ، يقوم رجب باشا بجلبهم إلى طرابلس ، ويزعم أنه يسمح لهم بالذهاب إلي أوروبا دون علم السلطان . كان رجب باشا بطلاً بالنسبة لـ « الشبان الأتراك » (جون تركلر) الذين لم يخطر على بالهم بأن هذه العمليـة تجري بموافقة الخاقان ، حيث إنهم جعلوه ناظراً للحربية ، بعد المشروطية .

تركت ليبيا دون جيش ودون رئيس ، وكأنما قدمت دعوة لإيطاليا ، نتيجة لعبة قذرة لا لزوم لتفصيلها هنا . ورغم حيازة الدولة على فرق عديدة ، سيقت الفرقة الموجودة في ليبيا ، إلى اليمن . لم يبق في البلاد التي هي عبارة عن صحراء كبيرة جدًا والتي يسكن القسم الأكبر من نفوسها على سواحل البحر الأبيض ، أية قوة عسكرية عدا الجندرمة (الدرك) . وإضافة إلى ذلك ، لم يعين وإل وبقي مقام الإيالة شاغراً . حدثت هذه الأوضاع ، في عهد صدارة إبراهيم حقي باشا الذي جاء إلى الصدارة من سفارة روما ، ولكونه متخصصاً في القانون الدولي ، كان يجب عليه أن يعلم أطماع إيطاليا تجاه ليبيا ، أفضل من أي شخص آخر . لعب الدور الأول في هذه اللعبة القذرة نائب سلانيك الاتحادي الشهير اليهودي عمانوئيل كاراسو (كتابتها على شكل « قره صو » خطأ ») الذي استغفل حقي باشا والاتحاديين .

أبلغت إيطاليا ، التي قدمت مذكرة إعلان الحرب إلى العثمانية في 29 أيلول ، الدول بأن هدفها ليبيا ، وأنها سوف لا تحتل أية منطقة أخرى من الأراضي العثمانية . أنول الأسطول الإيطالي الجنود واحتل طرابلس (4 / 10 / 1911) وبنغازي (19 / 10 / 1911) . وخلال 3 أسابيع استولت تقريباً على كامل ساحل البحر الأبيض العظيم الواقع بين تونس ومصر ، لكنها لم تتمكن من التقدم ولا كيلو متر واحد نحو الداخل . كان نشأت بك وكيل الوالي وكان هو القائد . جاء 3 ضباط أركان عثمانيين إلى ليبيا

وتقاسموا الساحل بينهم . كان ثلاثتهم في سن 31 عاماً ، الرائد أنور بك ، الرائد فتحي بك (أوقيار) ، قول أغاسي (نقيب متقدم) مصطفى كمال بك (أتاتورك) . ساعد السنوسيون ، هؤلاء ودربوا وجهزوا الشعب المحلي الذي يشكل أكثريته قل أوغوللري . كان السلطان حميد قد أسس تشكيلات القل أوغوللري هذه كجيش شعبي . لعب هؤلاء دوراً مهماً في الدفاع . ترك الضباط العثمانيون البلاد عند نشوب حرب البلقان . تمكن أفراد قول أوغوللري برتبة باش شاويش (رقيب أول) من الاستمرار في الدفاع عن الوطن و تمكن الشعب الليبي من الفتك بكثير من الإيطاليين طيلة سنوات عديدة . جاء في الحرب العالمية ، أحد الأمراء (الشهزادات) العثمانيين برتبة فريق أول عثمان فؤاد أفندي ، مع أركانه ونظم الدفاع مجدداً . لم تدخل البلاد تحت الطاعة ، إلا بعد 20 عاماً وبمساندة القوة الجوية في عهد موسوليني .

الأسطول الإيطالي الذي لم يتمكن من تسلم ليبيا ، أخذ بالضغط على جناقلعة لكنه لم يتمكن من اجتياز المضيق . احتل رودس مركز جزر البحر الأبيض (جزائر بحر سفيد) (4 / 5 / 1912) . وهكذا دام الحكم العثماني في طرابلس التي فتحها طرغد باشا من فرسان Saint – Jean ، مدة 360 سنة ، شهر ، 11 يوماً ، والحكم في رودس والجزر الاثنتى عشرة التي فتحها قبلها السلطان سليمان القانوني ، من نفس الفرسان مدة 389 سنة ، 4 أشهر ، 7 أيام . ليبيا ، كانت الأرض العثمانية الوحيدة في أفريقيا التي تدار رأساً ، كانت مصر والسودان مرتبطة بالعثمانية من الناحية القانونية فقط . استقال حقي باشا ، بعد اعترافه الحزين في اجتماع الوزارة قائلاً : « كان السلاطين قديماً يأمرون بقطع رءوس الذين هم في مثل وضعي على حجر مسلة ركوب الخيل » . اتهم نواب ليبيا ، الحكومة في المجلس ، وطالبوا برأس حقي باشا . حل البادشاه المجلس بتوصية الاتحاد والترقي ، نتيجة لعبة برلمانية قذرة لا لزوم هنا لذكر تفاصيلها وحال دون مناقشة التقرير الذي قدم ضد حقي باشا . أرسل الباشا إلى لندن على عجل وأنقذ حياته . انحل المجلس الأول الذي انتخب في ك 1 / 1908 . وشكل المجلس الثاني بالانتخابات الجديدة التي جرت في 1912 وأعلنت الإدارة العرفية التي ترفع بعدها أبدا . انقسم الضباط إلى زمرتين إحداهما معادية للأخرى ، اتحادي وخلاصكار . شكلا عصابات وأخذ القتال يجري بينهما . كان هذا في صالح دول البلقان .

أنهت معاهدة لوزان أو (Ouehy) (15 / 10 / 1912) حرب إيطاليا التي استمرت سنة ، 17 يوماً . تركت ليبيا ، إلى إيطاليا . إلا أن موظفاً عثمانيًا بمنزلة وزير سيمثل البادشاه في البلاد بلقب « نائب السلطة » . سيعين الموظفين الدينيين الكبار من استانبول . ستسدد إيطاليا ، إلي الباب العالي سنوياً مبلغ 000 90 ليرة ذهبية ضريبة عن إيالة ليبيا . تخلى جزيرة رودس والجزر الاثنتا عشرة وتعاد إلى العثمانية . توافق إيطاليا علي إلغاء الكابيتولا سيون (الامتيازات الأجنبية) .

5 – الحرب البلقانية (1912/10/18) وتطورها :

نتيجة ضيافة وغفلة لا يقبلها العقل ، نشرت حكومة حقي باشا قانون الكنائس والمدارس المشهور (3 / 7 / 1910) وصار هذا القانون حكمًا بين الأقليات البلغارية ، الصربية ، اليونانية الموجودة في مكدونيا وسببًا في مصالحتها بعضها البعض ورفع الخلاف الكبير الموجود بينها . ونتيجة غفلة لا يقبلها العقل كذلك ، سرّحت 120 سرية من الجنود المدربين ، على أثر تقديم روسيا للباب العالي ضمانات كاذبة ، بأنها سوف لن تسمح لدول البلقان بأن تشعل نار الحرب في البلقان . أرسل بدلاً عن قسم منهم ، على عجل ، أفراداً لا يجيدون حمل السلاح . والمعلوم أن صربياً دولة برّية ، لا ساحل لها . كانت قد ابتاعت من ألمانيا مدافع ثقيلة من طراز حديث ، لكن خصميها النمسا ــ المجر لم يسمحا بمرور هذه الأسلحة من أراضيها إلى صربياً . سمح الباب العالي ، الذي يقوم بدور حمامات السلام والأخوة في البلقان ، بنقل هذه الأسلحة إلى ميناء سلانيك العثماني ومن ثم نقلها بواسطة سكك حديد العثمانية إلى بلغراد . كانت دول البلقان ، عدا رومانيا ، تتبادل فيما بينها وبين روسيا رسائل سرية جداً ضد العثمانية . لم يكن للعثمانية علم بهذه الرسائل التي كانت دبلوماسية عبد الحميد ، تقف على ما يجري فيها فوراً . اتفقت دول البلقان الأربـع (بلغاريا ، صربيا ، قره داغ ، واليونان) فيما بينها ووقعت على اتفاقية عسكرية ، سياسية سرية لاقتسام الأراضي العثمانية في البلقان . في حالة الخلاف ، يحتكمون إلى القيصر الذي وافق على هذا التحكيم بصورة سرية ووعد مساعدة البلقان قدر المستطاع . أن وجود حالة الحرب بين العثمانية وإيطاليا خلال هذه الأثناء ، قصف الأسطول الإيطالي لميناء بيروت ومزاحمته مضيق جناقلعة ، كل ذلك هيأ فرصة جيدة بالنسبة للبلقان .

إن خطة قيام أربع دويلات بلقانية صغيرة ضد إمبراطورية ، كانت قد تركت إلى الصدف . لكن حظ الدول البلقانية كـان كبيراً ، لأنها كدول مسيحية كانت تعلم تماماً أن أوربا سوف تساندها ضد العثمانية كما هو الحال دائماً . قلقت الدول العظمى في بداية الحرب ، لإيقانها بانتصار العثمانية بشكل قطعي . أعلن Poincare في فرنسا ، بأنهم سوف لن يسمحوا أبداً بتغيير الـ Stqtu Quo (الحالة الراهنة) في البلقان في نهاية الحرب . هذا يعني أن العثمانية سوف لن يمكنها الحصول على أية أراض من الدويلات البلقانية .

أجاب ناظر الخارجية عاصم بك ـــ الذي كان دبلوماسيًا مغفلاً يّدعي أنه ينحدر من سلالة طرغد باشا فاتح ليبيا في المناقشات التي جرت في مجلس النواب في 15 تموز ، النواب الذين أعلنوا أن هنالك حوادث تجري في البلقان وطلبوا اتخاذ تدابير ؛ بخطاب يحوي على جملته التاريخية « إنني معتمد على البلقان بقدر اعتمادي على إيماني » المشهورة جداً والتي تعتبر من شواهد أدب الغفلة . كان على مثل هذا الشخص الذي جاء من وظيفة سفير في سفارة صوفيا ، أن يعلم الأطماع الكبرى لبلغاريا . هدأت كلمات هذا المجلس وأمنت سكونه قال Gabriel Noradungi yan الدبلوماسي والمؤلف الأرمني الذي صار وزيرًا للخارجية بعده والذي خان الدولة العثمانية بعد ذلك ، للمجلس أن روسيا قدمت ضماناً قطعياً لتأمين الصلح في البلقان . وعلى أثر هذا الضمان ، سرحت الحكومة ، ـــ بغرض الاقتصاد في النفقات ـــ 120 سّرية من الجند في روملي ، و لم تتمكن طيلة مدة استمرار الحرب من إعادة تجميعهم وسوقهم إلى الجبهة ، لأن الضباط الذين كانوا منقسمين إلي زمرتين الاتحاديين وخلاصكار ، لم يكونوا يبالون بالعدو ، كان كل من الفريقين قد عزم على إفناء الآخر وتسلم الجيش الذي سيكون النصر الكبير في ذلك ، في النهاية ، حليفاً للاتحاديين . أحيل على التقاعد أكثر الضباط تجربة ، وخاصة ذوي الرتب العالية بسبب عدم رغبتهم في فتح المجال للضباط الاتحاديين ذوي الرتب الصغيرة وعدم رغبتهم في خدمة الاتحاديين ، وخاصة عدم رغبتهم في تسليم الجيش لتصرف الحزب . لم يكن بالإمكان أبدًا إلى الفراغ الذي أحدثه آلاف الضباط الذين أحيلوا على التقاعد والذين سيؤخذ قسم منهم إلى الخدمة ثانية في نهاية الحرب العالمية .

وبموجب اتفاقي بلغاريا ـ صربياً (13 / 3/ 1912) وبلغاريا ـ اليونان (29/ 5/ 1912) اللذين لم تستعلم العثمانية عنهما أبداً ؛ أعلنت أولاً قره داغ (8 / 10 / 1912) ، ثم بلغاريا وصربيا (18 / 10 / 1912) ، وبعد عدة أيام اليونان ، الحرب على تركية . كانت قوات العثمانية تجاه بلغاريا مكونة من 5 فيالق باسم « جيش الشرق » تحت قيادة الفريق الأول عبد الله باشا ، أما الفيلق الموجود في موقع مستحكم أدرنة ، فكان تحت قيادة شكري باشا . كان تجاه اليونان ، في سلانيك فيلق واحد وقوات الموقع المستحكم في يانيا ، وتجاه قره داغ ، كانت هنالك فرقة واحدة في اشكودرا . وكانت قيادة « جيش الغرب » في مكدونيا تجاه صربياً ، لدى الفريق الأول الذي صار صدراً أعظم بعد ذلك ـ علي رضا باشا . وعين على رأسهم جميعاً ، ناظر الحربية الفريق الأول ناظم باشا ، بلقب وكيل القائد العام . والمشهور عنه أن أحد أوامره الأولى التي أعلنها ، طلبه استصحاب الضباط لباس المراسم معهم إلى الجبهة . وقيل إن ذلك لارتدائها في الاستعراض الذي سيقام في صوفيا . جركس ناظم باشا هذا ، هو صهر رجل الدولة الكبير الصدر الأعظم عالي باشا . كان يتخيل طيلة حياته ، التوصل إلي درجة شهرة والد زوجته الذي توفي قبل 41 عاماً . كان من الجنرالات الذين نفر منهم السلطان حميد وأبعدهم واعتبرهم تافهين . كان مغفلاً ووضيعاً . كان المعلوم أن الجيوش ؛ الأول والثاني والثالث ، المتمركزة في استانبول ، أدرنة ، سلانيك قد جهزت بشكل يمكنها به بكل سهولة ، سحق الدول البلقانية الأربع ، لكن سرّحت الآن 120 سرية ، أحيل الضباط إلى التقاعد ، تشكيلات الجيش الفنية ، اللوازم ، النفير العام في حوزة إياد ليست لها خبرة وفي وضع رديء . لم يمكن سوق أية قوة جدية من الأناضول . وإضافة إلى ذلك ، كانت ألبانيا مضطربة وكان عملاء الدول الأجنبية الأجراء من النواب والأشراف الألبانيين ، يروجون الشائعات بأنه في حالة خسارة العثمانية ، سوف يؤسسون ملكية ألبانية مستقلة كبيرة تدخل بضمنها كوسوفا كذلك . لم يتمكنوا من إدراك وفهم عدم سماح أوروبا بتأسيس أية دولة إسلامية مستقلة مجدداً . وفي هذه الأثناء كانت فرنسا قد ابتلعت فاس ، وتعويضاً لذلك ، تغاضت عن ابتلاع إيطاليا ، ليبيا . إن الإمبراطورية العثمانية ، والإمبراطورية التركية في إيران ، اللتين لا تزالان مستقلتين ، كانتا من وجهة نظر المسيحيين تمثلان عدداً فوق الكفاية من الدول

الإسلامية ، كانت إنجلترا قد جعلت من الأفغان نصف مستعمرة ، ومنعتها حتى من تأسيس علاقات لها مع الدول الأجنبية . مع العلم بأنه لم يكن في البلاد جيش إنكليزي . كانت أوروبا والإمبريالية المسيحية في محاولة للوصول إلي نقطة القمة . وفي سبيل الوصول إلي هذه القمة ، كانت تستعد لمحاولة انتحارية كإشعالها نار الحرب العالمية ، لتهدم المدنية التي بنتها هي ، بأيديها . إن الرائد الحقيقي لمحاولتها هذه ، هي حرب البلقان . كانت تتمنى بلقاناً بلا عثمانية ، أوروبا وسطى بدون النمسا ـ المجر . ولم تضع في حسبانها أنه في حالة تصفية هاتين الامبراطوريتين وتقسيمهما فإن الأقوام والدول الصغيرة سوف تكون عناصر للاضطرابات ، للخصومة ، للثورة ، للحرب .

كانت العثمانية تقوم بإدارة البلقان ، والنمسا بإدارة أوروبا الوسطى منذ 500 سنة وكانت لهما تجربتهما الإمبراطورية (بالفرنسية :. experience imperiale) . كانت كيفية إدارة هذا الأمر من قبل الأقوام التي ليست لديها التجربة الإمبراطورية ، ولا حتي علي تجربة إدارة دولة ، مجهولة . وكما أن شعبًا أو ثقافة لا يمكن أن تتكون قبل مضي ألف سنة ، كذلك الدولة الحقيقية ، لا يمكن أن تتبلور قبل مضي عصر على الأقل ، وربما عدة عصور ، لا تتكون دول حقيقية بتخطيطها على الخارطة ومنحها الاستقلال . تخط الدول الحقيقية هذه الحدود بقدراتها التاريخية وبصورة فعلية على جغرافية الأرض وتحصل هي بنفسها على استقلالها . أما دول البلقان ، فكانت دولاً عثمانية بالأمس ولم تحصل أي منها على استقلالها بقدرتها . أمنت هذا الاستقلال ، الدول الأوروبية وعلى رأسها روسيا ، كما خططت لها حدودها .

لم تكن بلغاريا تملك حتى سفينة حربيه . قصف الأسطول التركي فارنا (19 — 21 ت ١) . لكن البلغار انتصروا في معارك سولو غلو وبينار حصار بين أدرنة وقير قلارايلي (21 – 23 ت 1) ومعركة لوله برغاز (28 ت 1 ÷ 2 ت 2) . انفرط جيش الشرق ، تفكك ، تشتت ، غلب على أمره ، انكسر . سقطت قيرقلارايلي . جاء العدو أمام جتالجه ، وأخذ يحاول بجهد كبير اقتلاع تحصينات جتالجه (15 – 19 ت 2) ، لم يوفق ، ظل مثبتاً أمام جتالجه .

كسر الصربيون جيش الغرب واحتلوا (كوسوفا ، 22 ت 1) وأخذوا في

الانسياب من Piristine نحو الجنوب بقيادة ولي العهد (الملك بعد ذلك) الكساندر ، استولوا علي يني بازار (23 ت 1) والتقوا بقوات قره داغ من الغرب والقوات البلغارية القادمة من الشرق . استولي القره داغيون على أيبك Ipek (31 ت 1) و Yakova (2 ت2) . استولي اليونانيون على جزيرتي بوزجه آدا (20 ت1) وليمني (21 ت 1) وتمركزوا في مدخل مضيق جناقلعة . أخذوا سرفيجه Serfice (23 ت 1) ، Karaferya (25 ت 1) . دخلت القوات الصربية – البلغارية المشتركة إلى إيشتيب Istip (26ت 1) وإلى مركز الإيالة والمركز الثقافي التركي الكبير أوسكوب (26 ت 1) ، ثم إلى مركز إيالة أخري هي مناسطر . سقطت Prizrin (30 ت 1) .

احتل اليونانيون Preveze (6 ت 2) ، سار ولي العهد (الملك فيما بعد) قسطنطين ، بالقسم الأكبر من الجيش اليوناني نحو سلانيك . سلم تحسين باشا في 6 ت 2 فيلقه مع كامل أسلحته وأعطى سلانيك إلى اليونانيين دون أن يطلق رصاصة واحدة . ثم لجأ إلى اليونان . عرنووط تحسين باشا ، كان لواء جندرمه (درك) ، أعطاه الاتحاديون منصب قائد فيلق في سلانيك ، بدعوى أن السلطان حميد أهمله وظلمه و لم يهتم به أبداً . كانت سلانيك بالنسبة للاتحاد والترقي « مهد الحرية » ظل المركز العام للحزب ، بعد 1908 في سلانيك لسنوات عديدة ، ثم انتقل إلى استنبول . قام بواقعة 31 مارت رؤساء عرفاء (باش شاويش) سرايا القناصة الذين جلبوهم من سلانيك . سلانيك ، كانت عزيزة بل ومقدسة عند الحزب .

كانت مدينة متطورة ، ذات ميناء ، وكانت المركز التجاري الكبير للإمبراطورية العثمانية ، صارت إلى هذه النهاية . إن شبكة الخيانة التي حالت دون إطلاق رصاصة واحدة من فيلق كامل ، حلت مسألة سلانيك بهذا الشكل . كان الصربيون وكذلك البلغاريون يريدون سلانيك . إعطاؤها إلى اليونان ، ولد عداء كبيراً بينهم . وفي الواقع ، كان اليونانيون هم الذين احتلوا المدينة ، لكنهم حصلوا على هذا الانتصار السهل إلى هذه الدرجة ، بفضل تشتيت القوات العثمانية على يد البلغاريين في الشرق والصربيين في الغرب . احتل الصربيون لش Les (18 ت 2) ، Debre و Drac (28 ت 2) ، Qhri (29 ت 2) ، Tirana وآقجه حصار (Kroya) . وعلاوة علي استيلائهم علي ألبانيا

الشمالية ، فقد صعدوا إلى البحر الأدرياتيكي . استمرت في الدفاع فرقة جاويد باشا ، في ألبانيا الجنوبية وفرقة أخرى انسحبت إلى القلعة في اشكودرا في الشمال .

غلب الأتراك في كل الجبهات خلال شهر ت 2 . كان الحلفاء قد استولوا على كل الأقطار الموجودة بين جتالجه والأدرياتيك . وقلاع أدرنة ، يانيا واشكودرا . بعض القوات السّيارة فقط ، هي التي كانت تقاوم . كان الجيش التركي قد انسحب أساساً إلى خط جتالجه . استولى اليونانيون على Nikarya (17 ت2) ، ميديلي (21 ت2) ، ساقيز (3 ك 1) وجزر بحر إيجه الأخرى المتاخمة لآسيا (الأناضول) . كانت الخيانة قد سرت إلى الأسطول كذلك . التحم الأسطول العثماني مع الأسطول اليوناني ، لكن لم يستطع أحدهما أن ينتصر على الآخر .

حاصر البلغار ، خط جتالجه (4 شباط و 10 – 30 آذار 1913) . لكنهم لم يستطيعوا اجتيازه . تكبد الطرفان خسائر جسيمة . سبب مرض التيفوس الذي ظهر في الجيش العثماني ، خسائر جمه . قاومت أدرنه 5 أشهر 5 أيام . لم يبق ما يؤكل حتى أنهم أكلوا قشور الأشجار . كان العتاد وافراً . استسلمت القلعة من الجوع (26 / 3 / 1913) . صافح الملك فرديناند ، يد شكري باشا وأعاد له سيفه ، هنأه وأطلق سراحه . دخل الجنود البلغاريون جامع سليميه وخربوه . استسلمت كذلك قلعة يانيا عاصمة Epir في الغرب وهي مركز إيالة ، كأدرنه إلى اليونانيين (6 / 3 / 1913) . كان اللواء الشاب حسن رضا باشا ، يدافع عن اشكودرا أمام القره داغيين الصرب . استشهد حسن رضا باشا بطلقة مسدس أطلقت على ظهره بإيعاز من نائب Drac أسعد طوبتاني أحد أعضاء الهيئة المكونة من 4 أشخاص الذين أبلغوا السلطان حميد بخلعه ، بعد أن تناولا طعام العشاء معًا . وضع طوبتاي يده على اشكودرا وسلمها بيده إلى القرة داغيين (22 نيسان) الذين كانوا شعباً بلقانياً صغيراً يحمل عداءً وحشياً للمسلمين . استسلمت كذلك في 25 مارت ، فرقة جاويد باشا للصربيين . اليونانيون الذين دخلوا Ergeri في 14 آذار لم يتمكنوا من التقدم كثيرًا في جنوب ألبانيا ، لكنهم احتلوا منطقة آهلة بالسكان الألبانيين في شمال Epir التي لا زالت لدى اليونان . كانت اشكودرا ، أمل القره داغيين ، وكان أمير قره داغ نيقولا الذي أعلن نفسه ملكاً بعد الحرب ، أباً لزوجة ملك إيطاليا . كانت إيطاليا ، حامية لقره داغ ، كروسيا . لكن

الدول العظمى خيبت أمل قره داغ وأعطت اشكودرا إلى ألبانيا في 14 آيار .

6 ـ اقتحام الباب العالي (23 / 1 / 1913) :

اعترض في بداية حرب البلقان ، قبرصلي كامل باشا وشيخ الإسلام جمال الدين أفندي عضـوا وزارة أحمد مختار باشا المشهورة في التاريخ باسم « بيوك كابينه » (الوزارة الكبيرة) سميت بذلك لاشتمالها على 3 من الصدور العظام السابقين كنظار ، وإن كانت صغيرة في إنجازاتها ؛ على إجراءات الاتحاد والترقي الاعتباطية ، غير القانونية . وعندماخسرت الحكومة القاصرة الحرب ، ألف الوزارة الجديدة ، كامل باشا الكبير السن . كانت تركية قد خسرت الحرب ، وكان يجب أن تنهي بالطرق الدبلوماسية بأقل خسارة ممكنة . نقل السلطان حميد ، من سلانيك إلي سراي بكلر بك ، قبل 8 أيام فقط من سقوطها . عبد الحميد الثاني الذي كان لقبه « خاقان سابق » و « خاقان مخلوع » ، دعا عليهم ، وهو يركب السفينة من سلانيك بهذه الكلمات : « ليقهر الله باسمه القهار ، الذين سببوا هذه الأحوال ، لقد دمروا الدولة » .

ضاق الاتحاد والترقي ذرعاً من وضع ناظر الداخلية أحمد رشيد (ري) بك الصلب تجاه سوء تصرفاتهم ومؤامراتهم . كامل باشا . كان كذلك من معارضي الاتحاد والترقي . ويقال إن السلطان رشاد فكر في جعل رشيد بك صدراً أعظم وإبعاد الاتحاد والترقي . لكنه كان يخاف كثيراً من الاتحاديين . كان يخشي من إذلاله بعد خلعه . لم يغرب هذا الخوف عن بال جميع السلاطين المتأخرين . لم يكن ذلك خوفاً علي حياتهم ، بل خوفاً علي شرفهم من الإذلال . أما ناظم باشا وكيل القائد العام وناظر الحربية في الوزارة ، فكان رئيساً لزمرة الضباط الذين سموا أنفسهم « خلاصكار ضابطان » (ضباط التحرير) . لكنه في نفس الوقت ، كان يرغب في التفاهم مع الاتحاديين ويلعب علي الحبلين ، كان يناقش ناظر الداخلية رشيد بك في كل اجتماع وزاري . التقي ناظم باشا في قصر الاتحادي الأمير سعيد حليم باشا المطل علي البحر في ينيكوي والذي هو بمثابة شبه سراي ، مع رئيس الزمرة الاتحادية المقدم الركن أنور بك البالغة سنه 31 عاماً والعقيد الركن جمال بك البالغة سنه 41 عاماً ، بصورة سرية . أقسم هذان الضابطان أمام قائدهما ، ناظر الحربية علي عدم اشتغالهما بالأمور السياسية . وعلي أثر ذلك ، كلف

كلاً منهما بوظائف عسكرية . كانت حرب البلقان مستمرة وفي أقسى حالاتها . كان كامل باشا في سن 81 عاماً ورجل دولة ذا تجربة واسعة . لم يصدق القسم الذي صدّقه ناظم باشا ، أراد إخراج ناظم باشا من وزارته ، لم يوفق . كان الاتحاديون قد غشوا الشعب بالدعاية الكاذبة بأن كامل باشا قد اتفق مع البلغار حول تسليمهم أدرنه .

كان صباح يوم 23 ك 2 / 1913 ، أتعس يوم شتاء بالنسة لتاريخ استانبول . اقتحم الباب العالي أي دائرة الصدارة (رئاسة الوزارة) المقدم أنور بك مع الحركيين الذين جمعهم من هنا وهناك ، الذين نجوا من الإعدام والإجلاس علي الأوتاد والذين يتزايدون زمراً زمراً ، البالغ عددهم 200 . كان العقيد جمال بك ، قد أبعد فصيلة حرس الباب العالي ، قبل ليلة واحدة . العصابة المكونة من ذوي السوابق ، قتلت 8 جنود وضابطين ودخلت الباب العالي . التقي الفريق الأول ناظم باشا الذي خرج على أثر ذلك من الاجتماع الوزاري ، مع أنور في السلالم ، وقال:« ألم تكن أنت الذي أقسمت أمامي بشرفك الشخصي والعسكري على ألا تتدخل في السياسة ، أنذال ، غششتموني » . استشهد فوراً برصاصة مسدس . جاء طلعت بك وأنور بك إلى كامل باشا وأجبراه على تحرير كتاب الاستقالة . نصب طلعت نفسه ناظراً للداخلية وبعث أمراً برقياً بذلك إلى كل الولايات . ذهب أنور إلى السراي وأرغم السلطان رشاد على إصدار الإرادة بتعيين محمود شوكت باشا صدراً أعظم ووزيراً للداخلية . أرسل إلي الجبهة ، كوكيل للقائد العام ، رئيس أركان الجيش الفريق الأول (المشير) أحمد عزت باشا الذي صار بعد ذلك صدراً أعظم . تم اعتقال كل من كامل باشا وجمال الدين أفندي ورشيد بك وناظر المالية وأخرجوا إلى خارج الأراضي العثمانية . مئات من المعارضين اعتقلوا ونفوا أو سجنوا .

عوملت الدولة العثمانية ، بعد حادث اقتحام الباب العالي ، من قبل موظفي هذه الدولة ، بالمعاملة التي تعامل بها جمهوريات الموز والكاكاو . ألّف محمود شوكت باشا وزارة أكثريتها من الاتحاديين ، بدعوى أنها وزارة محايدة ..

7 – معاهدة لندن (30 / 5 / 1913) :

إن معاهدة لندن (**30 / 5 / 1913**) التي أنهت الحرب البلقانية ، هي إحدى أقسى

المعاهدات التي وقع عليها الأتراك طوال التاريخ . حتي إدارته تركت في هذه المعاهدة إلي بلغاريا . ولكن مدينة العرش الثانية للدولة العثمانية ، استعيدت في الحرب البلقاينية الثانية التـي نشبت بعد قليل .

كانت الإمبراطورية العثمانية قبل الحرب ، وبضمنها الدول التابعة لها 239 213 7 كم^2 و 000 189 55 نسمة (ليبيا التي فقدت قبل فترة ، ليست ضمن هذا التعداد) وتعداد تركية نفسها ، عدا الدول التابعة والمستقلة استقلالاً ذاتياً ، 000 019 38 .

وكان وضع الدول البلقانية كم 345 96 BWSAJ»A : «W» 2A كم^2 000 338 4 نسمة ، اليونان 859 64 كم^2 000 041 3 نسمة ، صربياً 427 45 كم^2 000 000 3 نسمة ، قره داغ 427 9 كم^2 000 274 نسمة ، المجموع 058 216 كم^2 و 000 854 10 نسمة . أما أراضي تركية الأوروبية ـ عدا كريت ـ فكانت 000 176 كم^2 000 828 7 نسمة .

حصلت دول البلقان في الحرب من تركيا علي ما يلي : بلغاريا 257 25 كم^2 000 984 نسمة ، اليونان 919 55 كم^2 000 859 1 نسمة ، صربياً 783 41 كم^2 000 942 1 نسمة ، قره داغ 590 5 كم^2 000 161 نسمة . عدا ذلك ، انفصلت عن تركية ، ألبانيا ومساحتها 734 25 كم^2 ونفوسها 000 800 نسمة .

وضع البلقان بعد الحرب : بلغاريا 602 121 كم^2 000 322 5 نسمة ، اليونان 060 120 كم^2 000 400 4 نسمة ، صربياً 300 87 كم^2 000 942 4 نسمة ، قره داغ 017 15 كم^2 000 435 نسمة .

فقد ، في نهاية الحرب التي دامت 7 أشهر و 22 يوماً حتي معاهدة لندن ، روملي الوطن التركي منذ 550 عاماً . تقلصت جغرافية العالم الإسلامي . كانت الإمبراطورية قد فقدت أحد جناحيها ، نصف روملي في كارثة 93 . وانفصل النصف الآخر في حرب البلقان . انحسرت حدود تركية من البحر الأدرياتيكي إلي مريج . مئات الألوف من الأتراك تركوا أوطانهم وهاجروا إلي الأناضول . وعشرات الألوف منهم ذبحهم البلغار في مذابح جماعية . القتل العام للأتراك الذي حدث خلال 1912 – 1913 – الذي جرى بموجب السياسة الرسمية للدولة البلغارية ـــ هو من أكبر عمليات الإفناء العرقي التي شهدها العصر 20 . لم يستثن النساء والأطفال . ضاعت الثروات ،

حصيلة العصور ، التي تعادل مليارات الليرات الذهبية . أضحت تركيا دولة ضائعة تماماً .

إن الأرقام المدرجة أعلاه ، تبين الوضع بعد الحرب البلقانية الثانية وتبين النتيجة القطعية للحرب . وفي الحقيقة ، كانت بلغاريا قد حصلت على أرباح أكثر بكثير ، في الحرب الأولي وفي معاهدة لندن .

لم تف الدول العظمى التي حرضت ألبانيا تجاه العثمانية بوعودها . صيروا ألبانيا صغيرة جداً وبقي نصف الألبانيين في صربيا ومايزال الوضع كذلك حالياً .

انتخب الألبانيون وبموافقة الدول العظمي ، بهاء الدين أفندي الابن الأوسط للسلطان عبد الحميد الثاني ليكون ملكاً على الدولة الألبانية المستقلة . لم يوافق الشهزاده (الأمير) على ذلك مشيراً إلي أنه يرفض ذلك لعدم رغبته في التنازل عن حقه في العرش العثماني . وعلي أثر ذلك ، أرسلت الدول العظمي ، أحد أمراء الألمان الصغار إلى البلاد ليكون أميراً على ألبانيا ، فكانت النتيجة تعيين حاكم مسيحي على قطر 70 ٪ من سكانه مسلمون ، وإضافة إلى ذلك ، لم تصبح ملكية وسمى أميرها « أمير ألبانيا » . أسست ألبانيا – التي حالياً على نفس حدودها السابقة – بضم لواءين من إيالة اشكودرا (التي تشكل كامل الإيالة) ، 3 ألوية من إيالة يانيا ، لواءين من إيالة مناسطر ، جمعاً من 7 ألويّة (صنجق) عثمانية . بقي في إيالة يانيا التي أعطيت لليونان سكان ألبانيون .

حصلت اليونان على إيالة سلانيك أي مكدونيا الجنوبية ، إيالة ينيا أي أبير ، عدا قسم صغير في الشمال أعطي إلى ألبانيا ، إيالة « جزائر بحر سفيد » أي جزر بحر إيجه المتاخمة لآسيا الصغرى وإيالة كريت .

أخذت بلغاريا اللواءين العثمانيين اللذين يشكلان تراقيا الغربية وعدة أقضية من مكدونيا وقضاء قيرجة علي ونفذت إلى البحر .

أخذت صربياً إيالتي كوسوفا (اسكب) ومناسطر أي مكدونيا الشمالية ولواء يني بازار وأصبحت حدودها ملاصقة لقره داغ ولم يبق لها حدود مع العثمانية .

فقدت العثمانية أراضي تبلغ مجموع مساحتها 312 167 كم^2 ونفوساً يبلغ عددهم

6 582 000 نسمة . أي أنها فقدت بالنسبة للتشكيلات الإدارية آنذاك ، 33 لواء يشتمل على 158 قضاء . إن هذه الألوية كانت تشكل 7 إيالات (سلانيك ، مناسطر ، كوسوفا = اسكب ، اشكودرا ، يانيا ، جزر البحر الأبيض ، كريت) وعدا ذلك ، لواءان من ألوية إيالة أدرنة التي تشكل تراقيا الغربية ، جزيرة سيسام ، كما كان من ضمن المفقودات شريط واقع في شمال تراقيا الشرقية .

8 ـ اغتيال محمود شوكت باشا (11 / 6 / 1913) :

أخذت الإدارة العرفية في محاصرة المعارضة . خمدت المعارضة وأصبحت سرية . عطل الاتحاديون الدستور وألقوا به في الدرج ، كما فعل ذلك السلطان حميد سابقاً ، كان يعلن فقط ، في النشرات السنوية الرسمية للدولة . اقترف محمود شوكت باشا ، منذ 1908 أخطاء وجرائم سياسية ، عسكرية وإنسانية كبيرة . والآن بعد أن نضج ، وأدرك بعض المفاهيم ، أخذ يسعى دون فتور لإنقاذ الإمبراطورية التي أخذت تتداعي أطرافها . ورغم أن جده من قفقاسيا الشمالية ، كان يتكلم العربية مع النواب والأشراف العرب ويقول : إنه عربي ويولي أهمية للتعاون معهم ، فالإمبراطورية بعد فقدان روملي ، أصبحت عبارة عن أتراك الغرب وعرب الشرق ، وظهور خلاف بين العرب ، من شأنه أن يقضي على الامبراطورية بشكل تام . اقتربت إنكلترا نحو خليج البصرة وأخذت تطالب العثمانية بالأقطار كالكويت ، قطر ، حضرموت . جاء الاتحاديون بشوكت باشا لمقام الصدارة ، رغم أنه لم يكن اتحادياً بصورة رسمية ، بسبب عدم وجود شخصية لديهم تليق بشغل مقام الصدارة . لم تكن علاقة محمود شوكت باشا مع البادشاه على ما يرام . تورط الباشا بالأمر الذي أصدره والذي لا مثيل له في أية دولة ، حول كتم أسرار الدولة عن البادشاه ، وزاد في ورطته ، تحكم الحزب . بدأ في تحقيرهم بشكل علني . خطط الاتحاد والترقي لإسقاط شوكت باشا بطريقة مناسبة . أخبر محافظ استانبول جمال بك ، أن المعارضة ترتب عملية لاغتيال الصدر الأعظم ، لكنه لم يخبر الصدر الأعظم الذي يرتبط به ، بذلك . رئي أن التخلص من الصدر الأعظم ، وفي الوقت نفسه اتهام المعارضة باغتياله وملاحقتهم ، سوف يلائم سياسة الحزب .

إن إطالة مدة الحرب 4 أشهر أخرى بعملية اقتحام الباب العالي ، في الوقت الذي

كان ينتظر فيه أن يحقق كامل باشا الصلح ؛ وسقوط يانيا واشكودرا وادرنة خلال هذه المدة ، وضيق سبل المساومة بالنسبة للباب العالي ، وبخاصة ترك مدينة كأدرنة إلي البلغار في معاهدة لندن ، ولدت النفور لدي الجميع . رتبت المؤامرة بادعاء عدم إعطاء أدرنة . تركت أدرنة في معاهدة لندن . كان التخطيط أن يتدخل قائد الجيش الموجود في أدرنة أحمد وأبوك باشا ، بعد عملية الاغتيال ، لكن أحمد باشا لم يجد في نفسه الشجاعة للقدوم إلى استانبول واحتلالها بعد الاغيال . صار الاغتيال في صالح الاتحاد والترقي فقط . تطهيرهم زمرة « خلاصكار ضابطان » ومعارضيهم السياسيين ، وبقاء السلطة لهم وحدهم وبشكل مطلق . ومع هذا فمن الوارد وجود إنكلترا كذلك وراء مؤامرة اغتيال محمود شوكت باشا . أدركت انكلترا أن محمود شوكت باشا ، قد يتمكن من لم شعث الامبراطورية ، وأيقنت بأنها لن تتمكن من الحصول علي تعويض كاف لأطماعها في البلاد العربية ، من الصدر الأعظم ، وأعرضت عن الاتحاديين الذين تسميهم جون تركلر (الشباب الأتراك) . كانت إنكلترا تريد أن تجعل مؤيدها الأمير صباح الدين من العائلة المالكة ، صدراً أعظم .

في صباح 11 حزيران 1913 ، خرج محمود شوكت من نظارة الحربية (بيازيد) التي اعتاد أن ينام الليل فيها ، كان ذاهباً إلى الباب العالي . وعلى أثر مرور سيارته الرسمية من طريق ديوان يولي ، تعرض لهجوم 8 متآمرين . مات بعد إصابته بخمس طلقات . دفن في اليوم التالي مع مرافقه الذي قتل ، في القبر التذكاري الواقع في قمة « حريت أبدية » . وهكذا انسحب من المسرح رجل الدولة الذي يحتمل أنه كان الرجل الوحيد الذي يستطيع صيانة الدولة من كارثة الحرب العالمية والقضاء على مغامرات الاتحاديين . ولو بقي في السلطة ، لما تمكنت فلول الأعداء من القدوم أمام أنقرة . وكان هو كذلك ، الرجل الذي يستطيع تسيير علاقات الدولة مع العرب على أحسن حال ، وحمايتهم من الوقوع في أحضان إنكلترا وفرنسا .

أعدم الاتحاديون 29 شخصاً . ونفوا الكثيرين . أحالوا إلى التقاعد العديد من الضباط وموظفي الدولة ذوي التجربة . لم يبق شيء اسمه معارضة ، سيطر الاتحاد والترقي كذلك على المجالس وجعلوا منها حديقة ورد بلا أشواك .

أهم الذين أعدموا ، اللواء داماد صالح باشا وهو ابن الصدر الأعظم تونسلي خير الدين باشا . كان عسكرياً شاباً ولم يكن له ذنب بين . زوجته السلطانة منيرة ، خر عمه على قدم السلطان . أفاد السفير الفرنسي بأن إعدام الباشا سوف يضعضع مكانة الخليفة في تونس . لكن السلطان رشاد لم يستمع إلى هؤلاء ،واستمع إلى الرئيس العام للاتحاد والترقي طلعت بك ، الذي يهدده ويريد تأكيد إمكان إعدام أي شخص حتي لو كان منسوباً إلي العائلة المالكة ، صدق السلطان علي الإعدام . لم تقابل السلطانة منيرة بعد ذلك عمها حتي وفاته . أخرج الاتحاد والترقي جميع الضباط والموظفين فور الشك في إخلاصهم للحزب . كان من الواضح جداً بعد الآن ، أن كل هذا اقتبس عن الثورة الفرنسية الكبري .

أجبر الاتحاديون ، السلطان رشاد على تعيين الأمير سعيد حليم باشا للصدارة مع احتفاظه بوزارة الخارجية . لم يكن السلطان رشاد كذلك يميل إلي هذا الملياردير (صاحب المليارات) من عائلة قاوالالي ، كما كان السلطان حميد . إلا أن سعيد حليم باشا ، صار صدر أعظم مراسم . كانت السلطة بكاملها ، في الحقيقة في يد ناظر الداخلية طلعت بك . أعطيت لأنور بك ، رجل الحزب الثاني ، صلاحية مطلقة على الجيش ، وأعطي لجمال بك ، الشخص الثالث ، الأسطول أولاً ، وعندما لم يكتف بذلك ، أعطيت له صلاحيات إدارية مطلقة على كل الإيالات العربية في الامبراطورية . كان خليل منتشه بك ، هو الرجل الرابع للحزب . كلف هو كذلك بعد مدة بوزارة الخارجية . نبذ الرئيس العام السابق للحزب ، أحمد رضا بك ، وأخرج من رئاسة المجلس . صار خليل منتشه رئيساً للمجلس . أسست دكتاتورية كاملة تحت شعار المشروطية (الديمقراطية ذات التاج) . جيء بضياء كوكالب Ziya Gokalp إلى السكرتارية العامة للحزب وأخذ في تكوين الأسس الفكرية والفلسفية للدولة الموجودة في مخيلة الحزب وإخراجها إلي حيز الوجود . كلف بالأمور الثقافية والتعليمية .

9 ـ نشوب الحرب البلقانية الثانية (29 / 6 / 1913) :

نشبت الحرب البلقانية الثانية ، بعد 18 يوماً من مقتل محمود شوكت باشا . سبب الحرب هو : جشع وطمع بلغاريا التي أرادت سلب مكدونيا الشمالية من صربيا

ومكدونيا الجنوبية من اليونان ، وطلب رومانيا (التي أخذت تصرح بأن الميزان الدولي في البلقان قد اختل في غير صالحها) التعويض . كانت رومانيا تطلب شريطاً متواضعاً في دوبروجه . بلغاريا التي لم توافق علي ذلك ، كانت قد خططت لشن حرب خاطفة علي صربيا واليونان ، وبعد أن تستولي منهما على مكدونيا ، ستعود للتحاسب مع رومانيا . أغارت على جيوش حلفائها دون إعلان الحرب . لكنها تركت الشمال مفتوحاً . بدأ الرومان التقدم نحو صوفيا . أعلنت قره داغ كذلك الحرب علي بلغاريا . استعادت تركيا أدرنة واحتلت تراقيا الغربية . لم تتعرض هنا لمقاومة بلغارية . بلغاريا التي أصبحت تجاه 5 دول ، تضعضعت أمام هجوم رومانيا في 10 تموز وتركيا في 18 تموز . أمر المقدم الركن أنور بك بعدم دخول المدينة قبل أن يدخلها هو ، دخل المدينة دون أن يطلق رصاصة واحدة (21 / 7 / 1913) . استمر حكم العثمانية في تراقيا الغربية ، الوطن التركي ، مدة شهرين . أخلت تركية تراقيا الغربية بناء علي ضغط الدول العظمي وأعطتها إلى بلغاريا . بقيت أدرنة ، التي شهدت احتلالاً بلغارياً مفجعاً مدة 3 أشهر و 26 يوماً ، في حوزة تركية . ترك قضاء Dimetoka كذلك إلى تركيا . سوف يعطي هدية إلى بلغاريا في 1915 لقاء اشتراكها في الحرب العالمية بصفة حليف . أما تراقيا الغربية فقد أخذت من بلغاريا وأعطيت إلى اليونان في نهاية عام 1918 . وهكذا خرجت بلغاريا من الحرب البلقانية التي تزعمتها ، دون أن تحصل على شيء تقريباً . واتخمت فقط بطون جاراتها عدواتها .

انتهت حرب البلقان الثانية بعد 42 يوماً بمعاهدة بخارست (10 / 8 / 1913) . أعطت بلغاريا دوبروجه الجنوبية (سيليستره) إلى رومانيا (حالياً لدي بلغاريا أيضاً) . تحقق الصلح النهائي بمعاهدات استانبول (29 / 9 / 1913) بين تركيا ـــ بلغاريا ، وبمعاهدة أثينا (14 / 11 / 1913) بين تركية ــ اليونان ، وبمعاهدة استانبول (14 / 3 / 1914) بين تركيا ــ صربيا . لم توافق تركيا أبداً على ترك جزر بحر إيجه ميدلي ،ليمني ، سيسام ، نيكاريا والجزر الصغيرة الأخري ، إلي اليونان . وترك هذا الأمر لتحكيم الدول للعظمي . تركت الدول العظمى ، بوزجه آدا ، ايمروز ومئيس إلي العثمانية ، وبقية الجزر جميعًا ، إلي اليونان (16 / 12/ 1913) . ولّد هذا القرار غير العادل الذي يحاصر تركيا ويهددها ، النفور الشديد لدى العثمانية وهو القرار الجائر والسقيم الذي أعد الجو الملائم للدخول في الحرب العالمية الأولي . وإضافة إلي ذلك ، لم تخل إيطاليا رودس والجزر الاثنتي عشرة وتعيدها إلي تركية ، عند نشوب حرب البلقان ، خوفاً من

احتلالها من قبل اليونان . ثم تمادت في تأخيرها لهذه الإعادة ، نشبت الحرب العالمية الأولى ، بقيت الجزر لدى إيطاليا . أرادت ألمانيا عام 1945 إعطاء رودس والجزر الاثنتى عشرة إلى تركيا . رفضت تركيا ذلك . انتقلت الجزر إلى اليونان ، تمت حركة محاصرة اليونان للأناضول من الغرب . إن جميع هذه الجزر من يمني إلى رودس ، سواء في المعاهدات والبروتوكولات التي أنهت حرب البلقان ، أو في معاهدة لوزان النهائية ، أعطيت إلى اليونان بالشرط الصريح الذي ينص على عدم إبقاء جنود بها وعدم احتلالها عسكرياً . تغاضت أنقرة بعد ذلك عن حكم اليونان - حليفتها في الناتو - لهذه الجزر .

10 - نحو الحرب العالمية الأولى (1914) :

انتقلت الإمبراطورية العثمانية لإدارة ثلاثي طلعت - أنور - جمال المطلقة . طلعت بك ، الرئيس العام لحزب الاتحاد والترقي ، وناظر الداخلية والرئيس المطلق لإدارة حكومة الإمبراطورية . كان الصدر الأعظم سعيد حليم باشا ألعوبة بيده . كانت نظارة الخارجية في عهدة سعيد باشا ، وكان يسير وفق تعليمات الثلاثي . أصبح جمال لفترة ، ناظراً للإعمار ، ثم ناظراً للبحرية ، وكان الثالث في التسلسل من حيث النفوذ . كان يفوق زميليه الآخرين من ناحية السن ، والتجربة والثقافة .

أعطي الجيش كاملاً لسيطرة المقدم أنور بك المطلقة . مقدم ركن ، لم يقم حتى بقيادة كتيبة على رأس جيش إمبراطورية ... شيء يصعب تصديقه ، لكنه حدث فعلاً . رفعت رتبة أنور بك إلى لواء دون أن يصبح عقيداً وصار ناظراً للحربية (3 / 1 / 1914) . كان في سن 5 . 32 عام . تزوج ناجية ، ابنة الشهزادة سليمان أفندي وحصل علي لقب « داماد » (صهر) . كان تأثير هذه المرأة الجميلة ، الحديثة السن جداً ، الحريصة ، الولوعة بالسياسة والسلطانة التي هي ابنة أخ السلطان رشاد ؛ على أنور باشا كبيراً ومعروفاً . ويقال : إن هذا التأثير كان حسناً في بعض الأحيان كما أدي في بعض الأحيان كذلك إلى كبح جماحه ووقفه وإيقافه عند حده . رزق أنور من زيجته هذه بـ 3 أولاد . أنور باشا ، مسلم مؤمن ومتدين جداً ، قومي متحمس للعرق التركي ، جسور ، جريء لكنه megalo – manyak (مجنون كبير) . لا يستشعر المسئولية ،

متبلد ، مغامر ، كان عديم الاحترام للمشروطية (الديمقراطية) . أحال إلى التقاعد أكثرية الضباط الذين يفوقونه رتبة والذين ضحى السلطان عبد الحميد بالكثير في سبيل تدريبهم وإرسالهم إلى أوروبا للتدريب . أخذت علاقته تسوء مع ثالث أعضاء الثلاثي ، الأقدم منه بكثير والذي يميز عن الباشوات الآخرين في عهده من بين الذين يحملون اسم جمال بلقب « الكبير » « الملتحي » ، ولكن سوء العلاقة لم يصل إلى درجة العراك . وعند نشوب الحرب العالمية ، أدرك جمال باشا ، عدم إمكانه العمل في استانبول مع أنور . عين والي الشام . كان تعييناً غريبًا . صار قائداً على الجيش الهمايوني الرابع مع احتفاظه بنظارة البحرية . أعطيت سورية ولبنان وفلسطين والأردن ، الحجاز لإدارة جمال باشا بصلاحيات استثنائية .

كان جمال باشا ، Francophile (محبًا لفرنسا) ، يختلف عن طلعت وأنور من حيث كونه ميالاً للسياسة الخارجية الفرنسية . ولو أمكنه التفاهم مع فرنسا وعن طريقها ، مع إنكلترا ، لكان باستطاعته منع الاشتراك في الحرب العالمية بجانب ألمانيا . إلّا أن لندن وباريس ، لم تقتربا لمثل هذا الاتفاق وتركتا جزر الأناضول لليونان ووضعت إنكلترا يدها ، فور نشوب الحرب على بارجتين عثمانيتين من الوزن الثقيل تم إنشاؤهما في مصانع السفن الانكليزية وسدد ثمنهما مقدماً ، مما تسبب في دفع جمال إلى جانب ألمانيا .

كان أنور ، ملحقاً عسكرياً في برلين لفترة من الزمن . أظهر القيصر ولهلم الثاني الذي يشهد المراقبون المعاصرون الأجانب أنه قد تملق في حينه بشكل سافر السلطان عبد الحميد ، عطفاً شديداً وإكراماً لهذا الرائد (بكباشي) الشاب . اغتر أنور الحريص جداً . بالنسبة لأنور ، فإنه كان يري أنه ليس هنالك على وجه الأرض قوة بإمكانها أن تتغلب على الجيش الألماني . آمن بذلك بكل قلبه . وعلى مر الزمن ، نقل إحساسه هذا المؤيد للجرمانية إلى طلعت الذي تأثر به .

طلعت ، قومي متحمس للقومية التركية ، شعوره الديني غير كاف ، ذكي ، مكار كالثعلب ، مخاتل ، حركي لا يهاب أحداً ، جاهل من حيث العلم . كل عالمه ، كان الاتحاد والترقي ، كان عديم الرحمة تجاه غير الاتحاديين لم يتعرض الثلاثي كثيراً للشعراء والكتاب ذوي الشهرة العظيمة المعارضين للاتحاد ، لم يكن هؤلاء ذوي أهمية كموظفي دولة .

إلا أنه لم تمنح الحرية للصحافة المعارضة . الرقابة على الصحافة ، التي أخذت تشدد علي مر الزمن ، وصلت إلى درجة تهون معها رقابة السلطان حميد . كانت معاملة الاتحاد والترقي شديدة تجاه معارضيها في القطاعات المدنية والعسكرية والعلمية ، عدا المثقفين ذوي الشهرة .

يجب الإشارة هنا ، إلى أن الحزب ، عند إدراكه عام 1914 ، كان قد اكتسب تجربة لا بأس بها وأظهر عزمه على تبديل تشكيلات الزمرة ، إلى تشكيلات حزب طبيعي . أخذت الاتهامات ضد السلطان عبد الحميد ــ الذي كان يسمي « خاقان سابق » والذي كان على قيد الحياة ــ تقل ، وفي النهاية ، منعت الكتابة ضد السلطان السابق . حيث أصبح دهاء الخاقان ، وخاصة في السياسة الخارجية ، يزداد شهرة سنة بعد أخري . بدأ كل من أنور بك وطلعت بك في الذهاب إلى سراي بكلر بك والحصول علي توصيات من الخاقان السابق . لكن المعروف عن السلطان عبد الحميد ، أنه خاطب طلعت بقسوة وطرده من حضوره . أخذت كتلة الشعب التي تذكر بتحّسر دور السلطان حميد في الازدياد . لم يكن في عهده عائلات تقدم شهداء ، ولا مهاجرون طردوا من أراضيهم التي كانوا يسكنونها طوال عصور ، ولا فاقة ، ولا مجاعة . كان هنالك خفية (شرطة سرية) ، التقارير ، الرقابة ، النفي . إن هذه الحريات على محدوديتها ، لم تكن موجودة الآن ، وعلاوة علي ذلك ، فهناك الفاقة المادية ومنصة الإعدام والحرب .

كان الاتحاد والترقي ، قد تسلم الحكم معلناً شعار « اتحاد أنصار » أفلس هذا الشعار . دفع هذا الوضع الحزب إلى الحركة القومية التركية والطورانية . تركت الفلسفة العثمانية القومية ـ الدينية التي كان يسير علي نهجها ضياء ـ كمال والتي كانت سائدة في عهد السلطان عبد الحميد كذلك ، وطبقت الفلسفة القومية الطورانية . ما دام ليس هنالك للتركي حق حياة في أوروبا ، فإنه سوف يبحث عن حقه هذا في مواطن الأتراك في آسيا . أسست علاقات متينة مع الأتراك في الخارج . كان السلطان حميد كذلك ، قد أسس هذه العلاقات بذكاء فائق ؛ كان يهتم بالمسلم الجاوي والنيجيري ، كاهتمامه بالتركي التركستاني أو أنه كان على الأقل يظهر ذلك . كان يأمل أن يؤمّن الوحدة بين المسلمين

في الخارج تحت ظل لقب الخلافة . يفهم من ذلك أن السلطان حميد ، كان يعلم ضرورة أن تقف العثمانية علي قدميها ، إلى أن يحل الموعد الذي قدره لتدهور الامبريالية من قمتها . أما الاتحاديون ، فبدأوا بمحاسبة سبب الوجود الروسي في الأقطار التركية . الحقيقة أنهم أقاموا الشعب التركي على قدميه بهياج . لكنهم ألقوا ببذور الشعور بالشك والتردد ، حتي بين الأقوام الإسلامية الأخرى .

ومن الحقائق التي لا يمكن إنكارها ، تجهيز أنور باشا ، الجيش العثماني بصورة فائقة ، خلال مدة قصيرة جداً وبجهود جبارة . تمكن من تأسيس قوة برية ، ذات طاقة حربية عالية جداً يخشي جانبها وأزال آثار هزيمة حرب البلقان . لكن ما الفائدة ؟ فهذا الجيش العظيم ، بدلاً من أن يكون حارساً ومحافظاً علي مصالح العثمانية ، أتلف في جناقلعة وصاري قامش ، فور مرور سنة واحدة . اعتمد في إصلاح الجيش علي ألمانيا ، وبذلك زاد توتر العلاقات – التي لم تكن أصلاً جيدة – مع إنجلترا – فرنسا – روسيا . ألغى الباب العالي الامتيازات الممنوحة للدول الأوروبية المسماة « Capitulations » (9 / 9 / 1914) بعد 14 عامًا من إلغاء اليابان لها (1900) . كانت الدول الأوروبية قد دخلت الحرب ، فلم تتمكن من الاعتراض . لو كانت العثمانية قد تمكنت من تفويت سني الحرب وهي محافظة – علي حيادها ، لما أمكن للدول الأوروبية أن تعترض علي أي عمل تجريه من هذا القبيل . ولما أمكن الطرف المنتصر أن ينتقم من العثمانية . فقد عجزت إنكلترا عن إرسال فرقة واحدة لنجدة اليونانيين الذين أنزلوا جيشهم في الأناضول وفي إمبراطورية عثمانية منهارة . أما حلفاؤها ، فلم يخطر علي بالهم شيء من هذا القبيل . ولو لم تشترك في الحرب ، لما أمكن في نهاية عام 1918 أية دولة أن تعترض علي العثمانية ذات الجيش الفتي المهيب ، وغير المضعضع . لقد فاتت الإفادة من هذه الفرصة الكبيرة .

كان تسلسل الدول العظمى ، من ناحية أهميتها ، عند بدء الحرب العالمية الأولى في نهاية عام 1914 كما يلي ، إنكلترا ، ألمانيا ، الولايات الأمريكية المتحدة ، فرنسا ، اليابان ، النمسا – المجر ، إيطاليا ، تركيا ، الصين . تغير عدد النفوس خلال 1900 –

1914 ، في انكلترا ـ بضمنها المستعمرات والدول التابعة لها ـ من 382 مليونا إلي 461 ، مليونا . ألمانيا من 66 مليونا إلي 79 ، أمريكا من 86 مليونا إلي 111 ، فرنسا من 76 إلي 84 ، روسيا من 133 إلي 181 ، اليابان من 56 إلي 78 ، النمسا من 45 إلي 52 ، إيطاليامن 33 إلي 38 ، تركيا من 57 إلي 29 ، الصين من 384 إلي 398 . مصر ـ السودان وقبرص ، لا تدخل ضمن الرقم الثاني 29 لتعداد نفوس تركيا ، حيث كانت إنكلترا قد احتلتها في نهاية عام 1914 وانقطعت علاقتها بالعثمانية .

نفوس العالم خلال الـ 15 عاماً هذه ، زادت من 000 000 491 1 إلي 000 000 782 1 . توزيع هذه النفوس بالنسبة للدول العظمي عام 1900 ، كما يلي : 000 000 282 / 1 منه لدي الدول العظمي و 209 ملايين منها لدي الدول الأخري . وبعد 15 عاماً ، ارتفعت هذه الأرقام إلي 0000 000 411 1 مليون و 371 مليون .

وخلال الـ 15 سنة هذه ، ارتفع عدد المدن التي يتجاوز عدد نفوسها المليون من 17 إلي 25 ، والمدن التي عدد نفوسها يترواح بين نصف مليون ومليون من 30 إلي 50 ، والتي عدد نفوسها يتراوح بين مائة ألف ونصف مليون من 241 إلي 377 ؛ ومجموع المدن التي يزيد عدد نفوسها علي المائة ألف ، من 288 إلي 402 .

وفي 1915 ، كان عدد المدن التي يزيد نفوسها علي مائة ألف ـ بضمنها جميع المستعمرات ـ لدي إنكلترا 90 ، الولايات الأمريكية 59 ، روسيا 39 ، ألمانيا37 ، الصين26 ، فرنسا 22 ، اليابان 16 ، إيطاليا 15 ، تركية 13 ، النمسا 11 ، أسبانيا 10 ، هولندا 10 ، البرازيل 6 ، لدي جميع بقية الدول الأخري 48 .

أكثر مدن العالم كثافة في بداية عام 1915 : لندن 3 . 7 مليون ، نيويورك 1 . 7 ، باريس 6 . 4 ، برلين 8 . 3 ، إسـن الكبيرة 3 . 3 ، شيكاغو 5 . 2 ، فينا 2 . 2 ، بيتروغراد (لنينغراد ، سابقاً بطرسبورغ) 1 . 2 ، طوكيو 1 . 2 ، فيلادلفيا 2 ، بونس آيرس 8 . 1 ، غلاسكو 5 . 1 ، إستانبول 4 . 1 همبورغ 4 . 1 ، أوساكا 4 . 1 ، برمنكهام 4 . 1 ، مانجستر 4 . 1 ، ليفربول 4 . 1 ، بوستون 3 . 1 ، هانيكو 3 . 1 ، كلكوتا 3 . 1 ، ريو 1 . 1 ، بومباي مليون واحد ، شنغهاي مليون واحد .

وفي مستهل عام 1915 ، كانت نفوس مدن تركيا الكبيرة بعد إستانبول هي كما يلي : أزمير 400 ألف ، الشام 300 ، حلب 240 ، بيروت 168 ، بغداد 156 ، أرضروم 144 ، أدرنة 135 ، أفيون 114 ، مانيسا 108 ، القدس 101 ، بورصه 100 ، الموصل 100 . وكانت نفوس 23 مدينة تتراوح بين 50 و 100 ألف نسمة .

وقبيل الحرب العالمية ، كانت قدرة ألمانيا قريبة جدًا من قدرة إنكلترا وهذا أحد أسباب الحرب . كانت القوة البرية الألمانية ، القوة الأولي في العالم دون نقاش) وقوتها تفوق مجموع القوتين البريتين للدولتين العظميين اللتين تأتيان بعدها . كانت الصناعة الألمانية ، قد بدأت تفوق بقليل الصناعة الإنكليزية . أما الولايات الأمريكية فكانت قد فاقت إنكلترا في الصناعة وأصبحت الأولي في العالم ، لكنها لم تكن تملك جيشًا برّيا كما يجب .

فرنسا ، كانت تملك الجيش العالمي الثاني بعد الجيش الألماني وأكبر إمبراطورية استعمارية بعد إنكلترا والرابعة في العالم في الصناعة . لكن المسافة التي بينها وبين ألمانيا ، كانت قد اتسعت في جميع المجالات بشكل خطير ، وأصبح متعذرًا تمامًا أن تحارب فرنسا ، ـــ وحدها ـــ ألمانيا .

روسيا استندت على رءوس الأموال الإنكليزية والفرنسية في سباق الصناعة والرأسمالية والنهضة ، وكانت تملك الجيش القوي الثالث في العالم . كان الروس كما هم اليوم ، يشكلون نصف نفوس الإمبراطورية فقط .

قامت اليابان بحملة كبيرة وأصبحت دولة صناعية ، وأسست جيشًا وأسطولاً قويًا ، وأصبحت تمتلك مستعمرة ، وبدأت بالتدخل في الصين .

النمسا ـ المجر ، أصبحت صناعية ، وكانت مرتبطة بسياسة برلين الخارجية أشد الارتباط ، تخشي كثيرًا من روسيا .

إيطاليا ، كانت تبحث عن أراض خالية لتقوم باستعمارها .

كانت الصين تحت ضغط الإمبريالية الغربية واليابان المخيفة . وفي 1912 ، ألغت نظامها الامبراطوري الذي يمتد عبر آلاف السنين ، وادعت أنها أصبحت جمهورية ،

أصيبت بانقسام جذري عميق في سياستها الداخلية ، علي أيدي دكتاتورين غير جديرين .

كانت انكلترا ، لا تزال الدولة الأولي في القدرة . لكن المسافة التي بينها وبين الدول الأخرى ، لم تعد شاسعة مثلما كانت عليه قبل ربع قرن . كان أسطولها لا يزال في المرتبة الأولى بصورة قطعية . الأسطول الألماني ، ارتقي إلى الدرجة الثانية ، وقد شكل هذا ـــ كذلك ـــ أحد أسباب الحرب العالمية .

مثل هذا التغيير الكبير الذي حصل في الـ 15 سنة الأخيرة ، كان قد حصل في الامبراطورية العثمانية . وكان تمامًا في غير صالحها . كان التغيير الكبير ، قد حدث خلال الـ 4 سنوات التي تلت 1908 . وخلال هذه المدة ، كان نصف الامبراطورية قد تبعثر . وإذ قطعت الأقطار المرتبطة بالامبراطورية ، والحائزة على الاستقلال الذاتي ، كل علاقة لها بالعثمانية ، كبلغاريا ، روملي الشرقية ، بوسنة هرسك ، كريت ، سيسام ، بعض الأماكن في البلاد العربية ؛ وألحقت إنكلترا مصر والسودان وقبرص عند دخول العثمانية الحرب في نهاية 1914 ولم تبق للعثمانية أية علاقة مع تلك الأقطار . كذلك ليبيا التي كانت تحت إدارة العثمانية المباشرة ، قد فقدت وفقدت ألبانيا ، مكدونيا ، كوسوفا ، يني بازار ، أبير ، تراقيا الغربية ، جزر بحر إيجه الشرقية) كانت الأراضي الموجودة في حوزة العثمانية في 1915 بحدودها الحالية عبارة عن تركيا ، العراق ، سورية ، لبنان ، إسرائيل ، الأردن ، اليمن والعربية السعودية . كانت قارص وآرتفين ، خارج الحدود العثمانية . وكان النفوذ العسكري العثماني موجودًا في بعض الأماكن من البلاد العربية ، ليبيا وبعض الأقطار . الدولة التي انسحبت بشكل حاسم من الأدرياتيك إلي مريچ ، كانت لا تزال محتفظة بخليج البصرة ، البحر الأحمر ، مضيق باب المندب وشرق البحر الأبيض .

كانت الدول المسيحية الكبري في أوروبا قد انقسمت قبل الحرب إلي كتلتين ، انكلترا ـ فرنسا ـ روسيا وألمانيا ـ النمسا ـ إيطاليا بالاتفاقات المتشعبة الكائنة بينها . لكن إيطاليا ، لم تدخل الحرب ، واشتركت في 1915 في الحرب ضد حليفاتها ألمانيا ـ النمسا . لكن ، لم تكن إيطاليا هي التي سببت اختلال التوازن ، بل كانت الولايات

الأمريكية التي دخلت الحرب في 1917 وسّببت خسارة الألمان الحاسمة . ومع أن اليابان دخلت الحرب ضد ألمانيا ، فإنها اكتفت بوضع اليد على قسم من مستعمرات ألمانيا الموجودة في أوقيانيا ، و لم تشترك في الحرب بجيشها . ولأول مرة في تاريخ العالم تقابلت قوات هائلة لا يتصورها العقل . حدثت حرب خنادق بدرجة لا يتصورها العقل ، استمرت سنين طويلة . كثافة النار ، استهلاك العتاد فاق حدود الخيال .

1 – الحرب العالمية الأولي (1914 – 1918) :

أوقد شرارة الحرب ، مقتل ولي عهد النمسا – المجر في بوسنة سراي على يد إرهابي صربي . أعلنت النمسا الحرب ضد صربيا .

روسيا ، التي لا تسمح بسحق صربيا وازدياد النفوذ الجرماني في البلقان ، أعلنت الحرب ضد النمسا .

أعلنت ألمانيا الحرب ضد روسيا خشية أن تسحق حليفتها النمسا .

أعلنت فرنسا الحرب ضد ألمانيا والنمسا ، ودخلت بجانب روسيا لئلا تبقى أمام ألمانيا – التي من المؤكدأنها ستنحي روسيا ـــ وحيدة . كان الاعتقاد أن إنكلترا سوف لن تزج بنفسها فيالحربالبرية ، لكن كان من المؤكد أن ألمانيا – النمسا سوف تهزم فرنسا – روسيا . عندئذ تبقي ألمانيا وحدها أمام إنكلترا وتزاحمها في الأسطول والمستعمرات . ولهذا السبب ، اشتركت إنكلترا كذلك في الحرب . حدثت هذه الإعلانات المتتالية لدخول الحرب خلال أيام .

دخلت كل أقطار أوروبا الحرب عدا أسبانيا ، سويسرا ، هولندا ، السويد ، النرويج ، الدانمرك .

كان تعداد العالم 000 000 782 1 ؛ 000 735 170 1 منه ، تشكله الدول المشتركة في الحرب ، وذلك علي الوجه التالي : دول المحور (Coalition) المسمي الإمبراطوريات المركزية : ألمانيا 79 + النمسا 55 + تركية 29 + بلغاريا 3 . 5 = 3 / 168 مليون نسمة . وفي مقابل ذلك دول الائتلاف أو الاتحاد (Coalition) المسمي (الحلفاء) : إنكلترا 461 + روسيا 181 + الولايات الأمريكية 111 + فرنسا 84 + اليابان 78 + إيطاليا 38 + بلجيكا 16 + البرتغال 15 + رومانيا 8 + الصربيا 5 + اليونان 5 + قره داغ 4 = 10024 مليون نسمة .

اشتركت تركيا في الحرب بـ 9 جيوش مقسمة إلي 63 فرقة . كان من المعتقد أن الحرب تنتهي بعد عدة شهور ، أو خلال سنة علي أكثر تقدير . كانت هذه قناعة الطرفين .

كان دخول تركية الحرب ، وعدم تمكن الحلفاء من اجتياز جنا قلعة واندحار روسيا ، من الأسباب الرئيسية لإطالة الحرب إلي ضعف ما هو مقرر أي سنتين وهو نصف مدة الحرب . ألقي رئيس الوزارة الإنكليزية Lloyd George – المتعصب وعدو الإسلام والأتراك بدرجة لا يتصورها العقل – مسؤولية إطالة الحرب لسنتين أخريين ، علي الدولة العثمانية بصورة رسمية ، وأعلن رسميًا أنه سوف يحاسب تركية علي مائدة الصلح ، علي هذا الأساس .

اشترك في الحرب بصورة فعلية من كلا الطرفين خلال الـ 4 سنوات 6 . 65 مليون جندي : 9 . 22 مليون منهم جنود دول المحور و 42.7 مليون منهم جنود دول الائتلاف (الحلفاء) ؛ دول المحور ، ألمانيا 11 مليون ، النمسا – المجر 8 . 7 ، تركيا 9 . 2 بلغاريا ، 2 . 1 مليون جندي . دول الائتلاف (الحلفاء) : روسيا 12 مليون ، انكلترا 9 . 8 ، فرنسا 4 . 8 ، إيطاليا 6 . 5 ، الولايات الأمريكية 75 . 4 ، اليابان 8 . – ، صربيا 8 . – ، رومانيا 75 . – ، بلجيكا 3 . – ، اليونان 25 . – ، البرتغال 1 . – ، قره داغ 05 . – مليون جندي .

كانت خسائر الطرفين 000 481 38 جنديًا منهم 000 323 9 قتلي . وقتل 10 ملايين من المدنيين لأسباب مختلفة كالمجاعة ، والمرض والقصف . كانت خسائر الطرفين من الجنود وعدد القتلي كما يلي : ألمانيا 000 300 7 (000 950 1 قتيل) ، النمسا – المجر 000 000 7 (000 200 1) ، تركيـة 000 050 1 (000 400) ، بلغاريـا 000 270 (000 90) = 000 620 15 (000 640 3 قتيل) . الطرف الآخر : روسيا 000 150 9 (000 700 1 قتيـل) ، فـرنسا 000 300 6 (000 390 1) ، إنكلتـــرا 000 190 3 (000 910) ، إيطاليا 000 350 2 (000 650) ، صربيا 000 740 (000 450) ، رومانيا 000 540 (000 340) ، الولايات الأمريكية 000 320 (000 120) ، بلجيكا 000 180 (000 100) ، البرتغال 000 40 (000 10) ، اليونان 000 30 (000 10) ، قره داغ 000 20 (000 3) ، اليابان 000 1 (300) = 000 861 22 (300 683 5) .

كان أساس الخطة الحربية للماريشال Schlieffen على الشكل الآتي : ستكون ألمانيا مضطرة للدخول إلى الحرب في الشرق تجاه روسيا وفي الغرب تجاه فرنسا في نفس الوقت . وفي هذه الحالة ، ستستسلم فرنسا في الحرب الخاطفة أثناء الحرب الدفاعية في الشرق . ثم تعود الجيوش إلى الشرق وتكون عاقبة روسيا كعاقبة فرنسا . سيدخل الروس إلى قسم من الأراضي الألمانية في الشرق ، خلال الحرب مع فرنسا . سوف تضحي ألمانيا بذلك مؤقتًا .

عند نشوب الحرب ، كان الفريق الأول Von Moltke – ابن أخ مولتكة الكبير – رئيسًا لأركان الجيش الإمبراطوري والقائد الفعلي له (كان القائد الاسمى Koyzer) .

لم يوافق الإمبراطور على سحبه قوة من الحدود الروسية وسوقها إلى حدود فرنسا ؛ حيث اعتبر دخول الروس إلى قسم من الأراضي الألمانية لا يليق بهيبة القيصر . لذا تعذر زيادة القوات الألمانية في الغرب إلى العدد الذي تتمكن به من القضاء على قوات المتفقين (الحلفاء) الفرنسية – الإنكليزية – البلجيكية دفعة واحدة . تمكن الفرنسيون من إيقاف الألمان على مسافة 30 كم من باريس (معاهدة Marne ، 6 – 12 أيلول 1914) . وهذا يعني إفلاس خطة Schlieffen ؛ حيث أن هذه الخطة كانت معلومة لدي العالم بأسره وكان العالم كله يعلم أن الألمان سيقضون على فرنسا بالحرب الخاطفة . إن القتال الدموي الذي يفوق الخيال ، الذي جرى على ضفة نهر Marne ، كذب هذا الاعتقاد وأوضح أن الحرب ستطول بعد الآن إلى أجل غير معلوم وفي غير صالح ألمانيا . ستطول الحرب ضد ألمانيا لعدم استسلام فرنسا ، كما وأنه في حالة اشتراك إنكلترا في الحرب بجانب فرنسا فإنها ستستطيع حشد ملايين الجند في الجبهة الفرنسية بالإضافة إلي أن إيطاليا – حليفتها على الورق – لم تكن قد اشتركت في الحرب بجانب ألمانيا – النمسا ، واتضح أنها سوف لن تشترك بل وأنها ستنضم إلى إنكلترا – فرنسا – روسيا – . لكن الشيء الأهم من كل ما مضى هو : أنه في حالة عدم تمكن ألمانيا من الانتصار بحرب خاطفة ، فإنها سوف تخسر الحرب في حالة حرب طويلة الأمد ؛ لأن الذي يسيطر على البحار المفتوحة ، هم الحلفاء وليست الامبراطوريات المركزية (دول المحور) . ولهذا السبب سيستطيع الحلفاء تأمين كل أنواع المهمات والمواد الخام ،

واستيرادها . أما في الدول المركزية فسوف تبدأ الحاجة إلى المهمات والمواد الخام بشكل كبير . ....

هكذا ارتكبت العثمانية بسهولة عملا جنونيًا كدخولها الحرب بجانب ألمانيا في هذه الأثناء ، أي بعد معاهدة Marne ، أي بعد إفلاس خطط ألمانيا الحربية . كان رائد هذه الكارثة أنور باشا . طلعت بك وجمال باشا (بوجه خاص) ، وافقاه دون أن يكونا راغبين مثله . ثم أعلن الاتحاد والترقي كرأي رسمي للدولة ادعاء أن سفينتين من سفن الحرب الألمانية لجأتا إلي العثمانية ، واجتازتا المضيق إلى البحر الأسود دون علم العثمانية وقصفتا الموانئ الروسية ، وأن روسيا ومن ثم حلفاؤها ، قد أعلنوا الحرب على تركية . ظل هذا الادعاء يتكرر إلى يومنا هذا ، و لم يسمح ، لعدد من الأسباب ، بتحليل مبلغ مجانبة هذا الادعاء ، للعقل والمنطق . واليوم بعد أن نشرت الأوامر العسكرية (عسكري أمرنامه) لجمال باشا ، وكيل القائد العام لأنور باشا ، نجد الرسائل التي بعثها إلى الأسطول العثماني بصفته ناظرًا للبحرية ، وبتوقيعه ، حول كيفية الإغارة على الموانئ الروسية وقصفها وإغراق أية سفينة روسية حربية كانت أم تجارية . وأساسًا فإن قبول إمرار بارجتين ألمانيتين وفتح مضيق جناقلعة لهما وعدم تجريدهما من الأسلحة خلافًا للاتفاقات الدولة والاكتفاء بإلباس طاقم السفن الطرابيش وتركهم على حالهم ، تظهر نوايا ثلاثي الاتحاد . ودليل آخر هو : معاهدة الاتفاق السري الذي وقع مع ألمانيا . كان أنور باشا موقنًا من هزيمة روسيا وأخذ العثمانية قفقاسيا وتركستان . اضمحلت روسيا ، لكن العثمانية لم تتمكن من أخذ قفقاسيا وتركستان ، اكتفت بأخذ ولايتي قارص وآرتفين . إذ إن الحرب كانت حربًا عالمية . لم تكن حربًا ألمانية – عثمانية – روسية . كانت قد شملت العالم كله . عقلية أنور ، لم تستوعب هذه الاستراتيجية . أصدر أمر قصف الموانئ الروسية إلى الأسطول العثماني الذي انضمت إليه بارجتان ألمانيتان . ثم عاد فكذب على المجالس ، وأفاد بأن السفينتين الألمانيتين وضعتاهم أمام الأمر الواقع ، ولذا فإننا دخلنا الحرب مضطرين وإننا سوف ننقذ مصر وأفريقيا الشمالية من الاستعمار الإنكليزي والفرنسي .

تم الاشتراك في أكبر حرب سجلها التاريخ ، وفي الطرف المحتمل خسارته ، دون علم

البادشاه ، الصدر الأعظم ، الحكومة ، البرلمان . كل هذه أجهزة تسلمت هذا القرار من الأشخاص الثلاثة الذين يشكلون الثلاثي وطبقوه ، وفي إحدى الروايات يقال إنهم أحاطوا خليل منتشه به علمًا كذلك . ولو لم تدخل العثمانية الحرب ، لخسرت روسيا واستسلمت ؛ لأنها ستغلق المضايق ، وسوف تتمكن روسيا من تسلم الإمدادات من حليفاتها الغربيات ، سيكون في نهاية الحرب جيش عثماني يقف على قدميه ، لا تجسر أية دولة على أن تمسه بسوء ، ولو لم تدخل العثمانية الحرب لما تعرضت لضياع الثروات والبشر بالقدر الذي يفوق الخيال ، ولما تهدمت واحترقت الأناضول ولما هلك في جنا قلعة ، صاري قامش ، صحراء سيناء وفي صقاريا شباب محبون لوطنهم جمعوا بين الثقافتين الشرقية والغربية ونشأوا نشأة خارقة للعادة . وعندئذ كانت تركيا سوف تصفي إمبراطوريتها في الوقت المناسب بإرادتها الشخصية ، ويحتمل أن يكون ذلك في 1945 كما عملت ذلك إنكلترا وفرنسا ، ولما تركت الأقطار العربية تحت وطأة الإنكليز والفرنسيين ، ولحصلوا على استقلالهم وهم أصدقاء للأتراك ، لا كأعداء نتيجة لدعايات الدول الأجنبية .

يجب هنا أن نسجل أن الجنرالات والضباط الأركان الأتراك قد نبهوا أنور باشا بإصرار مرات عديدة ، وبعضهم بتقارير عسكرية حول عدم دخولنا الحرب ، لكن أنور ، كان يسمع مستشاريه الجنرالات الألمان الموجودين في وزارة الحربية . كان من بين الذين نّبهوا أنور بشدة ، حول عدم دخولنا الحرب ؛ أركان لعبوا أدوارًا ذات أهمية فائقة في التاريخ التركي فيما بعد ، ككمال أتاتورك ، عصمت أينونو وكاظم قره بكر .

إن سرد وقائع الحرب العالمية الأولى ، وحتى أعمال العثمانية في هذه الحرب ، يطيل موضوعنا كثيرًا . إلاّ أنه من الضروري أن نبحث بعض المواضيع ، التي أثرت فيما بعد على تاريخ تركية والأقطار العربية والتاريخ العالمي بشكل مهم ، وسنكتفي بهذا القدر .

بدأت الحرب في 28 تموز 1914 . اشتركت العثمانية في 29 ت 1 / 1914 . إيطاليا (23 / 5 / 1915) والولايات الأمريكية (6 / 4 / 1917) اشتركتا فيما بعد في صف الحلفاء . (اليابان 23 / 8 / 1914) . أما الدولة الوحيدة التي اشتركت بجانب 3 إمبراطوريات مركزية (ألمانيا ، النمسا ، تركيا) فهي بلغاريا (14 / 10 / 1915) .

اشتركت رومانيا (27 / 8 / 1916) واليونان (27 / 6 / 1917) بجانب الحلفاء . وأعلنت الصين كذلك الحرب على الإمبراطوريات المركزية (14 / 8 / 1917) .

لا شك أن اجتياز مضيق جنا قلعة واحتلال استانبول وتنحية العثمانية والاتصال بروسيا ، من شأنها أن تقصر أمد الحرب سنتين . وابتداء من آذار 1915 بدأت القوات البحرية والبرية الجهنمية المشكلة من القوات الإنكليزية ، الفرنسية ، الاسترالية ، النيوزيلندية بالتشديد على مضيق جناقلعة من البحر . وعندما غرقت السفن الممتازة للأسطول الإنكليزي – الفرنسي بنيران المدافع التركية ، تقرر الإنزال من البر . أنزل الجنود في شبه جزيرة غاليبولي . اشتركت في الإنزال كتيبة يهودية وأخرى يونانية من المتطوعين . انهزم الحلفاء هزيمة عظمى . أثبتت العثمانية بصورة فعلية أنها حتي وهي في سكرات الموت فإنه بإمكانها أن تبدل مجرى التاريخ العالمي ، إلا أنه استشهد في جبهة جنا قلعة فقط 250 000 تركي وقتل من الحلفاء 250 000 جندي تقريبًا . الجرحى ، والمرضى ، والمفقودون ، والأسرى خارج هذا العدد .

حتى ألمانيا ، حليفة العثمانية دهشت لمعجزة جنا قلعة . وبينما كان يولي الجيش العثماني أهمية كبيرة – خاصة في الحرب الدفاعية – قبل هزيمة البلقان ، أخذت الدول الأوربية تستصغر وتستخف بالجيش العثماني بعد حرب البلقان . وحتى برلين كانت تعتقد ذلك . كانت برلين تريد إشراك العثمانية في الحرب لتستفيد من صفة الخليفة للبادشاه ، ومن وضع تركية الجغرافي – الاستراتيجي ، أكثر من تفكيرها في الاستفادة من قدرتها العسكرية . وعند دخول العثمانية الحرب ، وجد أن جيشها قد ملأ فراغًا كبيرًا . بينما كانت الاستفادة من صفة الخليفة للبادشاه أقل بكثير مما كان يؤمل . أحدث ذلك خيبة أمل في برلين وفي إستانبول كذلك . كان السلطان رشاد ، قد أعلن الجهاد الأكبر والجهاد المقدس بصفة كونه خليفة ، لم يحدث ذلك صدى كبيرًا في العالم الإسلامي . لم تحدث ثورة في المستعمرات الإسلامية تجاه إنكلترا وفرنسا . عدا مسلمي الهند (باكستان وبنغلادش الحالية) الذين سببوا مشاكل كبيرة لإنكلترا . ولو كان عبد الحميد الثاني هو الذي أعلن الجهاد ، لكان من المحتمل أن يتغير هذا المشهد بعض الشيء . وعدا افتقاد السلطان رشاد للنفوذ والاعتبار الذي يملكه أخوه الكبير ؛ كان

العالم الإسلامي يعلم أنه صار ألعوبة مسخرة في يد الاتحاد والترقي . أما السياسة الإسلامية للاتحاد والترقي ، فلم تكن مرغوبًا فيها بدرجة سياسة عبد الحميد الثاني أبدًا . ومع ذلك فالمعلوم عن السلطان حميد الذي كان يسكن سراي بكلربك خلال هذه الأيام ، أنه عندما علم بإعلان الجهاد في نهاية عام 1914 ، قال « كان هذا سلاحًا كبيرًا ، وتأثيره يكون أكبر في حالة عدم استعماله ، ما كان يجب استعماله أبدًا » . وإن واقعية السلطان عبد الحميد الصلبة ، في السياسة معلومة . أما الاتحاديون ، فقد ورثوا تخيلات مدحت باشا غير الواقعية في السياسة الخارجية ، كما ورثوها في السياسة الداخلية .

خيبة الأمل نفسها ، شوهدت في حركات جمال باشا في قناة السويس . وّدع الباشا من إستانبول بصفة « فاتح مصر » وشُيّع من مقره الكبير في الشام ، بالشعارات نفسها باللغة التركية والعربية . هاجم جمال باشا والوحدات الممتازة للجيش الهمايوني الرابع ، القناة مجتازًا جهنم سيناء مرتين (الثانية 19 / 7 – 4 / 8 / 1916) ، لم يتمكن من اجتياز القناة . كان الإنكليز يصلون العساكر التركية بنيران رشاشاتهم الثقيلة التي ركزوها على القاطرات المصفحة المثبتة فوق سكة الحديد التي أنشأوها . استشهد ضباط أتراك ممتازون وجنود أتراك مدربون تدريبًا فائقًا . وخلافًا لما كان مؤملاً ، لم يعص المصريون أو يثوروا على أساس أن الجيش العثماني جاء إلى القناة ولم ينقضوا على الإنكليز بل على العكس ، أخذ في حشد وحدات كبيرة في مصر ، أخذت بالتعاظم على مر الزمن . إن عدم إرسال هذه الوحدات إلى الجبهة الفرنسية ، صار في صالح ألمانيا ، تحقق قصد برلين . أما العثمانية ، فقد أصبحت في وضع لا تتمكن فيه من السيطرة على جبهة فلسطين بسبب مجابهتها وحدات الحلفاء المتزايدة في كل يوم . سالت دماء تركية غزيرة . كان اليهود قد أسسوا في فلسطين تشكيلات مخابرات سرية ، كانوا يخبرون الإنكليز بتحركات الوحدات العثمانية . عثر جمال باشا على قسم منهم وأفناهم . كان الشريف حسين باشا يضغط من الجنوب ، وكان البدو التابعون له يخربون باستمرار خط شام – مدينة الحديدي ويعرقلون كثيرًا المواصلات العسكرية العثمانية .

هلك الجيش الثالث بين الجبال الثلجية ، وفي بداية الحرب في هجوم صاري قامش الذي قاده بنفسه أنور باشا بعدم كفاءة كبيرة . استشهد 90 000 جندي .

احتل الإنكليز البصرة في بداية الحرب . دافع العراق ، الجيش الهمايوني السادس تجاه الجيش الإنكليزي – الهندي الذي أخذ يزداد على مر الزمن . العثمانيون الذين هزموا الإنكليز في سلمان باك ، أسروا في كوت العمارة فرقة إنكليزية كاملة (300 13 جندي) بجنرالاتها الخمسة وكامل أسلحتها (29 / 4 / 1916) . لكن ، في النهاية ، سقطت بغداد (11 / 3 / 1917) .

كان يقوم بالدفاع عن جبهة فلسطين ، جماعة القوات السريعة التي يشكلها الجيوش الرابع والسابع والثامن . انتصروا في حربي غزة الأولي والثانية . انتصر الإنكليز وحلفاؤهم في حرب غزة الثالثة . سقطت القدس (9 / 12 / 1917) .

من الناحية الأخرى احتل الجيش العثماني ، غرب إيران على العمق واقترب إلى قفقاسيا . انهارت روسيا وطلبت الهدنة (22 / 1 / 1918) . دخل الأتراك باطوم (15 / 4 / 1918) ، قارص (27 / 4 / 1918) ، آرتفين . أعادت معاهدة Brest Litovsk – التي وقع عليها طلعت باشا – قارص آرتفين وباطوم إلي تركية (3 / 3 / 1918) . دخل الجيش العثماني للمرة الثانية إلى تبريز (14 / 6 / 1918) ، ثم احتل الجيش التاسع الذي يقوده الفريق الأول نوري باشا أخو أنور باشا ، بالكو (14 / 9 / 1918) ووصل إلى حد بحر الخزر .

اشترك الفيلق التركي الأول في حركات رومانيا . كان ضمن قوات المحور التي دخلت بخارست ، ثم نقل إلى جبهة غاليجا وتحارب مع الروس . ثم جاء إلي مكدونيا . حارب هناك تجاه القوات الإنكليزية – الفرنسية – الصربية — اليونانية — الروسية – الإيطالية . كان قائد هذه القوات (30 فرقة) الماريشال الفرنسي Franchet d;Esperey . طلبت بلغاريا التي لم تطق الحرب ، الهدنة (27 / 9 / 1918) . وهكذا انقطع ارتباط العثمانية مع النمسا وألمانيا . عند خسران الحرب وطلبت كل من تركية والنمسا وألمانيا الهدنة ، لم تكن أية قطعة من الأراضي الألمانية محتلة (عدا مستعمراتها) . بالعكس ، كانت الجيوش الألمانية تحتل على العمق كلا من فرنسا ، روسيا ، بلجيكا ، إيطاليا ، صربيا ورومانيا . إلاّ أن النظرة الاستراتيجية التي لخصها السلطان عبد الحميد في قوله « الطرف الذي يسيطر على البحار ، يكسب الحرب » إلى طلعت باشا وأنور

باشا اللذين زاراه قبل سنوات عديدة ، قد تحققت .

إن المبادئ الـ 14 التي أعلنها رئيس جمهورية الولايات الأمريكية ولسن Wilson (8 / 1 / 1918) ، كانت من العوامل التي ثبطت عزم تركيا وحلفائها . إن هذه المبادئ لم تطبق في أي وقت من الأوقات ، لا من ناحية احترامهم الأسس القومية ، ولا من ناحية منحهم الاستقلال للأقطار غير التركية التي انفصلت عن العثمانية . وعلى عكس ذلك ، سلط اليونانيين والأرمن مرة أخرى ، على أراضي الأناضول . لكن وعد ولسن ، الذي هو نسخة طبق الأصل لروزفلت ، باسم الولايات المتحدة وحلفائها ، أثر بشكل بالغ على دول المحور وثبط عزمهم على الحرب . إن الـ 42 فرقة والمهمات الثقيلة التي أرسلتها الولايات الأمريكية المتحدة إلى الجبهة الفرنسية ، أدخلت اليأس إلى قلب الألمان . كانت أمريكا ، قد أصبحت أغنى دولة في العالم . لكنها لم تتمكن على مائدة الصلح من الحيلولة دون أطماع حليفاتها ، وعادت ثانية إلى قارتها .

12 – تهجير الأرمن عام1915 :

كان عدد الأرمن من رعايا العثمانية الأرثوذكس ، الكريكوريان ، الكاثوليك (وقليل جدًا من البروتستانت) عام 1915 ، في استانبول ، الأناضول والأقطار العربية يقارب الـ 000 300 1 . كانوا يشكلون 5 ٪ من معدل نفوس الأناضول الشرقية . وفي نهاية عام 1914 (29 / 12 / 1914 – 2 / 1 / 1915) ، جمد ومات من البرد معظم أفراد الجيش الثالث المكلف بالدفاع عن الأناضول الشرقية وجبهة القفقاس تجاه الروس في هجوم صاري قامش . أصبحت الجبهة بدون دفاع تقريبًا . أرسل الروس الأسلحة إلى الأرمن في الأناضول الشرقية . شكل الأرمن عصابات ، أخذت تغير على القري ثم القصبات والمدن المسلمة المحرومة من دفاع الجيش العثماني . نفذوا مذابح جماعية واسعة النطاق دون تفريق بين أطفال ونساء . وكانوا لا يقتلون المدنيين بالرصاص ، بل يعذبونهم بألوان شتى من العذاب لمدة طويلة ويقطعون أوصالهم ثم يحرقونهم ويتركونهم للموت ، وكانوا بخاصة ينتهكون الأعراض ويمسون الشرف بسبب زيادة حرص المسلمين على ذلك . كان هدفهم إجبار المسلمين على الهرب من الأناضول الشرقية ، وربط هذه الولايات بروسيا قدر الإمكان . كانت وان ، مركز إيالة ومركزًا إسلاميًا مهمًا .

العصابات الأرمنية التي دخلت هذه المدينة ، قتلت المسلمين كافة (20 / 4 / 1915) . وعندما جاء الجيش الروسي ودخل وان (19 / 5 / 1915) ، شاهد بدهشة عدم وجود مسلم واحد فيها ، فاقت الوحشية الأرمنية ، حتى المخططات الروسية ، ولدينا بيانات وتقارير رسمية لعديد من الضباط الروس ، كانت تحاول الضغط على الأرمن لإيقاف القتل العام تجاه المسلمين . الروس الذين لم يتمكنوا من البقاء هناك ، أخلوا وان وسلموها إلى الأرمن (3 / 8 / 1915) . دخلت الوحدات التركية إلى وان ، بعد يومين فقط وشاهدوا بتأثر ، أجساد عشرات الألوف من المسلمين ، كما شاهدوا المساجد المحّرقة والمهّدمة .

حمى الأتراك السلجوقيون ومن ثم العثمانيون خاصة ، الأرمن الذين كانت تعتبرهم الإدارة البيزنطية مواطنين من الدرجة الثانية وتعاملهم بقسوة شديدة . الأكثرية الساحقة من أرمن إستانبول ليسوا أصلاً من إستانبول . وإنما جاء بهم السلطان محمد الفاتح من الأناضول وأسكنوا إستانبول . احترمت كثيرًا حرياتهم الدينية والمذهبية ، وأموالهم . ورغم أن رجال الدولة في التنظيمات لم يستحسنوا تبديل الأرمن الأرثوذكس الكريكوريان مذهبهم واعتناقهم المذهب الكاثوليكي وتبعيتهم للبابا ، بالتعليمات القادمة من أوروبا ، لكنهم لم يحولوا دون ذلك فعليًا ، عدا نصحهم بعدم تركهم مذهب آبائهم . وكذلك سمحوا للأرمن الكاثوليك بتأسيس تشكيلات البطريركية . والأرمن سواء كانوا كريكوريان أم كاثوليك ، أشغلوا بعد 1856 مناصب وزير (أعلى المراتب الشرفية) ، والي إيالة ، سفير ، موظف كبير في سراي البادشاه ، ناظر (وزير) (وحتى أحدهم شغل منصب ناظر الخارجية) . تسعة أعشارهم ، خدموا الدولة العثمانية بإخلاص كبير ، لم تفرق الدولة بينهم وبين الوزراء المسلمين ، فقط لم يكن بإمكانهم أن يصبحوا ضباطًا ، وهم بالذات لم يرغبوا بذلك . كان من بينهم أطباء عملوا بالجيش . وعدا ذلك ، كانت لهم امتيازات ، لم يحصلوا عليها في أي قطر من أقطار العالم . كان الأرمن هم الشعب المسيحي الذي تقبل الثقافة التركية ، أكثر من غيره . موسيقاهم ، أشعارهم ، مطبخهم ، لباسهم ، أعيادهم وكثير من أعرافهم اقتبست من الأتراك . برز من بينهم ملحنون عظام في الموسيقى الكلاسيكية التركية . فتحت أمامهم أرقى المدارس المتوسطة والعالية ، كذلك قاموا بالتدريس بلغتهم في مدارس الأوقاف

الابتدائية والمتوسطة كما شاءوا ، وتمكن الراغب منهم من الذهاب إلى أوروبا للدراسة العليا . لا يشاهد لدى عبد الحميد الثاني وطلعت باشا اللّذين أعلنا أنهما أكبر عدوين لهم ، أو لدى أي تركي آخر ، أي أثر لكراهية الأرمن واستصغارهم كقوم . تعاونًا مع كثيرين من الأرمن وقدما لهم مناصب عالية . تمكن نواب الأرمن من التكلم في مجلس النواب بجسارة تفوق زملاءهم الأتراك .

غير أن الباب العالي ، لم يظهر التسامح للأرمن الذين يتلقون التعليمات من الخارج ويتسلحون ، ويشكلون جيوشًا شعبية منظمة ويخرجون لقنص المسلمين وقتلهم الجماعي . كان أرمن الأناضول أناسًا متوحشين لم يستفيدوا من الثقافة العثمانية ، مثل أرمن إستانبول . أعمالهم ، كانت من النوع الذي يليق فقط بالمجتمعات المتوحشة جدًا ، نشرت كل الوثائق المتعلقة بهذا الشأن . كانت قد أخمدت حركات التمرد التي قاموا بها في السابق بإشارة من إنكلترا وفرنسا وروسيا . وقد صرفت الجهود والدقة اللازمة لغرض عدم إضرار البريء مع المذنب . وقد روعي عدم المساس بالشخص الذي لا يحمل السلاح . سعوا كثيرًا ضد عبد الحميد ، لعدم سماحه بتأسيس إمارة أرمنية ذات حكم ذاتي علي 6 إيالات من الأناضول الشرقية . سعوا مع الاتحاديين حتي تم إسقاط السلطان عبد الحميد ، ثم انقلبوا عليهم وقاموا بالحركة ضدهم .

شروع الأرمن المتكرر وعمليات القتل الجماعي للأهالي المدنيين بغرض فتحهم الطريق للجيش الروسي الذي استعد للاستيلاء علي مدن الأناضول الشرقية ، مستفيدين من التلف الشديد الذي أصاب الجيش الثالث في حركات صاري قامش ، أجبر عملهم هذا ـــ في أكبر حرب بقاء أو فناء شهده التاريخ ـــ الباب العالي على اتخاذ تدابير أشد وأكثر راديكالية . وبأمر من وزير الداخلية طلعت بك وتصديق الصدر الأعظم سعيد حليم باشا ، تم إبعاد الأرمن الموجودين في الأناضول الشرقية والوسطى البالغ عدده نصف مليون تقريبًا ، عن طريق الجيش الروسي وسيقوا إلى الأقطار الجنوبية من الإمبراطورية . الأماكن التي أرسلوا إليها ، وهي حاليًا سوريا ، لبنان ، الأردن ، العراق ، كانت أكثر رفاهية من الأناضول الشرقية . وهي أقطار الدولة نفسها . جرى « التهجير » (الهجرة الجبرية) في نيسان عام 1915 . هذا الموسم ، هو موسم شتاء في الأناضول الشرقية

ولا يزال كذلك . الأناضول الشرقية ، كانت بدائية في طرقها . كانت الأمراض متفشية بين الشعب والجيش التركي . إعاشة الجيش ، لم تكن منتظمة . وفي مثل هذه الأحوال ، خرج إلي الطريق ما يقارب نصف مليون أرمني مع عملائهم من الأناضول الشرقية متجهين نحو وادي الرافدين ، سورية ولبنان وتحت حماية الجيش . حدثت وفيات بينهم في الطريق ، ولكن حدثت أيضًا وفيات بين الجنود الأتراك مسلمي الأناضول الشرقية الذين يريدون الانتقام لعائلاتهم من الأرمن ، كانوا يندسون بين قوافل الأرمن ويطلقون النار ، وكان الجنود الأتراك يطلقون النار عليهم ويحمون الأرمن . لقد تم إسكان الأرمن في الإيالات العربية خلال عدة أشهر . ولأنهم شعب مجد ونشط ، تمكنوا من المعيشة تحت شروط أحسن مما كانوا يعيشونها في الأناضول الشرقية والوسطى بعد أن لقوا عونًا من الإدارة العثمانية . وقسم كبير منهم هاجر بعد انتهاء الحرب ، إلى فرنسا والولايات الأمريكية والأقطار الأخرى . إن الأرمن الموجودين اليوم في أوروبا وأمريكا ، هم أبناء أرمن الأناضول هؤلاء . ولو كانت حركة 1915 قتلاً جماعيًا وليس تهجيرًا ، كما يدعون ، لما كان هناك أرمن الآن في أوروبا وأمريكا .

يصادف وقت التهجير ، الأيام التي كانت تقوم فيها تركيا بمعركة حياة أو موت في جناقلعه ، نقلت خزينة سراي طوب قابو ، إلي قونية خوفًا عليها من احتلال إستانبول ، رفض البادشاه الذهاب إلي قونية .

وأخيرًا ، يجب ألا يغرب عن البال أن هذا التهجير ، حدث في وقت تجري فيه حرب الشوارع مع عصابات الأرمن المسلحة وتعقب فلولهم .

الحقيقة ، أن إخراج شعب من الأراضي التي عاش فيها عصورًا طويلة ، شيء غير مستحسن أبدًا . لكن الحكومات تكون مضطرة في أوقات الحرب ، إلى أن تتخذ تدابير شديدة تجاه جميع الشعب ، دون تفريق بين قوم وزمرة . لن أتحدث عن دولة كروسيا ، وإنما أكتفي فقط بأن أشير إلى أن معاملة الإنكليز للأيرلنديين في الحرب العالمية الأولى ، والأمريكيين لمواطنيهم اليابانيي الأصل في الحرب العالمية الثانية ، مما كان يقع من هذه الدول معلوم لدى الجميع وبالإمكان سرد أمثلة كثيرة جدًا في هذا المجال . جمعت الولايات الأمريكية المتحدة في ك 2 عام 1942 كل رعاياها الأمريكيي الجنسية

المنحدرين من أصل ياباني ، وأرسلتهم إلى معسكرات التمركز في أريزونا المحاطة بالأسلاك الشائكة والتي يحرسها جنود مجهزون بالرشاشات و لم يخل سبيلهم حتي انتهاء الحرب . إن هؤلاء ، لم يشهروا السلاح تجاه دولتهم كالأرمن . لكن كان هناك مجرد اشتباه في إخلاصهم فحسب . كان هؤلاء يحملون الجنسية الأمريكية وولدوا في أمريكا واعتنقوا الديانة المسيحية ، ينطقون بالإنكليزية ولا يجيدون اليابانية . إن وزارة العدل الأمريكية اعترضت على هذا التهجير ، لكن الرئيس روزفلت أصدر أمر التهجير بناء علي طلب الجيش .

وخلال استمرار الكفاح الوطني ، وقعت كل من جمهورية أرمنستان في روسيا ، وكذلك الاتحاد السوفيتي مع حكومة أنقرة علي معاهدات ، وافقت فيها كل منهن على حدود تركيا الحالية مع أرمنستان وكرجستان . وكانت هذه المعاهدات معتبرة ، في معاهدة لوزان كذلك . من الواضح أن أرمنستان التي فكروا في تأسيسها بمعاهدة سيفر ، والتي لم يصدق عليها البادشاه ورفضتها أنقره بشدة و لم تطبق أبدًا ، إنما أرادت بها الدول الإمبريالية أن تكون أداة في أيديهم لتحقيق رغباتهم والانتقام من الأتراك والمسلمين . رفضت في لوزان .

والمعلوم ، أن العصابات الأرمنية وجمهورية أرمنستان في قفقاسيا التي كانت لفترة من الزمن دولة مستقلة ، كانت قد احتلت ، مرة أخرى بعد الحرب العالمية الأولى نواحي من الأناضول ، اقترفت المظالم نفسها وطارد فلولها الفيلق 15 لكاظم قره بكر ، إلى حدودها الحالية . ثم وقعت المعاهدات التي حصل فيها التطابق على الحدود الحالية مع جمهورية أرمنستان وظهيرها الاتحاد السوفييتي .

13 – عصيان الشريف حسين باشا المسمى « الثورة العربية » :

شك السلطان حميد في إخلاص الشريف حسين باشا الذي كان برتبة وزير . أسكن حسين باشا وأبناؤه في إستانبول مدة ربع قرن ، خلال إدارة السلطان حميد ومنع من الذهاب إلي الحجاز . كان قد كلف بوظائف جيدة . ووفق لسياسة الاتحاد والترقي ، فإن جميع « المنكوبين » في النظام الحميدي ، يعتبرون مقبولين إلي أقصى درجة . ولهذا السبب ، جعل الاتحاديون عند مجيئهم إلي الحكم ، حسين باشا شريفًا علي مكة ،

بينما كان هنالك كثيرون من فروع وأعضاء السلالة الهاشمية .

كان اتصال حسين باشا بإنكلترا – بواسطة المندوب السامي الإنكليزي في القاهرة – ضد الدولة العثمانية ، قبل نشوب الحرب العالمية الأولى . وفي نهاية الاتصالات ، حصل اتفاق مع إنكلترا (30 / 1 / 1916) . ستعترف إنكلترا بحسين باشا بأنه « ملك العرب » . وستكون جميع البلاد العربية ، العراق ، سورية ، فلسطين ضمن حدود هذه الدولة . ترى هل صدّق حسين باشا وأولاده هذه الوعود ، أم تظاهروا بالتصديق ؟ على أساس أنه لا ضير من تحصيل ما يمكن تحصيله ، عمومًا هذا موضوع قابل للمناقشة . أعلن حسين باشا نفسه ملكًا على الحجاز وانفصل عن الدولة العثمانية (7 / 6 / 1916) . وبعد 3 أيام ، انتصر على الحامية التركية الصغيرة في مكة وتمكن من السيطرة على المدينة ، ثم على طائف وجدّة بعد مناوشات صغيرة . كانت الفرقة الموجودة في مكة ، قد انسحبت بسبب الحرب . والي الحجاز العثماني ، لم يتمكن من المقاومة أكثر من ذلك . إلاّ أنه كان يوجد في المدينة ، فيلقًا بقيادة الفريق فخر الدين (توركان) باشا . وهو مرتبط بالجيش الرابع الموجود في الشام . أعلن الملك حسين ، نفسه ملكًا على كل العرب ودعا جميع العرب للقتال « ضد الأتراك » (29 / 10 / 1916) . لكن إنكلترا ، حتى عند استمرار القتال ، اعترفت به « ملكًا للحجاز » فقط (15 / 12 / 1916) ولم تقبل الموافقة على لقب ملك العرب . لم ينبه هذا حسين باشا وأبناءه . لعب العقيد لورنس Lawrence من أفراد الـBis (وكالة المخابرات البريطانية) ، دورًا سيّئًا . ضرب البدو التابعين لحسين باشا ، الجيش العثماني بصورة مستمرة . وفي هذه الأثناء تمكن الإنكليز من الدخول إلى فلسطين بعد أن مدوا سكة حديدية وخط أنابيب ماء في سيناء، ومن ثم استولوا من العثمانية على غزة (21 / 12 / 1916) ، ثم رفح (9 / 1 / 1917) ، ورغم أن الإنكليز خسروا معركتي غزة : الأولى (26 - 27 / 3 / 1917) والثانية (17 - 19 / 19 / 1917) نظموا جيشهم وبدأوا بالتقدم في فلسطين ، بعد تسلم اللورد اللنبي Lord Allenby القيادة (28 / 6 / 1917) . ضرب قوات حسين باشا الأتراك بصورة مستمرة ، في وضع كهذا ، مزّق الوحدة الإسلامية وأخزاها ، وفرّق بين شعبي العالم الإسلامي الكبيرين لسنوات طويلة . إلاّ أن الفاجعة التي سبّبت برود تركية تجاه العرب وجعلتها تجيب بالرد على طلب سورية المساعدة في كفاحها ضد الفرنسيين هي :

عندما استولت القوات الإنكليزية ـ الفرنسية علي الشام من العثمانية (2 / 10 / 1918) ، أخذت الوحدات التركية المنهزمة تنسحب نحو الشمال . حاصر فيصل ، أحد أبناء الملك حسين ونائب جدّه في المجلس العثماني ، قسمًا من الوحدات التركية في أحد الوديان في الشام . كان بعض الجنود العثمانيين الفارين ، بدون سلاح . مضت أيام ، لم يذوقوا فيها الطعام ، ولاالمنام . استشهد عدد كبير جدًا من الضباط والجنود العثمانيين . ومن المؤكد أن هذه الواقعة الدموية القذرة ، كانت نتيجة تحريض إنكليزي ـ فرنسي . إذ لا نفع فيها للعرب . الجيش العثماني ، كان يترك سوريا .

الشام التي سقطت في (2 / 10 / 1918) ، بيروت (7 / 10 / 1918) ، حلب (26 / 10 / 1918) ، موصل (12 / 11 / 1918) اللواتي سقطن في فترات متقاربة جدًا ؛ هن مراكز إيالات الإمبراطورية العثمانية . استسلم فخر الدين باشا في المدينة بعد مدة طويلة (13 / 1 / 1919) . دافع عن الروضة المطهرة بشرف . كان عسكريًا متدينًا جدًا . أخلى الشهزاده الفريق الأول عثمان فؤاد ، ليبيا بعد الهدنة . استسلمت كذلك الوحدات العثمانية الموجودة في عسير ويمن ولحج . لم تبق للعثمانية صلة بالأقطار العربية . وافقت تركية في معاهدة لوزان (24 / 7 / 1923) بصورة رسمية ؛ على تركها سورية والعراق ولبنان والأردن وفلسطين ، الحجاز والبلاد العربية واليمن ومصر والسودان وتونس وقبرص .

بقي الأمير عبد العزيز آل سعود في نجد مرتبطًا بالعثمانية حتي 1916 . كان يعلم السياسة الإنكليزية بصورة جيدة للغاية . عقد في 1916 اتفاقية مع إنكلترا على أن يكون أميرًا لنجد . لكنه لم يوافق على حماية انكلترا و لم يشهر السلاح على جيوش الخليفة . أصبح ملكًا على نجد . فور انسحاب العثمانية من هذه الأراضي . ثم استولي على الحجاز كذلك من الملك حسين وأسس المملكة العربية السعودية ، انتقلت من دولة إسلامية إلى دولة إسلامية أخرى ، دون أن تقع تحت طائلة استعمار . والمشهور أن الذي دافع عن الحجاز تجاه السعوديين لحساب الملك حسين ، نقيب تركي وملازم أول تركي .

14 – قضية ديوان حرب (مجلس عرفي عسكري) عاليه (1916) :

اتخذ جمال باشا مقره في الشام كقائد للجيش الرابع وبصلاحيات مطلقة . كان صاحب صلاحية مطلقة في كامل أراضي دول سورية ولبنان وإسرائيل والأردن الحالية وفي الحجاز . كان ولاة إيالات حلب وشام وبيروت حجاز ومتصرف القدس ويتسلمون الأوامر من جمال باشا . ألغي لواء دير القمر الصغير الكائن في جبال لبنان والمستقل ذاتيًا . وضع اليد علي أرشيف القنصلية الفرنسية العامة في الشام وأخذ في دراسة الوثائق السرّية . اكتشف بدهشة أن الكثير من رجال الدولة العثمانية الذين هم من الطبقة السورية الراقية ، اسسوا علاقات ، منذ سنوات عديدة ، مع إنكلترا وفرنسا بوجه خاص ، ضد العثمانية وأخذوا منهم المساعدات . قدّم رجال الدولة العثمانية هؤلاء السوريين إلي المجلس العرفي العسكري (بالعثمانية ديوان حرب عرفي) الذي شكلوه في الضاحية الجميلة لبيروت ، عاليه .

توجد في الكتاب المسمي ، **علّية ديوان حرب عرفيسنده تدقيق أولونان مسألة سياسية حقنده إيضاحات ، دوردونجي أوردوي همايون طرفندن نشر ايدلمشدر ، در سعادات 1332** ، نسخ مصورة باللغات الفرنسية ، التركية ، العربية لوثائق كثيرة جدًا . وثائق كاملة لخيانة دولة . يشاهد بوضوح أن الأشراف السوريين الذين تزعمهم محمد شفيق مؤيّد بك آل العظم(*) (1861 – 1916) ، اتفقوا مع فرنسا . طمح شفيق بك ، في أن يكون أميرًا علي سوريا . كلفت فرنسا ، وقتئذ كيجه جي – زاده فؤاد باشا ، وفي 1914 جمال باشا ، أن يكونا خديوًا على سوريا . رفض كل من فؤاد باشا بإباء ، وجمال باشا بازدراء ، والمعلوم أن كليهما صديق لفرنسا وقريب جدًا إلى الثقافة الفرنسية . من الواضح أن فرنسا تريد أن تصنع باي تونس آخر في شرق البحر الأبيض ، وعمومًا فقد نالت قصدها في نهاية الحرب . وفي ضوء ما تقدم ، فإن رأي سوريا الرسمي

(*) إن مؤلف هذا الكتاب من آل العظم من جهة الأم ، وشفيق بك الذي أعدم ، هو قريب المؤلف . جد المؤلف لأمه هو محمد جميل بك آل العظم (إستانبول 1868 – شام 1933) له مؤلفات عديدة عربية وتركية ، حصل علي رتبة ملازم من السلطان عزيز ، عندما كان في سن السابعة من عمره .

الذي يعتبر الذين حوكموا في عاليه مجاهدي الدولة العربية والدولة السورية المستقلين ، رأي غير صحيح . يا ترى ، هل الاستقلال الذي لم يتمكن من تأمينه سلطان فاس بهيبته التي تعود إلي 10 عصنور مضت تجاه الفرنسيين ، سيتمكن من تأمينه أحفاد كميك أوغوللري (بالعربية : آل العظم) بكوات التركمان الذين هاجروا في أواخر العصر 17 من قونيه إلي معّره ، والذين ليس لديهم تاريخ عدا أنهم شغلوا منصب ولاة عثمانيين لمدة طويلة ؟ هل سيتمكن آل العظم باعتبارهم أعلى أشراف سورية ، من تأمين ذلك ؟ هل سيعامل الاستعماريون الفرنسيون ، شفيق بك ، في حالة فصلهم إيّاه من الاتحاد العثماني معاملة متميّزة عما عوملت به السلالات ذات الأصل التركي كآل قاولالي في مصر من قبل الإنكليز ، والحسينيين في تونس من قبل الفرنسيين ؟ .

من هو شفيق بك ؟ هو الابن العاشر لأحمد مؤيد باشا (1800 – 1888) آل العظم وعم صادق مؤيّد باشا (1858 – 1910) العظم ، رغم أنه يصغره بـ 3سنوات . خدم السلطان عبد الحميد 8 سنوات كمترجم في المابين وصار مقربًا له . حصل من البادشاه علي رتبة بالا (رتبة مدنية تعادل رتبة فريق أول) ، وعلى وسام العثماني الأول ، ووسام المجيدي الأول . انفصل عن سراي ييلدز في 1908 ، لكنه دخل في العام نفسه ، مجلس النواب العثماني كنائب للشام وانتخب لدورتين أخريين . عند إعدامه ، كان لا يزال نائبًا للشام . ابن أخيه ، صادق مؤيد باشا ، تخرج في المدرسة الحربية في إستانبول ، كان مرافقًا حربيًا للسلطان حميد ، استعمله في أشد الأعمال سرّية . كان فريقًا أوّل عثمانيًا ومنح كذلك أوسمة العثماني الأول والمجيدي الأول ، هو من الجنرالات الذين قرر السلطان حميد قبل سقوطه بقليل ، ترقيتهم إلي رتبة مشير ، لكنه لم يسعفه الوقت . زوجة شفيق بك ، كانت أرملة الصدر الأعظم جواد باشا . 3 من بنات شفيق بك الـ 4 تزوجن بشبان أتراك من إستانبول . لا يزال أولادهم يعيشون في استانبول . إن شخصًا كهذا ، يسعى للقومية العربية ، شيء يصعب تصديقه . ابن شفيق بك ، واثق مؤيد بك (1880 – 1941) وكيل المندوب فوق العادة للدولة العثمانية في بلغاريا عام 1908 . وفي 1914 ، صار سفيرًا فوق العادة لمدريد . غضب لإعدام والده وتجنّس بالجنسية السورية عام 1919 ، وصار واليًا علي الشام في سوريا ،

وناظرًا للداخلية والمواصلات .

وبناء على قرارات مجلس عاليه العرفي العسكري ، أعدم 20 سوريا ، نصفهم في بيروت والنصف الآخر في الشام أمام الشعب (6 / 5 / 1916) . كان من بين من أعدموا ، أبناء وأحفاد المجاهد الجزائري الكبير الأمير عبد القادر . أكرمت الدولة العثمانية هؤلاء كثيرًا وأسكنتهم في الشام وفي 1916 ، كانت سن علي باشا ، ابن الأمير عبد القادر ، 56 عامًا . منحه السلطان حميد الباشوية . جعله الاتحاديون وكيلاً لرئيس مجلس النواب (المبعوثان) . كتب جمال باشا في مذكراته أن هذا كان ضمن شبكة الخيانة ، وأن مكاتباته مع فرنسا موجودة لديه ، لكنه عفا عنه بسبب عدم رغبته في نكبة عائلة أمير إسلامي بطل كعبد القادر .

إن آل العظم ، هي إحدى عائلات الوزراء العثمانية النموذجية التي قدّمت للدولة العثمانية 25 وزيرًا و 100 باشا تقريبًا . إن عظم – زاده (من عائلة عظم) أسعد باشا – زاده عبد القادر بك (1882 – 1962) ، صهر شفيق بك ، عين متصرفًا (محافظ ولاية) على جناقلعة بعد إعدام والد زوجته . كان متخرجًا في المدرسة الملكية (العلوم السياسية) . وعظم – زاده علي باشا – زاده محمد فوزي باشا (1858 – 1920) هو الشخص الذي جعله السلطان مديرًا لمجلس إدارة سكك حديد الحجاز برتبة الباشوية ، وصار نائبًا عثمانيًا من عام 1911 إلى 1920 . اشترك في وزارة الغازي أحمد مختار باشا ، كناظر للأوقاف ، وقام بوظيفة النائب الأول لرئيس مجلس النواب . ابنه خالد بك ، صار رئيسًا للوزراء في سورية أربع مرات . عابد – زاده عرب أحمد عزت حلو باشا (1850 – 1924) صهر لآل العظم وهو أصلاً من بكوات الأكراد ، كان كاتبًا ثانيًا للمابين (البلاط) في الـ 13 سنة الأخيرة للسلطان عبد الحميد . كان بمرتبة وزير وحاملاً لأعلى 4 أوسمة من أوسمة الإمبراطورية .

كيف يخون بعض من أفراد عائلة كهذه ، دولتهم أثناء استمرار الحرب ؟ إن وراء هذه القضية ، جمعية التشبث الشخصي وعدم المركزية التي أسسها عميل BIS (وكالة المخابرات الإنكليزية) ، سلطان – زاده حقي بك (1860 – 1955) (الذي صار بعد ذلك رئيسًا للوزارة في سوريا ورئيسًا للمجلس مرتين) ، شعبة القاهرة لجمعية الأمير

صباح الدين هذه باسم « لا مركزية » . حكم عليه بالإعدام في مجلس عاليه العرفي العسكري ، لكنه هرب إلى القاهرة ونجا . وصار مساعدًا في علاقات شفيق بك – الذى يستند على فرنسا – مع انكلترا . إن هذه الفعاليات بدأت في أواخر سني السلطان حميد وتكّثفت في 1908 . بينما كان الاتحاد والترقي ، حتى كارثة البلقان في 1913 ، ينتهج سياسة « اتحاد العناصر » فإنه بدأ يبدل هذه السياسة في 1913 بسياسة القومية التركية . وبناء على ذلك ، وبسبب بدء العلاقات السرية مع فرنسا وانكلترا قبل هذا التاريخ ؛ فإن ادعاء بأن مناداتهم بالقومية العربية كان بسبب أن الاتحاد والترقي نادي بالقومية التركية ، يعد غير صحيح تحت ظروف تلك السنين . كانت هنالك دولة إسلامية ، وكانت هذه الدولة ، هي الإمبراطورية العثمانية. أعطي الاتحاديون ، لمحمود شوكت باشا وسعيد حليم باشا المعروفين بأنهما من أصل عربي أعلى منصب في الدولة ، أعطوهما الصدارة . لم يبدر من الاتحاديين ، أي شعور بعدم الاحترام تجاه العروبة ، القوم العربي ، شعبه ، دينه ، ثقافته . هم فقط ، لم يتمكنوا من إدارة الدولة والسياسة كالسلطان عبد الحميد . لقد ولدت عدم كفاءتهم ، أضرارًا وكوارث كبيرة ، لكن القدر الأكبر من هذه الكوارث لم يصب رعايا الإمبراطورية العرب بالأصل ، بل أصاب مواطنيهم الأتراك . الاتحاديون لم يتمكنوا من إدراك التوازن الخارق للعادة لسياسة عبد الحميد الثاني في الاتحاد الإسلامي – الاتحاد التركي – الاتحاد العثماني التي تبدو وكأنها غير متوافقة إذا لم ينظر إليها من نقاط الاتفاق وليس من نقاط التناقض بالنسبة إلي عبد الحميد الثاني ، فإن الشعور القومي للشعوب الإسلامية ، كان مفيدًا للإسلام ، شرط ألا يضر بالاتحاد الإسلامي . إذ أن الأقوام التي ليس لديها شعور قومي ، كانت قد سّيرت الدين الإسلامي دين مستعمرات . الأقوام الحّية ، كان بإمكانها أن تكسب الإسلام عظمته السابقة . هكذا فهم السلطان حميد القضية وهكذا وضعها في إطار أن الشعور القومي فقط ، هو الذي بقي على قيد الحياة كقدرة سياسية حقيقية للإسلام في ذلك العصر ويجب الاّ يكون هذا الشعور عاملاً لإضعاف الدولة العثمانية التي تتولي الخلافة الإسلامية . كأن يفهم أن الواجب أن يكونوا قوميين تجاه أوروبا ، أما إيقاد الشعور القومي ، بتحريك من الدول الأوروبية ، فقد كان هذا ، هو أشد ما يثير نفور السلطان حميد ؛ فالأوروبيون لن يستحسنوا الشعور القومي في أي قطر إسلامي ، لكنهم

سوف يستغلونه لمآربهم .

والواقع أن الحركة القومية في الشعوب الإسلامية ، المضادة للعثمانية ، والمضادة للوحدة الإسلامية ، والمسايرة لرغبات الدول الاستعمارية ، بدأت في دور عبد الحميد الثاني . بدأت بين الألبان والعرب ، حقيقة ، إنها كانت وقائع فردية وحصيلة محاولات أفراد ، لكنها كانت موجودة . وبناء على ذلك ، فإن الذين قدّموا إلى مجلس عاليه العرفي العسكري ، هم أيضاً ، كالذين اتبعوا حسين باشا ؛ سلكوا هذا الطريق نتيجة سياسة الاتحاديين السقيمة ، وقد كان ادعاء أخذهم الدراهم من إنكلترا وفرنسا ، ادعاء كاذبًا .

ومما لا شك فيه ، أن للمسألة وجهة أخرى وهي وجهة جمال باشا . إذ إنه حتى علي فؤاد بك (أردن باشا) الذي كان وقتئذ رئيسًا لأركان جيش جمال باشا وارتقى بعدها إلي رتبة فريق أول ، يتهم قائده بالضغط على محكمة عاليه والتأثير عليها بأوامره لإصدار أحكام بالإعدام لا داعى لها . أما فالح رفقي آتاي ، الأديب والصحفي التركي الشهير الذي كان يقوم بوظيفة ضابط خدمة لجمال باشا ، فإنه يدافع عن الباشا بقوله إن الذين أعدموا هم عملاء أجراء للدول الأجنبية . موظفون كبار ، خانوا الدولة لمصالحهم الشخصية . أي الرأيين هو الصائب ؟ يجوز الدفاع عن كليهما . لأنهما مسألة اجتهاد في سياسة الحرب . جمال باشا ، كان عسكريًا شديدًا . وهولم يسع لأحكام إعدام لعداء نحو العرب ، فجمال باشا نفسه ، ألف قبل 7 سنوات في أدنه مجلسًا عرفيًا عسكريًا أعدم فيه الكثير من أشراف أدنه بتهمة قتلهم الأرمن بلا داع ، في الوقت الذي كان فيه الأرمن يقومون بعصيان مسلح . إذن ، فإن الادعاء القائل بأن جمال باشا عمل ذلك لعداء نحو العرب ليس صحيحًا بأي حال من الأحوال . من الواضح أنه استهدف بذلك سياسة الشدة خلال الحرب للحيلولة دون ظهور حركات داخلية مماثلة . وإذا كان القرار الذي اتخذه غير صائب وغير سياسي وظالما ، فمسئوليته تعود إلى جمال باشا . كان الصدر الأعظم سعيد حليم باشا ، قد أعلم جمال باشا ، بأن خيانة الذين قدموا إلى المحكمة ثابتة ، وأنه لا يعترض على ذلك ، لكن يجب ألا يصدر أحكام إعدام ، ويكتفي بوضعهم في بيوتهم تحت المراقبة ، وفي عكس ذلك ، فإنه سيتيح لإنكلترا وفرنسا الدعاية بأن ذلك نتيجة ظلم الأتراك تجاه العرب . وهذا ما حدث

بالفعل . لأن إدارة الدولة لم تكن بيد مرجعها الطبيعي الصدر الأعظم ، كانت بيد الثلاثي . أقنع جمال باشا ، عضوي الثلاثي الآخرين أنور باشا وناظر الداخلية طلعت بك ونفذ الإعدام . كان الثلاثي الذي جرد الخاقان – الخليفة والبرلمان الصدر الأعظم والحكومة من صلاحياتهم ، قد كبّد الدولة والأتراك أضرارًا كبيرة جدًا . ويقع الآن على العرب نصيبهم من هذا الضرر . هذا هو التحليل الصحيح وغير المنحاز . وإضافة إلى ذلك أن جعل هذه المسألة مسألة عداء عربي – تركي ، هوخطأ تاريخي ، فإن هذه هي بعينها النظرة الاستعمارية الرسمية التي لقنتها فرنسا لسوريا . من الواضح أن آل العظم ، لم يلقوا في دور المشروطية ، العطف والإكرام – الذي ذكر قسم منه آنفًا – الذي لقوه من عبد الحميد الثاني . لكنهم صاروا كذلك نوابًا ونظّارًا . إن فعالياتهم ضد دولتهم بسبب فقدانهم العطف السابق ، هو بلا شك ، ليس أكثر من قضية حساب شخصي ولا تسمح أية دولة بذلك . وعمومًا ، فإن الذين كانوا ينصبون شراكهم في عهد السلطان حميد ، على معارضي هذا النظام ، حاولوا التقرب في دور المشروطية إلى الذين حرموا من نعم النظام السابق . إن فعاليات المكتب الفرنسي الثاني ، أصبحت عالمية كفعاليات (British Intelligence Serivice) .

وأخيرًا ، صارت الأقطار العربية التي كانت أقسامًا من الإمبراطورية العثمانية متساوية الحقوق وأقطارًا عربية مستعمرة . لم تكن في الدولة العثمانية تفرقة الوطن الأم – مستعمرة كما هي الحال في الدول الاستعمارية . ولو كان كذلك ، لكانت الامبراطورية أكثر مقاومة ، وأطول عمرًا وأكبر اتساعًا ولما تلف العنصر التركي إلى هذه الدرجة . إن دعايات الدول الاستعمارية للأقوام التي تجهل التاريخ ، حول معيشتهم حياة استعمار في الإمبراطورية العثمانية ، مضحكة وباطلة . ومع الأسف ، إنها خدعت أقوامًا كثيرة ، وأقطارًا كثيرة انفصلت عن العثمانية ومزقت الاتحاد الإسلامي إربًا إربًا . وهذه كانت الغاية . كان تركيز هذه الدول في الأقطار المنفصلة عن العثمانية على الشعور بالنقص ، واتهامها إياهم بأنهم استعمروا هذه الأقطار لعصور طويلة إنما لكي تبرر استعمارها هي ، وبالإضافة إلى ذلك فإنها كانت تريد وقف الأتراك الشعب العسكري المسلم وذلك ببذر بذور العداء ضد الأتراك .

ورغم هذه الحقائق ، فإن مناقشة مسئولية ضغط جمال باشا ، في مجلس عاليه العرفي

العسكري ـــ على الحكام العسكريين الذين أرادوا إصدار حكم بإعدام 4 أو 5 أشخاص وإصدار أحكام دون ذلك على الآخرين ، وحصوله على 20 قرارا بحكم الإعدام وتنفيذه الحكم فيهم جميعًا ـــ مفتوحة . إن الحقيقة التاريخية الناصعة ، إلى الدرجة التي لا يدور حولها نقاش هي ، عرض هذه الحادثة القبيحة ، وإظهارها كأنها مظالم الأتراك تجاه العرب .

15 – موقع الحرب العالمية الأولى في التاريخ العالمي :

لتوضيح ما نراه من أن الحرب العالمية الأولى هي أهم حادثة في تاريخ العالم كله . نقول إن الحرب العالمية الثانية . كانت أكثر دموية وقد أسفرت عن مخترعات كالذرة وجلبت النظام الشيوعي إلي قسم مهم من العالم وأمنت استقلال أقطار كثيرةجدًا . إلاّ إن التجديدات التي أحدثتها في النظام العالمي ليست أكثر مما أحدثته الحرب العالمية الأولي .

إن المحدثات التي أحدثتها في المجال العسكري ، والحرب والانقلابات ، خارج نطاق موضوعنا . الذي يهمنا أساسًا هو المعطيات في المجال السياسي والاجتماعي ؛ وفي هذا الصدد فإننا نشير إلى النقاط التالية .

كان النظام العالمي السائد حتى 1918 ، هو نظام السلطنة والملكية . كانت الجمهورية ، نظام قارة لا ماضي لها كأمريكا . حيث إن بقية الدولة في قارة أمريكا ، إذا استثنينا الدول المتحدة التي أسست عام 1776 ، ـــ تشكلت جميعها في العصر 19 . كانت الجمهورية الحقيقية في أوروبا ، هي سويسرا فقط ؛ استتب نظام الجمهورية في فرنسا بصعوبة ، وكان له كثير من المعارضين . الجمهورية كانت مجهولة في آسيا . في الواقع ، شوهد إعلان الجمهورية في البرتغال والصين في السنوات التي سبقت الحرب العالمية ، لكنها كانت حوادث عارضة . أما في 1918 ، فقد انقرضت سلالات عظيمة جدًا ، تاريخها يشكل التاريخ الكلّي للدول التي كان يعتقد أنها لن تنهار : بنو عثمان في تركيا ، عائلة Hohenzollern في ألمانيا . عائلة Habsburg في النمسا و عائلة Romanov في روسيا . ومن بين الدول المغلوبة ، تمكنت الدولة المحلية بلغاريا فقط ، من الحفاظ علي الملكية . عملت الدول الغالبة ما أمكنها للإقلال من شأن الملكية لدى الدول المغلوبة . كانوا يظنون ، أنهم بذلك سيتمكنون من قطع علاقة تلك الدولة بالتاريخ ،

وسيمكنهم إضعافها ، لكنهم بهذا أوقدوا الشعور بقوميتهم . وهيئوا ــ دون رغبة منهم ــ الوسط الملائم لظهور دول أقوى شعورًا بالقومية ، أقوى وطنية ، أكثر تجانسًا ، أكثر مركزية في الحكم .

إن الفترة خلال الحربين (1918 – 1939) تشكل الذروة في الدكتاتورية الشخصية في العالم . من الصحيح أن الدول المرتبطة بالديمقراطية ، إنكلترا ، فرنسا ، إيطاليا ، أمريكا ، كسبت الحرب ، لكنهم لم يتمكنوا من نشر الديمقراطية ، النظام الأقل من حيث المحاذير الذي عثرت عليه الإنسانية حتى يومنا هذا . الديمقراطية ، أصبحت كنظام محلّي للدول الغربية . الحقيقة أن حب الديمقراطية لم ينطفيء . لكنه لم يتطور إلى المدى المنتظر . فشلت تجارب الديمقراطية في دول كألمانيا ، إيطاليا ، أسبانيا . وولدت دكتاتوريات قاسية عدوة للشيوعية والديمقراطية في نفس الوقت . إن قطرًا كألمانيا ، يعيش فيه أرقى مجتمع في العالم ثقافة وصناعة ، انتقل إلى سيطرة شخص واحد بشكل لا يصدق . إن هذه الإدارات الشخصية ، كانت دموية ودموية جدًا في ألمانيا وفي روسيا . على وجه الخصوص . أسبانيا سقطت بشكل لا يصدق في مستنقع حرب أخرى خلال العصر 20 ، بسبب رغبة الشيوعية في وضع يدها عليها . وفي روسيا ، عرض لينين وخلفه ستالين ، نظامها ، كدولة شيوعية وحيدة في العالم . أما دكتاتوريو اليمين ، فكانوا كثيرين جدًا . نبعوا تقريبًا في كل قطر لا ديمقراطية فيه . السلطة ، انحصرت في شخص واحد بشكل لم يسبق أن شهده تاريخ العالم أبدًا . إن بعض هؤلاء ، سفكوا الدماء بشكل لا يمكن أن يتخيله أكبر مستبد يمكن أن يخطر على البال في التاريخ .

بناء على ذلك ، فالحرب العالمية الأولى لم تقم بحل أي شيء . وبقيت كمحاولة انتحارية للمدنية الأوروبية . وفي المحاولة الثانية ، كانت القارة قد فقدت ثقلها الذي دام عصرين .

كانت انكلترا هي المتصرة عالميًا في الحرب . وضعت يدها مجددًا على أقطار كبيرة . امتدت إلى ساحات واسعة (الإمبراطورية في (1925) بلغت 158 956 34 كم^2 ونفوسها 000 345 481 نسمة. (فرنسا كذلك استعمرت (353 530 12 كم^2 و 000 852 99 نسمة) . تقلصت ألمانيا (284 471 كم^2 و 000 367 63 نسمة) . الولايات الأمريكية المتحدة ،

أصبحت دولة رفاهية (253 700 9 كم² و 000 214 127 نسمة) اتسعت اليابان (682 258 كم² و 000 846 84 نسمة) . تقلصت روسيا 400 087 22 كم² و 000 493 145 نسمة) . وصلت إيطاليا إلى حدودها الطبيعية (302 698 2 كم² و 000 512 42 نسمة) . أصبحت الصين نصف مستعمرة لليابان (776 957 9 كم² و000 212 447 نسمة) . البرازيل (844 513 8 كم² و 000 871 34 نسمة) ، والدول كأسبانيا (565 836 كم² و000 717 23 نسمة) ، وهولندا (530 080 2 كم² و 000 530 58 نسمة) ، وبولونيا (930 388 كم² و 000 177 27 نسمة) حاولت أن يكون لها دور مع الدول العظمى .

صعد الاستعمار إلى قمته . الدول المستقلة الوحيدة في أفريقيا ، كانت ليبيا . الدول الآسيوية كانت ، تركيا وإيران والأفغان والصين واليابان وسيام ، العربية السعودية ، اليمن . وقسم منها (مثل الصين والأفغان) لم يكن قد تخلص تمامًا من سيطرة الاستعماريين ؛ ويمكن إضافة مصر إلى هذه الدول . كانت فترة حكم الدول الأوروبية لأفريقيا وآسيا .

استبدلت الثروة مالكيها . القسم الأعظم من العائلات القديمة ، فقد ثروته . انتقلت هذه الثروات إلى أيادي أشخاص جدد . وبانهيار أنظمة يعود تاريخها إلى عصور ، حدثت تغييرات كبيرة في العرف والعادات والأخلاق . ترك قسم كبير من التراث والعادات ، بل وضعف الشعور الديني . وبناء على ذلك يكون وصف ، كيسنجر Kissinger للحرب العالمية الأولى بقوله « أكبر جناية ، أكبر ذنب إنساني قضى على التوازن والتناسق الدولي» وصفًا في محله.

العثمانية ، أدخلت رأسها في هذا الجحيم دون دراية . شهدت الأناضول الاستيلاء لأول مرة منذ 700 عام (استيلاء تيمور ، هو استيلاء قوم مسلم تركي آخر) ولأنها كانت بمثابة مانعة الصواعق للإسلام ، تفيّأت أوروبا بما تملك من سموم حقدها علي تركيا وكانت إنكلترا في المقدمة في هذا الشأن . تلفظ اللورد اللنبي Lord Allenby ، عند احتلاله القدس من الأتراك ، هذه الجملة التاريخية : « اختتمت الحروب الصليبية اليوم بالنصر » إن إنكلترا التي كانت في حينها تصر على أن الدولة العثمانية عنصر لا يستغني عنه من عناصر التوازن في أوروبا ، أطالت الحرب لسنتين أخريين في محاولتها لإفناء

العثمانية ، وتكبدت خسائر يصعب تلافيها . هكذا يكتب Lawrence of Arabia Richard Aldongton ، لندن 1955 ، ص 138 : Aldongton ، لندن With conciderable » 138 aid From the Russions and some from the French, the British Government expended 750.000.000 pounds, passed welle over a million troops in all through that war area, and took four years to defeat this « very very siok » Turkey »

وبمساعدة الروس وأيضًا الفرنسيين ، ساقت الحكومة الإنكليزية تجاه تركية فقط أكثر من مليون جندي ، وللانتصار على تركيا التي قيل عنها إنها مريضة إلى هذا الحد ، حاربت 4 سنوات وصرفت 750 مليون جنيه (ذهب) (استرليني) .ويفيد (World History William Langer ، لندن 1948 ، ص 951 ب) ، إن المصروفات العسكرية في الحرب العالمية الأولي بلغت 332 مليار دولار ذهبي ، والأضرار التي حصلت والثروات التي فقدت ، لا يمكن حسابها .

16 ـ وفاة السلطان محمد رشاد خان الخامس (4 / 7 / 1918) :

توفي السلطان رشاد ، بعد وفاة أخيه الكبير عبد الحميد الثاني بـ 4 أشهر ، و 23 يومًا (4 / 7 / 1918) . في الأشهر الأخيرة للحرب العالمية . كانت سنّه تتجاوز الـ 73 عامًا بـ 8 أشهر ويوم واحد . عاش أقل من أخيه الكبير بسنتين . دفن في أيوب سلطان في قبره المشيد من المرمر . دامت سلطنته 9 سنوات وشهرين و6 أيام . له 3 أبناء فقط ، عدا ابنته رفيعة التي توفيت في اليوم نفسه من عام 1888 :

1 ـ محمد ضياء الدين أفندي (26 / 8 / 1873 ـ 30 / 1 / 1938) : كان ولي العهد الثاني عند تركه تركية (1924) . وفي الـ 9 أشهر الأخيرة له ، كان الرئيس الثاني للسلالة . طبيب أخصائي في الأمراض الجلدية ، عازف علي القانون ، ملحن متخرج في المدرسة الطبية والحربية ، كانت رتبته فريق أول ، أولاده : ١ ـ السلطانة بهيّة (8 / 11 / 1900 ـ 1950) ، زيجاتها حسب التسلسل ، طلقت من داماد الأمير قاوالالي عمر حليم بك أفندي ابن الصدر الأعظم سعيد حليم باشا دون أن يحصل الزفاف ، ثم بزواج عرفي من جمال الدين بك ابن أخي الفريق الأول كرميان أوغلو زلفى إسماعيل باشا ، انفصلت عنه وتزوجت الدكتور داماد حافظ زكي أفندي رئيس أطباء

الملك فؤاد الأول ، ولدت من الثاني ، رشاد بك (1930) ومن الثالث رشيد بك أفندي (1936) . 2 ـ السلطانة درية (3 / 8 / 1905 ـ 15 / 7 / 1922) تزوجت بالسلطان زاده داماد محمد جاهد بك أفندي الذي هو ابن السلطانة نعيمة ابنة السلطان عبد الحميد الثاني وابن غازي عثمان باشا ـ زاده كمال الدين باشا . 3 ـ السلطانة رقيّة (11 / 10 / 1906 ـ 20 / 2 / 1927) ، تزوجت بداماد عبد الباقي إحسان بك أفندي الضابط وابن الفريق الأول عبد الكريم باشا وولدت الخانم ـ سلطان أمل نور جهان (1926) . 4 ـ السلطانة خيرية (16 / 2 / 1908 ـ 5 / 3 / 1943 لم تتزوج . 5 ـ السلطانة لطفيّة (20 / 4 / 1910) ، تزوجت بكمال باشا ـ زاده داماد حسن بك أفندي وولدت أحمد بك أفدي (1933) ، رشاد بك أفندي (1934) ، الخانم ـ سلطان بربزادة (1936) . 6 ـ محمد ناظم أفندي (26 / 10 / 1910 ـ 14 / 11 / 1984) ، أبناء هذا : جنكيز أفندي (1942) ، حسن أفندي (1946) ، ضياء الدين أفندي (1948) 7 ـ عمر فوزى أفندي (13 / 11 / 1912) ، تزوج بمقدّس خانم ـ أفندي من فرع يكنلر من سلالة قاوالايلر . 8 ـ السلطانة مهرماه (2 / 1923) زوجها داماد الأمير نائف بك أفندي (1915) ، أولاده الأمير عاصم بك أفندي والأمير علي بك أفندي ؛ الأمير نايف ، ابن مالك الأردن عبد الله .

2 ـ محمود نجم الدين أفندي (23 / 6 / 1878 ـ 27 / 6 / 1913) : عند وفاته في عهد سلطنة أبيه ، كان الوريث الـ 11 للعرش ، لم يتزوج .

3 ـ عمر حلمي أفندي (2 / 3 / 1886 ـ 2 / 11 / 1935) : ابنته ، هي السلطانة أمينة مقبلة (30 / 12 / 1911) وابنه هو محمود نامق أفندي (25 / 2 / 1914 ـ 1965) . السلطانة مقبلة تزوجت علي واصب أفندي ، رئيس بني عثمان منذ عام 1978 (انظر فصل عائلة مراد الخامس) . نامق أفندي ، تزوج شهرزاد خانم ـ أفندي وهي ابنة أميرة من عائلة قاوالالي . أولاده شهرزاده عبد العزيز عمر أفندي (ك 1 / 1941) .

17 ـ جلوس السلطان محمد وحيد الدين السادس (1918/7/4) :

هو أصغر أبناء السلطان عبد الحميد الذي اعتلى العرش بلقب « محمد السادس » والذي يسميه الشعب « السلطان وحيد الدين » . عند جلوس السلطان رشاد علي العرش ، كان يوسف عز الدين أفندي الابن الأكبر للسلطان عزيز وليا للعهد ، استمرت ولايته للعهد 6 سنوات و 9 أشهر و 4 أيام . قتل بسبب انتقاداته المستمرة حول

استعمال الجيش التركي في الجبهات المختلفة ، والتفريط في الجيش خارج القواعد العسكرية الوطنية ، وأيضا إلقائه المسئولية علي مدحت باشا وعدم اكتراثه بالتنبيهات ، تم تصوير قتله علي أنه انتحار ، واعتبرت المسألة منتهية بهدوء خلال الحرب (1 / 2 / 1916 . صار ولي العهد بدلاً منه ابن عمه وحيد الدين أفندي . ولو استمرت سلطة الاتحاد والترقي ، خلال عهده ، لما كان لهذا البادشاه مستقبل ؛ حيث إنه كان عدوًا كبيرًا للاتحاد والترقي بين بني عثمان وكان مؤمنًا أشد الإيمان بأن هذا الحزب قد هدم الدولة .

والدة السلطان وحيد الدين هي كوليستو (كلستان) قادين أفندي (زوجة السلطان) الرابعة (1831 – آيّار 1861) كانت قد توفيت منذ مدة طويلة ، وهي أيضًا والدة السلطانة مديحة زوجة الصدرالأعظم داماد فريد باشا . جلس السلطان وحيد الدين علي العرش وعمره 57.5 عام بعد سنتين ، 5 أشهر ، ويومين من قيامه بواجب ولاية العهد . كان عازفًا علي البيانو ملحنًا قديرًا في الموسيقي التركية ، حقوقيًا . كان يحمل رتبة ماريشال الإمبراطورية الألمانية ورتبة مشير عثماني . زار ألمانيا والنمسا عندما كان وليًا للعهد ، اشترك في زيارته هذه اللواء مصطفي كمال باشا (أتاتورك) كمرافق فخري ، وعند اعتلائه العرش ، استمر في مرافقته الفخرية . قلّد السلطان وحيد الدين سيف عمر (رضي الله عنه) من قبل الشيخ أحمد الشريف السنوسي ومحمد بهاء الدين ولد (ايزبوداق) جلبي ، بصورة مشتركة .

صدور عظام دور السلطان وحيد الدين هم : محمد طلعت باشا (4 / 2 / 1917) ، أحمد توفيق باشا (11 / 11 / 1918) ، داماد فريد باشا (4 / 3 / 1919) ، علي رضا باشا (2 / 10 / 1919) ، خلوصي صالح باشا (8 / 3 / 1920) ، داماد محمد فريد باشا (5 / 4 / 1920) ، أحمد توفيق باشا (21 / 10 / 1920 – 4 / 11 / 1922) . بقي فريد باشا في السلطة خلال حكوماته الخمس التي ألفها ، مدة 1 سنة ، 1 شهر ، 15 يومًا . أما مجموع صدارات توفيق باشا الأربعة فتبلغ سنتين ، 4 أشهر ، 28 يومًا . صار طلعت باشا صدرًا أعظم لمدة سنتين ، 8 أشهر ، 8 أيام وكان هو الصدر الأعظم الأخير للسلطان رشاد والأول للسلطان وحيد الدين .

شيوخ إسلام دور السلطان وحيد الدين وآخر شيوخ إسلام الدولة العثمانية هم موسي كاظم أفندي للمرة الثانية (8 / 5 / 1916) . داغستانلي عمر خلوصي أفندي (14 / 10 / 1918) ، حيدري - زاده إبراهيم أفندي (11 / 11 / 1918) ، مصطفي صبري أفندي (4 / 3 / 1919) ، حيدري - زاده إبراهيم أفندي للمرة الثانية (2 / 10 / 1919) ، درّي - زاده عبد الله أفندي (5 / 4 / 1920) ، مصطفي صبري أفندي للمرة الثانية (31 / 7 / 1920) ، مدني محمد نوري أفندي (26 / 9 / 1920 - 4 / 11 / 1922) . كان مصطفي صبري أفندي ، رئيسًا لحزب الحرية والائتلاف ومعارضًا كبيرًا للاتحاديين . إن (تعيين الائتلافيين ، رجال العلمية المنتسبين للحزب في هذا المنصب الرفيع ، كالاتحاديين ، قد حط من شأن مقام المشيخة بشكل كبير .

تركت الدولة العثمانية الحرب ، بمهادنة Mondros (30 / 10 / 1918) قبل مضي 4 أشهر علي جلوس السلطان وحيد الدين . أثبت الإنكليز ، باحتلالهم مدينة الموصل (4 / 11/ 1918) بعد الهدنة وقبل جفاف-حبر الاتفاقية ، بأنهم لن يلتزموا أبدًا بأحكام هذه الاتفاقية . وبموجب الاتفاقية ، فتح مضيق جناقلعه وجاء أسطول حليف إلي استانبول (12 / 11 / 1918) ورست السفن موجهة مدافعها نحو سراي دولمه بقجه ويلدز . بلغ ضغط الإنكليز علي الباب العالي حده الأقصي باحتلال الحلفاء (الإنكليز - الفرنسيين - الإيطاليين) استانبول بشكل بشع ومناف لاتفاق الهدنة (16 / 3 / 1920) ، وبتفريق مجلس النواب بالرماح ونفي نواب كثيرين إلى مالطة . انضم النواب الذين تمكنوا من الهرب إلى الذين انتخبوا حديثًا واجتمعوا في أنقرة بشكل « توركية بيوك ملت مجلسي » (المجلس الوطني التركي الكبير » (23 / 4 / 1920) . انتخبوا مصطفي كمال باشا رئيسًا للمجلس . قام هذا المجلس بإدارة الحرب مع الأرمن في الشرق أولاً والفرنسيين في الجنوب ، ومن ثم مع اليونانيين في الغرب . إن سياسة رئيس وزراء إنكلترا LloydGeorge السقيمة ، كإنزاله جنودا يونانيين في أزمير ، الأمر الذي سبب استمرار تركية في القتال 4 سنوات أخرى بعد الحرب العالمية الأولى . أملى الحلفاء معاهدات الصلح التي أرادوها على ألمانيا المغلوبة والنمسا والمجر وبلغاريا ، وتمكنوا من إجبارهم على قبول شروطهم الصعبة جدا . أما معاهدة سيفر فإنه بالرغم من توقيعها من قبل مفوضين عن العثمانية ، فإن البادشاه لم يوقع عليها . وعند عدم تصديق البادشاه عليها ، امتنعت عن تصديقها مجالس رؤساء دول ، الدول الحليفة . المجلس الوطني التركي كذلك ، لم يصادق مؤأساسا ، فإن السلطة الحقيقية في تركيا والجيش منذ 1920 ، كانت تحت إدارة أنقرة . لم يتمكنوا

من إجبار استانبول وأنقره علي قبول معاهدة سيفر ، رغم تعديلهم بعض بنودها . بقيت معاهدة سيفر كوثيقة تاريخية ، لم تطبق في أي وقت من الأوقات ، شاهدة علي ما يمكن أن تحكم به الدول الإمبريالية الأوروبية علي الدول المغلوبة وبخاصة إن كان هذا المغلوب مسلمًا وعلي وجه أخص إذا كان تركيًا .

18 – إلغاء السلطنة (1 / 11 / 1922) :

المغلوب الوحيد الذي لم تتمكن الدول الغالبة ، في نهاية الحرب العالمية الأولي ، من إجباره علي قبول معاهدة ، كان تركية . وقد سجل التاريخ أن القطر الإسلامي الوحيد الذي لم يذق طعم الاستعمار في أي وقت من الأوقات خلال تاريخه ، هو تركيا أيضًا .

ألغى المجلس الوطني التركي الكبير ، السلطنة (1 / 11 / 1922) . إن فكرة عدم إمكان عقد الصلح بأقل ضرر ممكن ، إلاَّ بتأسيس علاقات حسنة مع المنتصر الأول في العالم ، إنجلترا. إنما ألقاها في روع السلطان وحيد الدين ، زوج أخته ، الوزير عديم العقل داماد فريد باشا ؛ أصبحت هذه الفكرة عقيما علي إثر نجاح حكومة أنقره ، وإلقاء الأعداء في أزمير في البحر (9 / 9 / 1922) . لم يعترض المجلس الوطني، حتى هذا التاريخ ، على صفات البادشاه – الخليفة ، ورفع شعار إنقاذ الخاقان من إسار العدو ، كأحد أهداف الكفاح الوطني . لكن القائد العام المنتصر المشير الغازي مصطفى كمال باشا ، كان يريد الجمهورية . اعترض رئيس الوزراء رءوف (أورباي) بك ، لأسباب هي : إن حدوث الصراع السياسي في مقام عال كرئاسة الدولة ، أمر مضر . من الطبيعي أن يكون رئيس الجمهورية عضوًا أو مؤيدًا لحزب . أما الحاكم فليس كذلك ، فهوحيادي تام ، إذ إنه ليس بحاجة لمساندة أي حزب لأجل انتخابه . وعدا ذلك ، فإن الشعب التركي ، يؤمن فقط بمقام أو شخص سام جدًا ، في القضايا ذات الخطورة البالغة . ويحتمل ألا يتمكن رؤساء الجمهوريات المتعاقبون من توفير هذا الإيمان . ومن المحتمل أيضًا أن يأتي لرئاسة الدولة ، شخص ليس بوسعه تمثيل الشعب بصورة تامة أي من جميع الوجوه . ومن المؤكد أن السد المنيع لنظام اليسار المتطرف والأخطار ، هو النظام الملكي والسلطاني ، لا توجد ملكية يسارية . لكن وجهة النظر هذه لم تقبل .

وعلى هذا يبقي السلطان وحيد الدين بصفته خليفة فقط . وبسبب عدم رضائه عن إسقاط صفة الخاقانية (السلطنة) عنه وكذلك خشية من احتمال تعرضه بعد الآن لإذلال أشد ، ترك استانبول (18 / 11 / 1922) (إن عملية خطف الصحفي الشهير ، أحد نظّار عهد الهدنة ، علي كمال بك قبل فترة وجيزة ، وجلبه إلى أزمير وقيام الشعب بقتله ، تأتي على رأس التطورات التي أخافت البادشاه) .

دامت سلطنة السلطان وحيد الدين 4 سنوات ، 4 أشهر ، 15 يومًا . كان عمره يناهز الـ 62 عامًا . مر علي مالطة ، حجاز ، مصر وسكن في سان روميو في إيطاليا . عاش بعد مغادرته إستانبول مدة 3 سنوات ، 5 أشهر ، 28 يومًا . أصبح أيضًا رئيسًا للسلالة ، بعد إلغاء الخلافة إلي أن مات بعد سنتين ، 3 أشهر ، 14 يومًا . توفي في سان روميو وسنه تتجاوز الـ 65 عامًا بـ 3 أشهر ، 13 يومًا (16 / 5 / 1926) . نقل جثمانه إلي الشام ودفن في حديقة مسجد ياووز سلطان سليم . كانت له ابنتان ، عدا السلطانة منيرة التي ولدت وماتت عام 1888 ومحمد أرطغرل أفندي الذي توفي دون أن يتزوج .

السلطانة فاطمة علويّة (12 / 9 / 1892 – 25 / 1 / 1967) ، تزوجت أولاً (1916 – 1922) داماد إسماعيل حقي (أوكداي) بك أفندي (1881 – 1977) . طلعت وتزوجت داماد علي حيدر (كرميان أوغلو) بك أفندي في (1923) ولد من زيجتها الأولى سعادة حميراء خانم ــ سلطان 1917 . إسماعيل حقي بك ، الابن الكبير للصدر الأعظم توفيق باشا ، صار عقيد ركن وقنصلاً عامًا ينحدر من خانات قرم . علي حيدر بك ، هو ابن الفريق الأول زلفي إسماعيل باشا (1857 – 1925) الذي هو ابن حفيد سلاحدار علي باشا (1772 – 1829) أحد صدور أعظم دور محمود الثاني .

البنت الصغرى للسلطان وحيد الدين هي رقيّة صبيحة (1 / 4 / 1894 – 26 / 8 / 1971) . تزوجت (29 / 4 / 1920) بالشهزاده عمر فاروق أفندي (29 / 2 / 1898 – 28 / 3 / 1969) ابن عبد المجيد الثاني ثم طلقت (ك 2 / 1948) . وبشأن بناته السلطانات الـ 3 سيأتي ذكرهن عند الحديث عن أولاد عبد المجيد الثاني .

19 – خلافة عبد المجيد الثاني (18 / 11 / 1922) ونهاية بني عثمان بإلغاء الخلافة (3 / 3 / 1924)

عبد المجيد الثاني ، هو الابن الأوسط للسلطان عبد العزيز (1861 – 1876) .

والدته ، حيران دل قادين أفندي (زوجة السلطان) الثانية (2 / 11 / 1846 – 26 / 11 / 1895) وهي أيضًا والدة السلطانة ناضمة (1866 – 1947) . إن عبد المجيد الثاني الذي صار خليفة بلقب « عبد المجيد أفندي » ، كان وليًا للعهد طوال سلطنة السلطان وحيد الدين . كانت رتبته فريق أول . كان ملحنًا في الموسيقي الغربية ، عازفًا علي البيانو ، عازفًا علي الكمان ، شاعرًا ، خطاطًا ، نحّاتًا ، رسّامًا ومؤلفًا . أكثر بني عثمان تقدمًا في مجال الموسيقي والرسم . له 300 لوحة ، تعد ذات قيمة كبيرة وتعرض في المتاحف . كان قد تعلم بصورة جيدة 6 لغات شرقية وغربية . وفي عهد السلطان حميد ، كان وريث العرش الخامس إلي أن بلغت سنه الـ 37 عامًا . انشغل بهذه الأعمال ، لأن الشهزادات (أبناء السلاطين) كانوا تحت ضبط صارم . وفي عهد المشروطية ، أخذ يتجول بين الشعب ، كما كان يعمل في حينه ابن عمه مراد الخامس . أفرط في هذه الخصوص وزاد عليه أيضًا في هذا الشأن الابن الكبير للسلطان رشاد ، ضياء الدين أفندي . استغرب الشعب . لم تنشر مذكراته المخطوطة والتي تكون 12 مجلّدًا ، والمحفوظة لدي ابنته . قام أثناء ولايته للعهد بفعاليات واسعة . أيد في البداية أنقرة ، وعندما شعر بعد ذلك باتجاه مصطفي كمال باشا نحو الجمهورية ، بقي علي الحياد التام بين استانبول وأنقره .

اعتلى مقام الخلافة وعمره 5 . 54 . احتفل بجلوسه بقبول البيعة على العرش الذهبي الذي أخرج إلي فناء جناح البردة الشريفة في سراي طوب قابو يوم 24 ت 2 . خرج في اليوم نفسه ، إلي صالة استقبال الجمعة في مسجد فاتح . تليت الخطب باسمه في كل أنحاء العالم الإسلامي . دامت خلافته سنة ، 3 أشهر ، 15 يومًا . صار هو ، الخليفة الثاني بعد المائة للمسلمين باعتبار الخليفة الأول أبو بكر – رضي الله عنه – . اهتمت إنكلترا كثيرًا ، بألا يأتي خليفة بعد ذلك التاريخ . وعمومًا لم يظهر في نطاق العالم الإسلامي – عدا بني عثمان – شخص له هذا الاعتبار . الشريف حسين والملك فؤاد ، كانا من الذين حدث بهما الرغبة في أن يكونا خلفاء . عبد العزيز بن السعود الذي يعلم سياسة انكلترا في هذا الشأن ، لم يجابه إنكلترا . والمعلوم أن انكلترا ، كانت حتى عام 1940 لازالت الدولة العظمى الأولى في العالم وكانت تُخشى سياستها الخارجية.

أعلنت الجمهورية (29 / 10 / 1923) بعد ترك قوات الاحتلال استانبول ودخول القوات الوطنية (قواي مليّة) (6 / 10 / 1923) . أصبحت أنقرة مركزًا (عاصمة) للجمهورية التركية واستانبول مركزًا للخلافة الإسلامية . كان الخلفية يسكن سراي دولمه بقجه . لكن السرايات القديمة كسراي طوب قابو وسراي ييلدز ، كانت تحت أمره . وخلال هذه الأيام ، قرر المجلس الذي كسب الكفاح الوطني الانتخاب المبكر . كان من المحتمل أن يكون إصدار قرار إلغاء الخلافة من المجلس الأول صعبًا . وافق المجلس الثاني علي إلغاء الخلافة (3 / 3 / 1924) . كانت سن عبد الحميد الثاني ناهزت الـ 56 .

وفي ليلة المعراج ، في الساعة 30 . 5 من صباح يوم 4 آذار ، أخذ الخليفة مع المقربين إليه من سراي دولمه بقجه وسيق إلى جتالجه بالسيارات ثم أركب القطار وأخرج إلى خارج تركية . حدد آخر موعد لترك تركية بالنسبة للشهزادات (الأمراء) منتصف الليلة التي يبدأ بها يوم 6 آذار ، وللسلطانات والبقية ، مدة أسبوع واحد . وألزمهم القانون ببيع جميع أموالهم الموجودة في تركية وتصفيتها خلال سنه بواسطة وكلائهم . كان أتاتورك يفكر في إخراج الأمراء (الشهزادات) فقط . أقنع رئيس الوزراء عصمت (اينونو) باشا ، أتاتورك بإخراج السلطانات (زوجات السلاطين) ، الخانم - سلطانات وسلطان - زاده (أولاد السلاطين) ، الداماد (أزواج السلطانات) والخانم أفندي (زوجات أبناء السلاطين) . وفي الواقع ، فإنه في النظام العثماني ، لا يحق لغير الشهزادات (أبناء السلاطين) اعتلاء العرش . أدى إخراجهم من الجنسية (التابعية) التركية وإجبارهم علي تصفية أموالهم في تركية ، إلى انقراض السلالة . ثم بيع الأموال غير المنقولة ، بأسعار مضحكة وانتقلت إلى أيدي أشخاص لم يخدموا الدولة العثمانية وليس لهم أي تاريخ في خدمة الكفاح الوطني . أصيب أعضاء السلالة ، خلال سنوات نفيهم الطويلة بضيق شديد . تمكن زوجات السلاطين والشهزادات الذين توفوا وأزواج السلطانات اللاتي توفين ، من البقاء في تركية .

أقام بنو عثمان في أماكن مختلفة وتنقلوا من مكان لآخر . يلاحظ أن أكثريتهم أقام

في بيروت ونيس وباريس . ومنهم من سافر إلى الولايات الأمريكية المتحدة . رفض الملك فؤاد في البداية دخول بني عثمان إلي مصر ، ثم أقامت أكثرية السلالة في القاهرة والإسكندرية . لم يكن بينهم من ذهب إلي إنكلترا وألمانيا . تمت الموافقة بالقانون المؤرخ في 25 / 4 / 1949 على دخول زوجات الشهزادات (الأمراء) والأصهار ، إلى تركية . وكان قد سمح في 1939 بدخول أولاد أنور باشا الذين يسمون سلطان – زاده (أبناء بنت السلطان) وإضافة إلى ذلك أنتني خانم – سلطان (حفيدات السلطان) ، إلى تركية . وفي 16 / 6 / 1952 سمح بدخول جميع أعضاء السلالة – عدا الشهزادات أبناء السلاطين – إلى تركية . وقد استمر خطر دخول الشهزادات الذين ولدوا في المنفي ، خارج تركية ، إلى تركية . ثم سمح في 1947 أي بعد 50 عامًا بالضبط من النفي ، بدخولهم إلى تركية . إن عملية النفي المريرة غير الضرورية هذه ، أهلكت السلالة .

توفي الخليفة عبد المجيد خان الثاني في باريس (في الساعة 21 من يوم 23 / 8 / 1944) كانت سنه قد تخطت الـ 76 عامًا بشهرين ، 24 يومًا . قضي في المنفي 20 سنة ، 5 أشهر ، 16 يومًا . صار رئيسًا للسلالة بعد وفاة السلطان وحيد الدين (16 / 5 / 1926) ، مدة 18 سنة ، 3 أشهر ، 8 أيام . دفن في الحرم الشريف ، في المدينة (30 / 3 / 1954) .

سكن الخليفة ، خلال 1924 – 38 19 في السراي القديم الخاص بولي عهد إنكلترا في نيس ، بالأجرة . وعند انتقاله إلى باريس عام 1938 – ولوفاة الملك فؤاد كذلك – ذهب أكثرية أعضاء السلالة الذين يسكن معظمهم في نيس ، إلى القاهرة وأقام فيها . دفعت لجنة خلافة الهند ، إلى البادشاه ، حتى وفاته راتبًا كبيرًا ، نظام حيدر آباد ، مول القسم الأعظم منه . كان الخليفة ، قد أوصي بدفنه في استانبول في المقبرة المسماة « تربه » جوار جده السلطان محمود ، أبيه السلطان عزيز ، أخيه الكبير يوسف عز الدين أفندي وابن عمه عبد الحميد الثاني . ماطلت أنقره في تلبية طلب أولاد الخليفة ، هذا . انتظر الجثمان مدة 10سنوات في مسجد باريس . وافقت حكومة أنقرة في 1953 علي نقل الجثمان إلى تركية وكانت قد وافقت قبل مدة وجيزة على دخول أعضاء ومنتسبي

السلالة عدا الشهزادات ، إلى تركية . أحيلت عريضة ابنة الخليفة ، حول السماح بإدخال الجثمان ، إلى لجنة العرائض في المجلس الوطني التركي الكبير . وقد كانت الموافقة على العريضة ، ستصبح تلقائية ، في حالة عدم اعتراض أي نائب من نواب المجلس ، خلال مدة شهر واحد . اعترض نائب قيرشهر ، أحد أعضاء الحزب الديمقراطي الأميرال المتقاعد رفعت اوزدش ، مفيدًا إن منع قدوم الشهزادات إلى تركية ، لا يزال مستمرًا ، لذا فلا يمكن السماح بدخول الموتى منهم أيضًا . أخذت ابنة الخليفة ، التي فقدت الأمل ، نعش أبيها من باريس ونقلته إلى المدينة ودفنته بجوار الرسول ﷺ .

خلف عبد المجيد الثاني ابنة واحدة وابنًا واحدًا فقط ، ولدا من والدتين مختلفتين . ابنته ، السلطانة خديجة خيرية عائشة درشهوار (24 / 2 / 1914) . خطّاطة ، رسامه ، كاتبة ، تجيد 8 لغات . جاءت إلى تركية - بهوية زوجها - في 1945 وتكلمت مع اينونو بشأن جثمان أبيها ، لم تتمكن من إقناعه (كان قد منع حتي مرور منتسبي السلالة من تركية كسواح) . تزوجت (14 / 11 / 1931) أمير برار (ولي عهد حيدر آباد) داماد هدايت علي خان نوّاب مير والاشان أعظم جاه بهادور (ميلاده 1907) . هو الابن الأكبر لعثمان خان الذي كان نظامًا لحيدر آباد منذ 1911 . ولد من هذه الزيجة الأمير بركت علي خان مكرّم جاه بهادور آصاف جاه الثامن (6 / 10 / 1933) والأمير كرامت علي خان مفخّم جاه بهادور (27 / 2 / 1939) ، أخذ الأول لقب نظام حيدر آباد بدلاً من جده . تزوج كل منهم ببنت تركية .

داماد عمر فاروق أفندي (29 / 2 / 1898 - 28 / 3 / 1969) . هو ابن عبد المجيد الثاني (ترك تركيا عندما كان برتبة رائد ومتخرج في الأكاديمية الحربية في بروسيا . أصبح الرئيس الثاني للسلالة مدة 15 عامًا اعتبارًا من 2 / 6 / 1954) . دفن في ستانبول في مقبرة السلطان محمود بجوار جده السلطان عزيز . تزوج أولاً (29 / 4 / 1920) . بابنة السلطان وحيد الدين الصغرى السلطانة صبيحة (1894 - 1971) ، ثم طلّق (ك 2 / 1948) . تزوج بعد ذلك (31 / 7 / 1948) بابنة عمه يوسف عز الدين أفندي الصغري ، السلطانة مهرشاه (1916) . رزق من

زيجته الأولي 3 بنات : السلطانة فاطمة نسلشاه (4 / 2 / 1921) ، السلطانة زهراء هانزاده (19 / 9 / 1923) ، السلطانة نجلاء هبة الله (15 / 5 / 1926) .

تزوجت (1940) السلطانة نسلشاه بابن الخديو عباس حلمي باشا ، ولي عهد مصر (1899 – 1914) ، آخر نائب لملك مصر الداماد الأمير محمد عبد المؤمن بك أفندي (1899 – 1979) . أولادها هما السلطان – زاده (الأمراء من نسل كريمات السلطان) الأمير عباس حلمي بك أفندي (1941) ، والأميرة إقبال خانم – سلطان (الأميرات من نسل ابنة السلطان) (1944) – تزوجت (1940) السلطانة هانزاده بولي عهد مصر الثالث قاوالالي الأمير داماد محمد علي إبراهيم بك أفندي (1900 – 1977) . أولادها هما الأميرة صبيحة فاضلة خانم – سلطان (1941) والسلطان – زاده الأمير رفعت أحمد بك أفندي (1944) . قتل ملك العراق الأخير فيصل الثاني ، عندما كانت الأميرة فاضلة مخطوبة له ، ثم تزوجت بابن رئيس الوزراء سعاد خيري أوركوبلو (1903 – 1982) وانفصلت عنه – السلطانة نجلاء ، تزوجت (1943) بأخ داماد محمد علي إبراهيم بك أفندي ، الداماد الأمير عمرو إبراهيم بك أفندي (1903) . ابنها هو السلطان – زاده الأمير رفعت عثمان رفعت بك افندي (1951) .

هكذا حكم بنو عثمان مدة 693 عامًا من 1231 حتي 3 / 3 / 1924 . شغلوا مقام الخلافة مدة 407 سنوات ، 6 أشهر ، 5 أيام (29 / 8 / 1516 – 3 / 3 / 1924) . عبد المجيد الثاني ، هو الخليفة العثماني الـ 40 ابتداء من الخليفة الأول أرطغرل غازي .

تنتهي السلطنة الفعلية لبني عثمان باحتلال استانبول وافتتاح مجلس الأمة التركي الكبير بعده بقليل (23 / 4 / 1920) وسيطرته الفعلية علي تركيا . لكنهم استمروا في استعمال لقب الامبراطور ، بادامتهم السلطنة حتي عام 1922 والخلافة حتي بداية عام 1924 .

يشكل السلجوقيون المرحلة الأولى ، والعثمانيون المرحلة الثانية والكبري ، والجمهورية التركية المرحلة الثالثة من تاريخ الدولة التركية التي تأسست في 1074 . أن دور الإمارات الأناضولية التي تشكلت في الفترة التي تتخلل مجيء بني سلجوق وبني عثمان ، لا تشكل دورًا حقيقًا ، وهو عبارة عن دور فتور .

إن فترة الـ 4 سنوات من التاريخ العثماني التي تنحصر بين اتفاقية مونرو للهدنة ولحين دخول القوات الوطنية إلى استانبول ، تسمى دور الهدنه ، وهي المرحلة الأخيرة لدور المشروطية الثانية ويسمى تاريخ الأناضول لهذه السنوات ، دور الكفاح الوطنى الذي أسفر عن الجمهورية .

Osmanogullarinin Soy Kutugu ve saltanat Tarihleri buraya 2 mustakil sahife halinde qirecek (s.704, 705) (413, 402) .



شجرة السلالة العثمانية

1ـــ ارطغرل غازى بن كندز ألب (امير مقاطعة حدودوية : 1231-1281)

2ـــ عثمان غازى (امير مقاطعة حدودية : 1281-1300)

(امير مقاطعة حدودية كبير : 1300-1324)

3ـــ اورخان غازى (1324-1362)

4ـــ مراد الاول (خداوندكار) (1362-1389)

5ـــ يلدرم بايزيد (1389-1402) (وفاته : 1403)

6ـــ سليمان الاول (1402-1410)

7ـــ محمد جلبى (1413-1421)

8ـــ موسى خان جلبى (1410-1413)

9ـــ مراد غازى الثانى (1421-1444 + 1445 + 1446-1451)

10ـــ محمد الثانى (الفاتح) (1444+1445+1445+1446+1451+1481)

11ـــ بايزيد الثانى (1481-1512)

12ـــ ياوز سليم (1512-1520)

13ـــ سليمان الثانى (القانونى) (1520-1566)

14ـــ سليم الثانى (1566-1574)

15ـــ مراد الثالث (1574-1595)

16ـــ محمد الثالث (1595-1603)

17ـــ احمد الاول (1603-1617)

18ـــ مصطفى الاول (1617-1618+1622-1623) (وفاته : 1639)

19ـــ عثمان الثانى (الشاب الشهيد) (1618-1622)

20ـــ مراد الرابع (1623-1640)

21ـــ ابراهيم (1648-1640)

22ـــ محمد الرابع (الصياد) (1687-1648) (وفاته : 1693)

23ـــ سليمان الثالث (1691-1687)

24ـــ احمد الثانى (1695-1691)

25ـــ مصطفى الثانى (1703-1695)

26ـــ احمد الثالث (1703ـــ 1730) (وفاته : 1736)

27ـــ محمد الاول (1754-1730)

28 ـــ عثمان الثالث (1754-1754)

29ـــ مصطفى الثالث (1774-1757)

30ـــ عبد الحميد الاول (1789-1774)

31ـــ سليم الثالث (شهيد) (1808-17789) (وفاته : 1808)

32ـــ مصطفى الرابع (مقتول) (1808-1807)

33ـــ محمود الثانى (1808-1839)

34ـــ عبد المجيد الاول (1861-1839)

35ـــ عبد العزيز خان (1861-1876)

36ـــ مراد الخامس (1876) (وفاته : 1904)

37ـــ عبد الحميد الثانى (1909-1876) (وفاته : 1918)

38ـــ محمد الخامس (رشاد) (1918-1909)

39ـــ محمد السادس (وحد الدين) (1922-1918)

40ـــ عبد المجيد الثانى (1922-1924) (وفاته : 1944)

1 – بادشـاه :

يستهل منجم باشي شيخ أحمد ده ده ، أحد عظماء المؤرخين الذين أنجبهم الأتراك خلال تاريخهم الطويل ، المجلد الثالث من كتابه المسمى **صحائف الأخبار** الذي حرره في أواخر العصر 17 باللغة العربية والذي يبحث عن العثمانيين بما يلي :

« اعلم أيها القارئ ، أن الذين أسسوا هذه الدولة ، هم أقدر وأعظم حكام التاريخ العالمي . أنهم أصحاب أقوى سلطة ومالكو أوسع أقطار العالم علي وجه الأرض . أصحاب عقول راجحة وقوّة لا تضاهي . فتح الله عليهم حظوظهم وقسمهم أنصبتهم . يعملون الكثير من الخير والكثير من الإحسان . لا نهاية لشوكة سلطانهم . هم أصحاب أحدّ السيوف وأمضى الرماح . لا يضاهيهم فرد على وجه الأرض في الثروة ، المال ، الجنود والسلاح . ليس هنالك من يناظرهم بالتأثير والقوة . يطرقون أقوم السبل . رأيهم صائب وبيّن . هم سادة الشرق والغرب ، البر والبحر وحماة مكة والمدينة . شرّفهم الله بشوكة لم ينلها أحد بعد النبي سليمان . إن هذا بيّن لدي من يدقق حياتهم . لم يرتق حكام هذه الدولة بالظلم والإساءة إلى أسلافهم الحكام والدول وشعوبها . لم يرتكبوا ما ينافي الحق . كان العدل رائدهم على الدوام . فتحوا القسم الأعظم من بلادهم من يد الكفار والظلمة . أسسوا هذه الدولة ووسعوها بحدّ سيوفهم ونصال رماحهم . لم يرثوا أحدًا ولم يعتلوا السلطنة بالتعدّي على حقوق الغير . ملئوا الفراغ الذى كان على سرير السلطنة . لم يسبق أن جاءت علي وجه الأرض سلالة بهذه الأوصاف » .

إن الصفات التي يحملها البادشاه ، أعظم حاكم في العالم اقتدارا من 1447 إلى 1771 وحاكم عالمي حقيقي من 1517 إلى 1683 ، كثيرة إلى درجة يصعب تعدادها ، يحمل 4 تيجان إمبراطوريات : هو خاقان ، لكونه أكبر حاكم للأتراك ، خليفة . لزعامته العالم الإسلامي وكونه الخلف الشرعي للرسول ﷺ ، قيصر ، لكونه إمبراطورًا لروما الشرقية وسلطان ، لكونه حاكمًا علي مصر . إن أهم التيجان الملكية التي يحملها هي المجر ، صربيا ، بوسنة ، بلغاريا ، يمن ، تونس ، Tlemsen (الجزائر) كرجستان ،

ارمنستان ، قره مان ، Ertana ، العراق ... جمع في شخصه العديد من تيجان الحكم التي تقل درجتها عن الملكية .

كانت ألقاب البادشاه كثيرة جدًا : خان ، خاقان ، خاقان الخواقين ، سلطان . سلطان السلاطين ، خليفة روي زمين ، أمير المؤمنين ، ظل الله في الأرض ، خليفة ربع مسكون ، شاه ، بادشاه ، هنكار ، خداوندكار ، بادشاه جهان ، جهان بادشاهي ، بادشاه عالم بناه ، ذات شاهانه ، ذات أقدس همايون ، قيصر ، قيصر روم ، مليك الغزاة ... كان الشعب غالبًا ما يسميه «بادشاه» ، والأوروبيون « التركي الكبير » أو « سلطان » ، العاملون في السراي « هنكار » . لقبه الرسمي « شوكتلو » ويمكن إضافة عدة ألقاب علي ذلك : كشوكتلو عظمتلو ، جلادتلو ... وأقصر الألقاب التوقيرية عند مخاطبته شخصيًا ، هو « أفنديمز » أي سيدنا ، وبصفة أكثر رسمية « ذات شاهانه لري » ، « ذات هما يونلري » و « شوكتمئابلري » ، وإذا كان الذي يخاطب السلطان من أفراد الشعب أو من المقربين له ، يقول « بادشاهم » أو « هنكارم » وكانت أمه فقط تخاطبه بكلمة « أرسلانم » أي أسدي . إن لقب « شوكتلو » أي صاحب الشوكة ، لقب رسمي خاص بالبادشاه العثماني فقط ولا يستعمل لأي حاكم آخر ، ويستعمل لقب « حشمتبلو » أي صاحب الحشمة إلى الملوك وكل الحكام المسيحيين والمسلمين بدرجة إمبراطور ، ويقال « شهامتلو » أي صاحب الشهامة إلى شاه إيران فقط .

كانت السلالة حنفية قحة ، وغير شـ[illegible] كجميع الأتراك . ليس بين بني عثمان من هو غير حنفي المذهب ، وقد كانت المذاهب السنيّة الأخرى (الشافعية ، المالكية ، الحنبلية) تعامل بالمساواة والاحترام . لكن يشاهد أن المسئولين في المركز في إستانبول ، كانوا حنفيين إضافًا ، وأن بعض السلاطين كانوا يدعون الشافيين للانتساب إلى المذهب الحنفي . كانت روملي والأناضول الأصلية حنفية المذهب . وأساسًا كان الأتراك السنّة قد انتسبوا إلى المذهب الحنفي فقط . لكن ، كان في الأقطار الأخري الملايين من تبعه البادشاه من المذاهب الأخري ، كان هو سلطانهم وخليفتهم كذلك . كان القضاة الذين يرسلون من إستانبول إحنافًا . لكن المفتين ، كانوا من مذهب ذلك المكان . كان في

المدن الكبيرة مفتي منفصل لكل من المذاهب الأربعة .

يتبع البادشاه ، حكامًا عديدون إلى درجة لا يمكن إحصاؤهم ، سواء كان بصفته خاقانا أو خليفة ، ومتبوعيّته بنسبة درجة مقام كل واحد منهم . وبالنسبة لبعضهم ، هو متبوع متبوعهم . لم تجبر الدولة العثمانية أكثرهم علي إعلان تبعيتهم وتبعوا البادشاه برضاهم . لكن يشاهد أن الحكام المرتبطين بشخص البادشاه (وهم الحكام العظام) يميزون عن الحكام المرتبطين بالدولة والحكومة العثمانية رأسًا . ويوجد حكام وسلالات صغار ، يتبعون ولاة إيالات العثمانية الذين يسمون بكلر بكي (أمير الأمراء) وحتى ولاة المحافظات الذين يسمون سنجق بك .

وبالطبع فإن هؤلاء الحكام ليسوا جميعًا مسلمين . وحتي غير المسيحيين منهم كثيرون ، يوجد بينهم عبدة أصنام ، بوذي ، براهمي .

ظل بنو عثمان في استانبول مدة 407 سنوات ، 6 أشهر ، 6 أيام (29 / 5 / 1453 — 4 / 3 / 1924) . أقام « بادشاه جيهان » (سلطان العالم) في إستانبول التي تسمي « باي تخت جهان » (عاصمة العالم) . ادرنه ، مدينة العرش الثانية وبورصة ، الثالثة . إن السلاطين الذين أقاموا في أدرنة سنين طويلة وفي إستانبول مدة أقل ، هم الذين عاشوا في النصف الثاني من العصر 17 . وقبل فتح إستانبول ، كانت أدرنة مدينة العرش (العاصمة) في أوروبا وبورصة مدينة العرش في الأناضول ، فتحتا في 1326 و 1326 . أصبحت بورصة العاصمة الأصلية منذ 1326 حتي كارثة أنقرة عام 1402 ، وأدرنة من 1402 إلي 1453 .

هكذا أصبحت إستانبول عاصمة ملك العثمانية التي تسمي « سلطنت جهان » ومركزًا للعالم الإسلامي مدة 4 عصور . وقد اتفق الأشخاص ذوو الصلاحية من الدرجة الأولي في الأزمنة الحديثة على أن مدينة إستانبول هي أكثر ملاءمة بين مدن العالم ، لدولة كهذه سواء من الناحية الاستراتيجية ، أو العلمية ، أو الجمال الطبيعي . قال نابليون : « لو كانت الكرة الأرضية عبارة عن دولة واحدة ، لوجب أن تكون عاصمتها إستانبول » ؛ وقال قبله بطرس الكبير : »من يحكم إستانبول يحكم العالم بأسره » (جودت 1 ، 37 ، 356) . « أسّست إستانبول في أصلح وفي ألطف مكان في الكون » (Voyage

(au Levant, Tournefort ، باريس 1717 ، 1 ، 464 – 5 » . « استانبول ، أجمل مدينة في العالم ، هي المدينة الأولى بين جميع مدن العالم ، مركز الإسلام « La Vie ,35, 20)
Quotodienne à Constantinople, Mantran

31 من بني عثمان ، البالغ عددهم 40 ، ابتداء من عهد أرطغرل غازي إلى عبد المجيد الثاني ، مكثوا في هذه المدينة ، الـ 29 الأواخر من هؤلاء ، كانوا في الوقت نفسه خلفاء أمراء مؤمنين وأئمة مسلمين .

توضح كلمات منجم باش الوجيزة التي أسلفنا ذكرها الصفات المميزة المشتركة بين حكام العثمانية ، ولا شك أن هنالك كثيرين منهم لا تتشابه صفاتهم بالمرّة ، إن ذلك موجود بكثرة حتى بين الأخوة . إن أبناء السلطان عبد المجيد ، مراد الخامس ، عبد الحميد الثاني ، محمد رشاد ، محمد وحيد الدين ، الذين تعاقب جلوسهم على العرش من 1876 إلي 1922 ، يمثلون أربع سجايا متباينة ، رغم أنهم إخوة . لكن من الممكن دون شك إيجاد الخطوط المشتركة بينهم كذلك .

من الممكن إيجاد خطوط مشتركة لجميع السلاطين . أحدها ، بعدهم عن الشعور بالخوف . إن هذه الصفة تفترق بعض الشيء عن الجسارة . الجسور ، هو الشخص الذي لا يعتريه الخوف رغم معرفته الخوف . أما لدى بني عثمان ، فإن الشعور بالخوف كان في حكم المعدوم . هكذا كان يجري تعليمهم . صفة مشتركة أخرى ، هي احترامهم الدين . يوجد بينهم من هو قوي التدين أو ضعيفه ، من لا يراعي بعض قواعد الدين ، مثلاً من يشرب الخمر ، من لا يصلي الأوقات الخمسة . لكن لم يكن من بينهم ولا شخص واحد قصّر في احترامه الدين ، الله ، الرسول والصحابة . وصفة مشتركة أخرى ، جدّيتهم في رئاسة الدولة . نعم كان هنالك من لم يتمكن من تأدية واجبه بشكل جيد ، لكن لم يكن هنالك من بينهم من لم يولِ هذا الواجب حقه . قليل منهم ظالم كمراد الرابع . كان أكثريّتهم رحماء . وأكثرهم انشغل بفرع واحد على الأقل من فروع الفنون الجميلة . ولا يوجد تقريبًا من لم ينظم قطعًا من الشعر . كثيرون منهم لهم دواوين شعر معتبرة . قليل منهم من لم يزاول فنون الموسيقي والخط ، أو من لم يهتم بها على أقل تقدير . ولم يكن عدد الموسيقيين المشهورين بينهم قليلا أيضًا .

إن سبب امتداد جذور السلالة بشكل لا يتكرر ، هو جلوس أشخاص دهاة على العرش ، في العصور الأولي . إن هذا الحدث الذي لم يشاهد في أية سلالة أخري والذي يشبه المعجزة وكأنه غير طبيعي والذي دوّخ حسابات التخمين والاحتمال ، كسقوط الكرة في لعبة الروليت ، خمس عشرة مرة بصورة متعاقبة على نفس الرقم ؛ لم يقتصر فقط على إطالة عمر السلالة . ورغم وجود سلالات منافسة في مقابل كل سلالة تركية ، إسلامية وأوروبية ؛ لا يوجد في التاريخ العثماني شيء من هذا القبيل . إن أحرص الناس وأشدهم طمعًا لم يتخيلوا الجلوس على العرش العثماني قصارى الأمر أنهم فكروا فقط في وضع اليد على الدولة باسمهم ، وقد كان هذا طبعًا ربحًا كبيرًا لصالح الدولة ؛ إذ حمى الدولة من الصراع ، الذي يحدث في الدول الأخرى ، للحصول على المقام الأول وعاشت الدولة وتوسعت بانصرافها للأمور الخارجية بصورة مستمرة .

إن السلالة العثمانية ، هي أكثر السلالات بركة في تربية وتجهيز الرجال العظام بين السلالات الأخري الحاكمة على وجه الأرض (Plus feconde en grands hommes qu, aucune de) celles qui ont règne sur la foce du globe) (Jouann in - Van Gaver, Gover, Turquie, ، 1840 ، باريس ، ص 8 ب و Turquie « إن كل فرد من ملوك العثمانية منذ بداية الدولة العلية حتى يومنا هذا ، الذين اعتلوا وزينوا أريكة إمارة السلطنة والخلافة ؛ هو فريد عصره ووحيد دهره ، الحق أنه لم يسبق أن حصل في أية دولة ، أن يحكمها عشرة ذوات كهؤلاء » (جودت باشا ، 1 ، 41 – 2) .

« إن الجديّة العالية في تدين الأتراك الممتزجة مع التفاني في الخدمة والشعور بالالتزام بالواجب للدولة العثمانية التي لا مثيل لها في التاريخ الإسلامي ، بما في ذلك دور خلافة العرب ، تبرز للرائي فورًا . مثلاً ، أي خليفة من الخلفاء العباسيين ، وصل إلى درجة يمكن فيها قياسه مع المرابطة ومتانة الحالة المعنويّة والدينية التي بعثت في سلاطين العثمانيين الأوائل ، زخم الحركة ؟ أي من هؤلاء الخلفاء ، كان يملك ذلك الشعور الجبار بالالتزام بالواجب الذي يسوق شخصًا كسليمان القانوني المسن والمشرف على الموت ، إلى حملة حربية جديدة ويضعه وجهًا لوجه أمام مصاعب هذه الحملة ، وينقله من راحة مدينة العرش إلى صعوبات المعسكرات وإلى الموت الأكيد ؟ » Bernard Lewis **The Emergence of Modern Turkey** ، ص 13) .

وخاصية أخرى في نجاح الدولة العثمانية ، هي ارتباط وإطاعة المجتمع العثماني المخلصة الصادقة ودون عوض للبادشاه . بالنسبة للعثماني أن هذه السلالة ، سوف تستمر إلى يوم القيامة ، ولا يشك أحد في ذلك . (وفي مصراع من بيت شعر لعاشق باشا ـ زاده » اعلم أن نسل بني عثمان باق إلى الأبد « منشورات آدسيز » . يحكم البادشاه على القسم الأكبر من الكرة الأرضية . إن الارتباط والإعجاب والاحترام الذي يظهره الأتراك تجاه إمبراطورهم ، كان يجب أن يكون من صفاتنا النموذجية نحن المسيحيين
. (**74, 21, 1, 1677 Rouen** « L'Etat Present de L'Empire OttomanLord Ricault»)

إن مكانة البادشاه في الخارج ، كانت هكذا أيضًا . وفي 1785 ، خلع سلطان فاس بردته من كتفيه وألبسها لرسول عبد الحميد الأول إسماعيل أفندي محتضنًا إياه ومقبلاً له أربع مرات قائلاً : « إنني مطيع ومنقاد للبادشاه ؛ مالي وملكي ملك له ؛ إن البادشاه هو سيّدي » (جودت ، 3 ، 272) . وفي 1787 ، قال إمبراطور الأفغان تيمور شاه لعلمدار محمد أغا رسول عبد الحميد أيضًا ، « البادشاه ، قبلة العالم » (جودت 5 ، 251 ، 342 – 6) .

البادشاه ، مقدس كالعلم . ويمثل الدولة كالعلم أيضًا . العلم ، هو رمز الدولة غير الحي المصنوع من القماش ، أما البادشاه فهو رمزه الحي . يمكن أن يقتل البادشاه ، لكنه لا يمكن أن يحقّر . كل شيء يعود للبادشاه ، وكل شيء يجري باسمه . وفي الحقيقة ، يستعمل هنا اسم البادشاه ، عوضًا عن الدولة . الدولة مفهوم معنوي ، وقد صار البادشاه رمزًا على هذا الشكل لأنه شخص حي . يرث البادشاه الملك ، عن أجداده الذين أسسوا الدولة بقوة السيف وسيّروها إمراطورية . جلس على العرش ، لأن الله أراد ذلك . يستمد إرادته من الله رأسًا وهو مسئول أمام الله ، هو صاحب كل شيء . له كل الصلاحيات . إلا أن هذه الصورة ، هي في الواقع من الناحية النظرية ، ذلك لأننا نجد من الناحية العملية الفعلية ، أن البادشاه مقيد بقيود وثيقة . من هو أكثر السلاطين استبدادًا ؟ هل هو مراد الرابع ؟ آمل ألا يتهمني قرائي ، إذا قلت بأن صلاحياته لا تفوق كثيرًا صلاحيات الرئيس روزفلت . ومن الممكن القول بشكل جازم ، إن مظاهر استبداده ، تظل متواضعة بشكل يرثى له ، إذا ما قيست بمظاهر

استبداد شخص كهتلر ، أو ستالين .

2 – علامات السلطنة :

1 – الخطبة : تلي اسم الخليفة العباسي في القاهرة فقط ، قبل اسم البادشاه في خطب الجمع وصلاة العيد من 1335 إلي 1516 . كان هذا الوضع داخل حدود الدولة العثمانية . واعتبارًا من 1516 حتي 1922 ، لم يتل ضمن حدود الامبراطورية ، اسم أي شخص على قيد الحياة ، قبل اسم البادشاه في أية خطبة . وقبل 1335 ، تلي قبل تلاوة أسماء عثمان غازي وأورخان غازي ، ليس فقط اسم الخليفة الموجود في القاهرة ، بل أسماء سلاطين الإيلخانيين والسلاجقة . والمعلوم أن الخطبة ، تأتي في مقدمة حقوق الحكم في الدول الإسلامية .

2 – المسكوكات النقدية : وعلامة أخري من علامات السلطنة ، هي سك النقود المعدنية (الذهبية ، الفضية ، النحاسية والبرونزية) . لم يعثر حتي اليوم ، علي مسكوك باسم عثمان غازي . الاحتمال الأقوي أنه سك نقوده باسم البادشاه السلجوقي (إلا أنه عثر على مسكوك باسم عثمان غازي ، انظر غالب بك ، تقويم مسكوكات عثمانية) . أما أورخان غازي ، فإن مسكوكه الفضي الأول (آقجة) الموجود لدينا والمضروب باسمه فقط ، ضرب بعد جلوسه (1324) بعدة سنوات . منذ ذلك العهد وحتى 1922 ، لم يشاهد على المسكوكات العثمانية اسم آخر عدا اسم البادشاه . ومع أن الدولة العثمانية قد سمحت لتابعيها الممتازين كخانية (بالنسبة إلى خان) قرم بسك النقود باسم حكامها ؛ لكنهم كانوا يكتبون على المسكوكات اسم البادشاه قبل اسم حكامهم .

3 – الطّبل : هو من الآلات الموسيقية الرئيسية للموسيقي العسكرية التركية التي تسمي مهترخانه وهو مقدّس كالعلم . إن إحدى علامات السلطة في الدول التركية ، هي إسماع الشعب الموسيقي العسكرية ، في أوقات معينة من اليوم أمام سراي الحاكم أو والي الإيالة الذي يمثله وأمام القلاع . ولذا ، فإن البادشاه السلجوقي ، عندما أرسل في بداية عام 1300 ، إلى عثمان غازي ، الشارة (طوغ) والراية معلنًا إياه بأنه أمير كبير لإمارة حدودية (أوج بك) وأنه تابع له ، لم يهمل إرسال الطبل كذلك . عند

عزف فرقة المهتر ، كان إلزامًا قانونيًا على الجميع بمن فيهم ولي العهد ، القيام واستماع الموسيقى وقوفًا ، عدا البادشاه الذي كان يستمع وهو جالس . يظهر من ذلك بأن هذا ، كان يعتبر نوعًا من النشيد الوطني . وحتى مجيء السلطان فاتح ، كان البادشاه كذلك ، يستمع وقوفًا ، فاتح ، استثنى البادشاه من هذه القاعدة (عالي ، كنه الأخبار ، 5 ، 30) . والواضح أن المهتر ، كان يعزف باسم البادشاه السلجوقي من عام 1300 حتي سقوط بني سلجوق عام 1308 . أما الخطبة ، فتبدأ قبل 12 عامًا مع فتح قره جه حصار في 1288 ؛ تليت بذكر اسم عثمان غازي كذلك ، للمرة الأولى .

4 – العلم والراية : أن هذين اللفظين اللذين يرادفهما باللغة التركية كلمتا بيرق وسنجق ، يعنيان قطعًا من القماش ركبت على رمح . ويمثل هذا ، سلطة الدولة ، السلالة البادشاه والشعب . وهو مقدس بشكل قطعي . يضحى بكل شيء في سبيل عدم إسقاطه على الأرض . وقد حدث وأن فضّل عدة وزراء الشهادة ، الواحد تلو الآخر ، على أن يسقط العلم أو الراية على الأرض . اللون الأحمر الذي ليس أحمر تمامًا ، قريب إلى الطرنجي ، بلون اللهب ، نوع من الأحمر الفاتح ، هو لون السلالة لخاقانات الأتراك . تقبّل بنو عثمان كذلك اللون الأحمر ، لون السلالة للسلجوقيين وسلاجقة الأناضول ، باعتبارهم الورثة الشرعيين لهم (راحة الصدور ، 144 ، 148) . وهو لون العلم التركي اليوم كذلك . لكن العثمانيين كي يبينوا حيازتهم على الخلافة وأنهم الخلف الشرعي للرسول ﷺ ، حملوا الراية الخضراء كذلك وهو لون الهاشميين . يشاهد في أماكن عديدة الرايات الحمراء والخضراء بصورة متقابلة . منحوا الدول التابعة لهم حق رفع علمهم ؛ ويشاهد اليوم كذلك في كثير من الدول الفدرالية ، أعلامها الخاصة ، بجانب العلم الفيدرالي . لكن الراية (اللواء) ، يرمز إلى الاستقلال بصورة قطعية . يوجد في الراية ، هلال ، وهو رمز وطني منذ عهد أتراك كوكتورك (النجمة رمز جديد) . إن العلم الذي كان لدى العثمانية وحاليًا على شكل هلال – نجمه ، كان لدي أتراك كوكتورك ، علي شكل رأس ذئب رمادي اللون .

5 – توغ : هي شارة السلطنة الملّية ومكانتها تقارب مكانة العلم . توغ ، عبارة عن ذيل حصان مركب على رمح . يصبغ الذيل باللون الأحمر . رأس الذئب الذي كان علمًا لأتراك كوكتورك في الشارة ، لا يوجد في شارة (توغ) العثمانية . يمثل البادشاه بواسطة 9 (بعضًا 7) شارات ، وهذه تعد سعدًا لدى الأتراك القدامى . إن الشارات التي يحملها الوزراء والمسؤولون الآخرون ، يحملونها باسم البادشاه فقط . وعلى هذا الأساس يحمل الصدر الأعظم 5 شارات ، الوزير السردار (القائد) 4 ، الوزير 3 ،

بكلر بك (الفريق الأول) 2 وسنجق بك (لواء) 1 شارة . يحمل كل شارة (توغ) في الاحتفالات والحروب ، جندي خاص يسمي توغجي (حامل الشارة) ويرفعها عاليًا . يوضع في البحرية ، بدلاً من الشارة فنار . يعلق كل من القبطان دريا (مشير البحر) 3 ، بكلر بك (فريق أول) البحري 2 وسنجق بك (لواء) البحرية فنارًا واحدًا على سفنهم لبيان رتبهم .

6 – كلمتا « همايوني » و « شاهانه » : تضاف صفات « همايون » و « شاهانه » إلي كل شيء وحاجة تعود إلى البادشاه ، ولا تستعمل هذه الكلمات لأي حاكم آخر عدا حكام العثمانية . اقتبسوا كلمة « همايون » عن السلاجقة (روضة الصفا ، 4 ، 26 ؛ ابن بي بي ، نشريات Houtsma 288, 236, 168, 132, 57,) . أما كلمة « شاهانه » ، فقد استعملت في العصور المتأخرة مع كلمة همايون سوية : ذات شاهانه وذات همايون ، هو السلطان العثماني : كل شيء باسم البادشاه : أوردوي همايون (الجيش الهمايوني) دونانماس همايون (البحرية الهمايونية) ، يدنجي أوردي همايون (الجيش الهمايوني السابع) ، الفيلق الهمايوني الخامس عشر ، سراي همايون ، حرم همايون ، اندرون همايون (تشكيلات السراي الداخلية الهمايونية) ، الحملة الهيمايونية ، مكتب أركان حربية شاهانو ، مكتب ملكية شاهانه ، مكتب طبيه عسكرية شاهانه ، مكتب طبية ملكية (مدنية) شاهانه ، عساكر شاهانه ، ممالك محروسة ، شاهانه ...

7 – الطغراء : وتسمي بالعربية التوقيع أيضًا ، وهو توقيع البادشاه بشكل متداخل ومنمّق بطراز فنّي جدا : السلطان محمد مراد المظفر دائمًا . هي طغراء السلطان محمد الفاتح . تنقش الطغراء علي كل بناء شيّده البادشاه أو الدولة على كل فرمان (تعليمات) . تكون مذهبة علي الأكثر . مقتبسة من السلاجقة .

8 – مراسم تقليد السيف : بالعثمانية (قيلج آلايي . هي مراسم تقليد السيف للبادشاه في الجمعة الأولي مناعتلائه العرش ، وذلك بالذهاب إلى جامع أبي أيوب الأنصاري الذي يحوي قبره والذي شيّده باسمه في استانبول السلطان فاتح ، وإجراء مراسم تقليد السيف داخل القبر . يقلّد سيف الرسول ﷺ ، عمر — رضي الله عنه — ، عثمان غازي وسيوف أحد من أمثالهم من الرجال العظام أو اثنين منهم . ويكون ذلك بإجراء مراسم عسكرية كبري . يذهب من السراي على ظهر الحصان إلى منطقة أيوب ، ثم يرجع بواسطة قارب السلطنة . يزور البادشاه ، أثناء عودته في الطريق ، قبر أبيه ، جده ، فاتح أو من يرغب من قبور أجداده ، ويوزع صدقة كبيرة . يخرج

مئات الألوف من البشر لمشاهدة البادشاه . وهذا ، يقابل مراسم التتويج في الغرب . إن إخفاء وفاة البادشاه السابق لحين جلوس البادشاه الجديد وزيارة البادشاه الجديد لقبور أبيه وأجداده ، اقتبست من السلاجقة (ابن بي بي ، 47 ,82 ,87) . يقلد السيف للبادشاه ، إما شيخ الإسلام ، أو القاضي العسكري ، أو نقيب الأشراف أو أحد أحفاد مولانا ورئيس الطريقة المولوية الذين يسمون جلبي ، وأحيانًا يقوم شخصان معًا بعملية تقليد السيف . قلد ، السلطان سليمان القانوني ، السيف ، من قبل المتوكل آخر خليفة عباسي في استانبول عام 1520 (أولياء جلبي 10 ,38) .

9 – لقب « شوكتلو » : هو كألقاب « خاقان وهنكار » لا يحق لأحد أن يحمله عدا البادشاه .

10 – إكرامية البيعة والجلوس : إن حصول الحاكم الجديد ، فور اعتلائه العرش على قسم الطاعة المتبع في الإسلام ، من كبار مسئولي الدولة المسمي البيعة ، كما هو متبع لدي جميع حكام المسلمين . ثم يوزع مبلغ كبير لكل فرد من أفراد و-دات تشكيلات المركز للجيش المسماة « قابوقولو » حسب رتبة كل منهم ، ويسمى ذلك « إكرامية الجلوس » . آخر إكرامية للجلوس دفعت في 1757 ، ثم ألغيت بعد هذا التاريخ .

11 – المعايدة : يتقبل البادشاه تهاني العيد مرتين في السنة ، في عيد الأضحي وعيد الفطر وهو جالس علي عرشه الذهبي من كبار رجال الدولة فردًا فردًا وبمراسم تشريفاتية دقيقة وبالنسبة إلي تسلسل قائمة تشريفات الدولة . وبعد أن يقدم الصدر الأعظم تهانيه يقف علي قدميه على يمين العرش . ويقدم إلي البادشاه جميع القادمين فردًا فردًا مع بيان أسمائهم بصوت عال . يبارك البادشاه بالتحية باليد اليمني من الأرض وتقبيل حاشية غطاء العرش الذي أخذ مشيرى المابين في المدة الأخيرة يمسكونه . إن الهيئات الدبلوماسية المعتمدة في استانبول ، تفرجت علي هذه المراسم مدعوة واشتركت هي كذلك في هذا التبريك . إن حفلات التبريك التي كانت تجري في السنوات الدورية بمناسبة اليوم الأول من محرم ، المولد النبوي والليالي المباركة الثلاث الرغائب ، المعراج والبراءة ، في ميلاد البادشاه وجلوسه ، كانت بسيطة و لم تكن أعيادًا رسمية .

12 – زيارة السلطان : المثول بين يدي السلطان وتسمي بالعثمانية « حضور

همايون » بشكل رسمي أو خصوصي . كانت تقبل فيها يد البادشاه حتي 1574 ، وبعد هذا التاريخ ولحين نهاية السلطنة والخلافة كان يقبل رداؤه . إن كان الزائر امرأة ، كانت تسفر عن وجهها . إذ إن تغطية المرأة لوجهها في حضور السلطان ، كان من الأمور المعيبة . لأن البادشاه هو في نفس الوقت أب لجميع النساء. وهن كذلك كن يدخلن وينصرفن من حضوره بنفس الوضع .

13 – مراسم الجمعة : وتسمّى بالعثمانية « جمعة سلاملغي » . كان البادشاه يذهب في كل جمعة ، لتأدية صلاة الجمعة ، إلي أحد الجوامع الكبيرة التي يرغب الصلاة فيه ، سواء كان في استانبول أم في مكان آخر . وهذا يسمي « سلاملك رسم عاليسي . كان يتجمع جميع الشعب ، لرؤية خاقانه ، والمسلمون القادمون من جميع أنحاء العالم ، لرؤية خليفتهم ، والأجانب ، لرؤية الحاكم العثماني . إن المراسم التي كانت دينية داخل الجامع ، كانت في الطريق في الذهاب والإياب ، عسكرية على نطاق واسع جدًا . كان رجال الدولة الكبار ، ينضمّون إلى هذه المراسم بملابسهم الرسمية وأوسمتهم . البادشاه ، كان يمتطي الحصان . السلاطين الأربعة الأواخر ، امتطوا العربة . كان يمكن للراغب أن يقدم عريضة موجهة إلى شخص البادشاه في الطريق ، طيلة المسيرة . يجمعها المرافقون ويسلمونها إلى البادشاه دون فتح مظاريفها .

14 – قارب السلطنة : القارب الموجود في المضيق ذو الشراع الأحمر ، ذو الـ 3 فوانيس مذهبة ، والـ 26 زوج مجداف ، رفيع طويل ، ذو مقصورة ، يسير كأنه طائر ، كان مخصصًا لركوب البادشاه فقط . قوارب الشهزادات (أبناء البادشاه) الرسمية ، 26 زوج مجداف ، ذات شراع أزرق ، قارب السلطانات (بنات السلطان) وزوجات السلطان (قادين أفندي) ، 24 زوج مجداف وشراع أبيض ؛ قارب الصدر الأعظم 24 زوج مجداف وشراع أخضر ؛ قارب شيخ الإسلام 22 زوج مجداف والقوارب الأخري على هذا المنوال ، تتميّز بهذا الشكل عن قارب السلطنة الخاص بالبادشاه .

15 – اللباس الرسمي : كان البادشاه ، يتميّز عن البقية بوضعه علي غطاء رأسه شارة تسمي « صورغوج » وهي شارة مزينة بالجواهر القيّمة والريش النادر . أصبحت

هذه الشارة ، توضع بعد عام 1826 على القلنسوة ومن ثم على الطربوش . وإذا ارتدى البادشاه اللباس العسكري ، كان يرتدي بزة المشير أو مشير بحري (أزيرال كبير) الاعتيادية ، بفرق واحد وهو أن قسم الصدر كان مشغولاً بالخيوط المذهبة . أي أنها كانت مزيجًا من لباس المشير والوزير ، وكان هذا خاصًا بالبادشاه في دور التنظيمات . لأن المشيرين كانوا يضعون علي أكتافهم شارة المشير فقط هذه فيها خيوط ذهبية ، ولا تكون علي صدورهم تزيينات مذهبة ؛ أما الوزراء المدنيون فكانوا يرتدون بدلات صدورها مشغولة بالذهب ولكن ليس فيها شارات علي أكتافهم .

16 – السرادق الهمايوني : يسمي بالعثمانية « أوطاغ همايون » يعطي هذا الاسم لسرادق البادشاه وهوشبه سراي سيار مكون من شقق عديدة . يخرج زوج من هذه السرادق ، عند سياحة البادشاه (سياحت همايون) وإن كانت لغرض الحرب (سفر همايون) ويسار بها إلى المحل المقصود وتنصب الثانية علي بعد منزل من الأولى . ألغي السرادق في دور التنظيمات لركوب السلاطين في القطر الخاصة . يركب البادشاه في سياحاته البحرية ، اليخت الخاص وترافقه علة قطع من السفن البحرية . وفي الأدوار القديمة ، كانت تجهز لشخص البادشاه سفينة الأميرال الكبير .

17 – الراية الشريفة : وتسمي سنجق شريف . هي راية الرسول ﷺ الموجودة حاليًا في قسم البردة الشريفة ضمن الأمانات المقدسة في سراي طوب قابوه ، كانت هذه الراية تلازم البادشاه في الحروب ، في الثورات الأربعة . إن هذه الراية التي يخدمها فصيلة من الجند ويقفون احترامًا لها ، كانت لا تخرج من محفظتها ولا تفتح لئلا تبلى . وبذلك كان البادشاه يظهر صفة خلافته .

18 – فرمان همايون وخط همايون : إن كل أمر كتابي تصدره الحكومة حول أي عمل يخص الدولة يصدر باسم البادشاه وموشح بطغرائه ، يسمي « فرمان » . له قوة القانون ، يحل قتل من لا يطيعه . أما خط يد البادشاه ، فكان يسمي « خط همايون » . كان يحرر للمسائل المهمة ومخاطبة الصدر الأعظم علي الأكثر . كان البادشاه يذيل علي الأكثر بخط يده الـ (تكليفنامه) التي تسمي « عريضة » والتي يقدمها إلى الصدر الأعظم بكلمات قصيرة جدًا (« أولسون » أو « مقبول همايونمدر » وما شابه ذلك)

أي « يجري اللازم ، و « حازت القبول السلطاني » . إن الكتاب الذي يهمش بملاحظته ، يسمي كذلك خط همايون . أمر التعيين لوظيفة عليا يسمي فرمان ، أما توجيه الرتبة فكان يسمي « منشور » .

3 ـ السلطانة ـ الأم :

وتسمى بالعثمانية والده ـ سلطان . في البروتوكول الإمبراطوري ، أم البادشاه ، هي الشخص الثاني عند اعتلاء البادشاه العرش إن كانت علي قيد الحياة . يسمي الموقع الذي تشغله « مقام مهد عليا » ، هي الإمبراطورة الفريدة . لا تعد زوجات البادشاه ، إمبراطورات في النظام العثماني . السلطانة ـ الأم ، تسبق ولي العهد في البروتوكول العثماني . ولي العهد هو الثالث في التسلسل وتدوم رتبة السلطانة ـ الوالدة ما دام ابنها على العرش . وفي حالة وفاة أو خلع ابنها عن العرش ، تعتبر هي كذلك مخلوعة إن كانت على قيد الحياة ويطلق عليها بالعثمانية اسم « والدة عتيق » أي الوالدة السابقة أو القديمة وتفقد تسلسلها في التشريفات .

إن عدد والده ـ سلطان 21 وهذا يقل عن عدد السلاطين بمقدار النصف تقريبًا بسبب وفاة أمهات السلاطين الآخرين قبل اعتلائهم العرش . أصبحت اثنتان منهن والده ـ سلطان لسلطانين بسبب جلوس ابنين لكل منهما علي العرش . إحداهن كوسم مهبيكر سلطان وهي والدة مراد الرابع وإبراهيم خان ، والأخرى عروستها الصغيرة (زوجة ابن ابنها) رابعة أمة الله كلنوش سلطان . وهي والدة مصطفى الثاني وأحمد الثالث .

إن كان البادشاه طفلا ، تصبح الوالدة ـ نائبة السلطنة . وفي أوقات خروج البادشاه إلي الحملة أو السياحة لا تعطي النيابة المسماة « محافظ العرش » إلى الوالدة ـ سلطان ، تعطي إلى ولي العهد أو إلى شهزاده آخر للبادشاه ، أو إلى الصدر الأعظم أو إلى وزير آخر . إن عدد « الوالده ـ سلطان » اللواتي أصبحن نائبات السلطنة 3 ، هن : السلطانة ، والدة مصطفى الأول ، ولأن ابنها كان مختل العقل ، فقد أصبحت نائبة السلطنة خلال مدة سلطنته التي تتخللها 4 سنوات ، جمعا سنة ، 6 أشهر ، 26 يومًا ـ أصبحت كوسم سلطان أولاً ، نائبة خلال مدة طفولة ابنها

الكبير مراد الرابع (8 سنوات ، 8 أشهر ، 28 يومًا) . ثم أصبحت نائبة لحفيدها الطفل محمد الرابع (3 سنوات ، 26 يومًا) . مجموع كليهما 11 سنة ،9 أشهر ، 24 يومًا – أصبحت خديجة تارخان سلطان ، نائبة لابنها الطفل محمد الرابع بعد سقوط كوسم سلطان (5 سنوات ، 12 يوما) ويتضح من ذلك أن مجموع مدة هذه النيابة في التاريخ العثماني هو 18 سنة ، 5 أشهر ، ويومان .

شغلت 21 والده – سلطان « مقام مهد عليا » لمدة مجموعها 225 سنة تقريبًا ، وبقي مقام الإمبراطورية فارغًا في الأوقات الأخرى . 6 من والده – سلطان عشن بعد وفاة أبنائهن السلاطين وأصبحن « والده – سلطان سابقة » ؛ أما 15 منهن ، فتوفين خلال سلطنة أبنائهن .

بعضهن شغلن مقام والده – سلطان لمدة قصيرة جدًا (والدة محمد الأول دولت خاتون لمدة 6 أشهر ؛ والدة مصطفى الأول التي كانت في ذات الوقت نائبة 1 سنة ، 6 أشهر ، 26 يومًا ؛ خندان سلطان والدة أحمد الأول سنة ، 11 شهرًا ، 6 أيام ؛ صالحه دلاشوب سلطان والدة سليمان الثالث سنة ، 11 شهرًا ، 27 يومًا ؛ شهسوار سلطان والدة عثمان الثالث سنة ، 4 أشهر ، 15 يومًا ؛ عائشة سينه برور سلطان والدة مصطفى الرابع سنة ، شهرين ؛ شوق – إفضاء سلطان والدة مراد الخامس 3 أشهر ، يومين .

وبعضهن بقين في هذا المقام مدة طويلة ؛ خديجة تارخان سلطان والدة مراد الرابع 34 سنة ، 10 أشهر ، 28 يومًا ؛ رحيمة بيرستو سلطان ، الأم المعنوية وامرأة أبي عبد الحميد الثاني 28 سنة ؛ كوسم مهبيكر سلطان والدة مراد الرابع وإبراهيم خان 24 سنة ، 10 أشهر ، 28 يومًا ؛ أمة الله رابعة كلنوش سلطان والدة مصطفى الثاني وأحمد الثالث 20 سنة ، 8 أشهر ، 28 يومًا ، مهرشاه سلطان والدة سليم الثالث 16 سنة ، 6 أشهر ، 9 أيام ؛ برتونيال سلطان والدة عبد العزيز خان 14 سنة ، 11 شهرًا ، 5 أيام .

قتلت من بين أمهات السلطان اللواتي شغلن مقام والده – سلطان ، كوسم سلطان فقط ، الأخريات توفين بأجلهن . هي المرأة الوحيدة التي قتلت من بين المنتسبين إلى السلالة . لا توجد بين زوجات وبنات البادشاه أيضًا امرأة قتلت .

كانت والده ـ سلطان ، هي رئيسة الحرم الهمايوني . يخصص لها أكبر شقة في سراي ابنها . إن الوالدة الوحيدة التي سكنت خارج سراي ابنها في مكان منفصل ، هي بيرستو سلطان ، زوجة أبي عبد الحميد الثاني .

4 ـ ولي العهد والأمراء الآخرون :

يطلق على الأمراء الذين ينحدرون من جهة الأب من صلب عثمان غازي اسم « شهزاده » . الشهزادة أمير امبراطوري . وليس من الضروري أن يكون أبوه بادشاه . إن ابن الشهزادة كذلك يسمي شهزادة . كما هو الحال في السلالات الأوروبية . لكن جميع الذين يعتلون العرش ، هم أبناء سلاطين . لم يعتل العرش أمير (شهزاده) ابن أمير . ومع ذلك ، فإنه من المتفق عليه تمامًا أنهم هم كذلك ورثة العرش . إذ لو استمرت السلطنة في تركية ، بعد وفاة السلطان عبد المجيد في 1944 ، لجلس على العرش أحمد نهاد أفندي ابن صلاح الدين أفندي ابن مراد الخامس بلقب « أحمد الرابع » ، بموجب النظام الوراثي على أساس أنه أكبر الشهزادات سنًا .

إن ولي العهد الذي يسمي « أولو شهزاده (الأمير الكبير) والذي سمي بعد ذلك » « ولي عهد سلطنت » (ولي عهد السلطنة) ، كان حتي 1687 ، هو الأمير الأكبر سنًا في السلالة . يدخل ضمن قواعد التشريفات التي تطبق على الأمراء الآخرين . لكن تسلسله في التشريفات يكون الثالث بعد والده ـ سلطان ، والثاني في حالة عدم وجود والده ـ سلطان .

أطلق لقب بك وجلبي على الشهزادات قبل فتح استانبول ؛ ثم سمّوا بعد ذلك سلطان ،خان . وبعد 1826 قصرت ألقاب سلطان وخان ، على البادشاه ، وأطلق على جميع الشهزادات ومن بينهم ولي العهد عنوان « أفندي » وكانت ألقابهم « دولتلو نجابتلو » أي صاحب الدولة والنجابة . إن لقب « نجابتلو » ، كان خاصًا فقط بأمراء العثمانيين . كان الشهزادات ، يأخذون أماكنهم في المراسم بتسلسل أعمارهم . ولا يمكن أن يقدم ، في المراسم ، على الشهزاده لا أخواتهم السلطانات (الأميرات) ، ولا زوجات البادشاه اللواتي يسمون قادين افندي ، ولا أي مسئول آخر . إن

السلطانات (أميرات الامبراطورية) يدخلن في المراسم حسب تسلسل أعمارهن ، حتى بعد الشهزاده الذي ولد حديثًا .

عند اقتراب الشهزاده من سن البلوغ (لكن قبل بلوغه) ، يرسل إلي السنجق (اللواء) ويسمي ذلك « الخروج إلى السنجق » . يرسَل كوال على إحدي الولايات في الأناضول بصحبة أساتذته ، مربي من الرجال ومربيّة من النساء ومعيّته الكبيرة . وكان يعطي كذلك سنجق (لواء) إلى الشهزادات أولاد الشهزادات . لا تعطى لهم ألوية خارج الأناضول في مناطق روملي أو في الأقطار العربية . واستثني من ذلك ياووز سليم إذ أعطي لواء في روملي ، لمدة قصيرة . وشوهد كذلك إعطاء السلطان سليمان القانوني وأحد أعمامه لواء في قرم . كان ولي عهد ـ شهزاده ، يرسل على الأكثر إلى مانيسا ـ ولم يكن ذلك قاعدة ضرورية ـ ويجلس على عرش ساروهان . إن عدد الشهزادات الذين منحوا إيالات (إمارات يديرها بكلر بك) قليل جدًا . وهذه عبارة عن إيالات قره مان . إذ أرسل الشهزادات لمدة طويلة إلى قونيه ، بعد سقوط بني قره مان ورجّح الشهزادات الذين أمهاتهم من بني قره مان . لأن شعب هذه المنطقة كانوا مرتبطًا جدًا بأمرائهم (بك) القدامي ، ولم يطع إلاّ من كان منسوبًا إلى سلالة تفوق سلالتهم السابقة .

أن آخر شهزاده ، صار سلطانًا بعد مجيئة من السنجق ، هو محمد الثالث (1595) . والأمراء الذين تلوه ، لم يخرجوا إلى اللواء ومكثوا في سراي آبائهم . إذ كانوا أطفالاً . توفي السلطان إبراهيم ، عندما كان يستعد لإرسال ابنه الكبير إلى مانيسا في 1648 ، ومن ثم تركت هذه العادة تمامًا . لكن الشهزادات استمروا في الخروج مع آبائهم السلاطين إلى الحملات والسياحات .

لم يُتح للأميرات (الشهزادات) أن يخلفن أولادًا ، لمدة عصرين تقريبًا ، اعتبارًا من النصف الثاني للعصر السابع العشر وفي العصر الثامن عشر والنصف الأول من العصر التاسع عشر . يستثني من ذلك ابنتا عبد الحميد الأول الذي اعتلي العرش في 1774 واللتان ولدتا في فترة إمارته .

كان الأمراء يعيشون مع أمهاتهم في الأجنحة المخصصة لهم في سراي آبائهم . وفي عهد التنظيمات خصص للأمراء عند إدراكهم سن البلوغ سرايات منفصلة ، عدا أجنحتهم

الخاصة في سرايات البادشاه . يسكن فيها مع أمهاتهم ، الأمراء الذين توفي آباؤهم ، وفي عهد التنظيمات أيضًا خصصت كلمة « سراي » لأماكن إقامات الأمراء والأميرات ، أما السرايات الخاصة بإقامة البادشاه والتي لا يمكن أن يرثها أحد والتي تنتقل من سلطان إلى سلطان آخر فسميت « سراي همايون » لتمييزها عن الآخر . رفع اسم سراي من الأماكن التي لا تسكنها السلالة مهما كانت واسعة ، وسميت « كوناك » بمعني قصر أو منزل كبير .

كان الأمراء يدفنون في قبور أحد السلاطين و على الأغلب في قبور آبائهم ، والأميرات كذلك . شيّدت قبور خاصة لبعض منهم فقط . يشيّع جثمانهم ، كما يشيع جثمان السلاطين بمراسم الدولة الكبرى ، يصلي عليهم شيخ الإسلام ، ويحضر الصلاة الصدر الأعظم ، الوزراء ، القضاة العسكريون ، رجال الدولة والشعب . يوضع علي نعش الأمراء والأميرات (أبناء وبنات السلطان) 8 نطق مرصعة بالجواهر ، و على نعش زوجة السلطان (قادين أفندي) نطاقان مرصعان بالجواهر ، و على نعوش زوجات البادشاه اللواتي يطلق عليهن اسم « إقبال » ، زوجات الشهزادات ، الأميرات بنات البادشاه ، الأمراء أبناء بنات البادشاه يوضع نطاق واحد من الجواهر .

لا يجوز تقبيل وملاطفة الأمراء البادشاه باليد من قبل أي كان ، عدا آبائهم ، أمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم ، كما هو الحال في الأميرات بنات البادشاه ، ولا يخاطبون بأسمائهم ، مهما كانت سنّهم . و لم يكن البادشاه بنفسه يخاطب بناءه وبناته بأسمائهم المجردة ، وكان يناديهم بالألفاظ التالية » ، محمد خان ، عائشة سلطان ، أحمد أفندي » .

لا يلتحي الأمير أبدًا » لكن كان بإمكانه إطالة شاربه . ويلتحي فور جلوسه علي العرش (Baron de Memoires Tott 71. 1) .. ياووز ووحيد الدين فقط لم يكونا ملتحيين . أما عثمان الثاني ، فلم يتمكن من إطالة لحيته بسبب عدم إدراكه السن الكافية لإنبات لحيته بكثافة .

يخصص لخدمة الأمير فور ولادته 20 جارية ، وعند إكماله السنة الأولي يرتفع عدد المعنيّين بخدمته إلى 6,03 منهم عقيد الغرفة الخاصة (7,96,7d'Ohsson) . شروعهم بالقراءة

وختانهم ، كان يجري بمراسم كبيرة . ولادتهم ، كانت كذلك . لكن زواجهم ، كان يجري بمراسم بسيطة في أجنحتهم الخاصّة ، عدا السلطانات (الأميرات) ، كان يجري زواجهن باحتفالات كبيرة رائعة ومفتوحة للشعب على الأغلب .

5 – السـلطانات :

بالعثمانية « سلطان » . أطلق اسم « سلطان » منذ 1453 وحتي يومنا هذا ، علي ابنة البادشاه أو الشهزادة (الأمير) ، أي علي الأميرات الامبراطوريات المنحدرات من جهة الأب من صلب غازي عثمان ، ولأجل المبالغة في الاحترام واللطف يقال « سلطان أفندي » . كان يطلق عليهن قبل فتح استانبول اسم « خاتون » . إن 5 دفعات من الإطلاقات المدفعية ، في كل دفعة٧٠ إطلاقات تطلق من ساحل سراي طوبقابو وقلعة بديكوله ، تشعر شعب استانبول بميلاد شهزادة و 3 إطلاقات ، تشعر بميلاد سلطانه .

إن زوجات البادشاة أو الشهزادات ، عند ولادتهن شهزاده أو سلطان ، سواء كانت قادين أفندي (زوجة السلطان) أم خانم أفندي (زوجة الأمراء) مضطرات للولادة وسط جمع غفير من النساء . ويحتم القانون عرض المولود عند ولادته فورًا ، علي رجال الدولة الذين يتظرون أمام الباب .

إن السلطانات اللواتي يدركن سن البلوغ ، يلبسن الرداء الطويل ويغطين الرأس ، ولا يستعمل حجاب الوجه ، إذ إن الوجه ، يظهر تمامًا من وراء الغطاء (الياشماق) الشفّاف . ولم تكن تخفي وجهها عن الشعب على أساس قاعدة عدم نظر أي رجل بنظرة سوء إلى بنات بني عثمان . يهدي البادشاه تاجا في زواج كل سلطانة . كانت تلبس هذا التاج في المراسم . البادشاه والشهزاده ، لم يلبسوا التاج أبدًا . اعتبر التاج في النظام العثماني ، زينة تخص النساء . تمنح السلطانة الطفلة راتبا ومخصصات سنويّة قدرها 5 000 ليرة ذهبية واعتبارًا من زواجها ، يصبح راتبها السنوي000 40 ليرة ، وعدا ذلك ، تأخذ عندزواجها 900 000 ليرة ذهبية ، وكذلك تمنح سراي مستقلا ومؤثثا تأثيثًا كاملاً . تمنح الأميرات (خانم – سلطان) ، اعتبارًا من تاريخ زواجهن 800 1 ليرة ذهبية سنويًا . كانت هناك سلطانات كثيرات ، على درجة من الغني ، لا يمكن قياسها بهذه الرواتب . إذ إنهن كن قد اغتنين بالأموال الطائلة التي انتقلت إليهن

عن آبائهن ، أمهاتهن ، أزواجهن . تمنح تيجان إلى زوجات البادشاه ، زوجات الشهزادات (الأمراء) ، الأميرات ، بنات كريمات البادشاه كذلك ويلبسنها في الاحتفالات . لكن هذه التيجان ، أصغر من تيجان السلطانات (بنات البادشاه) وأكثر تواضعًا .

يقوم بعقد قران السلطانات (كريمات السلطان) شيخ الإسلام وبنات كريمات السلطان (خانم – سلطان) قضعسكر (القاضي العسكري) روملي . كان هذا ما ينص عليه القانون . يكون آغا (آمر) دار السعادة وكيلاً للسلطانة ، ويكون الصدر الأعظم أو أحد الوزراء ، وكيلاً للصهر . السلطانات ، كن يتزوجن بشرط حيازتهن على حق تطليق أزواجهن . وقد استعمل بعضهن هذا الحق . لا تتمكن كريمة السلطان أو حفيدة السلطان من الزواج ، ما لم يوافق ويستصوب ذلك البادشاه .

كان للسلطانات كذلك ، كما للشهزادات وزوجات البادشاه ، قوارب رسمية بألوان خاصة وعدد مجاديف معيّنة وعربات ذات 4 خيول . إن العربة ذات الـ 4 خيول ، خاصة بالشهزادات أما السلطانات وحتى الصدر الأعظم ، فكانت عربته ذات حصانين .

كان يطلق اسم « داماد شهرياري » على أزواج السلطانات بصورة رسمية واختصارًا « داماد » (صهر) . إن لم يك باشا . كانوا يستعملون لقب « بك أفندي » وتلفظ « بي أفندي » . تطبق عليهم مراسم التشريفات المخصصة للأمراء من نسل كريمات السلطان (سلطان – زاده) . ورغم أن السلطانات ، كن يدخلن المراسم بحسب تسلسل أعمارهن ، كان الأصهار يدخلون مراسم التشريفات بتسلسل تواريخ زواجهم . لا يمنح أزواج السلطانات راتبًا إضافيًا لاتصافهم بصفة داماد (صهر) . كلهم . كانوا موظفي دولة . كانوا يتقاضون رواتب وظائفهم . الأصهار الذين لم يحصلوا على رتبة وزير . قليلون جدًا . كان اختيار الأصهار يجري من بين الرجال العسكريين ونادرًا من بين الرجال المدنيين أو من بين أولادهم . لا ينتخب الأصهار أبدًا من بين رجال الدين .

يسمى أبناء السلطانات « سلطان – زاده » و « بك أفندي » (بعضهم باشا) ؛

وتسمي بنات السلطانات « خانم – سلطان » . هؤلاء كانوا أمراء وأميرات . لكنهن لم يكن أميرات إمبراطورات كأمهاتهن السلطانات ولم يكونوا أمراء امبراطوريين كالشهزادات كانوا أميرات وأمراء اعتياديين . اعتبرت السلطانات كريمات السلطان) والشهزادات (أبناء السلطان) فقط ، أعضاء للسلالة . إن أبناء بنات السلطان (سلطان – زاده) وبنات كريمات السلطان (خانم – سلطان) كانوا أمراء وأميرات كزوجات البادشاه والشهزادات وأزواج السلطانات ، لكنهم كانوا « منسوبين إلي السلالة » . لا يحق للسلطان – زاده أن يعتلي العرش . لأن النسب يأتي عن طريق الأب نسب الأم ، لم يكن معتبرًا .

كان بالإمكان عقد النكاح علي السلطانات الأطفال . يصبح زوجها « داماد » (صهر) بصورة رسمية حين عقد النكاح . لكن لا يجري الزفاف أبدًا ، ما لم تدرك سن البلوغ . ولا يمكنها أن تخرج إلي سراي منفصل قبل الزفاف ، وتبقي في سراي البادشاه . سلطانات كثيرات ، أصبحن أرامل دون زفاف ، لوفاة أزواجهن قبل إدراكهن سن البلوغ ، وتسمي هذه الزيجات ، زيجات « صورية » . إن متوسط أعمار بنات عبد المجيد الأول (1839 – 1861) الـ 8 وقت تواريخ زواجهن الحقيقي ، هو 6 / 17 سنة . أما متوسط أعمار بنات ، ابنه عبد الحميد الثاني (1876 – 1909) الـ 7 في تواريخ زواجهن ، 1 / 20 سنة . ثبت زواج 6 سلطانات ، في سن 12 بالزفاف ، وسلطانتان تزوجتا بعد سن الـ 30 . هنالك سلطانات جرى زواجهن 8 مرات بسبب وفاة أزواجهن بصورة متعاقبة .

السلطانات ، لا يخرجن من استانبول . كان لا يمكنهن مصاحبة أزواجهن في حالة اشتغال أزواجهن بوظائف في مختلف أنحاء الامبراطورية . لا يمكنهن الحصول علي موافقة لأداء الحج . وكانت تحصل استثناءات قليلة جدًا لكل ذلك . تم تزويج بعض السلطانات ، قبل العصر 16 بأمراء (بكلربك) الأناضول أو بحكام مسلمين آخرين (مثلاً سلطان المماليك) . ثم تركت هذه العادة بشكل قطعي . إن السلطانات اللواتي تمكن من مصاحبة أزواجهن في الأقطار الخارجية ، كان خروجهن بعد عام 1908 .

إن أطول زيجة سلطانة ، هي زيجة البنت الكبري لعبد الحميد الثاني ، السلطانة زكية

بالمشير داماد نور الدين باشا . الابن الكبير لغازي عثمان باشا ، انتهت في سنتها الـ 61 بوفاة السلطانة عام 1950 . وأقصر زيجة فعلية هي التي حصلت بزواج السلطانة بهيجة ، إحدي بنات السلطان عبد المجيد بالداماد حميد بك أفندي ، انتهت بوفاة السلطانة بعد 14 يومًا (1876) . يشاهد أن السلطانات عشن مدة أطول من الشهزادات ، وأن اللواتي توفين وهن كبيرات السن جدًا ، لسن قليلات .

إن لقب السلطانات الرسمي ، كان « دولتلو عصمتلو » (صاحبة الدولة صاحبة العصمة) ويضاف إلي نهايات أسمائهن عبارة « عليّة الشأن » مثلاً كان الاسم في الكتابة على هذا الشكل : دولتلو عصمتلو عائشة سلطانعلية الشأن حضرتلري .

6 - زوجات البادشاه والشهزادة (أبناء البادشاه) :

البادشاه والشهزادات ، حتي 1520 تقريبًا ، كانوا يتزوجون بأميرات الإمارات الأناضولية التركمانيات أو بأميرات مسيحيات من البلقان . أصبحت الإمبراطورية في هذا التاريخ دولة عالمية عظمي بحيث لم تبق سلالة مجاورة للحصول علي ابنتها . لم تكن حينذاك عادة طلب البنت من العائلات العثمانية الكبيرة . كان البادشاه لا يرغب في تأسيس روابط قرابة مع عائلات من رعيته . كانوا يتحاشون جدًا أن يظهر أشخاص كأب زوجة البادشاه ، أخ زوجة البادشاه . إن زواج عثمان الثاني بابنة شيخ الإسلام ، حادثة استثنائية . والمعلوم أن عائلة بني عثمان ، كانت تعتبر العائلة العريقة الوحيدة للدولة . مجرد ولادة الشخص من بني عثمان ، كان امتيازا بالولادة بحد ذاته . لم يعترف لأية عائلة ، بامتياز الولادة . ولهذا ، فإن النظام العثماني علاوة علي كونه مضادًا للنظام السلالي الأوروبي ، فإنه يختلف كذلك عن السلالات الإسلامية والتركية الأخري .

وبناء على ذلك ، يبقي مصدر واحد ، وهو الزواج بالجاريات عديمات النسب . يشاهد أن السلاطين والشهزادات الذين تزوجوا بجاريات متنوعات الجنسية خلال العصر 16 ,17 ؛ استقروا في العصرين الذين يليانه على الزواج بالجاريات القفقاسيات والجركسيات بصورة عامة .

كان الحرم الهمايوني بحاجة مستمرة إلى جاريات . كن يجلبن وهن صغيرات السن

جدًا . كان يجب أن يكن « جميلات لا عيب فيهن ويكن ابكارًا » (119, 1, Ricault) . يساق هؤلاء إلى الصنف المبتدىء ، تعلمهن الجاريات المسنّات اللغة التركية ، الديانة ، القراءة والكتابة وبالنسبة لمهارتهن ، تعطى لهن دروس في الأدب ، الموسيقى ، الرقص ، النقش ويعلّمن أدب وأصول السراي . ثم يتم توزيعهن على أجنحة الجواري ذوات الرتب ، زوجات البادشاه ، السلطانات . وتختار زوجات للسلاطين والشهزادات ، من بين الجواري اللواتي أكملن تحصيلهن وتخلصن من صفة « البنت المبتدئة » (عجمي قيز) وتوصلن إلى سن الزواج (وعلى العموم سن 15) ، سلطانان فقط اختار كلاهما زوجة له من بين المبتدئات . إن الجارية التي أكملت تحصيلها ولم تكن زوجة لبادشاه أو شهزاده ، والتي خدمت براتب مدة 9 سنوات بعد مدة التحصيل ، في حالة عدم إصرارها على عدم استمرارها في الخدمة في السراي ؛ كانت تزوّج بإعطائها بائنة ضخمة وتسمى هذه « جراغ ايديلر » أي تزوج بإعطائها بائنة . إن هؤلاء يعتبرن بنات معنويات للوالدة - سلطان أو للباشقادين افندي (زوجة السلطان الأولى) ، ولا يقطعن صلتهن بهن . يزوجن بأحد رجال الدولة أو بأحد أبنائهم . كن يسمين « سرايلي خانم » أي سيدات السراي ، ولأن تربيتهن تجري بشكل فائق ولكونهن جميلات ولأنهن قد وفرن رواتب 9 سنوات والعطايا والجواهر التي تعطى لهن ، كان رجال الدولة يرغبون في طلب يد سيدات السراي لأبنائهم . لا يجوز أبدًا لغير البكر ، للمتزوجة وللأرملة أن تخدم في السراي .

كانت تخدم في السراي ألف جارية تقريبًا ، على هذا الشكل . فمثلاً ، كانت تخدم في عهد السلطان عبد المجيد (1839 - 1861) 58 جارية في جناح ولي العهد ، 42 في جناح ولي العهد الثاني ، 34 في جناح ولي العهد الثالث ، 11 إلى 17 في جناح زوجات البادشاه (أرشيف سراي طوبقابو رقم E 4002) . وفي دور السلطان عبد العزيز (1861 - 1876) كانت تخدم في جناح والده - سلطان 43 ، جناح ولي العهد 47 ، في جناح كل واحدة من زوجات السلطان من 15 إلى 23 ، في أجنحة زوجات البادشاه اللواتي يسمين « إقبال » من 8 إلى 15 (أرشيف سراي طوبقابو ، E 4002) .

وفي دور محمود الثاني (1808 – 1839) كان راتب الجواري 30 – 100 آقجه في اليوم . 100 آقجه في اليوم ، تعادل حاليًا 200 5 دولار أمريكي في الشهر . كل مصروفات الجارية ، تؤمن من السراي ، ولأنها كانت توفر راتبها الذي تقاضته عن 9 سنوات من الخدمة ، وتتسلم من السلالة خلال هذه المدة هدايا قيّمة وبائنة كبيرة عند زواجها ودارًا للسكن أيضًا ؛ فإنه يتضح سبب رغبة الجميع في الزواج بآنسة سرّحت من السراي .

كانت الجارية المبتدئة التي لم تكمل تحصيلها ، تسمي « أعجمي » لا تقبض راتبا . تخدم بعد ذلك بلقب جارية ، ثم بلقب شاكرد (معاونه) ، ثم بلقب أسطه (ماهرة) مدة 9 سنوات . ويطلق على اللواتي أكملن خدمة الـ 9 سنوات ورغبن في الاستمرار في الخدمة « كذيكلي » أي متقدمة وهي رتبة أعلي . كن يحصلن على هذه الرتب أو الدرجات بنسبة الرضي عن خدماتهن .

وفي نهاية العصر18 كان راتب زوجة السلطان الأولي (باشقادين افندي) السنوي 30 000 ليرة ذهبية . راتب الأخريات كان أقل . وإضافة إلي ذلك ، كانت كل زوجة من زوجات السلطان تمنح مبلغًا يتراوح ما ين 15 إلي 18 ألف ليرة ذهبية عند كل ولادة (d' Ohsson ,7 ,72 – 3) . فمثلاً ، كان البادشاه يلبس رأس زوجته عند ولادتها الأولى وهي علي فراش النفاس تاجًا ، هذا التاج يكون بعد ذلك ملكًا لها (Ricault ,1 ,123) .

تسمي زوجات السلاطين « هاسكي » « Haseki » (بالفارسية خاصّكي) ، ونادرًا ما سميت واحدة أو اثنتان من زوجات بعض السلاطين « هاسكي سلطان » واعتبارًا من العصر 18 ، استبدلت كلمة هاسكي بكلمة قادين أفندي واستمر ذلك إلي النهاية . حملت زوجات السلاطين ألقاب باشقادين أفندي (زوجة السلطان الأولي) ، زوجة السلطان الثانية ، الثالثة ، الرابعة نسبة إلي تواريخ زواجهن بالبادشاه . سواء أكانت أم الولد أم لم تكن ، فذلك لم يكن يغير من وضعهن وألقابهن. إن توفيت إحدى الزوجات يستمر تسلسل القدم ، عندئذ الباش إقبال تصير ، زوجة السلطان الرابعة .

إن زوجات البادشاه اللواتي يحملن لقب (قادين أفندي كن في التشريفات بمرتبة الملكة . لكن حتي زوجة البادشاه . الأولي لم تكن تعتبر إمبراطورة الإمبراطورة الوحيدة ، إن كانت علي قيد الحياة ، فهي أم البادشاه أي والدة ــ سلطان .

إن زوجات البادشاه ، القادين أفندي والاقبال ، اللواتي أصبحن أرامل بعد وفاة أزواجهن السلاطين ، يمكنهن الزواج في حالة رغبتهن في ذلك . لكنّهن يفقدن ألقابهن . وحتي يكون زواجهن ممكنًا ، يشترط أن لا يكون لهن ولد ، شهزادة أو سلطان (ابنًا أو ابنة) . وإلا فسوف يظهر أب ثان للشهزادة أو السلطان ، وهذا ما لا يسمح به . وكذلك في حالة تطليق البادشاه زوجته – وهنالك عدة نماذج لذلك – ، تتمكن من الزواج بمن تشاء في حالة عدم وجود ولد لديها .

إن زوجات البادشاه اللواتي يأتين بعد القادين أفندي مرتبة ، يطلق عليهن اسم « إقبال » ويكون تسلسلهن على شكل باش إقبال ، ايكينجي ، أوجونجي ، دوردنجي إقبال (إقبال الأولى ، الثانية ، الثالثة ، والأربع) . وتسمي زوجات البادشاه الـ 4 اللواتي يلين الإقبال « كوزده » والأربعة اللواتي يلينها « بيك » Peyk . وبالطبع لم يكن لجميع السلاطين هذا القدر من الزوجات . الإقبالات الأخريات كن في التشريفات بمرتبة الأميرات . « الإقبالات » . كن مساويات في التشريفات للخانم – سلطانات (الأميرات بنات كريمات البادشاه) ، القادين أفندي ، كن مساويات ومعادلات للسلطانات (كريمات السلطان) ويشاهد في المكاتبات ، في الخطاب إلى القادين أفندي (زوجات السلطان) استعمال ألقاب « دولتلو عصمتلو » – كالسلاطين – ، ويطلق على الإقبالات لقب « عصمتلو » فقط – كالخانم سلطان – كان يطلق على الإقبالات لقب « خانم أفندي » . أما الـ « كوزده » والـ « بيك » فكان يطلق عليهن لقب « خانم » فقط وكن أصغر أميرات .

لم يكن هنالك فرق بين الزوجات اللواتي تزوجهن البادشاه عندما كان شهزاده (أمير) وبين اللواتي تزوجهن وهو بادشاه . ولأن اللواتي تزوج بهن عندما كان شهزاده ، يحصلن على لقب قادين أفندي بعد اعتلائه العرش ، عندئذ يكن أقدم من الأخريات .

كان يطلق على زوجات الشهزادات « خانم أفندي » بصورة رسمية ، كانت درجة هؤلاء مساوية لدرجة « الإقبالات » والخانم سلطان في التشريفات . كانت الزوجة الأولى للشهزادة تسمى « باشخانم أفندي » زوجات الشهزادات ، لم يكن أميرات

إمبراطوريات كأزواجهن ، كن فقط أميرات ، لا يتزوج الشهزادة بأكثر من 4 زوجات . وإن حدث ذلك ، تعتبر عندئذ جارية اعتيادية ، ولا يمكنها الدخول في التشريفات .

زوجات البادشاه ، القادين أفندي « والإقبالات » اللواتي يتوفى أزواجهن السلاطين ، كن يسكنّ مع أولادهن . ولا يسكنّ أبدًا في حرم البادشاه الجديد . إن كان لها سلطانات (بنات) متزوجات ، فتذهب إلى سرايهن ، أو تذهب إلى بيوت أبنائها الشهزادات ، وإن كن بلا ولد ، يخصص لهن شقة في السراي القديم الموجود في بيازيد أو يعطي لهن سراي أو قصر منفصل .

7 – الحرم الهمايوني :

الحرم الهمايوني ، هو قسم السراي الذي يعيش فيه البادشاه مع أولاده وزوجاته ، وينام فيه الليل . رئيسة الحرم هي السلطانة – الوالدة ، وعند عدم وجودها ، الباشقادين أفندي (زوجة البادشاه الأولى) . إلا أن الإدارة تحت سيطرة موظفين كبار جدًا أحدهما رجل خصي ، والآخر امرأة بكر : دار الشريفة أغاسي الذي يسميه الشعب « قيزلر أغاسي » (آمر البنات) وباشخزينة دار اسطه .

قيزلر أغاسي ، خصي زنجي أو حبشي . لا يجوز للأبيض أن يكون خصيًا . هو بدرجة وزير . وهو رئيس الخصيان الموجودين في الحرم . وينتخب من بين الأغوات الخصيان الذين يرتقون إلى مناصب كمنصب خزينة دار (المسئول عن الأموال والصرف) ووظيفة مصاحب ينظم علاقات الحرم مع الخارج .

إن إدارة الجواري الموجودات في الحرم ليست تحت إشراف قيزلر أغاسي ، بل تحت إشراف الجارية الكبيرة المسماة باشخزينة دار اسطة . درجتها معادلة لدرجة وزير وتتقاضى راتب وزير . تحمل بيدها عصا طويلة تمس الأرض . إن أحد أختام البادشاه الثلاثة ، لدي هذه الجارية (الآخران لدى الصدر الأعظم ولدى خاص أوده باشي « رئيس الغرفة الخاصة ») . كان راتبها في أواخر العصر 18 ، 15 000 ليرة ذهبية سنويًا ، هذا عدا عطايا البادشاه والسلطانة (d'Ohsson, 7, 72 – 3) . الخزينة دار

الثانية والخزينة دار الثالثة ، مساعدتان لها ودرجتهما تعادلان بكلر بك (فريق أول) وسنجق بك (لواء) . إن عدد الخزينة دار 12 على الأكثر . إن هؤلاء جاريات في أعلى الرتب . إن واجب المابين الخاص بالسلطانة - الوالدة ، بالسلطانات في الحرم ، بزوجات البادشاه ، ملقي علي عاتق هؤلاء الجاريات . الخزينة دار الخمسة الأوليات ، يمكنهن الدخول إلى غرفة البادشاه بكل حرية ، أما رئيستهم الباشخزينة دار ، فيمكنها الدخول إلى غرفة البادشاه أثناء نومه وإيقاظه لأمر هام . وحتي زوجات البادشاه مجبرات على تنفيذ الإخطارات والتعليمات التي تصدرها حول تأمين النظام والتشريفات . إن الخزينة دار الـ 15 الأوليات مخولات بلفت النظر إلى التصرفات الخاطئة حتى لزوجات السلطان اللواتي يطلق عليهن اسم « إقبال » . إن الباشخزينة دار كانت تحفظ عن ظهر قلب وبصورة فائقة عادات وقواعد وأصول التربية والآداب المتبعة في السراي . وهي التي تنظم مراسم معايدات الحرم ، ترتدي في معايدات الحرم أفخر ألبستها الخاصة ، وتثبت على صدرها أوسمتها مع الختم الهمايوني النهبي . لا يحق لها الذهاب إلى الاحتفالات خارج الحرم .

لكل خزينة دار جواري خصّصن لخدمتها ، وحصص للخدمة الشخصية للباشخزينة دار ، 20 جارية تقريبًا . ومن الواضح أن وظيفة الخزينة دار ، تقابل وظيفة ضابط خاص أوده في الاندرون همايون (تشكيلات السراي الداخلية) . وتتسلسل بعد الخزينة دارات 5 كاتبات برتية « قلفه » يعنين بأمور التشريفات والزيارات ، ثم يأتي بعد ذلك بحسب تسلسل التشريفات الجواري المسميات جماشيرجي (غسالات الملابس) ، ابريقدار (المختصات بالأباريق) ، جشنكير (المعنيات بالاحتفالات) ، قوطوجي ، كيلرجي (خازنات الذخيرة) ، شربتجي (صانعات أو مقدمات المشروبات) . وتعمل في كل صنف من هذه الأصناف جاريات عديدات . فمثلاً ، تدعي أقدمهن باشقهوة جي قلفه ومعاونتها ايكنجي قهوه جي قلفه .

وأخيرًا ، كان للحرم فرقة بنات كاملة للموسيقي التركية (ساز) وفرقه (باندو) للموسيقي الغربية وهذه الفرق ألبست ملابس الرجال بعد التنظيمات ، برزت من بينهن ، دلحيات قلفه ، أعظم ملحنة تركية (1750 - 1820) . بإمكان المدرسين الرجال الدخول إلى الحرم للتدريس .

إن الجواري الأطفال أو البنات الشابات لزوجات البادشاه والسلطانات ، كن عنصرًا من عناصر العظمة . لا يقمن بأي عمل . كن يتعلمن بالرؤية والسماع . ظهر من بين هؤلاء خاصة ، زوجات سلاطين . الجواري ذوات الرتب كن يتجولن بكامل جواهرهن . لكن النديمات بصورة خاصة ، كن يتزيّن بشكل يمكن أن يقال عنه ، إنهن غرقي في بحر من الجواهر . تبقي هذه الجواهر لديهن ، عند زواجهن .

تتمكن مولّدة (قابلة) البادشاه ، مربيته ومرضعته إن كانت علي قيد الحياة ، من الدخول إلي الحرم كيفما تشاء . إن شاءت تتمكن من المعيشة في الحرم في إحدي الشقق ، أو في قصرها في المدينة . وكان وضع المربيات الشابات للسلطانات والشهزادات لا يختلف عن ذلك . إن السلطانات والشهزادات الأطفال ، كانوا ينادونهن بخطاب « آبا ، آبام » وهي محرفة عن « آبلا ، آبلام » أي الأخت الكبيرة ، أختي الكبيرة . كانت اللهجة الاستانبولية التي تعتبر نموذجًا للغة التركية ، تقسم إلي 4 لهجات أساسية وهي لهجات السراي ، الباب العالي ، المدرسة (المدارس الدينية) ، الشعب . واللهجة النموذجية ، كانت لهجة الباب العالي ، إن اللغة التي كان يتكلمها الكاتب أفندي في الباب العالي ، كانت أرقي وألطف تركية في العالم .

كان للشهزادات (أبناء البادشاه) وللسلطانات (كريمات البادشاه الأطفال خدام – مربون من رجال الأندرون المسنين والذين يسمون « تايا » . هؤلاء كانوا يستصحبون الشهزادات والسلطانات الأطفال من الحرم إلي الخارج ويقومون بخدمتهم . وعندما يكبر سن الشهزاده قليلاً ، يخصص له مربٍ ، رجل آخر يسمي (لالا) . يختار الـ « لالا » ، من بين رجال الدولة المتقاعدين المحترمين الذين شغلوا مناصب مهمة ، لكن مع ذلك ، كان يوجد لالات شباب كذلك . كان واجب اللالا أرفع كثيرا من واجب الـ « تايا » . كان أستاذ الشهزادة في العسكرية ، استعمال الأسلحة والركوب على الخيل .

8 – سراي طوب قابو :

أشهر سرايات البادشاه ، هو سراي طوب قابو . إذا تلفظت كلمة « سراي » في الأدب الأوروبي ، بمنطوقها التركي وبمفهومها المطلق ؛ يعني بها « سراي طوبقابو » . السراي ، في الذوق العماري التركي يتكون من أقسام (سرادق) ، سرايات منفصلة ، قصور ، أبنية كبيرة وصغيرة متناثرة داخل حديقة واسعة . إن السراي المشيد من قطعة

حجرية واحدة ، والخاص بأوروبا ، دخل إلي الفن العماري التركي - مقتبسًا من أوروبا - في العصر الـ 19 . إن سراي طوبقابو هو المجمع الذي شيد فيه باستمرار من نهاية العصر 15 إلي أواسط العصر 19 أقسامًا جديدة . هو ليس سراي من قطعة واحدة . إن هذه الأقسام متناثرة على عرصة آو حديثة مساحتها 000 699 م^2 أي 7 كم^2 . إن سراي أباطرة البيزنطيين وقت عظمتهم ، كان 5 / — كم^2) .

كان يعيش في سراي طوبقابو ، نفوس مدينة كاملة . بلغ نفوس السراي قرابة عام 1640 ، 000 40 نسمة منهم 000 12 حرس عسكري وهذا أكثر ما توصل إليه . كان كالمدينة محاطًا بسور من جهة البر والبحر وكان في 6 من أبراج السور ، مدافع . سكن السلاطين ، في محل إقامتهم الرسمي هذا ، قرابة 5 . 3 عصر .

لم تكن السرايات ، أملاكًا شخصية للبادشاه لا يتمكن من بيعها ، وتوزيعها . كان ينقلها إلي خلفه فقط . جميع أثاثه ضمن هذا الحكم . ينسحب هذا الحكم أيضًا علي الأثاث الأثري والجواهر الموجودة في دائرة الخزينة . تنتقل من بادشاه إلي بادشاه آخر . إذ لو قسمت السرايات ودوائر الخزينة عند وفاة كل بادشاه بين ورثته ، لما بقي سراي لسكني البادشاه الجديد . يستثني من ذلك ، الدراهم النقدية الذهبية والفضية الموجودة في الخزينة . بإمكان البادشاه أن يستعمل هذه النقود كما يشاء ، حتي أنه يتمكن من صرفها إلي آخر مليم .

سكن السلاطين ، قبل فتح أستانبول ، السرايات الموجودة في الأماكن كبورصة ، وأدرنة ، ديمتوكا Dimetoka وعند فتح استانبول ، شيّد السلطان فاتح سرايا في المحل الذي تحل فيه الآن البناية المركزية لجامعة استانبول . ولم يرقه ذلك بسبب كونه وسط المدينة . سمي هذا المكان « السراي القديم » وخصص لزوجات السلاطين المتفوقين . اختار السلطان بعد ذلك ، موقعًا خارج المدينة نسبيًا في نهاية المضيق علي بحر مرمره في الموقع الذي سيسمي بعد ذلك « سراي بورنو » ، وبدأ بتشييد الأقسام (السرادق) الأولي لسراي طوبقابو والسكن فيها . وسمي بالنسبة للسراي القديم « سراي جديد عامره » . لكن شعب استانبول ، استصعب تلفظ هذا الاسم وسماه « طوب

قابوسرايي » (السراي ذو الباب وذو المدافع) ، إذ إن فاتح كان قد أمر في 1478 بوضع مدافع أمام أحد أبواب السراي المحاط بالأسوار رمزًا للعظمة . سكن فاتح في سراي طوبقابو مدة 15 – 16 سنة ، خلال وجوده في استانبول والمعلوم أنه لم يتمكن من السكن في مدينة العرش لمدة طويلة بسبب حملاته المستمرة . وأساسًا فإن توسع السراي ، حدث بعده .

أضاف ابنه وخلفه بيازيد الثاني (1481 – 1512) بعض أقسام إضافية . سكن السلطان ياووز سليم مدة قصيرة في السراي ، بسبب حملات (1512 – 1520) . أما في عهد السلطان سليمان القانوني (1520 – 1566) فإن السراي توسع بصورة أساسية . لم يذهب أي بادشاه بعد القانوني ، إلى السراي القديم في بيازيد ، وأصبح سراي طوبقابو بعد ذلك محلاً قطعيًا للإقامة . طول الأسوار ينيف علي الـ 5 كم .

للسراي 6 أبواب كبيرة تفتح علي المدينة ثلاثة منها على أسوارها البحرية وثلاثة على أسوارها البريّة وأبواب صغيرة عديدة تسمى « قلطوق قابوسي » . البوابة الكبيرة الأصلية المسماة باب همايون ، هي اليوم المدخل لحديقة كلخانه « كلخانه باركي » . يدخل منه إلى الفناء الأول . لقد عني بكنيسة آيا ايريني البيزنطية الصنع الواقعة علي يسار الفناء ، جمعت فيها الأسلحة القديمة كذكرى تاريخية وأصبحت اليوم متحفًا عسكريًا غنيًا جدًا . وكانت دائرة المسكوكات النقدية الإمبراطورية (ضربخانة همايون) ، في أقصى اليسار . كانت النقود العثمانية في الأدوار السابقة في استانبول ، تسك فيها . وتسك فيها اليوم كذلك ، النقود المعدنية والذهبية الخاصة بالدولة يجتاز من الباب المسمى « باب السلام » والذي يسميه الشعب الباب الثاني والباب الوسطى ؛ من الفناء الأول إلي الفناء الثاني . الفناء الثاني ، يسمي « آلاي ميدان » (ميدان المراسم) . تجري فيه الاحتفالات الكبري وتوزع فيه علي أوجاقات (حاميات) القابوقولو رواتبهم المسماة « علوفة » في كل 3 أشهر باحتفال عسكري . الباب الوسطي ، هو اليوم باب المدخل إلي متحف سراي طوبقابو . كان بإمكان الشعب نهارًا ، الدخول بحريّة إلى الفناء الأول حتى الباب الوسطي بقصد التفرج والتنزه .

وفي يمين الفناء الثاني أو ميدان المراسم ، يقع « مطبخ عامرة » المطبخ الهمايوني ذو

الـ 20 مدخنة . ويشاهد بعد مسافة ، علي اليسار ، البناية المسماة « قبّة آلطي » (تحت القبة) . إن الصالة الصغيرة في هذا البناء ، وجّهت السياسة العالمية لعصور طويلة . إذ إن مجلس الوزراء الإمبراطوري المسمي ديوان همايون ، كان يجتمع فيها .

الباب الثالث ، يسمي باب السعادة . ومنه يجتاز إلى الفناء الثالث . وسماه الشعب أيضًا « آق أغالر قابوسي » (باب الأغوات البيض) حيث كان يحرسه في وقت ما الخصي البيض . وأغا (آمر) باب السعادة ، هو موظف السراي بدرجة وزير وكان رئيسًا للخصيان البيض ، ألغيت هذه الوظيفة وترك استعمال الخصيان البيض . وتوجد مقابل الباب تمامًا ، غرفة القبول التي تمسى « عرض أوده سي » . وهي صالة صغيرة وضع فيها العرش ، يقابل فيها البادشاه رجال الدولة والسفراء بصورة رسمية . ويشاهد خلفها مكتبة السلطان أحمد الثالث ثم جناح البردة الشريفة الذي يسمى « خرقه سعادت » ، جناح الخزينة وفي النهاية الحرم الهمايوني .

إن غرفتين من غرف دائرة الخزينة الهمايونية كانت مكدّسة بالأشياء التارخية والجواهر . كانت تختم بختم يلووز العقيق .

يحتوي الحرم الهمايوني على 380 غرفة وصالات عديدة . تخطيطه كأنه متاهة معقدة ، الصالات ، المماشي الدهاليز ، الممرات السريّة والظاهرة ، السلالم ، الحمامات كدّست الواحدة فوق الأخرى . مدخل الحرم ، يقع خلف بناية « قبة آلطي » ويطلق عليه اسم « عربة قابوسي » ، أي باب العربة . كانت السلطانات وزوجات البادشاه يركبن العربة من هذه الباب ويذهبن إلى المدينة . ومن المدخل المسمي « دولابلي قبه » ، يجتاز إلى الميدان المربع الشكل المسمي « فسقية لي آولو » أو « شادروانلي آولو » أي الفناء ذا الفسقية . وتقع « كوله قابوسي » (باب البرج) علي اليمين ، وبعد مسافة وجيزة ، يشاهد أحد جوامع السراي المشتمل على عدد من الجوامع . ويجتاز من باب البرج إلي برج العدل « عدل كوله سي » (42 م) يرتقى بواسطة 105 سلالم .

وبعد الممر الذي يلي « برده قابوسي » ، يظهر حمّام أغوات الحرم ، مدرسة الشهزادات ، أجنحة باشصاحب ، باشخزينة دار أغا ، الغرف والأجنحة الخاصة بأغوات الحرم ، ثم الطريق الذهبي ، ومنها إلى أرضية الوالدة ، ثم إلى جناح الجواري

المستجدّات وبعد النزول من اليمين من السلالم الحجرية ، ينتقل إلى رواق يحتوي على 25 عمودًا من المرمر ، جناح ولي العهد ، صالة هنكار ، صالة مراد الثالث من صنع المعمار سنان ، مكتبة أحمد الأول ، صالة الفاكهة لأحمد الثالث ، حمّام الهنكار ، شقة والده ــ سلطان ، الأرضية ذات الحديقة المعلقة والفسقية ، كشك عثمان الثالث ، صالة الموسيقي لسليم الثالث ، حوض الجاريات . شقة ولي العهد ، ذات ثلاثة طوابق وقصرين . تستمر بعد ذلك صالة المابين ذات المرايا لعبد الحميد الأول والحرم الهمايوني . سميت الصالونات باسم « أوده » . والغرف الاعتيادية التي تسمى « حجرة » ، ليس لها أسماء . ولا حاجة لوصف وتعداد أكثر مما سبق .

شيد جناح الأمانات المقدسة الذي يحتوي على البردة الشريفة ، السلطان ياووز سليم ويتكون من 4 صالات ثلاث منها مفتوحة اليوم للزوار . أما الصالة التي تحتوي علي البردة الشريفة ، فتفتح حاليًا لحكام المسلمين فقط . وخلال المدة التي تنحصر بين فتح السلطان ياووز سليم لمصر وعودته إلى استانبول في 25 تموز 1518 وإلغاء الخلافة في 3 آذار 1924 ، (405 سنوات و7 أشهر ، 9 أيام ، دقيقة واحدة وثانية واحدة) ، قرئ* القرآن خلال هذه لمدة في هذا الجناح من قبل 24 حافظًا ويوميًا 24 ساعة دون انقطاع ولا ثانية واحدة . يصف أكبر شاعر في العصر ، هذا التقليد المهيب بهذه الجملة « أحد الأسس المعنوية للدولة التركية » (يحيي كمال ، 120, Aziz Islambul) .

يحوي جناح « خرقة سعادت » (البردة الشريفة) الذي يحمل اسم البردة ، بردة الرسول ﷺ ، علم الرسول المسمى « سنجق شريف » (الراية الشريفة) ، سيف واحد لكل من الرسول ﷺ ، عمر (رضي الله عنه) ، عثمان (رضي الله عنه) ، قوس الرسول ﷺ وحاجيات أخرى للرسول والخلفاء الأوائل . جلب ياووز قسمًا منها من القاهرة وقسمًا منها ، سلّمه إلي ياووز شريف مكة الذي جلبها إلى القاهرة ، وقسمًا آخر جلب في الحرب العامة من المدينة ومن الروضة المطهرة ، وقسمًا منها تم الحصول عليه في أوقات مختلفة ومن أماكن مختلفة . توجد في استنبول بردة أخرى للرسول ﷺ ، تسمى « خرقة شريف » ، شيد جامع للحفاظ علي هذه البردة . تعرض علي المسلمين ، ليلة واحدة في السنة ، دون فتح صرتها (البقجـة) .

(*) حسب معلومات مؤلف هذا الكتاب شرع اليوم في قراءة القرآن الكريم بصورة مستمرة في جناح البردة الشريفة ، وإضافة إلى ذلك فتح محفل الهنكار والسلطان ، في جامع آيا صوفيا للعبادة

البردة الشريفة « خرقة سعادت » موضوعة وسط شبكة فضية مذهبة وداخل صندوق من الذهب الخالص داخل 40 طبقة من الصرر . الصندوق ، موضوع فوق مائدة فضية مطلية بالذهب . إن القناديل الموجودة في السقف ، من الذهب الخالص المرصع بالجواهر بصورة كثيفة . عدد السيوف العائدة لكبار رجال الدين ، 21 . أجربة السيوف صنع عثماني ، وكلها ذهب مطعّم بالجواهر .

توجد أكشاك كثيرة متناثرة ، في سراي طوبقابو وكلها آيات في الفن العماري . إن الكشكين اللذين شيدهما مراد الرابع ، كشك روان بمناسبة فتح روان عام 1635 ، وكشك بغداد بمناسبة فتح بغداد 1639 آثار كأنها قطع من الجنة . إن آخر بناء شيّد ، هو قصر مجيدية للسلطان عبد المجيد (1839 – 1861) وهو كبير بدرجة سراي مستقل . إن « جينيلي كوشك » (الكشك الخزفي) الشهير الذي شيّده فاتح ، أقدم شاهد للفن العماري المدني العثماني الذي صمد حتى يومنا هذا .

سراي طوبقابو ، مشهور كذلك بما يحويه من مجموعات . وتأتي على رأسها الخزينة . عرض قسم صغير من الجواهر الباقية في الخزائن المحفوظة في المخازن . المجموعات الأخرى كذلك ، على نفس الوضع ، لا يوجد مكان كاف لعرضها جميعًا . ألوف من القطع ، عرش ذهبي مرصّع ، عرش يدعى « عرش شاه إسماعيل » لكنه في الأصل ، يعود إلى بني تيمور في الهند ، عرشان يعودان إلى أحمد الأول ومراد الرابع ، حاجيات مختلفة مرصعة ، زمرد ولؤلؤ ملء صناديق ، ماسة قاشقجي الشهيرة 85 قيراطًا ، زوج من المائلات (شمعدانات) تحوي كل منهن قطعًا من البرلنت (الماس) عددها – بقدر عدد آيات القرآن – 6282 قطعة (أمر السلطان مجيد بصنعها عام 1841) ، حاجيات لبس وركوب مرصعة ومشغولة بالجواهر ، الجواهر زينة ، أسلحة .

واشتهر سراي طوبقابو كذلك ، باحتوائه على أغني مجموعة في العالم من الخزف (البورسلان) الصيني الذي جمعه السلاطين 700 10 صحن خزف صيني ، 000 4 منها « Seladon » ، بينها صحون مرصعة . وفيه كذلك أكبر مجموعة من الخزف (البورسلان) الاستانبولي ، البلّور ، جشم بلبل (عين البلبل) . مجموعة الأسلحة التي يحويها ، ليس لها مثيل . وإلى كل ذلك ، يمكن إضافة طقم ملابس واحد على الأقل

لكل بادشاه ، شارات رأس للسلاطين مرصعة ، أوسمة ، وأخيرًا ، أعظم الكتب الإسلامية المخطوطة قيمة في العالم وصورها « Miniature » ، ومذهباتها ، آلاف الكتب مع جلود بعضها المرصعة ، أرشيف لا يمكن أن يقدر بثمن . سيوف القانوني (عددها 29) وهو أكثر من له سيوف في السراي 6 سيوف لابنه بيازيد الثاني وسيف واحد لياووز . إن المجموعات المشتملة على 11 000 قطعة سلاح و 347 ساعة ، لا مثيل لها . توجد مجموعة أسلحة غنية جدًا كذلك – لكنها ليست ذات مجوهرات – في المتحف العسكري . ويجب إضافة 2 000 لوحة لأشهر الخطاطين ، وإضافة إلى كل ذلك ، توجد في السراي عدة مكتبات مليئة بالكتب المخطوطة . وأكثر الكتب قيمة ، 2367 كتاب محفوظة في مكتبة الخزينة .

9 – سراي أدرنة الهمايوني :

سراي البادشاه الذي حصل على شهرة تقارب سراي طوبقابو في الفترة الكلاسيكية ، هو سراي أدرنة الهمايوني . ولكون أدرنة أصبحت مدينة العرش خلال الفترة 1402 – 1453 ، توسع كثيرًا سراي إدرنه الذي كان موجودًا منذ 1362 . لكن التوسعة العظمى بعد 1453 وكانت في النصف الثاني من العصر 17 . مراد الثاني ، هو الذي بدأ بإدخال طراز البناء ذي الطوابق العديدة الذي لا يلائم كثيرًا طراز الهندسة المعمارية المدنية التركية وذلك بتشييده داخل مجمّع السراي قصر « جهانّما » المكون من 7 طوابق والمشهور بصالته ذات الحوض ، أكمل ذلك في 1453 . توسع على مر الزمن سراي أدرنة الهمايوني ، وغطى مساحة من الأراضي قدرها 3 000 000 م^2 أي ٣ كم^3 ، وأصبح ، أكبر حتي من سراي طوبقابو (رفعت عثمان **Edirne Sarayi** , 21) كانت الأراضي فيمدينة استانبول محدودة وذات قيمة ، ومن ثم فقد كانت أدرنة أكثر ملاءمة . السراي كان مكونًا من **75 قصر** ، وكشكًا وشقة (ولمعرفة أسمائها واحدًا واحدًا ، انظر **الكتاب نفسه** ، 52 – 5) . للسراي 17 بابًا تنفذ على المدينة (أسماؤها : انظر **الكتاب نفسه** ، 55 – ٦) . له 7 مساجد وجامع تقام فيه صلاة الجمعة (أسماؤها **الكتاب نفسه** ، 56) ، 22 حمامًا (**الكتاب نفسه** ، 56) كان له 6 جسور داخل أراضي السراي(ص 56 – 7) ، نفوسه 6 700 (ص 57) به 5 ميادين كبيرة (ص 62) ،

ومنها آلاي ميداني (ميدان ، ساحة المراسم) 000 43 ذراع مربعة . إن مساحة عرض أوده سي (صالة الاستقبال) الكائنة في ميدان جهانّما التي يستقبل فيها البادشاه رجال الدولة والسفراء ، كانت تبلغ 5 . 30 × 5 . 23 ذراع . اشتهر قصر جهانّما 000 1م^2 بشرفته الكائنة في طابقه الأول والتي تبلغ مساحتها 600 م^2 . كانت مساحة « قوم قصري » (قصر قوم) الذي شيّده فاتح ، 600 م^2 . كان جناح دار السعادة مكونًا من 8 غرف ، حمام واحد ، مساحته 28 x 20 ذراعًا . جناح الوالدة تارخان سلطان بطابقين ، ذو ديوانخانه (صالة القبول) كبيرة ، 9 غرف كبيرة ، حمّامه ذا حوضين ، وله مطبخ خاص و 9 غرف ، وأخرى مجاورة وصالتان مخصصتان لجواري الوالدة ــ سلطان .

إن مساحة حمام السلطان الذي شيده المعمار سنان تبلغ 625 م^2 . كان ارتفاع قصر ترازو الذي شيده القانوني بواسطة المعمار سنان أيضًا ، يبلغ 60 / 21 م .

بقي في حوزتنا اليوم من سراي أدرنة ، الشيء اليسير . بقي السراي تحت إشراف بوستانجيلر (حراس السراي) لتركه وعدم سكنى السلاطين له بعد 1703 ، أصابه الضرر في احتلال 1828 الروسي . أما في احتلال 1878 الروسي ، فقد تلف . وتلف سراي مانيسا الهمايوني كذلك لعدم سكناه من قبل أي أحد من الأمراء ولاة العهد بعد 1595 .

وعدا ذلك ، كانت توجد سرايات مخصصة للبادشاه في المدن كقونية ، حلقه لي ، بلغراد ، سمندره ، نيش ، Filibe, Dimetoka ، صوفيا ، بودين ، سلانيك ، يانبولو ، جورلو .

أما في استانبول ، فكانت فيها سرايات كثيرة خاصة بالبادشاه وأهم هذه السرايات التي يمر بها السلاطين بصورة أكيدة أثناء ذهابهم إلى أدرنة ، هي سراي داود باشا ، حدائق إسكندر جلبي الخاصة وقصره في فلوريا ، نشاط آباد في أورطه كوي ، كولشن آباد في جراغان ، همايون آباد في ببك ، مهر آباد في مرتفع قانليجة ، أمن آباد في فندقلي ، فرح آباد بين جنكلكوي وبكلر بك ، شوكت آباد في استافروز ، سراي إسكدار ، شرف آباد في شمسي باشا . وأخيرًا يجب ذكر المجموعة الكائنة في محيط قصر سعد آباد التي سكن فيها أحمد الثالث في دورلاله (171 ــ 1730) مدة طويلة . أما عدد

الحدائق الخاصة التي تشتمل على قصر واحد فهي كثيرة . وهي الأماكن التي يمر بها البادشاه للاستجمام والكائنة داخل الحدائق الكبيرة ، داخل بساتين الفواكه والخضراوات ، في أشهر الصيف ، البعض لمدة أسبوع أو أسبوعين ، أو ليوم أو يومين ، والبعض لعدة ساعات فقط . إن السرايات الصغيرة التي يمر بها السلطان فقط دون أن ينام فيها ، تسمى « بينيش قصري » . يمكن في هذا المجال ، ذكر قصر قلندر الكائن علي مرتفع في طرابيا ، قصر انجيريليكوي الذي شيّده القانوني ، قصر طوقات الذي شيده فاتح في هنكار اسكه سي . قسم قصور صيد . وأحد أكبر هذه القصور ، هو كشك اسكندر سراي همايون الذي انمحي في العصر 19 . وبالطبع فإن أكبرها ، كان السراي القديم أيضًا . لكن محمود الثاني ، أعطي هذا المكان إلى السرعسكرلك (القيادة العسكرية) في 1826 . واستعمل حتي نهاية الإمبراطورية (1922) ، قيادة عامة ـ نظارة الحربية . ثم أصبحت البناية المركزية لجامعة إستانبول .

سكن السلاطين مدة قصيرة في سراي طوبقابو بعد عام 1808 . لم يستحسن محمود الثاني ، السكن في هذا السراي . أقام منذ عام 1839 حتي وفاته في سرايات دولمة بقجه ، بكلربكي ، جراغان اللواتي لم يكن يحملن الأسماء ذاتها التي يحملنها اليوم . السرايات التي كانت موجودة في عرصاتها ، كانت خشبية على الأكثر . كان يطلق على سراي دولمة بقجه بشكتاش سراي همايوني ، وعلي سراي جراغان أوطه كوي همايوني . عاش ابنه عبد المجيد الأول (1839 – 1861) مدة من الزمن في هذه السرايات ، ثم شيد سرايات حديثة علي الطراز الأوروبي مكونة من بناية حجرية رئيسية والتي يأتي علي رأسها سراي دولمة بقجه . وانتقل إليه .

10 ـ سراي دولمة بقجه الهمايوني :

إن عرصة سراي دولمه بقجه ، كانت في حينها بحرًا ، وكانت قطعة من المضيق . ردمت في 1614 بأمر أحمد الأول . استمرت عملية الردم سنوات طويلة وتمت قرابة عام 1620 . وبناء على ذلك ، كان المضيق أصلاً في هذا القسم أعرض بكثير مما هو عليه الآن . شيّد عثمان الثاني هنا حديقة خاصة ، تحتوي على قصر . شيّد محمود الثاني (1808 – 1839) مكان هذ القصر سرايا حشبيا كبيرا وسكن فيه أكثر أوقاته ، إن

هذا السراي الذي كان بعض أقسامه من الحجر ، كان يسمي « سراي دولمة بقجه الهمايوني القديم » أو « سراي بشكتاش الهمايوني » . سكن ابنه ، السلطان عبد المجيد فيه كذلك ثم هدمه وشيّد مكانه السراي الحجري الحالي العظيم . كمل البناء عام 1855 . أطلق عليه اسم « سراي بشكتاش » . لكن عندما استمر الشعب على تسميته « دولمة بقجه سرايي » وأصر على ذلك تقررت تسميته بهذا الاسم . وسبب تسمية الشعب له باسم دولمه بقجه (الحديقة المردومة أو المحشوة) هو أن أراضي هذا السراي كانت في حينه بحرًا وحصل عليها بواسطة حشو البحر بالتراب .

ثم صرف مبلغ ثلاثة ملايين ونصف مليون ليرة ذهبية ، لتشييد السراي ، وصرف أكثر من ذلك علي مفروشاته . إن السراي الذي يستند علي رصيف مرمري طوله 600 متر ، شيّد من حجر أبيض جميل جدًا جلب من جزيرة مرمره . يطل القسم الخلفي كاملاً علي البحر . والقسم الأمامي يشرف علي بشكتاش والجنوبي ، علي « قبه طاش » ، شيّد هنا برج ساعة ظريف وعلى مسافة قريبة منه جامع دولمة بقجه المطل على البحر الذي شيّدته « بزم عالم » والدة ـ سلطان ، والدة السلطان عبد مجيد . البناية الأصلية ، شيّدت على قطعة أرض مساحتها 16 670 م^2 . الأبنية الأخرى صغيرة . صنع القسم الداخلي من المرمر المسمي (صو مرمري) ومرمر السوماكي (المرمر الملون) . باب السلطنة يشرف على الشارع العام وهو بوابة عظيمة . كانت البوابة الجنوبية الكبيرة التي تقع في جهة الساعة ، خاصة بالزوار . وتوجد 10 أبواب فرعية بعضها تشرف على جهة البحر . أثث جميعه بشكل فائق . كان البادشاه يستعمل الصالة الزرقاء الكبري والتي تحتوي على أرغن ضخم لقبول تهاني النساء في العيد بعد انتقاله إليها من صالة المعايدة التي يتقبل فيها تهاني العيد مرتين في السنة . معايدة النساء ، كانت تجري على هذا الشكل والترتيب ، أولاً السلطانة ـ الوالدة ، 4 من زوجات البادشاه (قادين افندي) ، السلطانات (كريمات البادشاه) حسب تسلسل أعمارهن ، 4 « إقبال (الأربعة الثانية من زوجات الباشاه) ، حفيدات البادشاه (خانم ـ سلطان) ، ويليهن زوجات الصدر الأعظم ، شيخ الإسلام ، النظار ، الوزراء والمشيرون والقضاة العسكرون ونسوة رجال الدولة الآخرين كنّ يعايدن على البادشاه دون تغطية وجوههن ودون تقبيلهن العرش وغطاءه ، كن يحيّين البادشاه الذي يقف على قدميه بأصول »

التحية من الأرض » وذلك بخفض أيديهن اليمني حتي الأرض ثم رفعها إلي رءوسهن . والمعلوم أن جميع السلاطين الذين تولوا السلطنة خلال العصرين 19 و 20 ومن بينهم السلطان عزيز ، أكثرهم جدية ، عاملوا زوجات الوزراء ورجال الدولة برقة متناهية . أن معايدات النسوة هذه ، كانت تديرها وتقوم بتنظيمها وتقديم السيدات واحدة واحدة إلي البادشاه مع ذكر أسمائهن وصفات أزواجهن ، الباشخزينة داراسطه .

أما صالة المعايدة التي يتقبل فيها البادشاه على عرشه الذهبي وبمراسم دولية كبيرة معايدات الرجال مرتين في السنة ، فهذه الصالة ، هي إحدى أعظم وأشهر صالات العالم . مساحة الصالة 250 2 م^2 . ارتفاع سقفها الذي يستند على 56 عمودًا ، 36 مترًا . إن إحدي الثريات الـ 36 البلورية التي تضيء الصالة ، هي الثريا البلورية المدلاة وسط الصالة تمامًا والتي تزن 5 . 4 طن المشتملة على 750 شمعة . إن قيمتها المادية عدا قيمتها التاريخية تعادل 5 ملايين دولار . إن مجموع المصابيح الكهربائية التي تضيء صالة المعايدة هي 500 4 . افتتح عبد الحميد الثاني مجلس النواب الأول في هذه الصالة (19 / 3 / 1877) . الصالة مربعة الشكل تقريبًا وتقع وسط السراي تمامًا .

إن ارتفاع برج الساعة الذي شيد أخيرًا (1860 – 1863) ، 27 مترًا وهو مربع الشكل . إن مسرح السراي الشهير ، حول بعد ذلك إلي اسطبل خاص . إن أكثرية السجاد من صنع تركي هركه Hereke ولا يقدر بثمن . المزهريات التي تبلغ ارتفاعها القامة البشرية ، صنع الصين ، يلدز ، فرنسا ، ألمانيا (Sèvres, Dresden) بالساعات المختلفة الأحجام التي تشاهد في كل مكان والمزهريات كلها ذات قيمة كبيرة . إن الساعة الموجودة في الصالة الكبرى مصنوعة من 80 كغم من الفضة الخالصة السميكة ، هي هدية الخديو إسماعيل باشا إلي عبد الحميد الثاني في 1877 تقريبًا ، سلالم السراي الخمسة الرئيسية المزينة بالكرات البلورية مشهورة كذلك . البناية الرئيسية تحتوي على أكثر من 200 غرفة .

قضي عبد المجيد الأول الأعوام الستة الأخيرة من حياته في هذا السراي . ثم أقام فيه أخوه السلطان عبد العزيز (1861 – 1876) ولكن كان يقيم بين الحين والآخر في سراي جراغا وبكلربكي . أقام فيه مراد الخامس مدة 3 أشهر (1876) . أما أخوه

عبد الحميد الثاني الذي أخذ مكانه ، فقد أقام فيه عدة أشهر ثم تركه ، وانتقل إلي سراي ييلدز . كان يحضر مرتين في السنة لتلقي المعايدة ويعود دون أن يمكث فيه أبدًا ولا ليلة واحدة . إن النفور الذي أبداه جده محمود الثاني تجاه سراي طوبقابو ، أبداه هو كذلك – وله الحق في ذلك – تجاه دولمة بقجه . إقام أخوه محمد رشاد الخامس (1909 – 1918) في دولمة بقجه أكثر مما أقام في ييلدز ، ثم أقام محمد وحيد الدين السادس (1918 – 1922) في ييلدز أكثر من إقامته في دولمة بقجه ، أما الخليفة الأخير عبد المجيد الثاني (1922 – 1924) ، فقد سكن في دولمة بقجه . أعطيت إدارة السرايات في عهد الجمهورية إلى المجلس الوطني التركي . أقام في دولمة بقجه أول رئيسي جمهورية لمدد قصيرة ثم لم يسكنه أحد ، رغم أنه مفروش بشكل كامل كساري بكلربكي .

11 – سراي جراغان الهمايوني :

يقع سراي جراغان في أورطة كوي على الساحل الأوربي من المضيق بالقرب من شمال دولمة بقجه . كان في هذا الموقع أحد السرايات الساحلية ، كان خشبيًا يرتاده سليم الثالث ومحمود الثاني في أوقات الصيف ويمكثان فيه مدة ليست قصيرة . وسّع محمود الثاني السراي في 1839 ، لكنه توفي بعد مدة وجيزة . أقام ابنه عبد المجيد الأول مدة طويلة في قسم الحرم من هذا السراي المكون من 5 أبنية واشتمل على صالة كبير ، 50 × 20 (1000م^2 وحديقة واسعة . وبعد أن تم تشييد سراي دولمة بقجه في 1855 ، هَدَم جراغان لبنيه مجددًا على الطراز الأوروبي ، لكنه توفي قبل بدء الإنشاء. تمكن أخوه عبد العزيز خان ، خلال 4 سنوات) 1861 – 1865) من تشييد سراي يفوق في عظمته ، ما تصوره أخوه الكبير . كان طوله من جهة البحر 750 م . أخذ يقيم في جراغان اعتبارًا من 1865 أكثر من إقامته في دولمه بقجه . وصرف لتشييده ، مبلغًا مساويًا تقريبًا للذي صرفه لدولمه بقجه . وعند خلع مراد الخامس 1876 بعد سلطنة دامت 3 أشهر ؛ خصص سراي جراغان لإقامته مع عائلته . عاش السلطان مراد 28 عامًا دون أن يخرج من سراي جراغان ، وتوفي فيه في عام 1904 . وأصبح سكنًا لابنه صلاح الدين أفندي حتى 1908 . وفي المشروطية ، خُصص لمجلس الأعيان ومجلس

النواب (14 / 11 / 1909) . أراد السلطان رشاد أن يحول دون ذلك ، لكنه لم يوفق . إن سرايا كهذا يحوي حاجيات ثمينة ، لا يصح جعله برلمانًا ، وإضافة إلي ذلك ، فقد جلبت من سراي ييلدز بعض الحاجيات الثمينة ووضعت فيه فأصبح أعظم برلمانات العالم أناقة . إلاّ أن السراي احترق بعد شهرين بشكل غامض يوم 19 ك 2 / 1910 وكانت قد نقلت إليه قبل عدة أيام مجموعات من سراي طوبقابو . بقيت الجدران فقط . وحاليًا هو كذلك . كان مليئًا بالحاجيات المتحفية ولم ينقذ منه شيء ، ومن المؤكد أن الحريق كان متعمدًا .

12 ـ سراي ييلدز الهمايوني :

سراي « ييلدز الهمايوني » في التاريخ ، يعني « عبد الحميد الثاني » . أصبحت كلمة « ييلدز » تستعمل مدة ثلاثين سنة من إلغاء المشروطية الأولي إلي إلغاء المشروطية الثانية ، بمعني نظام عبد الحميد . كما كان يقصد بكلمة « الباب العالي » ، الحكومة العثمانية ... إن الطاقم العظيم الذي تكوّن في سراي ييلدز خلال هذه المدة ، أنشأ لنفسه صلاحيات فاقت صلاحيات الباب العالي ، وأخذ يحكم الامبراطورية . أصبحت ييلدز مدينة داخل مدينة كما كان الحال سابقًا في سراي طوبقابو ، وسراي ادرنه .

كان هذا السراي ، يتكون كذلك من أبنية متناثرة علي مساحة كبيرة من الأرض كما هي الحال في سراي طوبقابو . كان حوالي 000 500 م^2 . كان سابقًا حديقة أميرية تحتوي علي كشك . كان بعض السلاطين المتأخرين يترددون علي هذا الكشك المطل علي المضيق وبحر مرمره . أخرج محمود الثاني لعدة سنوات الوحدات الأولي من الجيش التركي الحديث إلي رامي في الشتاء ، وإلي حديقة الخاصة هذه في ييلدز لغرض التدريب وانضم إليهم بنفسه كضابط برتبة عقيد . لم يكن اسم السراي حينذاك ييلدز . وعتندما خصص السلطان عبد المجيد الكشك الموجود فيها ، لإقامة إحدي زوجاته من الدرجة الثالثة (كوزده) المسماة ييلدز خانم ، اطلق عليه اسم « ييلدز » ، والأصح أن هذا ما أراده الشعب الاستانبولي الولوع بإطلاق الأسماء علي كل شيء ، حسب ما يرغب ، وعندما جعل سرايا ، أصبح اسمه « ييلدز » بصورة رسمية . وبعد أن شيّد السلطان عبد العزيز (1861 ـ 1876) هنا أكشاك بيوك ما بين الذي يعتبر سرايا بحد ذاته ،

مالطه ، جادر ، وكشك جيت ، أصبح عدد الأكشاك الموجودة في الحديقة السلطانية الخاصة ، مع الأكشاك الثلاثة الموجودة فيها سابقًا سبعة ونظمت الحديقة على شكل منتزه (بارك) ، وأخذ يتردد عليها صيفًا ويقيم فيها .

وعند جلوس عبد الحميد الثاني في 1876 ، بعد إقامته مدة في دولمة بقجه ، انتقل إلي يلدز لاشمئزازه منه بسبب مشاهدته فيه خلال 3 أشهر ، خلع عمه وأخيه الكبير ، وكذلك بسبب كون يلدز في منطقة أكثر حصانة ، (لم يسكن جراغان بسبب تخصيصه لأخيه الكبير) ، جعل منه مدينة عظمي لدرجة أنه أسس فيه معامل . ارتفع عدد نفوس سكان السراي إلى 000 12 . جعل مقر الفرقة الثانية الشهيرة التابعة للجيش الأول والمؤلفة من (15000 جندي ، على مقربة من السراي . شيد جامع يـيلدز ، خارج السراي (1885 – 1886) ، أضاف بجانبه برج ساعة (1891) . شيد مسرح — أوبرا السراي . أسس مكتبة غنية جدًا ومجموعات غنية . وأرشيفًا . شيد حوضًا كبيرًا مساحته 000 240 م^2 كانت تسير بداخلة سفن صغيرة . الحديقة الخارجية ، هي اليوم بارك يلدز . حديقة الحيوانات ، مستشفي الحيوانات ، محل ترويض الخيل وتعليم الفروسية ، حمام كبير ، 3 أكشاك ومرافق كثيرة أخري مهدمة حاليًا . أنتج معمل الخزف من 1896 إلي 1908 ، الحاجيات الخزفية ذات القيمة العالمية كالصحون والمزهريات ، المدافىء التي تتسابق المتاحف علي حيازتها ، وكان السلطان حميد يرسل الهدايا إلي الحكام الأجانب من منتجاته . أعاد بنك سومر Sumer Bank إحياء هذه المؤسسة عام 1962 .

وفي العهد الجمهوري ، أصبح قسم من السراي ، أكاديمية حربية . وخصص قسم منه لأمر المجلس الوطني التركي ، وقسم منه لأمر بلدية استانبول . كشك « شاله » الذي يعتبر سرايا مستقلا ، يحتوي علي 64 غرفة وصالة تخص المجلس الوطني التركي . مساحة صالته الكبر 29 × 14 (406 م^2) . سجاد أرضية الصالة قطعة واحدة مساحتها 406 م^2 ، (تزن 7 أطنان) ، صناعة تركية ، وهي إحدي أكبر وأثمن السجاد في العالم . له 4 أبواب من الصدف .

إن سراي يلدز ، هو اسم القصبة التي تقع علي المضيق ين كوزكونجك في الجنوب

وجنكلكوي في الشمال . كان في هذه المنطقة سابقًا حدائق استافروس السلطانية الخاصة . وكانت إحدى مصايف السلاطين . كانت السلطانة الوالدة كوسم ماهبيكر ، قد ولدت مراد الرابع من صلب أحمد الأول في كشك حدائق استافروس السلطانية الخاصة (1612) . شيد محمود الأول بدلاً من قصر استافروس قصر فرحفضاء (1734) وعلى مقربة من شماله ، شيد قصر شوق آباد لأجل إقامةوالدته . وبدلاً من هذه القصور وفي الموقع نفسه ، شيد محمود الثاني (1808 – 1839) ، سراي استافروز الساحلي . سماه الشعب « سراي بكلر بكي » . أقام محمود الثاني وابنه عبد المجيد الأول ، مدة طويلة في هذا السراي والذي الجزء الأكبر منه خشبي . هدم السلطان عزيز (1861 – 1876) هذا السراي وشيد مكانه السراي الفخم الموجود الآن ، على الطراز الأوروبي . وأصلح جامع بكلربكي الذي شيده أبوه محمود الثاني . استفيد من أنقاض سراي بكلر بكي القديم الذي شيده محمود الثاني في 6 أعوام (26 – 1832) ، خلال إنشاء السراي الجديد (61 – 65) . كان السراي الجديد أصغر من القديم ، لكنه على الطراز المعماري الأوروبي ، بيد أنه لم يكن كبيرًا كسراي دولمة بقجه وسراي جراغان . يتكون من طابقين من الحجر الأبيض . يحتوي الطابق الأول علي 6 صالات كبيرة و 24 غرفة . الطابق الثاني هو الحرم . حديقته منظمة على شكل حواجز وطرابق . يحتوي علي حوض مساحته 70 × 40 (2800 م^2 وعمقه 20 . 3 متر . أقام السلطان عزيز في هذا المكان بعد صلاة الجمعة ومراسم قبول الجمعة (سلاملك) التي أقيمت في جامع بكلر بكي يوم 21 نيسان 1865 ، مدة من الزمن . اشتهر بصالته ذات الـ 16 عمودا من المرمر وحوضه . تحتوي أرضية الصالة على أحد أثمن أنواع السجاد في العالم .

خصص هذا السراي لعبد الحميد الثاني بعد إعادته من سلانيك في 1 / 11 / 1912 ، وتوفي 10 / 2 / 1918 ، بعد إقامته فيه مدة 5 سنوات ، 3 أشهر ، 9 أيام واشتهر بأنه استعمل غرفتين فقط من غرف السراي . خصص سراي بكلربكي علي الأكثر للضيوف الأجانب القادمين إلي استانبول ، وأشهر زيارة ، هي زيارة إمبراطورة فرنسا أوجيني Eugènie (ت 1 / 1869) .

14 ـ سرايات إستانبول الأخرى لدور التنظيمات :

ومن بين سرايات السلاطين الأخرى في دور التنظيمات ، يجب أن نذكر أولاً **سراي فرعية** ، شيده السلطان عزيز مجاورًا لسراي جراغان لإقامة من يريد من السلطانات (الأميرات) والشهزادات (الأمراء) . قسم منها الآن يستعمل كأحد أقسام ثانوية غلطة سراي . لم تبق له قيمة كسراي ، لاستخدامه لأغراض مختلفة . والمعروف أن السلطان عزيز ، عند خلعه ، جيء به من سراي طوبقابوإلي هذا السراي ثم قتل .

قصر بيكوز الهمايوني ، شيد هذا القصر الواقع على الساحل الشمالي من الجانب الآسيوي للمضيق ، والي مصر محمد علي باشا وأهدي إلى السلطان عبد المجيد . داخل بستان مساحته 200 000 م^2 .

قصر جنكلكوي ، قصر مسلخ Maslak أو إيازاغا ، قصر باغلارباشي ، قصر جامليجه ، قصر أخلامور ، سراي فندقلي ، سراي أورطه كوي ، هي من أشهر السرايات الصغيرة لدور التنظيمات وجميعها داخل حدائق واسعة . أقام في أكثرها الشهزادات والسلطانات ولاة العهد .

قصر كوجوكصو الهمايوني ، ويقع في جانب الأناضول ، هو أحد لآلئ المضيق . اسمه الأصلي « قصر كوكصو » . يقع بين أناضولي حصار وقنديلّي . تصب من هذه المنطقة إلى البوغاز ساقيتان جميلتان ، كوكصو وعلى جنوبه كوجوكصو . شيد بقصر داخل مرعي مساحته 840 000 م^2 . هدمه السلطان مجيد عام 1857 وشيّد مكانه قصرًا أصغر منه . غيّر السلطان عزيز واجهته . وفتح المرعى الكبير للشعب بعد فصله عن القصر . هو قصر استراحة (بينيش) ولا يستعمل لأغراض الإقامة ، من المرمر . يتكون من طابقين فوق البدروم . كل طابق يحتوي على صالة وأربع غرف . بجانبه حنفية (جشمه) سليم الثالث الرائعة ومسجده ، هدم المسجد عام 1956 .

قصر عينه لي قاواق الهمايوني ، وهو ما تبقي حتي يومنا هذا من **سراي ترسانة الهمايوني** القديم . يقع على الخليج في قاسم باشا . داخل حديقة سلطانية خاصة وقريبًا من القيادة البحرية العليا (قبطان دريالك) . ولد السلطان إبراهيم من صلب أحمد الأول

والسلطانة كوسم ماهبيكر ، في هذا السراي (1615) . كان في هذه الحديقة آنئذ 12 000 شجرة سرو وأشجار مشمش وخوخ تعطي فاكهة ممتازة جدًا ، يعنى بها 300 بستاني وتصاد هنا بعض الأسماك وأنواع المحّار الذي يحاج إليه السراي . كانت الحديقة السلطانية الخاصة 9 000 ذراع مربع والسراي 15 000 ذراع مربع تقريبًا . له جامعان . إن الديوانخانه (صالة الاستقبال) التي يقابل فيها البادشاه الضيوف ، تبلغ مساحتها 979 ذراعًا مربعة وتحتوي على تخت (ديوان) سماه الشعب « آينالي قاواق سرابي « اي » سراي قاواقِ ذو المرايا » فور وضع المرايا العمودية العظمي ، على جدرانها مختلفة التي أهداها رئيس جمهورية وقائد عام البندقية عام 171& ونسي اسم ترسانهسراي . أعطي سليم الثالث في 1808 القسم الأكبر من السراي والحديقة السلطانية الخاصة إلي البحرية ومعمل المراكب ، بقصد تأسيس بحرية حديثة . ثم وضعت البحرية بعد ذلك يدها علي أقسام السراي الأخري عدا الديوانخانه (صالة الاستقبال) الشهيرة . وفي 1876 اجتمع مؤتمر ترسانة في هذه الصالة . وفي 1924 اجتمع المؤتمر التركي ـ الإنكليزي حول مسألة الموصل في هذه الصالة كذلك وانفض مثلما انفض مؤتمر ترسانة دون أن يحقق نتيجة .

15 – أندرون همايون :

« اندرون » كلمة فارسية تعني القسم الخارجي من الشيء وهي عكس الكلمة « بيرون » ومن 1453 حتى 1826 كان لفظ « اندرون همايون » يطلق على مجموعة المؤسسات الكائنة في قسم السلاملك (المحل الذي يسمح لدخول الرجال به) من السراي . ويطلق على مرافق السراي التي تعمل خارج هذا المحل « بيرون همايون » أما المرافق الداخلية جدًا والتي يسكن فيها النساء ويرقد فيها البادشاه فتسمي « حرم همايون » .

الاندرون ، كان مشهورًا بجامعة السراي المسماة « مكتب اندرون » . كانت هذه الجامعة مكونة من قسمين ، قسم الأكاديمية الحربية ـ العلوم السياسية وأكاديمية الفنون الجميلة . وكان القسم الأول يخرّج الضباط لخدمة البادشاه والسراي وبعد أن يخدم مدة في السراي ، ينقل إلى الخارج للخدمة في الأماكن المختلفة . أما أكاديمية الفنون الجميلة ،

فكانت تخرّج فنانين للسراي . كانت تحتوي على أعظم مدرسة لتعليم الموسيقى وأعظم هيئة موسيقية .

لا يقبل الطلاب رأسًا ، في اندرون سراي طوبقابو . يقبل فيها من أنهى مرحلة مدارس السراي العسكرية المتوسطة الدرجة . أما بالنسبة لقسم الفنون الجميلة ، فيقبل الطلاب الذين تكون لديهم استعدادات فنية فوق العادة وإن كان قد شوهد أحيانًا قبول الأولاد الصغار للفنانين رأسًا إلى التحصيل الابتدائي .

كانت المدارس العسكرية ذات الدرجة المتوسطة التي ترسل متخرجيها إلى الاندرون هي : سراي غلطة ، سراي إبراهيم باشا في سلطان أحمد ، السراي القديم في بيازيد ، سراي اسكندر جلبي وسراي ادرنه في ادرنه . فمثلاً كان في سراي غلطه في 1802 ، 5.3 طلاب (أرشيف رئاسة الوزارة ، سراي ، 5354) . لا يحق لجميع المتخرجين ، الدخول إلى الاندرون وإنما يلتحق بها فقط الممتازون جدًا منهم ، والآخرون يصبحون ضباطًا برتب صغيرة ويدعون بالخدمة الفعلية .

تنقسم الصفوف في الأندرون التي تسمى « أوده » ، إلى 6 . أسماء هذه الغرف أو الردهات من الأدنى إلى الأعلى كما يلي : 1 – الصفوف الكبيرة والصغيرة . 2 – غرف الدوغانجي . 3 – غرفة السفرلي . 4 – غرفة الكلر . 5 – غرفة الخزينة . 6 – غرفة الخاصة .

وفي الوقت الذي يخدم فيه الطلاب السراي والبادشاه من الناحية العملية ، كانوا من ناحية أخرى ، يتلقون الدروس التربوية والتعليمية . يعتبر تعليم الأندرون هذا ، من أهم مؤسسات الدولة العثمانية وأهم مؤسسة للتحصيل العالي عدا تحصيل العلوم الدينية . ينتقي من بين الذين أنهوا مدارس السراي المتوسطة ، ذوو الأخلاق ، الذكاء ، الإمكانات ، المعلومات ، التربية ، الاستعداد ، السلامة من العاهات البدنية ، المهارة ، وينقلون إلى غرف الاندرون الصغيرة والكبيرة . كان أولاد موظفي السراي الكبار غير المتخرجين من مدارس السراي والذين أكملوا الدراسة نفسها في بيوت آبائهم ، يؤخذون للاندرون بإرادة البادشاه . « هاتان » الغرفتان « اللتان تحتويان على ما يقارب 400 طالب ، كانتا بمثابة صفوف تحضيرية للصفوف الأعلى منها . كانوا يتعلمون قواعد

السراي ، الرياضية ، استعمال الأسلحة ، الفروسية . ألغي هذا القسم التحضيري في 1675 لانتفاء الحاجة إليه . الذين حصلوا على هذه لمهارات والذين درسوا العلوم الدينية ، العربية والفارسية بدرجة كافية ، ينقلون فورًا إلى الردهة (الصف) المسماة « سفرلي كوغوش » . لأن صف الدوغانجي ، كان قد ألغي بالتاريخ نفسه . وبناء على ذلك ، أصبح آلاندرون عام 1675 ، عبارة عن الصفوف الأربعة الأخيرة (سلاحدار 648, 1) . طلاب الغرف الصغيرة والكبيرة كانوا مرشخين لأن يكونوا ضباطًا وكانوا يتقاضون خلال خدمتهم ودراستهم مبلغ 864 دولارًا شهريًا بالسعر الحالي .

غرفة سفرلي ، أسست عام 1635 وألغيت في 1831 . وفي 1675 نقلت إلى الأندرون وأصبحت المرحلة الأولى لتحصيل الشباب بصورة رسمية . عدد طلابها في (1772) ، 149 (عطا بك **تاريخ أندرون** ، 1 ,154) كلهم كانوا بدرجة ملازم . رئيس الدائرة ، عسكري بدرجة عقيد يسمي « سراي كتخداسي » وتحتوي الدائرة عدا المدرسين على 12 ضابطًا من الرتب الصغيرة و 4 ضباط من الرتب الكبيرة ، يقومون بتدريس الدروس العسكرية . وكان يقوم بتدريس الدروس العلمية ، مدرسون يأتون من الخارج . كان الطالب ، يقوم كذلك أثناء تلقيه العلوم ، بخدمات تتعلق بأمور ملابس وحمام البادشاه . الذي يتخرج من غرفة السفر ، إما أن يرفع إلى غرفة الكلر ويستمر في تحصيله ، وإما أن يتخرج من السراي ويصبح ضابطًا في الجيش .

غرفة الكلر (كلمة تعني مخزن الأرزاق) ، كانت إدارة هذه الغرفة بيد العقيد المسمي كلرجيباشي . عدد طلاب هذه الغرفة عام (1772) ، كان 144 ضابطًا . كانوا في نفس الوقت نفسه يعنون بأمور مخزن البادشاه ، مائدته ، طعامه . 7 ملازم أول ، 15 نقيبًا ، كانوا تابعين لإدارة كلرجيباشي (تاريخ اندرون 1 ,165) .

غرفة الخزينة ، هي كغرفة كلر وغرفة الخاصة أسسها فاتح . عدد طلبتها في (1772) ، كان 157 طالبًا . رئيسها اللواء العسكري للسمي خزينة دارباشي . مصانع السراي التي يعمل بها 000 2 عامل وماهر ، تحت مسئولية هذا الجنرال . يخدم في هذا القسم 5 ضباط بدرجة عقيد . يحافظون على خزينة البادشاه . سوف يأتي شرح ذلك فيما بعد .

16 ــ الغرفة الخاصة . خاص أوده باشي وسلاحدار .

أعلى مراتب تشكيلات الاندرون هي الغرفة الخاصة ، إن جميع منتسبي الاندرون م الذين يقومون بتحصيل العلوم العالية ويعملون في الوقت نفسه ، هم برتبة عقيد . يقدّم إلى البادشاه شخصيًا كل ضابط دخل الغرفة الخاصة ، كان البادشاه يختبر إخلاص كل واحد منهم . أديرت الإمبراطورية لعصور طويلة من قبل الوزراء من متخرجي الأندرون . لا يجوز لأحد أن يتكلم بصوت عال في السراي ، خاصة في الأندرون . كل شيء كان رهينًا بقاعدة . من النادر أن يخرج الضباط الصغار إلى المدينة ، وإذا خرجوا فإنما يخرجون تحت إشراف أغواتهم (رؤسائهم) . يجوز للضباط متوسطي الرتب الخروج إلى المدينة مرة واحدة في الأسبوع ، إلا أن الضباط ذوي الرتب العالية يمكنهم الخروج مرة واحدة في الأسبوع وقضاء الليلة في بيوتهم . لا يجوز زواج الضباط ذوي الرتب الصغيرة ، يجوز للذين لا يريدون اتباع هذا النظام ، ويرغبون في والزواج ، أن يطلبوا نقل خدماتهم إلى خارج السراي . كانت تعطي لهم الواجبات حسب درجاتهم .

وعندما فتح محمود الثاني الكلية الحربية ، ألغى الاندرون والمدارس العسكرية الأخرى في 1833 واكتفي بالحفاظ على قسم الموسيقي ، وحتى هذا القسم أخذ يتضاءل علي مر الزمن .

17 ـ الخزينة الهمايونية :

الخزينة الهمايونية التي سميت « خزينة خاصة » في دور التنظيمات ، هي خزينة البادشاه الشخصية ، وهي دراهمة النقدية الذهبية والفضية وجواهره. أما في نظارة الخزينة الخاصة ـ التي ناظرها ليس عضوًا في الوزارة ـ التي أسست بعد دور التنظيمات ، فقد اتسع مفهوم الخزينة الخاصة وامتد ليشمل جميع الأموال غير المنقولة للبادشاه كالأراضي والمزارع .

الخزينة قسمان : الدراهم النقدية والحاجيات . الحاجيات هي الجواهر والتحف التي لها قيمة مادية وتاريخية كبيرة والتي كانت تجمّع في غرف معينة من سراي طوقابو كذكرى ، وهي تشكل أساس المتحف والفن المتحفي . لاتباع ، لا تصرف ، لا تهدى .

وهي في الحقيقة وبطبيعة الحال كانت ملكًا للبادشاه ، لا يوجد مانع من أن يتصرف فيها كما يشاء . إلاّ أن تبديد الحاجيات التاريخية كان يعتبر مخلاً بالشرف . لم يحاول أي بادشاه بعثرة الجواهر ، شارات الرأس ، الملابس ، السيوف وما شابه ذلك من حاجيات أجداده السلاطين وإخراجها من يده . أما النقود الذهبية والفضية المسماة « آقجه » فيصرفها كما يشاء ، يعطيها كإحسان أو عطية . إن جميع مصروفات السراي ، تسدد من الخزينة الهمايونية . كذلك إكراميات الجلوس . جميع موظفي السراي كانوا يتقاضون رواتبهم من هذه الخزينة . كانت الخزينة الخاصة تعطي المالية مبالغ كبيرة في الحروب الكبيرة وفي أدوار الأزمات ولا تستردها بعد ذلك . ولم يشاهد عكس ذلك ، لم يحدث أن أعطت المالية قرضًا إلى البادشاه .

المسئول عن صيانة الأثاث والأشياء التاريخية ضباط غرفة الخزينة في الاندرون ، كانت تحفظ في سراى طوبقابو في صالتين كل منهما ذات غرفتين ، أى كانت مجموعة في أربع صالات كبيرة . كل شيء كان مسجلاً في سجلين كبيرين . آمر الخزينة برتبة بكلربك (فريق أول) المسمى خزينة دارباشي هو المسئل عن غرفة الخزينة ، لا يفارق البادشاه ، سواء في الحرب أم في السلم . ومعاونه (خزينة كتخداسي) كان برتبة سنجق بك (لواء) . كان هو المسؤول عن غرف الخزينة الأصلية . لكن سجلات الخزينة ، كانت تحفظ لدى سلاحدار شهرياري أي القائد العام للاندرون .

لا تفتح الخزينة برغبة أحد ، عدا البادشاه ؛ كان يجب الحصول على أمر البادشاه الشخصي . لا يمكن لأي شخص على وجه الأرض أن يدخل دائرة الخزينة بمفرده ، عدا البادشاه . كان يدخلها 20 – 30 شخصًا دفعة واحدة وبمراسم خاصة . كان بإمكان البادشاه ، أن يدخل وحده .

ما هو مصدر دخل البادشاه ؟ خمس الغنائم ، كان تفرز للبادشاه ، يحول إلى عملة نقدية ويرسل إلى خزينة البادشاه . هذا حكم الشريعة . إن الرسول ﷺ أخذ الخمس من الغنائم . ورافد آخر يصب في خزينة البادشاه ، هو ريع الأراضي الخاصة للبادشاه والتي تسمى « خاصّ » وبشكل أعم « خواص همايون = الخواص العائدة للبادشاه » والتي يحصل عليها في الفتوحات . كانت خزائن سلاطين دور الفتوحات مليئة وتمكنوا

من تشييد آثار عمرانية كبيرة . ولفقدان السلاطين الذين أعقبوهم هذه الإيرادات لم يصبحوا مثلهم . لم يشيّدوا آثارًا أميرية بنسبة الذين سبقوهم .

يقدّر Du Loir الألماسة المثبتة على شارة رأس السلطان إبراهيم في مراسم تقليده السيف (1640) بـ 300 مليون دولار بالسعر الحالي (ص 126) ويسجل Tavernier (ص 129 وما بعدها) بأن ابنه محمد الرابع يملك 150 شارة رأس ذوات قيم مماثلة لتلك . وفي دور القانوني كدّست المسكوكات النقدية الذهبية والفضية في إحدى قلاع يديكوله ؛ لعدم توافر مكان لوضعها في سراي طوبقابو (نعيمًا ، 1 — 38) . ويسجل Lord Ricault سفير إنكلترا في استانبول ، أن البادشاه في العصر 17 كان يملك عشرات الألوف من قطع البورسلان (الخزف) الصيني يقدر سعر الواحدة منها بالسعر الحالي 000 40 دولار (1 -262) .

ويجب أن نسجل كذلك ، مع بالغ الأهمية ، الهدايا التي يرسلها الحكام الأجانب .

18 – مرافقو البادشاه وضباط خدمته وموظفو المابين :

في الفترة الكلاسيكية ، كان يطلق على موظف المابين (مابينجي) للبادشاه « قوبجي باشي » وتعني رئيس البوابين ولمرافقي البادشاه « جاووش » Cavus . كان عدد البوابين قبيل (1640 , 400 2) (عين علي ، 93 ؛ كوجي بك ، 93) . شوهد في فترة ما ، ارتفاع عدد المابينجي (موظفي المابين) وضباط الأمر (الخدمة) إلى 150 . إن الباشمابينجي هو الفريق الأول المسمى « باشقبوجيباشي » ، وعند تعيينه للخدمة في الخارج يصبح وزيرًا (ماريشالا) (Ricault , 2 - 576) . كانت جميع فرمانات الإرادات السلطانية) البادشاه ترسل إلى كل أنحاء الإمبراطورية بواسطة « قوجيباشي » ، حتى لو كانت صادرة من قبل الحكومة .

والمرافقون الذين يطلق عليهم « جاووش » يقومون بالواجبات نفسها ، لكنهم كانوا يقومون على الأكثر بأمور التشريفات . غالبًا ما يختار ، الذين يرسلون إلى الأقطار الخارجية بوظيفة سفير موقّت من بين الموظفين الذين يسمون جاووش . كان بينهم من يجيد عدة لغات (Ricault , 2 , 578) . وفي فترة ما ، ارتفع عددهم إلى 000 1

(راشد ، 2 -553) . إن تقديم السفراء إلى الحضرة الهمايونية ، تنظيم المراسم في الاحتفالات ، الإلاشراف على النظام وعقوبات مخالفته ، إجراء التشريفات اللازمة للذين يرفعون ويبلغون بذلك بحضور البادشاه ، كان كل ذلك من ضمن واجبات الجاووش . ألغى محمود الثاني وظيفة الجاووش في 1836 . واجبات الفريق الأول المسمى « جاووشباشي » .. أعطاها إلى مشيري المابين الذين شكلهم حديثًا . وكلّف موظفي المابين بواجبات « قبوجيباشيلر » (رؤساء المابين) ، واستحدث اسم « باشمابينجى » بدلاً من « باشقبوجيباشي » وكلف « هنكار سرياوري » (رئيس مرافقي السلطان) ببعض واجبات الـ « جاووشباشي » . وزعت الواجبات الأخرى ، على نظارات العدلية والخارجية التي أسست حديثًا ، وعلى « سر عسكر لك » (نظارة الحربية » . وهكذا أصبحت إدارة السراي ، أكثر حداثة وأضيق صلاحية

19 – خدمات السراي الأخرى :

متفرقة لر ، موظفو المتفرقة ، كان هذا صنف خدمات يتألف من 631 شخصًا تقريبًا برئاسة جنرال يسمى « متفرقة باشي » والذين سمّوا في دور التنظيمات « خدمة همايون » (ايّوبى افندى ، **قانونّامه** ، 15) . كان الوزراء كذلك لديهم موظفون من المتفرقة . كانوا يعنون بأمور صيانة سمعة البادشاه والسلطنة . إن تشكيلات **بلطه جيلر** الذين ارتفع عددهم إلى حوالي 813 و التابعين إلى دار السعادة أغاسي ، هم تحت إدارة عقيد يسمى « بلطه جيلر كتخداسي » . كانوا يؤدون الخدمات الخارجية لمنتسبي السلالة . قسم منهم كان في السراي القديم . **زلفلو بلطه جيلر** ، بمعنى الحطّابه الطوافون ، كانوا 200 شخص تقريبًا من رجال الإطفاء يقومون بحمل الحطب إلى الحرم . **جاشنيكار لر** ، وبتعبير أكثر تركية جشنيجيلر ، عددهم 117 تقريبًا . كان هؤلاء خدمة مائدة (كارسون) يقومون بخدمات تقديم الطعام إلى البادشاه ، العائلة ، موظفي السراي الكبار .

بيكلر ، هؤلاء موظفو بريد السراي . ارتفع عددهم إلى 150 .

شاطرلر ، بمعنى المجتهدين ، عددهم 57 تقريبًا وهم موظفو بريد السراى الذين يرسلون إلى مسافات أبعد . تراهن رئيسهم العقيد المسمى شاطر باشى مع محمد الرابع

الرياضي القدير ، ذهب من أدرنه إلى Dimetoka ركضًا وعاد في ظرف 10 ساعات وربح الرهان من البادشاه وحصل منه على عطيّة .

مهتر لر ، هي موسيقى السراي العسكرية التابعة إلى « مهتر خانه همايون » . عددهم 200 تقريبًا (كوجى بك ، 93) . كانوا على الإطلاق يرافقون البادشاه في الحملات . رفع مراد الرابع في 1640 ، عددهم إلى 300 (أولياء جلبى ، 1 ,261) . وحتى في أواسط العصر 16 كان لدي العثمانية 200 1 من أفراد المهتر .

جادر مهترلري ، أى مهتر الخيم ، يختلفون عن البقية ، هم ليسوا موسيقيين . ارتفع عددهم إلى 000 2 (كوجي بك ، 93) . كانوا مكلفين بنصب ورفع سرادق البادشاه الكبير المسمى « أوطاغ همايون » في الحملات والسياحات .

أمير عالم ، كان هذا آمرًا للعقيد الموسيقي المسمى مهترباشي والعقيد. قائد مهتران خيمة . وكذلك كان يطلق اسم مختر على **سنجقدار وبيرقدار وتوغجيلر** أي حملة رايات ، أعلام ، شارات السلطنة . هذا عدا حملة أعلام وشارات وحداتهم وجنرالاتهم الخاصة .

سيم سقالر ، أي السقاة ، هم سقاة السراي وكان عددهم 36 . يحملون الماء ، ويغسلون خاصة الأرضية الحجرية لجناح البردة الشريفة (خرقه سعادات دائرة سي) ، كان على رأسهم رائد يسمى سقاباشي (رئيس السقاة) .

أئمة ومؤذنو الهنكار(السلطان) ، عددهم جمعًا 60 ,30 منهم . كان يتم اختيارهم من بين الموسيقيين . كان بين الذين زاولوا هذه الوظائف ملحنون قديرون جدًا . إن رتبة الإمام السلطاني والإمام الثاني كانت أعلى من رتبة المؤذن باشي أو سرمؤذن أي رئيس المؤذنين . ويشاهد منح رتبة قاضعسكر (القاضي العسكري) إلى العديد من الأئمة السلطانيين أي إلى رئيس أئمة السلطان . كان الأئمة من حملة الرتبة العلمية (أي أنهم متخرجون في المدارس الدينية) ، لكن المؤذنين يحملون رتبة الاندرون (خريجو مدارس لسراي).

منجّمباشي (رئيس المنجمين) ، ومعاونه منجمباشي الثاني ، كانا تابعين لأمر حكيمباشي . كانا يقومان بالأمور التقويمية وبتحديد أشرف ساعات أي ساعة السعد

الفواكه والورد لحساب السراي .

قائد الحامية هو الجنرال الذي يسمى بوستانجي باشي . هو الشخص الوحيد الذي يمتاز بإطلاق لحيته داخل السراي ، عدا البادشاه . وحتى سلاحدار شهرياري لم يكن يمكنه إطلاق لحيته . كان مسئولاً عن ذوق وجمال الأبنية في الخليج والمضيق . كانت لديه صلاحية هدم الأبنية التي لا تروقه . وكذلك هو مسئول عن أمن سواحل المدينة . يمسك سجلاً بالأبنية المشيدة على السواحل مع أسماء مالكيها . **بوستانجي باشي دفترلري** ، أي سجلات البوستانجيباشي ، وهي وثائق قيّمة لأرشيف التاريخ العثماني . بوستانجيباشي أدرنه ، كان مستقلا . قوشيجباشي ، هو الضابط المفتش العام لغابات ومزارع البادشاه .

آرايبجي ، بمعنى باحثين ، هم خدمة السراي الذين يفتشون باستمرار مجاري مياه السراي والسواحل الرملية . كانوا يعثرون على الحاجيات الثمينة التي تسقط من نسوة السراي في المياه سهوًا .

كانت توجد معامل ومصانع تعمل خارج السراي ، لتأمين احتياجات السراي . مثلاً **حلواجيان خاصة** كان عددهم في 1755 ، 6 أسطه .. (أستاذ ماهر) ، 100 خلفه (مساعد أستاذ) ، يصنعون الحلوى للسراي . **خبازون خاصة** ، هم الفرانون الذين يصنعون الصمون والخبز للسراي . كان عدد القصابين العاملين لخدمة السراي عام 1755 ، 17 قصابًا ، 23 صانعو اللبن المختر والمعنيوين بشئون الحليب للسراي ، 31 خضراويًا ، 17 دجّاجيًا صانعوا المعجنات 23 صانعو الشموع ، 25 سقاة ، 15 طلاة القدور النحاسية ، صانعو الثلج 6 . وكان السراي يحتوي على 369 خياط ، 36 خياط ملابس رسمية . أما منظفوا ملابس السراي ، فكانوا كثيرين . وإضافة إلي ذلك ، كان في القطاعات والمجالات الأخرى 250 عامل أسطة (أستاذ) ، 3 مجلدين ، صانع حبر ، 7 نقاشين ، 8 صانعي أحذية ، 5 صانعي فرو (كركجي) ، 12صانع سيوف (قليجّي) ، و صانع قراب السيف (قينجي) .

21 ــ المطبخ السلطاني (مطبخ عامره) :

كانت تشكيلات مطبخ طوبقابو كبيرة . يطبخ الطعام لمنتسبي السراي . كان مطبخ

أو الساعة المناسبة ، ويقومان بتقوية الروح المعنوية . لكن يلاحظ أن الحكام كعثمان الثاني ، عبد الحميد الأول ، سليم الثالث هَزِئًا علنًا بساعة السعد ، شوهد أن مصطفي الثالث كان يؤمن بذلك . إن الشيخ أحمد ده ده رئيس منجمي محمد الرابع يحتمل أن يكون أعظم مؤرخ أنجبه العثمانيون .

باب السعادة أغاسي ، هو الفريق الأول رئيس الخصيان البيض . وإضافة إلى ذلك كان مديرًا لإدارة 70 جامعًا شيّد من قبل السلاطين . فقد أهميته بعد العصر 16 وصار اسمه « قابو أغاسي » بمعنى رئيس الباب . ومع ذلك فقد استمر حتي 1908 .

حكيمباشي ، هو رئيس 18 طبيبًا ، 10 جراحين ورئيس صيادلة السراي . وكان كالأطباء الذين في معيّته من صنف علماء الدين (11, 7, d' Ohsson) إن إبقاء طبيبين اثنين وجراحين اثنين في السراي في الخفارة لمدة 24 ساعة كان أحد نصوص القانون . إضافة إلى ذلك كان يوجد طبيب للعيون باسم كحّالباشي ومعه طبيبان آخران اضخرين . يقوم أحد الجراحين بختان الشهزادات . الحكيمباشي (رئيس الأطباء) المسمى « سر أطباي خاصة » ، كانت لديه الصلاحية لتدقيق شهادات وإجازات كافة الأطباء الموجودين في استانبول . يترك السراي برتبة قاضٍ عسكري . **أندرون** ، 193,1 - 4 ؛ واصف ، 285,2 ؛ راشد ، 235,3) .

20 ـــ بوستانجي أوجاغي (حامية الحرس) والخدمات الخارجية للسراي :

هي كتيبة حماية حقيقية للسراي وحدائق السلطان الخاصّة . وصل عددهم الأقصى إلى ما ينيف على 4 000 في 1595 ؛ 300 منهم يسمون خصكي Haseki يلبسون بدلة من الجوخ حمراء اللون ويحملون العصي ، جميعهم برتبة ضابط ومساعد ضابط ويشكلون وحدة تابعة للرائد المسمى خاصكي باشا . عند خروج البادشاه لتفقد المدينة متنكرًا (بالعثمانية : تبديل قياقت ، بالفرنسية Cognito) ، كان يستصحب معه عدة أشخاص من الخصكي بعد تغيير لباسهم . كانت في أدرنة حامية حرس (بوستانجي أوجاغي) كذلك . وصل عددهم إلى 954 . كانوا يعنون بالحدائق التابعة لسراي أدرنة . وكان تحت إمرتهم البستانيون الذين يستخدمون الحدائقيين . كانوا يبيعون الفائض من

السلالة والبادشاه منفصلاً . كان رئيس الطهاة (آشجيباشي) يشرف على ما يقرب من 400 طباخ يعملون في 9 أجنحة . كان مطبخ البادشاه والسلطانة - الوالدة منفصلاً ، واسم الأول « مطبخ خاص » .

يؤكل في السراي يوميًا ما يقارب 500 خروف من أجود الأنواع (قيويرجق) . لحم البقر ، لا يدخل السراي أبدًا . يؤكل الدجاج وطيور الصيد بكثرة . توجد مطابخ منفصلة للحلويات ، المشروبات ، المخلّلات . فمثلاً كان عدد العاملين في قسم الحلويات 400 تقريبًا .

وفي المطبخ السلطاني المسمي « قوشخانة » أو « خاص مطبخ » أو رسميًا « مطبخ خاص » ، كان يوجد 12 طباخًا لهم شهرة عالمية في مجالهم ، يطبخون لشخص (البادشاه) . يأتي هؤلاء من قصبة منكن Mengen التابعة لمحافظة بولو Bolu ، يرفّع الذين يبدون مهارة إلى رتبة طبّاخ المطبخ الخاص . كان يوجد أساتذة في الطباخة مختصون بصنع نوع واحد من الطعام ، يتعالون عن صنع نوع آخر ويعتبرون ذلك مذلّة . وإضافة إلى ذلك فللحرم فرن خاص ، كان ينتج 8أنواع مختلفة من الصمود والخبز . أما الصمون والخبز الخاص بموظفي السراي فكان يجلب من الخارج .

كانت أضخم مصروفات في ميزانية مطابخ السراي ، هي ميزانية علم 1670 . تعادل بالسعر الحالي الرائج 126 مليون دولار . بينما في دور القانوني ، دور العظمة ، كان هذا المبلغ يعادل 1 : 4.5 منه . يشاهد ازدياد الفخفخة وزياده عدد موظفي السراي على مر الزمن . يجلب إلى السراي من كل قطر أجود ما يمتاز به ذلك القطر من المحصول . مثلاً أرز السراي يجلب من مصر ، الحمّص والسكر ، من مصر كذلك ، الحنطة من المملكتين (رومانيا) ، الغنم من إيران ومن المملكتين ومن روملي ، التوابل من الهند ، الملح من قوجحصار ، العلك من استانكوي ، الفواكه جميعها تقريبًا من الحدائق الخاصة من استانبول .

22 - الاسطبل السلطاني (اسطبل عامره ، خاص آخرلر) :

كان الحصان هو وسيلة الركوب والنقل الوحيدة للسراي إلى نهاية الإمبراطورية .

لم يكن السلاطين المتأخرون يركبون السيارة أبدًا . تتجمع في الاسطبل السلطاني ، أجود أنواع الخيول في العالم . كانت مدربة بشكل فائق ويطلق على الخيول الخاصة للبادشاه تعبير « ركوب شاهانه يه مخصوص » أي خاصة لركوب السلطان . ويعتبر ركوب الغير عليها تجاوزًا كبيرًا لحدود الأدب . لكل حصان اسمه وشجرة نسبه . جميع السلاطين تقريبًا كان لهم ولع بالخيل . لكن لا يوجد سلاطين مولعون إلى درجة مرضيّة كما في السلالات الأخرى . كان الحصان الجيد بالنسبة لشخص ولوع بالصيد إلى درجة مرضيّة كمحمد الرابع عبارة عن واسطة لتسهيل الصيد الجيّد . والحصان بالنسبة إلى مراد الرابع ، أمهر خيال ومبارز ورام ومستعمل للسلاح في الامبراطورية ، عنصر لا يمكن التخلّي عنه في القتال . كانت توجد 8 خيول تعود لشخص البادشاه و 200 حصان تقريبًا يعود للسلالة . والخيول الباقية تعود لأفراد السراي .

عدد سياس الخيل 600 تقريبًا . آمر اسطبلات السلطان ، هو « أمير اخور شهرياري » الذي كان يسميه الشعب امراخورء » . كان معاونة يسمى « كوجوك أمراخور » (أمراخور الصغير) . كوجوك امرآخور ، كان آمرًا للعربات ولسائقي العربات « بيوك امرآخور » كان جنرالاً برتبة سنجق بك (لواء) . يترك السراي برتبة بكلر بك (فريق أول) . ارتفع عدد الضباط والسياسي العاملين في الاسطبلات السلطانية إلى 2 000 . يضاف إليهم ما يقارب 300 سرّاج و 300 نعّال ، كان يُعنى كذلك بـ 2 000 بغل لأجل السراي . على رأسهم عقيد يسمى « قاطر جيباشي » أو « خاربنده باشي » أي رئيس المعنيين بالبغال . العقيد المسمي ساربانباشي أوده ج سي ، أي رئيـ المعنيين بالجمال ، كان آمرًا لـ 4 000 جمل تحمل البضاعة للسراي ، و 450 سائس جمل . ولأنها الوسيلة الوحيدة لخدمات النقل كان عدد أفراد الاسطبلات الخاصة قد بلغ في عهد القانوني 3341 . ازداد هذا العدد في العصر 17 . ويتبع هذه التشكيلات ، 213 شخصًا يعنون بصيانة المزارع والمراعي الخاصة بالاسطبلات السلطانية يسمون (محافظي المراعي) وصنف يقوم بتربية الأمهار ويسمون « طايجي » . أما « آربا اميري » (أمير الشعير) فهو الشخص الذي يؤمن لاسطبلات السراي الحشيش والشعير والحبوب الأخرى .

كان لدي السلالة ومقربيهم في الأعوام القريبة من عام 1670 ، وهو دور الذروة

للامبراطورية بعنايتها بمظهرها الخارجي والفخفخة ، 9000 حصان ؛ 40 منها تخص البادشاه شخصيًا ، وما يقارب 400 حصان دربت بشكل خاص على السباق (هامّر ، 389, 9 – 90) . قال السائح Paul Lucas الذي شاهد حصان البادشاه « أجمل حصان في العالم » (75, 1) . أكثرية الخيول كانت من نسل أناضولي وهذا النسل غير موجود حاليًا . انقرض نسله . بعضها كان خيولاً عربية جلبت من البادية .

« رخط خزينة سي » (خزينة رخط) ، هي خزينة سلطانية منفصلة خارج دائرة الخزينة . وبسبب إغراق نقطات خيول البادشاه (طاقم الأعنة واللجم) بالجواهر ، كانت خزينة رخط الهمايونية بدرجة لا يمكن أن يتصورها خيال إنسان اليوم . يقدر السائح المسمى Baudier الجواهر الموجودة على لجام ونطاق حصان البادشاه فقط الذي شاهده بنفسه ، بـ 136 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا (ص 22) ، بينما المعلوم أن البادشاه يملك درازان عديدة وأشكالا مختلفة من جواهر الأحصنة هذه . إن خروج أو دخول أي شيء من وإلى خزينة رخط هذه يدوّن بالساعة والدقيقة . وفي 1837 أطلق محمود الثاني على أمراخور ، اسم « اسطبل عامره مديري » أي مدير الاسطبل السلطاني (لطفي ، 4 ,164 ,5 ,100) . وفي دور التنظيمات تم اختيارهم من بين الرجال المقربين إلى البادشاه .

كانت حديقة حيوانات البادشاه ، التابعة لسراي طوبقابو ، مفتوحة للشعب . كانت تسمى « ارسلانخانة » وبعضًا « فيلخانة » أي مكان عرض أو ترويض الأسد ومكان عرض الفيل . تروض بعض الحيوانات وتعلم بعض الفنون . اشتهر الأسد الذي كان يستصحبه معه السلطان عبد العزيز . كان وزراؤه ومشيروه ينفرون من هذا الأسد . إذ إنهم كانوا يخشون من أن يهجم عليهم بحضور البادشاه ، حيث إنهم لم يكونوا مطمئنين إلي تربيته بشكل جيد . واشتهرت كذلك طيور عبد الحميد الثاني الأجنبية ، الببغاوات وكل أنواع الطيور الحية ومجموعة ييلدز من الطيور المحنطة كلها نهبت في 1909 . شوهد أول كركدان في استانبول عام ١٩٧٩ . كان رمضان أوغلو أحمد باشا بكلر بك الحبشة قد اصطاده بصعوبة وأرسله . دعا مراد الثالث شعب استانبول كافة إلى السراي ليشاهدوا هذا الحيوان الذي لم يشاهد سابقًا ويعرف اسمه فقط . كتب Taranowski الذي زار استانبول 1569 ، أنه شاهد أول زرافة حيّة في حياته في البادشاه في حديقة استانبول . حديقة حيوانات السراي ، كانت

مجاورة لأياصوفيا .

23 - **ما بين همايون (البلاط) :**

جدد محمود الثاني تشكيلات السراي التي ذكرناها آنفًا بإسهاب ، عام 1834 وجعلها على غرار تشكيلات الحكام الأوروبيين العظام . ألغي المؤسسات البالية التي لا تلائم العصر والتي أصبحت لا فائدة فيها . أما مؤسسات السراي الأخرى ، فبدّل اسمها فقط . واستمر على تطبيق إجراءاتها تقريبًا . أسّس تشكيلات سراي أكثر ملاءمة للعصر 19 . ولو قيّمنا ذلك اليوم نحن كمؤرخين لوجدنا أنه قد أسس تشكيلات سراي راقية ومتقنة حقًا بالنسبة لذلك العصر . ألغى العديد من وسائل الفخفخة ، الأمر الذي سبّب إلغاء وظائف كثير من المواطنين أو قلّص دخولهم . لكنه في الوقت نفسه ، قلّل مصروفات البادشاه بشكل أساسي بالنسبة للسابق . ومن ناحية أخرى كانت هنالك ضرورة لذلك أيضًا ؛ حيث إن أكثر مصادر إيرادات السلاطين القدامى قد نفدت . والحقيقة أنه لم يكن هنالك سلطان يقيّم ذلك بواقعية حقة ، كالسلطان محمود الذي اعتلى العرش عندما كان أميرًا شابًا وهو يلفظ هذا القول المأثور « Ya devlct basa, yakuzgün lese » الذي معناه « إما أن أوفق في هذا العمل الصعب أو أضع رأسي في الميزان » .

لنر الآن الخطوط الرئيسية والواجبات الأساسية لنظام تشكيلات السراي الحديث لبني عثمان في أعوامهم الـ 90 الأخيرة :

اسم اندرون همايون ، تبدل وصار مابين همايون وباسمه الكامل مابين همايون جناب ملوكانه . بلغت هذه التشكيلات أوجها في دور عبد الحميد الثاني . إن أكبر آمر للمابين **هو ما بين همايون مشيري** (مشير المابين السلطاني) . كان هذا ماريشال السراي (بالفرنسية : Marèchal dela Cour) وناظر السراي . كان أولهم أحمد فوزي باشا عام 1832 . وعند وفاة غازي عثمان باشا عام 1900 لم يعين مكانه أحد معاونو ، فريق المابين ومساعدوه الجنرالات الذين يسمون ألوية المابين . كان المشير يمتطي الجواد جنب البادشاه في مراسم قبول الجمعة (جمعة سلامليغي) وإن كان ممتطيًا عربته ، كان يجلس في العربة أمام البادشاه . يحضر أكبر المراسم . وهو المسئول عن أمن السراي .

لا يمكن لأي فرد أن يأمره ، عدا البادشاه . إن الصدور العظام ، الوزراء ، المشيرين ، القضاة العسكريين الذين يحضرون السراي لمقابلة البادشاه ، كانوا يمرون مجاملة بغرفة مشير المابين الرسمية ويتحدثون إليه . لم يكن يستقبل ويودع حتي الصدر الأعظم . إن هذا الواجب ، كان يقوم به الباشمابينجي (رئيس المابين) .

الموظف الثاني الذي يلي مشير المابين هو باشمابينجي . يكون إما برتبة بالا (بمعنى أعلى وهي رتبة مدنية تعادل رتبة فريق أول) أو وزير . لا يمكن لأحد من الخارج أن يقابل البادشاه دون علمه . ولحضوره كل مراسم القبول والمقابلات مع السلطان ، كان يسمي « سرقرين » (رئيس القرناء) أو يسمي كذلك « سرقرناي حضرت شهرياري » (رئيس قرناء جلالة البادشاه) . ثم يليه المابينجي الثاني والمابينجي الثالث (موظف المابين الثاني ، الثالث) والموظفون الذين لا تقترن رتبهم برقم . موظفو المابين كلهم مدنيون ومتخرجون من المدارس الملكية (العلوم السياسية) .

الموظف الكبير الثالث للمابين هو رئيس كتّاب المابين (سر كاتب حضرت شهرياري) . وهو برتبة بالا أو وزير . يقوم بتنظيم مراسلات وعلاقات الحكومة مع البادشاه . ثم يليه .. كاتب المابين الثاني ثم الثالث وعدة كتبة مابين آخرين لا يقترن برتبهم رقم . وهم أيضًا موظفون مدنيون .

والموظف الكبير الرابع هو المرافق الأول للبادشاه المسمي « سرياور حضرت شهرياري » ، رتبته على الأكثر فريق أول ، معيّته ، مرافق السلطان الثاني والثالث ومرافقو السلطان ذوو الرتب المختلفة (رائد ، مقدم ، عقيد) كلهم ضباط وأكثرهم ضباط ركن . أصحاب رتب ملازم ونقيب ، لا يسمون مرافقين ويسمون « هنكار أمر ضابطي » (ضابط خدمة السلطان » . يقومون بتنظيم المراسم ، وبتبليغ أوامر السلطان .

موظفو المابين الهمايوني الذين يستحقون الذكر بين موظفي المابين الكبار الآخرين ، والذين يعمل في دوائرهم عدد كبير جدًا من الموظفين ، هم الوزير ناظر الخزينة الخاصة ، رئيس أطباء البادشاه الذي يحمل الرتبة ذاتها والمسمى سر أطباي حضرت شهرياري ، الإمام السلطاني الأول برتبة قاضٍ عسكري ، الكاتب الأول للمكاتبات الأجنبية

(تحريرات أجنبية باشكاتبي) ، رئيس المترجمين (باشمترجم) ، ناظر مصروفات الحرم الهمايوني .

أما تشكيلات الحرم الهمايوني فقد ظلت كما كانت عليه سابقًا ، واكتفي فقط بتخفيض نفقاتها .

الفصل الثاني عشر

الدولة والحكومة



١) كلمة حول الصفاة المميزة للدولة العثمانية

''الامبراطورية العثمانية، امبراطورية فسيحة. لها اهمية غير متناهية من الناحية التاريخية ... مارد، اذرعة القوية تكمش 3 قارات بذات الوقت . وكجميع الامبراطوريات، ان سقطت يوما ما، فان الانقاض التى ستتركها في اسيا، افريقيا واوربا ستغمر هذه القارات الثلاث ... والامبراطورية العثمانية ــ حتى فى هذا اليوم (1835) ــ تضبط اقطارا اكبر وسعة من البيزنطية، فى قمة شوكتها ''. استهل فون هامر، التاريخ العثمانى الشهير المكون من 19 مجلد، بالجملة آنفة الذكر (Histoire 1835 del'Empire Ottoman، باريس ، 1 ، ص 1—2).

'' اسس الاتراك بعد مرور الاجتياح المغولى، امبراطورية دامت عصورا طويلة، بين ايران وفاس، وقرم واليمن. لم يشهد التاريخ الاسلامى، كيانا سياسيا متينا ومستقراً كالعثمانيين ... كانت الدولة الاكبر، الاوسع، الاكثر استقراراً والتى تملك موارد مالية اعظم في اوربا، وخاصة طوال كامل العصرين 16،17، هي العثمانية . كان كيانا منتظما يحوى جهازا اداريا نظم على اساس صيانة مصالح الشعب العثمانى . اسطوله كان يحكم البحر الابيض برمته . ان النظام، احد اكبر مزايا الاتراك، كان يسود كل اطراف الامبراطورية. كانت استانبول، تبهر عيون كل سائح اوروبى يزورها، كأكبر مركز للمدنيّة في العالم'' (باريس 1943،ص 164).

'' كانت الامبراطورية العثمانية في العصرين 16— 15 ، الدولة العالمية بحق'' (reiehes Welt) (Mehmed der Eroberer, Babinger) ، ميونخ 1953،ص 469).

'' كانت الامبراطورية العثمانية دولة عالمية بحق (L'Empire du Levant, Rene Groussent) '' (vraimant mondiale Empire Ottoman, Puissanee) باريس 1949 ص 643) .

« أسس العثمانيون في آسيا وأفريقيا وأوروبا إحدى أوسع الامبراطوريات التي عرفها الكون » Morgenlhau ، ص 240) .

« الدولة العثمانية ، هي أحد مظاهر التاريخ المذهلة جدًا والخارقة للعادة جدًا . حاولت جمع كامل حضارات البحر الأبيض ، تحت ظل إمبراطورية واحدة » Soliman le Magnifique ; Downey ، ص 33) .

إن أعظم الدول قدرة اليوم ، هي دولة الأتراك » (le plus fort Etat qui paroissé pour le present au mond est celui des Tures (Montaigne, Essais, I, 273) .

« إن قدرة تركية اليوم ، تفوق قدرة مجموع بقية الدول جميعًا » (René Herpin Apologie ، جنيف 1629 ، ص6) .

إن الدولة الوحيدة التي جمعت تحت إدارتها الشرق الأدنى (الأوسط) ، طوال التاريخ كله ، هي الإمبراطورية العثمانية . لم توفق في ذلك ، لا امبراطوريات الفرس ، ولا روما ، ولا العرب . والذي جمع الأقوام العربية بأسرها ، والشعوب التي تتكلم العربية جميعًا تحت إدارته ، هي الامبراطورية العثمانية . لم تتمكن أية دولة من الدول التي احتلت مكان العثمانية في الشرق الأدنى ، سواء كانت أوروبية أم محلية ؛ من إدارة هذه المنطقة بشكل جيد كما أدارها العثمانيون . انكلترا ، فرنسا وإيطاليا الذين تقاسموا المنطقة فيما بينهم ، كانوا موقنين بأن إدارتهم لهذه الأقطار ستكون خيرًا من العثمانية ، لكن هذا لم يحدث . كان الوضع ذاته ، بالنسبة إلى روسيا التي كانت السبّب في فقدان الامبراطورية العثمانية لأقطار جنوب – شرق أوروبا . تمكنت جميع الدول الأوروبية هذه ، من أن تحكم بالظلم هذه الأقطار التي سلختها من العثمانية . وحتي الإدارة التركية إبان أواخر الدولة العثمانية – وهو أسوأ أدوار الامبراطورية – كانت بالنسبة للشعوب القاطنة في تلك الأقطار أحسن إدارة من إدارة الدولة التي احتلت مكانها . إن الدولة العثمانية كانت خلفًا لإمبراطورية روما بكل ما في الكلمة من معنى . لم تكن إدارة أيةّ دولة ، قديمة كانت أم معاصرة ، أفضل لشعوب وأقطار الشرق الأدنى وجنوب – شرق أوروبا ؛ من إدارة العثمانية » (A . J . Toynbee, The ohoman Stateand its place in World History Lieden 1947 ، ص 15 وما بعده) .

« كان السبب الرئيسي في نجاح العثمانية ، كمال تشكيلات الدولة والتفوق في التكنولوجيا العسكرية » (**Histoire de l'Europe,** Pirenne ، ص 390) . « إن العامل الأساسي في نجاح العثمانية ، هو سمو نظام العدالة وإنسانيته » (**L'Age Noderne** Henri ص 44 – 5) .

« إن سر توفيق العثمانية هو عدم اهتمامهم بأي شيء ، عدا المزايا واللياقة الشخصية . لا الدراهم ولا النسب يمكن أن يكون عاملين للامتياز . السلالة العثمانية هي الاستثناء الوحيد . وفي هذه العائلة فقط ، تكسب الوراثة والنسب ، امتيازات بالولادة . وبناء على ذلك فإن كيان المجتمع العثماني يختلف تمامًا عن كياننا نحن الأوروبيين » (Baron von Busbecq ، ص 35 – 6) .

قدمت لكم بعضًا من آراء المؤرخين والمشاهدين المعروفين جدًا القدامى والجدد ، حول الدولة العثمانية . يمكن تقديم آلاف الأمثلة من هذا النوع . (لم أختر أمثلتي من المؤرخين الأتراك).

من الواضح أن Pax Ottomana يعني نظامًا عالميًا جديدًا بعد Pax Romana . وقد ذكر السلطان محمد الفاتح ذلك في أواخر سني حكمه ، في اصطلاح وعبارة « نظام عالم » (النظام العالمي) المدون في **فاتح قانونّامه سي** (قوانين فاتح) الذي هو بمثابة دستور للدولة . ترجم مؤرخو الغرب الحديثون « النظام العالمي » للعثمانية على شكل « Pax Ottomana » .

كان الدخول في هذا النظام ، هو الدخول في الحضارة . وعلى الذي يعارض النظام ، أن يتحمل النتائج . هذه كانت عقلية العثماني . يذكر كوجي بك في العصر 17 (ص 49) ما يلي : « إن دولة آل عثمان ، خلّدت خلافتهم إلى آخر الزمان ، هي الدولة العلية العظيمة التي يمكنها بأمر الله تعالى ، أن ترد بسهولة على جميع أعداء الدين والدولة المحيطين بها ، إذا ما اتحدوا وصاروا قلبًا واحدًا وجبهة واحدة وعزموا على الهجوم من جميع الأطراف .

2 – الصدر الأعظم :

شاهدنا البادشاه ، رمز الاتحاد والنظام في دولة كهذه ، طراز حياته وأطواره . وننتقل

الآن إلى الحكومة . كيف كانت تسير الأمور بصورة فعلية في هذه الدولة ومن الذي يسيّرها ؟ .

إن الرئيس الحقيقي للعاملين هو موظف الدولة الأول المسمى « الصدر الأعظم » . أطلق على الصدر الأعظم في الأدوار الأولى ، اسم « وزير أعظم » كذلك ، هو رئيس وزراء . لكن صلاحياته بالنسبة لرؤساء وزارات اليوم ، كانت أوسع بدرجة ليست قليلة .

حتى 1362 كان يوجد وزير واحد . هو رئيس الوزراء . وفي 1362 أصبح وزيران ، ثم ازداد عددهم بتوالي الزمن . كلمة « وزير أعظم » التي تطلق على رئيس الوزراء تعني « أكبر وزير » .

ولكي يكون الشخص صدور عظام ، كان يكفي : 1 – أن يكون مسلمًا سنّيا . 2 – أن يجيد اللغة التركية . 3 – أن يكون قد تدرج في خدمات الدولة المختلفة حتى توصل إلى المقام الذي يخوله ذلك . 4 – تعيينه لهذا المقام من قبل البادشاه بصورة رسمية . ولا يؤخذ بنظر الاعتبار بصورة قطعية اعتبارات أخرى كالنسب ، العرق ، لغة الأم ، الثروة .

كان الصدر الأعظم ، هو الوكيل المخوّل للبادشاه . ليس من السهل تصوّر شيء خارج صلاحياته . الحقيقة ، أنه ليس بإمكانه تغيير أحكام القاضي (لأحكام) (عدا الأحكام التي تتعلق بأمن الدولة) ، ولا يمكنه صرف أكثر من المبلغ المثبت في الميزانية ، كان مقيّدًا بمثل هذه القيود ، لكن كل هذه ، إنما كانت تدابير تتخذ لغرض الحفاظ على النظام وتأمين اشتغال الصدر الأعظم بانتظام أكثر . هو رئيس الحكومة . ورئيس الجيش وكالة عن البادشاه كان هو المسئول عن كل عمل في الجيش . يصادق على تعيينات شيخ الإسلام لصنف العلمية (رجال الدين) ، وفي حالة عدم رضائه وعدم تصديقه ، كان يلغي ذلك التعيين . كانت له صلاحية التدخل في كل عمل أيما كان ذا علاقة بالدولة أو لم يكن ، عدا المحاكم ، وتمحيص أية مسألة ، لكنه مع ذلك ، لا يمكنه الخروج عن المبادىء الإسلامية والأخلاقية .

كان يتقاضى مخصصات عظيمة ولديه معيّة عظيمة كذلك . كان يعيش في سراي حقيقي . وحتى في دور التنظيمات الذي فقد فيه الصدر الأعظم عظمته السابقة ؛ كان راتبه الشخصي كبيرًا . إن صدور عظام دور التنظيمات ، كانوا يتقاضون حتى عام 1922 رواتبًا تتراوح بين 250 و2 000 ليرة ذهبية شهريًا . إذ إن راتب الصدر الأعظم لم يكن محددًا . وإنما يثبت الراتب بالنسبة لثروة الصدر الأعظم الشخصية وبالنسبة لإمكانات الدولة في ذلك الحين . يشاهد أن أقل راتب تسلمه صدر أعظم في أحد العصور الأخيرة ، هو 200 ، وأكثر راتب هو 2 000 قطعة ذهبية . ويعادل ذلك بالنسبة للسعر الحالي من 3 000 إلى 30 000 دولار . إلاّ أن المعيشة وقتئذ كانت أرخص م اليوم بمقدار 5 / 2 مرة ، والقوة الشرائية للدراهم كانت أقوى بمقدار 5 . 2 مرة . أي إن الأعمال التي تجرى والحاجيات التى تشترى اليوم بـ 7 500 دولار ، كان بالإمكان تحقيقها في ذلك الزمن بـ 3 000 دولار . (تلاحظ نسبة التضخم التي تجعل الصورة أكثر اختلافًا بكثير عما ذكرنا) .

إن التشريفات الخاصة بالصدر ، كانت محددة بشكل دقيق إلى أدق تفاصيلها ، ولو أنها ليست بدرجة تشريفات البادشاه .

يسمى أمر الصدر الأعظم التحريري « بويرولتي » والشفوي « أمرًا ساميًا » .

كان لقبه الرسمي « دولتلو فخامتلو » وهو اللقب العثماني الذي كان يستعمل لأمراء أوروبا أيضًا إذ إن الصدر الأعظم في أوروبا ، معادل لـ « برنس » وكذلك شيخ الإسلام ويخاطبونهما كما يخاطب الأمراء بخطاب « altes » .

من يشغل منصب الصدارة ولو ليوم واحد ، يدخل ضمن تشريفات « البرنس » (الأمير) . لكن لقب الصدور الأعظم السابقين ، كان « دولتلو ابّهتلو » .

كان الصدر الأعظم ، يقبل يد البادشاه حتى 22 / 12 / 1574 . وبدأ بعد هذا التاريخ بتقبيل ردائه . تُرك تقبيل الرداء في التنظيمات ، وحلت مكانه التحية باليد اعتبارًا من الأرض . إن التحية باليد من الأرض ، لم تكن خاصة بالبادشاه والسلالة . إذ يحيّي الشخص الذي يراد إظهار احترام زائد له بهذه التحية ؛ كذلك كان من قواعد المجاملة أن يحيّي الطرفان أحدهما الآخر في الوقت نفسه بالتحية من الأرض .

كان الصدر الآعظم ، حتي 5 / 8 / 1650 ، يحادث البادشاه بجلوسه على كرسي يوضع أمامه ، ألغيت عادة جلوسه أمام البادشاه ، بعد هذا التاريخ . أصبحوا يتكلمون وهم وقوف والبادشاه يجلس علي عرشه . أما في دور التنظيمات فكان يتكلم مع البادشاه وهو جالس معه على أريكتين متقابلتين .

يقف الصدر الأعظم علي قدميه ، عند استقبالة للمسئولين من رتبة سنجق بك (لواء) فما فوق وعند توديعه إياهم ، كان يقوم مرة أخرى على قدميه . لكنه لا يتحرك من مكانه ولا يتقدم . وكانت المراسم نفسها تطبق بالنسبة لحاملي رتب بكلر بك (فريق أول) . أما بالنسبة للذين رتبهم تعادل الماريشال (المشير) ، كالوزير والقاضي العسكري ، فكان يتقدم لاستقباله حتي منتصف الصالة ويشيّعه حتي منتصف الصالة أيضًا . كان يتكلم وهو جالس ، مع الذين رتبهم أدنى من سنجق بك (لواء) (عقيد والرتب الأدنى) ، ولا يقف علي قدميه أبدًا ، ولا يسمح كذلك لذوي تلك الرتب بالجلوس .

الكل ، كانوا يقبلون يد الصدر الأعظم ، ماعدا الوزراء والقضاة العسكريين ومنتسبي السلالة وكان ذوو الرتب الصغيرة يقبلون رداءه فقط . يستثني الوزراء والقضاة العسكريون المسنون جدًا ، هؤلاء ، لا يقبلون يد الصدر الأعظم ، كانوا يعانقونه فقط .

صلاة الميت للصدر الأعظم ، كانت تقام في جامع فاتح (جودت ، 2 ,154) .
محل إقامة الصدر الأعظم قبل التنظيمات ، كان يسمى سراي ، وبعده سمي كوناك .
توجد بين سرايات الصدور [illegible] أبنية فخمة جدًا ، بينها الذي يحتوي على 300 غرفة ، فرنين ، مسجد 15 حم[illegible] . إن سرايات مقبول إبراهيم باشا في آتميداني (سلطان أحمد) وسراي صوقوللو محمد باشا في قادرغه ، كانت من هذا النوع .

عند قيام الصدر الأعظم بنفسه بواجب القائد العام على رأس الجيش في الحملات والحروب ، يمنح لقب « سردار أكرم » (القائد الأعلى) وتزداد صلاحياته . إذ كان بإمكانه أن يملأ الأوراق البيضاء الموشحة بطغراء البادشاه كيفما يشاء وتنفيذ الأحكام كأنها أمر البادشاه الشخصي . كان بإمكانه استعمال صلاحيات واسعة لا يمكنه إجراؤها في الأوقات الطبيعية : كمنح أمير مسيحي لقب ملك ، إسقاط سلالة مسيحية

أو مسلمة عن العرش ، عزل وزير ، إعدام بكلربك . لكنه ، كان لا يمكنه إعدام شخص برتبة وزير ، كان بإمكانه فقط عزله وتوقيفه . ويلزم إعدام وزير ، بكلر بك (فريق أول) وقت السلم ، تصديق البادشاه . أعدم كثير من الصدور الأعظم عند عودتهم من الحملات ، لسوء تصرفهم وقت القتال . كان يمكنه كذلك ترفيع من يرغب من حملة رتبة بكلر بك إلي رتبة وزير .

7 صدور عظام سقطوا شهداء أثناء القتال في الحملات علي رأس جيوشهم بصفة سردار أكرم (قائد أعلي) في السنوات 1421, 1511, 1517, 1638, 1691, 1697, 1716 . إن القواد الأعلي الذين زاولوا الصدارة في السابق و لم يكونوا صدورًا عظام وقت القتال واستشهدوا وهم قواد أعلي ، خارج هذا العدد .

36 صدرًا أعظم تزوجوا بالسلطانات وحمل لقب « داماد » (صهر) بصورة رسمية . وهنالك الذين تزوجوا بخانم – سلطان (حفيدات البادشاه) ، لكن هؤلاء لا يطلق عليهم اسم (داماد) . أول صدر أعظم صهر ، جاء إلى السلطة في 1497 ، وسقط آخرهم عن السلطة في 1920 . أحد الصدور الأعظم (ملك أحمد باشا) تزوج بسلطانتين الواحدة تلو الأخرى (تزوج بالثانية بعد وفاة الأولى) . و « الصهران » الآخران اللذان تزوج كل منهما بسلطانتين بصورة متعاقبة هما مشير محمد باشا وشهزاده عمر فاروق أفندي .

5 صدور عظام ، كانوا خصيانًا ، اثنان منهم استشهدوا في ساحة القتال ، هم من الخصيان البيض . لم يقتل منصب الصدارة أي زنجي خصي أو غير خصي .

أكثر من تكرّر اعتلاؤه منصب الصدارة ، هو كوجك سعيد باشا (في عهد عبد الحميد الثاني ومحمد رشاد الخامس 7 + 2 = 9 مرات) . ثم يليه بويوك مصطفى رشيد باشا ، الذي عين لمنصب الصدارة 6 مرات في عهد عبد المجيد الأول عيّن للصدارة 6 صدور عظام كل منهم 5 مرات و 2 صدر أعظم كل منهما 4 مرات ، 6 صدور عظام كل منهم 3 مرات . الذين تصدّروا مرتين كثيرون . التعيين في وظيفة ما لمرات عديدة ، ليس مهما بقدر البقاء في تلك الوظيفة مدة طويلة . ويشاهد أن الذين بقوا في الصدارة أطول مدة ، هم الذين شغلوا هذا المنصب مرة واحدة .

أصبح مترجم رشدي باشا صدرًا أعظم لـ 4 سلاطين مختلفين من بطنين . وفي العصر 17 ، أصبح خليل باشا صدرًا أعظم في عهد 4 سلاطين مختلفين من بطنين كذلك . 4 صدور أعظم كل منهم تولى الصدارة في عهد 3 سلاطين . الذين زاولوا الصدارة في عهد سلطانين ، كثيرون .

كان هناك اهتمام كبير بألا يكون لأي فرد - وبضمنهم منتسبو السلالة - عدا البادشاه ، على أي نفوذ يتعلق بالدولة للتأثير على الصدر الأعظم . إلا أنه شوهد في بعض الأدوار ، رجال دولة ، اكتسبوا نفوذًا للتأثير على الصدر الأعظم . أشهرهم : في دور محمد الثالث خواجه (أستاذ) سلطاني سعد الدين أفندي الذي صار بعد ذلك شيخًا للإسلام ؛ وفي عهد عثمان الثاني خواجه ، سلطاني عمر أفندي - من أعضاء المشيخة - ؛ وفي عهد محمد الرابع قيزلر أغاسي (خصي) أوزون سليمان ؛ وفي عهد مصطفى الثاني شيخ الإسلام حاجة سلطاني فيض الله أفندي ؛ وفي عهد محمود الأول قيزلر أغاسي بشير أغا الأول وقيملر أغاسي بشير أغا الثاني ؛ وفي عهد عبد الحميد الأول قبطان دريا (مشير بحري) جزائرلي غازي حسن باشا الذي صار بعد ذلك صدرًا . وداماد نضيف أفندي ؛ وفي عهد محمود الثاني نيشانجي هالت أفندي ؛ وفي عهد عبد المجيد الأول جهان سر عسكري رضا باشا ؛ وفي عهد محمد رشاد الخامس طلعت بك الذي صار بعد ذلك صدرًا أعظم . أول صدر أعظم أعدم ، هو جاندارلي خزاده خليل باشا (10 /7 / 1453) . وآخر الذين أعدموا هم : ياغليقجي - زاده محمد أمين باشا (19 / 8 / 1769) ، اسبارطه لي خليل حميد باشا (1 / 4 / 1785) ، جلبي - زاده شريف حسن باشا (15 / 2 / 1791) ، بندرلي علي باشا (30 / 5 / 1821) ، والذي انتحر (وقيل إنه استشهد) هو علمدار مصطفى باشا (15 / 11 / 1808) . وآخر من قتل من بين صدور الأعظم القدامى بعد تصدّرهم ، مدحت باشا في طائف (6 / 5 / 1884) ، الأمير قلوالالي سعيد حليم باشا الذي استشهد في روما على يد الأرمن (6 / 12 / 1921) وطلعت باشا الذي استشهد في برلين على يد الأرمن أيضًا (15 / 3 / 1921) .

22 من الصدور الأعظم كانوا دهاة حقيقيين ، شخصيات عظيمة . أعظمهم مصطفى رشيد باشا .

من بين الصدور العظام من هم علماء ومن هم جهلة (وحتى أميون) . ومن بينهم من هم جبناء ، خونة ، عديمو الأخلاق ، عديمو الكفاءة ، لصوص . وكثير جدًا منهم قواد عظام ، سياسيون ، رجال دولة ، إداريون ، شعراء ، مؤلفون . أعظم صدر ، وأعظم شاعر ، هو داماد راغب باشا (1699 – 1763) ، والشاعر الذي يليه في العظمة ، محمد رامي باشا (1703) . أكبر أديب ، أحمد وفي باشا (1823 – 1891) .

أصغر صدر أعظم سنًّا ، هو كوبرولو – زاده فاضل أحمد باشا (في 1661 كانت سنه 26) . يوجد شخصان أو ثلاثة تصدّروا قبل بلوغهم سن الـ 30 . ويوجد من عين في هذا المنصب وأعمارهم تنيف على الـ 80 . أقل مدة قضاها شخص في الصدارة ، هو زورنازن مصطفى باشا 4 ساعات (5 / 3 / 1656) . وهناك كثير ممن قضى في الصدارة عدة أيام ، عدة أسابيع ، وعدة أشهر .

عدد الصدور العظام كأشخاص 217 . أطول مدة في هذا المقام قضاها ، علاء الدين باشا (1326 – 1348) (25 سنة) ، ويليه جاندارالي – زاده خير الدين باشا (1364 – 1387) (22 سنة ، 4 أشهر)، ثم يليه ابنه جاندارالي – زاده علي باشا (1387 – 1406) (19سنة ، 10 أشهر ، 27 يومًا) ، هؤلاء ، صدور عظام الدولة ، الأول ، الخامس والسادس . ثم يليهم كوبرولو – زاده فاضل أحمد باشا الذي بقي في الصدارة مدة 15 سنة ، 4 أيام . (1661 – 1676) .

3 – ديوان همايون والباب العالي :

يسمى مجلس الوزراء لدى العثمانية « ديوان همايون » ، ويعني « المجلس الإمبراطوري (للعثمانية) » وهذا يعني « الحكومة العثمانية » : سياسة البحر الأبيض للديوان ... وعوضًا عن ذلك قيل في العصر 18 « باب عالي » . إلاّ أن « باب عالي » تعني « الحكومة العثمانية » ولا تشمل معني « مجلس الوزراء » كما تعنيه جملة ديوان همايون . تعني كلمة « باب عالي » كما هو معلوم « البوابة العالية » ؛ سميت بهذا الاسم كناية عن بوابة الصدارة الكبيرة الموجودة في كلخانة مقابل آلاي كوشكو . كان الصدور العظام ، يجتازون من هذه البوابة إلي مقر عملهم . ترجم الأوروبيون « باب عالي » على هذا الشكل « La Sublime Porte » واختصروها بأحرف « S . P » . كان ديوان

همايون (المجلس الإمبراطوري) ، حتى 1654 ، يجتمع في قبّة آلطي ومعناها تحت القبة في طوبقابو . بدأوا بعد هذا التاريخ في الاجتماع في المكان المسمى اليوم كذلك « باب عالي » والكائن حاليًا قرب ولاية استانبول .

رئيس ديوان همايون ، هو الصدر الأعظم . وحتى 1654 كان بإمكان البادشاه – إن أراد ذلك – الاستماع إلى مذكرات الديوان من خلف شباك مغلق . لم يكن أحد يعرف ما إذا كان البادشاه موجودًا خلف الشبّاك أم لا . وفي 1654 ، ألغيت هذه العادة . بدأ الصدر الأعظم بتبليغ البادشاه خلاصة اجتماعات الديوان شفويًا وتقديم قرارات الديوان للبادشاه على شكل تقرير . كان بإمكان البادشاه حتى عهد فاتح أن يشترك في مناقشات الديوان بصورة علنية ويمكنه كذلك أن يترأس الديوان . فصل فاتح ، مقام السلطنة ورئاسة الدولة ، عن أعمال الحكومة بشكل حاسم .

يترأس الديوان في حالة غياب الصدر الأعظم وزيران . لكنه في حالة احتمال غياب الصدر الأعظم مدة طويلة ، في حالة خروجه إلى الحملة أو مرضه ، يُعيّن وكيلاً لرئيس الوزراء وهو الذي يسمى « صدارت قائمقامي » ويختار من بين الوزراء ويكون إما الوزير الثاني أو الثالث .

أعضاء الديوان الذين يتلون الصدور العظام ، هم الوزراء الذين يسمون « قبه نشين » أو وزراء القبة ، وهم الوزراء ووكلاء الوزراء ووزراء الدولة والذين يعملون كالصدر الأعظم تمامًا . يعنون بكل أمور الدولة ، وليس لهم عمل غير ذلك . سموا (وزراء قبة) لتفريقهم عن وزراء الإيالات . عددهم بصورة عامة 5 ، لكن يجوز أن يرتفع إلى 8 . ولكن ، قبيل عام 1656 ، ألغي منصب ووظيفة وزارة القبة . عُيّن قليل جدًا من أعضاء الحكومة بوظيفة وزير قبّة بعد هذا التاريخ .

كان وزراء القبة يجلسون حسب تسلسل قدمهم : الثاني ، ثم الثالث ثم الرابع ... على يمين الصدر الأعظم الذي يسمى « الوزير الأول وعند افتتاح الصدارة ، يعيّن البادشاه عادة ، الوزير الثاني (بالعثمانية وزير ثانٍ) صدرًا أعظم . لكن صدارة الوزير الثالث أو صدارة وزير آخر كانت ممكنة كذلك .

أعضاء الحكومة الآخرين هم :

قبودان دريا : (تلفظ بشكل كابتان دريا) ، هو الأميرال الكبير (المشير البحري) الذي يحمل صلاحيات قائد القوات البحرية ، ناظر البحرية ووالي إيالة جزائر بحر سفيد (جزر البحر الأبيض) .

كاهيه بك أو صدارت كتخداسي وهو وزير الداخلية ويكون تعاونه وعلاقته مع الصدر الأعظم وثيقة .

يني جري أغاسي : قائد حامية (أوجاق) الإنكشارية . رتبته فريق أول وأحيانًا وزير (ماريشال) .

قضاة عسكر روملي والأناضول : هما المعلونان الأول والثاني لشيخ الإسلام الذي ليس عضوًا في الديوان . وهما الشخصان الثاني والثالث لصنف العلماء بعد شيخ الإسلام . ومع أن رتبتهما متساوية ، لكن مقام روملي اعتبر رتبة متقدمة بالنسبة لرتبة الأناضول . كانا المرجعين لكل الموضوعات التي تختص بها اليوم وزارات العدل ، التربية والثقافة والأوقاف والأمور الدينية . كانا يدعيان « أفندي » كبقية صنف العلمية (علماء الدين) .

نيشانجي : نيشانجي أفندي أو باشا ، من صنف القلمية (الكتّاب) بمرتبة بكلربك أو وزير ، كان حتي عام 1650 بمثابة ناظر للخارجية . وبعد 1650 ، ظل بوظيفة مهر خاص ناظري (ناظر الختم الخاص) وتسمى بالعربية « توقيع » (توقيع همايون = طغراء البادشاه) .

رئيس الكتّاب : كان مساعدًا للنيشانجي حتي 1650 ، السكرتير العام للخارجية ، كان رئيسًا لدائرة المراسلات مع الدول الخارجية . وهذا يعني بعد 1650 ، وزير خارجية . كان قبل 1650 يشترك في اجتماعات الديوان ، لكن لم يكن له حق التصويت ، يلقب أفندي في حالة كونه برتبة بكلر بك ، وباشا إذا كان برتبة وزير ، وهذا نادر .

باشدفتردار أو دفتردار شق أوّل : هو الباشا أو الأفندي ناظر المالية . وله مستشاران

اثنان دفتردار شق ثاني ودفتردار شق ثالث ، وأحيانًا ، أصبحا أعضاء ديوان ، لكن لم يكن لهما حق التصويت . الباشدفتردار فقط ، كان له حق التصويت .

كان بإمكان قاضي استانبول ، الاشتراك في الديوان عند مناقشة القضايا العائدة لمدينة العرش ، لكن ليس له حق التصويت .

كتبة الديوان الهمايوني « ديوان همايون كاتبلري » هم الذين يمسكون مضابط الجلسات . تدوّن قرارات الحكومة لكل سنة في مجلد منفصل ويسمى هذا **مهمة دفتري** وهذه تشكل أهم الوثائق الأرشيفية للتاريخ العثماني . إن وظيفة كاتب الديوان ، كانت خطوة مهمة للتدرّج والترقي في وظائف الدولة . كان كاتب الديوان يختار بعناية من بين أصحاب المعلومات ، الأذكياء ، ذوي الكفاءة والشرف . مناقشات الديوان ، كانت سريّة ومغلقة . تعلن الحكومة إلى الشعب ، القسم الذي ترغب في إعلانه .

بدأت دكتاتورية كوبرولو محمد باشا عام 1656 وفقدت قرارات الديوان أهميتها . أصبح ، صدور الأعظم ، حتى التنظيمات ، يؤثرون تسيير أعمالهم دون الحصول على قرارات الديوان . وحتى أن كوبرولو ، ألغي وزارة القبة كذلك . إذ إن وزراء القبة ، صاروا على رأس الذين يحيكون الدسائس ليصبحوا صدورًا عظام .

كان يعمل في الديوان الهمايوني 50 كاتبًا و50 معاون كاتب (كانوا قسمين 20 منهم شاكرد (طالب) و 30 منهم ملازم) . ومن ناحية أخري ، يوجد أقرب الناس إلي الصدر الأعظم وهو الكاهيابك (ويطلق عليه كذلك كتخدا الصدارة) ويعتبر ناظرًا وبمثابة وزير الداخلية ، يعمل في مكتبه 26 كاتبًا (هامر 17 ,45) . مكتوبجي الصدارة ، هو السكرتير العام لرئاسة الوزارة .ويعمل تحت إشرافه 30 كاتبًا (d'Ohsson ,169, 7 – 70) كان للصدر الأعظم معيّة من كبار الموظفين مثل ؛ لسه دار ، مهردار ، كاتب السر ، كاتب الإنشاء . لكل وزير كتخدا (وكيل وزير) وهو الذي ينظم أمور مكتب وموظفي معية ذلك الوزير . كان منصبًا مهمًا . كثير من الوزراء والصدور العظام ، عينوا من بين كتخدا الوزراء .

4 ـ الشئون الخارجية :

لا حاجة إلى التوسع في إيضاح أهمية الشئون الخارجية في إمبراطورية واسعة

كالإمبراطورية العثمانية . كانت الدولة في علاقة مستمرة مع جميع أنحاء العالم ، إذ إنها كانت ذات علاقة بالتوازن الدولي وقد سيطرت على هذا التوازن قرابة عصرين (1517 – 1683) ، وأصبحت أكبر عامل في هذا التوازن ؛ لذا فإن الذي يهتم بالأمور الخارجية ويهتم بها أكثر من غيره هو البادشاه بالذات وقد أصبحت الشئون الخارجية ، إحدي المجالات التي يقضي فيها أكثرية السلاطين معظم أوقاتهم . وكان الذي يلي البادشاه في الاهتمام بها ، هو الصدر الأعظم . وأخيرًا الحكومة أي الديوان الهمايوني . حيث إن الاجتماعات ، كانت تجرى فيه ، والقرارات تتخذ فيه كذلك . لكن الخارجية كان لها أعمال تقنيّة خاصة وروتينية رتيبة . كانت توجد ضرورة لتشكيلات خاصة لتدوين قرارات الديوان ، أوامر الصدر الأعظم والبادشاه الخاصة بالشئون الخارجية وصياغتها بشكل تقني فنّي وإعطائها الصفة القانونية ، وهذا هو منشأ وزارة الخارجية .

إن وزير الخارجية بهذا المفهوم ، كان حتي 1650 يسمى نيشانجي ، وخلال 1650 – 1836 رئيس الكتّاب ، وخلال 1836 – 1922 ناظر الخارجية .

إن منصب الناظر الذي سمّي نيشاني ، طغرائي ، وعلى الأغلب توقيعي والأكثر من ذلك ، نيشانجي ، هو منصب انتقل عن طريق العباسيين – السلجوقيين . هو ناظر الختم الخاص والشخص ذو الصلاحية لنقش طغراء البادشاه المسماة « نيشان همايون » ، والأصح ، الإيعاز إلى الفنان الذي ينقش الطغراء المسمى « طغراكش » بنقشها . ولأنه رئيس الكتّاب الذي يترأس أمور الديوان الكتابية ويسيّرها بصورة فعلية ؛ أصبح بمثابة وزير للخارجية من الناحية التقنيّة . قام بهذا الواجب من 1453 إلى 1650 النيشانجي الذي يطلق عليه لقب باشا إن كان بدرجة جلبي ، أفندي ، وزير . وفي عام 1650 ، حدث تغيير في القانون وأحيلت المراسلات الخارجية إلى رئيس الكتاب أفندي وأصبح رئيس الكتاب عضوًا في الديوان له حق التصويت ووزيرًا للخارجية بصورة فعلية . لكن اسم النيشانجي في التشريفات ، ظل يتقدم على الرئيس أفندي . سميت التشكيلات التي يترأسها النيشانجي « توقيع » ، والتي يترأسها رئيس الكتاب « رئاسة » . والواضح أن ذلك مقتبس من ديوان الإنشاء العباسي (جرجي زيدان ، 1 ، ص 299 أ – ب) .

كان المعاون الأول لرئيس الكتاب المسمى بكلكجي أفندي أو بك ، هو السكرتير

العام أو المستشار للشئون الخارجية . وكان يسمى « بكلكجي ديوان همايون » وهو مرشح لمنصب رئيس الكتاب . كان يعمل تحت إشرافه 120 كاتبًا (هامّر ، 101, 99 1, Ricault, 45, 17) ويتبعه رئيس مترجمي الديوان الهمايوني والمترجمين ؛ حيث كانت ترسل من الخارج إلى الديوان كتب بلغات مختلفة كثيرة العدد . كان الذين يجيدون العربية والفارسية من الكتاب ، يرفّعون ويتقدمون فى المراتب بشكل أسرع . والمعاون الثاني لرئيس الكتاب ، هو الشخص المسمى « آمدي ديوان همايون » كان مكلفًا على الأكثر بتأمين العلاقات في المخابرات الخارجية مع البادشاه . كان له كذلك مكتب عظيم . في حالة ترفيعه يصبح بكلكجي وسكرتير عام الأمور الخارجية ورئيس كتّاب وزير(وزير خارجية) . كانت هذه وظائف تخصصية . كانوا موظفين مقتدرين يختارون من بين صنف الكتّاب الذين تدرجوا في مكاتب الباب العالي ، وليسوا من خريجي المدرسة (المدارس الدينية) . إن تنوّع وسعة أعمال هذه التشكيلات ، كانت كبيرة جدًا . مثلاً ، استنادًا إلى أحد سجلات عام 1804 (جودت 7 ,368) كانت محاضر جلسات البرلمان الإنكليزى تترجم وتقدم إلى رئيس الكتاب .

وخلال العصرين من 1453 إلى 1650 ، عين 39 شخصًا ، 56 مرة لمنصب نيشانجي . والذين ضربوا رقمًا قياسيًا في مدة بقائهم في هذا المنصب هم موستارلي مصطفى باشا الذي بقي في هذا المنصب مدة 24 عامًا خلال الربع الثاني من العصر 17 والمؤرخ الكبير جلال – زاده مصطفى جلبي الذي شغل منصب نيشانجي في دور القانوني مدة 24 عامًا كذلك . قره نيشانجي داود 14 سنة في دور بيازيد الثاني ، أما قره ماني محمد باشا من أحفاد مولانا جلال الدين الذي صار وزيرًا أعظم بعد ذلك فقد ظل 12 عامًا في دور فاتح ، جزه ري – زاده جعفر جلبي أول نيشانجي لفاتح 12 سنة ، تاجي – زاده جعفر جلبي شغل هذا المنصب مرتين مدة 11 سنة في دور بيازيد الثاني وياووز . بينما شغل أوقجو – زاده منصب نيشانجي لخمس مرات مجموعها عبارة عن 3 سنوات وشهرين . أقصر مدة هي التي قضاها دلاور أغا – زاده عمر أفندي (48 يومًا) .

وخلال مدة (من 1650 - 1836) ، 67 رئيس كتّاب ، عيّن 95 دفعة لهذا المنصب . وبالرغم من أنهم كانوا في تشريفات الحكومة يتلون النيشانجي وكتخدا

الصدارة ، لكنهم اكتسبوا أهمية تفوقهم . وعندما اكتسب المنصب أهمية فائقة ، بدأ فيه عدم الاستقرار . إن أطول مدة في دور لاله (1718 – 1730) هي رئاسة أوجار آبادلي محمد افندي (12 سنة ، وشهرين ، 17 يومًا) يوجد كثيرون من شمعي زاده محمد أفندي بقي في هذا المنصب في دور محمد الرابع دفعتين مجموعهما 10 ، قاشهور . يوجد كثيرون من الصدور العظام عملوا في وظيفة رئيس كتّاب . رامي محمد باشا (مرتين 5 . 7 سنة) ، داماد قوجا راغب باشا (3 سنوات وشهرين و16 يومًا) نائلي عبد الله باشا (5 سنوات ، 11 شهرًا ، 16 يومًا) حمزة حامد باشا (شهر 16 يومًا) يا غلقجي – زاده حاجي محمد أمين باشا (9 أشهر و7 أيام) ، اسبارطه لي خليل حميد باشا (9 أشهر ، 24 يومًا) ، غالب باشا من رجال النظام الجديد (3 دفعات 5 . 4 سنة) ثم صار بعدها صدرا أعظم .

غيّر محمود الثاني في 11 آذار 1836 اسم هذه الوظيفة إلى « أمور خارجية ناظري » أي ناظر الأمور الخارجية ، أصبح بعد ذلك « خارجية ناظرى » فقط . إن آخر رئيس كتّاب وأول ناظر هو حاجي محمد عاكف باشا (4 سنوات وشهرين و5 أيام) . دامت هذه الوظيفة التي بدأت قبل التنظيمات بـ 3 سنوات مدة 86 سنة و4 أشهر و17 يومًا . 36 شخصًا شغلوا هذا المنصب 69 مرة . أصبحت نظارة الخارجية ، أهم مقام في الوزارة بعد الصدارة . اعتلى هذا المنصب من رجال التنظيمات ، عالي باشا 8 ، فؤاد باشا 5 ، رشيد باشا 3 ، صفوت باشا 6 مرات . الذين شغلوا منصب ناظر الخارجية أطول مدة هم : الصدر الأعظم عالي باشا (14 سنة و4 أشهر و4 أيام) ، الصدر الأعظم توفيق باشا (13 سنة و3 أشهر و7 أيام) ، كرد سعيد باشا (10 سنوات و4 أشهر و3 أيام) الصدر الأعظم كيجه جي – زاده فؤاد باشا (7 سنوات ، 11 شهرًا ، 4 أيام) ، الصدر الأعظم بيوك رشيد باشا (6 سنوات ، و 3 أشهر ، 4 أيام) .

5 – سفراء وقناصل الدول الأجنبية في تركيا :

كانت الدول الأجنبية ، ترسل إلى العثمانية نوعين من السفراء : سفراء فوق العادة ، يحضرون لمهام معيّنة ، وسفراء دائمين مقيمين . أول من أرسل سفراء مقيمين ، البندقية اعتبارًا من 1454 . يسمي السفراء البندقيون « باليوز » . وأساسًا فإن البندقية هي

المؤسسة للدبلوماسية الأوروبية الحديثة . أرسلت كل من فرنسا في أواسط العصر 16 ، انكلترا في أواخره ، وتلتها فورًا ، هولندا ثم بقية الدول الأوروبية الواحدة تلو الأخرى ، سفراءها الدائمين المقيمين إلى استانبول . أما الدول الآسيوية فكانت ترسل سفراء فوق العادة فقط . الدولة الآسيوية الوحيدة (وبالأصح الدولة التي ليست من أصل أوروبي) ، التي أرسلت سفيرا دائما إلى الدولة العثمانية في التاريخ العثماني حتى 1922 ، هي إيران فقط . انتهت الدولة العثمانية ، قبل أن تتبادل البعثات الدبلوماسية مع الصين واليابان .

إن تقسيمات وزير مفوض وسفير جديدة ، وهي تقسيمات موجودة في الديمقراطية الحديثة ، ولم تكن موجودة في الماضي . لكن الدول التي يمثلها سفير لم تكن ، بالطبع ، على المستوى نفسه من الأهمية . كانت العثمانية ، في الفترة الكلاسيكية ، تعتبر مكانة السفير الإيراني (الصفوى) في الدرجة الأولى ويليه السفير الهندي (التيموري) . لكن هاتين الدولتين كانتا دولتين ترسلان سفراء فوق العادة ولا ترسلان سفراء مقيمين . إن أكثر السفراء الذين حازوا اعتبار العثمانية من بين سفراء الدول التي ترسل سفراء دائمين هو سفير ألمانيا لتمثيله الإمبراطور (Ricault, 1, 259) . ويليه رأسًا سفير فرنسا . وفي العصر 17 ، من الممكن أن نقول إن الذين يلونهم في التسلسل هم سفراء البندقية ، إنكلترا ، هولندا ، بولونيا ، السويد ، روسيا (Ricault, 1, 278) . بدأت بعد ذلك الدول كالدانمارك ، صقلّيتين ، سردونيا ، إسبانيا ، بلجيكا ، الولايات الأمريكية ، النرويج ، سويسرا ، البرتغال ، الدول التي ظهرت في البلقان ، ترسل سفراء دائمين إلى استانبول .

وفي الفترة الكلاسيكية ، كان أهم سفير بالنسبة للإمبراطوريتين الصفوية في إيران والتيمورية في الهند هو الذي ترسله العثمانية . كتب Tavernier كمشاهد ، أن بادشاه الهند تيمور أوغلو شاه جهان يتسلم الرسالة رأسًا من يد السفير الذي يرسله البادشاه العثماني فقط من بين جميع الحكام على وجه الأرض . يحتمل أن يكون ذلك بسبب كون الحاكم العثماني خليفة . إن الرسائل التي كان يرسلها شاه إيران ، كان يتسلمها الصدر الأعظم الهندي من يد السفير ويقدمها إلي الحاكم . أما رسائل لويس 14 أكبر حاكم

أوروبي ، فكانت تُستلم من السفير الفرنسي وتسلَّم إلى شاه جيهان ، بعد انتقالها بين أيدي ثلاثة وزراء ؛ سجل Tavernier الفرنسي ذلك بتأثر .

أكبر عدد من أعضاء السفارات وأكبر السفارات الأجنبية كانت في استانبول حتى العصر 19 . إذ إن السفراء المرسلين كانوا قد عيّنوا لدى الدولة العثمانية التي تعيش على أراضيها اليوم أكثر من 30 دولة . كان بالسفارة الفرنسية في استانبول في العصر 18 ، 29 دبلوماسيًّا ، 52 مترجمًا يجيد اللغة التركية . وموظفون آخرون كان عدد الموظفين الدبلوماسيين فقط في السفارة الإنكليزية في استانبول 56 . ويجب أن نضيف إلى ذلك ، الموظفين العاملين في القنصليات الموجودة في مختلف أقطار العثمانية .

إن العصر الذهبي للدبلوماسية في العالم أجمع ، هو العصر 19 . اعتبرت الدبلوماسية أرق الوظائف ، أكسب رشيد باشا هذا الاعتبار إلى النظام التركي كذلك . اكتسب موظفو السلك السياسي الأولوية ، بعد أن كانت إدارة الدولة العثمانية ، حتى ذلك التاريخ ، تحت سيطرة موظفي السلك العسكري .

كانت الدول العظمي هي التي تتبادل مع بعضها السفراء : إنكلترا ، فرنسا ، روسيا ، تركيا ، النمسا ، ألمانيا (بروسيا) ، أسبانيا ، الولايات الأمريكية . انضمت إليهم في نهاية العصر إيطاليا كل وفي السنوات الأخيرة للعصر اليابان . وعدا ذلك كانت كل الدول تتبادل فيما بينها وزراء مفوضين (بالفرنسية ministre) .

كانت الدولة العثمانية وإيران غالبًا ما تتبادلان السفراء ، ومع أن إيران خرجت في 1828 من عداد الدول العظمى كانت العثمانية لا تزال تجاملها وتعاملها كدولة عظمى .

كانت اللغة الدبلوماسية (استمرت حتى 1945) هي الفرنسية . إن جميع الدبلوماسيين العثمانيين يتكلمون الفرنسية دون استثناء ، وبعضهم كان يجيد لغة أو عدة لغات أخرى . كانت المراسلات بين نظارة الخارجية العثمانية وسفاراتها باللغة الفرنسية . انقرضت بعد 1945 تقريبًا مؤسسة أورطه الجي (سفير وسط ، وزير مفوض) . وأخذت كل الدول تتبادل السفراء (بالفرنسية : Ambassadzur) .

كان القناصل على 4 درجات : القنصل العام (باش قونصولوص) (بالعثمانية : باش شهبندر، بالفرنسية : consul general) ، قنصل (بالعثمانية : شهبندر ، بالفرنسية : Consul) ، قنصل ثانٍ أو نائب قنصل (قونصولوص معاوني) (بالعثمانية : شهبندر وكيلي ، معاوني ، بالفرنسية Viee - Consul) ، وكيل قنصلي (بالعثمانية : قانجيلار ، بالفرنسية : agent consulaire) وهذه الدرجة لا وجود لها اليوم . يطلق على موظفي القنصلية العامة بدرجة قنصل ونائب قنصل « قنصل معيّة ونائب قنصل معيّة » .

كان لإنكلترا عام 1839 ، قنصل عام في 7 مدن من الامبراطورية العثمانية ، قنصل في 10 مدن منها ، نائب قنصل في 10 مدن منها كذلك . وفي 1912 كان لها قنصل عام في 10 مدن وقنصل في 10 مدن كذلك ، ونائب قنصل في 38 ، ووكيل قنصلي في 7 مدن من مدن الامبراطورية العثمانية .

كان لفرنسا عام 1839 ، في الامبراطورية العثمانية 4 قناصل عموم ، 11 قنصلاً ، 2 نائب قنصل ؛ وفي 1912 ، 6 قنصل عموم ، 11 قنصلاً ، 18 نائب قنصل ، 58 وكيلاً قنصلي .

كان لروسيا في 1839 ، 3 قناصل عموم ، 8 قناصل ، 1 نائب قنصل ؛ وفي 1912 ، 11 قنصلا عاما ، 11 قنصلا ، 27 نائب قنصل ، 17 وكيلًا قنصليا

كان للنمسا – المجر في 1839 ، 6 قناصل عموم ، 13 قنصلاً ، 10 نائب قنصل ؛ وفي 1912 ، 7 قناصل عموم ، 15 قنصلاً 12 نائب قنصل ، 31 وكيلا قنصليا .

ملكية بروسيا التي أصبحت في 18 / 1 / 1871 إمبراطورية ألمانيا ، كان لديها في عموم 1839 ، قنصل عموم ، 12 قنصلاً ، 1 نائب قنصل ؛ وفي 1912 ، 3 قناصل عموم ، 15 قنصلا ، 14 نائب قنصل ، 9 وكلاء قنصلي .

ملكية سردونية (Piemonte) التي أصبحت في 17 / 5 / 1861 ملكية إيطاليا ، كان لديها عام 1861 ، 9 قناصل عموم ، 5 قناصل ، العديد من نواب القنصل ؛ وفي 1912 ، 7 قناصل عموم ، 14 قنصلاً ، 6 نواب قنصل ، 56 وكيلاً قنصلي .

كان لدى إيران في 1850 ، قنصل عام و 1 قنصل ، وفي (1912) ، 10 قناصل عموم ، 7 قناصل ، 6 نواب قنصل و 8 وكلاء قنصليون .

كان لدى الولايات الأمريكية المتحدة عام 1839 ، قنصل عام 15 قنصلاً ؛ وفي 1912 ، 4 قناصل عموم 12 قنصلاً ، 17 وكيلاً قنصليًا .

كان لدى أسبانيا عام 1839 ، قنصلان عامان ، 2 قنصل ؛ وفي (1912) ، 3 قناصل عموم ، 8 قناصل ، 17 نائب قنصل ، 18 وكيلاً قنصليًا .

فتحت الدول آنفة الذكر ، في المدن التالية قنصليات عامة دائمة مؤقتة : استانبول ، القاهرة ، اسكندرية ، تونس ، طرابلس الغرب ، بيروت ، الشام ، بغداد ، بلغراد ، بخارست ، يني بازار ، ياش ، بورسعيد ، سلانيك ، صوفيا ، البصرة ، خانيا ، أزمير ، حلب ، القدس ، أدرنة ، يانيا ، رسجك ، طرابزون ، أرضروم ، أوسكوب ، اشكودرا ، بوسنة سراي ، ادرنه وفان . ولم تفتح أية دولة في أية فترة ، قنصلية عامة في : صنعاء ، الخرطوم ، جدّة ، لكنها فتحت قنصليات أو مكاتب .

6 – سفراء وقناصل العثمانية لدى الدول الأجنبية :

كانت العثمانية ترسل إلى دول أوروبا ، آسيا ، أفريقيا سفراء مؤقتين لأغراض معيّنة . يعود السفير بعد ختام عمله ، ولا يقيم في ذلك القطر . هناك من يبقى عدة سنوات . لكن هذا البقاء مرهون بإنجاز مهمة معينة . فكّر نوشهرلي إبراهيم باشا في دور لاله (1718 – 1730) في تأسيس سفارات دائمة ، وبدأ بفيينا وباريس . إلا أن سقوطه أخّر ذلك إلى نهاية العصر 18 .

استُقْبل السفراء العثمانيون باهتمام بالغ عند إرسالهم في بعثات مؤقتة وفوق العادة . إذ إن وضع الدولة العثمانية كان كوضع الولايات الأمريكية بعد 1945 . وشيء آخر ، هو أن السفير العثماني قادم من ثقافة مختلفة ، ومختلفة جدًا . فمثلا كان الذي أدخل القهوة إلى أوروبا ، هو سفيرًا عثمانيًا ذهب إلي فيينا ، عرّفها ، حبّبها ونشرها . أسس الأوروبيون جوقة موسيقاهم العسكرية الحديثة باستماعهم لفرقة المهتر التي ترافق السفراء . انتشر الطراز العثماني في كثير من المجالات . كل سفير عثماني كان يقدم تقريرًا تحريريًا إلى

الديوان بعد إنهاء مهمته الدبلوماسية وعودته . هذا التقرير كان يسمى « سفارتنامة » . كانت بعض التقارير على شكل كتاب يحاول كل توضيح كل نواحي ذلك البلد . وهي من المصادر المهمة للتاريخ العثماني . كما أنها كبيرة الأهمية من زاوية تعريفها لنظرة العثماني إلى حضارة لم يألفها وغريبة عليه تمامًا . شوهد دبلوماسيون اشتهروا في مجال الأدب بواسطة تقاريرهم (سفارتنامة) مثل يرمي سكيز جلبي محمد أفندي (باريس) في بداية العصر 18 ، أحمد رسمي أفندي (فيينا وبرلين) فى أواسط العصر . إن كان التقرير تقريرًا فنيًّا وليس على شكل كتاب ، يسمى « سفارتنامة » وإن كان على شكل كتاب يسمى « تحريرات » .

عند انقسام السفراء إلى درجتين في مطلع العصر 19 سمّت العثمانية السفير (ambassadeur) « سفيرًا كبيرًا » . أما لفظ « سفير » فيستعمل في المصطلح العثماني للدلالة على (أورطه الجي) وزير مفوض ، وكذلك بصورة عامة على جميع السفراء سواء كان سفيرًا أو وزيرًا مفوضًا . أسست سفارة لندن الدائمة (المقيمة) في 15 / 10 / 1793 وفي أيلول 1796 سفارة باريس ، وفي 7 / 9 / 1797 سفارة فيينا الدائمة . ثم سفارات برلين ، بطرسبورغ ، روما ، طهران ، واشنطن ، مدريد ؛ وأسست أورطه الجيليك أي السفارات المتوسطة (المفوضيات) في كل من أثينا ، لاهاي ، بروكسل ، نابولي ، استوكهولم ، كوبنهاك ، برن ، بلغراد ، بخارست ، وجتينه ، أما في العصر 20 ، فقد أسّست مفوضية صوفيا (22 / 9 / 1909) . أمكن في 1839 ، فتح قنصليات في 15 مدينة أوروبية فقط . وفي 1850 كان لدى العثمانية في 14 مدينة أوروبية ، قنصل عام ، وفي 33 مدينة قنصل ، وفي مدن عديدة نائب قنصل . وفي مدينة أمريكية (واشنطن) قنصل عام 1 ، وفي مدينة أخرى (بوسطن) قنصل 1 وفي عدة مدن منها نائب قنصل .

الأقطار التي كان للعثمانية قنصلية فيها عام 1908 : في 6 مدن إنكليزية قنصل عام ، في 16 مدينة قنصل ، في 20 مدينة منها نائب قنصل ؛ في فرنسا ، 3 قناصل عموم ، 14 قنصل ، 2 نائب قنصل ؛ في ألمانيا 31 قنصلاً عامًا ، 4 قناصل ؛ في النمسا ـ المجر 4 قناصل عموم ، 20 قنصلاً ؛ أسبانيا 2 قنصل عام ، 18 قنصلاً ، ، 3 نواب قنصل ؛

5 قناصل عموم في الولايات الأمريكية ؛ 5 قناصل عموم في روسيا ، 7 قناصل ، 3 نواب قنصل ؛ 4 قناصل عموم في اليونان ، 6 قناصل ؛ قنصل عام في بلجيكا ، 3 قناصل ، نائب قنصل ؛ 4 قناصل عموم في هولندا ، قنصل ؛ 3 قناصل عموم في رومانيا ، 4 قناصل ، 3 نواب قنصل ؛ 2 قنصل عام في صربيا ، 1 قنصل ، 1 نائب قنصل ؛ 4 قنصل عام في قره داغ ؛ 3قناصل عموم فيالسويد ، نائب قنصل ؛ قنصل عام في النرويج ؛ قنصلان عامان في سويسرا ؛ قنصل عام في البرتغال ، نائبا قنصل ؛ قنصلان في البرازيل ؛ قنصل عام في الدانمارك ؛ وقنصل عام واحد في كل من الأرجنتين والحبشة .

كان لدى الدولة العثمانية في أدوار مختلفة قناصل عاموم في المدن الآتية : باريس ، فيينا ، بطرسبورغ ، اوديسيا ، روما ، جنوه ، ليفورنو ، واشنطن ، آنفرس ، بروكسل ، امستردام ، لشبونة ، برلين ، هامبورغ ، مرسيليا ، دانزغ ، البندقية ، تريسته أثينا ، بيره ، آغريبوز ، باتراس فونيتزا Vonitza ، لاميا ، مانشستر ، سالفورد ، بومباي ، كيبتاون ، مالطة ، بوردو ، لا يبزغ ، بشته ، راكوسا ، تامشوار ، تفليس ، باليرمو ، برنديزي ، تبريز ، طهران ، ليون ، مسّينا ، باكو ، باطوم ، تاكونروك ، بوسطن ، برشلونة ، مدريد ، كورفو ، جاكرتا ، كوبنهاك ، كولونيا ، ميونخ ، بوكبورغ ، رودولستات ، كوثا ، كوبورغ ، آرولسن ، شتوتغراد ، سوندرها وزن ، ليفربول ، نيوكاسل ، سنغافورة ، ملبورن ، نيس ، طولون ، بريسلاو ، فرانكفورت ، مانهايم ، ديسّاو ، كارلسروها ، دارمستاد ، سيرا ، كريز ، آلتبورغ ، ماينتكن ، وايمار ، بوكبورغ ، موسكو ، سفاستوبول ، قارص ، نابولي ، خوي ، كرمنشاه ، سينه ، شيكاغو ، روتردام ، أديس أبابا ريو دي جانيرو، جنيف ، نيش ، كالاس ، يني شهر ، دوسلدورف ، براونشويغ ، ديتمولد ، لوبك ، أولدنبورغ ، شويرن ، ستريلتز ، لاهاي ، كوسنتجه ، بخارست ، بلغراد ، برن ، بوسنة سراي ، رشت ، نيويورك ، صوفيا ، فيليبه ، أوسلو ، بانكوك ، بونس آيرس ، حارار ، سائو باولو ، كونه بورغ ، استوكهلم ، بريمن .

كان للدولة العثمانية عام 1900 علاقات دبلوماسية متبادلة مع 25 دولة مستقلة (18

أوروبية ، 4 أمريكية ، 2 آسيوية ، 1أفريقية) . كان لها ممثلون في 280 مدينة عالمية . (لمعرفة الأسماء انظر **سالنامـهء نظـارت امـور خارجيـة** 3 ,1318 = 1900 ، ص235 - 46) .

7 – أرشيف الامبراطورية (بالعثمانية : خزينة ء أوراق) :

أحرقت جيوش تيمور ، التي دخلت بورصة عام 1402 ، أرشيف (محفوظات) الدولة العثمانية . لذا بقيت في حوزتنا وثائق أرشيفية غير كافية بالنسبة للعصر 14 . ورغم أنه تعرض لتلفيات مختلفة ، فإنه لا يزال الأرشيف العثماني ، أحد أغنى خزائن الأوراق بين أهر 1 ، 2 من خزائن الأوراق الأوروبية (Sauvaget, Introduction ، 19) إن تاريخ أكثر من 40 دولة لعدة عصور ، كانت تعيش حياة مشتركة تحت ظل العثمانية مطوي ضمن ملفات هذا الأرشيف . قليل جدًا من الدول الأوروبية التي لا يحتوى هذا الأرشيف على وثائق مهمة بشأنها . جمع هذا الأرشيف اليوم في استانبول .

سمّي الأرشيف في البداية ، دفتر خانة ، ثم خزينةء أوراق . إحدى الخزائن الثلاث التي وجدت العثمانية هذه الكلمة لائقة بها . لم تكن هذه الخزينة خزينة ذهب وجواهر كالأخريين ، بل خزينة أوراق ودفاتر ، لكنها خزينة لماض بعيد ، وتاريخ واسع . كان على رأس الأرشيف موظف يسمى دفتر أميني (أمين الأوراق) وكان آمره « نيشانجي » كان يجب الحصول على موافقة الصدر الأعظم لتسجيل أي شيء وإجراء أي تغيير في الدفاتر (الأضابير ، الأوراق) ، وفي تلك الحالة ، النيشانجي فقط هو الذي يمكنه إجراء هذا التغيير بخط يده . يدخل في هذا التغيير فرمان (أمر) الصدارة . حيث كان بالإمكان تبديل مصالح لا يتصورها العقل ، بحركة قلم بسيطة . كان لا يجوز إخراج أية اضبارة ما لم يتم الحصول على أمر تحريري من الصدر الأعظم ، ولا ينفذ أمر الصدر الأعظم الشفهي في هذا الشأن . يؤشر على الإضبارة برقم خروجها من الأرشيف ، عند إعادة الاضبارة بعد تدقيق الصدر الأعظم (مهمة دفتري 3 ,616 ، وأيضًا 1113) .

كان بإمكان الدفترأميني (موظف الأوراق) أن يعثر على الدفتر (الاضبارة) أو الوثيقة من بين الملايين من أمثالها خلال بضع دقائق . كانت مصنّفة بشكل رائع . أبرز ما يذكر بين المجموعات هو : **خطوط همايون** البادشاه (الأوامر الامبراطورية للبادشاه) ، قرار – نامات (تقارير) الحكومة لكل سنة يضمها دفتر كبير جدًا

يسمى دفاتر **المهمة** ، نظمت هذه الدفاتر التي تسمى **مفصّل** والتي تعتبر بمثابة سجل ألطابو والأراضي الممسوحة للامبراطورية أجمع ، بحيث تحتوي على إجماليات مختصرة تمكن رجال الدولة من الاطلاع عليها بنظرة واحدة تسمى **دفتر مجمل** أو **دفتر إجمال** وعلى النسخ الأصلية التي وقع عليها الطرف المقابل للمعاهدات التي وقّعتها الدولة العثمانية .

مثلاً ، مضابط اجتماعات ومناقشات وقرارات مجلس وكلاء (الوزراء) للـ 37 سنة الأخيرة 1885 - 1922 ، يضمها 224 مجلّدًا كبيرًا . الارادات (الأوامر) السلطانية التي كانت تسمى سابقًا خط همايون للـ 83 سنة الأخيرة والخاصة بـ 6 سلاطين 1839 - 1922 ومجموعها 000 80 .

توجد محفوظات (أرشيف) مهمة جدًا خارج الأرشيف العثماني الأصلي ، جمعت في استانبول ويأتي على رأسها أرشيف طوبقابو سراي . وأرشيف كثير من النظارات العثمانية ، في أماكن مختلفة . ومنها المحفوظ في أنقرة ، أرشيف الأوقاف والأرشيف المحفوظ لدى دائرة تاريخ الحرب في رئاسة أركان الجيش وهذان الأرشيفان هما أهم اثنين بين خزائن الأوراق الموجودة في أنقرة . محفوظات (خزائن الأوراق) المحكمة الشرعية ، مخزون في 18 مدينة مستقلة . تحتوي على إفادات الشهود ، أحكام القضاة الشرعيين ، تقارير أهل الوقوف (الخبراء) كل جلسات الدعاوي التي نظرت في الامبراطورية منذ عصور . وعلى هذا الأساس ، يمكن القول أنه توجد في أماكن خزن الأوراق والمكتبات المختلفة في تركية عدة مليارات من الوثائق التي تسجل التاريخ العثماني . لا تملك أية دولة تركية أو إسلامية على وجه الأرض مواد أرشيفية يمكن قياسها حتى من بعيد بهذه المحتويات الغنية .

مئات الملايين من الوثائق الأرشيفية باللغة التركية والخاصة بالدولة العثمانية ، ظلّت اليوم لدى الدول التى انفصلت عن العثمانية . وعلاوة علي ذلك ، فإنه توجد لدي مخازن أوراق (أرشيف) الدول الأوروبية وثائق تتعلق بالدولة العثمانية ، يبلغ عددها مئات الملايين . وكذلك لا يمكن قياس ذلك مع أية دولة إسلامية أخرى ولو من بعيد .

أمكن فقط ، تدقيق ما يقارب واحدًا بالمائة من الأرشيف العثماني ، وأمكن نشر أقل من واحد بالمائة من الوثائق . وهذا يوضح عدم إمكان تدقيق القسم الذي يسبق النصف

الثاني من العصر 19 من التاريخ العثماني .

توجد وثائق عثمانية في أماكن لا تخطر على البال . مثلاً في دير فرانسيسكن Fransisken في القدس توجد 2644 وثيقة باللغة التركية (**Catologo dei Firmani P.** **Eutimio Castellani** ، القدس 1922) . ويوجد في أرشيف رومانيا ، ما يقارب 210 000 ، وفي بلغاريا ما يقارب 500 000 إضبارة ووثيقة باللغة التركية (ميخائيل كوبوغلو ، **VII Turk Tarih Kongresi Zabitlari** ، 502) وفي نفس أرشيف غانة ونيجيريا ، توجد وثائق حول حكم الأتراك في أفريقيا الوسطى (**Nada Zimova** ، **الكتاب نفسه** ، 626) .

8 – باشدفتردار والماليــة :

تسمى الوزارة التي تعالج فيها الشئون النقدية والمالية « باشدفتردارلق » وفي 28 / 2 / 1838 تغير اسمها إلي « مالية نظارتي » (وزارة المالية).

وزير المالية الذي يسمى « باشدفتردار أوشقّ أوّل دفترداري أو دفتردار شقّ أوّل . عضو في الحكومة . سمّي العثمانيون ، وزير المالية الذي سمّاه السلجوقيون « مستقي » ، « باشدفتردار » . تولى خلال مدة 4 عصور تقريبًا ـــ المنحصرة بين 1453 – 1838 -166 شخصًا ، 246 مرة ، وظيفة باشدفتردار ، عُيّن بقال – زاده صارى محمد باشا لهذا المنصب 6 مرات . يوجد عدة أشخاص عينوا 4 مرات . أطول مدة قضيت في هذا المنصب هي دفتر دارية جيبه جي أحمد باشا (13 سنة 3 أشهر ، 25 يومًا) . ولا يوجد من بقي أكثر من 10 سنوات غيره . إن مجموع دفتردارية صاري محمد باشا الـ 6 عبارة عن 6 سنوات ، 10 أشهر ، 15 يومًا .

أول ناظر للمالية هو عبد الرحمن نافذ باشا ، ورغم أنه جاء إلى النظارة خلال 1838 - 1852 ، 5 مرات ، فإن مجموع مدة بقائه ، في المنصب 5 سنوات ، 9 أشهر ، 20 يومًا . إن صدور عظام دور التنظيمات مثل صارم باشا ، شيرواني – زاده رشدي باشا ، محمد صادق باشا ، أحمد حمدي باشا ، تولّوا وظيفة وزير مالية .

كان يطلق على آمر مالية كل إيالة اسم « دفتردار » أو « دفتر دار الإيالة / الولاية » .

وهو تابع إلي الباشدفتردار / ناظر المالية في استانبول ، وليس إلي البكلربك / والي .

يسجل كثير من المؤرخين أنهم لم يعثروا في أية دولة من دول العالم حتى العصر 19 علي ماليّة متظمة ومتكاملة وواسعة كتشكيلات المالية العثمانية . إن الباشدفتردار ، هو شخصية دبلوماسية أكثر منها مالية . كانت الشئون الفنية للمالية ، يديرها موظف يسمى باشمحاسب (رئيس المحاسبين) ، مع تشكيلات الباشمحاسبة (رئاسة الحسابات) . تولد ديوان محاسبات (الذي تسمى اليوم في تركية سايشتاي) (المحاسبات العامة) ، فيما بعد من هذه التشكيلات . كانت الشئون المالية ، فرعًا آخر من فروع البيروقراطية المدنية التي تسمى مُلكيّة (بضم الميم وسكون اللام) . كان يعمل في المالية (الباشدفتردارلق) في أواخر العصر 18 ، ماينيف على 1000 موظفًا (264, 7, d'Ohsson) كانت تشكيلات الدفتردارية ، عظيمة في الإيالات كذلك. فمثلاً ، كان عدد موظفي الدفتردارية والأوقاف في الشام عام (1715) ، 2374 (راشد 53, 4) .

كان في الإمكان الكشف عن التزويرات والغش المدبّر بشكل فنّي حرفي . وفي إحدى المرات تمكن 3 من مفتشي المالية من الكشف عن سوء تصرف مالي مدبّر بشكل فنّي للغاية باشتغالهم 6 أشهر (راشد ، 4 ,53) . كانت المالية العثمانية صارمة ولا تتهاون في حقوقها ، فمثلا حجزت المالية جواهر السلطانة عائشة ، البنت الكبرى للسلطان بيازيد عام 1481 والتي قدّمها لها جدها السلطان فاتح كهدية عرس ، لصرفها مبلغ 000 25 آقجة فقط لصالح الدولة ولكن دون أخذ موافقة المالية (Topkapi, Sarayi Arzivi ، رقم 455, 5) ونفهم من هذا أن السلالة لم تكن تعامل معاملة استثنائية .

كان قسم من إيرادات الدولة ، يحصّل من الضرائب الإسلامية : خمس الغنائم ، الجزية المستوفاة من غير المسلمين لعدم إيفائهم الخدمة العسكرية ، الضريبة المحصلة من الأراضي والإيرادات الزراعية والتي تكون على العموم عشر المحصول وتسمى الخراج (الأعشار) . قسم منها كان ضرائب فرضت باسم الخاقان ، وهذه تغيرت بين الحين والآخر . لكن الضرائب لم تكن باهظة ، حتي في أوقات الضيق . وهي أخف بكثير من الضرائب المالية الحديثة .

كانت ميزانية المركز والإيالات تعد سنويًا (نشر عمر لطفي باركان ، ميزانية الدولة

لعام 1527 - 28 من الأرشيف = 933 - 934 : IFM ,15 ,1954 ,243 وما بعده) . ويمكننا أن نقول أن الضرائب المقطوعة التي تدفعها الدول التابعة والضرائب التجارية وإيرادات الجمارك والموانيء ، تأتي على رأس الإيرادات .

أما مصروفات الدولة العثمانية فكانت متنوعة . وفي العصر 16 كانت العثمانية تقدم لفرنسا وإنكلترا مساعدات مالية ، تجارية ، بحرية ، وعسكرية . كانت ترسل أسلحة نارية إلى أندونيزيا ، تركستان . وفي نهاية العصر 18 كانت تهب النقود إلى السويد . وحتى في نهاية العصر 19 كان عبد الحميد الثاني يرسل إلى الصين ، فاس ، الفلبين ، أندونيزيا ، والهند ـــ مساعدات ورجال تحريات . والحاصل أن العثمانية كانت إمبراطورية لا يمكن للدول القوميّة الحالية أن تدرك بسهولة مبلغ تنوع مصروفاتها . وكان الوضع في دور الانحطاط لا يختلف عما كان عليه في دور العظمة .

خصص السلطان ياوز سليم ، للسلطان بديع الزمان ميرزا (الابن الكبير لحسين بيرقدار وخلفه) آخر خاقان تركستان من بني تيمور الذي فقد عرشه وجاء إلى استانبول مبلغ 100 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا . أرسل أحمد الأول عند اعتلائه العرش (1604) ، 685 25 ليرة ذهبية صدقة إلى فقراء المدينة ، 806 8 إلى فقراء مكة 622 1 إلى فقراء القدس (**Topkapi Sarayi Arsivi ، N . E 754 / 5**) . أرسل عبد الحميد الثاني طوال مدة سلطنته (**1876 - 1909**) سنويًا إلى فقراء مكة والمدينة **13** مليون دولار بالسعر الحالي من خزينته الخاصة . وكان بيازيد الثاني (**1481 - 1512**) الذي لم يكن خليفة وكان سلطانًا فقط ـــ لكنه كان أكبر حاكم مسلم ـــ يرسل سنويًا ما يقارب **5** ملايين دولار بالسعر الرائج حاليًا ، إلى فقراء مكة والمدينة ، الصلحاء ، العلماء ، الشرفاء والمشايخ .

لم تستدن العثمانية حتى **1854** قرشًا واحدًا من الخارج . أخذ أول قرض من إنكلترا بفائدة **6** ٪ بتاريخ (**24 / 8 / 1854**) (**3** ملايين ليرة ذهبية) على أن يسدّد مع فائدته خلال **5 . 13** سنة أي عام **1868** . وفي **1861** اقترضت **3** دفعات أخر ، حتى وفاة السلطان مجيد . بلغ مجموع القروض الأربعة التي جرت خلال دور هذا السلطان ، **700 547 16** ليرة ذهبية (عدا الفائدة) ؛ خُمسُه من فرنسا ، وأربعة أخماسه من

انكلترا . الفوائد 4 ٪ و 5 ٪ . أما في دور السلطان عزيز (1861 - 1876) ، فقد حدثت 7 قروض خلال 15 عامًا . أكبرها القرض العثماني الخارجي الحادي عشر البالغ 780 777 27 قطعة ذهب فكتوريا . أخذ من إنكلترا عام 1873 بفائدة 6 ٪ . وهكذا وكما يقال ضاع رأس خيط الشلّة . لم تستطع العثمانية ، التي لم تتمكن من تأسيس رأسمالية كبيرة حديثة ، صيرفة ، تراكم رأس المال ، صناعات ثقيلة ومؤسسات ـــ مسايرة أوروبا الغربية . ولم تتمكن من تكييف نفسها لصناعة المستلزمات الضرورية الجديدة كالسكك الحديدية ، الخطوط اللاسلكية ، مؤسسات الدولة الحديثة ، البوارج المصفحة ، الأسلحة النارية الحديثة ، وحاولت صنعها بالاستدانة من الخارج . وفي 1875 ارتفعت الديون الخارجية لإيالة مصر إلى 000 149 19 وديون إيالة تونس إلى 7 ملايين ليرة ذهبية . إذ إن الباب العالي كان قد منح كلاً من الايالتين ، فرمان الاستقراض(تعليمات سلطانية) وأعقبتها الحرب الروسية (1877 - 78) . نـــاء عبد الحميد الثاني تحت ثقل الخسائر ، ويلات وغرامات الحرب . أدار المالية بسياسة دقيقة جدًا . كافة المؤرخين الماليين اعتبروا هذه السياسة موفقة جدًا . كان لعبد الحميد الثاني ، منذ عهد إمارته ، استعداد كبير في الأمور النقدية . جرت في دور عبد الحميد الثاني 4 قروض أحدها من إنكلترا والآخر من ألمانيا ، واثنين منها من فرنسا (,1890 1893 ,1903 ,1878) مجموعها 000 376 13 ، الثلاثة الأخيرة منها بفائدة قدرها 4 ٪ . الأول فقط بفائدة 5 ٪ .

وقبل عام 1900 ، كان عبد الحميد الثاني يتسلم سنويًا من ميزانية الدولة مخصصات الحاكم والسلالة والسراي مبلغ 000 900 ليرة ذهبية . أما خديو مصر ، فكان يتسلم 361 255 ليرة ذهبية (ملك إنكلترا 000 630 سكة ذهبية) . لكن هذه الأرقام الثلاثة من الممكن أن تعطي فكرة غير صحيحة عن إيراداتهم . إذ إن الإيرادات المتحققة من ثروات ثلاثتهم الشخصية تجعل الإيرادات التي يتسلمونها من الدولة ، لا أهمية لها .

كانت الدولة العثمانية تضرب النقود الذهبية ، الفضية التي تسمى « آقجه » والتي تعتبر وحدة أساسية للعملة النقدية العثمانية ، والسكة النحاسية المسماة « مانكير » ، في معامل سك النقود العديدة المنتشرة في أنحاء الإمبراطورية ، أصدرت نقود ورقية ، تعادل

قيمتها الذاتية الليرة الذهبية . توجد في حوزتنا المسكوكات المضروبة في المدن الآتية : استانبول ، سوغوت بورصة ، أدرنة ، اماسيا ، آياسلوغ ، بولو ، أنقرة ، أفيون ، تيرة ، سيروز ، نوفار ، أسكوب ، كراتوفا ، كلي بولو ، قاصتاموني ، قونية ، طوابزون ، ماردين ، أورفة ، خاربوت ، عامد (دياربكر) ، حسن - كيفاء (حسن كيف ، زعرت ، جزيرة (جزرة) ، موصل ، القاهرة ، الشام ، بغداد ، طرابلس الغرب ، جزائر ، قيصري ، بلغراد ، زبيد ، جانجا (كومشخانة) ، مولدافا (ترانسيلفانيا) ، سدرة كابسي (جنوب شرق سلانيك) ، سربرنيجه (بوسنة) ، نوفابردة (شرق بريشتينة) ، كوجانيا (كوسوفا) ، حلب ، تليمسين ، ساقيز ، جانيجا ، أوهري ، إينة كول ، تبريز ، توقات ، تونس ، البصرة ، صنعاء ، لفكوشة ، خانيا ، طرابلس الشام ، روان ، تفليس ، أرضروم ، كنجة ، قارص ، مادن ، سلانيك ، مناستر ، قاشغر (تركستان الشرقية) ، بقجه سراي .

9 ـ الرتب العثمانية (بالعثمانية : رتب رسمية) :

لم يبق اليوم من له معرفة بالرتب والألقاب العثمانية . ومما يبعث على الدهشة حقًا ، وقوع المؤرخين الأتراك والأجانب ، الذين يعتقد أنهم أصحاب خبرة ، في أخطاء بسيطة جدًا ، مرّ علينا في كتابنا هذا كثير من الرتب . وأريد أن أوضح الرتب العثمانية بشكل إجمالي . وسوف أتخذ الدور الأخير ، دور عبد الحميد الثاني الذي استقرت فيه الرتب ، أساسًا ، وسأشير إلى ما يقابلها في الأدوار الكلاسيكية القديمة . سبّب استعمال الرتب في أزمنة مختلفة ، بمعاني مختلفة خلال التاريخ العثماني الطويل ، وقوع كثير من المؤرخين في أخطاء . من الممكن إيضاح تشريفات الدولة العثمانية ورتبها باختصار ابتداءً من الأعلى إلى الأدنى على الشكل التالي :

ـ خاقان ـ خليفة : امبراطور . هو في قمة التشريفات ولا يوجد شخص يعادله ، باعتباره رئيسًا للدولة وزعيمًا للعالم الإسلامي . يدعي بإضافة لقب « سلطان » قبل اسمه و « خان » بعد اسمه : سلطان عبد الحميد خان ثاني أو إيكينجي سلطان عبد الحميد خان ، أي بإضافة صفة « الثاني » بقاعدة الإضافة العربية في مؤخر الاسم وإضافتها

بمفهومها التركي في مقدمة الاسم بقاعدة الإضافة التركية . في التشريفات الأوروبية S . M . I .

– والدة – سلطان : الامبراطورة الأم . وهي أم السلطان . إن توفيت قبل اعتلاء ابنها ، فبالطبع يكون هذا المقام خاليًا . تدعى بإضافة كلمة « والدة – سلطان » بعد اسمها : برتو – نيال والده – سلطان . في التشريفات الأوروبية : S. M. I .

– ولي عهد سلطنت : (ولي عهد السلطنة) . ولي عهد الإمبراطورية . هو ولي العهد (الشهزادة) الأكبر سنا بعد البادشاه . تضاف « أفندي » بعد اسمه : ولي عهد سلطنت يوسف عز الدين افندي . في التشريفات الأوروبية : S. A. I .

– الشهزادات : (الأمراء) = أمير امبراطوري ، الدوق الكبير يلقب بأفندي . أحمد أفندي . في التشريفات الأوروبية : S. A. I . ويدخلون المراسم حسب تسلسل أعمارهم . أي أن الشهزادة الأكبر سنًا بعد ولي العهد ، يعتبر الشخص الرابع في التشريفات الإمبراطورية – السلطانات : (كريمات البادشاه) في المرتبة نفسها في التشريفات مع الشهزادات . أميرة إمبراطورية ، دوقة كبيرة . في التشريفات الأوروبية : S. A. I . وهؤلاء كذلك يدخلون البروتوكول بعد الشهزادات ، حسب تسلسل أعمارهن ، عائشة سلطان .

– قادين أفندي : 4 ملكات . الزوجات الـ 4 للبادشاه . في أوروبا : S . M ، يدخلن التشريفات حسب تسلسل تواريخ زواجهن ويدعين « باشقادين افندي ، قادين أفندي الثانية ، الثالثة ، الرابعة » . ثروت سزا باشقادين (الزوجة الأولى) أفندي ، مشفقة دوردنجي (الرابعة) قادين أفندي) .

– سلطان – زاده : أمير . في أوروبا : S. A . هم الأولاد الذكور للأميرات الإمبراطوريات . يدخلون التشريفات حسب تسلسل أعمارهم . يدعون « بك أفندي » : سلطان – زاده لطف الله بك أفندي – خانم سلطان : أميرة . في أوروبا : S . A بنات السلطانات . يدخلن المراسم حسب تسلسل أعمارهن – 4 إقبال : زوجات البادشاه الأربعة اللواتي يلين زوجات البادشاه الـ 4 الأوليات اللواتي يطلق عليهن اسم « قادين أفندي » ، أميرات في أوروبا : S. A . « خانم أفندي » : باش

(الأولى) إقبال فاطمة خانم أفندي ، دوردنجي (الرابعة) إقبال خديجة خانم أفندي ـ وزوجات ولي العهد والشهزادات : أميرات .

يدخلن التشريفات حسب تواريخ زواجهن كما هو الحال في « الإقبال » . يدعين خانم افندي : مزّيت خانم افندي . إن هؤلاء المنتسبين إلى هذه الفئات الأربع ، يعتبرون أمراء وأميرات بنفس الدرجة ، لكن تسلسل أهميتهم ، هو كما مدون أعلاه . إن هؤلاء كلهم أعضاء السلالة (الشهمادات والسلطانات) أومنتسبيهم (النساء ، الإقبالات النساء اللواتي يدعين خانم افندي ، أولاد السلطانات) يشكلون الطبقة العليا ويعتبرون خارج الرتب الرسمية الأصلية للدولة وأرفع منها .

سنبدأ فيما يلي ، بدكر الرتب الأصلية لموظفي الدولة . يجوز أن يحمل أي شهزاداة رتبة مشيرا أو ملازم ، لكنه لا يدخل ضمن تشريفات المشير أو الملازم ، يدخل ضمن بروتوكول الشهزاداة ، لكنه يعامل معاملة مشير أو ملازم خلال عمله في الجيش .

– رتبة الصدارة أوالمشيخة : رتبة فوق العادة وفوق الرتب . في أوروبا : أمير (S. A) . هي رتبة صدور الأعظم وشيوخ الإسلام . إن رِتبة « الصدارة » ، تعتبر رتبة ملكية (مدنية) إن كان الصدر الأعظم من السلك المدني ؛ وإن كان الصدر الأعظم عسكريًا أي إن كان مشيرًا ، تكون رتبة عسكرية وتصبح رتبة تفوق رتبة الماريشالية . أما رتبة المشيحة التي تمنح إلى شيخ الإسلام فهي منصب عِلمي . والذين سبق أن شغلوا مقام الصدارة والمشيخة ، يتقدمون في التشريفات ويعاملون في التشريفات الأوروبية معاملة الأمراء (برنس) حتىٰ نهاية حياتهم . الذين يحملون مرتبة الصدارة ، يسمون « باشا » والذين يحملون رتبة المشيخة يسمون « أفندي » إن هذه المراتب منحت – في النادر – إلى بعض الأشخاص الذين لم يشغلوا رتبة الصدر الأعظم وشيخ الإسلام بصورة فعلية ؛ منحت في التاريخ العثماني مرتبة المشيخة إلى 3 من القضاة العسكريين (قضعسكر) لروملي ، أحدهم (قره جلبي – زاده عبد العزيز أفندي) صار بعد ذلك « شيخ الإسلام » ، لكن الاثنين الآخرين (الأستاذ السلطاني عمر أفندي وفيض الله – زاده فتح الله أفندي) لم يكونا في أي وقت من الأوقات شيوخ إسلام

أما رتبة الصدارة ، فقد منحت خلال المدة من 1845 إلى 1914 إلى 6 من ولاة مصر وخديويها الباشوات (محمد على ، عباس ، سعيد ، إسماعيل ، توفيق وعباس حلمي باشا) . هؤلاء هم الأشخاص الـ 9 الذين منحوا هذه المراتب دون أن يشغلوا منصب الصدر الأعظم أو شيخ الإسلام . ولا يوجد غيرهم في التاريخ العثماني .

ـ رتب الوزارة ، المشيرية ، والقضعسكرية : إن هذه الرتب معادلة لبعضها وهي بالتسلسل ملكية (مدنية) ، عسكرية ، علمية وهذه هي الرتب العليا الحقيقية . وهي تقابل رتب اللوقية في أوروبا . إن الرتب آنفة الذكر ولو أنها في البروتوكول الأوروبي تدعى « Altes » أي صاحب الفخامة ، لكن الرتب التي تلت هذه الرتب نعتت بـ « Exellence » أي صاحب السعادة أو العزة . بالرغم من أن رتبة الوزير قبل التنظيمات ، كانت عسكرية لكنها كانت تشمل كذلك الرتبة المدنية . أي أن الوزير كان من الممكن أن يكون من الصنف المدني أو العسكري حسب الحاجة . وفي 25 / 6 / 1832 ، استحدثت رتبة « مشير » ومنحت للعسكريين بدلاً من « الماريشال » وخصصت رتبة « وزير » لصنف الملكية أي إلى المدنيين فقط . أما رتبة القضعسكر ، فكانت على درجتين : قضاة عسكريين روملي (بالعثمانية صدارت روملي) وقضاة عسكريين الأناضول (صدارت آنادولي) . الأولى ، كانت رتبة أعلى يرفّع الذين يمنحون رتبة الأناضول بعد ذلك ، إلى رتبة روملي . الفئتان تدخلان التشريفات بتسلسل تواريخ حصولهم على الرتب . كان الوزراء والمشيرون يُخاطبون بخطاب « ذات دولتلري » أي صاحب الدولة أو العزّة وبالكتابة تكتب « دولتلو » فقط . يدعى الذين رتبهم مشير « باشا » ، والذين رتبهم قضعسكر « أفندي » ، والمدنيون برتبة وزير « باشا » أيضا . إلا أن دار السعادة أغاسي (أغا دار السعادة) ، يدعى بشكل استثنائي « أغا » ، مع أنه بمرتبة وزير ، ويتقدم على جميع الوزراء في التشريفات . أما الباشخوينة دار ، أكبر موظفة في الحرم الهمايوني ، فتعتبر بمرتبة وزير وتسمى « قالفا » . كان يطلق في العهد الكلاسيكي ، على قواد الأندرون الذين تعادل رتبهم الوزراء مثل خاص أوده باشي وسلاحدار ؛ « أغا » كذلك . لكن ، عند خروجهم إلى وظيفة خارج السراي وانفصالهم عن السراي ، كانوا يسمون بـ « باشا » .

– رتب بالا وفريق أول : هي رتب مدنية وعسكرية تقابل رتبة فريق أول (Orgeneral) . يخاطب هؤلاء بإضافة « حضرتلري » إلى مؤخر الاسم ، ولا يدعون « دولتلو » و « ذات دولتلري » . استحدثت رتبة بالا ، عام 1846 ، أما رتبة فريق أول العسكرية ، فقد انقسمت رتبة الفريق إلى درجتين ، ولم تستحدث إلاَّ في آذار 1904. وأصبحت مألوفة بعد 1908 ، ومنحت رتب وزير ، قضعسكر ، بالا ، فريق أول إلى شخاص عديدين خلال الـ 14 عامًا التي سبقت نهاية الدولة العثمانية . يدعى الفرقاء الأول « باشا » ، أما الذين برتبة بالا ، فيطلق عليهم افندي و بك بالنسبة إلى ألقابهم في الأصل إلاَّ أنه لم يبق في المدة الأخيرة ، إلا قليل من حملة رتبة بإلا ، الذين يدعون افندي ، ودعي أكثرهم بك افندى . ويدعى هؤلاء فى التشريفات الأوروبية بلفظ « Exellence » . وفي المرحلة الكلاسيكية ، كانت ارتبة التي تقابل هاتين الرتبتين معًا ، هي رتبة بكلربك ، وقد كانت رتبة عسكرية تقابل على الأكثر رتبة فريق أول وهي تقابل في أوروبا ، رتبة « ماركيز » . بكلر بك بحرى (دريا بكلربكي = فريق أول بحري) Oramiral كان المشيرون يحملون على أكتافهم علامات ذات خيوط ذهبية . وكان بقية الضباط جميعهم ، من الملازم إلى الفريق الأول يرتدون نفس اللباس . لكن لباس الرأس لضابط الخيالة كان مختلفًا ، كانوا يرتدون القالباغ (نوع من لباس الرأس) . كان بإمكان الضباط الأركان والجنرالات – إن شأوا – لبس القالباغ بدلاً من الطربوش .

– رتب فريق ، أولى روملي واستانبول : رتب متعادلة ، تعادل رتبة فريق (Ko general) الحالية ذات الـ 3 نجمات . وهؤلاء أيضًا يخاطبون بكلمة « حضرتلري » ، في التشريفات الأوروبية « Exellence » . والرتب الأدنى من هذه الرتبة ، لا تخاطب بكلمات اكسلانس أو حضرتلري (أما استثناء هذه القاعدة ، فتكون بالنسبة للذين يحملون رتبًا أدنى لكنهم يقومون أصالة بواجبات رتب أعلى ، واجبات فريق على أقل تقدير) . إن رتبة فريق رتبة عسكرية ، ويدعى « باشا » . رتب « أولى » وبكلر بك رتب مدنية ؛ يلقب الذي يحمل رتبة أولى افندي أو بك ، وبكلر بك روملي « باشا » . أما رتبة قاضي استانبول ، فهي إحدى الرتب العلمية (علماء الدين) ،

ويلقب أفندي . يجب عدم قياس رتبة بكلر بك روملي هذه مع رتبة بكلر بك في الفترة الكلاسيكية (رتبة بكلر بك القديمة رتبة عسكرية أكثر منها مدنية ؛ أما رتبة بكلربك روملي لعهد التنظيمات فهي مدنيّة على الإطلاق) . إن رتبة فريق ، قبل 1904 تقابل رتبة فريق أو فريق أول (ذات الـ 3 والـ 4 نجوم) . ظهرت رتبة فريق في الأصل في أوروبا في العصر 19 كنلك . إن رتبة الجنرالية في الأصل هي 3 : لواء Tumgeneral وفريق أول Orgeneral ومشير maresal . وبعد استحداث رتبتي فريق Korgeneral وعميد tyggeneral في أوروبا ، استحدثت في تركيا كنلك ، الأولى في العهد العثماني والثانية في العهد الجمهوري . استحدثت رتبة فريق عام 1830 . ولغاية 1904 ، كان إذا رفع الفريق ، يصبح مشيرًا ، واعتبارًا من عام 1904 أصبح الفريق ، فريقًا أول بعد الترفيع . استعملت أسماء هذه الرتب ولقب « باشا » في تركية حتى 1934 ، ثم أصبحت « جنرال » و « أميرال » . ألغي في هذا التاريخ لقب الباشوية بصورة رسمية ، إلاّ أن الشعب في تركية لا يزال يطلق لقب « باشا » على الجنرالات والأميرالات . استحدثت رتبة أولى عام 1830 ، وفي 1839 انقسمت رتبة أولى إلي فئتين ، رتبة أولى صنف أول ورتبة أولى صنف ثاني (وبالاختصار : أولى ثانيسي أي أولى من الصنف الثاني) أما لفظ أولي فقط ، فيعني ذلك ، أولى صنف أول ، وفي حالة ترقية حاملي رتب أولي وروميلي بكلربك ، تصبح رتبهم بالا . إن حملة الرتب إلي حد هذه المرتبة ، يشكلون الصنف المسمي « رجال دولت » أي رجال الدولة .

– رتب ميرلوا (أمير اللواء) ، أولى من الصنف الثاني ، ميرميران وحرمين : أصحاب هذه الرتب لا يعتبرون من صنف الرجال (رجال الدولة) ويعتبرون من أركان الدولة ولا تطلق عليهم – عدا الأوضاع الاستثنائية المذكورة أعلاه – ألقاب حضرتلري أو اكسلانس . إن رتبة ميرلوا (بكسر الراء) وبلغة الشعب : ميرلوا (بسكون الراء) ، و (لوا) رتبة عسكرية ، هي رتبة لواء أو عميد . لواء يلقب حاملها « باشا » . رتب أولى من الصنف الثاني وميرميران هي رتب مدنية معادلة لها ومساوية لبعضها ويلقب الأوائل بك أو على الأكثر افندي ، والثواني (الميرميران) باشا . إن الرتبة التي تقابل حرمين شريفين أو التي كان يطلق عليها سابقًا رتبة مكّة ، هي رتبة

صنف العلمية . ويطلق عليهم لقبَ أفندي مثل منتسبي العلمية (صنوف علماء الدين) .

– رتب آلاي ، متمايز ، خمسة : هي رتب عسكرية ، ملكيّة ، علمية حسب التسلسل . الميراضلاي ، هو العقيد (آلباي) الحالي في البر والبحر . المتمايز (اسم الرتبة الكامل : رتبة ثانية صنف متمايزي) أي الصنف المتمايز من الرتبة الثانية ، مدني ، افندي أو بك (الميرآلاي يلقب بك دائمًا) . أما بلاد خمسة مولويّتي أي ملائية البلاد الخمسة فهي مرتبة علمية بنفس الدرجة ويلقب حاملها أفندي . وفي العهد الكلاسيكس ، كان يطلق علي رتبة ميرلوا ، « سنجق بك » وعلى الأميرالات أمراء لواء البحرية « دريا سنجق بك » ، أو « بحرية سنجق بك » . وكان يطلق في العهد الكلاسيكي على العقداء (ميرالاي) ، إن كانوا خيالة « آلاي بكي » . يلقب السنجق بك في العهد الكلاسيكي بلقب « بك » ، « ويلقب آلاي بك وعقداء كابوكولو الذين يعادلونه « أغا » . أطلق في 1830 ، على « آلاي بك » كلمة « ميرالاي » . يسمى حاملي رتب هذا الصنف ، وبضمنهم المقدمون والرواد وما يعادلهم « أمراء » (بكوات) . ولا يعتبر الذين رتبهم دون رتبة رائد (بكباشي) من صنف الأمراء ويعتبرون من صنف « ضابطان » الضابط .

– رتب قائمقام ، ثانية ، مون ميرامراء ، مخرج : هي رتب تعادل رتبة مقدم حاليًا . القائمقام (القائمقام العسكري) ، هو مقدم برّي أو بحري ولقبه بك ، لكنه إن لم يكن متخرجًا في الحربية ، البحرية ، الهندسة العسكرية ، لا يلقب بك وإن كان تعليمه قد تم في وحدته العسكرية (لم يتخرج في كلية) يلقب « أغا » . والذين رتبهم « رتبة ثانية صنف ثانيلغي » وباختصار ذوو رتب ثانية ، هم مدنيون ، يلقبون بك أو أفندي . ميرامرا (بكسر الراء في الكلمة الأولي) ، رتبه مدنية معادلة لها كذلك ، وفرقها أن هؤلاء يلقبون « باشا » . أما درجة مديرية الاسطبل العامر (اسطبل عامره) ، فهي درجة مدنية معادلة للأخريات كذلك والفرق هو في تلقيبهم بـ « أغا » (يمنح هذا اللقب على الأكثر لخدمة السراي) . مخرج مولويتي (ملائية المخرج) ، هي رتبة علمية معادلة لها ، تلقب بـ أفندي وملاّ molla . هذه الرتبة تدخل ضمن صنف الأمراء .

ـ آلاي أميني : هي رتبة رائد متقدّم عسكري . استعملت مدة من الزمن ثم تركت . لقبوا بك ، أفندي وأغا .

ـ رائد (بكباشي) ، ثالثة ، قابوجيباشي ، كبار مدرسين : هي رتب صنف الأمراء التي تعادل رتبة الرائد الحالية . يلقب الرائد البري والبحري ، بك ، أفندي أو أغا . كان الرائد ، يسمى في العهد الكلاسيكي ، باشبولوكباشي وإن كان انكشاريًا يسمى شوربه جي . أصحاب الرتب الثالثة ، يلقبون أفندي أو أحيانًا بك ، وهي رتبة مدنيّة ، رتبة قابوجيباشي ، هي من رتب السراي ، مدنيّة معادلة لها ، يلقب حاملها أغا وأحيانًا بك . يلقب العلماء من « كبار مدرسين » ، أفندي ولا يعتبرون من الملائين .

ـ قول أغاسي ، رابعة ، مدرّس : هي رتب صنف الضباط التي تعادل اليوم رتبة نقيب تقدّم (قدملي يوزباشي) وفي فترة ما ، انقسمت رتبة قول أغاسي إلى قسمين ؛ قول أغاسي أيمن ، وللأقل قدما ، قول أغاسي أيسر . هو نقيب متقدّم في البر والبحر ، يلقّب أفندي ، وإن كان من أولاد الباشوات ، بك ، وإن كان من المتعلمين في وحداتهم يلقب أغا . الرتبة الرابعة (رتبة رابعة) هي رتبة مدنية ، ويلقب حاملها أفندي . وإن كان من أبناء الباشوات يلقب بك . وإن كان مدرسًا يعادلهم من حيث الرتبة العلمية .

ـ يوزباشي (نقيب) ، خامسة ، حاجه كان ، رتب صنف الضباط . يلقب نقيب البر والبحر أفندي ، وإن كان من أبناء الباشوات يلقب بك . « بيشنجي » خامسة ، رتبة مدنية تعادلها . يلقب حاملها أفندي ، ويلقب بك إن كان من أبناء الباشوات . وإن كان تعليمه قد تم في وحدته يلقب « أغا » . حاجه كان ديوان همايون ، رتبة علمية تعادلها ، يلقب أفندي .

ـ ملازم : رتبة عسكرية تقابل الملازم حاليًا . يلقب أفندي ، وإن كان من أبناء الباشوات يلقب بك ، وإن كان تعليمه في وحدته يلقب أغا . من صنف « ضابطان » أي الضابط .. لا توجد رتب مدنية وعلمية تعادلها . رتبة الملازم انقسمت إلى قسمين :

ملازم أول وملازم ثان ، وقد تم في العهد الجمهوري استحداث ملازم أول متقدم .

– ضابط وكيلي (مساعد) : استعملت هذه الرتبة في أواخر عهد الدولة العثمانية وهي معادلة لـ astegmen (مساعد) الحالية . وضعه كالملازمين . المرحلة الأولي لصنف الضباط .

– باش جاووش : يسمى كديكلي جاووش أو assubay أي رقيب أول أو نائب ضابط . وتليها الرتب العسكرية جاووش cavus (رقيب) ثم أونباشي onbasi (عريف) . هؤلاء جنود من صنف جاووش (أرباش) أي صنف الجنود حملة الرتب (ضباط صف) . وبتوالي الزمن استحدثت درجات مثل رقيب متقدم ، رقيب أول متقدم . يسمى الجندي الخالي من الرتب لدى العثمانية نفر nefer وحاليًا يسمى في تركيا أر ER . وهؤلاء كانت درجاتهم تختلف بالنسبة لسني خدمتهم مثل جندي مستجد ، وجندي ، وجندي ممتاز .

10 – أوسـمة العثمانية :

لم تكن توجد أوسمة في الفترة الكلاسيكية . كان السلاطين يمنحون الخلعة (رداء ، عباءة) ، إكليلا (علامة توضع علي الرأس) وسيفًا ، الاثنان الأخيران يكونان علي الأكثر مرصعين بالأحجار الكريمة . استحدث محمود الثاني وسام تصوير همايون ، ألغي بعد ذلك . تقررت درجات الأوسمة العثمانية بعد التنظيمات على الشكل الآتي (نزولاً من الأعلى إلى الأدنى) .

– وسام خاندان آل عثمان (الدولة العثمانية) : استحدث في 31 / 8 / 1893 . ومنذ ذلك التاريخ منح إلى ما يقارب [illegible] شخصًا . كان يمنح لكل شهزادة يصل سن البلوغ . ومنح كذلك إلى واحد أو اثنين من الحكام الأجانب وإلى اثنين من المسئولين (الخديو عباس حلمي باشا ، الصدر الأعظم توفيق باشا) . وهو على شكل وسام ذي أرضية حمراء مرصّع بالجواهر يعلق على الصدر بقلادة ذات نجوم وأهلة كثيرة .

– وسام أرطغرل : أستحدث هذا الوسام في 1908 على أن يكون أرفع وسام ،

إلا أنه صرف النظر عنه بإعلان المشروطية .

– وسام الافتخار : استحدثه محمود الثاني ، تغيّر شكله بعد ذلك ، وسمي القديم « عتيق نيشان افتحار » . أعلى وسام منح لرجال الدولة ومسئولين معينين عدا الصدور الأعظم .

– وسام الامتياز : استحدث عام 1878 . منح لأكثرية الصدور وعداهم منح لأشخاص قليلين جدًا .

– وسام عثمانلي : أي الوسام العثماني . استحدث في بداية 1862 . على 5 درجات : الوسام العثماني المرصّع ، الأول ، الثاني ، الثالث، الرابع . إن الأوسمة الأصلية هي العثماني والمجيدي ، والأوسمة الأخرى استثنائية . كانت تمنح كبقية الأوسمة ، إلى الأجانب كذلك . وكوسامي الافتخار والامتياز . كانا لا يمنح إلى النساء . منح وسام العثماني المرصّع إلى الوزراء الممتازين ، إلى المشيرين ، القضاة العسكريين ، الصدور العظام ، شيوخ الإسلام ، حملة رتبة بالا ، الفرقاء .

– وسام المجيدي : استحدث عام 1582 . إن أرضية العثماني خضراء ، لكن أرضية هذا حمراء وهو على 6 رتب : المجيدي المرصّع ، الأول ، الثاني ، الثالث، الرابع ، الخامس . وهو أدنى بدرجة واحدة من الوسام العثماني . فمثلاً ، المرصع العثماني يفوق المرصع المجيدي بدرجة . لكن العثماني الأول يأتي بعد المرصع المجيدي ؛ أي أن العثماني الثالث أعلى قيمة من المجيدي الثالث ، لكنه يأتي بعد المجيدي الثاني . المجيدي ذو السيف الذي استحدث في الحر العالمية ، هو المجيدي الذي يحتوي على سيفين ذهبيّين ، منح للذين أظهروا بطولات وأدّوا خدمات متميّزة . كان من الممكن منح وسام المجيدي بجميع مراتبه إلى النساء . والذي يمنح للنساء كان مختلف اللون وطريقة تعليقه مختلفة كذلك . إن المراتب الدنيا من وسامي العثماني والمجيدي على شكل صفيحة عارية ، وجميع درجاته الأخرى مزيّنة بالجواهر ، استعمل فيه الماس ، أكثر من الأحجار الأخرى . إن قطع الماس الموجودة في رتب المرصع والأول كبيرة جدًا . وذات قيمة كبيرة . الوسام مغطى بالماس من أوله إلى آخره . من الممكن أن يحمل البادشاه هذه الأوسمة إذا رغب .

– وسام الشفقة : 3 رتب وخاص بالنساء فقط . استحدث عام 1878 .

– وسام المزيّة : فكّر في المشروطية الثانية أن يكون على 5 مراتب ويفوق العثماني ، ترك .

– وسام المعارف : 3 رتب . منح للذين خدموا الثقافة العثمانية في المشروطية الثانية .

أنواط (medallion) العثمانية كثيرة جدًا . وتوجد عدا التي تمنح بصورة دائمة تلك التي تمنح في مناسبات خاصة . أكثرها فضي ، قسم منها على درجتين : ذهبي وفضي . والبعض الآخر على 3 درجات . أول نوط منح في 1831 . وتوجد أنواط عثمانية سكّت لمناسبات خاصة ، لكنها ليست كثيرة كالأنواط الأخرى .

كان حملة رتبة الوزارة ورتبة القضاة العسكريين في دور السلطان سليمان القانوني حوالي 12 شخصًا في الوقت نفسه . لا يمكن قياس وضع واقتدار وزراء دور القانوني وما قبله ، إلاّ مع حكام أوروبا العظام . كانوا أرقي من الحكام المتوسطي الدرجة . ازداد عدد الوزراء والقضعسكر مع العصر 17 . كانوا كثيرين في بداية العصر 19 وأوسطه ، لكن عددهم كان لا يزال محدودًا . زاد هذا العدد بدرجة كبيرة ، خاصة في السنوات الأخيرة من دور عبد الحميد الثاني . وفي عام 1897 : كان عددهم كالآتي : 2 برتبة الصدارة + 1 من رتبة المشيخة + 50 وزيرا + 40 مشيرا + 3 مشير بحري +3 وزراء دكاترة + 14 قضعسكر روملي + قضعسكر الأناضول = 125 رجلا من أعلي ، 158 رتبة بالا ، 48 بمرتبة استانبول ، 403 برتبة أولى و 111 بكلربك روملي **سالنامه دولت عليهء عثمانية** ، 1315 = 1897 ، **السنة** 53) . مجموعهم عدا الفرقاء 848 (أما مجموعهم في 1894 ، فكان 729) . وفي أواخر عام 1907 (**سالنامه** ، **1326**) : 2 بمرتبة الصدارة + 1 بمرتبة المشيخة +53 وزيرًا +39 مشيرًا +3 مشيرين بحريين +3 طبيب مشير +8 قضعسكر روملي و 38 قضعسكر الأناضول = 150 رجلاً من أعلي المراتب +245 بالا + 43 من مرتبة استانبول + 648 والي + 156 بكلر بك روملي = 1 245 شخصًا عدا الفرقاء الأول والفرقاء .

1 – نموذج للوزارات ذات الحكم المطلق :

كنموذج لذلك أقدم أمثلة من إحدى وزارات حكومة عبد الحميد الثاني ذات الحكم

المطلق الأخيرة كما هي في ك ١ عام 1907 :

الصدر الأعظم : (آفلونيالي محمد) فريد باشا (يحمل أوسمة كلها مرصعة ؛ الافتخار ، الامتياز ، العثماني ، المجيدي) ؛ شيخ الإسلام محمد جمال الدين أفندي (كلها مرصعة، الافتخار ، الامتياز العثماني ، المجيدي) ؛ ناظر العدلية : عبد الرحمن نور الدين باشا (وزير ، صدر أعظم سابق ، كلها مرصعة ، الافتخار ، الامتياز ، العثماني ، المجيدي) ؛ سر عسكر : محمد رضا باشا (مشير ، كلها مرصعة ، الافتخار ، الامتياز ، العثماني ، المجيدي) ؛ ناظر البحرية : حسن رامي باشا (مشير بحري ، العثماني والمجيدي المرصعين) ؛ رئيس شورى الدولة : حسن فهمي باشا (وزير ، كلها مرصعة ، الافتخار ، الامتياز ، العثماني . المجيدي) ؛ ناظر الخارجية : أحمد توفيق باشا (وزير ثم صدر أعظم ، كلها مرصعة ، الافتخار ، الامتياز ، العثماني ، المجيدي) ؛ ناظر الداخلية : محمد ممدوح باشا (وزير ، كلها مرصعة ، الافتخار ، العثماني ، المجيدي) ؛ مشير طوبخانة العامرة مصنع المدافع) : مصطفى زكي باشا (مشير ، كلها مرصعة ، الافتخار ، الامتياز ، العثماني ، المجيدي) ؛ ناظر المالية : ضياء باشا (وزير ، العثماني الأول ، المجيدي الأول) ؛ ناظر الأوقاف الهمايوني : تورخان باشا (وزير ، كلها مرصعة ، الافتخار ، العثماني ، المجيدي) ؛ وزير التجارة والإعمار : مصطفى ذهني باشا (وزير ، كلها مرصعة ، الافتخار ، الأمتياز ، العثماني ، المجيدي) ؛ ناظر المعارف : هاشم باشا (وزير ، الافتخار والعثماني المرصعين ، المجيدي الأول) . كانت هذه هي الوزارة (مستشار الصدارة الأخير كان يسمح له بالكلام ، ولكن ليس له حق التصويت) .

الفصل الثالث عشر

الجيش والأسطول

1 - حول الجيش التركي قبل العثمانية :

إن تاريخ الجيش التركي ، هو تاريخ الشعب التركي وهو يمتد إلى أغوار التاريخ . ظهر الأتراك على مسرح التاريخ كجنود .

نظم مته Mete ، الجيش الهوني التركي على نظام العشرات ؛ وحدات خيالة تتألف من 10 ,100 ,1000 ,10 000 خيال ، ويمكن القول إن هذا التنظيم استمر إلى يومنا هذا . كان الجيش لدى الدولة التركية قبل الإسلام خيالة ، ورغم أن صنف المشاة كان موجودًا ، فإنه لم يكن ذا أهمية ، وهو بذلك يختلف عن جيوش مكدونيا ، وروما والبيزنطيين التي يغلب عليها المشاة .

اعتبر عام 1363 تاريخًا لتأسيس الجيش التركي ، في العهد الجمهوري ، لمدة طويلة . هذا التاريخ خاطىء تمامًا . ونتيجة لكتابتي مقالة افتتاحية في مجلة **Turk Kulturu** عام 1974 ، ومقالة في صحيفة « دنيا » صححت رئاسة أركان الجيس هذا الخطأ ، وتمت الموافقة على اعتبار عام (209 ق . م .) تاريخًا لتأسيس الجيش التركي ، وهي السنة التي اعتلى فيها مته العرش .

لم تمتلك ، حتى أعظم الدول التركية قبل الإسلام ، أسطولاً ، وأول أسطول أسّسه السلجوقيون ، عام 1074 فور تأسيس الدولة التركية في أزمير على يد جاكابك . أوضحت ذلك في كتبي المختلفة ، ونتيجة لذلك وافقت رئاسة أركان الجيش والقوة البحرية على قبول ذلك وتثبيته تاريخًا لتأسيس الأسطول التركي . ويتم الاحتفال بعيدي تأسيس الجيش والأسطول سنويًا على هذا الأساس .

أما القوة الجوية التركية ، فقد تأسست في المشروطية الثانية ، تحريت تاريخ القوة الجوية التركية مع زميلين لي في مجلّد كبير طبعته القوات الجوية التركية .

الواضح أن الجيش العثماني اتخذ الجيش السلجوقي في البداية أنموذجًا له . كان الجيش العثماني - كما كان الجيش السلجوقي - مؤلفًا من الجيش المركزي « قابوقولو » + جيش

الأيالات « تمارلي » . وكان صنف الخيالة يشكل الأكثرية الساحقة . وقد أخذت المشاة والأصناف المساعدة العديدة الأخرى ، بالانضمام إلي الخيالة في الجيش العثماني كما في الجيش السلجوقي .

2 ـ حول الجيش العثماني :

أسس العثمانيون جيشًا ، أصبح منذ 1396 ـ بعد جيش تيمور ـ ثاني أقوى جيش في العالم . وفي 1447 أصبح هو الجيش الأول في العالم ، ثم فقد صفته هذه في 1771 ، وحتي 1871 كان الجيش الثالث ، وفي 1878 كان الجيش الرابع في العالم . أما من 1517 إلى 1683 ، فقد كان جيشًا يعادل مجموع جميع جيوش بقية الأقطار في العالم قوّة . وكان وضع الأسطول موازيًا لذلك .

إن هذا التفوق ـ كما لاحظ ذلك مؤرخون أوروبيون كثيرون جدًا ـ يستند إلى عوامل كثيرة ؛ أولها النظام ، وثانيها التفوق التكنولوجي ، ثم تأتي بعد ذلك العوامل الأخرى . ويجب ألا ننسى الاقتدار المالي والاقتصادي الذي يمكنه إدارة جيش كهذا .

واعتبارًا من العصر 15 ، أصبحت الدول الأجنبية تسعى إلى استخدام ضبّاط العثمانية ، مدفعيّيها ، ربابنة سفنها ، ملاحيها ، وتدفع لهم رواتب ضخمة . وافقت الحكومة العثمانية ، في ضوء مصالحها ، على إرسال ضباطها إلى الدول الأجنبية لمدد معيّنة أو طيلة الحياة . قدم هؤلاء الضباط خدمات جمة ، وخاصة في الأقطار الإسلامية التي رحبت بهم وحصلوا فيها على اعتبار كبير ، وبالإمكان تقديم مئات الأمثلة على ذلك .

كانت إمارة هرمز الكائنة على خليج البصرة تحافظ على استقلالها بواسطة الجيش العثماني الأجير (**261, 2, Histoire des Arabes Huart**) وكان الأميرال العثماني خداوند خان رومي يدافع عن سلطنة كجرات بواسطة **300** مدفع عثماني سبك في تركية (**History of India, Erskine** لندن **4950, 2, 1854**) .

يشرح بابورشاه في مذكراته المسماة **بابورنامه** كيفية انتصاره في المعركتين الميدانيتين 1527, 1526 اللتين فتح فيهما الهند بواسطة المدفعية العثمانية التي كانت تحت قيادة

مصطفى خان رومي (رومي = أناضولي ، أي من أهالي تركية ؛ سلجوقي ثم تركي عثماني) .

إن يوسف عادل شاه مؤسس السلالة الإمبراطورية التركية في الهند الجنوبية ، كان مغامرًا تركمانيا عاصيًا ، ادعي أنه ابن مراد الثاني وأخو السلطان محمد الفاتح ، كان الذي أسس وحدات مدفعيته ومشاته حملة البنادق ، هو مصطفى أغا أحد ضباط المدفعية العثمانيين . إن الحرب الميدانية Talikota هي من أكبر المعارك في التاريخ الهندي (23 / 1 / 1565) . عادل شاه وحلفاؤه الحكام المسلمون هدموا إمبراطورية Vijaynagar الإمبراطورية البراهمية في أقصى جنوب الهند بانتصارهم في تلك الواقعة . قاد مدفعية الجيش الإسلامي ، ضابط المدفعية العثماني المدعو رومي خان . قتل الإمبراطور رام راج مع 100 000 من جنوده في ساحة القتال . إن أرقي وأحدث وحدات فاس خلال العصرين 16 و 17 كانت قد درّبت علي يد الضباط العثمانيين (130, 3, IA, A, Cour) . وجيش فاس كذلك ، الذي فتح سودان الغربية (مالي) ، دربه الضباط العثمانيون (481, 4, IA, G, Yver ب) . حصل أمير الحبشة أحمد كران في العصر 16 علي انتصاراته تجاه البرتغاليين والمسيحيين ، بفضل الضباط العثمانيين ومدافعهم .

إن الكونت مارسيكلي Marsigli هو الكاتب الكلاسيكي الذي كتب أهم كتاب حول تشكيلات الجيش العثماني . هو شريف إيطالي من أصل بولوني ، جنرال في خدمة الألمان ، تعلم اللغة التركية . كان موجودًا في حصار فيينا 1683 وجميع الحروب التي أجرتها ألمانيا بعد ذلك تجاه الدولة العثمانية وفي احتلال الألمان لبودين Budin . له مكتبة غنيّة تتألف من مخطوطات تركية . كتب في مؤلفه المشهور الذي حرره في 1737 العبارات التالية (ص :, 275 , 75 , 1 - 50 , 9 - 47 , 44 , 40 , 7 - 36 , 31 - 23 , 8 - 16 , 293 , 325) :

« عندما كنت في استانبول عام 1679 و 1680 ، كانت حدود الإمبراطورية التركية تمتد من فيينا إلى مسافة 16 ميلاً عن ساحلي الطونة . كانت الحدود تنتهي عند نهري Raab, Vag ، ولم تكن هذه المياه بوضع يمكن فيه أن تحمي مدينة عرش كبيرة كفيينا ... قطعة صغيرة من أراضي خرواتيا كانت قد بقيت لدي ألمانيا ، والبقية لدى الأتراك .

كان Kulpa يفصل الإمبراطوريتين إحداهما عن الأخرى ويصل حدود البندقية في البحر الأدرياتيكي . كان البحر ، اعتبارًا من هذه النقطة إلى حد استانبول ، تحت حكم الباب العالي بصورة مطلقة . إن سعة الإمبراطورية التركية إذا ما قيست بالنسبة إلى إمبراطورية روما - وإذا ما نظر إلى الخارطة بنظرة عابرة - تجعل المرأ لا يمكنه أن يخفي تعجّبه أبدًا ، كيف أسس الأتراك دولة كهذه ؟ ، كيف أمكنهم المحافظة عليها ؟ كتبت كتابي لأجيب عن هذه الأسئلة . استوطنوا في هذه الأقطار التي لا يتصور العقل سعتها ، بشكل مستقر إلى درجة لم يروا فيها ضرورة لمزاولة الظلم واستعمال الشدة ، وسمحوا للمسيحيين بالعيش في حرية في إمبراطوريتهم . ولا يزال الوضع اليوم (1737) كذلك . قبلوا حتى اليهود الذين لجئوا إلى الدولة العثمانية بعد إخراجهم من إسبانيا ... يشاهد هذا الوضع الجريء يتمثل بوضوح في سياسة السلطان محمد الثاني (فاتح) الذي جلس على عرش إمبراطورية روما ... ولا يكفي أن نقول : إن الأتراك لم يتسلطوا على أعراض تبعتهم النساء المسيحيات ، بل إنهم لم ينظروا إليهن نظرة سوء . بل إنهم ، بسبب كونهن نساء ، كانوا يعاملونهن بسماحة ولطف . شاهدت ذات الوضع ، في جميع أقطار الدولة العثمانية المسيحية . لم أصادف أي عثماني خرج على طور الأخلاق ... أكثر من ذلك نجد أنهم قد اتخذوا التدابير التي تحمي تبعتهم المسيحيين من رؤسائهم الروحانيين ورهبانهم أنفسهم . لا يجوز للكنيسة أن تتسلم من مسيحيي الأقطار التابعة للعثمانية ، دراهم يزيد مقدارها على ما هو مثبت في إرادات البادشاه . لا يتدخل الأتراك أبدًا في احتفالات المسيحيين الدينية . إن بكلر بك (أمير الأمراء برتبة فريق أول) الإيالات ، كانوا في إيالاتهم ، كملوك الأوربيين . بيد أن هذا الوضع يخدع الناظر ، لم يكن بإمكانهم إجراء أي شيء دون أخذ موافقة الديوان الهمايوني في استانبول . كانت الإدارة ، مركزية إلى هذه الدرجة . الجندي التركي قنوع . يأكل طعامًا قليلاً . لكن يجب أن يكون في طعامه لحم غنم . لا يمكنه الاستعاضة عن اللحم . لا يشرب المشروبات الكحولية . يأكل الفواكه الطازجة والمجففة . قدرته على مقاومة الحر أكثر من قدرته على مقاومة البرد .

« يعطف الأتراك كثيرًا ، على السياح ، الرهبان ، الدراويش والفقراء دون تفريق بين الأديان . يجلسون على موائدهم سواء في القرى أو في المدن . وحتى أنهم يمنحونهم

الدراهم عند مغادرتهم ، ولعدم معرفتنا نحن الأوروبيين ، اللغات الشرقية ، نظن أن الأتراك الذين يجهلون اللغات الأوروبية ، جهلة ، هم ليسوا كذلك . كل تركي مثقف ، يجيد بالإضافة إلى لغته التركية ، العربية والفارسية . إن الشخص الذي لا يجيد هاتين اللغتين ، لا يعتبر مثقفًا ، ولا يعتبر رجل علم . كم شخصًا بين مثقفينا يجيد لغة أجنبية ؟ . إن الأطالس التركية ، بالنسبة إلى بلادهم ، أرقى بكثير من خرائطنا . ثبتت فيها حتى أصغر الأماكن . أكثرها أسماء تركية . إن الأطالس المطبوعة في أوروبا تدقق في الأقطار العثمانية بعناية شديدة . يُعتنى بالجندي التركي عناية فائقة . رواتب المتقاعدين منهم ، عالية . إنجاز الأعمال بسرعة ، هو الأساس في جميع أشغالهم . لا توجد مماطلة وتسويف . وفرة مصادرهم الاقتصادية والمالية وتنظيمها بشكل فائق بالنسبة لنا ، هو أحد أسباب نجاح الجيش التركي . ومع هذا ، فإن الاعتقاد بأن الأتراك لا يمكن قهرهم ، غير منطقي . وقد اتضحت عدم منطقيته منذ 1683 ... » .

كانت مصروفات الحروب الكبيرة ضخمة . وتشكيلات منازل الجيش ، كانت معقدة . وجاء في أمر ديواني مؤرخ في 26 / 1 / 1579 (Muhimme ، 533, 33) ، يأمر فيه أمين المعادن في كموشخانه أن يصنع بصورة مستعجلة « فندق لثلاثين دفعة مائة ألف بندقية » أي 3 000 000 رصاصة بندقية ويرسلها إلى القائد الأعلى (سردار) عن إيران الوزير لالا مصطفى باشا . وقس على ذلك إمكانات معامل العتاد الأخرى .

أفرغ 66 ملفع كروب Krupp للأتراك ما يقارب 10 000 و 150 مدفعًا للروس ما يقارب 50 000 قذيفة خلال نصف يوم واحد فقط ، من الصباح حتى المساء ، في الحرب الميدانية كديكلر في جبهة القفقاس في حرب 93 . وعند انفجار كل قذيفة مدفع ، كان يتناثر منها 500 قذيفة صغيرة تسمى شظيّة . كان قد مضى 20 عامًا على حرب قرم . وكانت الدولة العثمانية قد طورت خلال هذه المدة أسطولها بنسبة 100 وأسلحة جيشها بنسبة 90 ٪ (محمد عارف بك ، **باشمزه كلنلر** ، ص 151 ، 192 ، 246 ، 254 ، 259) .

أعطيت أهمية بالغة للاستخبارات . إن المخبرين السريين لفاتح ، بيازيد الثاني والقانوني على أوروبا مشهورون . كان هؤلاء ينبثون بين أفراد شعب ذلك القطر وأكثرهم من

ضباط الصاعقة العثمانيين من أصناف الهجوم والانقضاض . المخابرات الداخلية ، كانت سريعة أيضًا . كان موظف البريد المسمى طوبال صادق ، قد ضرب رقمًا قياسيًا في توصيله الرسائل من بغداد إلى استانبول خلال 7 أيام بتبديله حصانه في كل منزل (I,H, Uzuncarsili Kutahya Sehri ، 114) . ويتضح من ذلك أنه يقطع يوميًا مسافة 350 كم من الطريق البالغ 2 500 كم . ويسجل أحد المؤرخين البولونيين أن الاستخبارات السرية للباب العالي في بولونيا حتى في أواخر العصر 18 ، كانت فائقة (Reychman Bel . Jan ، رقم 121 ، ص 86) . يقول الدفتردار الوزير صاري محمد باشا في كتابه السياسي المسمي **نصيحة الوزراء** ما يلي (وفاته 1717) : « إن معرفة أحوال العدو من الأمور ذات الأهمية العظيمة . دول كثيرة اضمحلت بسبب عدم الاطلاع على أحوال العدو وعدم تفحّص واستقصاء أخباره . يجب إرسال جواسيس سريّين من أطراف جميع الحدود إلى العدو والسعي تدريجيًا لاستخبار أحوال عدو الدين » (نشريات Wright ، ص 75 - 6) .

تشكيلات المنازل ، كانت متقنة ومنتظمة . كان يوجد في جميع المنازل الواقعة على طريق استانبول – بودين (بودابست) البالغ الأهمية من الناحية الاستراتيجية ، مخازن مياه ومصانع ثلج . كان الجنود ، يأخذون الماء والثلج مجانًا في كل منزل (مناهل السفر) ويستمرون على السير في طريقهم (مارسيكلي ، 41) . « إن الجيش التركي متيقظ جدًا في سيره وهو أقدر وأكثر تجربة منا في قطع المسافات الكبيرة » (مارسيكلي ، 223) . « إن الخيام التركية فائقة جدًا ، لا يؤثر فيها المطر ، والثلج ، والشمس ، والريح . وإضافة إلى ذلك فهي أثر فني بجمالها وزينتها . بداخلها سجاد ووسائد . لقد شاهدت خيام قواد الأتراك التي غنمناها في حملة فيينا (1683) ، كانت نموذجًا للثروة والعظمة ، كانت سرايات وقصورًا سيّارة . للمرافق الصحية ، خيام منفصلة . وإضافة إلى ذلك ، كانت هناك خيمة كبيرة للاستعلامات . كان الجندي الضال ، يدخل ويستفسر من الضباط الموجودين فيها عما يجب عليه أن يعمله » (مارسيكلي ، 180 - 1) كان يحمل أحد سرادقي محمد الرابع الاثنين ، 600 جمل . إن هذه السرايات السيارة كان بالإمكان نصبها وفكها خلال يوم واحد (Galland, Journal, 2, 111) . وبالطبع فإن تجربة الأتراك في الخيام تعود إلى ألف سنة مضت . ليس بإمكان شعب

أن يتقن ويجيد شيئًا إجادة تامة ما لم تمض على استمرار ممارسته له عدة مئات من السنين .

وفي حملة بغداد لمراد الرابع ، كانت قد تجمعت في ميناء نهر (فرات) بيره جك 800 سفينة محملة بالمهمات (1639) (Muhimme, 87, 312, 333) . لم تكف . وضعت هياكل 800 سفينة أخرى في معمل بيرهجك لصنع المراكب سيقت كلها إلى بغداد عن طريق النهر . كانت السفن تفرغ حمولتها بعد مسيرتها 800 كم ، في المنحنى الذي يقترب فيه نهر الفرات إلى دجلة بمسافة 40 كم ، ويبدأ بعد ذلك النقل البري (Muhimme , 87 , 288 , 241) كان الوزير بكلر بك دياربكر ، يشرف على النقل . جيء بقذائف المدافع أمام بغداد من معامل عتاد بوسنة ، أرضروم ، حلب ، بيره جك ، وان وكيغي Kigi . نقل البارود من معامل القاهرة ، عينتاب ، حلب ، رقّة . كان بارود القاهرة ناعمًا جدًا ومرغوبًا فيه جدًا . كان القسم الأكبر من الهجمات الثقيلة ، يُجمّع في الموصل وينقل منها (Muhimme, 87, 360 - 87) . لم يبالغ الشاعر الشعبي قايقجي قول مصطفى الذي اشترك في هذه الحملة حين قال في أحد أبيات شعره : Askerin bir ueu Yurudu Van'dan - Sagindan vuruldun soluna yaslan ومعناه سار أحد أطراف الجيش من وان – إن أصبت من يمينك فاتكئ على يسارك .

الخيول ، كانت منتخبة بشكل جيد ومروّضة بشكل لا يصدق ، ومعنى بها أشد العناية. وحتى في العصر 19 ، كانت كذلك . كتب الماريشال الألماني فون مولتكه الشهير الذي خدم في الجيش العثماني الحديث الذي أسسه محمود الثاني في شبابه ، في مذكراته عن تركية ما يلي (ص 261 ، 27 / 1 / 1839) : « قليلة جدًا في العالم ، تلك الجيوش التي تمتلك خيولاً كثيرة العدد وممتازة كالجيش العثماني . الخيول العثمانية البديعة ، كانت تغذي بحليب النياق . أما الخيول العربية من أصل نجد وعنزة ، فكانت تبهر العيون » .

زار المؤرخ أولياء جلبي ، القلعتين العثمانيتين خاركوفا وزيلا Zeyla في الصومال (10 ,947 ,952) . وهي بنايات هائلة عثمانية الصنع على المحيط الهندي ، كان في إحداها 200 وفي الأخرى 300 حارس تركي . كانت مدافعها موجهة نحو البحر (1680) . وما زالت قلاع ومدافع العثمانيين تشاهد في الصومال .

3 ـ الخيـــالة :

يذكر الأميرال الإنجليزي السير Adolphus Slode ، الذي استخدمه محمود الثاني في تأسيس جيش وبحرية حديثين ، في مذكراته التي نشرها عند عودته إلى إنجلترا ما يلي (قبودان باشا ، 238 ,240 - 3) « شاهدت الخيالة التركية في الحرب الميدانية كلفجه Kelefce (1827) . أغاروا بخيولهم على الروس وهم يصيحون الله ، الله . لم يتمكن المشاة الروس الذين كانت تجهيزاتهم على أساس نظام القلاع ، من المقاومة واندحروا. كانت الخيالة التركية كأنها تزاول حركات رياضية . وكانوا يهزءون بعجز الروس . أما المشاة الأتراك ، فكانوا لا يشتركون في القتال ويتفرجون . إن هذا اللعب استمر ساعتين ، قضى الخيالة الأتراك معظم أيامهم علي ظهور خيولهم . كانوا عند تدريب خيولهم يسوقونها نحو البراميل الملتهبة ، ويجعلونها تقفز من الجدران . يمكنهم إصابة الهدف وهي تعدو بأقصي سرعتها . لا يوجد من يضاهيهم في رمي الجريدة ، لا يمكن لأي خيّال أجنبي أن يقاتل الخيال التركي منفردًا ، ينهزم . الخيال التركي هو من الخيالة النادرين في العالم ؛ إذ يمكنه الهجوم بأصول المباغتة من مسافة قصيرة مثل 100 ياردة . ولا حاجة إلى ذكر أهمية هذه القدرة في الأراضي الوعرة . إذ إن قوزاق أوكرانيا الروس المشهورين ، عجزوا في الأراضي الوعرة ولم يتمكنوا من اللحاق بالخيالة الأتراك . وكان زميلي النقيب الخيال الإنجليزي Chesney الذي يقف بالقرب مني ، يشاهد ذلك بتعجّب شديد (هو مؤلف مذكرات سياحية مهمة عن تركية) . كانوا فرسانًا عظماء ، كأنهم أبطال دور الفروسية ، يرمون المزارق التي بأيديهم أثناء عدو الحصان بأقصى سرعته ثم يقبضونها ثانية . كانت الخيول العدّاءة ، تسير في السهل كأنها أسراب طيور طائرة . كانت صداراتهم تتفتّح كالأوراق ، وذيول الخيول العدّاءة تتموج في الفضاء . كانوا يتقدمون وهم يهزءون بالموت . أصوات صيحاتهم « الله . الله » كانت تشق عنان السماء . كانوا يسحقون الخيالة الروس ويمرون ، يتقدمون دون أن يبالوا بزملائهم الذين قتلوا أو سقطوا عن خيولهم . تكتيك انسحابهم كان باهرًا . لا يمكن مشاهدة خيالين اثنين جنبًا لجنب . عجزت المدافع الروسية . قليل من الخيالة الأتراك أصيبوا بالشظايا ، أيقن الروس عدم إمكان مجابهتهم لخيالة التركية في العراء .

اختبئوا في استحكاماتهم . وفي هذه المرة بدءوا بالهجوم على الاستحكامات . لم يكونوا يهابون الموت أبدًا . اقتربوا من خنادق الروس رغم نيران البنادق . كانوا يصلون أمام الخنادق لحظة ، ثم يعودون كالبرق . أدهش ذلك الروس . تعبت عيونهم بسبب عدم تمكنهم من تعقب حركات الخيالة التركية . كان الأتراك كأنهم يلعبون لعبة الجريدة في أحد ميادينهم . وأساسًا فإن ما يعملونه كان شيئًا يتعدى الفروسية ، كان ذلك جمنازية (حركات رياضية مدهشة) في الحصن ، لا غير . كانوا يقتربون من الخنادق بصورة مستمرة ويفرغون رصاص مسدساتهم . لكنهم في النهاية ، لم يتمكنوا من الصمود أمام نيران المدفعية الروسية . قرروا الانسحاب ؛ كانوا ينسحبون وهم يدخلون رءوسهم تحت بطن الحصان . كانوا يغيرون بخيولهم باستقامة المنطقة التي يوجد فيها المشاة الأتراك كالبرق دون أن يروا أطرافهم ، ولذا لم يتمكنوا من مشاهدة القائد العام التركي رشيد باشا الذي بقي على حصانه وحيدًا أمام الروس . تمكن أحد الضباط – برتبة نقيب – القوزاق من تمييز الباشا الذي كان ينظر مبهوتًا أمام الخنادق الروسية ، وأيقن من لباسه أنه ضابط تركي كبير . تقدم بحصانه ، أمسك ذراع الباشا . ولمدة ثوان ، ولأول مرة في التاريخ يقع قائد عام تركي أسيرًا للعدو . شاهد أحد الخيالة الأتراك المنسحبين ، قائده الباشا . تقدم بسرعة البرق وأصاب بمسدسه النقيب في جبينه . قبض أعنة حصان رشيد باشا وسحبه ، واختفى عن الأنظار باستقامة شومنو . كان الروس يشاهدون هذا الوضع من وراء خنادقهم بدهشة مثلنا . جرى الحادث وانتهى خلال ثوان . إن الخيَّال الذي أنقذ قائده الباشا ، هو أحد آخر أفراد سلالة المغاوير (آقينجي ... » .

وفي جريدة عسكرية للإمبراطورية الألمانية عام 1789 ورد : « الخيَّال العثماني ، أمهر خيَّال في أوروبا » (جودت 325, 4) .

إن تفوق الجيش العثماني ، يعود إلى حيازة الدولة للجيش النظامي منذ تأسيسها . كان أول جيش نظامي دائم في أوروبا . لم يتمكن الأوروبيون من تحقيق ذلك ، إلا في أواسط العصر 17 (السويد ، فرنسا ، بروسيا) لا يوجد لديها جيش يدخل القتال بتجنيده وقت الحرب . كان عمل الجيش هو القتال فقط . واختصاصه العسكرية

لم تكن أوروبا قادرة على إعاشة مثل هذا الجيش . وعندما حازت على هذه القدرة الاقتصادية ، تبدل الوضع ضد العثمانية .

4 – المدفعيـــة :

تركزت الآراء بأهمية بالغة ، في موضوع تفوق العثمانية ، على عامل تفوق المدفعية وكمالها . اعتبرت المدفعية العثمانية أرقى مدفعية في العالم حتى عام 1700 . إن تفوق المدفعية العثمانية هذا ، حكم العالم قرابة 3 عصور . وقبيل عام 1700 ، تمكنت المدفعية الأوروبية من اللحاق بالمدفعية العثمانية من الناحية التكنولوجية والتكتيكية .

أراد ماكيافل (**Machiavelli 1469 - 1527**) أن ينبّه الأوروبيين ، إلى أهمية ذلك منذ ذلك التاريخ بقوله « تمكن الأتراك من الانتصار على شاه إيران (1514) وسلطان المماليك (1517) بفضل الأسلحة النارية (**316, 114, 2, Oeuvers Complètes, Dè Discorsi**) سجل مؤرخ الأسلحة الشهير Courtlandt Canby أن قصف البيزنطيين عام 1453 ، هو أول قصف ناري مدفعي منتظم في التاريخ (le premier bombardement organisè de l'histoire, **Histoire de l'Armement,** لوزان 1964 ، 54 ب ، 64 ب) .

إن مؤسس الباليستك ballistic (الاختصاص بالقذائف) ، لا شك في أنه السلطان محمد الفاتح . أسد الله أغا ، هو أحد الأسماء الكبرى في مجال الباليستك في دور القانوني (هامّر ، 5 ,373) . طوّرت المدافع التركية بصورة مستمرة . وحتي في وقت متأخر كعام 1736 ، اكتشف المهندس التركي المسمى محمد سعيد أفندي للمرة الأولى في المدفعية « إيكي يايلي كادران » أي كادران ذو نابضين (166, **Katalog,** pertsch) كتب البارون دي توت Baron de Tott وهو ضابط مدفعي ، بأن المدفعية العثمانية حتي في غضون 1770 ، كانت في وضع جيد جدًا ، تملك مدافع نارية سريعة تقذف 5 إطلاقات في الدقيقة ، وأن الجيش العثماني كان يملك مدفع – صاروخ خارق يقذف 15 قذيفة في الدقيقة وأن البادشاه يتابع بنفسه تدريبات إطلاق المدفعية (1 - 120, 2 ,89) .

يسجل بدقة تفوق المدفعية العثمانية في العصر 16 على المدفعية الأوروبية بشكل

حاسـم « Une formidable Superiorite » (هامر ، 5, 66, Pirenne, 2, 312, 340) ويشار إلى أن المركب الكيماوي للقذائف العثمانية يتفوق بكثير على مثيلتها الأوروبية (Arthur Thomas, 264 - 5) . ورغم أن أول مدفع ذي ماسورة أخدودية صنع في أوروبا عام 1870 في بروسيا ، فإن المدافع ذات الأخاديد الموجوة لدينا والعائدة لفاتح وياووز ، تبيّن بوضوح مبلغ ما توصلت إليه التكنولوجيا لدى العثمانية . هذا ، وأشير كذلك إلى أن المدفع ذا الأخدود البروسي ، اقتبس من العثمانية في حرب قرم بواسطة الفرنسيين . أما مدفع هاون (Obus) فقد اكتشفه فاتح واستعمله . يحوي المتحف البريطاني اليوم مدفعًا من مدافع فاتح يزن 22 طنًا ويقذف قديفة زنتها 500 كيلو ، أهداه السلطان عزيز إلى الملكة فكتوريا . أما مدفع فاتح الموجود حاليًا أمام سراي طوبقابو في حديقة كنيسة آيا إيريني ، فيزن 20 طنًا ، طوله 5 . 7 متر ، قطره مقاس 25 سم ، وماسورته ذات 17 أخدودًا (انظر إبراهيم حقي قونيه لي ، **أرضروم** ، ص 274, 277) .

يصف اللورد Rycault ، المدافع العثمانية بأنها حتى في أواخر العصر 17 ، تعد أجود أنواع المدافع العالمية (2, 580) :

« Lears canons sont les plus grands, les mieux fondus, et les mieux moulez qui soinet dans tout le reste du monde » .

يسجل السائح الفرنسي Mourand في أواسط العصر 16 أن أكبر مسبك ومعمل للمدافع في العالم هو طوبخانة (معمل المدافع) استانبول (Jtinèraire, 204) . كتب أولياء جلبي بأن معمل مدافع استانبول في أواسط العصر 17 ، كان ذا طاقة تمكنه من سبك 1060 مدفعًا دفعة واحدة . هذا عدا وجود معامل أخرى للمدافع ، وإحدى كبرياتها ، في بيره جك Birecik (نعيما ، 3, 348) . كان هذا السلاح مجهولاً حتى أواخر العصر 17 ، في الأقطار التي لم تُدخل العثمانية فيها المدافع . يذكر أولياء جلبي عدم وجود المدافع في السودان ، وأنه استعمل من قبل الحكام تحت حماية العثمانية ، مجانق ترمي الحجر الملتهب (10, 851) . إن المدفعية العثمانية ، أوقعت أعداءها في اليأس من ناحية العدد والجودة « L'Artillerie Turque remise en quantitè et Qualitè »

au premier range dans le monde », Grenard, P. 97) أكبر معامل البارود ، كانت لدي العثمانية (معامل بارود استانبول ، القاهرة ، سلانيك ، بلغراد) . وفي عام 1571 كان معمل بارود استانبول ، ينتج 300 قنطار (17 طنًا) من البارود شهريًا .

5 – المزايا الأخرى للجيش العثماني :

أشير كثيرًا إلى تفوق استحكامات العثمانية كذلك . وأصبح من المعروف أن مؤسس علم الاستحكام في أوروبا ، الماريشال الفرنسي Vauban كان قد درس استحكامات وخنادق العثمانية في كانديه (كريت) (1633 - 1707) وطبّقها لأول مرة في الجيش الفرنسي . كانت استحكامات العثمانية متقنة ، حتى في أواخر العصر 19 . كما أن تفوق مهارة ضبّاط الاستحكام العثمانيين في انتصار بلونة الثالث لغازي عثمان باشا ، لفت نظر الكثير من المؤرخين العكسريين .

« كان السلطان سليمان على رأس جيش ، يسبق كل جيوش العالم الأخرى بأربعة عصور من حيث تأسيسه وأسلحته . وكان الوضع نفسه بالنسبة لجميع الأقطار الغربية كالإمبراطورية الألمانية ، إيطاليا ، فرنسا وإسبانيا . (Benoist - Mechin ص 66 - 7) . كانت أجود الوحدات العسكرية الأوروبية السرايا الإسبانية ، المشاة السويسريين الرمّاحة تضطرب أمام الجيش التركي . كان أعظم جيش في العالم ، بلا شك . يعيش لأجل الحرب فقط . وجد لهذا السبب . جسور إلى آخر درجة . سلّح بشكل متفوق جدًا . تسانده مدفعية متمكنة . يتقاضى راتبه بشكل منتظم ، إعاشته كانت جيدة . إن نظامه الحديدي الصارم ، كان بدرجة لا يمكن أن تتصورها أوروبا . كان يتحرك كأنه ماكينة نصبت جيدًا بأمر واحد أو كأنه مخلوق حي ذو جسم واحد . كان السكون يسود الجيش . ولا يسمع أقل صوت . يتفق كل المشاهدين الأوروبيين في إيراد دهشتهم لهذا السكون المطلق (**Les Dèbuts de L'Age Moderne,** Henri Hauser ، باريس 1292 ، ص 394) .

كان عدد الجيوش البرية والبحرية التي تؤمن وقوف الإمبراطورية على قدميها خلال العصرين 16 - 17 ، يبلغ 500 ألف تقريبًا . إلاّ أنه لم يمكن في أي وقت من الأوقات ،

نقل هذا العدد من الجيش إلى أية جبهة من الجبهات بسبب اتساع رقعة الإمبراطورية وتناثرها . جرت أكبر الحروب بواسطة 100 ألف جندي تقريبًا . أمكن حشد 300 ألف جندي في جبهة واحدة . ومن المدهش حقًا أن تحكم أقطار واسعة كهذه ، بهذا العدد القليل من الجند . ويجب ألا ننسي كذلك أن الإنجليز حكموا الهند بعدد قليل من الجند .

أفاد الماريشال Kont Monteeueeuli (1609 - 1680) القائد العام للإمبراطورية الألمانية وأحد مؤسسي العسكرية الحديثة في أوروبا ، بأنه لا يمكن الانتصار على الأتراك ما لم يؤسس جيش نظامي دائم في أوروبا كالأتراك ، وقد كتب ذلك قبل هزيمة فيينا (1683) (Mèmoires ، 1 ,222 - 3) ذكر مترجم عاصم أفندي (تاريخ 1 ، ,264 ,32) تعلم أوروبا أنها أخذت أصول الجيش النظامي الدائم عن العثمانية ومن ثم فقد بدأت بالانتصار على العثمانية .

إن الملاحظات التالية التي سردها الماريشال Monteeucculi أحد كبراء العسكريين في أوروبا خلال العصر.17 تستحق الذكر : « إن الدولة العثمانية إمبراطورية مقتدرة وقوية إلى درجة أن جيشها المكون من جنود لا يحصي عددهم والمدربين بشكل ممتاز ؛ مستعد للقتال في أية لحظة . إن كمية المهمات الثقيلة ومخزون إمدادات الأطعمة التي جلبها الأتراك إلى بودابست عن طريق الطونة في حملة 1660 لا يصدقها العقل . يستعمل العثمانيون ، خداع الحرب كذلك بكثرة . إن الخدع التي يستعملونها في حرب ما لا تشبه سابقتها . يذيعون في أوروبا أنهم سيحملون على البندقية ، وإذا بهم يظهرون في ترانسيلفانيا . أذاعوا خبر ذهابهم إلى مالطة ، لكنهم أنزلوا جنودهم في كريت . ينظمون الحرب ويعدّون لها العدة بشكل ممتاز . إن نظام حرب روما ، كان كذلك . يحفزون الخنادق ويجهزون الاستحكامات بشكل فائق . إخراجهم وقلعهم من هذه التحكيمات يكون أمرًا صعبًا . الجندي التركي يتحمل الشدائد ومن النادر أن يشكو » .

الجندي التركي ، يقتل في ساحة القتال ، لكنه لا يستسلم . لا يتكلم أبدًا في المسيرة ، يسمع صوت الأقدام فقط ، لا يخرب أدنى تخرب في الأماكن التى يمر بها .

لا يدخل حصانه في مزرعة أي مسيحي ، بل إنه لا يأكل العنب من كرمته ، يعدم الجندي ، إن كان في وقت حرب ، وإن كان في وقت سلم ، يطبق عليه الحد الشرعي . يسير أسرع من الجيش الأوروبي بثلاثة أضعاف . ورغم هذا النظام الصارم فإن العسكري التركي ، ليس شخصية سلبية . يعرف واجبه جيدًا ولا يألوا جهدًا في تنفيذه ، لكنه يعرف جميع حقوقه كذلك بنفس الدرجة . حركات العصيان لم تكن قليلة . لا يطأطىء رأسه إن اقتنع بأن حقه سلب . لا يترك حقه وفي هذه الحالة ممكن أن يعصي . لا تروقه الحروب الطويلة ، يريد إنهاء الحرب خلال موسم واحد ، ينسحب لقضاء الشتاء . وفي الموسم الثاني يعاود الحرب ثانية . إن الذي أجبر ياووز سليم على ترك إيران ومصر ، وجعل القانوني يترك فيينا ، هو عدم ارتياح الجيش ، لم تكن مسألة حقوق الجنود قليلة التأثير في الحد من الفتوحات العثمانية . مؤرخون قليلون ، انتبهوا إلى هذه النقطة . توجد 7 أسباب رئيسية لعظمة العثمانية ، أحدها ، الجيش العثماني (Fernard Grenard, Grandeur de l'Asie باريس 1939 ص 118 وما بعده) .

ويجب إضافة أن الجيش العثماني يحارب لأجل أن يصبح غازيًا ولأجل أن ينتصر . لم يتردد في الاستشهاد قيد شعرة و لم يتضعضع إيمانه بدخوله الجنة رأسًا ، قيد شعرة . حقيقة لا يمكن إنكارها وهي أن قوة الدين ، جعلت من الجندي العثماني شجاعًا جسورًا مخلصًا .

6 – تيمارلي سباهي :

« تيمارلي سباهي ، هو أحسن أقسام الجيش التركي . إن الذي فتح القسم الكبير نسبيًا من الكرة الأرضية ، هو هذا الجيش الخيّال » . هكذا كتب اللورد باول ريكوت Lord paul Ryeault (Ricaut) الذي مكث في تركيا مدة 20 سنة كدبلوماسي (1661 - 81) (514, 2) . الحقيقة أن تيمارلي سباهي ، هو الصنف الأهم والأكبر عددًا بين أصناف الجيش لعصور الفتوحات في التاريخ العثماني . إن هذا الصنف ، هو المؤسس الفعلي للدولة العثمانية العالمية العظمى

تيمارلي سباهي ، هو جيش خيال . هو أهم صنف خيالة في الجيش . منتشر في

كل أطراف الأناضول وروملي . لا يوجد في استانبول جنود من هذا الصنف . لا يتسلم راتبًا . تعطي الدولة تيمارلي سباهي ، بدلاً من ذلك قطع أرض تسمى ديرليك (بالعربية : إقطاع) . إذا كانت ديرليك صغيرة تسمى « تيمار » وإن كانت كبيرة تسمى « زعامت » . يسمى ضباط السباهية ذوو المراتب العالية الذين يملكون زعامت « زعيم » ، صاحب التيمار ، يجمع ضرائب حاصلات القرويين العاملين في قطعة أرضه ويأخذها لنفسه . وفي مقابل ذلك ، يشترك في القتال مع جنود خيالة وبتجهيزات كاملة بالنسبة إلى محصول قطعة أرضه . وفي ذات الوقت ، هو مسئول عن الأمن في الأراضي التي يديرها وقت السلم . إن التيمار (الإقطاعية) متفاوتة المساحة ، من الممكن أن تكون قسمًا من القرية أو كاملها أو من عدة قرى . لا يمكنه جباية ضرائب أكثر مما هو مقرر في القانون . إن كل سباهي ، عند إبلاغه بأمر القتال ، يذهب إلى المكان الذي يوجد فيه الزعيم ، بكامل تجهيزاته . يجمع الزعماء جنودهم في المكان الذي يوجد فيه آلاي بك (آمر الكتيبة) . بكوات الكتائب ، يذهبون بجندهم إلى السنجق بك (آمر اللواء) ، وهو بدوره يرسل الجنود إلى البلكربك (الفريق الأول) ، ويذهب الفريق الأول مع الجند إلى السرعسكر (القائد ورئيس أركان الجيش) وبذلك يكون قد تم تجميع الجيش . إن هذا العمل يجري ضمن مخطط معين وبسرعة لا يصدقها العقل .

هذا النوع من العسكرية ، اقتبس عن السلجوقيين ؛ كان للسلجوقيين نوعان من الجند ، تيمارلي وقابوقولو (رواتبهم من المركز) . « سباهي » ، كلمة فارسية تقابل « فارس » وتعني « خيّال » . تيمارلي سباهي ، لا يملك الأرض المعطاة لإدارته. صاحب الأرض ، هو الدولة والذي يخدم الأرض باسم الدولة هو القروي . التيمارلي هو الجندي الذي يجمع الضرائب في هذه الأرض ويؤمن نظام الدولة فيها . إذا مات التيمارلي ، يعطى التيمار ترجيحًا ، إلى ابنه ، أخيه ، ابن أخيه . إذا كان تيمارلي في الحملة ، يعيّن مكانه في التيمار وكيلاً يسمى « قوروجو » . لم يؤسس هذا النظام ، في جميع الإيالات وكان موجودًا على الأكثر في الأناضول التي تشكل نواة الإمبراطورية وإيالات روملي وسورية . فمثلاً ، لم يكن نظام التيمار موجودًا في أية إيالة من إيالات إفريقية ، ولا في إيالات يمن وبغداد .

كان يوجد في عهد القانوني ، العهد الذهبي لهذا الصنف ، 200 166 تمارلي سباهي ؛ 600 74 منهم في إيالة روملي و 000 91 في إيالة الأناضول . لا يخلط سباهية الأناضول مع سباهية روملي ، يدخلون ساحة القتال على شكل جناحين منفصلين . يسجل أولياء جلبي ، أن الدولة كانت تملك في 1650 قرابة 566 ألف جندي تيمارلي وعلوفه لي (الذين يتقاضون رواتب) ، إن وحدات الدول المستقلة ذاتيًا والمتطوعين ، والمساعدة ، خارج هذا العدد .

هذا الصنف من الجيش ، أخذ يقل بصورة مستمرة اعتبارًا من الربع الأخير للعصر 16 . والتيمار الأخير ، ألغي عام 1850 ؛ لأن أهمية المشاة أخذت بالازدياد على مر الزمن بالنسبة للخيالة .

سباهية التيمار ، خدموا في تتريك وإسلام الأناضول وروملي . وعند رفع التيمار ، اختل نظام الأراضي العثمانية . أخذ مكان سباهية التيمار ، أناس ضبطوا هذه الأراضي بهذا الشكل أو ذاك . بدأ هؤلاء يزعمون أنهم أصحاب هذه الأراضي الشرعيون . إن كيفية حيازتهم هذه الأراضي في أواخر العصر 18 في روملي والأناضول مجهولة ،لكن المعلوم والمؤكد ، هو أن الزمرة المتغلبة التي ظهرت والتي سميت « ده ره بكي » (إقطاعيون) ، لم تمتلك هذه الأراضي لا عن طريق الفتوحات ولا عن طريق الشراء . لم يرحم محمود الثاني هذه الزمرة . وأصلحهم على نطاق واسع .

7 – حامية يني جري (الانكشارية) :

أسّس الحامية مراد الأول ووزيره الأعظم جاندارلي خير الدين باشا عام 1363 . كان يختار الأطفال الجيّدين من العائلات المسيحية الجيدة في روملي وبنسبة أقل في الأناضول وهم في سن صغيرة ، يدخلون الدين الإسلامي ويوزعون على عائلات الفلاحين الأتراك ذوي الاعتبار لبضع سنوات ، ليتعلموا اللغة التركية ، وأعرافها ، ثم يذهبون إلى الثكنات باسم « عجمي أوغلان » (شاب مستجد) ، يجرى تدريبهم العسكري هناك ويصبحون « يني جري عجمي أوغلان » أي شابا انكشاريا مستجدا

« جري » بالتركية ، تعني « جندي » (ومع أن صو « SU » باللغة التركية القديمة تعني « جندي » ، لكنها تعني أكثر من معناها السابق ، « أوردو = جيش » . إن كلتا الكلمتين لا تستعملان في التركية منذ عدة عصور) . يصبح الذين يبدون استعدادات متميزة من الإنكشاريين صوباي (ضابط) . وبإمكانهم أن يصبحوا جنرالات . لكن يرجح في الجنرالات أن يكونوا متخرجين في مدارس السراي ذات الدرجة المتوسطة ، وكذلك المتخرجون في أكاديمية اندرون السراي .

حامية يني جري ، كانت صنفًا من المشاة . بعض سراياها فقط كانت خيّالة . أعطيت لهم البندقية منذ العص 15 . قلّت كثيرًا السرايا التي لا تعطي البنادق والمسدسات والسرايا التي تحارب بالسيف أو بالأقواس والنبال . ويمكن تعريف ذلك بشكل فرقة مشاة ثقيلة بالنسبة للمشاة الآخرين . كان جميع الإنكشارية من ذوي الرواتب وبضمنهم الشباب المستجدون . كانوا يتقاضون رواتبهم علي حساب اليومية ، لكنهم يتسلمونها في كل ثلاثة أشهر بمراسم عسكرية . راتب الإنكشاري يسمي « علوفة » ، ومع أن الإنكشاريين كانوا موجودين في المدن الكبيرة كذلك فإن القسم الأكبر من الحامية كان في ثكنتهم الكائنة في استانبول . إن نظامهم وتدريبهم وتعليمهم شديد . وربما لا يطاق . غير مسموح بالزواج إلاّ للضابط . رواتبهم كانت عالية جدًا . يضمن القانون حقوقهم . هكذا كان صنف يني جري أوجاغي (أوجاق أو حامية الإنكشارية) ، أهم الأصناف العسكرية العثمانية الذين يطلق عليهم اسم « قابوقولو أوجاقلري » . إن كلمة قابو (باب) هنا ، تعني الدولة ورمزها الخاقان ، أي باب الخاقان .

شغل هذا الطراز من الجند كثيرًا ، وكثيرًا جدًا مخيلة الأوروبي منذ عصور . إن الأتراك بالنسبة للأوروبي يأخذون أطفال المسيحيين و « يصيرونهم أتراكًا » (كلمة « ترك » هنا تعني « مسلم ») ، ثم يجعلونهم يقاتلون المسيحيين ويفتحون الأقطار ؛ ولذا فقد اهتموا بالإنكشارية اهتمامًا كبيرًا . كثير من الأوروبيين حسبوا أن الإنكشارية يشكلون معظم الجيش العثماني تقريبًا . إن كثرة تكرار اسم هذا الصنف في التاريخ العثماني ، سببها كونهم جنود المركز . إنهم في استانبول كانوا دائمًا هم الذين

يقومون بالثورات . إن جميع السباهية المنتشرين في كل أنحاء الإمبراطورية والأصناف الأخرى قاموا بواجباتهم فقط و لم يتدخلوا في السياسة . أما التاريخ العادي فإنه يهتم دائمًا بالحوادث غير العادية ، والثورات التي تفقد السلاطين عروشهم ، وتفقد البعض منهم حياتهم ، وتسبب قطع رءوس الوزراء ، تأتي في قمة الحوادث غير العادية في التاريخ .

إن هذا الطراز من جيش قابوقولو كان موجودًا لدي السلجوقيين كذلك . لا شك أن مراد الأول كان يعلم النظام السلجوقي . وعندما خطا نحو الإمبراطورية وجد ضرورة في إنشاء نظام عسكري على هذا النمط .

جذبت الإنكشارية رغبة العديد من الكتاب بسبب تشكيلاتها الخلابة جدًا والمعقدة المراسم ، وكذلك لكونها أمام الأنظار في استانبول . لكن صنف الانكشارية ، كان في العصر 16 ، الذي جرت فيه الفتوحات الكبيرة ، عبارة عن فرقة خاصة واحدة ثقيلة ، ويشكل قسمًا صغيرًا جدًا من الجيش . وبناء علي ذلك فإن الفتوحات العثمانية ، لم يحققها الإنكشاريون كما يظن الكثير من المؤرخين ، بل حققها السباهية والآقينجي (المغاوير) . وفي الحقيقة أيضًا ، فإن أعدادهم التي سنذكرها فيما بعد تبين وضعهم في الجيش . وفي الحقيقة فإن عدد الإنكشارية كان يزيد كلما قل عدد الجنود الخيالة الذين يسمون سباهي وآقينجي ، وصاروا في دور الانحطاط أكبر صنف عددًا . ولانتهاء عادة جمع أولاد المسيحيين الذين يسمون « دوشيرمه » في هذا العصر ، فإن إنكشارية العصر الأخير كانوا من أولاد الأتراك من الرومليين (بالنسبة إلى روملي) ، الأناضوليين ، الاستانبوليين . دامت الحامية مدة 463 عامًا حتى إلغائها (1826) مع حاميات قابوقولو الأخري بصورة دموية ، على يد محمود الثاني .

8 ـ جنرالات وضباط الإنكشارية :

إن قائد الحامية **يني جري أغاسي** ، عسكري ، عضو في ديوان مايون (مجلس الوزراء) ، برتبة بكلر بك (فريق أول) ، يسمي « أغا » ومنح بعضهم مرتبة وزير (ماريشال) ، ويلقب هؤلاء « باشا » أو « أغا ـ باشا » . يمكنهم التكلم والتصويت في الديوان حول الموضوعات التي تهم حاميتهم ، الجيش والحرب فقط . لا يمكنهم

التصويت كالوزراء في كل موضوع.. ويتضح من ذلك أنه ناظر من الدرجة الثانية .

أكثرهم متخرجون فى الأندرون ، مقربون إلى السراي ، سياسيون أكثر مما هم عسكريون . يرفّعون ويصبحون وزراء .

كثيرون من الصدور العظام كانوا قبلاً رؤساء إنكشارية ، وبالنسبة إلى **سلطان سليمان قانون** – نامه سي (دستور السلطان سليمان) (ص 29) ، يتسلمون راتبًا يوميًا قدره 400 آقجه وتعادل 60 ألف دولار في الشهر بالسعر الرائج الحالي . يسكنون في قصور كبيرة تسمى « أغا سرايي » ويوجهون الحامية من هناك . كانت في العصور الأخيرة في منطقة السليمانية ، وأصبحت في عام 1826 مشيخة (مقر شيخ الإسلام) (حتي 1922) . يشكل مع جنرالات الإنكشارية التابعين له « أغا ديواني » (مجلس الأغا) لإعطاء القرارات في المسائل التي تتعلق بالحامية ، ويحيل القضايا التى تتجاوز صلاحياته إلى الديوان الهمايوني (مجلس الوزراء) . ألغى السلطان محمد الفاتح مقام رئاسة الإنكشارية (الأغا) في 1451 م لغضبه من تصرف الإنكشارية القليل الأدب أثناء اعتلائه العرش . أعاد تأسيس المقام حفيده ياووز . ولذا فقد ترأس الحامية التي ظلت 64 عامًا بدون أغا الإنكشارية ، الجنرال المسمى سكبانباشي .

كان أول أغا إنكشاري منح مرتبة وزير ، سليمان كنعان أغا – باشا (شباط 1653) جرى في هذا المقام 275 تغييرًا خلال 311 سنة (1515 – 1826) . اعتلى بعض الأغوات هذا المقام مرتين واعتلاه واحد منهم 3 مرات . 29 أغا حصلوا على مرتبة وزير ؛ 3 منهم ظلوا في هذا المقام أطول مدة وهي 9 و7 و 6 سنوات . 25 أغا أصبحوا فيما بعد صدورًا عظماء . بعضهم توفي أثناء الخدمة ، وبعضهم استشهد ، وأولهم شجاع الدين أغآ الذي استشهد في فتح المجر . وحتي نهاية العصر 16 (1594) كان أغا الإنكشارية يخرج إلى الحملة مع البادشاه فقط . وإن كانت قيادة الجيش لدى الصدر الأعظم ، يشترك الإنكشارية في الحملة بقيادة سكبانباشي . ويبقى أغا الإنكشارية برفقة البادشاه في استانبول . وبسبب قلة خروج السلاطين إلى الحملات بعد العصر 16 ، أصبح أغوات الإنكشارية يشتركون في الحملات بجانب الصدر الأعظم (نعيما ، 95, 1) .

سكبانباشي (بلغة الشعب : سيمنلر باشي) ، هو الجنرال الكبير الثاني للحامية ، أدار سكبانباشي الحامية مدة 64 عامًا من 1451 إلى 1515 بسبب إلغاء أغوية الإنكشارية في **فاتح قانون ـ نامه سي** .

كان يتقاضى في العصر 16 راتبًا يوميًا قدره 70 آقجه وتعادل بالسعر الرائج الحالي 5 600 دولار شهريًا . كانت له مخصصات إضافية سنوية قدرها 20 ألف دولار . وظهر بين السكبانباشي جنرالات مقتدرون كثيرون ، رجال حرب ، وبعضهم شغل فيما بعد منصب الصدر الصدر الأعظم . يدير سكبانباشي الحامية من الناحية العسكرية بصورة مباشرة بسبب كون أغا الإنكشارية وقول كتخداسي شخصين سياسيين . كان هو رئيس الأركان الحقيقي لأغا الإنكشارية . كان بدرجة سنجق بك (لواء) . وفي حالة ترفيعه يصبح أغا إنكشاريًا ، وبك على لواء كبير ، وبعد العصر 17 بكلربك .

قول كتخداسي أو كاهيه بك ، هو الجنرال الثالث للحامية . وخلال بعض الفترات تقدّم على سكبانباشي وأصبح الشخص الثاني . هو برتبة لواء وفي حالة ترفيعه يصبح بكلر بك . كان راتبه في العصر 16 بالنسبة للسعر الرائج الحالي 2 800 دولار شهريًا (35 آقجه يوميًا) . تقدم على السكبانباشي في النصف الثاني من العصر 17 . كان مسئولاً عن ثكنات الإنكشارية الموجودة في استانبول ، وعن حاميتها ، وكذلك عن أمن المدينة (562, 2, Ricault; 314, 7, d'Ohsson) .

يني جري كاتبي (كاتب الإنكشارية) وبلغة الشعب يني جري أفنديسي (أفندي الإنكشارية) ، هو الجنرال الرابع للحامية . لكنه ليس انكشاريًا وليس عسكريًا وهو لواء مالي يعينه الصدر الأعظم . ميزانية الحامية العظمى والمصروفات والرواتب كلها في عهدة هذا اللواء المالي . أصبح عملاً خطرًا بعد أن صارت حامية الإنكشارية وكرًا لسوء التصرفات اعتبارًا من أواخر العصر 16 . كان تحت إشرافه 100 كاتب ، كان راتبه عاليًا (يعادل 650 5 دولارًا بالسعر الحالي) . شغل « عالي » أكبر مؤرخ في العصر 16 هذا المنصب .

قورنا جيباشي ، هو الجنرال الخامس للحامية (564, 2, Ricault) . وكان في الحقيقة قائد الأورطة (سرية الإنكشارية) الثامن والستين إلا أن هذه السرية يديرها أحد

الرواد وكالة عنه ، ويعمل التورناجيباشي في المقر . **سامسونجي باشي هو الجنرال السادس** وكان في الحقيقة ، قائدًا للأورطة الـ 71 **زاغارجي باشي** ، **هو الجنرال السابع وكان** في الحقيقة قائدًا للأورطة 64 . **هؤلاء الجنرالات الثلاثة** ، **يصبحون في حالة ترفيعهم** سنجق بك على أحد الألوية الممتازة أو رأسًا بكلربك على إحدى الايالات .

صولاقباشي : ورغم أنه الجنرال السادس في الحامية ، فإنه في الحقيقة ، أحد قواد الخاصة التابعين لشخص البادشاه .

أورطات (سرايا) الإنكشارية الـ 60, 61, 62, 63 هي من سرايا الصولاق وتشكل قسمًا من جنود معيّة السلطان . كان صولاقباشي ، قائدًا على هذه السرايا . كان حملة ألقاب صولاق يرتدون الملابس المزينة بالجواهر ويرافقون البادشاه ويشتركون في القتال بصورة فعلية ، وهؤلاء يجب أن يكونوا ذوي مظهر خارجي أنيق ، مهرة في استعمال الأسلحة . كان لدى القانوني 400 صولاق من هذا النوع . لم يكن بالإمكان الاقتراب من البادشاه في ساحة القتال قبل أن يقتل جميع هؤلاء الصولاق . إن جنود الخاصة ، كانوا يضعون على رءوسهم (صورغوج) شارات مزينة بالرياش النادرة ، حتى عام 1922 . وكان لباس رأس الصولاق كذلك مزيّنًا بهذه الشارات « صول » تعني يسار ، و « صولاق » بمعنى أعسر ، أي الشخص الذي يستعمل يده اليسرى وسموا بهذا الاسم لتمكنهم من استعمال السلاح بأيديهم اليسرى لئلا يديروا ظهورهم نحو البادشاه في الحرب .

باشخاصكي ، الجنرال التاسع والأخير للحامية . هو قائد السرايا 14, 49, 66, 67 المؤلفة من جنود الحرس السلطاني الذين يسمون « خاصكي » راتبه الشهرى 2 200 دولار .

باشجاووش ، أهم عقيد يلي الجنرال التاسع للحامية . ويجب ألا نخلط بينه وبين « جاووشباشي » وهو ضابط مراسم الحامية بالاشتراك مع مقدمين اثنين يسميان أورطه – جاووش وكوجوك – جاووش . وإذا رفّع يصبح باشخاصكي .

محضر باشي : هو المقدم الثالث للحامية ، يعمل في الخدمة المباشرة للصدر الأعظم مع 60 إنكشاريا يسمون « محضر » ، وهو العسكري الحارس (حرس) له وفي الوقت

نفسه ينفذ أوامره (324, 7, d'Ohsson) .

كتخدا يرى ، هو العقيد الثالث . معاون قول كتخدا .عندما يرفع، يصبح « محضر باشي » . راتبه 600 1 دولار .

ديوه جيباشي ، هو العقيد الرابع . ويسمى كذلك « باشديوه جي » (رئيس الجمّاله) بالفارسية « سر شتربان » . كان رئيسًا لـ 25 أورطة يقومون بنقل حاجيات الحامية بالجمال .

باشياياجي ، العقيد السادس . وهو في الحقيقة ، كان قائدا للسرية 101 . وكان يشرف على معامل البنادق للحامية .

عسى باشي ، المقدم السادس . قائد الانضباط للحامية ، رئيس الشرطة العسكرية .

بيك باشي ، العقيد السابع . قائد جماعة « البيك » وهم جنود الخاصة للبادشاه .

باشبولوكباشي ، العقيد الثامن . قائد سرايا الإنكشارية الخيّالة .

زمير كجيباشي ، العقيد التاسع ، قائد سرية الزمبر كجي الـ 82 ، والزمبرك ، عبارة عن مدفع هاون صغير يحمل على البغال .

تعليمخانه جيباشي ، العقيد العاشر . المسئول عن تدريب الأسلحة لأفراد الحامية .

آوجيباشي ، العقيد الحادي عشر وهو كذلك ضابط تدريب ، للتدريب بالأسلحة النارية فقط .

تفنكجيباشي ، العقيد الثاني عشر . ويقوم بفحص بنادق الإنكشارية . (أعطيت البنادق للإنكشارية عام 500 1) .

باشتفنكجي ، العقيد الثالث عشر . وهو المهندس المسئول عن صناعة البنادق للحامية .

يني جرى أمامي ، العقيد الرابع عشر والأخير . رجل دين وليس عسكريًا .

الإنكشارية الآخرون ، وكان عددهم أكثر من 200 رائد ، وعددكبير من الضباط

ذوي الرتب الصغيرة . وبينما كان يقال شوربة جي ، لقواد الأورطة (السرية) ، وفي بعض السرايا ، ياياباشي وباشبولوكباشي ، أخذ مكان هذه الألفاظ كلمة « بكباشي » اعتبارًا من النصف الثاني للعصر 18 . كان النقيب معاون قائد السرية يسمى « باشقره قوللوقجي » . ويسمي الذين يحملون رتبة جاووش « قره قوللوقجي » . لكل سرية ، إمام ومؤذن .

كان جنرالات الإنكشارية الـ 9 الذين سلف ذكرهم ، والـ 14 عقيدًا ينتعلون الأحذية الطويلة (الجزمة) الصفراء ، بينما الضباط الآخرون ينتعلون الجزمة الحمراء ، أما غير الضباط فكانوا ينتعلون الأحذية السوداء .

كانت الملابس الرسمية لجميع الضباط والجنود من الجوخ الثمين جدًا المحيك من صوف أحمر (قرمزي) ، ولا تلبس الملابس الرسمية التي سقط خملها وفقدت لمعتها . كان للضباط ملابس خاصة للمراسم . كان لكل سرية علامة تبين رمزها الخاص .

استمر نظام الدوشيرمة (أخذ الأطفال المسيحيين الصغار وتربيتهم عسكريًا) مدة 220 سنة (1363 - 1583) . وجرت دوشيرمة لعدة مرات فقط بعد 1583 ، وآخر دوشيرمة جرت في 1703 ، وكان عدد الأطفال 1000 طفل (هامز 17,130) بعد ذلك بدأ الأطفال الأتراك بدخول تشكيلات الإنكشارية ، ولكن لم يطبق على هؤلاء نظام الدوشيرمه . يسجل d'Ohsson أنه شاهد عدة زنوج إنكشاريين ، لكنه لا يوجد أي ضابط زنجي (7 ,326 - 9) . كان المتطوعون الأتراك من أهالي المراكز الكبيرة كالقاهرة ، الشام ، بغداد ، بودين ، يدخلون تشكيلات الإنكشارية . أصبح تقليل عدد الإنكشارية ، اعتبارًا من العصر 17 وإلى نهايته ، من أهم مشاكل الدولة، قلّص السلاطين المصلحون والصدور العظام هذا العدد ، لكن العدد تضخم بعد ذلك مجددًا . كان عددهم أيام الفتوحات قليلاً ومعقولاً : 000 3 في 1451 ,000 10 في 1477 ,000 8 في 1481 ,000 8 في 1520 ,000 12 في 1526 ,357 13 في 1560 ,798 12 في 1567 ,599 13 في 1574 ,900 12 في 1582 ، ثم ازداد بسرعة وأصبح 100 26 في 1595 ,000 31 في 1597 ,000 35 في 1598 ,627 37 في 1609 ، ونتيجة لتدابير مراد الرابع 000 17 في 1640 ، 000 81 في 1656 ، ونتيجة لإصلاحات كوبرولو 078 39 في 1663 و 374 26

في 1679 ,974 31 في 1684 ,394 70 في 1687 ، وبإنقاص عددهم على يد كوبرولو – زاده أصبحوا 000 40 في 1689 ,000 70 في 1699 ، وبتدابير عموجه – زاده انخفض العدد إلى 000 40 في 1700 ,818 21 في 1706 ,188 34 في 1750 ,456 64 في 1804 ، وكان عددهم المثبت على الورق عام 1826 ,000 100 لكنه ارتفع لفترة إلى 000 120 .

كان الإنكشارية يرسلون للخدمة في الخارج لمدة 3 سنوات ثم يعودون إلى استانبول . رواتبهم تزداد في الخارج (جودت باشا ، **تاريخ عسكري عثماني** ، 105) كانت حاميات الإنكشارية الموجودة في الإيالات البحرية من أفريقية الشمالية (جزائر ، تونس ، طرابلس = ليبيا) حاميات مستقلة عن الموجودة في استانبول . أسست على نمط تشكيلات الإنكشارية في استانبول من المتطوعين الذين ذهبوا من الأناضول الغربية إلى هناك . سمّي أولاد هؤلاء من البنات العربيات والبربريات « قول أوغلي » ، وقد شكل هؤلاء كثافة سكّانية غير قليلة في بعض مدن أفريقيا الشمالية .

كان راتب المتقدمين من جنود الإنكشارية في العصر 16 ، ما يوازي 250 1 دولارًا بالسعر الحالي . تؤمن الدولة طعامهم ، وشرابهم ، وتدفئتهم ، وسكناهم ، ولباسهم . كانوا يتسنمون حصة من الغنائم . وفي الخدمات فوق العادة ، يمنحون العطايا . يحال الإنكشاري الذي يصاب بعاهة بدنية في الحرب ، إلى التقاعد براتب 800 4 ، إن كان جنديًا ، وبراتب 000 19 دولار إن كان عقيدًا ، ويتسلم هذا الراتب طيلة حياته .

كانت ثكنات الإنكشارية في استانبول تحتوي على 184 اسطبلاً ، 90 ساحة ، 20 قصرا ، 689 صالة مجهزة بوسائل الراحة ، وعدد كبير من المساجد . كانت الجدران مكسوة بالحجر الخزفي (الصيني) ، وكل غرفة تحتوي على فوانيس عديدة (3 - 213, 1, **Journal.** Galland) . صرف محمود الأول مبلغ 120 مليون دولار بالسعر الرائج الحالي لتجديد إنشاء أكبر ثكنة للإنكشاريين في ميدان آقسراي ، احترقت عام 1751 في آت . كانت فرقة إطفاء الإنكشارية تحتوي على 531 طلمبة جي (أفراد الإطفاء الذين يحملون ويستعملون آلة ضخ الماء) .

وعلى مر الزمن ارتفع عدد سرايا الحامية التي كانت في الأصل 80 ، إلى 162 . كل

سرية (أورطة) كانت تحتوي على 9 ضباط علي الأقل . خيامهم حمراء . وفي الحملات كان مكانهم في منتصف قلب الجيش .

9 - قابوقولو سباهي :

أهم حامية بعد حامية الإنكشارية هي حامية قابوقولو ، سباهي قابوقولو . يجب أن تفرق بين هذا الصنف وصنف تيمارلي سباهي . كانوا في البداية « دوشرمة » ثم أخذوا في قبول الأطفال الأتراك في أواخر العصر 16 . كانت هذه الحامية ، أكبر منافس للإنكشارية في إستانبول . لذا لم يتدخلوا في كثير من حوادث العصيان ، وفي بعضها وقفوا ضد الإنكشاررية . كان صنفًا ممتازًا يتقاضى راتبًا أعلى من الإنكشارية ، يدربون ليكونوا فرسانًا ورماة للرمح ومقاتلين بالسيف مهرة .

وهي فرقة خيالة مكونة من 6 كتائب . أسماء الكتائب الست بتسلسل أهميتها هي : سباهيلر ، سلاحدالر ، صاغ علوفة جيلر ، صول علوفة جيلر ، صاغ غريبلر ، صول غريبلر . إن رتبة كل من قائدي الكتيبتين الأولين لواء ، ويمثل الحامية قائد الكتيبة الأولى المسمى « سباهيلر أغاسي » .

كانت الكتيبة الأولى المسماة « سباه بولوكي » أي فصيلة السباهية ، أرفعهم اعتبارًا ورايتها حمراء اللون . أسسها فاتح بجمع أولاد كبار رجال الدولة وقوادها . إن مكان هذه الكتيبة ، في القتال ، خلف الحاكم أو السردار (القائد) ، تحمي خلفيته وتهتم كذلك بالرايات . تحرس السرادق الهمايوني ليلاً بالتعاون مع كتيبة سلاحدار بالمناوبه . « سلاحدار آلايي » (كتيبة سلاحدار) ، كانت ذات راية صفراء ، تتقدم الجيش لاستطلاع الطرق التي سيسلكها الجيش .

قلّت أهمية سباهي قابوقولو بعد 1660 . رغب الكل في الانتساب إلى الإنكشاريين . وأساسًا كان قد بدأ الانحطاط في أصناف الخيالة جميعها .

كانت كل كتيبة تحتوي على عقيد واحد ومقدمين اثنين وثلاثة رواد . وكل كتيبة تنقسم إلى فصائل . عدد هذه الحامية ، كان 8 000 في 1453 و 5 885 في 1566 وارتفع إلى حده الأعلى وبلغ 51 000 في 1655 ، و 15 177 في 1660 ، و 22 169 في 1713 .

ثم قل كثيرًا . وقف بجانب الدولة في الواقعة الخيرية عام 1826 ولم يشترك في عصيان الإنكشارية . ورغم ذلك ، ألغاه محمود الثاني كجميع حاميات قابوقولو . .

10 – المدفعيـــة :

هو صنف قابوقولو الذي يستعمل المدافع . تمت الموافقة في دور مراد الأول (1362 - 1389) على إدخال المدفع كسلاح من أسلحة الجيش واستعمل في الحرب الميدانية كوسوفا عام 1399 .

لكن استخدام المدفع كسلاح لا يمكن الاستغناء عنه في الجيش وبنفس الدرجة من الأهمية في البحرية ؛ تحقق في 1453 . شيّد القانوني (1520 - 1566) معملاً كبيرًا لصنع المدافع وبجواره ثكنة لجنود المدفعية على الجانب الأوروبي من مدخل المضيق ، وقد بقيت قيادة مدفعية الإمبراطورية فيها حتى 1922 ، وسميت المنطقة « طورخانة » جدد سليم الثالث (1789 - 1807) الثكنة .

كان للحامية 6 ضباط برتبة لواء . كان « طوبجيباشي » (قائد المدفعية) ، أعلى قائد للحامية . وكان آمر الطوبخانة أكبر معمل أسلحة ثقيلة في العالم لعدة عصور — هو « دوكمجيباشي » (رئيس السبّاكين » ، كان مهندسًا . يليه طوبجيلر كتخداسي أو (أوده باشي) ، هو معاون القائد . ثم يليه طوبجي كاتبي (أو أفنديسي) ، وهو جنرال مالي . يليه دو كمجيلر كتخداسي (ومعاون السباكين وأمين الطوبخانة) . (2 , Ricaut 580,)

كان للإمبراطورية — عدا . . استانبول ، 7معامل أخرى (بلغراد ، باج Bac قرب سمندرة ، بودين اشكودرا ، P..iste قرب دراما ، تامشوار وفي كولانبرد على الحدود الإيرانية) . كان يوجد في مركز كل إيالة مسابك صغيرة ومصانع تصليح المدافع . كانت توجد 6 معامل لصنع قذائف المدفعية (يلة جك ، وأن ، كيغي Kigi ، Kamengrad ، قرب Banyaluka في بوسنه ، وفي Novaber على ساحل مورافا وفي نج) . تجمع القذائف التي تصنع في هذه المعامل في 4 مخازن (ازميت ، بازارجك ، يني شهر ، ادينجك) وتوزع على الأماكن التي تقتضيها الحاجة . كان مخزون القلاع

الكبيرة هائلاً . فمثلاً كان يوجد في قلعة بلغراد عام 1697 حوالي 000 168 قذيفة مدفع بأحجام مختلفة . كان بالإمكان صنع مدافع ذات أقطار كبيرة جدًا أدهشت الأوروبيين . كانت توجد مدافع عيار 76 – م .

كان باستطاعة معمل عتاد واحد ، صنع من 20 ألفًا إلى 24 ألف قذيفة سنويًا . مادته الأساسية الحديد ، يخلط النحاس والقصدير بنسب معيّنة ويوضع البارود . قل استعمال القذائف الحجرية على مر الزمن . أصغر القذائف ، من زنة 320 غم وتستعمل للمدافع المسماة « شاهي » . كانت تحمل مدافع الشاهي على البغال ويمكن أن يديرها شخصان . كانت السفن النهرية المسمّاة « اينجه دونانما » مسلحة بمدافع شاهي .

وقبيل 1640 م . كان لدى الإمبراطورية 045 17 مدفعًا فعّالاً . كانت هذه المدافع تحت سيطرة طوبجيباشي . المدافع القديمة التي ترسل إلى المعامل لإذابتها لفقدها قياسات أقطارها أو التي تستعمل كزينة خارج هذا العدد (تصريح طوبجيباشي علي بالي بك إلى أولياء جلبي : 440, 1 (انظر Muhimme 28, 12,) .

كان القانون يحظر على أي فرد في الدولة العليّة أن يمتلك قلعة ولا يمكنه إنشاء قلعة إلاّ باسم البادشاه ، كما كان يحظر علي أي فرد أن يمتلك مدفعًا ، ولا يمكنه كذلك أن يصنّع مدفعًا .

كان باستطاعة المعمل الواحد أن يسبك 320 مدفعًا في السنة . أعلي إنتاج ، كان في طوبخانة إستانبول . كان عدد المدافع في القلاع الضخمة كبيرًا جدًا . كان في قلعة بغداد عام 1685 ، حوالي 2191 ، وفي البصرة 182 ، وفي الشام 277 ، وفي قلعة خانيا في كريت 245 ، وفي قلعة كانديه 307 ، وفي ميدلّي 289 مدفعًا .

كان القانون ينص علي التدريب علي الرمي مرتين في الأسبوع ، لتدريب المدفعيين ، ونقل الذين لا يوفقون من الجنود إلى أصناف الجيش الأخرى . كانت الحامية في أواسط العصر 17 تتكون من 52 فصيلة ، ارتفعت بعد ذلك إلى 72 فصيلة . كان راتب الطوبجيباشي الشهري في أواسط العصر 16 ، حوالي 000 9 دولار بالسعر الرائج حاليًا وراتب كل من الجنرالات الخمسة الآخرين 000 4 دولار . كانت رواتب جنود المدفعية ، في دور القانوني كذلك ، أكثر من رواتب الإنكشارية وتتراوح بين 6 و 8

آقجه يوميًا (تعادل 960 إلى 280 1 دولارًا شهريًا) . قليلون منهم كانوا دوشيرمه (من [illegible]) [illegible] يقبل المتطوعون في هذه الحامية . كان للحامية تشكيلات صحية ،

التزمت هذه الحامية جانب الدولة في الواقعة الخيرية . بدّل محمود الثاني ، اسم الحامية وحافظ عليها بإجراء تغيير طفيف ، لأن ضباط هذا الصنف لم يكونوا آلايلي (الذين تدرجوا في مراتبهم في وحداتهم منذ أن كانوا جنودًا) كما في الحاميات الأخرى ، وإنما كانوا ضباط مدفعية مهندسين من متخرجي مهندسخانه بريء همايون (كلية الهندسة البرية الهمايونية) التي فتحت منذ أكثر من نصف قرن . غيّر محمود الثاني ، الذي ألغى مقام طوبجيباشي ، اسم قيادة الحامية إلى « فريقية طوبخانة » وعين على رأس هذه التشكيلات نعمان أغا آخر طوبجيباشي ، بعد منحه لقب « الفريق نعمان باشا » . أسست بعد ذلك مشيرية الطوبخانة العامرة بعد دمج المعامل العسكرية بالمدفعية وأدخل هذا المشير إلى الوزارة كوزير عسكري ثالث .

كان عدد الحامية 000 5 تقريبًا . ومن ناحية أخرى ، كان يوجد خارج المدينة 000 2 مدفعي تمارلي تقريبًا .

11 – حامية سائقي عربات المدافع (طوب عربة جيلري أوجاغي) :

حامية طوب عربة جي أو بالاختصار عربة جي ، ذات علاقة بحامية الطوبجي (المدفعية) لكن هذه الحامية كانت صنفًا صغيرًا لقابوقولو مستقلاً عنه . أسس مراد الثاني (1421 - 1451) حامية المدفعية ، وأسّس بيازيد الثاني (1481 - 1512) سواق عجلات المدافع بفصلها منها . كان قائد الحامية عربة جيباشي آغا ، ثم صار عقيدًا ولواء . واجب الحامية ، نقل المدافع من مكان إلى آخر ، وإلى الجبهة . كان للحامية 3 عقداء ووحدات نجارة ، وحدادة ، ونعالة . كان عددهم 678 في 1550 ، و 400 في 1574 ، و 282 في 1660 و 414 4 في 1820 . وفي الواقعة الخيرية ، ربطت بفرقة المدفعية .

12 ـ حامية همبرة جي (قسم القنابل اليدوية) :

« همبرة » والتي يطلق عليها باللهجة الشعبية « قمبرة » ، هي قنبلة يدوية . وهناك قنابل ترمى بواسطة البندقية . كانت ثكناتهم ومعاملهم في اسكدار . كان عددهم 601 في 1733 . كانوا ينقسمون إلى 6 فصائل (أوده) كان قائدهم ، العقيد المسمى همباراجيباشي . أول تعليم على الطراز الأوروبي لهذا الصنف ، جرى في 1728 . أولى سليم الثالث عناية خاصة بهذا الصنف في النظام الجديد. حضر تدريبات الرمي والمناورات مثل عمه عبد المجيد الأول (جودت 3 ، 85 ؛ صبحي ، 58) .

13 ـ حامية لغمجي (قسم الألغام) :

هو صنف استحكام . كلمة « لغم » تعني النفق الذي يفتح في حروب القلاع تحت الأرض . رتبة لغمجيباشي (قائد صنف الألغام) ومعاونه عقيد . عدد أفراد الحامية حوالي 5 000 . بعض فصائله تنقسم إلى أقسام تخصصية كأصناف إقامة الجسور ، القلاع ، الخنادق . كانت قدرة الحامية في المعدات ، كبيرة . كان لديهم بصورة دائمة مخزون كبير من البارود ، الفتائل ، القطران ومعدات أخرى كثيرة . خدم في صنف الاستحكام العثماني ضباط مهندسون قديرون . كان المعمار سنان ، ضابط استحكام من قسم إقامة الجسور في الجيش العثماني في فترة شبابه . كانت الهندسة العسكرية (الاستحكام) التركية ، متفوقة . إن مؤسسي الهندسة العسكرية الحديثة في أوروبا ، هم الأتراك أيضًا . المهندس الفرنسي الجنرال Vauben الذي يعتبر أبا الاستحكامات الحديثة في الجيوش الأوروبية ، استعمل لأول مرة ، في قلعة Maestrichl في هولندا عام 1673 ، فن الاستحكام على الطراز التركي بعد أن درس فن الموانع والتحصينات الهندسية التركية ضمن الوحدات الفرنسية التي حاربت الأتراك سنين عديدة ، في كانديه في كريت ، وعلى أثر إحرازه النصر ، وافقت جميع الجيوش الأوروبية الرئيسية ، في أواخر العصر 17 ، على استخدامه (96, 6, **Histoire General** Lavisse - Rambaud (كانديه لغم محاربه لري أوزه رنده كيش تفصيلات : راشد ، 1 ,167 - 84) .

14 ـ حامية جيبة جي (قسم التجهيزات العسكرية) :

صنف تجهيزات الجيش . هو الصنف الأخير من حاميات القابوقولو الـ 7 . واجبه جمع أسلحة حامية الإنكشارية بعد الحملات ، إصلاحها وصيانتها . يقومون بتوزيعها والعناية بها في الحملات . وفي الوقت نفسه ، يشتركون في القتال بصورة فعلية . عنايتهم بأسلحة الإنكشارية فقط . كانت الأصناف الأخرى ، تقوم بصيانة أسلحتها بنفسها . لذا فقد كانت هذه الحامية التي ذات ارتباط وثيق بالإنكشارية . كلمة « جيبة » تعني باللغة التركية القديمة « درع » . ثم استعملت كلمة « جبة خانة / جبخانة » في اللغة التركية للتعبير عن « ذخيرة الأسلحة النارية » .

كان بحوزة هذا الصنف ، ألوف من الجمال والبغال . ينص القانون على تسليم أسلحتهم إلى الإنكشارية ، قبل دخولهم أراضي العدو . هذا الصنف هو الذي قام بالثورة المشئومة التي أنتجت واقعة أدرنة . هي حامية قابو قولو الوحيدة التي أيّدت ـ عدا ضباطها ذوي الرتب العالية ـ الإنكشارية في الواقعة الخيرية ، أعدم على أغا آخر جبة جيباشي (**اس ظفر** ، 251) .

كان عددهم 789 في عام 1566, 00 8 في 1748 . كانوا كثيرين خارج استانبول . وفي السنوات الأولى من القرن 19 ، كان مجموعهم في القلاع 1560 ، كان 504 منهم في بغداد ، 155 في وان ، و162 في قارص .

كانت ثكنتهم مقابل أيا صوفيا ، وحاليًا سراي العدل (**200, 58, muhimme, 2 - 581, 2, Ricaut**) . كانت رتبة جبة جيباشي تعادل رتبة لواء. وله 5 عقداء . كان معمل الحديد الموجود في Samako في بلغاريا ، يصنع لحامية جبة جي المعاول ، المجارف الأنابيب ، المطارق الحديدية الضخمة إلخ .. كان هناك معمل آخر للحديد في أدرنة . ومعملان للأقواس والسهام في إستانبول وغاليبولي . ومصنع واحد للسباكة في كوسنتجه . ومع ذلك ، كانت تشتري معدات من القطاع الخاص كذلك . مثلاً ، كان قد قدم عرضا من أحد المعامل الشخصية في عام 1511 لصنع 780 ألف سهمًا . كان لدى الجبة جي كميات كبيرة من المعدات الاستحكامية . مثلاً ، أرسلوا لمحاصرة

فارادين عام 1694 ، حوالي 30 ألف مجرفة و 16 ألف معول وآلات أخرى . كانت الحامية مؤلفة من 60 فصيلة من بينها سرايا مختصة بالبارود ، كانت المدفعية تطلب البارود وزيت الزيتون من صنف جبه جي ، في حالة من نفاذه . اختار محمود الثاني من صنف جبه جي ، بعد الواقعة الخيرية 1054 جنديًا وضابطًا وشكل جبه جي خانه همايون ، وقد تطورت هذه التشكيلات كثيرًا في دور التنظيمات وألحقت بمعمل المدافع الهمايوني .

15 – نبذة عن الأسلحة النارية لدى العثمانية :

إن عدم اهتمام الدول الأوروبية المسيحية الأخري والآسيوية الإسلامية بالأسلحة النارية ؛ بقدر اهتمام العثمانية بها ، وعدم تمكنهم من اللحاق بالعثمانية من الناحيتين التكنولوجية والمالية ، يأتي ضمن أسباب الفتوحات العثمانية الكبرى . لفت ذلك نظر العديد من الكتاب الأوروبيين ، من ماكيافل إلى المؤرخين الحديثين . قضى السلطان ياووز سليم على الصفويين في الشرق وفتح مصر في الجنوب خلال سنتين ونصف سنة . وسأل سلطان المماليك الأخير طومان بك الثاني عن سبب عدم حيازته الأسلحة الحديثة وأنبه على ذلك . كان تفوق العثمانية التكنولوجي هذا قد حدد مصير الشرق الأوسط إلى عصرنا هذا .

من المعلوم أن البارود ، اختراع صيني ، استعمل كمواد متفجرة لأغراض التسلية ولم يستخدم كسلاح . تركيبه بسيط نوعًا ما (نترات البوتاسيوم 75 ٪ ، كبريت 12,5 ٪ ، مسحوق الفحم 12,5 ٪) وصناعته سهلة في حالة تأمين الكبريت الذي يقل وجوده نسبيًا بالقياس إلى المواد الأخرى ، وفي حالة عدم وجود البارود ، لا يمكن صنع أي سلاح ناري . ولما كانت الحضارة الصينية مغلقة ، فإن مسلمي القرون الوسطى والعرب هم الذين عرّفوا البارود للأوروبيين ونشروه ، ومناقشة موضوع ما إذا كانوا قد اقتبسوا البارود من الصين أم أنهم تقدموا في علوم الكيمياء واكتشفوه ، لا أهمية له من الوجهة التاريخية . لكن الشيء المؤكد هو أن العرب هم الذين عرّفوا البارود لأوروبا وأن هذا الأمر له أهمية كبيرة من الناحية التاريخية .

لا يكون البارود سلاحًا ملائمًا للقتال في حالة استعماله وحده . البارود المسحوق الموضوع في البراميل ، يمكن في حالة إشعاله أن يفجر الأبنية المغلقة ، أما رمي القنابل

بواسطة البارود ، فهو الذي ولّد الأسلحة النارية ، والتي أولها وأهمها المدفع .

صنعت أول المدافع ، وكانت بدائية جدًا في أوروبا قبيل عام 1320 . كان لدى العثمانيين وكذلك لدى مماليك مصر مدافع في 1360 . كانوا يخيفون بصوته خيول الأعداء في ساحة القتال . وكانوا يعجزون عن هدم أسوار القلاع . لم تكن أية دولة ، حتى عام 1453 – ولا العثمانية – قد استخدمت المدفع كسلاح جدّي في الدفاع ، أو في الهجوم ، أو في حروب الحصار . وفي الحقيقة ، كانت المدافع صغيرة ومداها قصير . وعندما طلب فاتح عام 1452 سباكة مدافع في أدرنة بقياس وتكنولوجية لم تسبق صناعتها ، بعد إتمامه حساباته بهذا الشأن ؛ اعترض المهندسون والأخصائيون على ذلك ، وادعوا عدم إمكان سباكة مدافع بهذا القياس ، وإنها إذا سبكت ، فإنها ستتشقق بعد السباكة ، وإن لم يحدث ذلك فإنها سوف تتبعثر عند أول إطلاقة . لكن هذه المدافع سُبِكت ، ولم تتشقق ، ولم تتبعثر عند أول إطلاقة تجريبية ، سبكت بحسابات دقيقة ، سواء كانت برونزًا أو حديدًا (حلّل الكيماوي الإنكليزي F . A . Abel معدن أحد المدافع التي سبكها فاتح عام 1464 ، فوجد بدهشة أن البرونز ، كان من النوعية الممتازة ونسب الخليطة كانت جيّدة وأنه لا يمكن حاليًا صنع تركيب يفوقه : The Chemical News ، رقم 457 ، لندن ، 4 / 9 / 1868 ، ص 111 - 2) .

لم تهدم مدافع فاتح في 1453 أسوار الدولة البيزنطية فحسب ، بل هدمت معها العصور الوسطى التي يعود تاريخها إلى ألف عام مضت وفتحت العصور الحديثة . استعمل فاتح البارود – كما أشار إلى ذلك المؤرخون الأوروبيون بدقة – لتحريك الصواريخ الطيارة ، كذلك لدرجة أن أحد المؤرخين الفرنسيين المدعو (Benoit Méchin) الأشكال البدائية لأسلحة V - 2, V - 1 صنعت من قبل فاتح . استعملت تكنولوجية الصواريخ العثمانية في رمي قذائف هوائية ممتازة الصنع جدًا ، إلا أنه لم يمكن تحويلها إلى واسطة قتال . لكن مدفع الهاون الذي يرمي قذيفته بمحرك بيضي الشكل (obusier, mortier) والذي استعمله فاتح لأول مرة في فتح استانبول ، اعترفت به الدول الأوروبية الواحدة تلو الأخرى . وموجود حاليًا لدى كل الجيوش .

فاتح ، الذي أثبت بصورة قطعية ، أن المدفع سلاح يمكن به هدم قلعة ، ثم قال بأن المدفع سلاح مؤثر على نتيجة الحروب الميدانية ، وإنه سلاح بإمكانه تشتيت خيالة

بل ومشاة العدو . أثبت قوله ذلك في أو اتلوكبلي Otlukbeli عام 1473 ، لكن هذا الحادث فات على أنظار الدول الأوروبية والأسيوية أجمع ، كانت الدول الأوروبية التي أنكرت تأثير المدفع في الحروب الميدانية ، حتى بعد اوتلوكبلي بعصر واحد ، وخاصة الدول الآسيوية ؛ كثيرة . إن معركة جالديران ، جرت بعد أوتلوكبلي بـ 41 سنة . استعمل ياووز ، حفيد فاتح ، المدفع والبندقية أيضًا كسلاح من الدرجة الأولي في أوسع الحروب الميدانية ، وغيّر الميزان الدولي . ثم أزال سلطنة المماليك من الوجود ولعب دورًا مهمًا كذلك في حرب موهاج 1526 ، وفي عهد ابنه القانوني كان قد مضي 53 عامًا علي حرب أوتلوكبلي . أفاقت أوروبا من سباتها بعد ذلك .

لم يهمل الجيش العثماني المدافع أبدًا ، حتى في عصور الانحطاط . ورد في تقرير عسكري بروسي مؤرخ 1862 Unsere Tage ,36 ,580 ,586 - 7) ، أن المدفعية العثمانية ، لا تقل عن أية مدفعية أوروبية . لكن لم تعد تسبك بعد الآن أجود المدافع في استانبول ، بل في Essen . طوّر السلطان عزيز (1861 - 1876) أسلحة جيشه بمدافع كروب وبنادق مارتيني الأمريكية وأوصلها إلي أحدث المستويات . بهذه المدفعية قضي جواد باشا علي أقوى أسطول حربي شاهده العالم حتي ذلك التاريخ ، دمّره في مدخل مضيق جنا قلعة (18 / 3 / 1915) .

تعرّف القسم الأكبر من العالم الإسلامي ، علي الأسلحة النارية من العثمانية . رحب العالم الأسلامي بالضباط المدفعيين والبحريين العثمانيين ، اعتبارًا من العصر 15 وحتى في القرن 20 ، كان الضباط العثمانيون يُرسلون إلي الأقطار الإسلامية خارج العثمانية – مثل فاس ، الأفغان ، تركستان – بواجبات رسمية .

وعندما سار ياووز إلي مصر ، كان أسطول دولة المماليك العظمي يديره العثمانيون . لم يسأل قائد أسطول المماليك الأميرال العثماني سلمان رئيس ، سلطان مصر عما يجب عليه أن يعمله بالأسطول، وسأل البادشاه العثماني . وعند قدوم الإخوة بربروس إلي تونس ، وجدوا أن سلاطين الحفصيين يملكون مدفعيين ، وأن ضباط مدفعيتهم أتراك . بدءوا بمهمّتهم التاريخية في المغرب وهم مطمئنون إلي أن مدفعية كهذه لا يمكن أن تفتح عليهم النار . كان في حيازة سلاطين السعديين في فاس في 1575 من المدافع

150 مدفعًا ، ووحدات حملة البنادق والعركبوز ، كانت تحت سيطرة الضباط العثمانيين . إن سرية المدفعية لسلطان فاس الذي فتح مالي عام 1591 مكونة من بطارية هاون 6 مدافع و500 خيال ، حملة بنادق و2000 مشاة أندلسي حملة العركبوز ، كانت قد نظمت من قبل الضباط العثمانيين . بقي بعض ضباط البنادق العثمانيين في نتبوكتي وعرّفوا أفريقيا السوداء بالأسلحة النارية . وفي الأصل فإن اصطلاحات المدفعية التي تستعمل في أفريقيا الشمالية جميعها ، تركية وليست عربية . مثل طوبجي (مدفعي) ، بُمبه (قذيفة) بششخانة (مدفع ذو ستة أضلاع) ... إلخ . (**Nouvelle Edition,** **Encyclopedie del'Islam** ، 1، **1089**ب – 190) .

لم يتمكن الصفويون ، أقوى منافس للعثمانية ، في أي وقت من الأوقات من إيصال الأسلحة النارية إلى مستوى العثمانية . كتب المؤرخ الإنكليزي Savory بأنهم حتى في العصر 18 لم يتمكنوا من استعمال مدفع الصحراء كما يجب في المعارك الميدانية . وفي الأصل ، فإنهم اقتبسوا مصطلحات المدفعية عن العثمانية ؛ الصفويون أيضًا كانوا يقولون « طوبجي ، طوبجيباشي » . كان المدفع العثماني ، يعتبر غنيمة ثمينة جدًا . ويمكننا القول بأنه لو كانت معلومات الصفويين في البحرية والمدفعية بمستوى العثمانية لتورطت العثمانية في الشرق ورطة كبيرة . كان الوضع في أزبكستان مماثلاً لذلك . كانت المدافع والبنادق تجلب من العثمانية ويستعملها ضباطهم منذ العصر 16 . أرسلت المدافع العظيمة صنع طوبخانة استانبول ، إلى أندونيزيا مع الضباط المدفعيين الأتراك . كان الوضع ذاته في إمبراطورية الهند العظمى (بني تيمور) . أسس هذه الإمبراطورية بابورشاه بن تيمور ، بفضل المدفعيين العثمانيين (**بابورنامه** ، ورق 321 ب) . وحتى ابن حفيد حفيده افرنكزيب علمدارشاه ، كان لا يزال يستخدم الضباط المدفعيين العثمانيين في بداية العصر 18 . وكذلك انتقلت البنادق والمسدسات من العثمانية إلى الهند . أوقعت العثمانية الذعر في القلوب بالمدافع والبنادق التي تسمى مسكت « Misket » التي ترمي الحبّات (الشظايا) من زنة 15 - 20 درهمًا داخل إطلاقة واحدة (نعيما ، 1 ,164) . أحكمت كيفية تنظيم وتوجيه نيران المدفعية وخاصة بالنسبة لأسوار القلاع ، بقواعد هندسية . كانت المدافع المختلفة المسماة باليمز ، جاكلوز ، شاهي ، بادالوشكا ، كولونبورنا ، شايكا ودرابزون ذات القياسات المختلفة ، تستعمل بطرق

معينـة ، لا تفتح نار المدفعية بصورة اعتباطية . لم تتمكن الأقطار الإسلامية ـ عدا العثمانية ـ من التعرف على ذلك إلا في القرن الـ 20 .

16 ـ جنود الصاعقة (آقينجيلر) :

أهم صنف عسكري في تاريخ الفتوحات العثمانية هو تيمارلي سباهي وثم آقينجيلر . آقينجي تعني كوماندو (صاعقة) خيال . أسست أوروبا جنود آقينجي التي سمتهم « Komando » ، بعد العثمانية بـ 500 سنة .

« آقين » (غارة) ، كلمة تركية وهي اسم لمصدر « آقماق » (إغارة) واسم الفاعل « آقينجي » (مغوار) . الكوماندو (آقينجيلك) ، هو المجال الذي أوفاه الخيال التركي حقّه بجدارة كبيرة منذ فجر التاريخ وحصل فيه على تجربة فائقة . إن هدف حامية آقينجي للعثمانية ، هو ضعضعة قوة العدو العسكرية والاقتصادية ، وتخريبها وفتح الطريق للجيش النظامي . ويستعمل الآقنجي كذلك في الدرجة الأولى في الحصول علي الأخبار .

يشكل أولاد سكنة الأناضول الغربية وأحيانًا أواسطها ـــ الذين استوطنوا في روملي ـــ ، أكثرية المغاوير . لا توجد حامية مغاوير (آقينجي في الأناضول . لكن جلب أحيانًا ، آقينجي من روملي ، في الحروب الكبرى ضد الصفويين . إن صفة آقينجي تنتقل من الأب إلى الابن ، ودخول الغريب إلى الحامية صعب . توجد عدة حاميات آقينجي مشهورة : مثل ميهال أو غللري (بني ميهال) ، بالقوج أوغللري ، أورانس أوغللري ، ترهان أوغللري ، تنتقل بكويّة (إمارة) الحامية من الأب إلي الابن . يمنح أمراؤهم (بك) ، رتبة سنجق بك (لواء) ، ونادرًا بكلر بك (فريق أول) ، ومنهم من حصل علي رتبة وزير . إن قادة عصرى 15 - 16 الفاتحين العظام ، تدربوا في حامية آقينجي . يتعرفون جيدًا على روملي ويجيدون اللغات البلقانية والأوروبية . اجتاحوا كامل أوروبا الوسطي والشرقية ، في سبيل تحقيق هدف الجهاد والغزو .

إن الإغارة عملية خطرة . يتحرك آقينجي بسرعة فائقة ، ويهتم بتحاشي الاصطدام

بالعدو الذي لا يدري في أية منطقة من أوروبا سيظهر . ينقسم جيش آقينجي إلى أرتال ، وهذه الأرتال تنقسم إلى جماعات ووحدات صغيرة . ثم تلتئم هذه الوحدات مع بعضها في غير الأماكن التي تفرقت منها وتعود . لا يخلعون السيف من خصورهم أثناء صلاتهم ووضوئهم (أولياء ، 528,5 - 9) . يستشهدون بأعداد كبيرة في عمليات الإغارة .

17 - العزب (عزيلر) [المشاة الخفيفة] :

عزيلر (باللغة العربية : عزب) صنف مشاة . مشاة خفيفة . وبينما كان هؤلاء يشكلون أساس مشاة العثمانية ، احتل الإنكشاريون مكانهم في أواخر العصر 16 واختفى صنف العزب . كثير من المؤرخين أسندوا النصر في دور الفتوحات إلى الإنكشارية ، لجهلهم أن العزب يشكلون مشاة الجيش العثماني . كان عددهم في حرب أنقرة (1402) 20 ألفًا ، وفي فتح إستانبول (1453) 20 ألفًا ، وفي أوتلوكبلي (1473) 30 ألفًا ، وفي رودس (1522) 20 ألفًا . أخرج السلطان سليمان القانوني هؤلاء من صنف المشاة وجعلهم حماة قلاع . وهكذا استمر العزب في مهمتهم في حماية القلاع . رغم أن الذي أوجد عزب القلاع هو فاتح ، لكن الذي غيّر صنف هؤلاء إلي حماة القلاع بشكل نهائي ، هو القانوني . إذ إن القلاع كثرت بشكل كبير على زمانه وزادت حاجة القلاع إلي الجند . ألغي السلطان محمود في 1826 عزب القلاع ، وعزب البحرية كذلك .

دنيز عزبلي (عزب البحر) ، هم مشاة البحرية المسلحون . وهم المشاة حملة البنادق الذين يرافقون السفن .

18 - المشاة (يايالر ومسلّملر) :

احتل العزب كذلك مكان يايا ومسلّم (بضم الحرف الأول وفتح الثاني) ؛ كما احتل الإنكشاريون مكان العزب . « يايا » كلمة تركية وتعني بالفارسية « بياده » أي مشاة . هم الجند الراجلون ، لا يركبون الخيل ويسيرون على أقدامهم . إن أكثرية يايا

مسلّم ، جنود متطوعون من العشائر التركمانية . سمّوا في البداية يايا ثم **مسلّم** . **ألغوا** ، عندما كان عددهم في أواخر العصر 26 500, 16 (**قوانين آل عثمان** ، 45) ثم استمر بعد ذلك استخدام الجنود المتطوعين من التركمان . لكن هؤلاء كانوا خيّالة وسمّوا **يوروكلر** .

19 – جنود الإيالات :

كان سنجق بك وبكلر بك الذي يفوقه رتبة ، هو القائد لتيمارلى **سباهي** . أي أن قائد السباهية الموجودين فى لواء ما هو الوالي العسكرى لذلك اللواء المسمى سنجق بك (لواء) وقائد السباهية في إيالة ما ، هو الوالي العسكري للإيالة برتبة بكلر بك (فريق أول) وهو قائد الضباط برتبة لواء (سنجق بك) الذين يشكلون تلك الإيالة . زادت حاجة جنود المعيّة للألوية (سنجق بك) ، وخاصة للفرقاء الأول (بكلر بك) . بدأ الفرقاء بتجنيد جنود متطوعين وأجراء . كان يطلق على هؤلاء أن كانوا خيالة **سكبان** ، وإن كانوا مشاة **صاريجه** ، ثم سمّوا جميعًا **لوند** (يجب تفريقهم عن لوند البحرية) .

20 – المتطوعون (الأجراء) :

اكتسب الجنود المتطوعون أهمية ، بعد أن اضمحلت صنوف تيمارلي سباهي وآقينجب وفقد الإنكشاريون طاقتهم القتالية . إن الجنود المتطوعين ، هم المسلحون الذين يتقدمون للخدمة بالأجرة في حرب واحدة . كانوا يتجمعون حول شخص من الأشراف يسمى « بكباشي » وينخرطون في سلك الجيش (**d'Ohsson, 7, 377**) . وعندما سنّت التنظيمات قانون التجنيد الإجباري ، زال نظام التطوع .

توجد أصناف أخرى كذلك : **فوينوكلر** ، جنود غير محاربين من المسيحيين البلغار ، يؤخذون كسوّاس خيل .

مورتولوسلر ودربند جيلر ، استخدموا في أماكن كحماية الممرات الجبلية .

مشعلة جيلر ، صنف مهمته إضاءة طريق الجيش أثناء المسيرات الليلية ويشكله العرب

لسوريون وعلى رأسهم ضابط برتبة عقيد .

ياساقجيلر ، هم جنود انضباط (هامر ، 6 ,218) .

بوزانجيلر ، هو الصنف الذي يصيح بصوت عال لكسر الروح المعنوية للعدو (نشري ، 300) .

21 - جنود مصر :

لا يوجد في مصر تيمارلي سباهي ، بسبب عدم وجود تشكيلات التيمار . لا يرغب المصريون في العسكرية ، ولم يقبلوا عليها برغبة زائدة في عهد الأيوبيين والمماليك . احتفظت الحكومة العثمانية بقسم من جنود المماليك الموجودين في مصر ، لكنها أرسلت إلي مصر جنودًا من إستانبول كذلك . من النادر تكليف مماليك مصر بواجب خارج مصر وإلي الجبهات . وفي عام 1675 كان في مصر 20045 جنديًا أرسلوا من إستانبول ، أكثرهم في القاهرة عدا جنود المماليك (أولياء ، 10 ,146 - 7) . جنود البحرية المتمركزين في أميرالايات الإسكندرية ، سويس ، رشيد ، دمياط خارج هذا الرقم .

وكان هناك كذلك جنود مشاة بريون في إيالات الجزائر ، تونس وطرابلس (ليبيا) بالإضافة إلي جنود البحرية ، أهمها حاميات الإنكشارية . كان يوجد صنف مدفعية القلاع والأصناف الأخري كذلك . هؤلاء كانوا من الذين نزحوا من الأناضول وأحيانًا من روملي . كان العرب المحليون البرابرة ومهاجرو الأندلس يتطوّعون في السلك العسكري ، لكنهم يتفرقون بعد انتهاء الحرب .

22 - جنود قرم :

كان جنود قرم ، يشكلون قوة مهمة في الجيش العثماني . كان جيشًا مكونًا من 100 ألف إلي 200 ألف خيّال . ليست لديهم خبرة بتعبئة الوحدات الكبيرة . ولم يكونوا مدربين كجنود العثمانية ، لكنهم كانوا خيّالة ومحاربين بالفطرة . لا يملكون مدفعية . كانوا يسيرون تساندهم المدفعية العثمانية . كانوا يظهرون كجيش قليل التنظيم ، ضمن الجيش العثماني الشديد التنظيم بشكل هائل . فقدوا في العصر الأخير إمكاناتهم الحربية بالتدريج

ولم يتمكنوا من مسايرة العصر الحديث أبدًا . وقد شكلت كذلك وحدات خيّالة من المتطوعين الجراكسة .

23 - جنود الدول التابعة :

كان باستطاعة إمارة المجر Erdel (ترانسيلفانيا) تجنيد 50 ألف شخص علي أكثر تقدير . من النادر أن يصلوا إلي هذا العدد ، ويندر كذلك أن تتمكن الإمارات الرومانية أفلاق (رومانيا) وبغدان (مولدافيا) من أن تجندا معًا 25 ألف شخص ؛ لكنهم اشتركوا مع العثمانية في حروبها مع أوروبا بأعداد تتراوح بين 10 و 15 ألف جندي علي أكثر تقدير . جرت حروب أخذ فيها عدة آلاف من جنود الإمارات الكرجية . لم تستخدم جنود الدول التابعة تقريبًا بعد العصر 17 .

24 - جنود النظام الجديد :

بدأ التعليم والتدريب علي النمط الأوروبي في الجيش العثماني ، في قسم همبرة جي (القنابل اليدوية) في دور لالة (1728) . فتحت مهندس خانة (الهندسة العسكرية) ، في هذا الدور كذلك وشرع بتدريس الضباط دروس الاستحكامات والمدفعية بالمعلومات الأوروبية . ثم صارت هذه المؤسسة بعد ذلك ، جامعة تكنولوجية عسكرية بالمعنى الصحيح وسميت مهند سخانه بريء همايون (مدرسة الهندسة البرية العسكرية الإمبراطورية) . وبعدها في 1791 ، بدأ سليم الثالث في تأسيس جيش النظام الجديد وخرّج ضباط خيالة وضباط مشاة مزودين بالعلوم الحديثة . أسس جيشًا حديثًا مهمًا ، هو الجيش الحديث الأول من نوعه على الطراز الأوروبي بين أقطار العالم عدا أوروبا . ألغي في 1807 . جُدد تشكيله عام 1808 باسم سكبان جديد . وفي السنة التالية ، ألغي بشكل تام في حادثة علمدار . سبب الانكشاريون حتى 1826 دخول الدولة العثمانية في فترة رجعية تامّة . شكل محمود الثاني الذي ألغى حاميات قابوقولو في 1826 جيشًا باسم عساكر منصوره محمّدية وبعد فترة وجيزة ، سمي هؤلاء « عساكر شاهانه » و « أوردوي عثماني (الجيش العثماني) ،« أوردوي همايون » . شُكل جيش حديث وأخذت مدرسة الحربية في تخريج ضباط المشاة والخيالة . كان توفيقًا كبيرًا جنيت ثمرته بسرعة . ولكن يجب نسيان فترة تجربة النظام الجديد الطويلة . وبفضل تلك التجربة ، وأمكن التحرك بشكل منتظم

وأساسي إلى هذه الدرجة .

25 – الجيش الإمبراطوري التركي الحديث :

نجح الجيش الحديث الذي أسس في 1826 في ظروف تخلّلتها المشقات ، اليأس ، كوارث الحرب الروسيّة ، وقد كان البادشاه يحضر التدريب بنفسه ، وتطور حتى 1839 ، وأصبح أحد جيوش العالم المعتبرة المعدودة . ترك السياسة بشكل تام . وأساسًا فإن السلاطين لم يستخدموا الجيش لسياساتهم الشخصية في أي وقت من الأوقات ، طيلة التاريخ العثماني من أوله إلى آخره . إن الذي زج الجيش في السياسة ، هو ضباطه وقواده . حدث ذلك في 1876 . عزل عبد الحميد الثاني ــ بتدابير متعدّدة جدًا ، الجيش عن السياسة . ولكن في 1908 ، انغمس ــ وبالأصح أركانه وضباطه في السياسة إلى رقابهم . ولم يعد يستطيع بعدها الخروج من السياسة . وانهارت الإمبراطورية . وبتأسيس تشكيلات الجندرمة (الدرك) والضبطية (الشرطة) ، خفت أعباء الجيش . أسست كل المدارس العسكرية .

أنشأ محمود الثاني مقام سرعسكر بعد الواقعة الخيرية فورًا . سرعسكر ، هو رئيس الجيش العثماني . هو في الوقت نفسه وزير دفاع وكذلك رئيس أركان الجيش . وفي الوقت نفسه هو قائد القوات البرية كذلك ؛ بفارق واحد ، هو أن الأسطول والقوات البحرية ، لا تدخل ضمن صلاحياته . سرعسكر ، ناظر وعضو في الوزارة وفي تشريفات الوزارة ، غالبًا يلي الصدر الأعظم وشيخ الإسلام . عسكري يحمل رتبة مشير (ماريشال) . يشترك في الوزارة بلباسه الرسمي . هو وكيل القائد العام الذي هو البادشاه ، المسئول عن رعاية شئون الجيش ، هو القائد العلم الفعلي . لكن لقبه يصبح أثناء القتال « سردار أكرم » (قائد أعلي) وبعد المشروطية (1908) « وكيل القائد العام » بازدياد صلاحياته . تغير اسم سر عسكر ، بعد المشروطية (1908) إلى « ناظر الحربية » .

ضرب رضا باشا الذي يسمي « جهان سر عسكر » الرقم القياسي لشغله هذا المقام لـ 8 مرات (خلال 1843 - 1876 مجموعها 5 . 10 سنوات) . أما خسرو باشا الذي

صار صدرًا أعظم كذلك ، فقد بقي في هذا المقام 10 سنوات ، شهرين (1827 - 1836 +1854 - 1846) . أما محمد رضا باشا فهو السرعسكر الأخير الذي ضرب الرقم القياسي ببقائه 16 سنة و 10 أشهر و 18 يومًا (5 / 9 / 1891 – 23 / 7 / 1908) . شغل غازي عثمان باشا الشهير مقام سر عسكر 3 دفعات مجموعها 6 سنوات ، 4 أشهر (خلال 1878 – 1885) . وشغل أنور باشا نظارة الحربية مدة 4 سنوات ، 9 أشهر ، 12 يومًا (3 / 1 / 1914 – 14 / 10 / 1918) لم يكن نظّار الحربية مشيرين فبينهم من كان برتبة فريق أول ، فريق وحتى لواء .

إن « أركان حربية عمومية رئيسي » لا يعادل حاليًا رئيس أركان الجيش . هو رئيس أركان السرعسكر أو ناظر الحربية . رتبته مشير ، فريق أول أو فريق . تشكلت القيادة العامةللجندرمة (الدرك) في 1877 . رتبته فريق أو لواء . شكّلت نظارة أو مشيرية الضبطية (الشرطة) في 1846 . اشترك في الوزارة في بعض العهود . هو من الموظفين الذين يطلق عليهم اسم « ناظر » مع أنه خارج الوزارة علي الأغلب . عين لهذا المنصب المشيرون والفرقاء ولكن غالبًا ، عين أحد متخرجي المدارس الملكية بدرجة وزير .
أسست مشيرية الطوبخانة العامرة في 1826 . ثم ألحقت بهذه النظارة ، المدفعية ، بالاستحكامات ، القلاع ، المعامل العسكرية ومن ثم المدارس العسكرية . كان مشير الطوبخانة ، ناظرًا وعضوًا في الوزارة . كان عضوًا عسكريًا ثالثًا في الوزارة ، بعد سرعسكر وقبودان دريا (ناظر البحرية) . رتبته مشير ونادرًا (1826 - 1832 + 1873 - 1844 + 1872 - 1876) فريق. ضرب مصطفى زكي باشا الرقم القياسى ببقائة في هذا المنصب 16 سنة و 10 أشهر و 24 يومًا (30 / 8 / 1891 — 23 / 7 / 1908) . هو آخر مشير للطوبخانة . ألغيت هذه المشيرية في 1908 وألحقت بنظارة الحربية . شغل أحمد فتحي باشا هذا المنصب مرتين مجموعهما 11 سنة ، 10 أشهر (1845 - 52 + 1853 - 57) .

آخر ناظر للضبطية ، هو الوزير شفيق باشا ، وضرب رقمًا قياسيًا في بقائه في هذا المقام مدة 11 سنة ، 8 أشهر ، 19 يومًا (4 / 11 / 1896 – 23 / 7 / 1908) . أدمجت هذه النظارة بعد ذلك في وزارة الداخلية باسم « مديرية الأمن العامة » .

أسست مدرسة « مكتب حربية شاهانه » في 1834 ومكتب أركان حربية شاهانه في 1848 . كلتاهما بقيادة شخص واحد برتبة فريق . انفصلت المدرستان العسكريتان

عن بعضهما في 1909 . فتحت لفترة من الزمن في أدرنة وفي مدينة أو مدينتين ، مدارس حربية أخرى . أما المدارس العسكرية المتوسطة والثانوية ، فكانت موجودة في مدن عديدة من الإمبراطورية أشهرها في المضيق في إستانبول المسماة كوله لي .

كان الجيش العثماني ، يعتبر الجيش الثالث بين جيوش العالم بعد فرنسا وروسيا حتى 1871 . وكان الرابع بعد ألمانيا ، روسيا وفرنسا حتى 1877 . كان يضم 700 ألف جندي تحت السلاح وأسلحته حديثة . تعذر الحفاظ على هذا المستوى بعد هزيمة 93 ، ومع ذلك فقد أمكن الحفاظ على جيش تفوق قوته ، قوة مجموع الدول البلقانية ، وله اعتبار بين جيوش الدول الكبرى . كان لدى العثمانية عام 1908 ، حوالي 405 آلاف (535 ألفًا مع قوات الدرك وقوات حميدية المليشية) جندي تحت السلاح ، وكانت الخامسة في عدد الجنود بين جيوش العالم (روسيا 000 260 1 ، ألمانيا 610 آلاف ، فرنسا 575 ألفًا ، انجلترا 450 ألفًا ، النمسا – المجر 380 ألفًا ، إيطاليا 280 ألفًا ، أمريكا 190 ألفًا ، اليابان 175 ألفًا ، أسبانيا 130 ألفًا) عدد جيوش الدول البلقانية في هذا التاريخ كانت عبارة عن ، 70 ألف رومانيا + 36 ألف قرة داغ + 30 ألف صربي + 20 ألف من اليونان . وفي عام 1908 نفسه ، كانت ميزانية القوات البرية العثمانية 7 ملايين ليرة ذهبية وكانت العاشرة بين دول العالم (روسيا 5 . 73 ، ألمانيا 44 ، فرنسا 34 ، أمريكا 31 ، النمسا 5 , 16 ، إيطاليا 14 ، اليابان 25 , 11 ، أسبانيا 25 , 7 ، السويد 5 , 3 ، هولندا 3 ملايين ليرة ذهبية) . وميزانية القوات البرية لدول البلقان ؛ رومانيا 2 + صربيا 1 + اليونان 75 , – مليون ليرة ذهبية ، ميزانية قره داغ ، كانت ليست ذات أهمية وكانت اليونان فقط هي التي تملك قوة بحرية .

كانت ميزانية القوات البرية العثمانية عام 1876 ، 10 ملايين ليرة ذهبية ، وكانت ميزانية جيوش الدول الأوروبية حينذاك مقارنة لذلك ، ولم يكن هناك فرق كبير .

جيش التنظيمات ، كان مقسمًا إلى 7 وحدات كبيرة كل منها تسمى « جيش » (بالفرنسية Armèe ، بالإنجليزية army) . ومراكز هذه الجيوش حسب تسلسل أرقامها إستانبول ، أدرنة ، مناسطر (نقل بعد ذلك إلى سلانيك) ، لرزنجان ، شام ، بغداد وصنعاء . أما الفرقة الموجودة في مكة (وهي واحدة) والفرقة الأخرى الموجودة

في طرابلس الغرب ، فلم تكونا تابعتين لأي جيش ، وكانتا مرتبطتين كالجيوش بإستانبول (**Almanach de Gothe** ، **1909** ، ص **1136** ، **1145 - 6**) . كانت رتب قواد الجيش مشيرًا أو فريقًا أول أو فريقًا . وقد شوهد بعد المشورطية ، قواد جيش برتبة لواء .

كانت العسكرية إجبارية بموجب قوانين **1880**, **1888** و **1904** (المشاة والبحرية **3** سنوات ، الخيالة والمدفعية **4** سنوات) يسرّح خلال **3** أشهر الذين يسدّدون بدلاً نقديًا يبلغ **50** ليرة ذهبية . لا يوجد نظام ضباط احتياط كانت المدة حتى **6** سنوات بعد التسريح ، تشكل « الاحتياط » و **9** سنوات بعدها « رديف » وسنتين بعدها تشكل « مستحفظ » . إن الأصناف المذكورة ، كانت تدعى للعسكرية وقت النفير العام بموجب هذا التسلسل . لا يدعى إلى العسكرية في الحرب من أمضى **17** عامًا على تسريحه (لم تطبق هذه القاعدة في الحرب العالمية الأولى) كان المجند تحت السلاح يسمى « نظامية عسكري » (جندي نظامي) . كانت الدولة تجند وتدرب سنويًا **70** ألف شخص على أقل تقدير . والراغبون منهم يمكنهم ترك تذكرة التسريح . أي أن الجندي الذي يرغب في الاستمرار في العسكرية ، كان بإمكانه البقاء في الجيش . وبسبب تطبيق نظام ضباط الاحتياط (بالعثمانية احتياط ضابطليكي) لأول مرة عام **1914** ، لم يكن المثقفون والموظفون يطبقون العسكرية ، كان كل الضباط ، نظاميين ، قل جدًا في هذا الدور عدد « آلايلي ضابط » أي الضابط الذي لم يتخرج من الحربية أو ما يعادلها من المدارس وتدرّج في وحدته ، لكن بعضهم كان كثير التجربة .

وكانت القوات البرية كذلك ، مقسمة بنفس النظام ، إلى **7** جيوش . وفي الحقيقة فإن هذه الجيوش كانت وقت الصلح على شكل فيالق نظامية . كان يضاف وقت النفير ، إلى كل جيش من هذه الجيوش فيلقان من الرديف وفرقة من المستحفظ . وهكذا كان كل الجيش قد خطط على شكل **3** فيالق + **1** فرقة . كل فيلق نظامي ، كان يتكون من **4** فرق . وبذلك يكون الجيش الواحد وقت الحرب = **4** نظامية + **11** رديفًا + فرقة مشتحفظ = **16** فرقة × **7** = **112** فرقة مستقلة = **114** فرقة ، تشكل جيشًا عثمانيًا . إن هذه الفرق الـ **114** ، هي فرق مشاة . وفرق الخيالة ليست ضمن هذا العدد . إلا إن ألوية وكتائب الخيالة ، ألوية وكتائب المدفعية ، ألوية وكتائب

الاستحكام الموجودة في الجيش ، الفيالق والفرق ، كانت تدخل ضمن هذا العدد . لكنه في 1904 ، تم تأسيس 5 فرق نظامية إضافية . وبناء علي ذلك يكون تشكيل الجيش في النفير العام التام 7 جيوش ، 21 فيلقًا ، 117 فرقة ؛ وفي السلم 7 جيوش و 35 فرقة نظامية .

كانت فرقة المشاة الواحدة = 4 كتائب ذات 4 سرايا+ سرية قناصة واحدة + وحدات المدفعية ، الاستحكامات إلخ .. كانت فرقة المشاة الواحدة = 17 سرية و الكتائب الأربع الموجودة في فرقة مشاة واحدة ، قد نظمت علي شكل لواءين منفصلين ؛ أي أن كل فرقة ، تتكون من لواءين والوحدات التابعة . مثلاً ، فرقة الحجاز المستقلة المتمركزة في مكة ، كانت على هذا الترتيب : 17 سرية مشاه + سريتا مدفعية جبلية + 3 سرايا مدفعية قلاع + وحدات درك خيالة . والفرقة المستقلة المتمركزة في طرابلس الغرب ، 17سرية مشاة + كتيبة مدفعية واحدة ذات 4 سرايا + لواء خيالة واحد (كل واحد منه يتكون من كتيبتين كل منهما ذات 10 فصائل) .

كانت فرق الخيالة القليلة العدد ، تتكون من 3 ألوية . وعلي هذا الأساس تكون فرقة الخيالة الواحدة = 6 كتائب خيالة . وفي 1903 ، خصص للفيلق الواحد ، كتيبة خيالة إضافية واحدة ، ولفيلق آخر كتيبتا خيالة إضافية . وهكذا ارتفع عدد الكتائب في بعض فرق الخيالة إلي 7 .

كتيبة مشاة واحدة ، كانت تتشكل من 10 وبعضها من 13 فصيلة ؛ أما كتيبة الخيالة الواحدة ، فكانت تتشكل من 5 فصائل . كتيبة المدفعية الواحدة ، كانت ذات 3 وبعضها 4 أو سريتين . وكل سرية تحتوي علي 3 بطاريات (فصيلة مدفعية) . وعلي هذا الأساس ، تحتوي كتيبة المدفعية الواحدة على 10 ، لكن بعضًا يحتوي على 13 أو 7 بطاريات . إذا اجتمعت كتيبتا مدفعية تشكلان لواء مدفعيًا واحدًا . كل جيش له لواء مدفعي يحتوي علي 20 بطارية . وإضافة إلي ذلك ، كان هناك 10 ألوية مدفعية على هذا الشكل . وكذلك كانت قد خصصت كتيبة هاون واحدة إلي كل من الفيلقين الثاني والثالث . كتيبة الهاون الواحدة ، كانت تحتوي على فصيلتين و 6 بطاريات .

أما وحدات الاستحكام ، فكانت قد خصّصت سرية استحكام واحدة لكل جيش .

ومن ناحية أخرى ، كانت توجد كتائب وسرايا استحكام مرتبطة بمشيرية طوبخانة . توجه في حالة الحرب لخدمة الجيوش حسبما تقتضيه الحاجة .

كان لكل جيش ، سرية واحدة أو سريتا نقل وفصيلتا لاسلكي - تلفون . كان للجيش الخامس سريتا نقل إضافيتان (أي 4 فصائل) . وتوجد كذلك 5 سرايا إطفاء .

كانت السرية الواحدة وقت السلم تضم من 400 إلى 600 جندي . وفي وقت السلم أيضًا ، كانت فصيلة الخيّالة الواحدة ، تتشكل من 60 إلى 120 حصانًا . كان المشاة يحملون بنادق ماوزر Mauser من عيار 65 , 7 و 5 , 9 ملم ذات 5 و 9 خراطيش . كان لدى الخيال عدا سيفه ، بندقيته القصيرة ، مسدسه ، بعضهم كان يحمل الرمح .

كانت المدفعية مقسمة إلى 15 لواء . تحتوي الـ 15 لواء هذه ، على 35 كتيبة مدفعية . كلها كانت 271 بطارية . كل بطارية تحتوي على 6 مدافع ، سواء في السلم أو في الحرب . وهكذا تتشكل المدفعية من 626 1 مدفعًا سيّارًا . كان توزيع الـ 271 بطارية ، على هذا الشكل : الجيش الأول 39 ، الجيش الثاني 58 ، الجيش الثالث 77 ، الجيش الرابع 39 ، الجيش الخامس 26 ، الجيش السادس 17 ، الجيش السابع 7 ، فرقة طرابلس 6 ، فرقة حجاز بطاريتان . وعدا هذا ، مدفعية القلاع 146 بطارية ؛ 79 بطارية منها تابعة لأمر مشيرية طوبخانة وليس لأمر السرعسكرية . هذه البطاريات ، كانت تحتوي على 678 مدفعًا . إذن . فإن القوات البرية العثمانية كان لديها 1626 مدفعًا سيّارًا + 876 مدفعًا ثابتًا وجمعها 2502 مدفع . أعطيت 24 بطارية من بطاريات القلاع الثابتة لاستخدام الجيش الأول ، 11 للجيش الثالث ، 23 للجيش الرابع ، 3 للجيش الخامس ، 3 للجيش السابع و 3 بطاريات أعطيت لأمر جيش الحجاز .

كان الجيش الأول يحتوي على 5 سرايا من جنود الاستحكام ، الثاني 2 ، الثالث سرية ، والرابع سرية والجيش الخامس يحتوي على فصيلة واحدة من جنود الاستحكام ، السادس 1 ، السابع 1 . ومن جهة أخري ، كانت هناك 63 فصيلة صناع على شكل لواء تابع لأمر مشيرية طوبخانة . كان يدرّب ويخرّج عمالاً متخصصين ورؤساء عمل مهرة .

قوات الدرك (الجندرمة) كانت = 544 فصيلة مشاة + 200 فصيلة خيّالة . كان الجيش يحتوي على 519 سرية مشاة . وفي 1908 ، كان الجيش يحتوي على 410 آلاف جندي نظامي و 50 ألف درك تحت السلاح . ويجب إضافة مجموع أفراد كتائب حميدية إلي هذه الأرقام .

كتائب حميدية كانت كما يلي : كتائب خيّالة خفيفة يشكلها في الأناضول الشرقية ، المتطوعون الأكراد ، وفي ليبيا العرب البرابرة . شكّلت في الأناضول الشرقية لمجابهة حركات العصيان الأرمنية ، وفي ليبيا تجاه احتمال سيطرة الإيطاليين . ورغم أن انكلترا وفرنسا استعملتا في ذلك العهد هذا النوع من الجند ، وبسبب تشكيل الدول الإمبريالية قوات ميليشية من هذا الطراز ، فقد تألّبت على عبد الحميد الثاني بشدة . ضباط هذه الكتائب من الأشراف المحليين أو أبنائهم . يجوز ترفيعهم إلي رتبة عقيد . رتبهم كانت معتبرة داخل كتائبهم فقط . شكل في ليبيا الضباط العثمانيون 17 كتيبة مشاة على النمط نفسه و 6 كتائب خفيفة التي يشكل مجموعها 30 فصيلة خيّالة . إن هذه الوحدات قد أذاقت الإيطاليين الأمرّين حتي عام 1930 .

كان بإمكان الإمبراطورية أن تعبيء في أوقات النفير العام 1 683000 جندي برّي ، لكن 123 ألفًا من هؤلاء لم يكونوا مدربين تدريبًا عسكريًا نظاميًا (40 ألف متطوع حميدية كردي ، 40 ألف متطوع ألباني ، 3 000 لبناني) . لم تحتسب القوات المصرية ضمن هذا العدد . إذ كان من المشكوك فيه ، في حالة نشوب حرب أن تتمكن مصر من التخلص من انكلترا والانضمام إلي جيش الإمبراطورية . كان الجيش المصري في 1908 يحوي 709 ضباط ، و 123 ضابطًا إنجليزيًا مستخدمًا بأجرة ، 381 18 جنديًا ، 207 ضابط شرطة ، 127 3 شرطيًا ، 153 ضابط درك ، 697 1 درك . أكثرية الضباط المصريين من أصل تركي (أو ألبانيون مستتركون ، جراكسة ، أباضه) .

لا تدخل قوات الأمن التركية ، ضمن الأرقام الملونة أعلاه .

وبعد المشروطية ، كانت تشكيلات القوات البرية 40 فرقة نظامية وقت الحرب 58 فرقة مشاة رديف = 118 فرقة . كانت مراكز 14 فيلقًا في 1 911 كما يلي : 1 استانبول ، 2 تكرداغ ، 3 قرقلارايلي ، 4 أدرنة ، 5 سلانيك ، 6 مناسطـر ،

7 اسكب ، 8 شام ، 9 أرضروم ، 10 آرزنجان ، 11 وان ، 12 موصل ، 13 بغداد ، 14 صنعاء . وعدا ذلك ، فرقة مستقلة في مكة وأخري في صنعاء . كانت رتب قواد الفيالق ، فريقًا أو لواء .

أشهر المدارس العسكرية هي : في إستانبول ، مكتب حربية شاهانه (المدرسة الحربية) ، مكتب أركان حربية شاهانه (الأكاديمية الحربية) ، مكتب طبية عسكرية شاهانه ، مكتب بيطرية عسكرية ، مدرسة المدفعية ، مدرسة الرمي للمشاة ، مدرسة الضباط الاحتياط ، مدرسة الضباط الصغار (ضباط الصف) ، الإعدادي العسكري (كوله لي) ، مدرسة ضباط الصف الابتدائية ؛ مدرسة الفروسية ، مدرسة الخيّالة لضباط الصف ، مدرسة اللّوازم ، مدرسة الدائرة الحربية ، الرشدية العسكرية . خارج استانبول : مدرسة الضباط الصغار في كل من أدرنة ، سلانيك ، بيروت ، أرزنجان ، بغداد ، شام ، مناسطر ، طرابلس الغرب ؛ مدارس عسكرية متوسطة في 22 مدينة (أدرنة ، أرزنجان ، أرضروم ، بورصه ، طرابزون ، دياربكر ، قسطموني ، قونيه ، وان ، معمورة العزيز ، بتليس ، سيواس ؛ مناسطر ، اسكب ، سلانيك ، اشكودرا سليمانية ، بغداد ، شام ، حلب ، صنعاء ، طائف) .

القوة البحرية

1 – قبل العثمانية :

الجيش التركي هو من أقدم جيوش العالم التقليدية ، إذ يرجع تاريخه إلى 3 000 سنة ، ويحتمل أنه أقدمها . ولكن هذا القول لا ينسحب علي القوة البحرية .

لم تشكل قوة بحرية تركية ، لحين قدوم الأتراك إلى الأناضول في نهاية العصر 11 . أما بالنسبة للمسلمين العرب ، فكانوا يملكون في القرون الوسطي قوات بحرية ذات قدرة كبيرة . وعندما استوطن الأتراك في الأناضول كوطن أم ثان لهم ، انتقلوا إلي جغرافية مختلفة ؛ كان مناخ الأناضول بالنسبة لوطنهم الأم السابق ، أكثر حرارة ، وأكثر اعتدالاً . كانت أراضيه أصغر جدًا من وطنهم القديم . ويختلف تمامًا عن وطنهم الأم السابق لكونه شبه جزيرة محاطة من جهاتها الثلاث بالبحر . ثم فتح الله عليهم بيزنطة ، والبيزنط ، كانوا يملكون أعظم أسطول في العصر 11 . وعلي ذلك ، فإنهم إن كانوا عازمين علي البقاء في هذه الأراضي – وكانوا مصمّمين على ذلك – فإنه يتحتم عليهم أن يمتلكوا قوّة بحرية .

أسسوا قوتهم البحرية بسرعة كبيرة وبقدرة فائقة . واتخذوا البحرية البيزنطية وخاصة الإيطالية قدوة لهم . لم يهتموا ببحرية المسلمين العرب التي كانت تسيطر علي البحر الأبيض والمحيط الهندي (التي كانت تشمل الأسطول الحربي والتجارة البحرية معًا) . و لم تتمكن أية دولة تركية أخرى عدا الدولة التركية ، تركية السلجوقية وتركية العثمانية من تأسيس قوة بحرية . وبناء على ذلك ، فإن تاريخ البحرية التركية ، عبارة عن 900 سنة .

أسّس جابك بك ، في أزمير الأسطول السلجوقي في السنوات الأخيرة من العصر 11 . وقهر الأسطول البيزنطي . لكن سرعان ما جهزت الحملة الصليبية الأولي . أزيح

الأتراك من كافة السواحل الأناضولية والبحار . شهدت الدولة التركية وجه البحار مجددًا ، مع بداية العصر 13 . الحقيقة أنها لم تتمكن من الوصول إلى مرمرة وإيجه كالسابق ، لكنها توصلت إلى البحرين الأسود والأبيض وأخذت في توسيع سواحلها ، واضطرت إلى تأسيس أسطولين أحدهما في سينوب على البحر الأسود وفي علائيه في أنطاليا على البحر الأبيض . وحتى قرم ، فتحها علاء الدين كيكباد بواسطة أسطول البحر الأسود .

لم يدم الأسطول الثاني هذا طويلاً . إذ تعرضت تركيا للاجتياح المغولي . ضعفت جدًا قوتها البحرية . لم يهتم المغول بالأسطول أبدًا . لكن أمراء (بك) المقاطعات الحدودية (أوج) التركمانيين الذين عينهم السجوقيون في الأناضول الغربية تجاه البيزنطيين في السنوات الأخيرة من العصر 13 ؛ تمكنوا من الوصول إلى بحر إيجه ، وحتى مرمره استولوا من البيزنطيين على كافة سواحل بحر إيجه . أسست الإمارات التركمانية التي أصبح لها ساحل في إيجه ، أسطولها ، هو الأسطول الثالث لتركية . إن هذه الإمارات (بكلك) من الشمال إلى الجنوب كاراسي ، ساروهان ، آيدن ومنتشه . كان أقوى هذه الأساطيل أسطول آيدن ثم منتشه . سيطر آيدن أوغلو أومور بك ، بعد جاكابك بعصرين – عصرين ونصف على بحر إيجه بصفة أميرال كبير . حقق إنزالات كثيرة على اليونان ، مكدونيا ، الجزر . استشهد أمام قلعة ازمير تجاه فرسان الصليبيين (1348) . وخلال السنوات التي استشهد فيها ، كان بنو عثمان قد فتحوا إمارة كاراسي ووصلوا إلى مرمرة ، إيجه ، بوغاز جنا قلعة . واغتنموا أسطول كاراسي وبحارة هذا الأسطول . وبفضل أسطول كهذا ، بدأ عثمان أوغلو سليمان باشا بفتح روملي (1354) . ثم ضم يبلدرم بيازيد بحملة واحدة كلا من إمارات ساروهان ، آيدن ومنتشه (1390) ، وانتقلت أساطيلها جميعًا إلى العثمانية .

2 ـ تشكيل القوة البحرية العثمانية :

أصبحت البحرية العثمانية اعتبارًا من 1390 قوة بحرية لا يستهان بها . إن حادثة انقره 1402 عرقلت تطور هذا الأسطول . تأثر محمد الفاتح عند اعتلائه العرش (1451)

لعدم إحراز بحريته الأولوية في العالم كما أحرزها جيشه . ضحى بالكثير في سبيل تأسيس بحرية تؤهله من وضع قواعد الدولة العالمية العظمى . كانت القوة البحرية التي لا منافس لها في العالم هي الأسطول البندقي . فاتح الذي تمكن قبيل 1470 من جعل قواته البحرية معادلة لقوات البنادقة ، ترك عرشه لابنه بيازيد الثاني (1481) بعد أن أوصل قوته البحرية إلى ضعفي قوة البنادقة قبل عام 1480 . صرف بيازيد الثاني جهودًا جبارة للمحافظة على مستوى الأسطول وتطويره . كان قورقودخان ، أحد أولاده يعشق البحر ، السفن والبحّارة ، كان يحميهم كثيرًا . صرف كامل جهده لتكوين صنف فدائيين (كوماندو بحري) . صار واليًا لمدة طويلة جدا على ولايات العثمانية الواقعة على إيجه والبحر الأبيض . بسط حمايته على الأخوة بربروس .

عني السلطان ياووز سليم (1512 - 1520) كثيرًا بالأسطول . أما السلطان سليمان القانوني (1520 - 1566) فقد اهتم للمرة الأولى والأخيرة في التاريخ العثماني ، بالأسطول اهتماما مساويا لاهتمامه بالجيش ، وفي بعض السنوات كان اهتمامه بالأسطول أكثر . وأصبحت القوة البحرية العثمانية تفوق مجموع القوات البحرية في العالم كما هي الحال في جيشها تمامًا .

تتابع ظهور العديد من أميرالات العثمانيين الأفذاذ . أولهم كمال رئيس (وفاته 1511) . سار إلى غرب البحر الأبيض وإلى الأندلس . انتصر على البنادقة في أول حرب تركية في البحار المفتوحة في السنوات الأخيرة للقرن 15 (Sapienza = حرب جزيرة براق رئيس) .

أوروج رئيس (وفاته 1518) بدأ بفتح إفريقيا الشمالية من الأسبان وحال دون جعلهم المغرب كالأندلس أمريكا لاتينية .

سلمان رئيس (وفاته 1529) ، صار قائدًا بحريا لدولة المماليك ، كافح كثيرًا في البحار الهندية مع أميرالات عثمانيين قديرين في سبيل طرد البرتغاليين من المياه الإسلامية .

آيدن رئيس (وفاته 1535) الذي خدم في شبابه لدى المماليك ، احتل مكانته بين أقدر أميرالات الأخوة بربروس وحارب أسبانيا في غرب البحر الأبيض مع صديقه سنان رئيس .

بربروس خير الدين باشا (اسمه الأصلي : خضر رئيس) (وفاته 1546) أخو أوروج رئيس ، فتح كامل الجزائر وأصبح قبودان دريا (مشير البحر) للقوات البحرية العثمانية . أبناؤه بربروس – زادة حسن باشا الأول (وفاته 1549) و بربروس – زادة حسن باشا الثاني (وفاته 1572) سار على إثره ، وصار بكلر بك (أمير الأمراء برتبة فريق أول) على الجزائر لمدة طويلة .

محيي الدين بيري رئيس (وفاته 1555) – هو ابن أخي كمال رئيس – خدم كأميرال للإخوة بربروس في البحر الأبيض ، ومن ثم في بحار الهند وأصبح أشهر رسام خرائط جغرافية Cartography وجغرافي بحار في عصره .

قازداغلي (من أهالي جنا قلعة) صالح باشا (وفاته 1556) ، أصبح من الأميرالات المقربين جدًا للإخوة بربروس ، فتح فاس ، توفي عندما كان بكلر بك على الجزائر .

سيدي علي رئيس (وفاته 1563) اشتهر كذلك بكونه أميرالاً لبربروس ، جاب بحار الهند ، ولمع كعالم قدير جدا في الجغرافيا والعلوم الرياضية .

منتشلي طرغد باشا (وفاته 1566) ، تدرج على يد بربروس ، سيطر مدة طويلة على البحر الأبيض بصفة أميرال لصنف القراصنة واستشهد في مالطة .

داماد ايكينجي وزير بياله باشا (وفاته 1578) ، امّن السيطرة على البحر الأبيض لمدة طويلة جدًا بصفة (قبودان دريا) قائد القوات البحرية العثمانية .

قيليج علي باشا (وفاته 1587) . أعقبه كقائد للقوات البحرية .

رمضان باشا (وفاته 1589) ، فتح فاس وقضى على دولة البرتغال .

مراد رئيس (وفاته 1608) توفي في رودس كآخر عضو من سلالة الأميرالات الفاتحين .

ويجب أن نذكر ميزومورتا حسين باشا في أواخر العصر 17 وداماد كوجوك حسين باشا في السنوات الأخيرة للعصر 18 كحلقات أخيرة أفلتت من هذه السلسلة الذهبية .

لا يوجد في العصر 17 أميرالات أفذاذ ، ولا انتصارات بحرية كبيرة كالعصر الذي

سبقه . ما زالت البحرية العثمانية ، القوة البحرية الأولى في العالم ومسيطرة على البحر الأبيض . وفي النصف الأول من العصر 18 ، كانت كذلك . تكتسب البحرية الإنكليزية تفوقها الأكيد في كل البحار ، في النصف الثاني من العصر . حافظت البحرية العثمانية على كونها القوة البحرية الثالثة في العالم حتى 1878 بعد إنكلترا وفرنسا . ثم تدهورت بسرعة إلى المراتب المتأخرة . إذ إنها كانت محرومة من المصادر المالية التي تمكنها من مواجهة أعباء سياسة قوة بحرية عظمى .

غيّر ميزومورتا حسين باشا في أواخر العصر 17 أسطول المراكب التي تسير بالمجاديف ، إلى أسطول سفن شراعية . أسس سليم الثالث قوة بحرية جديدة تمامًا . أُحرق هذا الأسطول في نافارين عام 1826 . أسس محمود الثاني أسطولاً جديدًا . أما السفن المدرعة ، فقد أسسها السلطان عبد العزيز (1861 - 1876) .

3 - قبودان دريا (مشير البحر) :

كان يطلق في عهد السلاجقة ، على أميرال أسطول البحر الأسود « رئيس البحر » . كان مقره في سينوب ، أما أميرال أسطول البحر الأبيض المقيم في أنطالية ، فكان يسمى « أمير السواحل » ، وأحيانًا « ملك السواحل » كان العثمانيون يسمون قائد القوات البحرية باسم « قبودان دريا / قبدان دريا » ، (وبلغة الشعب قبطان باشا) .

لكنه لم يكن قائدًا للقوات البحرية. كان ناظرًا للبحرية وعضوًا في الديوان الهمايوني . وإضافة إلى ذلك ، كان واليًا بحريًا عامًا (بالفرنسية Gouverneur Moritime) على إيالة قبطان باشا المسماة جزائر بحر سفيد (جزر البحر الأبيض) . كانت هذه الإيالة ، إيالة متناثرة تشمل جزر بحر إيجه ، شبه جزيرة غاليبولي وعددًا كبيرًا من القواعد البحرية الموجودة في شرق ووسط البحر الأبيض التي تشكل ولايات بحرية . القبودان دريا ، ليس تابعًا للقوة البرية بأي شكل من الأشكال ، هو حر تمامًا . آمره المباشر ، هو الصدر الأعظم ،ثم البادشاه .

إلا أنه توجد قوات بحرية ليست تحت إشراف القبودان دريا ومرتبطة بالديوان وبالصدر الأعظم بصورة مباشرة . وهي الأساطيل الخفيفة الموجودة في الأنهار كالطونة ، الفرات ، النيل ، قبودانية (قيادة بحرية) الهند أو السويس التي تشرف

على المحيط الهندي والبحار المغلقة ، ولفترة من الزمن ، كانت قبودانية (بحر) الخزر ضمنها . قبودان دريا ؛ كان قائدًا للبحر الأبيض ، البحر الأسود وجميع البحار المغلقة والمحيط الأطلسي . أساطيل الإيالات البحرية ، الجزائر ، تونس ، طرابلس (ليبيا) ، كانت تحت إشراف بكلر بك الإيالة ، ولكن القبطان دريا ، له حق سحب تلك الأساطيل في الحروب الكبرى إلى البحار التي يرغب أن تسحب إليها . إذ إن تلك المناطق هي بحر أبيض كذلك .

شغل مقام قبودان دريا من تاريخ جلوس فاتح إلى الوقت الذي سمّي فيه القبودان دريا « بحرية ناظري » أي خلال 416 سنة ، وشهر ، 8 أيام (3 / 2 / 1451 - 13 / 3 / 1867) ، 159 أميرالاً وبعضهم شغل هذا المنصب مرات عديدة . يطلق على قبودان دريا الـ 6 الذين شغلوا هذا المقام خلال 1451 - 1463 لقب « بك » وهم برتبة لواء بحري (بحرية سنجق بكي) . والذي يليه فريق أول بحري (بكلر بك بحري)، واعتبارًا من العصر 17 ، كان أكثرهم وزراء بحرية برتبة أميرال كبير . ولم يكن عدد الصدور الأعظم الذين سبق أن شغلوا منصب قبودان دريا قليلاً . ورغم أن الصدر الأعظم داماد محمد علي باشا شغل هذا المنصب 6 مرات ، وداماد خليل رفعت باشا 4 مرات ، فإن الذين أكملوا مدة 10 سنوات في منصب قبودان دريا، هم :

الصدر الأعظم جزايرلي غازي حسن باشا 18 سنة ، وشهرًا واحدًا ، و19 يوما، (مصطفي الثالث ، عبد الحميد الأول ، وفي عهد سليم الثالث مرتين) ؛ قيليج علي باشا 15 سنة ، و 8 أشهر ، و 15 يومًا (سليم 2 ، مراد 3) ؛ الوزير الثاني داماد بياله باشا 14 سنة (القانوني ، سليم 2) ؛ بربروس خير الدين باشا 12 سنة ، وشهرين ، و 28 يومًا (القانوني) ؛ الصدر الأعظم داماد محمد علي باشا 12 سنة ، شهرا ويومين (6 دفعات ، عبد الحميد 1 وعبد العزيز 1) ؛ كوجوك داود باشا 12 سنة (دفعتين ، بيازيد 2) ؛ الصدر الأعظم قوجا محمد خسرو باشا 10 سنوات ، و 4 أشهر ، 12 يومًا (دفعتين ، محمود 2) .

أقام قبودان دريا في غاليبولي من 1354 إلى 15 / 5 / 1516 . وبعد 162 عامًا انتقل إلى قاسم باشا في إستانبول بأمر من ياووز . إن المنطقة الكبيرة المسماة قاسم باشا ،

كانت مليئة تقريبًا برجال البحرية . جميع تشكيلات القيادة البحرية ، ثكنات البحرية ، أكبر معمل ومصنع للسفن في العالم ، مخازن المصنع كلها كانت هناك . ظلّت نظارة البحرية كذلك فيها حتى 1922 .

4 ـ أميرالية السويس البحرية :

هو الأميرال الذي يسمى قبودان السويس أو قبودان الهند . هو لواء بحري مقره ميناء السويس . يتعاون مع الوزير بكلر بك مصر . لكن آمره ، ليس بكلر بك مصر ، وإنما هو الديوان والصدر الأعظم ، ولا يرتبط بالقبودان دريا (قائد القوات البحرية) ، إذ لم تكن قناة السويس قد فتحت بعد ولم يكن هناك منفذ إلى البحر الأبيض . لم تستعمل العثمانية أبدا طريق رأس الرجاء الصالح ، بسبب سيطرتها الكلية على البحر الأحمر كبحر داخلي ، حيث إنها في تلك الحالة ، تكون بعكس الأوروبيين ، قد أطالت طريق آسيا بشكل كبير . قبودان السويس كان واليًا على مدينة السويس ، كان الأسطول المرابط فيها وكذلك معمل المراكب ، تحت إشرافه . كان أعلى أميرال عثماني في البحر الأحمر ، خليج عدن ، بحر عمان ، خليج البصرة والمحيط الهندي . كان في هذه البحار ، مثلاً ، في البصرة ، في جدة ، في القطيف ، في عدن، أميرالات عثمانيون آخرون برتبة لواء ، لكن قبودان السويس ، كان آمرهم . عين ياووز عام 1517 . اول قبودان للسويس ، وهو سلمان رئيس ، قائد القوات البحرية للماليك ، ولكنه كان في الأصل أميرالاً عثمانيًا .

كان قبودان السويس ، يرسل أساطيله حتى أندونيزيا في الشرق وموزمبيق في الجنوب . وهو مسئول كذلك عن مضيق باب المندب ، وصيانته مغلقًا . لا يمكن لأية سفينة لا تحمل الراية العثمانية أن تدخل البحر الأحمر . ولكنه لم يتسن تأسيس سيطرة مطلقة كهذه في خليج البصرة ؛ أولاً ، كان مضيق هرمز مفتوحًا جدًا بالنسبة إلى باب المندب ، وكان لا يمكن غلقه نظرًا لقوات ذلك العهد البحرية ، وثانيًا ، لم يكن خليج البصرة بحيرة عثمانية كالبحر الأحمر . جميع السواحل الشرقية للخليج كانت لدى إيران . لم تكن إيران تملك أسطولاً ، لكنها لم تكن تسمح للعثمانية ، بالاقتراب من سواحلها .

تيسّر هبوط العثمانية إلى المياه الهندية بفتح مصر 1517 . لم تكن للعثمانية ، قبل هذا التاريخ أي سواحل على خليج أو بحر تابع للمحيط الهندي . صرف فاتح جهودًا عظيمة لغلق البحر الأحمر وذلك ببقائه في 1517 مدة طويلة في القاهرة (الذين تسلّطوا على البحر الأحمر في ذلك التاريخ هم البرتغاليون) . هبط ابنه القانوني ، إلى خليج البصرة في 1534 ، لم يستطع غلق هذا الخليج .

هذا الوضع الذي لخصناه ، كان هو الوضع الرسمي . لكن الحقيقة ، أن العثمانية كانت قد نفذت إلى البحار الهندية قبل 1517 ؛ ذلك أنها كانت قد استولت بصورة فعلية على أسطولي إمبراطوريتين إسلاميتين كبيرتين ، هما سلطنة المماليك وكجرات . وبأمر بيازيد الثاني وبطلب من سلطان مصر ، أصبح سلمان رئيس قائدًا للقوات البحرية للمماليك . جاء من الأناضول إلى مصر مع 2 000 لوند (بحارة)، وضباط مدفعية بحرية عثمانيين . كان بيازيد الثاني ، أبو ياووز قد وضع يده على البحرية المصرية بسياسة الحل السلمي ؛ لذا لم يبق أمامه سوي حل مسألة جيشها . أرسل سلمان رئيس ، أحد أميرالاته ، حامد رئيس ومعاونه حسن رئيس إلى شاهية كجرات دولة الهند العظمى . أسّس أميرالي العثمانية ، بدعوة من الشاه ، أسطولا في كجرات . ولم يكن أسطول كجرات فقط تحت إشراف الأتراك ، بل بقيت مدفعيته كذلك مدة طويلة تحت إشرافهم . وبناء على ذلك ، تكون العثمانية قد هبطت منذ زمن بعيد إلى بحر عمّان ، وبدأت بمناهضة البرتغال حول هذا البحر (ابن عياض ، 4 ,220 ,365 - 6) .

اجتاز الأميرال البرتغالي فاسكودي جاما من رأس الرجاء الصالح لأول مرة في التاريخ إلى المحيط الهندي . كان دليله ، مؤلف **كتاب الفوائد** للجغرافي البحري العربي المعروف ابن مجيد . رفع العلم العثماني ونزل في السواحل الشرقية من أفريقيا . أكرم أهالي أفريقيا الشرقية البرتغالي إكرامًا كبيرًا ، ظنًا منهم أنه أميرال البادشاه العثماني بيازيد الثاني . كان على سواحل موزمبيق وقتئذ ، سلاطين الشيرازيين العرب أصلاً الذين أعلنوا عام 1517 ولاءهم وتبعيتهم إلى ياووز . طلب فاسكودي جاما من السلطان الشيرازي ، شهاب الدين ابن مجيد النجدي واستصحبه معه إلى الهند .

أسس القانوني قيادة بحرية في اليمن وربطها بقيادة السويس . وأسس في جدة أميرالية

أخري . أسّس كذلك لواءين بحريين في كل من البصرة والقطيف على خليج البصرة . وفي 1554 ، فصل منطقة نجد وجميع السواحل الغربية لخليج البصرة من إيالة البصرة وأسس إيالة لحساء (167, 2, Muhimme) . عيّن برتبة الباشوية لهذه الإيالة أمير لواء طرابزون بييقلي أوغلو مصطفى بك لمعرفته اللغة العربية بسبب ولايته على اليمن سابقًا ، وهو ابن فاتح دياربكر آق قويونلي بييقلي محمد باشا (بجوي ، 1 ,224).

وبناء على ما توافر لدي من الوثائق، فإن أول تركي اجتاز المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي ووصل البصرة عن طريق رأس الرجاء الصالح ، هو فائق أفندي الذي كان ملازمًا أول بحريًا في 1864 ، اسم سفينته بصرة ، قبل فتح قناة السويس بمدة قصيرة ، ثم أصبح بعد ذلك أميرالاً (1845 - 1909) . حقق ذلك بغرض إشباع هوايته وبأمر من السلطان عزيز الذي له هواية كبري بالبحار .

ذهبت الأساطيل العثمانية التي سارت إلى سومطرة وماليزيا مرات عديدة ، إلي سيام (تايلاند) كذلك . وفي عهد القانوني ، بعد اشتراك خير الدين رئيس ، في حملة الهند 1538 كأحد قواد سليمان باشا ، انفصل في ميناء ديف (Div) التابع لكجرات بأمر سليمان باشا (الذي صار صدرًا أعظم بعد ذلك) بغرض استكشاف خليج بنغال . واجتاز من مضيق بالك Palk إلي خليج بنغال . ورسا في ميناء تناسيريم . وعندما علم ملك سيام الموجود وقتئذ في Ayuthia ، بدخول سفينة عثمانية إلى مينائه ، دعا العقيد البحري العثماني لمقابلته . وأدخله في خدمته . بقي محمد رئيس 15 سنة في سيام . فتح في Ayuthia 7 جوامع ، وجلب رجال دين عربًا . وشكّل نواة الجالية الإسلامية التي يبلغ عددها حاليًا في سيام ، مليونين (**Peregrinacam,** Fernao Mendes Pinto ، لشبونه 1910 ، 3 ,37 ,4 ,161) . إن الإنجازات الأخرى للبحار التركي ، الذي كان يتقاضى من ملك سيام راتبًا قدره 12 ألف سكة ذهبية سنويًا ، لا بد وأنها مذكورة في المصادر السيامية .

والمعلوم أن إنجازات البحارة الأتراك ، تعدّت إلى الهند الجنوبية ، عدا إنجازاتهم في الهند الشمالية والوسطي ، وأن مهراجا مالابار ، اعترف رسميًا بخضوعه للبادشاه (جودت ، 158,3 - 9) . وفي 1780 ، كان حكام الهند الجنوبية لا يزالون يرسلون إلى

إستانبول رسائلهم التي تبين تبعيتهم للبادشاه .

وأعتقد أن البحارة العثمانيين وصلوا في الفترة الكلاسيكية إلى المحيط الهادي كذلك . ولمعرفة فعاليات تلك المناطق يجب تدقيق المصادر المحلية في جنوب – شرق آسيا . تبحث الوثائق العثمانية عن علاقة العثمانية بالفلبين في النصف الثاني من القرن 19 فقط . حقق خواجه بكر أفندي مخبر السلطان عزيز ، إنجازات واسعة في الفليبين ونجح في كسب جماعات كبيرة إلى الإسلام في الجنوب . حرّر عند عودته كتابه المسمي **سياحتنا مة فلبين** .

أما سلطنة آجة Ace التي تسيطر على سومطرة ، ماليزيا ، والجزر الواقعة بينها ، فقد شرعت بتلاوة الخطبة باسم البادشاه العثماني اعتبارًا من 1517 . دخل إلى هذه المنطقة عدد كبير من السفن ، البحارة والمدفعية العثمانية .

The Portugues in India, Danvers 1, 480 - 1 . **Topkapi Soroy Arsivi, 8009 - E -**

Portuguesin south Arabian, SerJeant, Coast, 119 .

كاتب جلبي ،جهانما ، 145 ، محمد ضياء ، **تاريخ آجي** ؛

A. J. S. reid Sixteenth Century Turkish influenee in western Indonesia, 1963

Sisteenth Century turkish Influenee in western Indonisia . كوالالومبور

كان سلاطين آجة يخاطبون السلطان سليمان بهذه الصفات « حامي الحرمين الشريفين ، خليفة الله في الأرض » يقول المؤرخ الإنكليزي ما يلي : « حصل سليمان العظيم ، في جنوب آسيا والشرق الأقصي بصفاته التي يتصف بها كخليفة للإسلام وأعظم حاكم في العالم ، علي نفوذ عظيم ؛ كانت كلمة عثماني ، بالنسبة إلى شعب هذه المناطق ، أفخم كلمة » .

5 – أميرالية الدانوب (الطونة) :

قبودان الطونة ،برتبة لواء بحري (من النادر جدًا أن يكون برتبة فريق أول بحري) . مسئول عن المرور العسكري أو التجاري في نهر الطونة اعتبارًا من دلتا الطونة إلى استركون . كان تحت إشرافه قوة بحرية مهمة تسمي « إينجة دوناتما » (الأسطول الطويل) وهي عبارة عن سفن شراعية وجدّافية وسفن مدرعة نهرية صغيرة تحمل مدافع شاهي . يتبع إداريًا الصدر الأعظم رأسًا ولا يتبع قائد القوة البحرية (قبودان دريًا) .

يشترك على الإطلاق في الحروب ضد ألمانيا ، وإضافة إلى ذلك ، ينقل إلى بودين (بودابست) العتاد ، الطعام وكل المهمات . كان الأسطول الطويل يحتوي على جنود بر مثل « آزابلر » (المشاة البحريين) والإنكشارية . مقر الأميرالية ، في ميناء Silistre النهري أما أكبر مصنع للمراكب لها ، في ميناء رسجك النهري . ينقسم إلى عمارتين بحريتين Commodore ، اقتسمتا بينهما الساحة الممتدة من الدلتا إلى فيدين ، ومن فيدين إلى بودين وما بعدها . وكانت أميرالية الطونه مسئولة كذلك عن إبقاء الطريق النهري للطونة مفتوحًا بصورة مستمرة وتطهير حوض النهر .

6 – أميرالية الفرات :

هي كأميرالية الطونة ، تشكيلاتها أصغر منها ، مسئولة عن المرور النهري من بيرة جك إلى البصرة . تنقل قسمًا من المهمات العسكرية إلى بغداد ، أكبر قلعة تجاه إيران . تزداد أهميتها خلال الحروب مع إيران . مقرها ميناء بيرة جك النهري الذي يحتوي على معمل كبير لتصليح وإنشاء السفن (ترسانة) . كان أسطول الفرات الطويل (فرات اينجة دوناماسي) عام 1565 ، مكونًا من 700 سفينة ، وكل سفينة تحتوي على 70 ملاحًا (49 ألف شخص) . كانت 200 من السفن في ميناء بغداد النهري أي على نهر دجلة . كان الأميرال يقيم في بيرة جك . وسميت كذلك « شط قبودانغلي » (أميرالية الشط أو قيادة الشط) . كان مسئولاً عن تنظيف حوض كلا النهرين . انتهت عملية تطهير حوض الفرات في 30 / 1 / 1702 وعمل فيها 40 ألف عامل . فقدت هذه الأميرالية ، ـــ التي ندر أن أعطي أميرالها مرتبة فريق أول بحري (بكلر بك) ، في القرن 18 ـــ أهميتها السابقة . أحد أسباب فقدان الأهمية هو انحطاط الدولة وترك الإيالات لحالها ، والسبب الآخر أنه لم تعد تحدث حروب مهمة مع إيران بعد 1750 . (609 . 7 . . 164, 5. 259, 3, Muhimme)

7 – أميرالية الخزر :

أسسها في 27 / 8 / 1579 أوزدمير أوغلو عثمان باشا . كان مقرها في دربند

(بالتركية : دمير قابو ، بالعربية باب الأبواب) في داغستان على بحر الخزر . كان لها عمارة بحرية في ميناء باكو . أميرالها الأول محمد بك الذي جيء به من أميرالية آزاك (روستوف) والذي منحه اوزدمير أوغلو رتبة فريق أول بحري . انتهت هذه الأميرالية بسبب انتقال داغستان وشيروان من العثمانية إلى حيازة الصفويين ثانية وانقطاع علاقة الدولة ببحر الخزر .

8 – أميرالية كور (كورا) :

مقرها أردخان . يوجد فيها مصنع مراكب صغير ، باستطاعته إنتاج 4 أو 5 سفن حربية صغيرة في السنة (Muhimme 1579 ,37 ,380) . تراقب نهري كور (Kura) وآراس ، لها خدمات في الحروب مع إيران ومراقبة كرجستان . كان آمرها عقيد بحري .

9 – أميرالية فاشا :

قبودانية فاشا ، فاش أو Fas ، كان قائدها كذلك عقيدًا بحريًا ، أسسها قيليج علي باشا في 1579 ، كان مقرها في بوتي Poti (بالعثمانية : فاش ، فاشا) . كان لها مصنع مراكب صغير في باطوم . أسست هذه أيضًا لمراقبة كرجستان (Muhimme, 1579 ، 219, 33. 147, 32) .

10 – أميرالية النيل :

أسسها ياووز عند فتح مصر في 1517 . عين لقيادتها حميد أوغلو آيدن رئيس . كانت أميرالية درجتها لواء بحري تراقب السير النهري على النيل . مقرها القاهرة .

11 – الأميراليات (بدرجة لواء بحري) المرتبطة بالقائد العام للقوات البحرية (قبطان دريا) :

رغم أن الأميراليات بدرجة فريق أول بحري (تونس وطرابلس الغرب) ، لم تكونا تابعتين رأسًا إلى قائد القوات البحرية ، لكن قائد القوات له الصلاحية في حركات

البحر الأبيض الكبري ، فله أن يدعو هذه القطعات البحرية مع الأميرالين فريقي أول البحريّين لهما، الذين هما في نفس الوقت بكلر بك (ولاة) لتلك الايالتين . إن هذه الأميراليات الثلاث ، كانت مسئولة عن غرب البحر الأبيض . كان شرق البحر الأبيض ، البحر الأسود ، بحر إيجة مرمرة ، المضايق ووسط البحر الأبيض بصورة جزئية ضمن صلاحية ومسئولية القائد العام للقوات البحرية . كانت أهم الألوية البحرية (قائدها بدرجة لواء بحري) المرتبطة بالقائد العام للقوات البحرية والتابعة لإشرافه بصورة مباشرة هي : 3 ألوية بحرية في قاعدتي رشيد ودمياط البحريتين في الإسكندرية في مصر ؛ صيغلا (أزمير) ، رودس ، ساقيز ، ميديللي ، علائية (آلانية – Alanya) ، في البحر الأسود آزاك (روستوف) ، كلي بولو ، قاوالا ، سلانيك ، في كريت كاندية ، خانيا ، ريسمو ، في قبرص ماغوسا ، في قرم كفه Kefe (Feodosia) ، في مورانافارين ، مودون ، في بحر اليونان (Iyonya) . واينه بختي (Lepanto) وفي تونس مهديّة .

شرق البحر الأبيض ، كان يعتبر بحيرة تركية . وكان كذلك حتى في الأزمنة المتأخرة ، مثلاً ، أبلغ الباب العالي في 1746 ، كلاً من إنكلترا وفرنسا المتحاربتان بمذكرة (جودت ، 2 ,138 - 9) ، مفادها أن شرق البحر الأبيض هو تحت سيطرة العثمانية المطلقة ، وأنه يحظر على أية سفينة حربية فرنسية أو إنكليزية أن تجتاز المنطقة التي تقع شرق خط طول 23 ، وإن اجتازت ، فسوف تغرق ، ويسمح للسفن التجارية فقط بالمرور . وفي حالة تحرّش السفن التجارية الإنكليزية والفرنسية ببعضها البعض في شرق البحر الأبيض فسوف يضع الباب العالي يده علي هذه السفن ولا يعيدها حتي نهاية الحرب الإنكليزية – الفرنسية .

12 – تشكلات القيادة العامة للقوات البحرية (قابودان دريالك) :

كان أميرالات العثمانية في القرن 16 ، من أغنى رجال العالم ؛ لأن حصتهم في الغنائم ، كانت كبيرة جدًا . اضطروا في العصور التالية ، إلى المعيشة على رواتبهم .

كان يدير القوات البحرية ، 4 أميرالات يعقدون مجلسًا في قاسم باشا وهذا يقابل

لوردات الأميرالية في إنكلترا . هؤلاء الأميرالات حسب التسلسل كانوا قبطان دريا ، قابودانة ، باترونا ، ريالة . قابودانة ، هو لواء ثم فريق أول وكيل القابودان دريا في مختلف الأعمال . الاثنان الآخران ، كانا لواءين ويلقبان « بك » . كان الأميرال الكبير (ناظر البحرية) يحمل عصا حمراء ، والفريق أول البحري (بكلر بك البحرية) خضراء ، اللواء البحري (سنجق بك البحرية أو دريابك) زرقاء (429, 7, d'Ohsson) . كانوا يعلّقون على سفنهم الشراعية حسب التسلسل ثلاثة ، اثنين وواحدا من الفوانيس التي تقابل الشارات الثلاث والاثنين والواحدة التي يحملها جنرالات البر .

كان القانون ينص على أن يكون الضابط البحري قد أغرق إحدي سفن العدو الحربية ، ليستحق أن يكون قائدًا لسفينة حربية شراعية كبيرة (قادرغة) أو زورق حربي كبير (galer) . كانت الجندية البحرية (لوندلك تنتقل علي الأغلب ، من الأب إلى الابن كما هي الحال في ضباط البحرية . وقد قلّص ميزومورتا حسين باشا ، القانون أكثر ، بوضعه مادة أنه لا يمكن لأي جندي بحري أن يصبح ضابطًا بحريًا ، ما لم يكن أبوه ضابطًا في البحرية العثمانية . كان الضباط يتدرجون من الجنود البحريين (لوند) . وقد بدأ الضباط بالتخرج من المدارس بعد تأسيس كلية الهندسة البحرية الإمبراطورية قبيل عام 1770 .

كانت البحرية مجالاً باهظ التكاليف . يسرد لنا مؤرخ العصر راشد محتويات وتوابع القطعة الكبرى للأسطول الهمايوني الذي سار إلى البحر الأسوذ عام 1711 (3 ,353) : أقلعت سفينة الإميرالية الهمايونية (سفينة القيادة البحرية الإمبراطورية) من ميناء صناعة السفن وهي محملة بـ 300 . 3 جندي بحري (لوند) و 22 قطعة بحرية خاصة بأمراء البحر (ألوية بحريين) و 27 سفينة شراعية كبيرة (كاليون) محملة بـ 16 ألف جندي محارب (لوندات مقاتلين) 30 قطعة بحرية (كاليتة) بكل منها 220 جنديًا بحريًا و 60 سفينة (فرقتين) بكل منها 80 جنديًا و 120 قطعة من سفن النقل (قانجاباشي) ، 121 زورقًا بحريًا (vulik) بكل منها 7 جنود ، وجمعها 360 قطعة من السفن الإسلامية عليها 35 ألفًا من الجنود الغزاة .

كتب سفير لويس 14 في إستانبول Marquis de Nointel في نهاية رسالته التي يشرح

فيها بانبهار نظام الأسطول الهمايوني المرابط في جزيرة ساقز ، هذه الجملة : « كان النظام في بحرية البادشاه عظيمًا إلى هذه الدرجة » (tant l'ordre est grand dans la marine Galland, **Journal**, du Grand Seigneur ، 2 ,176) .

لم تمتلك أية دولة ساحلاً على البحر الأسود ولم يكن لأية دولة الحق في رفع رايتها فيه مدة 3 قرون كاملة اعتبارًا من عهد فاتح حتى السنوات التي تسبق عام 1770 . وكان ممنوعًا دخول زورق تاجر مسيحي إلى البحر الأسود (**La Vie Quotidienne** **Mantran** ، 159 ؛ Babinger ، **Mehmed der Eroberer** ، 340) . ذكر الكونت مارسيكلي عام 1692 ، أن بالبحرية العثمانية 573 62 جنديا ، وأنه لا يمكن إطلاقًا اجتياز مضيق جنا قلعة بالقوة (ص 262, 263, 267 - 8, 287, 288) . ولم يكن بالإمكان كذلك الاقتراب من قاعدة بحرية عثمانية . كانت قلعة أبو قير التي تحمي الإسكندرية ، مجهزة « بـ 70 قطعة من مدافع باليمر Balyemer المدهشة ذات العشرين شبرًا » (أولياء ، 10 ,702) .

لكن البحرية العثمانية فقدت مكانتها اعتبارًا من نهاية العصر 18 . كانت حينذاك من أكبر الأساطيل ، من حيث القطع . لكن معنويات البحرية العثمانية ، كانت قد ماتت ، أو أنها على أقل تقدير ، كانت قد انحطت . انخفضت رواتب صنف البحرية إلى درجة أن سليم الثالث أولاً ، ثم محمود الثاني أضافا إليها علاوات غير قليلة لأجل الترغيب . لم تبق تلك الرغبة التي كانت لدى أهالي أناضول الغربية تجاه البحرية . بدأ أهالي شرق البحر الأسود بالانتساب إلى البحرية .

13 ـ معمل السفن الإمبراطوري (ترسانة همايون) :

عندما يقال « ترسانة همايون » يفهم من ذلك ترسانة إستانبول . هو أكبر معمل سفن للدولة . واليوم هو كذلك . كان في حينه أكبر معمل للسفن في العالم وأحد أكبر المنشآت الصناعية على الكرة الأرضية . وكلمة « ترسانة » ككلمة « أميرال » مقتبسة في اللغات الأوروبية وفي اللغة التركية من كلمتي « دار الصناعة » وأمير الماء » العربيتين . (Deuzat, **Dietionnaire Elymologique** ، الطبعة العاشرة : 1938 ، ص 31ب

50 ب) . كان عرب القرون الوسطى ، أساتذة البحر وصناعة السفن ، وحكامًا على البحر الأبيض والمحيط الهندي .

الأمراء الكبار للترسانة بالتسلسل هم **ترسانة أميني** (أمين مدير) ، **ترسانة كتخداسي** (معاون) ، **وترسانة باشمعماري** (سرمعمار ترسانة عامرة) والأخير هو مهندس إنشاء السفن .

قائد القوات البحرية ، هو الآمر على ترسانة أميني . كان تحت إشرافه 50 ألف عامل ، أستاذًا ماهرًا ، نجّارًا وما يقرب من 10 مهندسين للسفن . له سفينة رسمية كبيرة للسير في المحيطات ، و 6 أزواج من القوارب الرسمية للسير في المضيق (راشد ، 316, 5 ؛ مارسيكلي ، 146 ؛ لطفي ، 148, 3 ؛ أولياء ، 147, 1) . وكان في المعمل متحف بحري لعرض المراكب الشراعية المستعملة في الحروب القديمة .
(81, 1, **Journal**, Galland)

موظفو المعمل بدرجة عقيد ، هم : كاتب سجن فورسا ، وهو آمر ومحافظ الأسرى والفورسا (جدّافو السفن من الأسرى) ؛ موظف المالية المسمى كاتب المخزن ؛ الرقيب (باشجاويش) آمر الضباط المعمل ، الموظف المالي ، معاون الموظف المالي للمعمل ، روزنامجه جي المعمل (كاتب حسابات المعمل) ، كاتب الإجارة للمعمل ، كاتب مخزن الخشب ، كاتب مخزن الرصاص ، كاتب المراكب الشراعية ، (لم أعدد الذين بدرجة رائد) . **ترسانة أغاسي** ، والمسئول عن أمن السفن الراسية في الميناء **ليمان رئيسي** (رئيس الميناء) ، كانا برتبة لواء بحري .

يوجد حاليا معمل سفن الخليج الذي تبلغ مساحته 75 ألف $م^2$ ، يقع على جزء صغير من الترسانة العامرة . أكبر المعامل بين المعامل الأخرى ، هو معمل غاليبولي . استخدم فاتح فيها عام 1470 ، حوالي 100 ألف عامل دفعة واحدة لغرض التفوق على الأسطول البندقي (332, Babinger) . معمل الجزائر كان كبيرا جدا أيضا . معامل سفن القاهرة وبيرة جك هي المعامل الكبيرة التي تليها . كان في الإمبراطورية وقتئذ ، عدا المعامل المذكورة 81 معملاً حكوميا ومئات المعامل الصغيرة والمصانع التي يملكها القطاع الخاص . كانت تصنع سفنا جميلة حتى في فترة الانحطاط . « يوجد حاليا في

سينوب معمل كبير . يصنع السفن للدولة العثمانية » (الراهب Bijiskyan, 28) (1819) .

« يحتوي معمل سفن صمصون على أحواض بديعة جدًا لإنشاء السفن » (الماريشال فون مولتكه ، 154) (1838) . كانت تصنع سفنًا للأقطار الأجنبية وحتى للبندقية . وفي نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 الذي انتهى فيه دور العمال الأسرى ، كان ثلاثة أرباع العمال من الأتراك والربع الأخير من المسيحيين (أكثرهم روم ، وقليل من الإيطاليين) .

كان الأسرى الذين يعملون في المعمل والذي يتراوح عددهم بين 30 و 50 ألفًا **Sehweigger Teutschland nach Konstantinopel** ، نورمبرغ 1619 ، ص 154) والجدّافون (فورسا) الذين يجدفون في السفن ، هم أسرى حرب أسروا من المسيحيين . يقول الراهب الدانمركي Olaf Egilsson ، الذي عمل بنفسه جدافًا في السفن التركية ، في كتابه الذي كتبه بعد عودته من الأسر « كان الطعام الذي يقدم لنا ، نحن الفورسا (الأسرى الجدّافين) ، من نفس الطعام الذي يقدم للضباط الأتراك في مقصوراتهم ؛ وشيء آخر وهو أن الأتراك كانوا يقدمون للفورسا الراغبين ، البيرة ، الشراب والبراندي رغم أنهم لا يشربون المشروبات عدا الماء » (كوبنهاكن 1641 ، ص 22) . كانت الدولة الوحيدة ، التي تعني بالفورسا ، هي العثمانية . يتقاضون الأجور وقت السلم تنقطع عنهم أجورهم وقت الحرب . يعتني الأتراك بالفورسا المسيحيين ، أكثر مما يعتني البنادقة ببحارتهم أنفسهم ، ويقدمون لهم طعامًا أكثر » (Lord Paul 616, 2, Ricault) . « زرت سجن معمل سفن طولون ، وكذلك زرت الذي في إستانبول . كانت معاملة المساجين في سجن إستانبول ، إنسانية وليست لها أية علاقة بالمعاملة اللاّإنسانية التي تمارس في طولون » (الأميرال Sir Adolphus Slade ، ص 64 - 6) .

14 – دور السفن الجدافيــة :

كانت السفن تسير بالمجاديف في الفترة حتى 1700 . وفي القرن 17 استعملت السفن الشراعية التي تسمى « كاليون » بجانب السفن التي تسير بالتجديف . ولم تترك السفن الجدافية إلاّ قبيل عام 1700 . كان الطراز النموذجي للسفينة الجدافية هو « قادرغه » . كان الذين يجدفون ، هم أسرى الحرب المسيحيون ، السجناء أو المستخدمون بالأجرة وكانت

السفن المجدافية ، تحتوي كذلك على أشرعة . تنقسم السفن بالنسبة إلى أعداد مجاديفها وجدّافها إلى الأنواع التالية :

1 – **فرقاطة** Firkate : تحتوي على 10 إلى 15 مقعدًا (مجدافين) ، في كل مجداف 2 - 3 جدّاف (فورسا) عدد الجدّافين 40 - 102 .

2 – **بركنده** Perkende : 20 - 24 مقعدًا ، في كل مجداف 3 جدّافين ، عدد الجدافين 60 - 144 .

3 – **كاليتا** Kalita : 20 - 24 مقعدًا ، في كل مجداف 3 - 4 جدّافين ، عدد الجدافين 120 - 192 .

4 – **قادرغه** : Kadirga : 25 مقعدًا ، في كل مجداف 4 جدّافين ، عدد الجدّافين 200 .

5 – **باشتاردا** : Bastarda (بالفرنسية : Galère royale) : 26 - 36 مقعدًا ، في كل مجداف 5 - 7 جدّافين ، عدد الجدّافين 260 - 504 .

(كاتب جلبي ، **تحفة الكبار** ، 152) .

وكانت السفينة الأعلى والأعرض من الباشتاردا ، تسمى « ماونه » mavuna .

تحتوي القادرغه على 4 أشرعة ، 2 تندة (مظلة) . وتصنع جمعًا من 5950 ذراعًا من القماش . يبدّل الشراع في كل 3 أو 4 سنين والتندة في كل سنتين ، أما الباشتاردا الخاصة بالقائد العام ، فتبدل أشرعتها في كل سنة . تعطي لكل قادرغه 20 قنطارًا من البارود ، وتزداد هذه الكمية في الحروب . تصنع الشارات والأعلام من الحرير . يكلف صنع العلم الواحد 50 ليرة ذهبية . ولمقاعد الشرف في القادرغه ، يستعمل لكل سفينة ذراعًا من الجوخ الأحمر ويتبدّل كل سنتين . ينص القانون على ضرورة وجود قائدين بحريين اثنين في كل سفينة . كان للدولة في 11 مدينة ، معامل أقشمة للأشرعة ، وفي 8 مدن ، معامل قطران وزفت ولها 4 معامل لصنع المجاديف .

كان عدد العاملين في القوة البحرية بصورة فعلية 200 ألف وفي دور العظمة

250 ألف شخص ؛ 50 ألفًا منهم جنود بحرية (لوند) ، مدفعيون إلخ ، والبقية عمال في معمل السفن ، وجدّافين (فورسا) . وقبيل عام 1500 كان بالإمكان أن يستوعب الأسطول الهمايوني 63 ألف جندي وفورس . كان صنع السفينة الواحدة يكلف في تلك الفترة من 20 إلى 24 ألف ليرة ذهبية (تحفة ، 18) . ولما كانت تصنع سنويًا 50 قادرغه (سفينة حربية شراعية) فهذا يعني أن مبلغ 000 100 1 ليرة ذهبية تصرف سنويًا لصناعة السفن الحربية فقط . كامل القوة البحرية ، كانت تجدد كل 7 أو 8 سنوات . لا تبقى أية سفينة حربية في الأسطول أكثر من 8 سنين ، تباع إلى القطاع الخاص . أساطيل حامية المغرب والأسطول الطويل لا يدخل ضمن هذا العدد . كان بإمكان الإمبراطورية ، في الظروف الاستثنائية ، أن تصنع سنويًا 100 وفي حالة شحذ كامل طاقاتها 200 قادرغه . كان السلاطين يقولون عند حديثهم عن القوة البحرية « دونانماي همايون » (القوة البحرية الإمبراطورية) . كان سليم الثاني قد منح قسمًا من حديقته الخاصة إلى معمل سفن الخليج لغرض وضع 8 سفن إضافية في حوض صناعة السفن (بجوى ، 1 ,489) .

جنود البحر الأصليون ، هم أفراد البحرية الذين يسمون « لوند » . يسيّرون السفينة ويحاربون . كان اللوند يستعمل كل آلة حادة ، نارية وثاقبة باستثناء المدفع . يستعمل المدافع جنود صنف المدفعية البحرية . أما صنف عزب البحر ، فهم المشاة البحريون ، لا يمكنهم تسيير السفينة . ويستعملون فقط في الإنزالات التي تجرى على السواحل عبر البحار ، ويحاربون كذلك في حروب البحار المفتوحة . يستخدم جنود تيمارلي سباهي وبخاصة الإنكشارية في الأسطول في الحملات الكبرى . كان هؤلاء جنود إنزال . يوجد في كل سفينة ــ بالنسبة إلى حجمها ــ وعلى أقل تقدير ، مهندس واحد ، معمار ، نجّار ، حدّاد ، حبّال ، المختص بالأشرعة ، كاتب ، طبيب ، جرّاح ، إمام ومؤذن .

السببان الرئيسيان لتفوق الاستراتيجية البحرية العثمانية في العصر 16 هما : سرعتها وقدرتها على الحركة والدوران ، إذ لا يجوز تحميل الحاجيات التي لا لزوم لها وكان ذلك مخالفًا للقانون . لا تستعمل في الحرب السفن التي تحتوي على أقسام إضافية والمصنوعة لغرض إظهار العظمة بشكل كبير . والسبب الثاني ، تفوّق المدافع البحرية في مدى

الإطلاق . صنع كمال رئيس المدافع بعيدة المدى في الأسطول قبل 1500 . لم يتمكن الأوروبيون لمدة عصر واحد على الأقل ، من صنع مدافع تفوق في مداها المدافع العثمانية ، وهذا يسّر للسفن العثمانية أن تضرب قطع الأعداء من بعد دون أن تصاب هي . وأخيرًا ، كان النظام لدى البحارة العثمانيين فائقًا جدًا بالنسبة لأوروبا . لكن هذا النظام المتفوق ، اختل في العصر 18 .

أنزل الأتراك إلى البحر لأول مرة في التاريخ سفينة الأميرالية « باشتاردا » بحمولة 2 500 طن . كانت ماردا ذات طابقين ، طولها 54 م ، عرضها 21 م ومساحتها عدا خزاناتها 2 200 م^2 ، قطر صواريها 3 أمتار ، أثثت بشكل ممتاز ، تحتوي على 120 مدفعًا وعدد طاقمها 2 000 شخص . كان قد صرف على صنعها مبلغ 19 مليون دولار بالسعر المتداول حاليًا . ثم صنعت بعدها سفينة أخرى حمولتها 3 000 طن . لكن هذه السفن ، كانت نادرة . إن السفينة الحربية الأصلية من طراز قادرغه ، كانت أصغر بكثير . « إن السفن الحربية (القادرغة) اللاتي رأيتهن في إستانبول ، كانت كبيرة جدًا وفي حالة استعداد دائم . تزييناتها المذهبة ، تبهر العيون . السفن ، معتنى بها عناية فائقة . وكذلك بالأفراد الجدافين ، كان طعامهم وحالتهم جيدة ، ويعاملون معاملة حسنة جدًا » (1711) (De la Montraye ,1 ,168) . « كانت توجد سفن حربية تركية جبّارة كثيرة راسية في ميناء إستانبول ، أطول من السفينة الكبرى للأسطول الإنكليزي Royal Souvereign بـ 12 قدمًا . كانت السفن بطول 51 , 55 م وعرض 85 , 14 م وبارتفاع 48 , 7 م ذات أربع مقصورات وسمك 28 , 81 م ، ذات 110 مدافع ، عدد طاقمها 1 600 ، ذات 95 قنطار حديد » (**A Deseription of The East,** Richard Pococke ، لندن ، 1745 ، 2 / 2 ,135) . وقد أنزلت إلى البحر في 1710 ، أكبر سفينة شراعية في العالم ، عدد طاقمها 3 300 ، من نوع كاليون باشتاردا (سفينة أميرالية) . كان الأسطول الهمايوني الذي أقلع في 21 / 3 / 1715 مكونًا من 189 قطعة حربية . كانت توجد في القطع الكبرى أكثر من 120 مدفعًا ، وإضافة إلى ذلك ، توجد مدافع صغيرة تسمى « صجمة » . وهكذا بدأ دور الكاليون . وأخذ يطلق على جنود البحرية « كاليونجي » بدلاً من « لوند » .

كان عدد السفن التي تصنع في معمل سفن استانبول سنويًا قبيل عام 1640 ، 72 سفينة . إن كلاً من السفينتين الكبيرتين Mavna وسفينة السلطنة التي شيدها مراد الرابع ، كان طاقمها يتكون من 3120 شخصًا (1120 منهم فورسا) ، و 150 مدفعًا ؛ 50 منها من نوع باليمز Balyemez وهو مدفع قلاع ذو منزل طويل يرمي قذيفة حديدية تزن 40 أقة . إن هذه السفن العملاقة صنعت وجهزت خلال 3 أشهر . من الضروري أن يكون في المعمل حوض مستقل لكل سفينة . وبالنسبة لمنجمباشي فإن كل حوض من هذه الأحواض يكلف في بداية العصر 16 ، 50 ألف آقجه (وتعادل 330 ألف دولار) .

كان القانون يقضي بعدم خروج البادشاه والصدر الأعظم إلى حملات عبر البحار . يمكن فقط للوزراء ، السردار (القائد العام) ، الأميرالات ، القواد البحريين قيادة الأسطول عبر البحار ، إلا أن بعض السلاطين ساروا في حملات قصيرة جدًا عبر البحار : فاتح إلى ميدلّي (1462) وآغريبوز (1470) والقانوني إلى رودس (1522 - 23) وأمثال هؤلاء الذين فتحوا بأنفسهم هذه الجزر . لكن البادشاه ، كان يتجول في بحر مرمرة بسفينة السلطنة الرسمية المسماة **بادشاه باشتارداسي** . ترفع عليها 3 فوانيس وراية ذات طغراء ذهبية ، وتصبغ أشرعتها ، مجاديفها ، صواريها وجميع أجزائها باللون الأخضر .

15 – دور السفن الشراعية (Kalyon) :

كان طاقم سفينة قائد القوات البحرية ، الشراعية التي تسمّى كاليون في نهاية العصر 18 يتكون من 80 ضابطًا ومن 1 000 إلى 1 500 نوتي تقريبًا . ضباطه كما يلي (427, 7, d Ohsson) : قائد السفينة ضابط برتبة (عقيد بحري) ، 3 قواد معاونون (الذين كانوا يسمون ، القائد الثاني والثالث والرابع) ، 20 ضابط شراع وسطح السفينة ، رئيس المدفعية (طوبجيباشي) و 6 ضباط مدفعية ، 7 ضباط انضباط ، رئيس موظفي سكّان (دفة) السفينة ، 6 ضباط سكّان ، 2 ضبّاط قوارب ، 22 ضباط لوازم ، ضابط مالية ، ضابط تقارير ، 4 ضباط خفر ، لكل سفينة إمام واحد ، مؤذن واحد ، طبيب ، ضابط جراح ، و 8 - 10 ضباط آخرون .

اهتم سليم الثالث بالطلبة الذين سيتخرجون ضباطًا بحريين في مدرسة الهندسة البحرية الإمبراطورية ، إلى درجة أنه خصص للطلبة المقبولين فيها والذين أكثرهم أبناء قواد بحريين ، راتبًا قدره 480 دولارًا بالسعر الرائج حاليًا .

كان عدد طاقم سفينة قبودان باشا الذي أمر محمود الثاني بصنعها في 1380 وسمّاها **سليميه** إحياء لذكرى سليم الثالث ، 1 400 ، ذات 120 مدفعًا . و 19 مدفعًا صغيرًا . 120 مدفعًا كبيرًا من قياس 26, 36 و 20 . وكانت توجد كذلك 4 مدافع ترمي قذائف حجرية . سرعتها 9 أميال في الساعة . وكانت السفينة الحربية الشراعية (كاليون) « محمودية » الذي أمر بصنعها محمود الثاني كذلك في 1829 « أكبر سفينة حربية ، في زنتها ودقة صنعها في العالم ، قابلت مهندس السفن التركي الذي صنعها » (Admiral slade ، ص 62 - 4) . وكذلك سفينة « آثار نصرت » ذات 79 مدفعًا ، هي من أكبر السفن الحربية في العالم . وكانت السفينة الحربية (كاليون) « فوزية » التي صنعت في معمل سفن ازميت عام 1836 ، وصمّمها المهندس محمود أفندي وصنعها العامل الفنّي موسي قلفه ، من أكبر السفن الحربية في العالم ، ذات 96 مدفعًا ، عدد طاقمها 960 شخصًا ، طولها 198 م وعرضها 55 م . كانت السفينة الحربية « فتحية » التي صنعها عثمان قلفه في معمل سفن كملك عام 1830 ، ذات 96 مدفعًا ، وعدد طاقمها 960 ، طولها 193 م وعرضها 52 م (جودت ، 7 ,349 - 51) . كانت السفن الشراعية (كاليون) ، تستعمل مدة أطول بكثير من المراكب ذات المجاديف (قادرغه) . فمثلاً « فتحية » آخر سفينة شراعية (إذ كان قد بدأ دور الأسطول المدرّع) صنعت في مصنع سفن إستانبول وأنزلت إلى البحر بتاريخ 14 / 12 / 1856 ، خدمت في البحرية كسفينة تدريب مدة 47 عامًا حتى 1903 .

كان الأسطول الشراعي لكوجوك حسين باشا ، عام 1801 ، هو الأسطول الثاني في العالم بعد إنكلترا ومكونًا من سفن حربية حديثة : 24 كاليون ذات 4 عنابر ، 24 فرقاطة ، 15 كورفيت Corvet ، وسفن أخرى صغيرة (نقل ، طوبجكر (حاملة مدفع ثقيل) ، نهرية ، حارقة إلخ .) غرق هذا الأسطول في نافارين عام 1826 . صنع محمود الثاني أسطولاً جديدًا . أدخل محمود الثاني في تلك الفترة إلى الأسطول أول سفينة

بخارية ، ثم أسس بحرية حديثة مكونة من سفن بخارية ، ثم بخارية ومدرعة .

16 – القراصنـــة :

وكما أنه كان لصنف الكوماندو والخيالة في الجيش الأهمية والثقل الجوهريان في صلب فتوحات العصرين 15 ، 16 ، كذلك أصبح لصنف القرصان في القوة البحرية الإمبراطورية الدرجة نفسها من الأهمية ، في التفوق البحري العثماني في العصر 16 . وفي الأصل ، فإن جميع الأميرالات الأفذاذ لهذا العصر ، كانوا كلهم قد نشئوا من صنف القراصنة . ويندر منهم من كان متخرجًا في أكاديمية الأندرون مثل بيالة باشا . القراصنة ، هم صنف المغاوير (الصاعقة البحرى الذي يشكل قسمًا من قوات الدولة البحرية . تمركز في 1513 في قاعدة المغرب وبشكل نهائيٍّ في قاعدة الجزائر . ليست له أية علاقة مع أشقياء البحر الخارجين على الدولة والذين يطلق عليهم اسم « قرصان » المأخوذة عن الكلمة الفرنسية « Gorsaire » وبالفرنسية Pirate (بالعثمانية دنيز حراميسي أي لص البحر ، دريا شقيسي أي شقي البحر) خمس ما يغتنمه صنف القراصنة يعود إلى الخزينة . وإن كانت الغنيمة سفينة للعدو ، فإن السفينة بكاملها وبضمنها المدافع تعود إلى الدولة . يمكن اقتسام الأسلحة ، عدا للمدافع ، كغنائم وبيعها . تملك الدول المسيحية البحرية كذلك ، صنف القراصنة . لكن هؤلاء لم يتمكنوا من مجابهة قراصنة العثمانية ، ونقلوا نشاطهم إلى المحيط الأطلسي وبخاصة إلى بحر الانتيل . ومع هذا فإن قراصنة رودس ومن ثم مالطة المنتسبين إلى طريقة Saint - Jean (يحيى عليه السلام) ، ألحقوا أضرارًا كبيرة بالعثمانية والمسلمين . إن المؤسس الحقيقي لهذا الصنف ، هو قرقود خان Korkut Hân الابن الثالث لبيازيد الثاني والأخ الكبير للسلطان سليم . جند كل إمكاناته خلال مدة ربع قرن ، لتشكيل هذا الصنف . حثّ شباب الولايات الساحلية للأناضول الغربية مثل منتشة ، أنطالية ، آيدن ، أزمير وكاراسي التي كان واليًا عليها ورغّبهم في الدخول إلى هذا الصنف ، وخرّج بحارة فاتحين أمثال أوروج رئيس ، طرغد رئيس (باشا) . ظل طرغد رئيس مدة طويلة على رأس قطع القراصنة ، ويمكننا أن نقول بقليل من المبالغة ، إن طرغد باشا ، خدم في سبيل سيطرة العثمانية على البحر الأبيض ، بقدر خدمة الأسطور الإمبراطوري . غير آن أساطيل القراصنة التي كانت

أحيانًا تبلغ حجم أسطول حقيقي ، كانت تتمكن من ضرب سفن وسواحل الدول المسيحية التي في حالة حرب مع العثمانية ، لكنها لا تستطيع ضرب الأقطار التي سمحت لها الدولة العثمانية ، منحتها موافقة بالتجارة ، حمتها ، والتي عقدت معها صلحًا . كان أسطول القراصنة ، رافق الأسطول الإمبراطوري أثناء الحروب البحرية الكبرى . فمثلا ، كان طرغد رئيس قد اشترك مع أسطوله في كل من الحروب البحرية Preveze ، جربة ، وفي فتح كل من طرابلس كورسيكا وكذلك في مالطة حيث استشهد فيها (1565) .

تمركز أسطول القراصنة في أفريقيا الشمالية وبصورة نهائية في ميناء الجزائر ، فور دخول أوروج رئيس المغرب في 1513 . أظهر أوروج رئيس جراأة كبيرة إلى درجة أنه أنزل جنودًا في مصب التيبر عام 1516 عندما علم بأن البابا ليو العاشر (1513 - 21) يصطاد السمك فيها . وكاد يأسره (Pfeffermann, **Renaissance Peapst mit den Turken** ، برن 1946 ، ص 175 ,178) . ومع هذا فإن أوروج رئيس لم يكن أول أميرال عثماني وطئت قدمه غرب البحر الأبيض ، فقد كان كمال رئيس قد دخلها قبله بربع قرن . أبحر بحملات أسبانية عديدة ودعم الأندلس . إن هذه الحملات والخوف من العثمانية ، أخّرت سقوط غرناطة مدة ربع قرن كما أشار إلى ذلك المؤرخ الإيطالي Marinescu بشكل مطول (**TAD**, 2 ,231 - 4 ,267 وما بعده) . حقق كمال رئيس في 1501 إنزال على سواحل Cote d'zur وأسر دوق Catanzara وجلبه إلى تركية (**TM**, **Kissling**) 15 ' 68 . وإنزاله في جزر مالطه ، Pantelleria, Gozo صقلية في 1488 بواسطة 12 سفينة حربية ، مشهور .

إن اضطرار العثمانية لوضعها أسطولا مستقلا في المحيط الهندي ، وعدم دخولها بحر الخزر بشكل أساسي ، ولّد تأثيرات سلبية في تاريخ آسيا في الشمال والجنوب . ورغم أن كلاً من ياووز ، القانوني ، سليم الثاني ، مراد الثالث ومصطفى الثالث قد تبنّوا موضوع قناة السويس على عهودهم ؛ فإنه لم يتيسر البدء في حفر القناة . أرسل سليم الثاني الذي ورث تصميمات هذا المشروع عن جده وأبيه ، خطة السلطاني (أمره السلطاني) المؤرخ في 12 / 1 / 1568 إلى مصر ، كما يلي (**Muhimme** ، 7 ,258) :

« تقتضي عملية حفر ، لغرض مرور أساطيلي الإمبراطورية من البحر إلى بحر السويس (البحر الأحمر) . أصدر إرادتي بتنفيذ محتويات الخط فور وصوله ودون تأخر وتراخ وبصورة قطعية وتبادر بجمع المعارين والمهندسين الخبراء لتكليف أشخاص ذوي صلاحية لإجراء الكشف على المنطقة المنحصرة بين البحر الأبيض وبحر السويس وتدقيقها بصورة علمية وتحصل على معلومات كاملة بشأنها وتعلمني عن إمكان حفر القناة من عدمه وطول تلك القناة وعدد السفن التي يمكنها السير فيها جنبًا إلى جنب ليمكن تدارك الأمر وحفر القناة وإتمامها بمشيئة الله العزيز ... » لكن قناة السويس لم تتحقق ، كما لم تتحقق قناة الطونة ـ فولغا (البحر الأسود ـ الخزر)التي شرع في حفرها في عهد السلطان نفسه .

ولم تبق في البحر الأبيض تقريبًا ، جزيرة ، ميناء ، قطر ومدينة ، لم يهاجمها القراصنة الاتراك . أعطيت نماذج منها في قسم التاريخ السياسي . هناك آلاف من الغارات البحرية والحروب البحرية للقراصنة وكلها انتهت بانتصار القراصنة العثمانيين . إذ إنها كانت أعدت بصورة دقيقة . والمعلوم أن للقراصنة وكلاء تحريات في موانىء أوروبا الكبيرة ، يرسلون المعلومات الدقيقة إلى الجزائر عن هوية السفن والأساطيل وأوقات حركتها واتجاه مساراتها . إن مصادمات البحر الأبيض هذه التي صعدت إلى حدها الأعلى في القرن 16 ، استمرت في القرن 17 كذلك ، ثم خفّت بعدها .

17 ـ الأتراك في المحيط الأطلسي :

يجب تقديم بعض النماذج لفعاليات الأساطيل التركية في المحيط الأطلسي . وحتى بربروس خير الدين باشا ، سار بالأسطول الإمبراطوري إلى المحيط الأطلسي عن طريق جبل طارق (بالعثمانية : بوغاز سبتة) . لكن الحركات الرئيسية في المحيط جرت من قبل القطع التابعة لأسطول الجزائر . كانت القوة البحرية الجزائرية في تلك الفترة تتكون من 70 سفينة (قادرغة) حربية ذات 30 إلى 40 مدفعًا وقوتها معادلة للقوى البحرية للدول الأوروبية الكبرى ، ومتفوقة على أكثرها . وخلال الـ 8 سنوات التي تنحصر بين 1613 - 1621 ، جلبت 396 سفينة تخص أقطارًا مسيحية كغنائم . هذا عدا السفن

التي أغرقت . وحتى إنه في 1609 ، تم أسر ابن أخي فيليب الثالث ملك أسبانيا ، وجلب إلى الجزائر وقد سجل الشاعر الشعبي كدا موصلو هذا الحادث المهم في إحدى قصائده . حوصر كامل الأسطول الإنكليزي الذي دخل البحر الأبيض في 1580 المكون من 49 قطعة وجلب إلى الجزائر . وقد تم الاستيلاء خلال 1619 - 21 على أكثر من 400 سفينة إنكليزية وسيقت إلى الجزائر .

قام القراصنة الأتراك بفعاليات في بحر الانتيل كذلك History of the country of corwall . 496 ,1 . لا زالت إحدى مجموعات الجزر في هذا البحر تحمل أسماء تركية . وللحصول على معلومات عن حملة Madeira ,1617 ، أنظر ,pierre Dan **Histoire de Barbarie et de Ses Corsairs** ، باريس 1637 ، ص 275 - 6) ، **I Corsari** Salvatore Bono **,Barbarcsehi** ، كورينو 1964 ، ص 178 ؛ علي حيدر أمير ، **Cezayir** **Hakkinda** ، إستانبول 1930 ، ص 44 - 5 . أحرق القراصنة الأتراك الذين دخلوا خليج لشبونه في 1674 ، على مشهد من شعب لشبونة ، سفينة برتغالية من نوع فرقاطة ذات 36 مدفعًا وطاقم 400 شخص ، وأسروا من بداخلها . أغرقت في 1693 سفينة Noterdam del Bilar البرتغالية على مقربة من مياه رأس Finister . تم الاستيلاء على السفينة الإنكليزية المسماة Nortar من نوع Corvette أمام قادش بعد 10 أشهر من هذا الحادث . وفي ك 2 / 1695 استولى على بابا ، على السفينة الهولندية المسماة Schantaklar ذات 36 مدفعًا على بعد 40 ميلاً من رأس **Armada Espanolo,** C. F. Duro) Sain Vincent مدريد 1895 ,3 ,237 - 40) . للحصول على معلومات عن حملات الأتراك على جزر آزور Asor أنظر Bono ، ص 177 - 8 ؛ **Della** Citte aRegno **di** Algeri ، فلورنسا 1783 ، ص 24 . وينبغي ألاّ ننسى كذلك حملات خليج قادش ,1553 ,1574 Cadiz ,1530 إلخ . التي قاد بعضها قواد القوات البحرية أمثال بربروس خير الدين باشا ، بيالة باشا . قادش ، كان أهم ميناء يؤمن اتصال أسبانيا بكامل أمريكا .

واشتهرت كذلك حملات المحيط الأطلسي التي أجراها بيوك أو (قوجا) (والكلمتان تعنيان « الكبير ») مراد رئيس وأبو زوجته علي بيجين رئيس . تدرّج وتعلّم مراد رئيس في كنف قيليج – علي باشا .تراسل حتى مع ملك إنكلترا جيمس

James الأول (Knolles, History, 1603 ؛ ص 825 ؛ Grammont ،State Papers,
71.1.F.12) . ضرب مراد رئيس أو « بك » جزر الكناري وخاصة Lanzarote سنتين متواليتين (1586, 1587) . أجرى حملته الثانية لجزر الكناري بواسطة 18 سفينة (,399 V. S. P, 273, 277, Duro, Armada Espanola, 2) . أبحر في كل سنة من السنوات العشرين التي تلتها، إلى المحيط الأطلسي .

اشتهر مراد رئيس الآخر (كوجوك مراد رئيس) أي مراد رئيس الصغير ، بغارته على ميناء بلتيمور Baltimore حزيران 1831 ، laird clowes 'W The rogal navy) لندن 1897 ,2 ,23 ,Bono ، 178 ,Fisher ,Barbary Legend ، أوكسفورد 1957 ، ص 323) . جلب 237 أيرلنديًا إلى الجزائر ، في هذه الغارة التي وصفها المؤرخون أمثال Amiral Button ,Lane - Pool ,Oppenheim ,Brich ,Knolles ,Kmight ,Frizell . بقي في ميناء بلتيمور ، ليلة واحدة فقط وأدخل سفينتين إلى الميناء (20 / 6 / 1631) . أغرق السفن الثلاث التي حاولت الدفاع عن الميناء . نظم الحادث الشاعر الأيرلندي Thomas Usborne Daweys على شكل حكاية طويلة ، كتب كونت Cork إلى مجلس العموم رسالة شديدة اللهجة . عاقب شارلس الأول بشدة من ثبت إهماله في هذا الحادث .

وغارة مشهورة أخرى على إنكلترا ، وهي الإنزال الذي جرى على ميناء Looe قرب بليموث في آب 1625 وجزر Scilly (Fisher ,322 - 3) . استولى الأتراك في هذه الحملة على 27 سفينة دخلت وخرجت خلال 10 أيام من وإلى ميناء بليموث . دخل الأتراك الذين فتحوا جزر Scilly وأسسوا فيها قاعدة بحرية وحافظوا عليها مدة طويلة ، ميناء بليموث وأغلقوا الخروج لسنوات طويلة . كانت 30 سفينة تسير بصورة مستمرة بين قناة بريستول وبحر أيرلندة ، ثم تعود إلى القاعدة العثمانية في جزر Seilly أو Lundy . بقيت جزيرة لندي سنوات طويلة لدى العثمانية و لم يقدروا على إجلاء الأتراك منها رغم محاولات ملك ' الشخصية العديدة . وتحقق فتح لندي في 1625 أيضًا ، وهي جزيرة تقع على مقربة مياه قناة بريستول ، على بعد 20 كم من استدارة ضفاف ديفون . ولكونها على بعد 175 كم عن جزر Scilly ، كان بإمكان الأتراك تحقيق عمليات موفقة جدا بفضل هاتين القاعدتين اللتين تبعد إحداهما عن الأخرى هذه المسافة .

وفي 1631 ، أرغمت العثمانية العديد من الموانىء الإنكليزية على دفع الخراج .

تُغرق السفن التي تمتنع عن دفع هذه الضريبة ولا يسمح بدخولها إلى الموانىء الإنكليزية . كانت السفن العثمانية لا تزال تجوب قناة بريستول في 1654 . كانت الصحف الإنكليزية والفرنسية في ذلك العهد تشكو بصورة مستمرة من حركات الأتراك في قناة بريستول **1650, Gazelhe de France** ، ص 1654, 1133 ، ص 171, 99 ، **Histoire d'Alger** ، **sousa Domination Turque, Grammont** ، 1516 - 1830) ، باريس 1887 ,28) . ولم يخل بحر المانش وخليج بسكاي (Gaskonya) من السفن العثمانية ، وكانوا بذلك يقطعون المواصلات البحرية الإنكليزية – الفرنسية ، والفرنسية – الأسبانية .

واشتهرت كذلك حملة كوجوك مراد رئيس على أيرلندة . استغرقت 3 أشهر اعتبارًا من مغادرتها الجزائر وعودتها إليه . نزل في أيرلندة ومكث فيها 26 يومًا ، عاد إلى الجزائر في 12 آب . جلب معه 400 أسير (كان لا يمكن أخذ أكثر من هذا العدد بالنظر لاستيعاب السفينة المحدود ، وقضية تأمين الطعام ، وانتفاء الحاجة لذلك) . اشتركت في الحملة 12 سفينة عثمانية .

إن أهم مصدر لتلك الفترة ، هو المذكرات التي حررها الراهب الأيرلندي البروتستانتي (لوثريان) Olaf Eigilson الذي أسر في تلك الحملة وجيء به إلى الجزار وأطلق سراحه بعد سنتين ، كتب لوثريان مذكراته باللغة الأيرلندية ثم ترجمت بعد فترة وجيزة إلى اللغة الدانمركية . حقق علي رئيس في 1642 حملة أيرلندية أخرى . غزا القراصنة الأتراك السواحل الهولندية ، الدانمركية ، النرويجية ، السويدية أيضًا . لم أعثر حتى اليوم على وثيقة تشير إلى دخولهم بحر البلطيق الأصلي .

طلب بربروس خير الدين باشا ، أن يقود أسطولا إلى العالم الجديد ، بعد أن رسم بيرى رئيس أدق خارطة لأمريكا في العالم وقدمها إلى البادشاه . راوغه الصدر الأعظم داماد مقبول إبراهيم باشا ، قائلا « لا توجد حدود مشتركة تفصل بيننا وبين دول أخرى » . لا يستسيغ الأتراك الحملات عبر البحار . الدولة التركية الوحيدة التي قامت بحملات عبر البحار ، هي العثمانية (إنني أعتبر حملة قرم لعلاء الدين كيكباد وحملة بحر الأرخبيل (الجزر) لجاكابك وأمور بك ، فترة انتقال) . أما حملة أمريكا ، فكانت تعتبر حملة ما وراء المحيطات . هذا بالإضافة إلى أن العثمانية لم تكن بحاجة إلى

مستعمرات ، لذا يجب ألا نلقي اللوم الكثير على إبراهيم باشا . إذ إن داهية كبيرًا كفولتير ، كان يستهزىء بمليكه لويس 14 لتركه أمور أوروبا وانشغاله بأراض تعيسة كأمريكا . وحتى أن رجلاً كبسمارك ، كان يرجح حيازة ناحية في أوروبا ، على حيازة قطر في المستعمرات . ولكن يجب علينا كذلك أن نقدّر بعد نظر بيرى رئيس وبربروس .

ونحن نعلم كذلك ضرب العثمانيين العديد من السفن الإنكليزية التي كانت تسير بين بوستون وبليموث وبريستول في العصر 17 . وفي 1625 استولوا في بحر المانش على سفينتين قادمتين من أمريكا . وقد وضعوا اليد على سفينة قادمة من Massachusetts إلى انكلترا في 1678 وهي التي كان أحد ركابها الدكتور Dr. Daniel Manson المتخرج في جامعة هارفارد ، والذي ظل إلى نهاية حياته في الجزائر وزاول مهنة الطب .

وغزا الأسطول العثماني في 1660 ، جزيرة نيوفوندلاند . ثم تتبع السواحل الأمريكية من ساحل كندا إلى فرجينيا . أرسلت بنت فرجينية جميلة جدًا ، هدية إلى حرم محمد الرابع . وفي 1681 ، غزا أسطول عثماني ، فوندلاند أيضًا ، سواحل كندا وسواحل نيوانكلاند العائدة للولايات الأمريكية . الأسطول الذي قام بهذه الحملة ، ضرب أيرلنده أولاً ، ثم تحرك منها (Salvatore Bono, 178 ؛ Godfrey Fisher, 323) .

18 – القرصنة خلال القرنين 18 - 19 :

استمرت القرصنة في القرن 18 ، رغم أنها فقدت فعاليتها السابقة . فمثلاً ، كانت قيمة حصة البادشاه – وهي خمس الغنائم – التي قدمت إلى سليم الثالث في 7 / 9 / 1791 ، تبلغ 60 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا . كان قد نقل الخزينة إلى حضرة البادشاه ، 61 من البحارة الغزاة الجزائريين الذين ألقوا على أكتافهم جلود النمر . كانت الغنيمة تحتوى على مسبحة لؤلؤ لا مثيل لجمالها ، 4أسود ، نمرين ، 5 ثيران ، سبائك ذهب ، أسلحة ثمينة جدًا (Belleten, 37, 613) .

كان القواد البحريون الذين يحصلون على شهرة في الجزائر ، يقدمون إلى استانبول ويصبحون أميرالات وحتى قادة للقوات البحرية . أحدهم ميزومورتا حسين باشا، والآخر

هو جانه خوجه محمد باشا الذي تدرب على يده وهو الذي سار في 1707 مع 20 سفينة وأحرق ودمّر سواحل أسبانيا وقلعتين أسبانيتين تدميرًا كاملاً . صدر تعيينه بعدها في استانبول بوظيفة قبودان دريا (قائد القوات البحرية) عام 1714 .

استهل القرن 18بانتصار لامع كفتح وهران (بالفرنسية : Oran) . تسلم محمد بكتاش دايي مرسي الكبير ميناء وهران ، مع Vire . حاصر وهران ، 10 آلاف تركي و 15 ألف عربي – بربري ، بواسطة 15 مدفع حصار و 150 مدفع صحراء . استشهد 7 500 . استسلم الأسبان الذين قدموا 15 ألف قتيل و 200 5 أسير (3 / 4 / 1708) . أرسلت مفاتيح المدينة مع سفيتين أسبانيتين والغنائم إلى استانبول وقدمها إلى أحمد الثالث بارطنلي علي رئيس . كان البادشاه يعلم بأن وهران لم يتيسر فتحها على عهد جدّه القانوني . منح بكتاش دايي رتبة بكلر بك (فريق أول) (Muhimme 103, 116 ؛ راشد ، 3 ,258 ,285, Fisher - 6) . أن القنصل الإنكليزي Robert Cole الذي توفي في الجزائر بعد إيفائه هذا الواجب مدة 18 سنة ، أنار القنصلية مجاملة لمدة 3 أيام .

وفي بداية العصر 18 أيضًا ، استولى القراصنة الجزائريون على إحدى جزر الرأس الأخضر Yesil burun ، واستعملوها كقاعدة لحملات الأطلسي . أرادت أسبانيا استعادة وهران في عهد البكلر بك كور عبدي باشا . أنزلت 16 سفينة أسبانية و 500 قارب نقل ، 28 ألف جندي في وهران (29 / 6 / 1732) . كان لدى مصطفى بك آمر اللواء (سنجق بك) البحري لوهران ، قليل من الجنود الأتراك ، 000 3 قول أوغلو (الهجناء المولودون من أب تركي وأم عربية) ، 30 ألف جندي عربي و 137 مدفعًا . سقطت وهران ومرسي الكبير في 1 تموز . وبذلك يكون الحكم العثماني في وهران ، عبارة عن 24 سنة ، وشهرين ، 28 يومًا . تعذر على العثمانية استرداد وهران رغم محاصرتها حتى نهاية العصر . دخلت الجزائر فترة الانحطاط لأسباب عديدة ؛ كسيطرة الانكشارية على الجزائر وحيازتهم على التفوق الذي كان في السابق لدى الجنود البحريين (لوندة) ، قلة مجيء المتطوعين من الأناضول ، ازدياد قوة الدول الأوروبية بدرجة كبيرة . تمرد في 1767 - 1773 شعب قابليّة . قُتل آلاف الأتراك إلى أن أخمدت الحركة من قبل أمير لواء قسطنطين صالح بك . قل عدد الجنود الأتراك إلى درجة أن البادشاه

أرسل في 1770 ، إلى الجزائر 200 مدفعي لملافاة النقص . أنزلت أسبانيا التي ظنت أنها تستطيع الاستيلاء على الجزائر ، 600 22 جندي في الجزائر ، قدموا بواسطة 24 سفينة حربية (كاليون) و 344 قارب نقل (2 / 7 / 1776) . انسحبت بعد أن خسرت 7 آلاف قتيل و 12 مدفعًا . اغتم كارلوس الثالث في مدريد ، بينما أمر عبد الحميد الأول بإقامة الأفراح في استانبول . أرسل بكلر بك محمد باشا خمس الغنائم إلى استانبول مع ابنه الشرعي حسن بك . كرّم البادشاه محمد باشا بسيف مرصع مع شارة رأس شرفية . وفي 1780 أغارت البحرية الجزائرية على الأسطول الأسباني الراسي في ميناء قادش وكبّدته خسائر جسيمة . جاءت أمام الجزائر 75 سفينة أسبانية (13 / 7 / 1783) . لكن البحرية الجزائرية صدتها وشتتها . كانت القطع البحرية الجزائرية ، تدعى بأمر إستانبول إلى البحر الأبيض ؛ فمثلاً ، دعيت بالفرمان (الأمر السلطاني) المؤرخ 18 / 11 / 1781 ، 29 (ثم 15) سفينة من الأسطول الجزائري ، 6 من التونسي ، 8 من الطرابلسي إلى استانبول وانضمت إلى حركة الأسطول الهمايوني (151, 180, Muhimme) ، ورغم هزيمتها في العام الماضي(واصف ، 202) كرّرت أسبانيا محاولتها في السنة التالية . حضرت إلى الجزائر 136 قطعة من الأساطيل الأسبانية – البابوية – المالطية – النابولية – البرتغالية (28 / 6 / 1784) (جودت ، 3 ,81) . تصدّى لها الأسطول الجزائري المكون من 67 قطعة . انسحب الأسطول الحليف بعد مبارزة مدفعية هائلة استمرت 4 ساعات ؛ إذ إن البحرية والمدفعية التركيتين ، كانتا حتى في هذه الفترة متفوقتين على إسبانيا . وبالرغم من إطلاقهم 379 3 قنبلة ، 1068 قذيفة ، 145 2 قنبلة مدفع هاون ، 401 صندوق طلقات بندقية ، استشهد 30 بحارًا تركيًا فقط . وبهذا تكون قد انتهت آخر حرب تركية – أسبانية فعلية (22 / 7 / 1784) . استمرت هذه الحرب التي بدأت مع كمال رئيس ، واكتسبت صفة عالمية مع أوروج رئيس ، 3 قرون دون أن يعقد أي صلح . حالت هذه الحرب دون تنصير المغرب من قبل الأسبان .

استسلمت وهران التي لم تتمكن من الصمود أمام الحصار العثماني المستمر (16 / 12 / 1791) . وبذلك يكون حكم الأسبان الثاني في وهران ، قد دام مدة 59 سنة ، 7 أشهر ، 24 يومًا . دخل المدينة آمر لواء الغرب ؛ عثمان أوغلو محمد بك (24 / 2/

1792) وأرسل مفاتيح المدينة الذهبيّين مع قارورتين مرصعتين مليئتين من مياه حنفيات المدينة إلى البادشاه من قبل بكلر بك (الفريق الأول) حسن باشا .

كانت القرصنة حرّة حتى مؤتمر فيينا 1815 . منعت في هذا المؤتمر. حرمت الجزائر ، أهم مورد لها . كتب محمود الثاني ، إلى عمر باشا الذي عين خلال تلك الفترة بكلر بك (فريق أول ، والي إيالة) على الجزائر في خطة الهمايوني (السلطاني) ما يلي : « ولّيت على إيالة الجزائر شرط تجنبك الأحوال التي تتعارض مع إرادتي ، واعلم بأنه عُفي عمّا سبق من الذنوب الكبيرة والصغيرة لمنتسبي الحامية من رعيتي وسوف يلقون من قبلي حسن القبول والسماح السلطاني السامي كما في السابق » .

ألغيت حامية الإنكشارية في الجزائر في 2 / 12 / 1817 . كان يوجد فيها 34 ألف انكشاري ، 700 منهم متقاعدون . أكثرهم أخذوا ثرواتهم وذهبوا إلى مواطنهم الأصلية في قصبات الأناضول الغربية . استوطن أغنياؤهم في أزمير واستانبول . وبهذا حرمت البلاد من الجنود المجربين في الدفاع عن الجزائر عام 1830 . إن أخير بكلر بك هو حسين باشا الذي ولد في دنيزلي عام 1779 ، قضى أيام شبابه في أزمير ، جاء إلى الجزائر وانتسب إلى الإنكشارية ، وصار بكلر بك في 1 / 3 / 1818 . أرسل في الثورة اليونانية أسطولين في سنتين متواليتين لأمر الأسطول الهمايوني (266, 241, Muhimme) .

19 - تونس :

أمر محمود الثاني في خطّه السلطاني المؤرخ في 25 / 7 / 1831 ، والي تونس حسين باشا ، أن يلغي حامية الإنكشارية الموجودة في إيالته وأن يطبق في الأيالة كل القوانين التي شرعت في استانبول . بدأ بذلك ، دور التنظيمات في تونس كذلك ، بينما تعرضت الجزائر للغزو الفرنسي قبل دخول التنظيمات فيها .

جاء أحمد باشا ، من الولاة المتأخرين ، إلى استانبول وقبّل قدم محمود الثاني وشرح له كيفية تطبيقه إصلاحات السلطان في إيالته (1836) . منح عبد المجيد الثاني الذي اعتلى العرش حديثًا في 1840 ، أحمد باشا هذا مرتبة « وزير » بتوصية من وزير

الخارجية مصطفى رشيد باشا . لم يمنح حتى ذلك التاريخ أي وال على الجزائر أو على تونس مرتبة وزير عدا واحد . كلهم كانوا بكلر بك (فريق أول) . ولغرض تمكينه من تطبيق الإصلاحات بصلاحية تامة ، أمر البادشاه بنفس الفرمان (9 / 8 / 1840) بأن تستمر ولاية أحمد باشا قيد الحياة . إن إلغاء السلطان مجيد بفرمانيه (بإرادتيه) في 1841 و 1846 الرق بصورة قطعية ، ولّد مشاكل في تونس . إلا أن أحمد باشا ، اضطر إلى غلق أسواق الرقيق في البلاد . إن محمد بك ، أحد أولاد أحمد باشا هذا ، جاء إلى استانبول في 1854 وانتسب إلى البحرية العثمانية وخدم كأميرال إلى نهاية عمره . صدر لصادق باشا الذي صار واليًا بعد ذلك (23 / 9 / 1859 – 12 / 5 / 1881) فرمانًا منح بموجبه رتبة وزير أيضًا وانحصرت ولاية تونس 1871 في رجال سلالة الحسيني التركية الأصل . إن الذي أعد هذا الفرمان هو رئيس وزراء الإيالة المسمى (رئيس مديران) جركس خير الدين باشا ، جاء بعدها إلى استانبول وصار صدرًا أعظم .

وفي أواخر عهد محمد صادق باشا ، احتلت فرنسا تونس بعد اجتيازها الحدود العثمانية من الجزائر بجيش عدده 23 000 جندي (3 فرق = فيلق واحد) . كانت فرنسا قد وعدت بتونس في كواليس مؤتمر برلين . لم تعترف الحكومة العثمانية بالاحتلال الفرنسي لتونس حتى معاهدة لوزان 1923 وأصرت على أنها قطعة من الإمبراطورية العثمانية . طبقت فرنسا التي أنزلت 8 000 من جنودها إلى بيزرته عن طريق البحر ، نظام الحماية على تونس 12 / 5 / 1881 . وأبقت سلالة الحسيني على عرش تونس بلقب « بك = أمير » . يخمن أن الدم التركي يجري في عروق ثلث نفوس تونس حاليًا (عزيز سامح 184, 2 ب) . ولا تقل هذه النسبة في المنطقة الساحلية للجزائر . لم تمنح فرنسا الاستقلال لهذه الأقطار رغم أنها أخذت من الجزائر 250 000 ومن تونس 89 000 جندي وساقتهم تجاه ألمانيا في الحرب العامة الأولى . ولعبت نفس اللعبة في الحرب العالمية الثانية . تمكنت فاس ، تونس و [illegible]ائر ، بعد كفاح عظيم من التخلص من فرنسا . تمكنت الجزائر خلال ذلك من خوض أكبر حرب دموية شهدتها القارة الأوروبية جمعاء طوال التاريخ العالمي مع فرنسا وحصلت على استقلالها بعد أن قدّمت مليونًا م[illegible] شهداء وأسقطت الجمهورية الفرنسية الرابعة .

20 ـ الحرب مع الولايات المتحدة الأمريكية :

بدأت أعلام سفن الولايات الأمريكية التي نالت استقلالها من انكلترا في 1776 ، ترفرف في البحار اعتبارًا من 1783 ولو أنها متواضعة بالنسبة لأوروبا . كان عدد نفوسها 9 , 3 مليون في 1790 و 3 , 5 مليون في 1800 . كانت نفوس إيالات أفريقيا الشمالية (المغرب) للعثمانية (الجزائر ، تونس ، طرابلس) تفوقها عددًا . ولم تعد الدول الكبرى كانكلترا ، فرنسا وأسبانيا ، تتمكن بعد من إسماع كلمتها إلى حاميات المغرب . وحتى في 25 / 7 / 1785 استولى القراصنة الجزائريون على سفينة تخص الولايات الأمريكية في مياه قادش Cadiz . وهي سفينة القائد Isaak Stevens المسماة Maria التابعة لميناء بوسطن . ثم لقي القائد O'Brien' i Dauphin'i التابع لفلادلفيا ، بعد مدة قصيرة نفس العاقبة ، جلب إلى الجزائر . وفي شهري ت 1 و ت2 من عام 1893 استولى القراصنة الأتراك على 11 سفينة تخص الولايات الأمريكية . أعطى المؤتمر ، إلى الرئيس جورج واشنطن صلاحية صرف مبلغ 888 688 دولارًا ذهبًا لإنشاء سفن متينة يمكنها صد هجمات القراصنة الأتراك (27 / 3 / 1794) . تعهد Joshua Humphrey البنسلفاني بإنشاء هذه السفن . وبفضل القراصنة الأتراك ، وضع حجر الأساس لتأسيس قوة بحرية وصناعة سفن للولايات الأمريكية (G. W. Allen, Our navy and the Barbary Corsairs, 6 - 65) .

كان إنشاء أسطول يمكنه مطاولة الجزائر ، يحتاج إلى وقت طويل . اتصلت واشنطن بالجزائر . وبموجب معاهدة 21 صفر 1210 (5 / 9 / 1795) المكونة من 22 مادة باللغة التركية : تدفع الولايات الأمريكية إلى الجزائر فورًا مبلغ 000 642 دولارًا ذهبيًا وسنويًا مبلغ 000 12 ليرة عثمانية ذهبًا . وفي مقابل ذلك يطلق سراح الأسرى الأمريكيين الموجودين في الجزائر ولا تتعرض الجزائر لأية سفينة أمريكية لا في الأطلسي ولا في البحر الأبيض . وقّع وصدّق على المعاهدة جورج واشنطن وبكلر بك حسن باشا . هذه الوثيقة هي المعاهدة الوحيدة باللغة الأجنبية (غير الإنكليزية) التي وقعت عليها الولايات الأمريكية خلال تاريخها الذي يتجاوز القرنين . وفي ذات الوقت ، هي المعاهدة الوحيدة التي وافقت وتعهدت فيها الولايات الأمريكية خلال تاريخها كله بدفع

ضريبة (في المتن التركي : سنوية) لدولة أجنبية . إن صورة طبق الأصل عن الأصل الموجود في الأرشيف الأمريكي National Archives of the United States وترجمة النص التركي إلى الإنكليزية : **Treaties of the United States, Hunter Miller** ، واشنطن **317 - 276, 1, 1939**) .

قامت أول سفينة أمريكية بزيارة إستانبول في **1785** ، وفي خريف عام **1800** زارت السفينة المسماة جورج واشنطن ، ميناء الجزائر زيارات وديّة ، ثم جاءت من الجزائر إلى إستانبول . أرسل بكلر بك الجزائر عثمان أوغلو مصطفى إلى سليم الثالث بواسطة هذه السفينة الأمريكيه ، أسدين وضبعين وهدايا أخرى ، أراد أمير البحر (قبودان دريا) كوجوك حسين باشا ، التكلم مع قائد سفينة الدولة الجديدة هذه . قبل حسين باشا زيارة العقيد البحري **Bainbridge** ورحّب به (**Thomas Harris? Life and Services of Commodore William Bainbridge**) فيلادلفيا **1837** ، ص **45 - 61**) .

لكن السفن العثمانية التابعة لإيالة طرابلس ، بدأت في التعرض للسفن الأمريكية التي تدخل البحر الأبيض . وعلى هذا ، جاء **Bainbridge** بأسطول حربي إلى ميناء طرابلس (**7 / 10 / 1803**) . سفينة **Philadelphia** و **Vixen** ذواتا **35** مدفعًا ، أخذتا تتبادلان نيران المدفعية مع السفن الطرابلسية . جنحت سفينة الحرب الأمريكية فيلادلفيا في المياه الضحلة ، لعدم درايتها بخصائص تلك المياه ولكونها أكبر سفينة في ذلك التاريخ . أسر طاقمها المكون من **300** بحّار . طلب والي ليبيا (بكلر بك) قره مانلي يوسف باشا من الولايات الأمريكية غرامات تقدر بـ **3** ملايين دولار ذهبًا وضريبة سنوية قدرها **20 000** دولار ، قائلاً بأن السفن قد أضرت ميناء طرابلس . كان الرأي العام في الأمريكية راغبًا في تسديد هذا المبلغ . مات **5** من البحارة الأمريكيين وأخلي سبيل **5** منهم بعد اعتناقهم الإسلام ، كان **290** بحارًا مسجونين في طرابلس . كان والي تونس (آذار **1782 - 6 / 9 / 1814**) محمد حموده باشا ، يطلب كذلك ضريبة سنوية من الولايات الأمريكية قدرها **10 000** دولارًا . أرسل حموده باشا الشخص المدعو منمنلي سليمان أغا الذي يجيد اللغة الإنكليزية إلى واشنطن للتفاوض حول هذا الموضوع . إن سليمان أغا الذي غادر تونس في **1 / 9 / 1805** بواسطة سفينة عقيد

البحر الأمريكي Rodgers المسماة Congress الذي جاء إلى تونس ، وصل إلى Hampton Road في 14 ت 2 وذهب مع معيته الأتراك إلى واشنطن . استقبله الرئيس توماس جفرسون (**365, 6, Barbary Wars,** Naval Doeuments) .

قابل سليمان أغا وزير الخارجية الأمريكي كذلك . كان يطلب إعادة السفينتين اللتين استولى عليهما الأمريكيون وعدا ذلك غرامات . وبالأخير تقرر إهداء سفينة أمريكية محملة بصورة مكثفة بمواد إنشاء السفن . زار سليمان أغا مع القنصل الأمريكي James L. Catchcart ، الذي عيّن في تونس ، موانيء بالتيمور ، فلادليفيا ، نيويورك وبوسطن ثم عاد إلى تونس (**448, 428, 6, Barbary Wars**) . كانت نفوس هذه المدن في ذلك التاريخ تتراوح بين **45** ألفًا و**60** ألف نسمة . ولو كان منمنلي سليمان أغا قد حرّر مذكراته لسرد لنا حوادث شيّقة . حتى يمكن المقارنة بين المدن الأمريكية المتواضعة ومدن عثمانية كإستانبول ، أزمير ، تونس . رفض **3** أتراك من معيّة سليمان أغا ، العودة واستوطنوا في أمريكا . اثنان منهم ـ أحدهم من أهالي قيصري والآخر من جزيرة كريت ـ عادا إلى إستانبول في **1817** بعد مكوثهما في أمريكا سنتين . وقدّما لقائد القوات أمير البحر تقريرًا عن الولايات الأمريكية . يجهل مصير التركي الثالث . ويحتمل أن يكون أول مسلم توطّن في أمريكا (**457, 6, Barbary Wars**) .
جاء سليمان آغا إلى تونس بواسطة السفينة الأمريكية **FranKlin** . سدّد قنصل الجزائر الأمريكي **Lear** ، في **1812** إلى الوالي (بكلر بك) آماسيا خواجة حاجي علي باشا ، **26 000** دولار ذهبيًا وهي آخر ضريبة سنوية . وهذه هي الضريبة الأخيرة التي تدفعها الأمريكية للعثمانية . تخلّصت أمريكا من كونها موضعًا للخراج بالنسبة للعثمانيين . لم يكن ذلك مهمًا بالنسبة للدولة العثمانية التي ألزمت كلاً من الإمبراطور الألماني ، رئيس جمهور البندقية ، والقيصر الروسي وأمثالهم بدفع ضريبة سنوية . إن الولايات المتحدة ، بالنسبة لنا اليوم ، تلفت النظر من ناحية وضعها الحالي . حسّنت معاهدة استانبول **7 / 5 / 1830** ، العلاقات بين الأمريكية والدولة العثمانية ووضعتها على دربها الصحيح .

أما قرصنة طرابلس فقد استمرت حتى **1826** . أمر محمود الثاني في هذا التاريخ ،

الوالي (بكلر بك) (24 / 1 / 1796 – ذ / 8 / 1832) قره مانلي يوسف باشا بالإرادة السلطانية التي أرسلها له ، بمنع القرصنة وإلغاء حامية الإنكشاريين الموجودة في الإيالة . لم يعص إنكشارية ليبيا كإنكشارية الجزائر وانتسبوا إلى عسكر النظام . ثم منع السلطان مجيد الرق كذلك في ليبيا . أرسل فرمانًا إلى طرابلس يأمر فيه تطبيق قواعد التنظيمات في الأيالة . لا زالت كلمة « Tripoli » (طرابلس) ترد حاليًا في نشيد البحرية المشاة (بالإنكليزية : marine) الأمريكيين .

21 – القوة البحرية في التنظيمات :

غيّر اسم قبودان دريا إلى « ناظر البحرية » في 13 / 3 / 1867 ، لكن واجباته لم تتغيّر أبدًا . كان قائدًا للقوة البحرية وعضوًا في الوزارة ووزيرًا للدفاع البحري . عيّن لهذا المنصب على الأكثر الأميرالات الكبار ، ولكن أحيانًا الجنرالات ، الماريشالات والمدنيين . أن آخر ناظر للبحرية حتى 3 / 11 / 1922 ، هو صالح خلوصي باشا ، الذي كان صدرًا أعظم أيضًا (3 مرات مجموعها 3 سنوات ، 9 أشهر ، 16 يومًا) . استمرت وزارة البحرية في العهد الجمهوري لمدة 3 سنوات تقريبًا (1924 - 1927) ، ألغيت هذه الوزارة بعد ذلك . صلاحياتها اليوم ، لدى رئاسة أركان الجيش ، وزارة الدفاع الوطني ، وقيادة القوة البحرية . بقي جمال باشا الشهير في هذا المنصب مدة 4 سنوات ، 7 أشهر ، 9 أيام (6 / 3 / 1914 – 14 / 10 / 1918) ، وعندما كان في الشام شغل المنصب ذاته كذلك . هناك شخصيات صدور عظام ورؤساء وزارة شغلوا منصب نظارة البحرية مثل محمود نديم باشا (1868 - 1871) ، أحمد أسعد باشا (1872., 1875) ، حسين عوني باشا (1873) ، علي رضا باشا (1909) ، رءوف (أورباي) بك (1918) . رءوف بك فقط من بين هذه الأسماء، عقيد بحري والآخرون مشيرون (ماريشال) (محمود نديم باشا وزير مدني) . وفي 1876 - 1877 عين قيصريلي أحمد باشا ناظرًا للبحرية مرة أخرى بلقب « قبودان دريا » لمدة 8 أشهر . وقد ضرب الأميرال الكبير بوزجه آدالي حسني باشا الرقم القياسي بين قواد البحرية (قبودان دريا) ببقائه في منصبه مدة 20 سنة ، 7 أشهر ، 25 يومًا بالضبط (3 / 12 /

1882 - 27 / 7 / 1903) .

كان قادة القوة البحرية العثمانية في 1907 ,3 أميرالات كبار (مشير بحري) ، 5 فريق أول بحري ، 20 فريقًا بحريًا ، 17 لواء بحريًا ، 21 عقيدًا بحريًا . كان هذا أضخم عدد . كان بعض الأميرالات طبيبًا ومهندسًا (**سالنامه** ، **آتميشنجي سنه** ، ص 327 - 50) . أما في 1912 فقد قلّصت البحرية إلى فريق بحري و 5 ألوية بحرية . وفي 1875 ، عندما كانت البحرية العثمانية القوة العظمى الثالثة في العالم ، كان ملاكها 3 فرقاء أول ، 6 فرقاء ، 11 لواء ، 208 رواد ، مقدّما واحدًا ، عقيدا ، 704 ضباط ، 000 50 جندي وأميرالاً كبيرًا واحدًا احتياطيًا ؛ 21 دارعة ، 173 سفينة حربية أخرى (المجموع 080 225 طنًا و 816 مدفعًا) . كان ملاك الولايات الأمريكية وهي الدولة العظمى الخامسة في العالم عام 1875 ، في الوقت الذي كانت فيه 20 دولة فقط تملك قوة بحرية ، 275 163 طنًا ، وأسطول إمبراطورية ألمانيا التي كانت التاسعة هو 958 66 طنًا ، 357 مدفعًا ، 10 دارعات ، 41 من السفن الأخرى ، 4 لواءات ، 58 ضابطًا كبيرًا ، 622 ضابطًا ، 7061 جنديًا .

هبطت القوة البحرية العثمانية في 1914 بين 27 دولة تملك قوة بحرية، إلى الدرجة التاسعة ، كان مجموع حمولتها 097 127 طنًا (**سالنامه** ، 348, 66 - 50) . ولو كانت قد تسلمت الدارعات التي دفعت أثمانها والتي كانت جاهزة في معامل انكلترا ، لزادت قوة البحرية بشكل ملحوظ . لكن إنكلترا وضعت يدها على السفن عند نشوب الحرب العالمية ، وكان هذا من أسباب اشتراك العثمانية في الحرب .

ولأول مرة في التاريخ العالمي استخدمت العثمانية الغواصة (بالعثمانية : تحت البحر) كسفينة حربية ، وأدخلتها ضمن أسطولها . رفعت الراية على غواصتي عبد المجيد وعبد الحميد اللتين صنعتا في معامل الخليج وأنزلتا في البحر في 5 / 2 / 1887 وفي 22 / 3 / 1888 بعد إجراء تجارب الغوص ، الارتفاع والسير . دخل الطوربيد كذلك الأسطول الهمايوني في دور عبد الحميد الثاني وقبل إدخاله إلى أساطيل دول كثيرة .



البحث الرابع عشر

الدين والقانون
العدالة والثقافة



1 ـ الدين :

كان دين الدولة العثمانية الرسمي الإسلام ومذهبها السنية ـ الحنفية . كان الاسلام دينًا للدولة ، والحنفية مذهبًا لها . المذاهب السنيّة الثلاثة الأخرى (الشافعية ، المالكية ، الحنبلية) ، كانت مكانتها متعادلة مع الحنفية . كان البادشاه خليفة لأتباع المذاهب الأربعة وممثلاً للدين الإسلامي والأصح زعيمًا لجميع مسلمي العالم ، رمزًا للوحدة ، خليفة ، وخلفًا شرعيًا للرسول ﷺ ، وهو شخصيًا حنفي المذهب ، ومن الطبيعي أنه ليس بإمكانه التفريق بين المذاهب السنيّة الثلاثة الأخرى . لكل مذهب مفتٍ خاص به .

الحاكم الذي يسمى قاضيًا كان دائمًا حنفي المذهب ، ولكن إذا حدث أن طلب المدعي أو المدعى عليه ، النظر في دعواه بأحكام أحد المذاهب الفقهية الثلاثة الأخرى ، كان مضطرًا لتلبية هذا الطلب . وطلبٌ كهذا ، لم يكن يتكرر كثيرًا لكون الحنفية أكثر ليبرالية من المذاهب الأخرى .

لكن الدولة العثمانية كانت دولة عالمية عظمى . الدول العظمى تكون لها رعية من جميع الأديان والمذاهب . لم تكن في الدولة العثمانية قضية تمييز الوطن الأم ـ مستعمرة . لا يوجد تمييز كما في الدولة العالمية العظمى الرومانية ، مواطن روماني ـ أجنبي ولا كما في الدولة الأموية العظمى ، عربي ـ عجمي ، ولا كما في الدولة العظمى بريطانيا ؛ مواطن بريطانيا العظمى والمستعمرات . كان كل أتباع الدولة سواسية . كانت توجد بعض فروق من الناحية الوظيفية ، لكن ذلك لم يكن يولد فروقًا حقوقية من شأنها أن تولد وضعًا منافيًا للحق البشري .

إن والي الإيالة (بكلر بك) الذي يكون حنفيًا على الدوام ، كان يقوم بإدارة بلاده بتوافق وانسجام تامين مع إشراف تلك الإيالة سواء كانوا شافعية أم مالكية أم حنابلة . ولكن يلاحظ أن بعض السلاطين عرضوا على رجال الدولة الشافعيين الذين شغلوا مناصب رفيعة في إستانبول ممن هم من أصل عربي وكردي ، التحول عن مذاهبهم والانتساب للمذهب الحنفي . أما أكثرية السلاطين ، فلم يفعلوا ذلك . وعمومًا فإن الفروق بين المذاهب الأربعة لا تزيد على كونها فروقًا جزئية .

كان للإمبراطورية رعايا من غير السنّة أيضًا . من الصحيح أنهم ليسوا كثيرين ،

لكنهم على كل حال موجودون : الزيديون الشيعة في اليمن ، الإثنا عشرية أوالجعفرية الشيعة في العراق ، الخوارج العباديون في بعض أماكن من الجزائر وتونس ، الدروز في لبنان وسوريا ، الإسماعيلية الشيعة (الشيعة السبعيّة) في بعض المناطق ، النصيريّون ، العلويّون ... ما وضع هؤلاء ؟ لقد كان في استطاعتهم جميعًا ممارسة معتقداتهم بكل حرية ، لا تمارس الدولة أي ضغط أو تدخل في شعائرهم ومعتقداتهم ، وبإمكانهم تدريس أصول فقههم الخاص في مدارسهم الدينية ، وأشهرها المدرسة الشيعية العالية في النجف التي سمحت الدولة العثمانية بتدريس الفقه الشيعي فيها بمستوى جامعي دون اعتراض . لكن المسلم غير السني ، لا يصبح موظفًا مهمًا ، ولا تعطى له أية وظيفة في المركز (إستانبول) . إما عليه أن يكون سنيًّا ، أو عليه أن يخفي معتقده ويتظاهر بأنه سنّي . إن هذا يبدو مخالفًا لنظرتنا الحالية ، لكن كان هذا هو الواقع . وفي العالم أجمع كان الوضع كذلك . كان هذا وضع الكاثوليك في إنكلترا حتى القرن 19 ، ووضع البروتستانت في أسبانيا حتى القرن 20 ، لا يوظفون في الدولة . والحقيقة ، إن عقلية الدولة العثمانية ، كانت لا تبالي بكون قسم من رعاياها علويين ، شيعة ، خارجيين . ولو كانت تبالي بذلك ، لضغطت ، وحاولت بشتى الوسائل أن تحولهم إلى سنّة . شيئًا كهذا ، لم يحصل في أي دور من الأدوار . إن عدم توظيفهم في خدمة الدولة لم يكن بسبب تباين أساليبهم في الاعتقاد ، إنما كانت الخشية من نفوذ أذناب وجواسيس الشاه إليهم ، وبالفعل ابثوا بينهم . إذ إن الدولة الإيرانية الصفوية ، كانت تركية كذلك . كانت تعترف بالشاه إمامًا . لم يعدم الشاعر الشعبي بير سلطان لعدم قبول العدول عن مذهبه العلوي والشيعي ، إذ إن الإمبراطورية كانت تحتوي على مئات الألوف من الرعايا ، أصحاب هذا المعتقد ، وإنما أعدم لأنه كان يحرض شعب الأناضول على الانفصال عن خاقان ـ خليفته وإطاعته الشاه ـ الإمام الصفوي ؛ إذ إن الدولة الصفوية ، أسسها نصف مليون تركماني جلبهم اسماعيل من الأناضول وأدخلهم في المذهب الشيعي بعد أن كانوا سنّة . إن انفصال إخوتهم هؤلاء سبّب الأذى للعثمانية وللشعب الأناضولي .

كان عدد رعايا الإمبراطورية المسيحيين كبيرًا ، والذين يشكلون كثافة سكانية كبيرة هم الأرثوذكس ، وعدد غير قليل من الكاثوليك ، وقليل من البروتستانت . كانت هناك أقلية من الموسويين أيضًا . وسأشير فيما بعد إلى هؤلاء . كان في أفريقيا جماعة

من رعاياها عبدة الأصنام ، عبدة الطبيعة animist ، فتيشيون Fatichist ، ومعتنقو مذهب الطبيعيين naturalist . تركت الإمبراطورية هؤلاء على حالهم . الحقيقة أن العثمانية حقّقت خدمة كبيرة في نشر الدين الإسلامي في أفريقيا . لكن الاهتداء إلى الإسلام كان يحصل دون ضغط ، بالقدوة والإيمان . إن أساليب المبشرين الأوروبيين التي غالبًا ما تتحول إلى وسائل دموية ونارية ليست لها علاقة بطرق تلقين الدين التي يتبعها رجال الدين العرب والأتراك . لم يُشَاهَدْ لدى مسلمي العرب ولا لدى مسلمي الأتراك ، تلقين للدين جرى بالدم والنار . وحتى كان للإمبراطورية رعايا من البوذيين (مثل الكلموكيين المغول في منطقة الخزر) . كانت توجد قبائل شامانية وحتى قبائل مجهولة المعتقد .

كانت للعثمانية علاقة بالهند وبسبب ذلك بالدين البراهمي (هندو) أيضًا . كانت لا توظف غير المسلم – عدا استثناءات – ولا تدخله إلى السلك العسكري . لكنهم كانوا اتباعًا للدولة ، وجميع حقوقهم بكاملها تحت رعاية وحماية الدولة .

هل جميع الأتراك ، أي المتكلمين باللغة التركية حنفية – ما تريدية ؟ كلاًّ ! جميع الأتراك السنة هم حنفيون . بالإمكان ، إذا ما رغب في ذلك ، تثبيت أسماء الشافعيين ومنتسبي المذهبين الآخرين الأتراك الأصل فردًا فردًا لكن كل هذه أوضاع شخصية واستثنائية . إلاّ أنه كان هناك أتراك شيع وليسوا سنة . أدخل الشاه إسماعيل الشيع بين الأتراك وولد فُرقة كبيرة . لم تهضم العثمانية ذلك في أي وقت من الأوقات . كان هناك أيضًا أتراك غير مسلمين (ديانة كوك نتكرى ، شامانيون، بوذيون، نسطوريون أو المسيحيون الأرثوذكس أو الكاثوليك الموسويون). لكن عددهم كان قليلاً جدًا وكلهم تقريبًا كانوا خارج المجتمع العثماني . إن عدد الأتراك غير المسلمين أقل بكثير من عدد العرب غير المسلمين .

سمّت العثمانية المسيحيين الذين ليسوا من أتباعها « كافرًا » وبصيغة الجمع « كفّارًا ، كفرة » لم يكن هذا اللفظ لأجل التحقير ، وإنما للتعبير عن فكرة « بربري ، تعني أجنبي ، ليس من تبعة الدولة العلية » . وهي تماثل « بربري » التي يطلقها الرومانيون على غيرهم من الشعوب ، و « عجم » التي يطلقها الأمويون على غير العرب .

الإسلام بالنسبة للعثماني التركي ، دين الحق . وهو حاليًا كذلك . يؤمن بهذا الدين وبجميع شعائره وأركانه بإخلاص وولاء . وهو حاليًا كذلك . يؤمن بأنه ليس هناك شيء ، أو رأي أو معتقد أسمى من الدين . البادشاه ، حامي هذا الدين ، خادمه ورئيسه . حامي الدولة والنظام . الدولة وكل شيء ملك للبادشاه . البادشاه مقدس ما دام لا يخرج على الدين . يجلس على عرشه بإرادة الله ، هو « ناظم عالم » أي منظم العالم . يختل النظام عند انتفاء وجوده ، يفقد الدين كما تفقد الديانة . هذا هو تفكير العثماني . مستند على الدين وعلى البادشاه .

والحقيقة أن الوضع الواقعي لم يكن كذلك بالضبط . إن هذا الحكم يحتمل أن يسبب الأذى لكثير من المسلمين من الناحية الدينية ، وكثير من الأتراك من ناحية البادشاه . لكن تمييز الوضع النظري والوضع العملي الواقعي من واجبات المؤرخ .

ما الوضع الواقعي بالنسبة للعثماني ؟ ، « الدولة » فوق كل شيء . إن زالت « الدولة » يزول كل شيء . البادشاه مقدس ، الدين أكثر قدسية لكن ، إن لم تكن الدولة ، يداس البادشاه وكذلك الدين تحت الأقدام . لا يحول هذا المعتقد إلى الصيغة اللفظية دائمًا ، لكن ، هذا هو شعور العثماني . والحقيقة أن الدولة وجدت لصيانة وحفظ رعاياها المسلمين ، الأمة ، الملّة الإسلامية وخدمتها ومنحها السعادة . والبادشاه ، هو رمز الوحدة الذي لا يستغنى عنه ، لكل ذلك . إلاّ أنه أمكن تأمين كل ذلك ، بفضل الدولة . ولأن مفهوم الدولة – بالنسبة لتلك العصور خاصة – مفهوم مبهم ، كثيرًا ما حدث وأطلق على الدولة اسم بادشاه . ولو قرئت الوثائق بقليل من الانتباه ، لاتّضح فورًا أن البادشاه المنوه عنه ، يعني الدولة وليس شخص البادشاه . وبناء على ذلك ، من الجائز أن يتضرر البادشاه في سبيل إعلاء شأن الدولة . لا يمكن إيذاء الدين ولكن ، من الممكن تشريع أحكام أخرى للدولة بدلاً من الأحكام الدينية . وقد تكون هذه الأحكام أكثر فاعلية في إعلاء شأن الدين . ومن هنا يمكننا الانتقال بسهولة إلى نظام الحقوق العثماني .

2 – الحقوق (القانون) :

الدولة العثمانية ، ليست دولة دينية ، فهي لكي تكون كذلك كان يجب أن تتكون

من المسلمين فقط . يوجد نظامان حقوقيان : الشريعة ، وهي في غنى عن الإيضاح ، والنظام الذي يسميه العثماني « سلطاني » وعلى الأكثر « خاقاني » ، وهو نظام تركي قديم . يمكن به تشريع أحكام لا توجد في الشريعة ووضع قوانين باسم الخاقان لحماية مصالح الدولة وكذلك مصالح الدين العليا . بشرط ألاّ تكون متعارضة مع الشريعة . كان القانون يعلن باسم الخاقان ، وبسبب عدم وجود مجلس أمة ، وبناء عليه ، فإن الحق التشريعي يتم إعماله باسم الخاقان .

طبّق الفقه الحنفي بصورة كاملة تقريبًا في القانون المدني . ولكن وضعت أحكام ونشرت قوانين جديدة في المجالات كالجزاء ، الضريبة والسياسة . وأساسًا كان مبدأ **الاستحسان** في المذهب الحنفي **والاستصلاح** في المذهب المالكي ، يوفران تسهيلات وراحة وحرية لمن بيدهم الصلاحيات التشريعية في الدولة ، وأبدع الأمثلة لذلك هي القوانين التي أمر القانوني بوضعها ، وأعدها شيخ الإسلام أبو السعود أفندي . أمكن بها ، بدهاء قانوني خارق تلبية احتياجات الدولة العالمية العظمى لذلك العصر بشكل لطيف جدًا دون معارضة أحكام الشريعة .

لم يفارق القانون العثماني الذي لم يهمل وضع تدابير قانونية حتى لحماية الحيوانات ، الفقه الحنفي في مجال القانون المدني ، حتى 1926 . ظلّت **مجلة أحكام عدلية** (مجلة الأحكام العدلية) التي دونها جودت باشا ، نافذة المفعول حتى السنين الأولى للجمهورية وهي حاليًا نافذة المفعول لدى بعض الأقطار الإسلامية . إنه سجل مبدع يبين درجة ملاءمة الفقة الحنفي للأزمنة الحديثة . إن شرح نظام القانون العثماني ، يضخّم جدًا حجم كتابنا . إلاّ أن حوادث وأوضاعًا كثيرة سواء في التاريخ السياسي أو في التاريخ المدني ، يمكن أن تقدم لنا فكرة واضحة عن هذا النظام . يمكننا أن نقول باختصار ، بأنه نظام قانوني أكثر ليبرالية وأفضل صيانة لحقوق الإنسان من أي نظام آخر في العالم ، وإنه طبّق بجدارة ، وبخاصة في دور العظمة . وإن رأي المؤرخين الأوروبيين في هذا الشأن ، هو كذلك أيضًا .

3 ـ المسيحيون والموسويون :

كان للدولة رعايا من المسيحيين منذ عهد تشكيل الإمارة الحدودية (أوج بكلكي)

كان المجريون يشكلون أكبر جماعة كاثوليكية من رعايا الإمبراطورية . لكنهم عاشوا تحت رعاية العثمانية مدة تقل عن القرنين . وبقية الرعايا الكاثوليك هم الخرواتيون ، السلوفينيون ، قسم من الألبانيين ، قسم من الرومانيين والعرب المارونيين في لبنان والسلوفاك . لم يكن عددهم كبيرًا . قسم من الأرمن كذلك اعتنقوا الكاثوليكية . أما الرعايا البروتستانت فكانوا أقلّيات صغيرة ، عدا مجر ترانسيلفانيا .

إن محافظة جميع الأديان والمذاهب على كنائسها بكامل تشكيلاتها ، وعدم وضع أي تحديدات على العبادات أو مراسمها ، كان مبدأ للعثمانية لا يتغير منذ بدايتها إلى نهايتها وأصبحت قدوة في هذا الشأن للعالم أجمع . « الحقيقة التي لا يمكن أن تنكر ، هي أن العثمانيين هم أول شعب اتخذ مبدأ إطلاق الحرية الدينية كحجر أساس عند تأسيس دولتهم في العصور الأولى » (**Gibbons, 63**) . كتب العلامة الفرنسي **Bodin** في أواخر القرن 16 ، أنه أوصى مليكه ، بأن يدير فرنسا كالدولة العثمانية وأن البادشاه هو ليس فقط رئيسًا للدين الإسلامي ، وإنما هو في الوقت نفسه رئيس للأرثوذكس ، الكاثوليك والموسويين الموجودين في إمبراطوريته ، وإنه يعامل أتباع هذه الأديان الأربعة بالمساواة ويقسم النعم عليهم بالتساوي (**Discours, 5, 655**) . والمعلوم أن **Bodin** (**1520 - 1596**) ، يعتبر مؤسس القانون الدولي في أوروبا . يقول **Chènier** الإيطالي الجنوي « أظهر الأتراك تفهمًا عاليًا وتسامحًا مطّردًا تجاه جميع الأديان » (هامّر ، **15 ,350**) .

حوادث القتل ، الحرق في النار ، إشعال الحريق مجهولة في العثمانية . لا تعدم المرأة . إذا ارتكبت ذنبًا تجاه البادشاه بصورة مباشرة ، تخنق وتلقى في اليم . لا يجري تحقيق ديني . لا يعاقب أي شخص لأسباب دينية فيما عدا الإعلان بالكفر بالإسلام . وأيضًا لا يجوز لأحد ادعاء النبوة ، فعقوبتها الإعدام . يوجد من عوقب ، أعدم من الرهبان ، لأسباب سياسية كخيانة الدولة . لم يعاقب أي أحد منهم لفعل ديني .

تحل كل الجماعات غير المسلمة دعلواها المدنية فيما بينها بواسطة كنائسها . يمكنهم مزاولة التعليم في كنائسهم بلغاتهم الخاصة . إلا أن الدعلوى الجزائية ، ينظرها القاضي . وينظر القاضي كذلك في الدعاوى القائمة بين مسيحي ومسلم . وفي هذه الحالة يعمّق

التي هي نواة إمبراطورية أرطغرل بك (1231 - 1281) . كان لديها رعايا منهم كذلك في نهاية الإمبراطورية 1922 . وتوجد حاليًا كذلك أقليات مسيحية في تركية والأقطار الإسلامية التي انفصلت عن العثمانية . ويوجد موسويون كذلك . ولكن أكثرية الموسويين المستوطنين في الموانئ التركية الكبيرة مثل استانبول ، سلانيك ، أزمير ، هم اليهود الذين أخرجوا من إسبانيا والبرتغال ورفضت الأقطار الأوروبية الأخرى دخولهم ، وقبلهم بيازيد الثاني – الذي يتهم بأنه مسلم متعصّب – في الدولة العثمانية ، وهؤلاء يتكلمون إحدى اللهجات الإسبانية . وجاء كذلك يهود أوكرانيا الذين هربوا من مظالم الروس الأخيرة . لكن عدد هؤلاء قليل . واليهود الألمان (بيدش) الذين يتكلمون الألمانية ، أقل من ذلك . أما اليهود الناطقون بالعربية ، فكانوا في البلاد العربية ، مثلاً ، في اليمن ، في الجزائر ، في مصر .

لكن أكبر أقلية غير مسلمة في الدولة العثمانية في جميع الأوقات ، كانت المسيحيون الأرثوذكس . كان مقر زعيمهم المسمى « البطريرك العالمي = **Patrik Okumenik** » في استانبول . أباطرة البيزنط ، كانوا يتبعون للبطريرك وحماة الدين الأرثوذكسي . تقبّل فاتح بصورة رسمية كلا من هاتين الصفتين . ثم استمر السلاطين الذين تلوه على ذلك . كان قلق فاتح واضحًا في ترك الأرثوذكس مذهبهم وانتمائهم إلى الكاثوليكية وإلى البابا ، وقد أظهر ذلك مرارًا عديدة . وبناء على ذلك ، فقد امّنت الدولة للرعايا الأرثوذكس شروطًا أفضل مما كانوا عليها في العهد البيزنطي سواء كانوا ينطقون باليونانية (الرومية) ، أو بلغة أخرى . عاشوا بالأمن والرفاهية التي كانوا يعيشونها في عهد جوستينيان ، بفارق واحد ، هو عدم اشتراكهم في إدارة الدولة . كانوا يتعلمون اللغة التركية ، ولكن كان يشترط لأجل التوظف في الدولة ، أن يكون مسلمًا سنيًّا . كانوا يُستخدمون في وظائف رسمية أو شبه رسمية كالترجمة والطب . إصلاحات عام 1856 ، أزالت هذا الفارق أيضًا . فتحت لغير المسلمين في الـ 66 سنة الأخيرة للإمبراطورية ، أبواب جميع الوظائف الرسمية للدولة عدا الوظائف العلمية (علماء الدين) والعسكرية . إذ لا يمكنهم أن يصبحوا ضباطًا . عيّنوا في كل الوظائف عدا الصدارة العظمى . صاروا نظارا للخارجية ، نظارًا للمالية . كثيرون منهم منحوا أعلى المراتب كوزير وبالا . صاروا سفراء وولاة إيالة .

القاضي التحقيق لصيانة حق المسيحي تحوطا من التطرّف . وبعد 1856 ، أصبح المسيحيون كذلك حكامًا « لا يمكن تعريف التسامح الذي كان يظهره الأتراك تجاهنا نحن المسيحيين ، ولا يمكن أن يكون سبب ذلك ، إلا إيمانهم الذي لا يتزعزع بالإسلام » (ماريشال فون مولتكه ، 1837 ، ص 90 - 1) . والحقيقة أن التنصّر في العثماني ، ينحصر في عدة حوادث . يدعى المتنصّر إلى الإسلام ، يعدم في حالة رفضه . لا يستثنى من هذا الحكم من كان مهتديًا في السابق . لا يجوز زواج أية بنت أو امرأة مسلمة بغير المسلم ما لم يهتدِ . إن امرأة كهذه تقتل خنقًا في حالة عدم انفصالها وتوبتها .

يجب قراءة صور المعاملة التي كانت تعامل بها المذاهب المتنافسة مع بعضها في أوروبا في نفس العصر ، في الكتب الأوروبية . والفرق بينهما ، يبين عظم ما جاءت به العثمانية من مبادىء حديثة . إن هذه المبادىء الرصينة ، استعملت ضد العثمانية في دور الانحطاط ، بصورة دنيئة

ومما يدعو إلى الدهشة ، أن مقاومةاختلاف الدين لدى الشعب المسيحي المحلي ، كانت محدودة للغاية إذ إن الشعب المسيحي ، كان ممتنًا للحرية الدينية التي منحها له الأتراك والتي كانت مجهولة في أوروبا في ذلك العصر ... كان الأمن مختلا قبل مجيء الأتراك ، وفي بلادهم أنفسهم . العثمانية كانت تجلب الهدوء والأمن . عادت الشعوب البلقانية تعيش في أمن كانوا قد نسوه منذ عهد بعيد . عصى المجر فقط ولمرة واحدة في العهد العثماني و لم يكن ذلك تجاه الإدارة العثمانية ، وإنما كان تجاه الإقطاعيين المجر . كان الأتراك قد قضوا على قطعان الصعاليك « حيدود » (هذه الكلمة مجرية وانتقلت إلى اللغة التركية ، وجمعت على القاعدة العربية على شكل حياديد) التي كانت تذيق المجر الأمرّين قبلهم . القرويات ، كن يضعن أثمن ما لديهن من الزينة بكل حرية . كان الجندي العثماني الذي يتقاضى راتبًا كبيرًا ، من خيرة عملاء القرويين . كانت الضرائب العثمانية ، أخف بكثير من الضرائب البيزنطية . لم يكن يجبى من المسيحيين سوى الضريبة الإسلامية التى تسمى « جزية » وفي مقابل ذلك ، كان المسيحيون يعفون من الجندية ، لا تسيل دماؤهم كما كانت في العهد البيزنطي ، كانوا يتكاثرون بطمأنينة . لم يكن المسيحي يشترك في الإدارة العثمانية ، لكنه في حالة اعتناقه الإسلام ، كان

ينال هذا الحق ، ويحق له أن يكون صدرًا أعظم . هناك صدور عظام كثيرون كانوا ممن أسلموا حديثًا . الأتراك ، شعب غير استعمارى بطبيعته من ناحية السمات التاريخية ، استعمر ، لكنه لم يستغل . لم يمسوا أراضي القروي المسيحي ، لكنهم أخذوا الأراضي الواسعة التي كانت تحت سيطرة الإقطاعيين المسيحيين وأعطوها إلى خيالتهم السباهيّة (تمارلي) . ولم يمسّوا مخزنًا أو محلاً يخص المسيحيّين في المدن . كانت توجد في المدن الكبيرة وبخاصة في استانبول ، جماعة من المسيحيين وبخاصة من الروميين ، أغنياء إلى درجة أنهم كانوا يعيشون في غاية الرفاهية حتى أن زوجاتهم كن يلبسن اللباس والزينة التي لا تختلف عن لباس وزينة الأميرات الأوربيات . لم ينظر الأتراك إليهن نظرة سوء (لم يقع ولا حادث واحد من هذا القبيل) . كان هناك مسيحيون من كبار التجار ، أصحاب السفن ، أصحاب البنوك والمقاولين . خصصت العثمانية لهؤلاء حرسًا من الإنكشارية لصيانة ممتلكاتهم . احتل البنادقة بعد هزيمة فيينا ، جزيرة ساقيز لفترة قصيرة وموريا لمدة أطول . ارتكبوا ظلمًا شديدًا إلى درجة أنه عند عودة الإدارة العثمانية إلى هذه الجزر ، استقبل شعبها الأتراك بسرور صادق وأقاموا الاحتفالات والأفراح (8 - 126, **Grandeur de l'Asie** Fernard Grenard) .

« مما لا شك فيه أن الأتراك لم يحاولوا إزالة دين وحضارة شعوب الأقطار التي فتحوها » (312, 2, Pirenne) . وبينما ينظر المسيحيون في دعاواهم المدنية في محاكمهم الكنسيّة ، كان الرهبان يطبقون بعض القوانين العثمانية ، فمثلاً ، يحولون دون انقسام الثروة بمنحهم الرجل مثل حظ الأنثيين (A. Soloviev 559, 3, 1938 **Revue** ، **Internationale des Etudes Balkaniques**) .

كان في الإمبراطورية ، وبخاصة في الموانيء أوروبيون كثيرون ليسوا من رعايا العثمانية . كان هؤلاء آمنين في الأراضي العثمانية . الدولة كفيلة بحماية جميع حقوقهم . يتاجرون ، يزورون الأماكن الدينية ومنهم من يأتي لغرض السياحة فقط (37, 5, d'Ohsson) . كتب John Moritt of Rokeby ، بأنه قدم إلى استانبول عام 1794 عندما كان في سن 22 ، وتجول بين الأتراك بحرية كتجواله في لندن ، بل ولقي مساعدة كبيرة (**The Letters** ، لندن 1914 ، ص 67 ,70) .

العثمانية ، كانت تحترم كذلك الآثار الحضارية الموجودة في أراضيها . في العصر 19 فقط تم طلاء الموزائيك الموجود على جدران وسقف جامع أيا صوفيا الذي يتصدر المكانة الأولى في البروتوكول العثماني من 1453 إلى 1922 ، لم يمح ولم يحفر ولم تزل آثاره . توجد توجد حجارة مزيّنة بتزيينات خارقة للعادة ، قرب جامع في حلب ، يتفرج المسلمون عليها بسرور من بقايا كنيسة القديسة هيلينا . طلب القناصل الأجانب شراء هذه الحجارة بما يعادل وزنها ذهبًا . أفاد الباشا والي (بكلر بك) حلب بأن الحجارة باقية هناك منذ عهد قسطنطين الكبير ، وأنها ستستمر في مكانها (**Voyages,** 1, 123, - 4 Tavernier) .

كان البطاركة ، رؤساء الأساقفة ، الأساقفة ضمن قائمة التشريفات الإمبراطورية حتى نهايتها . كان أهمهم البطريرك الأرثوذكسي المقيم في سراياه الكائنة في فنر Fener . كان بدرجة وزير ، منح الوسامين العثماني والمجيدي المرصعين . كان لبطاركة أنطاكية والقدس أوسمة المجيدي من الدرجة الأولى وكان البطريرك الأرمني يحمل وسامي العثماني المرصع والمجيدي من الدرجة الأولى . وبطريرك الأرمن الكاثوليك ، يحمل وسام المجيدي الأول . منح جميع المطارنة أوسمة المجيدي الثالث ، وقسم منهم الثاني والأول .

4 – علماء الدين (العلمية) :

يطلق علي منتسبي صنف العلمية « علماء رسوم » . إذ كان هناك علماء ممن لا ينتسبون لهذا الصنف أي ليسوا رسميين ، وليسوا في خدمة الدولة . أكبر الكتاب نشأوا من بين منتسبي الصنف الأخير هذا (كاتب جلبي ، أولياء جلبي ، عالي ، نجوي ، مستقيم – زاده ، إبراهيم حقي وألوف آخرون ليسوا من صنف علماء الرسوم أي من صنف العلمية) .

يسمى موظف الدولة في النظام العثماني « عسكري » . واستعملت هذه الكلمة بعد ذلك للصنف العسكري فقط . كان موظف الدولة المسمى « عسكري » ، 3 أصناف علميّة ، سيفيّة (الذين انفردوا بعد ذلك باسم عسكرية) وقلميّة (الذين أطلق عليهم بعد ذلك اسم ملكية) .

ولتحقيق الخطوة الأولى إلى مرحلة صنف العلمية ، يجب الحصول على شهادة (رءوس) من القسم العالي للمدرسة و لم يحدث أي استثناء لذلك . والمرتبة الأولى ، هي التدريس في مدرسة (مدرسة دينية) متوسطة الدرجة ، أو النيابة أي مدير لناحية أو حاكم أو قاض لها .

صنف السيفيّه ، هو الصنف المحارب ، كان متخرجو مدارس السراي المتوسطة الدرجة ومتخرجو الأكاديميات العسكرية المسماة أندرون همايون يرتقون بسرعة ، لكن ذلك لم يكن شرطًا . كان الشخص في الفترة الكلاسيكية يرتقي المراتب من الجندي البري أو البحري ويمكنه أن يصبح باشا ، وزيرًا ، صدرًا أعظم . كان يوجد بين هؤلاء من لا يجيد القراءة والكتابة . وكانت الخدمات الملكية (المدنية) ملقاة على عاتق هذا الصنف كذلك . لم يميّز بين هذين الصنفين حتى إصلاحات محمود الثاني الجذرية عام 1826 .

كان صنف القلمية يكّون بإدخال معاون كاتب إلى إحدى دوائر الدولة ، كان يجب على الشاب أن يكون قد أتم دراسته الابتدائية ، وحصل على بعض المعلومات بصورة خاصة ، أو قد أنهى أحد فروع المدرسة أو الجامع . وكا يُتم تحصيله المتبقي في الدائرة التي ينتسب إليها من دوائر الدولة . إن معلومات مثقفي هذا الصنف ، كانت بصورة عامة أرقى من معلومات مثقفي صنف العلمية (علوم الدين) . إذ إن تحصيلهم كان أوسع . ولكن لم تكن لديهم شهادات بصورة رسمية حتى العصر 19 . كانوا يختصون بالدرجة الأولى في فروع المالية والخارجية ، أو مكاتبات الدولة المسماة نيشا نجيلك . بالإمكان أن يصبحوا وزراء وصدوزًا أعظم في حالة تدرجهم في المراتب وترقيتهم . إن محمود الثاني الذي قلّص بصورة واسعة عمل صنفي العلميّة والسّيفيّة بعد 1826 ورشيد باشا الذي اتبعه في ذلك ، أطلق على هذا الصنف اسم ملكية أي مدني ، وأصبح المجال الأوسع في وظائف الدولة من اختصاص هذا الصنف . وعهد إلى هذا الصنف بالوظائف التي كانت سابقًا في عهده صنف العلمية كالمعارك ، العدلية ، البلدية .

كان يشترط في صنف العلمية إجادته اللغة العربية . وكان الراغبون يتعلمون الفارسية أيضًا . ولا يمكن الارتقاء – بالنسبة لصنف القلمية – دون إجادة هاتين اللغتين معًا . أما الجيش ؛ فكان لا يجيد لغة أجنبية ، ما لم يتعلم لغة البلاد التي يمكث بها . يستثنى

من هؤلاء متخرجو مدارس الأندرون أو الذين يجيدون اللغتين العربية والفارسية لرغبتهم الخاصة في ذلك . أما أصناف المغاوير والقراصنة ، فكثيرون منهم يجيدون اللغات الأوروبية بصورة عملية .

أيّ نظام ذلك الذي لا يبحث عن شرط معرفة القراءة والكتابة في الصدر الأعظم ، ولكنه يشترط الشهادة العالية حتى في الذي يخطو الخطوة الأولى لصنف العلميّة ؟ صنف العلمية ، كان يدرّس ويتولى القضاء لذا كان يشترط فيه تحصيل عال . فمثلاً ، كان يجب على القاضي أن يكون مجهزًا بمعلومات عن فقه المذاهب الثلاثة الأخرى إضافة إلى الفقه الحنفي ، وإن لم تكن بنفس الدرجة ، لا تشترط شهادات (رءوس) عالية للتدريس في المدارس الابتدائية أو لإمامة مسجد أو لوظائف صغيرة في الجوامع . لكنها ضرورية لموظفي الجوامع الكبيرة . العلماء ، هم ليسوا كهنة ورهبانًا كما في الدين المسيحي . إذ إن كل عبد في الدين الإسلامي ، يمكنه الاتصال بالله رأسًا . ولا يحتاج ذلك إلى راهب ، كما في الدين المسيحي . كان العلماء ، هيئة مدرسين وقضاة . ورغم ذلك، كانت لهم امتيازات لم تعط للأصناف الأخرى . لا يمكن إعدامهم ، ولا يمكن سجنهم . كان بالإمكان عزلهم ونفيهم فقط . كان لا يمكن الحكم بالإعدام ، حتى على المراتب الأولى من صنف العلمية . والذين أعدموا – وهذا نادر – أخرجوا أولاً من سلك العلماء وأعطيت لهم رتبة عسكرية .

اكتفى صنف العلمية في التنظيمات ؛ بالخدمة في الجوامع ، المدارس (الدينية) ، محاكم الشرع (التي كانت تنظر فيها دعاوى المسلمين المدنية فقط) . استمرت على هذا المنوال إلى النهاية .

5 – شيخ الإسلام :

كان شيخ الإسلام في النظام العثماني موظفًا كبيرًا في الدولة وهو الموظف الثاني بعد الصدر الأعظم ، ما عدا منتسبي السلالة العثمانية. هو رئيس صنف العلمية . منح هذا العنوان لمفتي العرش عام 1425 وبدأت المؤسسة المسماة « المشيخة » أو « المشيخة الإسلامية » . ولكن نفوذ شيخ الإسلام بصورة تامة ، تبلور في العصر 16 . إن لفظ

« مفتي أفندي » أو « مفتي الأنام » بشكل مطلق ، كان يعني « شيخ الإسلام » . مرتبة المشيخة تعادل مرتبة الصدارة وتفوق مرتبة الوزارة . منحت هذه المرتبة لـ 3 قضاة عسكريين دون أن يكونوا شيوخ إسلام . قتل أو أعدم 3 شيوخ إسلام . أصبح شيخ الإسلام بعد التنظيمات ، كأحد النظّار ، وأصبح في التشريفات ، عضوًا ثانيًا في الوزارة بعد الصدر الأعظم . وجعلت وظيفته منحصرة في الأمور الدينية والتدريس الديني . وانطوت مع الإمبراطورية العثمانية في طيات التاريخ .

عين لهذا المقام من عام 1425 إلي 1922, 131 شيخ إسلام (175 دفعة) . 38 منهم ظلّوا في هذا المقام ، أكثر من 4 سنوات والذين ظلّوا أطول مدة هم بالتسلسل : أبو السعود أفندي 28 سنة ، 10 أشهر ؛ ملافّخر الدين 24 سنة ، زنبيلّي علي أفندي 22 سنة ، 8 أشهر ، ملاخّسرو 19 سنة ؛ يحيى أفندي 18 سنة ، وشهران ، 24 يومًا (3 مرات) ؛ جمال الدين افندي 17 سنة ، 11 شهرًا ، 13 يومًا (مرتان) ؛ مكي – زاده عاصم أفندي 17 سنة ، 7 أشهر ، 18 يومًا (3 مرات) . أنجبت أكثر من 17 عائلة علماء ، أكثر من شيخ إسلام واحد : من عائلة خواجه – زاده 7 شيوخ إسلام ، 34 سنة ، 8 أشهر ، 7 أيام ، من عائلة أبي السعود — زادة شخصان ، 34 سنة ، 5 أشهر ، 8 أيام ، من عائلة فيض الله — زادة 3 أشخاص : 21 سنة ، 8 أشهر ، 24 يومًا ، من عائلة دري — زاده 6 أشخاص : 20 سنة ، 11 شهرًا ، 27 يومًا ؛ من عائلة بايرام — زادة شخصان 19 سنة ، 4 أشهر ، 27 يومًا ؛ من عائلة مكّي – زاده شخصان 19 سنة ، وشهر ، 14 يومًا ؛ عائلة أبي إسحق – زاده 5 أشخاص 9 سنوات ، 6أشهر ، 6 أيام ...

متوسط الملة لشيخ الإسلام الواحد ، 3 سنوات ، 10 أشهر . 9 من 131 من شيوخ الإسلام من أصل غير تركي (عربي ، بشناق ، كرجي ، شركسي ، ألباني) . آباء وأجداد أكثريتهم العظمى من صنف العلمية ، بعضهم قضاة عسكريون وحتى شيوخ إسلام . أكثرية شيوخ الإسلام ، أصلهم من العائلات الإستانبولية ساكنة الأناضول الغربية والوسطى . رغب أتراك روملي في السلك العسكري ، أكثر من رغبتهم في سلك العلمية . ويوجد بين شيوخ الإسلام جماعة ممتازة من العلماء ، الكتاب ، الشعراء ، الخطّاطين ، الملحّنين ، الحقوقيين ، رجال دولة كبار . الشخصيات الوسط قليلة . عديمو الكفاءة قليلون جدًا . إذ إن اعتلاء مقام المشيخة كان يتم بعد تدريب شاق

كان شيوخ الإسلام الذين بدرجة قاضي عسكر روملي يعينون من قبل البادشاه . غالبًا من بين الذين شغلوا وظيفة قاضي عسكر روملي . وحتى 1589 ، وأيضًا حتى 1601 ، كان شيخ الإسلام « يعزل » ويعيّن في المشيخة مدى الحياة . نفي قسم منهم بعد ذلك إلى الأماكن القريبة لا يشاهد تقريبًا شيخ الإسلام ، نفي إلى مكان بعيد . طلب السلاطين فتاوى من شيوخ الإسلام في بعض المسائل الشخصية ، لمعرفة ما إذا كان وضعهم ملائمًا للشرع الشريف أم لا ، كان يزيد في نفوذهم ؛ ذلك أن البادشاه كان خليفة ، رمزًا للوحدة والأخوة الإسلامية وموحدها وأكبر شخصية وزعيم يمثل الدين ولكنه ليس رجل دين ولا عالم دين ، وليس معصومًا من الخطأ كالبابا . ولا يمكنه البتّ في الأحكام الدينية شخصيًا كالبابا . إن الخاقان الخليفة العثماني يستفتي في أعماله شيخ الإسلام .

كان وضع شيخ الإسلام استثنائيًا إلى درجة أنه رغم عدم كونه عضوًا في الديوان الهمايوني (الحكومة) ، فإن معاونيه الاثنين ، قاضى عسكر) روملي والأناضول عضوين في الحكومة . أُدخل شيخ الإسلام في عضوية الوزارة في 1830 وبذلك قل نفوذه ، وسُحب معاوناه قاضيا العسكر إلى خارج الوزارة . وفي الفترة الكلاسيكية ، كان شيخ الإسلام ، يجمع شخصيًا في مقامه الذي يسمى « دائرة المشيخة » مجلسًا . يتداول فيه اقتراحات تعيين قضاة العسكر ، وتعيينات المدرسين التي ترد من شيخ الإسلام شخصيًا ، وترسل إلى الصدر الأعظم للتصديق عليها بعد تدقيق وتصديق شيخ الإلاسلام عليها . لا يجوز لشيخ الإسلام أن يجري تعيينات مهمة حتى داخل صنف العلمية ما لم يصدق عليها الصدر الأعظم . وذلك لئلاّ تكون الدولة مخلوقًا غريبًا ذا رأسين . وحتى يكون هناك مرجع واحد فقط . كان راتب شيخ الإسلام الشهري في 1567 ، يقارب 12 ألف دولار بالسعر الرائج حاليًا (هامّر ، 306, 6) . يسجل Ricaut (338, 2) الراتب بالنسبة للربع الثالث من العصر 17 كان حوالي 82 ألف دولار والواضح أن موظفى الدولة في العصر 16 كانوا يقبضون أعلى الرواتب في تاريخ تركية كلها ، وأن الرواتب أخذت في التناقص بصورة مطّردة ودون استثناء منذ 1590 وإلى يومنا هذا .

خصص في الواقعة الخيرية (1826) مقر الإنكشارية الكبير « أغا سراي » الكائن

في سليمانية لشيخ الإسلام ليكون مقرًّا للمشيخة وبقي فيها حتى ت 2 / 1922 . انتقلت في 1836 إلى هذه البناية كذلك مقار قاضي العسكر وقاضي استانبول (لطفي ، 5 ,66) . احترقت هذه البناية عام 1927 . Satir base وبموجب أحكام الدستور ، ترك أمر انتخاب شيخ الإسلام وانتخاب الصدر الأعظم في العهد المشروطي إلى البادشاه ، كما كان الحال في دور التنظيمات ، لكن البادشاه كان مقيدًا ؛ فأولاً ، يجب أن يكون الشخص الذي ينتخبه ، بدرجة قضعسكررو ملي ، وثانيًا ، عليه ضمنيًا أن يستمزج رأي وارتياح الصدر الأعظم ، إذ يجب أن يكون شخصًا يمكنه التعاون معه بشكل منسجم . وفي عهد المشروطية كان يجب على البادشاه أن يعيّن مرشح الحزب الحاكم الذي فاز في الانتخابات صدرًا أعظم .

يرتدي شيخ الإسلام فروا أبيض ، ولا يمكن لأحد غيره ارتداؤه . وفي الصيف كان يرتدي جبة من الأطلس أو الحرير الأبيض تسترسل حتى الأرض . إن طراز جبّة عمداء الجامعة حاليًا اقتبس من لباس شيخ الإسلام الصيفي . يندر أن يعيّن شيخ الإسلام المعزول في وظيفة أخرى غير وظيفته .

إن أحد أكبر الامتيازات التي يتمتع بها شيخ الإسلام هو عدم تمكن البادشاه من استقباله وهو جالس ، واستقباله في المراسم وقوفًا على قدميه ، إمساكه يدي أو كتفي البادشاه بكلتا يديه (بالعثمانية : مصافحة) وتقبيله بعد ذلك ياقة أو كتف الحاكم ، وعدم تقبيله يده أبدًا . كان امتيازًا كبيرًا . بذلك يكون البادشاه قد احترم الدين والعلم والعدالة في شخص شيخ الإسلام الذي يرأسها . أما الصدر الأعظم فكان البادشاه يستقبله وهو جالس . وحتى في فترة التنظيمات ، كان البادشاه يستقبله في مقابلاته اليومية وقوفًا ، ولكنه كان يستقبل الصدر الأعظم في الاحتفالات الرسمية (بالعثمانية : معايذة) وهو جالس . بإمكان البادشاه أن يستصحب شيخ الإسلام في مسيرته في الحملات الهمايونية . اشترك عدد كبير من شيوخ الإسلام في الأسفار بهذا الشكل ، ولكن شيخ الإسلام لا يشترك أبدًا في الحملات التي يقودها الصدر الأعظم – السردار الأكرم (القائد الأعلى) ، ويرسل أحد القضاة العسكريين . يفطر الصدر الأعظم ليلة القدر في قصر شيخ الإسلام . وفي السابع والعشرين من رمضان القادم يذهب شيخ الإسلام إلى الصدر الأعظم لأجل الإفطار ، وفي اليوم الخامس عشر من رمضان يأتي الصدر الأعظم وشيخ

الإسلام إلى سراي طوبقابو بعد أدائهما صلاة الظهر في جامع أيا صوفيا ، يحضن البادشاه بنفسه البردة النبوية الشريفة ويعرضها على المدعوّين الرسميين . كان ذلك احتفالاً دينيًا كبيرًا . كانت عربة شيخ الإسلام الرسمية من الجوخ الأخضر ، وعربات القضاة العسكر من الجوخ الأحمر (181, 4,d' Ohsson) .

يلقب شيخ الإسلام ، كمنتسبي العلمية ، بلقب « أفندي » . إلا أن بعض أبناء الباشوات ، أبناء الوزراء أو أحفادهم ، لقبوا بلقب « بك » وعلى الأصح « بك أفندي » . تركت في العصر 16 الألقاب كـ : ملا ، جلبي ، مولانا التي كانت تطلق على شيخ الإسلام في العصور السالفة .

كان واجب شيخ الإسلام الأصلي الإفتاء . ولانشغاله بأمور كثيرة يحضّر الفتوى التي تطلب منه ، موظف العلمية الكبير بدرجة قاضي عسكر المسمى « فتوى أميني » (أمين الفتوى) ويعرضها لمصادقة شيخ الإسلام . كان أمناء الفتوى أعظم فقهاء عصرهم . يحق لأبسط مواطن أن يطلب الفتوى من المشيخة في موضوع ما . يجاب طلبه بصورة أكيدة . كثيرون من شيوخ الإسلام ، جمعوا فتاواهم على شكل مجلة ، هي مراجع قيّمة في العلوم الإسلامية وفي التاريخ الاجتماعي والحقوقي للعثمانية . يشترط في طالب الفتوى أن يكون مسلمًا ، بالغًا ، وعاقلاً . يدير الأمور الكتابية لشيخ الإسلام ، الأفندي سكرتيره العام (الذي يسمى مكتوبيء مشيخت) .

إن مؤسسة الفتوى استشارية . المفتي هو الشخص الذي يستفتى ويستشار . أما حكم القاضي – شرط أن يكون قابلاً للتمييز – فقطعي ، ينفذ ويجرى فورًا (258, 1, Hukuuk - 1 Islamiyye O.N. Bilmen) . لا تحمل الفتوى رأيًا قطعيًا ، مع أنها تبيّن شرح تلك القضية من الناحية الشرعية ، لكنها تختتم دائمًا بالعبارة الشرعية « الله أعلم » . وفي الحقيقة فإن هذا كان بابًا قد ترك مفتوحًا لسياسة الدولة . القرار النهائي يرجع إلى القاضي ممثل هذه السياسة .

إن الشخصية المسماة درس وكيلي والتي تكون على الأكثر بمرتبة قضعسكر ، هو أحد كبار معاوني شيخ الإسلام ينظم المناهج التدريسية للمدارس (الدينية) والأمور العائدة لها .

6 ـ نقيب الأشراف والأستاذ السلطاني (خواجه سلطاني) :

نقيب الأشراف ، هو قاض عسكري ، ينظر في أمور السادة والشرفاء ، وهو الموظف الذي يسعى لاتخاذ التدابير التي تكفل عدم وقوع الأسر التي تنحدر من نسل الرسول ﷺ ، أو التي يعتقد أنها كذلك ، في مشاكل ، ويجب أن يكون هو بالذات سيّدًا أو شريفًا من نسل الحسين « رضي الله عنه » أوالحسن « رضي الله عنه » . كثيرون منهم أصبحوا كذلك شيوخ إسلام بعضهم قلّد البادشاه السيف . كان تسلسلهم في المراسم ، قبل قضاة العسكر ، لكنهم لا علاقة لهم بأمور الدولة وسياستها .

أما خواجهء سلطانيلر (أساتذة السلطان) ، فلهم دور مهم في التاريخ العثماني بنفوذهم على السلاطين واشتراكهم في السياسة وأكثرهم ذوو دور إيجابي . يمنح البادشاه عند اعتلائه العرش رئيس معلميه المنسوب إلى صنف العلمية مرتبة قاضي عسكر – إن لم يكن قد حصل عليها مسبقًا – ويشرفه باللقب الرسمي « خواجه سلطاني » (المعلم ، الأستاذ السلطاني) . إن هذا اللقب لا يمكن أن يمنح إلا لمعلم واحد فقط من معلمي السلطان ولا يمكن منحه إلى معلميه الآخرين . إن أساتذة السلطان كانوا يتقدمون في المراسم على القضاة العسكريين . والذي يجمع في شخصه الصفتين « المعلم السلطاني » و « شيخ الإسلام » يسمى « جامع الرئاستين » . هم 3 شيوخ إسلام في التاريخ العثماني : الخواجه سعد الدين أفندي معلم محمد الثالث ، أرضروملي سيد فيض الله أفندي معلم مصطفي الثاني ، وحسن فهمي أفندي معلم السلطان عزيز . إن أساتذة السلاطين ، كانوا أعظم علماء متميّزين في عصرهم ؛ إذ إن العلماء الذين يمتازون بهذه الصفة كانوا يعيّنون رؤساء أساتذة للأمير – ولي العهد . ولا يمكن عزلهم . لا واجب رسمي له . كان المستشار الأول الخاص للبادشاه . ويتّضح مبلغ إمكان حيازة أساتذة السلطان على النفوذ ، بسبب استمرار السلاطين الذين يعتلون العرش في سن الشباب ، على تحصيلهم العلمي أثناء سلطنتهم كذلك .

قضاة العسكر لروملي وأناضول :

إن أول قاضي عسكر هو جاندارلي قره خليل خير الدين أفندي ، الذي عيّن لهذه

الوظيفة عندما كان قاضيًا على بورصة من قبل مراد الأول الذي اعتلى العرش حديثًا في 1363 ، وبقي وزيرًا أعظم حتى وفاته ، وهو أحد مؤسسي ومنظمي تشكيلات الدولة العثمانية .

كان هناك قاضي عسكر واحد حتى 1480 (117 سنة) ، وفي هذا التاريخ رفع فاتح عددهم إلى اثنين . حتى 1922 ، أي مدة 442 سنة ، كان عددهم اثنين (بالعثمانية : صدرين أفنديلر) .

قضعسكر « قاضيء عسكر » وبالعربية الفصحى « قاضي العسكر » هو الشكل الذي تحورت إليه الكلمة العربية آنفة الذكر في لغة الكلام التركي . وتعني قاضي العسكر ، « قاضي الجيش » . لكن واجبه لم يكن كذلك . قضعسكر روملي ، هو آمر وأكبر حاكم لجميع القضاة في أوروبا ، أما قضعسكر أناضول ، فهو آمر وأكبر حاكم للذين في آسيا أفريقيا . هم الذين يعيّنون القضاة ، يقدمون التعيينات للتصديق عليها إلى شيخ الإسلام أولاً ، ثم إلى الصدر الأعظم وإن كانوا قضاة كبارًا ، تعرض على البادشاه .

كان لقب قضعسكر روملي وأناضول يمنح لكبار العلماء كمرتبة (رتبة) . هي رتبة العلميّة التي تلي رتبة قضاء استانبول وكانت تعادل رتبة وزير (ماريشال) . كانت هذه الرتبة تقسم من حيث القلم إلى درجتين ، الأولى قضعسكر أناضول ثم روملي . كان الموظف يرفّع من رتبة قضاء استانبول إلى الأناضول ثم إلى رتبة روملي . يلاحظ عدم خلط هذه الرتب مع رتب قضاة عسكر روملي وأناضول الفعليين . إن قاضييّ روملي وأناضول الفعليين ، يختاران غالبًا من بين العلماء الذين ارتقوا إلى رتبة (قضعسكرية روملي) (بالعثمانية : صدر روملي) . كانا ناظرين أي عضوين في الديوان حتى 1830 . كانا معاونين فعليّين لشيخ الإسلام . إن الشخصية التي تقوم بوظيفة قضعسكرية روملي الفعلية ، تكون غالبًا مرشحة لمقام المشيخة . كان أقدم قضعسكر لروملي ، أي الذي نال هذه الرتبة قبل غيره ، يمنح لقب « رئيس العلماء » . يطلق اسم « صدور » على قضاة العسكر بأجمعهم ، وهي صيغة الجمع لكلمة « صدر » العربية . كان المقعد الأول الكائن على يمين الصدر الأعظم في الديوان ، يجلس عليه الوزير الثاني ،

والمقعد الاول الذي على يمينه يجلس عليه قاضي عسكر روملي والمقعد الثاني لقاضي عسكر أناضول .

إن قاضيي العسكر الاثنين هما أرفع قضاة الإمبراطورية . كانا المرجع الوحيد المأذون له في نقض قرارات القضاة . كانا ينظران في الدعاوى المقدمة إلى الديوان الهمايوني (مجلس الوزراء) رأسًا وبجلسة واحدة دون إحالتها إلى مرجع آخر . ويمكن تمييز القرار الذي يصدره قضعسكر روملي بالاستشارة مع قضعسكر أناضول في الدعوى المقدمة إلى اجتماع الديوان ، حتى من قبل البادشاه ، يجرى وينفذ في الحال . أعطي لأمر كل من قاضيي العسكر 20 مُحْضرًا (شرطة عدل) ، وكتبة يطلق عليهم « تذكره جي » وأعضاء آخرون بدرجة كافية . ولكل من قاضيي العسكر الاثنين مستشار برتبة قاضي عسكر أيضًا (**نخبة الوقائع** ، 3 ,190) .

8 ـ القضاة والمحاكم :

كانت المحاكات ، لدى العثمانية مفتوحة وعلنية بشكل تام . يندر أن يصدر القاضي قرارًا بعقد جلسة سريّة . لا يدّعي القاضي معرفته بكل المواضيع المقدمة إليه . وهذا مبدأ آخر ؛ لذا يجلب القاضي ، بالنسبة لموضوع الدعوى ، خبيرًا واحدًا أو عدة خبراء إلى المحكمة . تدوّن أقوالهم في السجل . لكن القاضي غير ملزم بالآراء التي يقدمها الخبراء . وكذلك هو غير ملزم بالفتوى . بإمكان القاضي ، المدعي ، أو المدعى عليه أن يستفتوا المفتين للمذاهب الأربعة (لا يشترط كونه حنفيًا) . تدون الفتوى المطلوبة في سجل المحكمة . لكن القاضي حر في قبوله أو عدم قبوله الرأي الوارد في الفتوى . لأن المفتي يمثل نظرة الدين والمذهب . أما القاضي ، كما يظهر بوضوح ، فهو ليس رجل دين ، هو الشخص الذي يرعى ويمثل نظرة الدولة .

لم يكن بالإمكان من الناحية العملية نقض قرار القاضي ، أو على الأقل كان صعبًا جدًا . إذ لم تكن هناك محاكم لفترة من الزمن . كان يجب مراجعة محكمة قضاة العسكر في استانبول رأسًا ولا يؤخذ ذلك بنظر الاعتبار إلاّ في الدعاوى الكبيرة جدًا بسبب صعوبة المواصلات في ذلك العهد **كان** المواطن الساكن في استانبول ذا حظ من هذه

الناحية . لكن ماذا يعمل المواطن الساكن في بودين أو القاهرة ؟ يكون سجل القاضي سيئًا جدًا فيما إذا نقض قراره من قبل محكمة القضعسكر . إذا كان القاضي ظالمًا ومرتشيًا فإن مراجعة المدعي أو المدعى عليه أو الشعب المشتكي إلى والي الإيالة ، تبلّغ إلى استانبول . إذ ليس هناك ما يفعله الوالي شخصيًا . كان القاضي تابعًا إما لقاضي عسكر روملي أو أناضول ، والوالي (بكلربك) لم يكن آمر له . ليس بإمكان الوالي أو أمير اللواء وقفه إلا لأسباب أمنيّة تتعلق بالدولة (بالعثمانية : سياسة) . لا يمكنه التدخل في قراره الذي يصدره . كان فقط يرسل مفتش قاضي عسكر أو مفتش ديوان للتحقيق مع القاضي المشكو في حقه .

كان القاضي حاكمًا وفي الوقت نفسه رئيسًا لبلدية موقعه . ينظر في الدعاوى قبل الظهر وفي أمور البلدية بعد الظهر . كان القاضي الصغير الذي يسمى « نائبًا » ، هو الآمر الملكي لناحيته (مدير ناحية) ، وفي الوقت نفسه رئيس بلديتها وحاكمها . أما الشخص الذي يسمى قاضي فكان الآمر الملكي لقضائه (قائمقام ، وفي الوقت نفسه رئيس بلديتها وحاكمها ، ويسمى القضاة في مراكز الألوية (المحافظات) ومراكز الإيالات « ملاّ » وتعني « القاضي الكبير » . الملاّ ، هو رئيس بلدية تلك المدينة وحاكمها الأكبر . لكنه ليس آمرها الملكي . الآمر الملكي ، هو أمير اللواء (سنجق بك) وفي مركز الإيالة الوالي الفريق الأول (بكلر بك) .

أسست مجالس ورئاسة البلديات في عهد التنظيمات . واستمر القاضي كذلك في النظر في قضايا المسلمين المدنية . ولكن ، عدا ذلك ، حوّلت كل القضايا القانونية والجزائية إلى المحاكم المدنية التي تأسست . بيد أنه ، كان من الجائز أن يصبح منتسبو العلمية حكامًا أو أعضاء في المحاكم . كان كتخدا (ممثل) أرباب العمل في تلك القصبة أو المدينة ، مساعدًا كبيرًا للقاضي في الأمور البلدية .

كان القاضي على الإطلاق متخرجًا في القسم العالي للمدرسة (الدينية) وحاصلاً على شهادتها . لا يمكن عزله ما لم يكن له ذنب صريح ، يمكن نقله من مقامه في حالة ترفيعه إلى مقام أعلى ، فقط . كان محظورًا عليه المتاجرة ، أو الاشتراك في شركة . لا يجوز له أن يقترض أو يقرض كما لا يجوز له قبول الهدية وحضور الولائم العامة .

كان يقيم العدل باسم البادشاه الذي هو خليفة ، لذا لا يعتبر نفسه مأمورًا للصدر الأعظم . يعيّن من قبل الصدر الأعظم ، ولكن الصدر الأعظم ، لا يستطيع أن يتدخل في قراراته . تجري كل تعيينات القضاة من استانبول . أما المفتون فكانوا من المحليين الذين ينتخبون من رجال الدين في مناطقهم . تصدر تعييناتهم من قبل الدولة بصورة رسمية . لكنهم لم يكونوا موظفين ، لا يتقاضون رواتب ، يقبضون رسومًا معيّنة لفتاواهم . وكانوا يقومون كذلك بالعناية بجوامع مواقعهم . كان مذهب المفتي مطابقًا لمذهب سكان المنطقة التي يسكنها . كانت المدن الكبيرة كالقاهرة ، الجزائر تحتوي على أكثر من مفتٍ واحد وحتى على 4 مفتين مستقلين للمذاهب السنيّة الأربعة . كان القاضي حنفيًا . كان القاضي يستفسر من الطرفين عن أي من المذاهب الأربعة ، في مجال القانون المدني ، يطلبون أن تنظر المحكمة ، ويمتثل للطلب . ولعدم ضلاعته في الأساليب الفقهية ، عدا الفقه الحنفي ، كان يستصحب كتبه إلى المحكمة ، ويستدعي في المحاكمات المهمة مفتي مذهب تلك المنطقة إلى المحكمة كمشاور له . كان للمحكمة الحق من الناحية النظرية في استدعاء أي شخص حتى البادشاه . على أن القاضي كان يعمل في الدعاوى الجزائية ودعاوى العامة ، بموجب الفقه الحنفي دائمًا والقوانين الصادرة باسم الخاقان . « إن عدم إمكان إصدار الجزاء وإنفاذه دون حكم القاضي ، هو أحد المبادىء الأساسية للإدارة العثمانية » (ROBert Anhegger ، **قانونّامه سلطاني** ، ص 17) . يستثني من ذلك القضايا التي تتعلق بأمن الدولة ، إن هذه القضايا ، كانت من اختصاص أمير اللواء أو البكلربك (الفريق الأول ولي الإيالة) .

كان يتعيّن على القاضي معاملة المدعي والمدعى عليه بالمساواة . لا يمكنه إقامة أية علاقة شخصية مع الأطراف في الدعوى ، لا يمكنه مكالمتهم بصورة سريّة ولا يمكنه أن ينكّت ، أو يظهر انفعالاً خاصًا ، أو يظهر على وجهه حركات ذات مغزى ، أو يؤشر . لا يمكنه أن يتفوّه بكلمات تبين انحيازه لأحد الأطراف . ولا يجوز استماعه بعدم مبالاة وعدم انتباه إلى كل من الطرفين . لا يمكن الإخلال بالجلسة من قبل أية قوة . والبادشاه نفسه لا يمكنه التدخل في الجلسة . يكتب الكاتب جميع الأقوال ويدونها في السجل . ثم يوقع القاضي على الحكم . لا يجوز للحاكم أن ينظر دعوى أحد أقاربه ، وحتى

لو حكم ضده . ولا يمكن الأخذ بأقوال أحد آقاربه كشاهد في الدعاوي العامة (204, 4 - 182, 6, d'Ohsson) .

إن العدالة البطيئة ، تعتبر ظلمًا ، في النظام العثماني . الحكم السريع هو أساس نظام الحقوق العثماني . « الجلسات الثانية أو الثالثة نادرة ؛ أكثرية الدعاوى يفصل فيها خلال ساعة واحدة » (5 - 204, 6, d'Ohsson) . « يفصل في أهم الدعاوي خلال ساعة واحدة وينفذ الحكم في الحال . لا تطبّق أية ألاعيب لتأخير الحكم ، كما تجري لدينا في أوروبا » (327, 2, Lord Poul Ricaut) . هذا ما قاله دبلوماسيان أوروبيان اثنان (سويسري وإنكليزي) مكثا ربع قرن في تركيا ، الأول في نهاية العصر 17 والثاني في الربع الثالث من القرن الـ 18 ، في كتابهم الذي أصبح كلاسيكيًا ، حول العثمانية . وبالإمكان سرد شهادات أخرى كثيرة جدًا . إن عشرات الألوف من سجلات المحاكم الشرعية المتوافرة لدينا ، مرجع في هذا الشأن . « لا يمكن فصل أية دعوى سواء كانت مدنية أم جزائية بالسرعة التي تفصل بها في تركيا . بالإمكان أن تستمر أكبر الدعاوي ثلاثة أو أربعة أيام بجلسات متتالية » (148, Voyage du Levant, Stochove) . كان هنري الثالث قد طلب تدقيق النظام القضائيْ العثماني في دور القانوني وأجرى إصلاحًا في نظام العدل الإنكليزي . إن نظام الحصول على نتيجة فورية في الدعوى بجلسات متتالية ، هو الأساس في نظام القضاء الأنكلو ـ سكسوني .

كيف كان يتسنى إقامة العدل بهذه السرعة في إمبراطورية مترامية الأطراف بشكل لا يصدقه العقل ، بعدة آلاف من القضاة ؟ إن جواب هذا السؤال هو : إن الخلافات الصغيرة ، لم تكن تقدم أبدًا لحضور القاضي . واقع الأمر أن القاضي ، كان مجبرًا على النظر حتى في أصغر الدعاوي التي لا تتجاوز قيمتها آقجة واحدة (قطعة فضية) إذا قدمت إليه لكن الطرفين كانا يتفاهمان قبل مثولهما أمام الحاكم . رئيس العائلة ذو النفوذ الكبير ، رؤساء النقابات العمّالية ، مختار القرية ، إمام المحلة ، شخصيات من الأشراف ، يصبحون حكامًا ويحلون الخلافات . لم يكن المجتمع مجتمعًا أفراده متخالفون ، متضادون ، متخاصمون .

كان القرار الذي يصدره القاضي ، ينفذ على الفور ، عدا الإعدام . أما المحكوم عليه

بالإعدام فيمثل أمام آمر اللواء ، وإن كانت مركزًا لإيالة أمام والي الإيالة مستصحبًا معه حجة معه حجة القاضي . لأن القاضي ، لا يمكنه الأمر شخصيًا بإنفاذ حكم الإعدام . بإمكان أمير اللواء (سنجق بك) أو والي الإيالة الفريق الأول (بكلر بك) إعطاء أمر التنفيذ . إن تردد أمير اللواء في حكم الإعدام ، يساق المحكوم مع حجّته إلى استانبول . القرار الذي يعطيه القاضي العسكري الخاص بمنطقته ، هو القرار النهائي .

يلحق قاض واحد من الدرجة العليا بالجيش أو الأسطول الذي يخرج إلى الحملة بلقب « أوردوى همايون قاضيسي » (قاضي الجيش الإمبراطوري) أو « دونانماى همايون قاضيسي » قاضي الأسطول الإمبراطوري) . يكون هؤلاء معاونين للسردار القائد) وتعلى رتبهم فور عودتهم (راشد ، 516, 105, 2, 304, 1) .

كان هناك قضاة في معية القضاة الكبار ، يسمون قسّام ، وهم حقوقيون اختصوا في حقوق الإرث .

9 – القاضي الأكبر (استانبول أفنديسي) :

إن القاضي الأكبر هو قاضي إستانبول الذي يسميه الشعب « إستانبول افنديسي » (افندي استانبول) . يجلب لهذا المقام برتبة قضعسكر أناضول ويعيّن بعد أن يمارس العمل كقاضي عسكر لأناضول بصورة فعلية . لا يمكن لأي شخص أن يشغل مقام قاضي عسكر أناضول بصورة فعلية ، ما لم يكن قد زاول وظيفة قاضي إستانبول . كان مقامًا خطرًا . إذ إن كل شيء كان أمام أعين البادشاه والديوان . كان رئيسًا لبلدية وحاكمًا أكبر لأكبر مدينة في العالم . ومن ناحية أخرى ، فقد كانت مرتبة استانبول ، هي الرتبة التي تأتي قبل رتبة قضعسكرية أناضول بين الرتب العلمية ومعادلة لرتبة فريق. إن قضاة غلطة ، أيّوب ، اسكدار ، نواب (قضاة صغار) مراكز عديدة ، 44 نائبًا تابع لغلطه ، 26 لأيوب ، 44 لاسكدار ، قضاة جتالجه وسيليورى وزمرة كبيرة من شرطة والكتاب تابعون لأمر إستانبول أفنديسي . خضر بك – جلبي ، أول قاض لإستانبول (1453) . من أحفاد خواجه (ملا) نصر الدين . إن منطقة « قاضي كوي » سميت باسمه . كان يتبع إدارة قضاء إستانبول ما يقرب من 1500 قرية .

القاضي الذي يزاول وظيفة ملا في القاهرة ، بورصة وأدرنة ، يعيّن قاضيًا على إستانبول برتبة قاضي عسكر أناضول اعتبارًا من نهاية العصر 16 بعد إيفائه وظيفة القضاء في مكة وفي المدينة . كان عامري ، قاضي عسكر على روملي (64, 4, Muhimme) .

10 – الملاءون :

كان يطلق على قضاة المدن الكبيرة « ملا » إن متخرج المدارس (الدينية) العالية ، بعد أن يصبح مدرسًا أو نائبًا ، يرقى إلى رتبة قاضي ، ثم ملا ، ثم يصبح قاضيًا لإستانبول . وبالطبع فإنه لا يمكن لكل متخرج في العلمية أن ينال هذه الرتب .

كانت المدينة التي تعقب إستانبول في أهميتها وكثافة سكانها ، هي القاهرة . كان يطلق على قاضي القاهرة « مصر قاضيسى » (قاضي مصر) الأولياء جلبي، (10 ، 147 - 50) . أول قاض على مصر بعد (1517) ، هو كمال باشزاده أحمد شمس الدين أفندي من أكبر علماء العثمانية والذي صار بعد ذلك صدرًا أعظمًا ، له مئات المؤلفات باللغات العربية ، والتركية والفارسية . كان 100 موظف و 100 خادم تابعين لأمر قاضي مصر (مصر أفنديسي) . وله مشاورون من المذاهب الأربعة . وضعت سجلات المحكمة في بناية ذات قبّة حجرية ، تراكمت الوثائق منذ عهد عمر (رضي الله عنه) على شكل جبل من الأوراق . 300 محضر (شرطة عدل) تابعون لإدارة الأفندي قاضي مصر . إن القاضي الذي هو في الوقت نفسه رئيس للبلدية ، يدير في معيته 80 قاضيًا تقريبًا من قضاة مصر . إن أكثرية هؤلاء القضاة ، ليسوا من استانبول ، هم مصريون شافعيون ويوجد بينهم من هم حنابلة ومالكية . يوجد في مصر 174 000 شخص يعمل في قطاعات الدين ، العلم والعدل (الأولياء ، 150, 10) . عدد طلاب الأزهر 12 000 و57 000 شخص حفظة القرآن . لا يستطيع قضاة مصر المحليون ، مزاولة واجب القضاء خارج هذا القطر .

ومع أن الملائين لهم تسلسل في التشريفات ، إلا أن هذا التسلسل تغيّر بين فترة وأخرى . واستقر في النهاية على أن يكون ملاء مكة في التشريفات بعد قاضي إستانبول ويليه ملاءو مدينة ، أورفه ، بورصه ، مصر ، بودين ، بغداد ، شام وقدس ... منح

قضاة مكة ، مرتبة إستانبول . أما مرتبة مكة أو الحرمين ، فكانت رتبة العلمية التي تسبق مرتبة إستانبول وكانت معادلة لرتبة لواء .

أصبح القضاة بعد التنظيمات ، أشخاصًا يفصلون في المحاكم الشرعية في دعاوى المسلمين المدنية ويوفون واجبات هذا المجال . سلخت عنهم كل صلاحياتهم الأخرى .

11 - المدرس والمدرسة (الدينية) :

المدرسة ، هي المؤسسة التي أسسها السلجوقيون في نهاية العصر 11 وطوروها . هي المؤسسة الثقافية الرئيسية في الدولة العثمانية للفترة الكلاسيكية ، ألا أنه كانت هناك صفوف تدريسية في درجات مختلفة خارج تلك المدارس . المدرسة ، هي المؤسسة التي تدرس اللغتين العربية والتركية والتي تتشكل من قسمين متوسط وعال . ولأجل الدخول في القسم المتوسط ، يجب إنهاء الدراسة الابتدائية أو أن يبرهن على أنه حائز على معلومات معادلة لتلك الدرج . ثم تبدأ مراحل المدرسة . كانت المراحل العالية في المدن الكبيرة (إستانبول ، القاهرة ، أدرنة ، بورصة ، بغداد ، شام ، حلب ، قونية ...) . أما مدارس الدرجة المتوسطة ، فكانت موجدة في كل مدينة وقصبة . الانتقال من صف لآخر يجري بالامتحان . كان من الممكن اجتياز أكثر من صف واحد خلال سنة واحدة ، وكان يوجد كذلك من تبلى مرافقهم ببقائهم سنوات عديدة في صف واحد . كانت شهادة إستانبول (رؤوس استانبول) هي الأكثر اعتبارًا ، بخاصة المدارس العالية في سليمانية وفاتح . وبعد العصر 15 قل كثيرًا عدد شبان الأناضول الذين كانوا يذهبون إلى مصر وسوريا لغرض التحصيل فيها أو انعدموا .

يطلق علي معلمي المدرسة ، أيًّا كانت درجاتهم « مدرّس » . توجد درجات كثيرة للمدرس ، والارتقاء يقتضي اجتياز تلك الدرجات . يجب عدم خلط « مدرس » الجامعة التي استعملت في دور التنظيمات حتى 1933 ومدرس المدرسة (الدينية) . إذ إن صفة « مدرس » في الجامعة ، استعملت بدلاً من أورديناريوس بروفسور « أستاذ كبير » معلم = بروفسور ، أستاذ ، معاون معلم = مساعد أستاذ) أما مدرس المدرسة ، فإنه بالإمكان أن يكون متخرجًا من الدراسة المتوسطة ، كما أنه يمكن أن يكون بدرجة

أستاذ الجامعة الكبير (أوردينالايوس بروفسور) . « إن أساتذة الجامعة في تركية يتقاضون رواتب أعلى من ألمانيا والأقطار الأخرى وكذلك يلقون احترامًا أكبر . ولا يختلف الوضع بالنسبة إلى انكلترا وفرنسا » (هامّر ، 17 ، ص 41 ، 19 ، 52 ب) .

تجوز دراسة الأولاد الذكور في المدارس . ولا تجوز دراسة البنات فيها . أول المدارس النظامية في القطر العثماني ، فتحت في 1330 في ايزنيك وبعد فترة وجيزة في بورصة من قبل أوهان غازي . تطورت جدًا مدرسة بورصة قبل عام 1400 . وفي الربع الثاني من العصر 15 ، فتحت مدارس عالية في بورصة كذلك (أوج شرفه لي ومدرسة دار الحديث) . أسس فاتح في 1453 ، مدرسة فاتح التي شكّلت نواة جامعة إستانبول . ثم أسس القانوني مدرسة سليمانية . كانت توجد في إستانبول مدارس عالية أخرى أيضًا . لم يعد يشاهد بعد العصر 16 من يذهب إلى مصر ، سورية ، عراق ، إيران وتركستان للتخصص .

كانت المدرسة منذ أواسط العصر 16 ، إلى أواسط العصر 19 تنقسم إلى 12 درجة بعد الدراسة الابتدائية . الدرجات الأربع الأخيرة هي الدراسة العالية . ويطلق على مدرسي الدرجات الأربعة الأخيرة « كبار مدرسين = الأساتذة الكبار » . كان يطلق على طلاب القسم العالي من المدرسة « طلبة علوم » أو « صوفته » . كانوا طلابًا يلقون احترامًا من الجميع . ويسمى الذي يختاره المدرس مساعدًا له « دانشمند » . كان الدانشمند الذي يحصل على شهادة ، يصبح « معيدًا » . وهي تعادل رئيس المساعدين . ثم يصبح « ملازمًا » ، ثم يبدأ بعد ذلك في اجتياز درجات المدرس . يجب على المدرس الذي يرغب في أن يصبح قاضيًا ، أن يكون بدرجة كبار المدرسين . لا يمكن لمدرس مدرسة متوسطة أن يكون قاضيًا .

وفي أواسط العصر 17 ، كان في داخل إستانبول – عدا الضواحي – 63 مدرسة متوسطة الدرجة ومدرستان عاليتان ، عدد طلاب المدرستين الأخيرتين 000 7 تقريبًا . لا يدرس كل طالب في القسم العالي ، أكثرهم يتركون الدراسة من صفوف أقل درجة ويعملون في وظائف لا تستلزم الشهادة ، كالإمامة والتدريس في مدرسة ابتدائية . كانت

مدرسة فاتح ذات 300 غرفة ، مطبخ ذي 70 قبّة ، 300 خادم (أولياء ، 1 ، 314 — 5) . لها 8 كليات تسمى « صحن ثمان » . أعلى مدرس ، هو مدرس « دار الحديث » الذي هو عميد مدرسة سليمانية . لا يوجد في الإمبراطورية مدرس أعلى منه درجة . راتبه الشهري بالسعر الحالي 000 20 دولارًا تقريبًا (هامّر ، 6 ,156 - 7) . يمكنه إذا أراد ، أن ينتقل إلى إحدى الأقضية الكبيرة ويصبح ملاّ . كامل مدرسة فاتح ، تقريبًا مهدومة حاليًا . أما مدرسة سليمانية ، فإن قسمًا غير قليل منها باق ويستعمل لأغراض مختلفة .

بدأ الفساد يعتري نظام المدرسة اعتبارًا من السنوات الأخيرة للعصر 16 إلى أن أصبح في نهاية العصر 18 عاجزًا تمام العجز وحتى باليًا لايلائم العصر وفي حالة يرثى لها . لم يكن لمدرس العصر 18 معلومات بقدر طالب مدرسة عالية (صوفته) في العصر 16 . لم تعد هناك مناهج منتظمة حتى في قسم الدراسة المتوسطة للعلوم الدينيّة في مدارس شام ، مكة ، مدينة التي فتحها القانوني كمدارس عالية . إن تأسيس « معلمخانهء نواب » في 1854 لتخريج الحكّام الشرعيين ، إضافة إلى المدارس الموجودة ، دليل على عدم اعتماد الدولة على متخرجيها في مدارسها . افتتح في 3 / 1 / 1914 قسم الدكتوراه ، وجعلت مدرسة دار الخلافة العليّة (إستانبول) ، جامعة دينيّة نموذجيّة . وفتح من ناحية أخرى في الجامعة ، قسم دراسة العلوم الإلهية . وكانت النيّة فتح مدرسة صلاح الدين الأيوبي في القدس بالمواصفات نفسها ، لكن اشتعال الحرب العالمية حال دون ذلك ، وبينما كانت مدرسة إستانبول كفيلة بأن تكون جامعة أزهر ثانية ، ناءت تحت أنقاض الحرب العالمية . وفي 1916 ، كان بها أكثر من 100 مدرس قدير جدًا و 1354 طالبًا (**علميه سالنامة سي** ، 174 وما بعده) .

12 ـ التعليم خارج المدينة :

يطلق على المدرسة الابتدائية اسم « مكتب » وعلى مدرسها « خواجه » (تلفظ بالتركية على شكل خوجا) وفي التنظيمات « معلّم ، معلّمة » . لم يطبق التعليم الإلزامي في أي وقت من الأوقات ، رغم صدور فرمان (تعليمات) في دور القانوني ، وآخر في دور محمود الثاني يقضي بالإلزام في مرحلة التعليم الابتدائي . التعليم الابتدائي الذي

كان منتشرًا جدًا في العصر 16 ، تردّى كثيرًا في العصور المتعاقبة . ولم يبد تقدمًا ملموسًا إلا في أواخر العصر 19 . وفي سنوات الحرب التي تعقب 1910 ، تردّى بشكل كبير وكان إقبال البنات خاصة ، والبنات القرويات بوجه أخص ، على التعليم الابتدائي قليلاً . وبقليل من المبالغة ، يمكن القول بأن البنات اللواتي يواصلن الدراسة ، كن عبارة عن بنات الموظفين فقط .

كان التعليم الابتدائي أبسط مما عليه اليوم . كان عبارة عن مواد كتعليم القراءة والكتابة باللغة التركية ، التمكن من قراءة **القرآن** ، العمليات الأربع في الرياضيات ، المعلومات الدينية الضرورية والكتابة الجيّدة (الخط) . وضعت مادتا التاريخ والجغرافيا في عهد التنظيمات . بيد أنه كانت في المدن الكبيرة كاستانبول مدارس ابتدائية فريدة وراقية ، ولها أوقاف غنيّة . كان التعليم فيها أكثر حيويّة وذلك بجهود المدرسين الذين يجلبون بصورة إضافية ، فمثلاً ، مدرسون لدروس الموسيقى ، الخط ، الفارسية .

كان الولد ، يرسل إلى المدرسة في سن 4 إلى 6 . والدراسة في الابتدائية على العموم 4 سنوات ، ولكن الذين دخلوا المدرسة في سن صغيرة ، يدرسون مدة أطول . كان المدرس الابتدائي على العموم مثقفًا بشكل جيد . يوجد باستانبول مؤسسات تعليمية أكثر من جميع عواصم العالم الأخرى »(هامر ، 19 ، أطلس ، 52 ب) . إن هذه الملاحظة ، تعود إلى دور الانحطاط في بداية العصر 19 وللفترة التي لم تؤسس فيها بعد مؤسسات التنظيمات التعليمية الكبرى وطبعًا بالنسبة إلى إستانبول . أما الإمبراطورية العثمانية ، فهي ليست عبارة عن إستانبول .

مكتب الصبيان أو مختصرًا المكتب ، كان مختلطًا . أي ان دراسة البنات كانت مشاركة مع الأولاد الذكور ، كانوا يجلسون في الصف ذاته على قمطرات منفصلة . كانت رءوس البنات والذكور مغطاة ، يضعون شيئًا على رءوسهم . كان الرأس المكشوف علامة على عدم الاحترام وعدم إطاعة النظام . كان أولاد الذوات والأغنياء بخاصة البنات منهم ، لا يدرسن في مكاتب المحلات ، بل يتممن تحصيلهن الابتدائي في القصور . الحقيقة أن التعليم الابتدائي كان منتشرًا في القرن 16 » كانت القرى خاصة تحتوي على مكتب واحد على الأقل ، ولا يدرس فيه الأولاد الذكور فقط ، بل البنات

كذلك » (2, Belon ، ورق 180) . هذه ملاحظة أحد السياح الفرنسيين ، في عهد القانوني . كان عدد مدارس الصبيان في أواسط العصر 17 ، في إستانبول نفسها عدا ضواحيها 1993 مدرسة ، في مدينة أماسيا 200 وفي مدينة أرضروم 110 مدارس . ويجب أن نسجل هنا ، أن المدارس الابتدائية لم تكن كما هي اليوم ، وإنما كانت صغيرة ، عدد طلابها أقل من 100 ، وبعضها 20 - 30 طالبًا ، كبيرها قليل وتسمى « طاش مكتب » وعلى العموم كانت المدارس الابتدائية وقفًا يعود للبادشاه . كان في أدرنة 14 مدرسة ابتدائية من نوع أوقاف البادشاه . كانت توجد 6176 مدرسة ابتدائية في القاهرة وضواحيها في نهاية القرن 17 . كان بين مدرسيها ، أتراك من الأناضول (أولياء 234, 60 - 5) . وبالنسبة إلى أحمد أمين يالمان ، زادت نسبة متعلمي القراءة والكتابة في تركية خلال الأعوام 1875 إلى 1900 ، إلى 3 أضعاف (**The Emer gence**, B. Lewis ، 462) . وقبيل 1900 ، لم يبق تقريبًا ولد ذكر لم يتعلم القراءة والكتابة . عدا أولاد عائلات المهاجرين من الخارج إلى المدن الكبيرة حديثًا . لكن نفوس المدن في الإمبراطورية ، كانت تشكل نسبة ضئيلة جدًا .

كانت مكاتب تحفيظ **القرآن** منهلاً للتعليم الابتدائي بطريقة أخرى وكانت منتشرة بكثرة . ويجب أن نضيف إلى ذلك محلات التعليم الخاصة في القصور والسرايات ومكاتب تعليم الخط في التكايا . كان التعليم في السرايات والتكايا الكبيرة هذا ، بمستوى التعليم العالي . كانت الثكنات وأماكن التدريب ، مدارس عسكرية بالمعنى الصحيح . ويوجد نظام آخر ، هو التعلّم لدى أسطه (أستاذ) وهو أصول التلمذة لدى عامل فنّي وهي طريقة تعليم عملي .

إن 99 ٪ من البنات المستمرات في الدراسة ، لا يواصلن التحصيل بعد الدراسة الابتدائية . وبالأساس فإنه لم يكن قبل التنظيمات مدرسة للبنات كهذه . إذن كيف نشأت شاعرات ، ملحنات ، عالمات من النساء ؟ إن هؤلاء السيدات كن من أصحاب الرغبة وتلقّين تحصيلهن في أماكن كالقصور ، السرايات ، التكايا . فمثلاً ، كان أشهر أساتذة عصرهم يدرسون في الحرم الهمايوني ، الجواري وبنات السلالة اللواتي يبدين استعدادًا متفوقًا . كان التعليم العملي أكثر انتشارًا . وعلى سبيل المثال ، كان التوليد .

النقش ، حياكة السجّاد منحصرة في النساء . كن يتعلّمن بالاشتغال مع النساء المحترفات بشكل عملي . بهذا الشكل أنتجن السجاد الكبير الذي يعتبر آيات فنية نادرة . فتحت أول مدرسة للقابلات في إستانبول عام 1843 ، كانت مدة الدراسة 3 سنوات .

« إن أصول التربية والتعليم لدى الأتراك ، هى أحد أهم الأسس التي تستند عليها سياستهم وعنصر مهم في ديمومة إمبراطوريتهم . إن هذا العمل يجري ضمن حدود الكفاءة والنظام » (Ricaut, 1, 75, 78) . من المؤكد أن التربية والتعليم لدى العثمانية في القرن 16 ، كانت على أعلى مستوى في العالم . ويأتي بعد ذلك دور التعادل مع أوروبا ، ثم دور التأخر عن أوروبا . ومع ذلك فإن أحد المشاهدين الأمريكيين ، حتى في 1832 ، لا يستهين بالتعليم لدى العثمانية : « زرت ودقّقت مدرسة الهندسة البحرية الإمبراطورية التي تخرج المدفعي خلال 3 سنوات ، تكلمت مع التلاميذ . كانت مؤسسة متقدّمة . يستمر في التحصيل العالي في 16 مدرسة في إستانبول ، 300 إلى 500 طالب في كل واحدة منها ، هذا عدا المدارس الأخرى . توجد مدرسة ابتدائية في كل زقاق من أزقة المدينة وعددها أكثر من 1000 » (**Sketches of Turkey in 1831 and 1832,** J. de Kay نيويورك 1833 ، ص 142 - 4) .

استمر التعليم في المساجد جنبًا إلى جنب مع التعليم الذي يجري في المدارس . التعليم الإسلامي ، هو تعليم المساجد ، فصل السلاجقة في العصر 11 التعليم العالي من المساجد ، وأسسوا أول المؤسسات التي سميت « مدرسة » . ولكن دروس المساجد استمرت . معلم الجامع ، لا يسمى مدرسًا ويسمى « درس عام » . لا يعتمد التدريس هنا على الحفظ وعلى نفوذ المدرس كما هى الحال في المدرسة . هو تعليم يجري بطريقة النقاش والمناظرة . كان الطالب لا يستمر في دروس المعلم المسمى « درس عام » فيما لم ترقه دروسه ولا يخشى من « درس عام » كخشيته من المدرس تسمى الشهادة التي يعطيها « الدرس العام » عن الدراسة في الجامع « إجازت » أي إجازة التي يستطيع أصحاب الإجازات أن يتقدموا إلى امتحان في المدرسة للحصول على الشهادة الرسمية المسماة « رءوسًا » . فمثلاً ، أحمد مختار أفندي ، أحد شيوخ الإسلام في دور السلطان عزيز وابن أحد باعة الطرشي ، تقدم بعد إتمامه دروس الجامع ، نجح في الامتحان وحصل على شهادة استانبول وانتسب إلى صنف العلمية .

ويجب ألا ننسى أكاديميّتي العسكرية والفنون الجميلة للسراي المسماة اندرون همايون ومدارس السراي المتوسطة التي تمدّها بالطلاب . وهناك التكايا وبعض التكايا الكبيرة (دركاه) ، التي تمنح تعليمًا عاليًا بحق ، في العلوم والصناعات المختلفة . كثيرون من أشهر الشعراء ، الملحنين ، الخطاطين ، العلماء والمؤلفين تخرجوا في التكايا .

كان التعليم العلمي ، أوسع مجالاً في التعليم . كان الذي يريد أن يصبح معمارًا ، يعمل مع المعمار سوية ، والمهندس مع المهندس ، الطبيب مع الطبيب ويتلقى عنه علمه ، ثم يقدم امتحانًا في الجدارة ويحصل على الشهادة التي تسمى « اجازتنامه » وينتمي للسلك . والحقيقة أنه كان يوجد لهذه المجالات وشبيهاتها مدارس ومدارس للسراي ، لكنها لم تكن كافية لحاجة الإمبراطورية . لذا فإن كل واحد من أصحاب هذه المهن كان يستصحب معه في عمله عدة تلامذة على الأقل يسمون « شاكرد » ويدربهم على المهنة .

13 ـ الأوقاف والتعاون الاجتماعي :

كانت الدولة في النظام العثماني ، مسئولة عن حماية أنفس وأموال وحرية المواطن والمحافظة على الأمن . ولم تكن ملزمة ببناء آثار عمرانية ، بتعليم المواطن ، بإنشاء المعابد للعبادة . شيّدت الطرق والجسور ، لكن ذلك كان بغرض إقامة تسهيلات لمرور الجيوش ولتأمين أمن الدولة ، ولم يكن لأجل الشعب بصورة مباشرة . إن المؤسسات العمرانية والثقافية المشيدة لأجل الشعب ، بدأت مع التنظيمات في الفترة الحديثة . لا يوجد جامع واحد ، مكتب ، ولا أية مدرسة ، عمارة (مؤسسة خيرية لتوزيع الطعام على الفقراء) ، مستشفى ، سبيل للماء وأمثالها شيَّدته الدولة في العهد الكلاسيكي . إذن ، عمن ورثنا آلاف وعشرات الألوف من المنجزات المختلفة ؟ ومن الذي أمر بصنعها ؟ إنهم المواطنون .

هذه المنجزات لو لم يشيدها الشعب ؛ لما تحقق منها شيء ! وفّر الأغنياء كل حاجات الشعب الاجتماعية . ومن الطبيعي أن السلاطين ، هم على رأس هؤلاء . لأن البادشاه كان أغنى شخص في الإمبراطورية . لم يحدث في تاريخ الدولة كلها ، أن فاق شخص

البادشاه في الغنى .

جميع هذه المؤسسات الاجتماعية ، شيّدت بفضل مؤسسة الأوقاف . الوقف ، يوقف رضاء لله . الوقف ليس عبارة عن تشييد بناء مجرّد . الوقف ، إضافة إلى ذلك ، هو تأمين مصادر إيرادات لإدامة هذا الوقف عصورًا طويلة . كتب داماد لطفي باشا أحد صدور عظام السلطان سليمان القانوني وزوج أخته في مذكراته السياسية الكلاسيكية المسماة **آصافنامه** ، إن على رجل الدولة المثالي أن يقسم إيراداته إلى ثلاثة ، ثلث لمصروفاته ، والآخر للمؤسسات الخيرية ، والثالث للتوفير . هكذا كان النظام العثماني تقريبًا

إن صاحب الوقف الذي يسمى « واقف » كان بإمكانه أن يوقف كل أنواع مصادر الإيرادات التي يمكن أن تخطر على البال لأجل تأمين إدامة وقفه : دراهم نقدية ، مزرعة ، خان ، حمّام ، دار ... كان ينظم الاتفاقية التي تسمى « وقفنامه » والتي تشرح كيفية تشغيل وقفه ، حسب رغبته . يتسلم خَدَمَ الوقف ، رواتبهم من هذا الإيراد ، مدير الوقف يسمى « متولّي » وغالبًا ما يكون أحد أفراد نسل الواقف .

توجد أوقاف لمجالات تفوق التصور : تجهيز البنات الفقيرات ، ترصيف الأزقة التي لا تحتوي على أرصفة ، تأمين حاجة البارود لإحدى القلاع ، العناية باللقالق المعوّقة والمريضة ، توزيع اللحم على الكلاب ورئات الغنم للقطط ، تسديد ديون المسجونين بسبب الاستدانة ...

إن تنوع أوقاف العثمانية ، وغرابة شروط الوقف ، تصيبان المرء بدوار الرأس . وأعتقد أن مستشفى اللقالق الذي يسمى « غرباء خانهء لقلقان » هو الوقف الوحيد في مجاله على وجه الأرض . الوقف لطيور الحمام ، كثيرة . لا يأكل الأتراك لحم الحمام اللذيذ أبدًا . يسرّهم جدًا التفرج عليه وهو يطير في فناء جوامع المدن » إن حب الخير لدى الأتراك ، يشمل الحيوانات أيضًا . لا يجوز لأحد معاملة الحيوانات معاملة سيئة . تقبض عليه الشرطة التركية . ويمنع كذلك إرهاق الحيوانات بالشغل . يشاهد في كل يوم وفي كل مكان ، معاملة الأتراك الممتازة للحيوانات . إذ إنهم أيضًا مخلوقات الله . لا شك أن ذلك من دواعي الشرف بالنسبة لشعب (d'Ohsson ,4 ,307 - 8) .

وبالطبع فإن المؤسسات التي تستجيب للمطالب الاجتماعية المهمة جدًا ، تأتي على رأس المؤسسات الوقفية الخيرية ، كالجوامع ، المساجد ، سبيل المياه ، المدارس ، المكاتب ، مؤسسات إطعام الفقراء ، المستشفيات الحمّامات ، منازل القوافل ، الخانات . إن أصحاب الخير الذين شيّدوا في أماكن مختلفة من الإمبراطورية أكثر من اثني عشر جامعًا ، حنفيات للماء ، ليسوا قليلين ، إلا أن أصحاب الخير شيّدوا كل ما يخطر على البال وجهّزوا الوقف بمصادر ماليّة غنيّة (بالعثمانية : عقارت) ومن أمثلة ذلك : كليّة ، سبيل ، سلسبيل ، حوض للوضوء ، يالاق (حجر مجوف يوضع أمام المساكن لإطعام الحيوانات) ، فسقية ، حوض ، بئر ، بناية حمّام المياه الصحيّة ، حمّام مزدوج ، فتح عيون المياه المعدنية ، مرافق صحية ، طريق جسر ، مكتبة ، مصلّى ، مغسل للأموات ، تكية ، تكية صغيرة ، زاوية ، حجرة تكية كبيرة (دركاه) ، مقبرة ، قبّة ، سوق ، سوق موقت ، حديقة أساس ، مجاري ، ثكنة ، قلعة ، سدود استحكام ، سد استحكام مع حديقة ، هودج ، برج ، خندق ، خنادق ، استحكام ، رصيف ، زقاق ، حديقة كبيرة (بارك) ، شارع ، دار العجزة ، دار التقويم ، دار القرّاء ، دار الحفّاظ ، دار الحديث ، دار التوقيت ، ميناء ، فنار ، فنار للبحر ، محل غسيل الملابس ، مصنع زيوت ، مصنع شموع ، مصنع سكر ، مصنع حديد ، مصنع سباكه ، مصنع أسلاك ، فرن ، مذبح ، مصنع مدافع ، مصنع قذائف ، مصنع رماح ، اسطبل ، حاره ، حظيرة مواش ، محل دراسة ، مستشفي أمراض عقلية ، دار الشفاء ، محل تعليم الرمي ، محل فتاوى ، منزل للسابلة ، مسلة الرمي ، عريش ، قمرية ، خيمة ، طريق مياه ، مخزن مياه ، مصح ، دار الافتاء ، محكمة ، ملجأ ، مدفن ، كشك ، قصر ، سراي ، سراي ساحلي ، دار على البحر ، دار ، دار للإمام ، ميناء ، رصيف بحري ، كرمه ، مقهى ، مصنع بوظه (مشروب غير كحولي يصنع من بعض الحبوب) ، مصنع شيره (مشروب غير كحولي يصنع من عصير العنب الجاف) ، ناد ، صيدلية ، مخزن ، جدول (قناة) ، تأسيسات توزيع المياه ، ... إلخ .

المستشفيات على سبيل المثال ، كانت مؤسسات عظيمة ذات أبنية ممتازة ، نظامية ، تدرّس فيها دروس التطبيقات العملية لتلامذة الطب . إن مستشفى خاصة كي الذي أسسته السلطانة خرّم زوجة القانوني ومستشفى غرباء الذي أسسته بزم عالم والده –

سلطان ، أم عبد المجيد الأول ، لا يزالان أكبر مستشفيين في إستانبول . أما دار الشفاء التي أسسها القانوني فهي حاليًا مطبعة عسكرية . كانت مستشفى للتطبيقات لمدرسة سليمانية . وتوجد مستشفيات لأمراض معيّنة ، للنساء فقط . ومثال ذلك ، مستشفى الجذام في أدرنة (1451) وفي إستانبول قرة جه أحمد (1514) . كانت العناية بالمريض ، مداواته الخارجية ، أدويته من خيرات أصحاب الخير . كانت دار شفاء جينيلي في إسكدار ، من خيرات كوسم والده – سلطان ومخصّصة للأمراض العقلية للنساء فقط .

« عمارت » (المطابخ العامة) ، هي نوع آخر من المؤسسات الخيرية . تقدّم الطعام مجانًا إلى المعوزين والمسافرين . أسست في كل مكان . وغالبًا ما تكون على طريق القوافل ، كانت عمارت مراد الأول في إيزنيك ، تقدّم وجبتين من الطعام يوميًا لألفي شخص . وعمارت بيازيد الثاني في إستانبول ، كانت تقدم يوميًا بمعدل وجبتين وتشبع 1000 شخص (صرّاف هوانيسيان ، ورق 72 ؛ اينجيجيان ، 135) . كانت عمارات سليمانية وفاتح ، مؤسسات عظيمة كذلك . والحقيقة أن المعوزين كانوا يدعون ويطعمون ، حتى في القرى النائية . كان ذلك واجبًا اجتماعيًا لأشراف كل منطقة . لكن العمارات ، هي الشكل الرسمي الذي أصبح مؤسسة لهذه العادة . يقول d'Ohsson إن أكثر من 30 000 شخص تقدم لهم وجبتان يوميًا في مطابخ إستانبول العامة (2 ,460 - 1) . كانت ميزانية « عمارت » مراد الثاني في مرادية أدرنة في العام (1436) تعادل 8 , 4 مليون دولارًا سنويًا بالسعر الرائج الحالي . وميزانية عمارت سليمانية (إستانبول) السنوية تقارب 30 مليون دولار **وقفلر دائرة سي** ، (122, 113, 9).

كان يقدم في عمارة فاتح [illegible]ًا وجبتان ، 1650 شخصا وتوزع إضافة إلى ذلك 3 300 صمونة (فودلا ، [illegible] وفي مستهل العصر 15 ، كان في بورصة 7 مطابخ عامة » يوزع الطعام على كل القا[illegible]ين دون تفريق بين مسيحي ، وموسوي أو وثني » (Schiltberger ، نشريات Telfer ، 404) (نفوس بورصة في تلك الفترة يقارب 200 000) كان ضروريًا وجود لحم الغنم في أطعمة المطابخ العامة .

أما الكروانسراي (المنازل) فكانت خانات كبيرة جدًا وقسم منها كالقلاع

المستحكمة ، شيّدت على الطرق التجارية الكبيرة خارج المدن وهي إضافة إلى إطعامها القادمين إليها ، تؤمن مبيتهم كذلك . وتسمى صغارها « خان » شيّد السلجوقيون 112 والعثمانيون 221 كروانسراي ضخمًا جدًا داخل حدود تركية الحالية (قائمتها : Tarihi, Turk Hanlari, Ilter Jsmet ، أنقرة 1969) . وكلها بنايات فخمة تعتبر من الناحية العمارية . آيات فنيّة رائعة (495, 2, Ricault) .

أوقفت وقفيات للعناية بالمقابر . لم يستسغ العثمانيون ، تشييد قبور ضخمة ، كأتراك الهند مثلاً . أعظم السلاطين دفن تحت قبب متواضعة . لكنها كانت موضعًا للعناية . إن أشرف قبر في إستانبول ، هو قبر أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) حامل راية الرسول ﷺ ، الذي يسميه الإستانبوليون « أيوب سلطان » . كان يخدم في هذا القبر ، 10 متولي (تربة دار) ، 27 حافظًا يتلون **القرآن** باستمرار لمدة 24 ساعة ، وجمعًا 117 شخصًا (T, Oz **Istanbul Camileri** ، 55, 1) . كان يقوم بخدمة قبر فاتح في إستانبول 12 متولي بصورة دائمة و 90 حافظًا آخرون يقرأ كل منهم **القرآن** يوميًا لمدة 16 دقيقة في موضع رأس فاتح . لم يصمت صوت **القرآن** في موضع رأس فاتح في قبره مدة 444 عامًا ولا لحظة واحدة . وكذلك كانت قد اتخذت جميع التدابير لإطعام والعناية بآلاف اللقالق والحمام المتجمع حول قبر أبي أيوب (رضي الله عنه) (قل جدًا عدد اللقالق في الوقت الحاضر) .

إن وقف المياه ، كان نوعًا غنيًا آخر من الخيرات . كان جلب المياه في المدن الكبيرة من أماكن بعيدة إلى المحلات التي تستخدمها ، مشكلة صعبة . فمثلاً ، خصّص القانوني عام 1564 لأمر المعمار سنان 140 مليون دولار لغرض حل مشكلة ماء إستانبول التي زاد عدد نفوسها بصورة فجائية وهذه آخر خدمة قدمها الحاكم الكبير إلى مدينة استانبول . والقانوني أيضًا ، جلب إلى مكة ماء وافرًا وسقّف الحرم الشريف بـ 360 قبّة . والقانوني كذلك ، خصص لأمر المعمار سنان لإنشاء جسر جكمجه والطرق الرئيسية المتصلة به ، مبلغ 108 مليون دولار (هامّر ، 6 ,169 ,456) كان في القاهرة 55 حمّامًا كبيرًا للأوقاف ، 9060 حمّامًا في السرايات والقصور (أولياء ، 10 ,258 - 9)

استمرت نزعة حب الخيرات حتى في سكرات موت الدولة العثمانية . وهبت ابنة الخديو إسماعيل باشا ، الأميرة فاطمة خانم في 18 / 11 / 1920 ، عند وفاتها عن عمر يناهز 5 و67 عامًا ، ثروتها البالغة مليوني ليرة ذهبية إلى جامعة إستانبول .

14 - نظارة الأوقاف الهمايونية :

أسّس محمود الثاني في 1829 ، نظارة الأوقاف الإمبراطورية ، لغرض إدارة الأوقاف من قبل مرجع واحد وناظر عضو في الوزارة . كان در السعادة أغاسي ، يشرف على أوقاف الحرمين (مكة ومدينة) وسراي روزنامه جي (مدوّن حسابات السراي) يشرف على أوقاف السلاطين (السلالة) ، والمتولين على الأوقاف الأخرى . شغل منصب هذه النظارة حسيب باشا . 10 سنوات ، وشهرين (5 مرات خلال 1834 - 1859) ، عبد الله غالب باشا 8 سنوات (1894 - 1902) ، تورخان باشا 6 سنوات (1902 - 1908) ، أحمد كامل باشا 5 سنوات ، 7 أشهر ، (مرتين خلال 1870 - 1877) ، قبرصلي أحمد كامل باشا الذي صار بعدها صدرًا أعظم 4 سنوات ، وشهرين (مرتين خلال 1880 - 1885) . وفي عهد المشروطية أصبح مصطفى خيري أفندي ، الذي صار بعدها شيخًا للإسلام كذلك ، ناظرًا للأوقاف .

ولخروج العقارات التي تؤمن مؤسسات الأوقاف الموجودة في البلدان التي أوقفت فيها خيرات كبرى كإستانبول ، أدرنة ، بورصة ، مكة ، مدينة ؛ مع مرور الزمن من حوزة الإمبراطورية العثمانية وبقائها في الأقطار التي فقدتها ، تلف قسم كبير من الأوقاف القديمة . مثلًا ، كان قسم من أوقاف سليمانية في المجر . كانت في تشيكوسلوفاكيا الحالية ، قرى أوقفت للحرمين . أخذ الإعمار يتقلص على مرور الزمن في الإمبراطورية اعتبارا من 1638

15 - المساجد :

أطلق العثمانيون على المساجد التي تصلى فيها الجمعة « جامع » ، واستعملت كلمة « المسجد » للجوامع الصغيرة التي لا تصلى فيها الجمعة ولا تقرأ فيها الخطبة والتي

بدون منبر . شيّد العثمانيون جامعين في القرى المتواضعة وشيّدوا أحيانًا جامعًا ذا قبّة . عرفت مدن العثمانية وعلى رأسها إستانبول بـ « مدينة الجوامع » . فمثلاً ، رغم هدم الروس في قرم، من 1771 إلى 1805 جوامع كثيرة ، كان في (1805) ,1558 جامعًا و 5139 إمامًا – خطيبًا . وفي 1914 ، كان قد بقي 942 إمامًا وخطيبًا . لا يوجد واحد اليوم . يوجد جامع واحد فقط بقي في المجر . والوضع نفسه في كثير من الأقطار العثمانية القديمة .

شيّد في استانبول في دور فاتح فقط (1453 - 1481) خلال 28 عامًا ، 192 جامعًا ومسجدًا . 95 منها سالمة حاليًا ومفتوحة للعبادة (**Osmanl, Mimarisinde Fatih Devri,** **E, H, Ayverdi** ؛ ; 1973ص 538 - 41) . يحصى هامّر بالنسبة لبداية العصر 19 في إستانبول ، 877 جامعًا بأسمائها واحدًا واحدًا ، 19 منها جوامع سلاطينية و 4 منها حوّلت من الكنائس ، ويذكر اسم 275 مدرسة في إستانبول نفسها عدا الضواحي (128, 109, 18) » إن جوامع الأتراك عظيمة جدًا . عظمتها ، ليست فقط في طرازاتها المعمارية . تلفت النظر من حيث الموارد التي وقفها مؤسسوها ومن حيث عدد المعوزين الذين تؤمن حاجاتهم من هذه الموارد : إن هذا الوضع ، يشكّل عارًا بالنسبة لنا نحن المسيحيين الذين نتبرع بالقليل من أجل الكنيسة » (345, 343, 2, Ricault) .

إن ملاك جامع بيازيد الثاني في أدرنة ، كانوا 160 (**3,2, Edirne ve pasa Livasi** وما بعده) . كانت موارد جامع فاتح السنوية 54 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا (70 - 16, Sanderson The Travels) . صرف على جامع شهزاده الذي أمر القانوني بإنشائه من قبل المعمار سنان 81 مليون دولار بالسعر الحالي وصرف لإنشاء جامع سليمانية 208 مليون دولار (هامّر ، 5 ,377 ,6 ,88 ,4) .

يطلق على الجوامع الكبيرة جدًا التي شيدها السلاطين العثمانيون أو أعضاء السلالة والتي تحتوي على أكثر من مئذنة واحدة (2 ، نادرًا 4 وفي سلطان أحمد فقط 6 مآذن) « سلاطين جامعي » أي جامع سلطاني يوجد منها في إستانبول 38 جامعًا . كان لكل من هذه الجوامع تسلسل في التشريفات (448, 2, d'Ohsson - 50) ؛ **علميّة سالنامه سي** ، 137 - 8) : أيا صوفيا (بناه فاتح) ، سلطان أحمد (أحمد 1) ، سليمانية

القانوني) ، بيازيد (بيازيد 2) ، فاتح (اسمه القديم : سلطان أحمد (فاتح) ، نور عثمانية (محمود 1 - عثمان 3) ، سلطان سليم (ياووز) ، أيوب سلطان (فاتح) ، لاله لي (مصطفي 3) ، بكلر بكي (عبد الحميد 1) ...

اعتبر جامع أيا صوفيا ، أكبر جامع لمركز الخلافة وجامعه الأول بين جوامع العالم كله . إن ملاك جامع سليمانية فقط ، الثالث في التسلسل بالنسبة إلى وقفية السلطان سليمان ، 280 شخصًا . إن ملاك المؤسسات الكبيرة الأخرى التي تشكل كلية سليمانية ، لا يدخل ضمن هذا العدد . إن 164 دفترًا لحسابات إنشاءات سليمانية موجودة حاليًا في أرشيف سراي طوبقابو ونشرت أهم أقسامه في كتاب عمر لطفي باركان المكون من مجلدين عظيمين ، الذي نشر عام 1972 باسم **Suleymaniye Insaatl** ، ويفهم منه أنه تم صرف ما يقارب مبلغ 600 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا على إنشاء كامل الكليّة . وقد صرف تقريبًا نصف هذا المبلغ على إنشاء الجامع والعمارت (مطبخ توزيع الطعام) . وبلغت مصروفات إنشاء جامع سلطان أحمد مع مشتملاته ، 444 مليون دولار . إن إنشاءات كبيرة جدًا كهذه تجرى في أرقى أماكن من المدينة وقبل ضربة الفأس الأولى ، كانت حقوق أصحاب الأملاك تبلغ أرقامًا خيالية ، وكان الاتفاق يجري مع صاحب العرصة ويقبض القيمة ، وكثيرًا ما دفع أكثر من القيمة الحقيقية ؛ لأن العثماني يؤمن بصورة جازمة ، أن التأسيس الذي يشيّد على أراض أخذت قسرًا من صاحبها ، لا يكون مقبولاً عند الله ولا يمكن أن تكون هذه خيرات . وقد شوهد من دخل في مساومة قاسية مع السلطان بالذات وطلب مبالغ فاحشة وحصل على طلبه

لقد ظهر أن السراي ، الكاتدرائية ، القصر وأمثاله من الأبنية التي شيدت في القرون الوسطى ، يرفع على الأغلب أسعار نقل الحجر من مكانه أو سعر شرائه بحيث يصل إلى 4 أضعاف وأحيانًا 6 أضعاف . على هذا الأساس ، لو تم تشييد البناء في مكان يتوفر فيه الحجر ، لأمكن تأمينه في أحوال كثيرة بنصف السعر . لأن الطرق كانت رديئة وملتوية وطاقة العربات لسحب الحجر كانت محدودة . إن العربة التي يجرها زوج من الثيران يمكنها فقط حمل حجر واحدة بحجم 1 م^3 وبزنة 5 , 1 طن . وإن كان مكان

الحجر على بعد 30 كم ، تحمل العربة عندئذ الحجر الواحد خلال يومين ، وإن كان الحجر على بعد 60 كم ، تحمل العربة عندئذ حجرًا واحدًا في كل 4 أيام ، إذ أنه لم يكن باستطاعة العربة أن تسير أكثر من 15 كم في اليوم الواحد . وإن كان الطريق مرتفعًا ، كانت العربة تسحب بواسطة 10 ثيران وأحيانًا 20 ثورًا ، أو كانت تصنع عربات تزحلق غالية الثمن . ولهذا السبب كان يرجح طريق النهر أو البحر . وإن كان مصدر الحجر بعيدًا جدًا ، فإنه يتعذر تمامًا تشييد أبنية ضخمة ، وفي تلك الحالة يستفاد من الأبنية الأثرية القديمة المبنية من أحجار كثيرة العدد . كثير من المدن الأثرية زالت من الوجود بهذا الشكل . فمثلاً ، نجد أن أكثرية الأبنية في دور الرونيسانس (التجدّد) بنيت من أنقاض أبنية عهد روما بعد هدمها ونقلها . دونت هذه العبارة لتوضيح مبلغ العناء والصعوبة التي لاقتها العثمانية في إنشاء جوامعها وقلاعها وأمثالها من الأبنية .

وعلى سبيل المثال ، جلب رخام جامع سليمانية الأبيض من جزيرة مرمرة ، رخامها الأخضر من البلاد العربية ، بعض الأعمدة من مصر . اختير من أحد معابد مصر القديمة عمود كان قد بقي فيه . نقل العمود إلى الإسكندرية بواسطة فرش 460 قطعة خشبية طول كل منها 15 ذراعًا ، عرضها 7 أذرع وسمكها 6 أصابع . وأرسل إلى إستانبول بواسطة البحر . والأعمدة الثلاثة الأخرى من الأربعة الموجودة في سليمانية جلبت من بعلبك في لبنان ، ومن قيزطاشي في إستانبول ، ومن داخل سراي طوبقابو . اختار هذه الأعمدة معمارو الخاصة الذين بعثوا إلى أماكنها . أرسلت الأعمدة الحجرية من ميناء أمين أونو إلى سليمانية التي تقع على مسافة قصيرة منها ، أنزلت من السفن وسحب العمود الواحد بواسطة 7 أزواج من الثيران ، أما الأعمدة الحديدية فكلنت على نوعين 8 / 296 أقة و4 / 103 أقّة وجلبت من منجم حديد Samakov ومعمل سباكتها في بلغاريا . ربط سنان الأحجار ببعضها بمسامير حديدية كبير تسمى « زوانة » كل واحد منها يزن أقّة واحدة . وحفرت كذلك قنوات في الأحجار وصبّ فيها الرصاص . ولذا لم تستطع زلازل إستانبول الشهيرة إلحاق الضرر بها ، وكان الرصاص يرسل من مناجم شمال صربيا وبوسنة على دفعات ، كل دفعة 300 10 قنطار . كان استهلاك الرصاص كبيرًا بسبب تغطية السقف برصاص سميك . ولأجل صنع حجر القرميد ، خصص 400 1 قارب لنقل الطين الأسود إلى المعمل . كان القرميد يصل على دفعات ، كل دفعة

403 900 قرميدة . وكانت الحاجة إلى الخشب كبيرة أيضًا بسبب الهياكل التي ترتفع باستمرار . ويمكن قياس المواد الأخرى على ذلك .

لبناء جامع سلطان أحمد نزعت ملكية 5 سرايات وبيوت كثيرة . سدد البادشاه لسراي واحد منها وهو سراي عائشة خانم – سلطان مبلغ 30 000 ليرة ذهبية وكان هذا المبلغ أكثر من سعره ، الحقيقي وسدّد إلى سراي سنان باشا مبلغًا كبيرًا كذلك وكان سنان باشا قد بناه في 1553 لشرائه 300 دار تقريبًا . إن بناء جامع كبير يستغرق وقتًا وجهدًا كبيرين ولذا فقد بنى معمار سلطان أحمد قوجا محمد آغا مسجدًا مؤقتًا داخل الإنشاءات . لئلا يذهب العمال لأداء الصلاة في أماكن بعيدة ويضيع الوقت . إن 12 نوعية من المرمر (البلاط) التي استعملت في تشييد جامع سلطان أحمد والأماكن التي جلبت منه هي كما يلي (**رساله معماريه** ، ورق 54 ب ، 57 أ – ب) : بلاط أبيض مالكي ؛ بلاط مرمرة (جزيرة) وقابوداغ الأبيض ؛ بلاط لشام الأسود ؛ بلاط اسكدار الأسود ؛ بلاط دهنه (نجد) الأخضر ؛ بلاط يشيم لأخضر ؛ بلاط سوماكي الأحمر ، بلاط سرجة كوزي الأحمر ؛ بلاط زيله وآماسيا لملون بالأخضر على الأبيض ؛ بلاط قوردباغي ملون أحمر على أحمر بدرجات احمرار مختلفة ؛ بلاط سرجة كوزي بألوان مختلفة ممزوجة ؛ بلاط بألوان مختلفة ممزوجة من نوعيات كثيرة ، ميهالج ، تكرداغ . ويمكن تصوّر مبلغ صعوبة نقل كتل المرمر من نجد بوسائل ذلك العهد .

16 – الطرق والتكايا :

الطريقة والتكية ، هما احتياجان لا يمكن الاستغناء عنهما في الحياة الاجتماعية العثمانية . توجد تكية في كل قصبة . توجد تكايا خاصة لطرائق عديدة في كل مدينة . هي بمثابة نوادي ذلك العهد . تجرى فيها أحاديث ومسامرات علمية ، فنيّة ، تصوفيّة ، دينيّة ، واحتفالات وفقًا لما تقتضيه آداب وأعراف تلك الطريقة وتعلم فيها صناعات علوم ، آداب ولغات كثيرة جدًا . ومن هذه الناحية ، كانت الطرق والتكايا مؤسسات تربوية وتعليمية لا مثيل لها بالنسبة لعصرها . شيوخ التكايا محترمون ، وحتى البادشاه

يظهر احترامه لشيوخ التكايا الكبيرة . البادشاه زعيم ديني لكونه خليفة . وحامي جميع الطرائق بعنوان « سلطان المشايخ » . إن انتساب البادشاه إلى الطريقة المولوية أو إلى طريقة أخرى لا يبدل الوضع . يجوز الانتساب إلى أكثر من طريقة واحدة . ولكن لا يمكن الاشتغال بالسياسة في التكية . قاومت الدولة العثمانية الشيوخ المشتغلين بالسياسة بشدّة . إذ إن الشيخ ، سلطان للقلوب وإذا ما ادعى سلطنة الدنيا كذلك ، يكون قد أنكر سلطنته للقلوب . يعامل على هذا الأساس . وفي الأصل فإن العثمانية بخاصة البادشاه حسّاس جدًا تجاه اشتغال الشيخ بالسياسة . لأن شيخًا كهذا ، كالشاه إسماعيل ، ظهر ومزّق وحدة الأتراك والعالم الإسلامي .

كانت طريقة النقشبندية (النقشية) التي أنشئت في تركستان ، منتشرة جدًا . وحاليًا ، وبخاصة في الشرق هي أكثر الطرائق انتشارًا في تركية . إن الطرق ذات المنشأ العربي كالقادريّة ، الرفاعية والخلوتيّة كانت منتشرة كذلك . توجد كذلك طرق تركية : مولويّة ، بكتاشيّة ، قلندريّة ، سنبليّة (فرع الخلوتية) ، جلوتية ، بايراميّة ، كلشنيّة ، ملامتيّة ، عشّاقيّة (شعبة الخلوتية) سعديّة (شعبة الرفاعيّة) ... لكن كان أكثرها انتشارًا بين الشعب هي البكتاشية ، وبين المثقفين ، المولوية . كانت الإنكشارية بكتاشيين . وضعت هاتان الطريقتان من قبل مولانا جلال الدين الرومي وحاجي بكتاش ولي اللذين جاء كلاهما من خراسان إلى الأناضول ، وقت انقراض الإمبراطورية التركية السلجوقية المفجع

تسمى التكية الصغيرة زاوية والكبيرة دركاه ، والكبيرة جدًا آستانة . لكل منها شيخ . ينشأ الشيخ بانتسابه إلى شيخ آخر . وهكذا تعود سلسلة المشيخة وتستند إلى المتصوفين القدامى قبل عصور . التصوّف ، قطعة لا تتجزأ من حياة العثماني . وكثيرًا ما تدور المشيخة بين أعضاء عائلة واحدة . هناك عائلات شيوخ مشهورة . وعلى رأسها سلالة مولانا . حصل أحد أعضاء هذه السلالة على عنوان « جلبي » ويقيم في تكية مولانا في قونية ، أشهر تكية عثمانية (حاليًا متحف) . هو الذي يعيّن كل شيوخ تكايا المولوية التي تسمى مولوي ــ خانه . مرتبة المولوي الجلبي ، تعادل مرتبة وزير . عدة أفراد منهم قلّدوا البادشاه السيف . رئيس الطريقة البكتاشية ، من سلالة حاجي

بكتاش وكان مقيمًا في قصبة حاجي بكتاش . أغلقت التكايا في تركية بتاريخ 2 / 9 / 1925 . يعيش التصوف والطرق في القلوب كذوق روحاني . المرأة العثمانية شديدة الرغبة في التصوف . كانت هناك ساعات مخصصة لاستقبال النساء من قبل الشيوخ .

والذي يكفل استمرار الطريقة هم مؤيدوها الذين يسمون واحدهم « محب » . وإن كانت امرأة تسمى « محبّة » كمؤيدي النوادي الرياضية حاليًا . المحب لا يعتبر من أتباع الطريقة بصورة مباشرة . هو الذي أحب أحد الشيوخ في هذه التكية وأخذ في الحضور إليها والاستفادة ، وإن كان موسرًا ساعد تكيته . إن أتباع الطريقة الأصليين هم الدراويش الذين يحيطون بالشيخ في التكية ، والذين ينامون فيها . إن نظام إطاعة الدرويش لشيخه هو كما في الجيش . أمر الشيخ ليس فقط لا يناقش ، بل وحتى لا يفكّر في علّته .

توجد تكايا عظيمة كالسراي يخدمها مئات الدراويش . وتوجد كذلك في الأماكن الصغيرة زوايا ذات درويش واحد أو اثنين . ويجب أن نذكر أن التكية العثمانية في العصور المتأخرة لم تكن لامعة كما كانت في العصور القديمة . أخذت التكايا التي أصبحت أوكارًا للمسكنة والكسل والأكل على حساب الغير في الازدياد . يجب استثناء التكايا التي حافظت على مستواها إلى النهاية ، بل وتطورت ، والأكثر من ذلك أصبحت مؤسسة حديثة . ولا حاجة للإفراط في نقد الذين لم يستطيعوا الحفاظ على وضعهم السابق . إذ إن عاقبة المؤسسات في أية جمعية ، تتبع قانون الأواني المستطرقة .

إن أحد أسباب حصول الشيخ والدرويش على الأهمية في المجتمع العثماني ، هو اشتراكهم بصورة فعلية في تأسيس الدولة . ويسمى هؤلاء « درويش غازيلر » (الدراويش الغزاة) . هم على سيرة عثمان غازي . خدموا في الدرجة الأولى في إسكان روملي وإسلامها والحفاظ على المثل الإسلامية بشكل حي .

إن التوازن بين مدرسة ـ تكية ، وعلماء ـ شيخ في نظام المجتمع العثماني ، دقيق ومنتظم جدًا . والحقيقة أن الذين يسيطرون على الموظفين هم علماء الرسوم . لكن الشيوخ كذلك كانوا قد حكموا القلوب . اختلفت الزمرتان أحيانًا ، مما استوجب أن يفصل على أنه يلاحظ أنه لم يحصل في العثمانية أن صارت للشيوخ سيطرة و نفوذ عظيم

كما في الأقطار الإسلامية الأخرى . لأن فكرة الدولة ، كانت نظامًا يطغى على الدين ، وحتى على البادشاه ، كيف يمكن لنظام هذا شأنه أن يعطي ذلك الامتياز إلى التكية ؟ عامل مراد الرابع الشيوخ من هذا النوع بشدة ، وقضى على قسم منهم . انقلب الشيخ في الأناضول الشرقية إلى إقطاعي في الأراضي . ولكنه حافظ في الأقسام الأخرى من الأناضول ومن روملي على هوية محبوب القلوب ورجل فن وتصوّف .

كانت التكايا مؤسسات تعيش على تبرعات وأوقاف محبي التكية . كانت الدولة تعترف بالشيخ بصورة رسمية وكان للشيخ موقع في التشريفات ، ولكنه لم يكن موظفًا للدولة ، ولم يكن له راتب يتقاضاه .

ويوجد بين علماء الرسوم وشيوخ الإسلام كثيرون من المنتسبين للطرق .

كان في استانبول عام 15 714 ,1640 جامعًا ومسجدًا ومصلى ، 557 تكية و 000 22 زاوية وحجرة يعيش فيها الدراويش . إن 150 تكية من بين التكايا التي ذكرها أولياء جلبي آنفًا ، تكايا مهمة .

كان يجوز للمسيحيين أن يدخلوا التكايا للاستطلاع كدخولهم إلى الجوامع والتفرج على الاحتفال . أشهر الاحتفالات هو احتفال المولوية الذي يسمى « آيين شريف مولوي » (الاحتفال المولوي الشريف) الذي هو بالأصل طقس موسيقي ورقص ديني – تصوفي يجري بالقراءة والعزف وسمي « سماع » . كانت الكلمات التي تتلى في المراسم ، عبارة عن منتخبات من الشعر الديني من ديوان مولانا ، لحنها ملحنون قديرون .

يجرى السماع مرة واحدة في الأسبوع في كل تكية مولوية ويسمى ذلك « مقابلة » وقد حدث حضور البادشاه ومشاهدته الحفل واستماعه . أكبر التكايا المولوية في استانبول ، كانت في غلطة (كوله ديبي) ، يني قابو ، أيّوب (بهاريّة) واسكدار . كانت كل واحدة منها مدارس حقيقية لتعليم الموسيقى ومدارس حقيقية لتعليم اللغة الفارسية .

17 – تشكيلات القضاء في دور التنظيمات :

وضعت في دور التنظيمات قوانين للجزاء والتجارة مقتبسة من أوروبا . بقي الفقه

الحنفي الذي نظّمه جودت باشا في مؤلفه الذي يعد ذروة في القانون المدني الإسلامي على شكل موسوعة قانونية وجيزة للغاية باسم **مجلة أحكام عدلية** ، سارى المفعول في القانون المدني حتى 1926 . يقول (Jurist of genius) « Bernard Lewis » (ص 122) .

نشرت **المجلة** التي هي « من أعظم إنجازات القانون التركي » (one of) (Lewis, 123) (the great achievement of Turkish Jurisprudenee باللغات العربية ، الإنكليزية والفرنسية بعد ترجمتها من التركية .

لم يتمكن سلاطين دور التنظيمات ، سواء كانوا ليبراليين أم دكتاتوريين من التدخل في القضاء . إذ لا يشاهد في الفترة الكلاسيكية للعثمانية ، حادث تدخل من البادشاه في شئون المحكمة ، حتى أن مراد الرابع ، أعظم السلاطين نفوذًا وتحكّمًا ، لم يقدم على شيء من هذا القبيل . لم يتدخل عبد الحميد الثاني ، ـ الذي لم يدع مجالاً لم يتدخل فيه ـ لا في القضاء ولا في العلم . وفي عهد ناظر العدل عبد الرحمن باشا ، أصبح القضاء التركي أحد أنظمة العالم النموذجية .

كان مجلس شورى الدولة يضع القوانين ثم تعرض على الحكومة والخاقان للتصديق عليها . أخذ البرلمان ذو المجلسين هذا العمل على عاتقه في دور المشروطية . بقي رؤساء شورى الدولة التي تأسست في 5 / 3 / 1868 والذين يسمون « رئيس » أعضاء في الحكومة حتى 1922 . إن أول رئيس فاشل لشورى الدولة ، هو مدحت باشا (11 شهرًا ، 23 يومًا) . كانت شورى الدولة من أرقى مؤسسات الدولة في فترة عالي باشا الذي أسّسها . وقد حقّق أعمالاً كبيرة في عهد عبد الحميد الثاني ، إلاّ أن شورى الدولة عند تشكيل المجالس في النظام المشروطي ، هبط وأصبح بمثابة محكمة إدارية . شغل عارفي باشا الذي صار صدرًا أعظم والذي هو في الأصل رجل سياسة ، هذا المنصب لمدة 6 سنوات ، 10 أشهر ، 5 أيام (3 مرات خلال 1879 - 1891) وكذلك شغل هذا المنصب يوسف كامل باشا الذي صار صدرًا أعظم وهو صهر محمد علي باشا 3 مرات (1869 - 1876) مجموعها 6 سنوات ، وشهران ، 21 يومًا .

قام « مجلس عالي تنظيمات » كأعلى مؤسسة في الدولة ، من أيلول 1854 إلى 14 / 7 / 1861 ، بجملة واسعة من الإصلاحات . كان رئيسه الذي يسمى « رئيس » ،

عضوًا في الوزارة . شغل هذا المنصب 6 وزراء مشهورين ، كلهم شغلوا منصب الصدر الأعظم ، 10 مرات وهم حسب التسلسل (عالي باشا ، يوسف كامل باشا ، كيجه جي – زاده فؤاد باشا ، قبرصلي محمد باشا ، مصطفى رشيد باشا ، مترجم رشدي باشا) . أطول من بقي في هذا المنصب هو قبرصلي محمد باشا (سنتان ، 7 أشهر ، 26 يومًا) وعالي باشا (سنتان ، 21 يومًا) اندمج هذا المجلس بعد ذلك ، في مجلس والا ، وألغى بعد نقل واجباته إليه .

أسس محمود الثاني « مجلس والاى أحكام عدلية » (مجلس أحكام العدلية العالي) ومختصرًا مجلس والا ، في نيسان من عام 1838 . كان رئيسه ، الذي يسمى « رئيس » ناظرًا للعدل ومسئولاً عن الاصطلاحات . كان يعمل بالتشاور مع مجلس ويوزعون الأعمال فيما بينهم . ثم أصبح اسمه « ديوان أحكام عدلية » ، وأخيرًا في 25 / 1870 ، « نظارة العدلية » أو « عدلية ومذاهب نظارتي » . كان ينظر في جميع قضايا الأقلية غير المسلمة . أول ناظر للعدل هو الأمير قاوالالي مصطفى فاضل باشا أخو الخديو إسماعيل باشا . رؤساء مجلس وإلا كانوا أعضاء في الوزارة . أما ناظر العدلية ، فكان تسلسله في تشريفات الوزارة الرابع بعد الصدر الأعظم ، شيخ الإسلام ، السر عسكر ، وأحيانًا الثالث قبل السرعسكر .

شغل رئاسة مجلس والا ، كبار شخصيات التنظيمات ، مثل رشيد باشا ، عالي باشا وفؤاد باشا . كان أطول من شغل وظيفة رئيس والا أو ناظر العدل ، هم الصدور العظام كرميان أوغلو عبد الرحمن نور الدين باشا (12 سنة ، 8 أشهر ، 29 يومًا) (1895- 1908) ؛ أحمد جودت باشا (10 سنوات ، ويومان) (5 مرات خلال 1868 - 1890) ، داماد عارف حكمت باشا ، ابن عبد الرحمن باشا هذا شغل المنصب أيضًا 3 مرات .

بدّل محمود الثاني اسم « صدارت كتخداسي » إلى « أمور ملكية ناظري » أي ناظر الأمور الملكية ، ثم سمى « داخلية ناظري » (ناظر الداخلية) . إن آخر كتخدا وأول ناظر ، هو المصلح الشهير محمد برتو باشا ، أستاذ مصطفى رشيد باشا . ألغيت هذه النظارة في 2 / 7 / 1839 ، ثم أعيد تأسيسها في 19 / 3 / 1869 ، ثم ألغيت في آب

1871 ، وأعيد تأسيسها في 5 / 2 / 1877 .

أنيطت الأمور الداخلية ، في أوقات إلغائها بشخص الصدر الأعظم وبمستشار الصدارة الذي انضم إلى الوزارة (كان كتخدا الصدارة وقتئذ ، مستشارًا للصدارة وعضوًا في الوزارة أيضًا) . بقي محمد مملوح باشا في هذه النظارة مدة 12 سنة ، 8 أشهر ، 27 يومًا (1895 - 1908) ، أحمد منير باشا 5 سنوات ، 11 شهرًا ، 14 يومًا (1885 - 1891) ، الصدر الأعظم خليل رفعت باشا 4 سنوات ، وشهرين ، و 3 أيام (1891 - 1895) ، الرئيس العام للاتحاد والترقي الصدر الأعظم طلعت باشا 6 سنوات ، 7 أشهر ، 13 يومًا .

18 ـ نظارة المعارف :

وفي دور التنظيمات ، تأسست « مكاتب عموميّة نظارتي » (نظارة المدارس العامة) (8 / 11 / 1846) خارج تشكيلات الوزارة للنظر في أمور المدارس ، ثم نظارة المعارف العامة ضمن عضوية الوزارة (17 / 3 / 1857) . شغل هذا المنصب أحمد كمال باشا لمدة 12 سنة ، 7 أشهر ، 19 يومًا (7 مرات خلال 1848 - 1878) ؛ أحمد زهدي باشا . 10 سنوات ، 7 أشهر ، 8 أيام (1891 - 1902) ، منيف باشا 9 سنوات ، شهر ، 9 أيام (3 مرات خلال 1877 - 1891) ؛ هاشم باشا 5 سنوات ، شهر (1903 - 1908) ؛ الصدر الأعظم السياسي صفوت باشا 4 سنوات ، 9 أشهر ، 15 يومًا (3 مرات خلال 1868 - 1876) ؛ عبد الرحمن سامي باشا 4 سنوات ، 8 أشهر ، 9 أيام (1857 - 1861) شكري بك 5 سنوات ، 5 أشهر ، 28 يومًا (- 1918 1913) . اعتلى جودت باشا مقام النظارة 3 مرات . شغل منصب « نظارة المعارف عدد من الشخصيات الأدبية التركية ، وهؤلاء هم : المؤرخ خير الله أفندي ، الصدر الأعظم أحمد وفيق باشا ، رجائي ـ زاده محمود أكرم بك ، المؤرخ منصوري ـ زاده مصطفى نوري باشا ، المؤرخ عبد الرحمن شرف أفندي ، متخصص الموسوعات أمر الله افندي ، داماد جاودار أوغلو محمد شريف باشا ، الشاعر رضا توفيق بولوكباشي ، الصحفي علي كمال بك

كان لنظارة المعارف مجلس علمي يسمى « مجلس معارف » أو « مجلس كبير معارف » وهو الذي سمي بعد ذلك « تعليم وتربية دائرة سي » (دائرة التربية والتعليم) . كانت الجامعة ، المدارس العالية ، المتاحف والمكتبات تابعة لهذه النظارة .

19 – التعليم في عهد التنظيمات :

كانت فلسفة التعليم في التنظيمات هي : تعليم الغرب + ثقافة الشرق . اتضح عدم كفاية تعليم المدرسة والاندرون عند حلول القرن 18 . إن أولى المدارس العالية التي نقلت العلوم الأوروبية افتتحت في القرن 18 . وقد تم البدء بالمدارس العسكرية التكنولوجية . افتتحت في 1728 مدرسة صناعة القنابل ، وفي 27 / 12 / 1734 ، افتتحت في اسكدار هندسة خانهء همايون (مدرسة الهندسة الامبراطورية) لتخريج ضباط استحكام وقد خرّجت مهندسين عسكريين لمدة طويلة . نقلت هذه المدرسة في 1759 ، إلى قره أغاج في كاغدخانه . وفي 1784 ، وسّعت بشكل كبير وطورت على الطراز الغربي تمامًا وأطلق عليها اسم مهندسخانهء بري همايون (مدرسة الهندسة البرية الامبراطورية) . واستمرت في تخريج مهندسين عسكريين ضباط مدفعية واستحكام . وهي حاليًا جامعة استانبول االتكنولوجية . وفي 1793 انتقلت من قاسم باشا إلى سراي بهارية في أيوب ، ثم إلى خاصكوى ومن ثم إلى ماجكة . وانتقلت « مهندسخانه بحري همايون » « مدرسة الهندسة البحرية الامبراطورية » التي فتحت في (18 / 11 / 1776) لتدريب وتخريج ضباط بحريّين من سراي ترسانه في قاسم باشا إلى خاصكوي بعد توسيعها في 1796 . كانت لهذه المدارس مكتبات بلغات أجنبية ، مطابع وأساتذة أجانب . في هذه المدارس كان التلاميذ يجلسون على القماطر ولا يجلسون أرضًا متربعين كما في المدارس الدينية .

بدأ الانقلاب الحقيقي ، بافتتاح محمود الثاني مدرستين عسكريتين عاليتين . طبخانة عامرة (14 / 3 / 1827) وهي التي سميت بعد مدة قصيرة باسم مكتب طبية عسكرية عدلية شاهانه ، وهي الكلية الطبية العسكرية (اسمها الحالي = كلخانة) . ولكون كل الدروس بالفرنسية ، فقد نشأ جيل أخذ يتعمق في الثقافة الغربية . تخرّج كيجه جي –

زاده دكتور بيوك محمد فؤاد باشا ، شخصية التنظيمات الثالثة ، من هذه الكلية ، أبوه عزّت ملا ، أكبر شاعر في عصره وجدّه قونية لي قضعسكر صالح أفندي . افتتحت الطبية في غلطة سراي . تلاها مكتب فنون حربية شاهانه (1834) في ماجقه – التي نقلت بعد ذلك إلى حربية – وهي على أقل تقدير ، بنفس الدرجة من الأهمية . بدأ ضباط المشاة والخيالة الذين سيشكلون صلب الجيش ، يتخرجون فيها . منح السلطان محمود متخرجي الدورة الأولى ، راتب عقيد ، إذ كان الذي سيحافظ على الدولة هو الجيش ، والضابط هو أساس الجيش ، فتحت كلية الأركان الحربية السلطانية عندما بدئ بالأخذ بنظام أركان حرب في الجيوش العالمية وقدّمت أول دفعة من متخرجيها عام 1849 ، أصبح ثلاثة منهم مشيرين ، أحدهم حسين عوني باشا الذي أصبح صدرًا أعظم وسكرتيرًا . انتقلت إدارة الجيش العثماني على مر الزمن إلى الضباط الأركان . امتاز الأركان بما لم يشاهد مثله تقريبًا في الدول الأخرى ، ويحتمل أن يكون بتأثير من المدرسة البروسية . والحقيقة أن التدريس كان على نظام المدارس العسكرية الفرنسية . غير أن النظام البروسي كان يبرز بالتدريج ، إلى أن ترك النظام الفرنسي بعد 1878 ، وتغير التدريس إلى النظام البروسي .

إن « التعليمخانة » (مقر التعليم ، مدرسة) التي افتتحت في 1826 للعساكر المنصورة ، هي نواة الحربية . بإمكان الذين قضوا فيها سني التعليم الـ 8 ، الدخول إلى الحربية . أما التعليم في فرع الطب ، فكان 4 سنوات . أسست بعد ذلك جرّاحخانهء عامرة (كلية الجراحة) (9 / 1 / 1832) لتخريج جراحين . وبدأ محمود الثاني بإرسال متخرجي الحربية إلى فيينا ، باريس ، لندن لتعلّم اللغة والتدريب .

فتح أول معهد لتعليم الموسيقى الغربية (كونسرواتوار) باسم موسيقاي همايون .

أسّست غرفة ترجمة الباب العالي . علّمت هذه الغرفة الموظفين اللغة الفرنسية بصورة جيدة جدا . لا يتاح للموظف الذي لم يتعلم هذه اللغة أن يرقى في وظيفته . ومنذ ذلك التاريخ وحتى عام 1945 ، كانت اللغة الفرنسية هي الأساس في الثقافة الغربية .

والحقيقة أن الفرنسية والإنكليزية كانتا تدرسان ، لكن الذين أسّسوا أدب التنظيمات وأدب اللغة التركية أخيرا ، هم على العموم الذين نشأوا على الثقافة الفرنسية . وفي الأدب الإنكليزي ، يمكن القول بأنه كان لشكسبير تأثير . ولا يمكن البحث عن تأثير

أدب الدول الأوروبية الأخرى على الأدب التركي ، إذ إن هذا الأثر سطحي للغاية . أما تأثير الشعر الفارسي في الشعر فقد استمر حتى العهد الجمهوري . كان تأثير الشعر العربي شبه معدوم ، في الأدب التركي بعد القرن 16 . لكن اللغة العربية هي الأساس في العلوم الإسلامية في تركيا إلى يومنا هذا .

فتح محمود الثاني قبل وفاته بقليل « مكتب معارف عدلية » (11 / 2 / 1839) وهو نواة الاقتصاد والعلوم السياسية حاليًا .

تطورت الكليتان العسكريتان التكنولوجيتان المسماة « مهندسخانة » واستمرتا في التدريس . كان التحصيل فيها لمدة 4 سنوات . كانت الفرنسية إجبارية ، وتدرس كذلك اللغتان العربية والفارسية . وفي 1842 أصبحت اللغة الإنكليزية إجبارية في كلية الهندسة البحرية ، والفرنسية اختيارية . ومنذ عهد سليم الثالث (1789 - 1807) كان هناك ضباط مدفعية واستحكام يجيدون الفرنسية إجادة تامة وضبّاط بحرية يجيدون اللغة الفرنسية بشكل متقن ، وبعضهم كان قد تعلم اللغة الإنكليزية كذلك **Revolutions de Constantinople, Saint - Denys** ، باريس 1819 ,1 ,76) وعندما استخدم محمود الثاني ضباطا بروسيين للحربية (الذي سيكون أحدهم بعد ذلك الماريشال فون مولتكة) ، ظهر من تعلم الألمانية كذلك ، وقد تعلم متخرجو الحربية الذين ذهبوا إلى فيينا ، هذه اللغة بشكل أكمل (**تاريخ أندرون** ، 1 ,126 - 7) . أرسل محمود الثاني في البداية 4 طلاب إلى باريس في 1827 ، ولكن قبل ذلك ، كان هناك في دور سليم الثالث من هو مستمر في الدراسة في انكلترا . افتتحت الحربية على طراز Saint Cyr .

وفتح Donizetti باشا في 1831 معهد تعليم الموسيقى الغربية على الطراز الإيطالي ، لذا تأخر دخول الموسيقى الفرنسية والألمانية الأكثر جدّية إلى تركية ، وقد كانت الموسيقى الإيطالية هي المألوفة أساسًا في إستانبول منذ عصور بواسطة الأوبرا والمسارح الموجودة في بك أوغلو . على أن الموسيقى الغربية أصبحت فنًّا يتذوقه المثقفون . وحتى اليوم لم يهبط إلى المستوى الشعبي .

افتتح محمود الثاني «مكتب علوم أدبيّة » لتكون نواة لكلية الآداب .

اعترف في 1847 بشهادة الكلية الطبيّة العسكرية في كل الأقطار الأوروبية

كشهادة للعاملين في مهنة الطب ، وصودق على جدارتهم في العمل في مهنة الطب في أوروبا كذلك . وفي هذه الأثناء أسست الكلية الطبية ، ثانوية طبية مدتها 4 سنوات وأخذت طلابها من متخرجي هذه الثانوية . زيدت مدة الدراسة من 4 إلى 5 سنوات . دراسة الجراحين والصيادلة كانت 3 سنوات . فتحت خلال فترة متوسطة طبية ، إلاّ أنها أغلقت بعد ذلك ، وقبل الطلاب المتخرجون من المتوسطة في الثانوية الطبية . وأمر محمود الثاني فتح مدرسة للبيطرة العسكرية أيضًا .

إن الجملة الآتية مقتطفة من خطاب افتتاح محمود الثانى للكلية الطبية : « سوف تدرسون هنا فن الطب باللغة الفرنسية . إن قصدي من تدريس اللغة الفرنسية هو ليس تعليم اللغة بل تعلّمكم فن الطب ونقله بالتدريج إلى لغتنا . اجتهدوا في تحصيل علم الطب من أساتذتكم ، واسعوا بالتدريج إلى نقله إلى التركية ليكون متداولاً في لغتنا » .

تخرج معظم كبار رجال الدولة في عهد التنظيمات في غرفة الترجمة التي فتحت في الباب العالي في 23 / 4 / 1821 . أدخل رشيد باشا متخرجي هذه الغرفة في السلك الدبلوماسي وأسّس الدبلوماسية التركية الحديثة . أسست مدرسة اللغات بعد مدة . كان يدرس فيها اللغات الفرنسية ، الإنكليزية ، الألمانية ، الإيطالية ، اليونانية ، العربية ، الفارسية . كانت خاصة بالموظفين . يلتحق بها الموظف الراغب ، وفي حالة حصوله على شهادة في إحدى اللغات يرتقي بسرعة . هناك رجال دولة قديرون من بين متخرجي هذه المدرسة . لكن كلهم تقريبًا تعلموا الفرنسية . والراغبون في تعلم اللغة العربية ، فضلوا دروس المدرسة والجامع ، والذين رغبوا في تعلم الفارسية ذهبوا إلى التكايا المولوية .

ومن المرحلة التى تركها محمود الثاني في 1839 ، واصل ابنه السلطان مجيد ورشيد باشا ، ثم أعقبه عالي باشا والسلطان عزيز ، ثم أعقبهم عبد الحميد الثاني .

سار عبد الحميد الثاني في نظام التعليم والمعارف على مسار خط التنظيمات تمامًا . وفّق أكثر من غيره في تطوير ونشر معارف التنظيمات حتى في الأماكن النائية . هو الذى خرق احتكار إستانبول . وساعده فى هذا الشأن نخبة راقية من نظّار المعارف

مثل كمال باشا ، منيف باشا ، جودت باشا .

أسس السلطان حميد نظامًا تعليميًا شاملاً وربّى جيلاً مجهّزًا بالثقافتين الغربية والشرقية ، ولقّن فكرة الوحدة العثمانية و لم يفرّق بين القوميات التي يحكمها . إن الاهتمام بالأتراك والعرب أكثر من غيرهم طبيعي ؛ إذ إن هذين الشعبين كانا يشكلان أكثرية نفوس الإمبراطورية ، لكنه مع ذلك اهتم بتعليم كل شعب بنسبة عدد نفوسهم وأضاف إلى هؤلاء غير المسلمين كذلك . وبالنسبة له فقد كان السلطان حميد يرى أن كل غير مسلم تعلّم في المدارس العثمانية ، فإن ذلك يعني أن الأتراك قد كسبوه مقدمًا بمقدار النصف .

وبقدر اتّساع انتشار التعليم ، اكتسب محتواه جودة وقوة . وتخرج أساتذة قديرون ذوو معلومات عالية . يذكر أبو الضياء توفيق بك ، أن عدد متعلمي القراءة والكتابة قد زاد بين الأتراك في الإمبراطورية خلال السنين 1868 إلى 1909 بمقدار 10 أضعاف (**Yeni Osmanlilar** نشريات زياد أبو الضياء ، 1 ,193) .

تطوّرت صناعة الطباعة بشكل كبير . فتحت المتاحف ونظمت المكتبات .

كانت المدرسة الابتدائية التي تدرس التعليم المتوسط للبنات بصورة رسمية هي رشديّة الإناث التي فتحت عام 1858 . كان يطلق على المدرسة الابتدائية « مكتب ابتدائي » وعلى المتوسطة « رشديّة » ، وعلى الثانوية « إعدادي » ، وعلى الكليّة « سلطاني » .

وفي 1847 ، فتحت مدرسة دار المعلمين (لتخريج معلمين ذكور) ثم مدرسة دار المعلمات التي تقدم الدراسة الابتدائية بدرجة ثانوية ، ثم فتحت الأقسام العالية لهاتين المدرستين .

شكّلت كل هذه المدارس العمود الفقري لنظام المعارف التركي وفتحت كل المدارس الجديدة على غرارها . بدأت المدارس الابتدائية التابعة للمعارف ، عدا مدارس المحِلات ، تفتح في 1872 . والمدرسة التي لفتت النظر كثيرًا هي المدرسة الثانوية التركية التي فتحها محمود الثاني في باريس عام 1834 .

افتتحت المدارسُ الأجنبية كذلك . الكليات الفرنسية ، الإنكليزية ، الأمريكية ... إلخ فتحت هذه في مدن عديدة مثل إستانبول ، بيروت ، سلانيك ، أزمير ، طرابزون ، هاربوت . التحق المسلمون بهذه المدارس كما التحق غير المسلمين .

طوّرت المدرسة التي فتحها السلطان محمود لتعليم وتدريب الموظفين ، باسم مكتب فنون ملكية وقدّم أول فوج من متخرجيه في 1860 . أمر عبد الحميد الثاني بعد ذلك بتنظيمه وجعله بمستوى Sciences Politiques في باريس . قدّمت هذه المدرسة الجديدة « مكتب ملكية شاهانة » أول دفعة من متخرجيها عام 1879 . كان فيها قسم ثانوي لمدة 3 سنوات . كانت تقبل التلاميذ بالامتحان من هذه الثانوية ومن كلية غلطة سراي ومن متخرجي الثانويات الأخرى . كانت 3 سنوات ثم أصبحت 4 . ورغم أن المدارس العسكرية العالية كانت محظورة بالنسبة للمسيحيين ، لكن المدارس الملكية ، أو المدارس المدنية في جميع مراحلها ، كانت مفتوحة للمسيحيين كذلك .

وفتح السلطان حميد كلية الطب المدني أيضًا . فتحت كليات الحقوق وكلّيات أخرى ، وهذه الكليات فتحت في مدن كثيرة كبغداد وسلانيك . فتحت مدرسة حربية أخرى في أدرنة . كان متخرجو مدرسة الأركان الحربية ، المدرسة الحربية ، كلا من الطبيتين ، غلطة سراي ملكية وكلية الحقوق يشكلون الزمرة الممتازة . تسلم خريجو هذه المدارس إدارة الدولة بالتدريج . أدركوا عدم كفاية نظام السلطان حميد ، وتأخر الإمبراطورية . ارتقى 7 من متخرجي مكتب الملكيّة إلى مرتبة وزير ، وارتقى واحد منهم إلى مرتبة صدر أعظم .

هاشم أتاسي بك الذي أصبح ر[illegible]ا [illegible]لجمهورية في سوريا من خريجي الملكية لعام 1893 ، كان متصرفًا لبوردور عام 18[illegible] . [illegible]ي فراشيري الذي أصبح رئيسًا للوزارة في ألبانيا من خريجي عام 1897 ، كان متصرفًا لمدس عام 1913 ، وهو مؤلف كتاب حقوق باللغة التركية ، وعطاء الله أيوبي بك الذي أصبح رئيسًا للجمهورية في سوريا من خريجي 1897 ، كان متصرفًا لـ Icel عام 1918 ، وسليمان فهمي بك الذي صار رئيسًا للوزارة في ألبانيا من خريجي عام 1899 ، قام بتدريس الأدب التركي في غلطة سراي من 1905 إلى 1919 ، ورشيد تالي بك الذي صار رئيسًا للوزارة في

لبنان من خريجي عام 1900 ، وكان متصرفًا للاذقية عام 1918 ، وإلياس فيرون بك بن محمد علي باشا ، متخرج عام 1905 ، وهو كذلك أصبح رئيسًا للوزارة في ألبانيا ، سعد الله جابري بك من خريجي 1913 ، صار رئيسًا للوزارة في سوريا ، ورئيس جمهورية سوريا شكري القوتلي بك متخرج عام 1913 ، ومظهر أرسلان بك (باشا) الذي صار رئيسًا للوزارة في الأردن ، كان قائمقام لزاخو عام 1918 ، متخرج عام 1909 ، صار رئيسًا للوزارة في العراق ، مصطفى عاصم كوروبا ، متخرج عام 1910 ، صار رئيسًا للوزارة في ألبانيا ، عارف حكمت سليمان بك من خريجي عام 1910 ، هو أخو الصدر الأعظم محمود شوكت باشا ، صار رئيسًا للوزارة في العراق ، باجه جي – زاده أحمد حمدي بك ، ابن عبد الوهاب رشدي باشا من خريجي عام 1908 ، صار رئيسًا للوزارة في العراق ، زكي خطيب بك من خريجي عام 1907 ، كان قائمقام لفيرانشهر (أورفة) عام 1918 ، صار رئيسًا للوزارة في سوريا ، سعد الله قول أوغلو ، متخرج عام 1901 ، كان واليًا على بينكول ، صار رئيسًا للوزارة في ليبيا ، ولا داعي لسرد أمثلة عن الذين شغلوا مناصب عالية عدا رئاسة الدولة والحكومة في الأقطار الإسلامية التي انفصلت عن الإمبراطورية العثمانية ، إذ لا تكفي صحائفنا لتقديم أمثلة عن متخرجي المدارس العثمانية العالية الأخرى .

هناك رجال دولة من البلقان ، بين متخرجي مكتب غلطة سراي السلطاني (Collège Imperial) الذي أسسه فؤاد باشا والذي يدرّس باللغة الفرنسية ، والذي به مكتبة تشتمل على 40 000 كتاب وله مكانة مدرسة عالية . وهناك أسماء شهيرة جدًا بين أعضاء كل من الناديين الرياضيين غلطة سراي الذي تأسس في 1905 ونادي فنربقجة الذي تأسس في تلك الفترة كذلك .



البحث الخامس عشر

العلم والفن تاريخ الثقافة



1 ـ المدخل إلى الثقافة العثمانية :

الأتراك ، قوم من أقوام شمال آسيا . ظهروا في غرب آسيا الشمالية ، أسّسوا إمبراطورية في شرقها وشمال شرقها الأقصى ، ثم نقلوا مركزهم منها في 840 م إلى الجنوب ـ الأوسط ، إلى تركستان الشرقية ، ثم لجئوا إلى الشرق الأوسط عن طريق تركستان الغربية وخراسان ، وأسسوا الدولة التركية عام 1074 . وبذلك فإنهم بينما كانوا مجاورين للمحيط الهادي ، هبطوا إلى المحيط الهندي ، وانتقلوا إلى البحار التابعة للمحيط الأطلسي ، إلى البحر الأسود والبحر الأبيض ، كالعرب الذين كانوا في المحيط الهندي وذهبوا إلى المحيط الأطلسي وأسسوا دولة في أسبانيا وفاس . الأتراك والعرب الذين حقّقوا ذلك كانوا في الأصل قوما رحلا . وبالطبع ، كانت لهم مدن لكن الكتلة الأساسية كانت رحّالة .

كان الأتراك طورانيين والعرب ساميين ، ولذلك فقد كان فرق الثقافة بينهم عميقًا ، وأساسًا كان الأتراك من سكان الأقاليم الباردة ، والعرب من سكان الأقاليم الحارّة . عدم تشابه العامل الجغرافي يكون عاملًا له أهميته .

تتكون الثقافة من مئات العناصر . والثقافات التي تقل النقاط المشتركة في عناصرها ، تنفصل عن بعضها ، والثقافة تظهر سجية تلك الأمة .

إن محاولة إيضاح الثقافة التركية القديمة وبوجه خاص العرق التركي ، بعامل أو عاملين ، من الطبيعي ألا تكون عملية مكتملة الصحة ، إلا أنه من الممكن أن يقدم ذلك فكرة عنها . وهذا ما سأحاوله .

إن الأتراك في أصلهم ، قوم مقاتلون رحّل . ارتقوا مسرح التاريخ لمعرفتهم الجيّدة بكيفية استخدام الحصان في الأزمنة المبكرة ، ولصناعتهم أسلحة متفوقة من معادن جبال التاي . هم خيّالة ، والمشاة في جيشهم لا يكاد يكون لهم وجود . كل من يستطيع حمل السلاح ، فهو جندي . للمرأة مكانة اجتماعية رفيعة . لا مانع من ظهور النساء بين

الرجال ، لكن شرف المرأة وحشمتها وعفة وبكارة البنت ، مبادىء لا يمكن التخلّي عنها . لا يأكلون لحم الخنزير ويقومون بتربيته . يأكلون لحم الغنم والحصان ، وعند الحاجة الماعز ، الجمل ، البقر . اللحم ، غذاؤهم الرئيسي . يؤمنون **بالإله الواحد** . إن تأثير الشامانية المغولية سطحي . إن إله الأتراك القدامى تنكري Tengri ، في الحقيقة إله واحد ولكن ، إله الأتراك فقط ، وليس « رب العالمين » كالله . لا يوجد تقريبًا ، لدينهم معبد ولا راهب وليس لديهم كتاب مقدس ونبي بصورة مؤكدة ؛ لذا يمكن أن يصيروا بوذيين ، مانويّين ، مسيحيين ، نسطوريين . كان الإسلام هو الدرع المانع لهم من الانتقال إلى دين آخر . التركي الذي أسلم لا يترك دينه إلى دين آخر حتى ولو كان الثمن حياته .

الأتراك قوم يعيش في **السهول** ، لا يروقهم البحر . يقفون عندما يصلون إلى البحر أو إلى الجبال الشامخة . ولأن المنطقة التي تنحصر بين بحر اليابان وأوروبا الوسطى أكبر سهل في العالم ، والذي يبلغ عشرات الملايين من الكيلو مترات ، فإنهم يتنقلون فيه كأنه أراضي آبائهم ، وإن حدث وقابلهم أقوام تعوق تجوالهم في هذه الأراضي ، يقاتلونهم ، ويجعلونهم تحت سيطرتهم . توصلوا بصورة تامة إلى فكرة وشعار وفلسفة **الانتشار والفتوحات** في سنة 200 ق . م . وحتى قبل عام 700 ق . م . وحتى تكون الفتوحات ممكنة ، فقد اكتسبوا مهارة وتجربة **تعبئة الوحدات** في أزمنة مبكرة . يسرعون في تعبئة الوحدات في الأقطار والأقوام الأجنبية ويأخذونهم تحت إدارتهم . ولا يتدخلون أبدًا في معتقدات وثقافة ذلك القوم . ليست لديهم سياسة دينية وثقافية . إلا أن تلك الشعوب عليها ألّا تصطدم بالدولة التركية . يعتنقون مبدأ **كل شيء لأجل الدولة** ، ليس فقط تجاه الأقوام الأخرى ، بل تجاه أنفسهم كذلك . يطيعون الكبير . من خصالهم الاستماع إلى الأمر ، وإصدار الأمر . شعب اجتماعي . الشخص الذي يأمرهم لكي يطاع بشكل مطلق ، يجب أن يكون قد انحدر من نسل متة خان Mete Han الذي يبجلونه بعنوان « أوغوز خان » ، ويحمل دمه ، والذي مات في 174 ق . م . والحقيقة أن أكثرية السلالات الخاقانية (السلطانية) ، هي من سلالة متة . وينحدرّ بنو عثمان من كونخان كبير أولاد متة الـ 6 ، وقايي خان كبير أولاد كونخان .

يؤمنون بالأصالة . كل الأتراك أحرار . لا يمكن للتركي أن يكون عبدًا أو أن تكون التركية جارية ولكن ، توجد طبقات اجتماعية . والواجبات العسكرية خاصة ، مسئولية الأشراف ، بل ومسئولية أعضاء السلالة بالذات . يتزوجون على أساس هذا المفهوم . هدم الإسلام هذا التقليد ، وأزاله العثمانيون تمامًا . لا يوجد في المجتمع العثماني صنف يمتاز بالأصالة ، صنف اجتماعي وشخص ذو امتياز . بنو عثمان ، هم العائلة الوحيدة في الإمبراطورية التي تعتبر ذات امتياز بالولادة .

الأتراك ؛ من الأعراق الإمبراطورية النادرة في التاريخ (بالفرنسية : race Impèriale) . لا تروقهم الدولة الصغيرة . وإن أدركوا أنهم صغروا بالنسبة لقطعة جغرافية ، ينتقلون إلى إقليم مختلف تمامًا ويؤسسون فيه إمبراطورية جديدة . قبائل تركية لا تحصى انصهرت مع الصينيين والأقوام الأخرى . ولكنها لم تُمْحَ . عدم وجود سياسة ثقافية لهم ، ومعاملتهم الأقوام الأخرى بالحرية والسماحة ، سبّبت لهم كوارث كثيرة في التاريخ . كذلك لا يمكن الادعاء بأن انتشارهم الجغرافي على مساحات واسعة لا يتصورها العقل كان عاملاً في صالحهم . لا شك أن قرّائي المحترمين أدركوا في الحال نقائص وعيوب الأتراك القدامى – كإدراكهم لمزاياهم – من خلال الأسطر التي قدّمت فيها الخطوط الرئيسية لمزاياهم . عيب آخر في الأتراك القدامى ، هو عدم رغبتهم في الزراعة ، وحبهم الرعي . وحاولوا أن يعوّضوا عن نقصهم هذا بتحكّمهم في المعادن . تمكنوا في 1500 ق . م . من فصل الحديد عن المعادن الأخرى واستعماله ، هذا قبل مصر بـ 300 سنة وقبل أوروبا بـ 700 سنة . تمكنوا من تشكيل جميع المعادن وإنتاج آثار فنية رائعة . اهتم جدًا René Grousset من الأكاديمية الفرنسية ، بصورة خاصة بموضوع تفوق الأتراك في صناعة المعادن .

العنان ، السرج ، الركاب ، أصول الركوب على الحصان ، بنطلون وسروال ملائم للفروسية ، سترة ، ثوب ، منديل ، حزام ، سيف طويل ، جزمة تركية ، صناعة دباغة الجلود ، تكتيك الحرب الميدانية ، كل هذه عناصر علمها الأتراك للصينيين أولاً ، ثم لليونانيين ، ثم انتقلت إلى الرومانيين وإلى أوروبا . ورغم أنه بالإمكان القول بأن هذه اكتشافات عسكرية ، لكنه يجب ألا تغرب عن بالنا جوانبها الفنيّة أيضًا .

Influences, Darko; Touranicnnes sur l'Evolutien de l'Art Milibaire des Grecs, des Romains et des Byzantins, Byzantion, XII, 1937, 119 - 47; Von Le Cog, **Bilderatles,** g; Eberhard, **Cin in Simal Komsulari**, 67, 91; Moravcisk, Byzantinoturcica, I, 239 - 40, 250 - 3;

كتب المؤرخين الأتراك محمد كويمر ، فاروق سومر ، عثمان طوران ، إبراهيم قفس أوغلو ، بهاء الدين أوكل .

إن عرقًا هذه سجاياه ، عندما اعتنق الإسلام في 924 ، صار وجهًا لوجه أمام حضارة وثقافة جديدة . كانت ثقافة إسلامية ، ثقافة عربية وتحمل عناصر غنيّة من الثقافة الفارسية . بالطبع لقد تقبل الأتراك الإسلام مع كامل إيجابياته . التركي الموجود في كاشغر ، يؤمن ولا يؤمن بنفس المعتقدات تمامًا التي يؤمن بها المسلم الموجود في قرطبة . لكن الثقافة والفن شيء آخر . وبطبيعة الحال ترك الأتراك عند انتقالهم إلى الإسلام ، قسمًا من ثقافتهم ومعتقداتهم ، إذ إن قسمًا منها لم يكن ملائمًا لدينهم الجديد . ولكنهم حافظوا على معظم عناصر ثقافتهم . اقتبسوا عناصر جديدة وكثيرة جدًا من العرب والفرس وبالأصح من الثقافة والحضارة الإسلامية ، قد يكون ذلك تعويضًا لملء فراغ ما تركوه . بعبارة أخرى ، لقد خرجوا من محيط الحضارة التركية القديمة ودخلوا إلى محيط الحضارة الإسلامية . أصبحوا قطعة فعّالة في تلك الحضارة . لكن الثقافة لا تعني الحضارة كذلك . تكونت بالتدريج ثقافة تركية إسلامية ، وصلت في العهد العثماني إلى مرحلة كاملة . نشرت العثمانية هذه الثقافة في جميع أرجاء الإمبراطورية ، بل إن تأثيرها الثقافي كان له وقع مهم خارج الإمبراطورية كذلك . استمرت الثقافة التركية خارج العثمانية في إيران ، تركستان والهند كقطعة من المدنية الإسلامية وهذا لا يدخل ضمن موضوعنا . يمكن في بحثنا هذا تقديم نماذج محدودة فقط عن ماهية الثقافة العثمانية . إذ إن الموضوع واسع جدًا ، ويحتوي على فروع عديدة من التاريخ ، ويمتد من تاريخ الموسيقى إلى تاريخ الإعمار ، ومن تاريخ العلم إلى تاريخ الحقوق .

2 ـ انتشار الثقافة والفن العثماني :

إن فعاليات العماريين العثمانيّين في الهند لا تنكر . استخدم بابور ، أكبر شاه جهان .

المعماريين والخطّاطين العثمانيين Rose, 5 , A.H. 505 ; Tchagotai 11 . **(Le Tadj Mahal**, A . إن قسمًا من الآثار العمرانية العملاقة الكائنة في دلهي ، آكرا وجوارها وتاج **IA**) محل الشهير ، شيدها العماريون العثمانيون . إن أكبر قبة في العالم ، كل كونبت (1656) هي على الطراز العثماني بشكل بارز ، وإضافة إلى ذلك فإن العلم الذي هو على شكل الهلال ، الموضوع على القبّة ، خاص بالعثمانيين فقط . وبالذات فإن سلالة عادل شاه التي أمرت بصنع القبر ادعت أنها تنحدر من السلالة العثمانية .

تبدأ الآثار العمرانية بالظهور في الجزائر عام 1518 ، في القاهرة 1528 ، في تونس 1534 (**IA , Diez** ، رقم 80 ، ص 69 ، 97 ب) . شيد المعمار سنان جامعًا في قرم (جامع كوزلوه خان ، 1552) . تُشاهد آثار عمرانية في أماكن غير متوقعة أبدًا ، كما هو الحال في مصوّع في أريتره ، في سواكن في السودان (السوداني أحمد صلاح نجّاري ، **Milletlerarasi I, Turk Sanatlari** ,93) الآثار العمرانية التركية ، اللباس التركي ، الأطعمة ، « القهوة التركية » في الجزائر ، القائمة التي نشرها سي محمد بن شنب الحاوية على 634 كلمة تركية متداولة في العربية التى تتكلم في الجزائر ، لا زالت مستمرة حتى اليوم (**Milletlerarasi** , Georges Marcais 5 - 283 , **I . Turk Sanatlari**) . هذه التأثيرات في تونس ، أكثر . وللاطلاع على التأثيرات في فاس انظر **O. B. Riottot** ، **الكتاب نفسه** ، 335 .

وللاطلاع على معلومات عن التأثيرات الفنيّة العثمانية في روسيا ، انظر **الكتاب نفسه** ، **370 - 1 ,377 - 8** . ولأجل الاطلاع على معلومات عن التأثيرات العثمانية على العمران ، المطبخ ، الموسيقى ، الطراز النسائي ، في تونس ، عربية تونس ، الصناعات الخفيفة ، انظر سليمان مصطفى **Zbiss** (مدير المتحف الوطني الأركيولوجي في تونس) **الكتاب نفسه** ، **417** . وللاطلاع على تأثيرات العثمانية في تشيكوسلوفاكيا ، انظر **Josef Blqskovics 294 , VI . TUrk Tarih Kongresi** .

قدّمت أمثلة من عدة أقطار لا تتشابه بعضها مع بعض أبدًا . كان انتشار الفن والثقافة العثمانية يحظى بحماية الدولة ، ورجال الدولة ، وعلى رأسهم البادشاه . حريّة التفكير ، كانت متوافرة كذلك . تمكن « باقي » من أكبر شعراء العثمانية ، الذي كان قضعسكر في روملي ، من قدح البادشاه محمد الثالث بهذا الصراع **Memleketde Fitne peyda oldu**

Sultan bi - Haber ومعناه (عمّت الفتنة في البلاد والسلطان لا يدري) . وأشعار نديم التي تعرض بمحمد الثالث مشهورة . تمكن الشاعر الكبير فهيم في عنفوان شبابه من نظم أبيات فيها عدم مبالاة بسلطان مهيب كمراد الرابع (**ديوان فهيم** ، 15) . إن الأقوال التي تلفظها الشاعر نفعي في **سهام قضاء** حول صدور عظام العصر ، من الصعب أن يتفوه بها أحد تجاه رئيس وزارة ، حتى في الأقطار الديمقراطية اليوم . فقد حياته في النهاية ، لكنه كتب وقال ما أراده لسنوات طويلة إلى أن حل موعد عدا . نكتفي بهذا القدر من الأمثلة . صرّح القانوني قبل انتهاء سلطنته بأنه قد وفّق في عدة أمور خلال سلطنته ، أحد هذه الأمور هو اكتشافه شخصية شاعرة مثل باقي وتمكنه من حمايته .

إن الثقافة العثمانية في بعض المجالات أضحت عنصرا أساسيا لا يستغنى عنه في ثقافات أقوام عديدة ، ومن أمثلة ذلك سيطرة الموسيقى والمطبخ العثماني على أذواق كل الأقوام البلقانية . وللتعرف على عمق تأثيرات العثمانية في كل المجالات الثقافية والفنية في المجر انظر :

Gerfrucd palotay , les influences turcues dans la Broderie Hongroise , La Nouvelle Revoe Hongroise , 1937 ; Géza Fhér وكذلك **Nandor Paradi , Macariston daki Turk Zanaati ,** ترجمة تركية **Belleten , XXIV , 548 , 557 .**

وتشاهد نفس التأثيرات العميقة في بولونيا كذلك البندقية **1963** .

(Jan Reychman , Influenees turques dans Art sPolonais , IIe congrés International d'art ture Iehistan Uygarliginda Turk Etkileri . Belleten , XXVIII , 758 - 67 : نفس الكاتب ، **Wendt , Schlesien und der Orient , Breslau 1916 ; Van'lutter - welt , De Turske Schiklerijen , 1958 , Reychman , Orient w .'Kulturze polskiego , Breslau 1964 .**

ككثيرين بحثوا عن التأثيرات الكبيرة التي تركها الإعمار وصناعة الأقمشة العثمانية في بولونيا . وهناك كثير من الأشراف البولونيين الذين تعلموا التركية ونطقوا بها .

اقتبست الشعوب الأوروبية موسيقى الجيش التركي وأسست موسيقاها العسكرية الحالية (هامّر ، 17 ، ص **42**) . إن كمال الفن المعماري العثماني يدهش المرء ويمتد أثره

إلى الهند » (هامّر ، 17 ، ص 42) . « إن شعراء العثمانية العظام هم بمستوى شوقي والمتنبي » (هامّر ، 17 ، ص 42) . والمعروف أن هامّر ؛ ترجم دواوين الشعراء العرب والفرس والأتراك ، وله مؤلفات قيّمة في تاريخ الشعر في كل من هذه اللغات الثلاث ، وقد يكون أكبر مستشرق .

« إن تأثير العثمانية في اليونان من القوة بحيث يمكن قياسه بتأثير العرب في أسبانيا » (من الأكاديميّة الفرنسية Siegfield ,Milletlerin 31 Andren Karaklerleri) . ويشاهد التأثير العثماني حتى في هندسة الحدائق الفرنسية , 7, 779 Lavisse - Rambaud) . عندما احتل الفرنسيون الجزائر لم يروا بدًا من الاستمرار على تشكيلات ونظام العثمانية (Lavisse - Rambaud 896 , 882 , 10) . نظّم الأمير عبد القادر مجاهديه على الطراز العسكري العثماني أيضًا واستعمل المصطلحات العسكرية التركية . ما زالت المصطلحات العسكرية العثمانية تعيش في الأقطار العربية الأسيوية والأفريقية حتى الآن .

إن ما تركه اللباس ، الصّور المصغرة (المنياتور) ، والألوان التركية من تأثير في إيطاليا في عصر النهضة العلمية Renaissance معلوم (,Dèbuts de L'Age Moderne Renaudet, Hauser ، باريس 1929 ، ص 455, 442, 118) . وللاطلاع على مبلغ ما تركته صناعة المنسوجات العثمانية من أثر والذي امتد إلى سكاندينافيه ، والأقمشة العثمانية المصدرة إلى كل الأقطار الأوروبية ، انظر A. J. B. Wake Turk Kumasve Kaditekeri ، TM, 4, 3 . وللاطلاع على ما تركته الفنون العثمانية من أثر في رومانيا ، انظر Popescu Judet 16 ,117 - 8 ,126 . إن الفولكلور الجيكي كذلك حافل بأثر الثقافة العثمانية (.XI Josef Blaskovic, Cek Folklorunda Turkler. Turk Dil Kurultayi ، 1968 ، ص 189 - 207) ثم تدقيق أثر العثمانية في المسرح البولوني (Jean Reyehman Polonye Tiyatrosunda Turk Tesirleri ، رقم 71 ، ص 33 - 6) . وللاطلاع على تأثيرات أزهار . علم الأزهار ، الصناعات التزيينيّة العثمانية العميقة في العصر 16 عصر النهضة العصرية Renaissans في إيطاليا ، النمسا ، ألمانيا ، هولندا ، انظر ,Historische Blaetter Heinrich Gluck ، 2 / 1 ، فيينا 1921 ,303 - 25 .

أدخل البارون Von Busbecq سفير ألمانيا لدى القانوني ، بذور أزهار السنبل (بالتركية : لا له ، بالإنكليزية : Tulip) ، الزنبق ، السوسن وطوغ شاهي لأول مرة إلى أوروبا (إلى هولندا ومنها إلى الأقطار الأخرى) في أواسط العصر 16 . يحتفل في هولندا حاليًا بذكرى جلب بذور السنبل من تركيا إلى هولندا كعيد وطني . وسفير آخر Ulrich Von Konigsberg جلب من تركيا إلى أوروبا في 1579 بذور أشجار الصفران ، كسنتة الحصان (قسطلة الحصان) ، الفندق (TAD, Karl Teply ، 7 , 262,) .

ويجب ألّا نتجاوز البحث دون أن نذكر تأثير العثمانية في بناء المدن .

طوّر العثمانيون الكثير من المحلات المتواضعة إلى مدن كبيرة ، مليئة بالحركة ، غنية . وعلى سبيل المثال ، كانت الجزائر قبل مجيء العثمانية قصبة بربرية بسيطة وبعيدة عن كونها أكبر مدينة للقطر ؛ جعلها العثمانيون طوال 300 عام إحدى المدن الأكثر فعالية في البحر الأبيض . والذي حوّل بوسنة سراي (Sarajevo) من قرية إلى مركز ثقافي كبير ، هم العثمانيون . بالإمكان تقديم آلاف الأمثلة .

والحركة الحقيقية لبناء المدن في البلقان تبدأ مع العثمانية . كان في البلقان مدن قليلة جدًا قبل دخول العثمانيين إليها . فمثلاً ، لم يكن أبدًا في صربيا محل آهل يمكن أن يقال عنه إنه مدينة . أسس العثمانيون مدنًا عظيمة وقل عدد نفوس هذه المدن بعد 1683

Restes, P . Skok **de la longue Turque dans les Balkans, Etudes Balkaniques,II,**)
585 - 98; Karel Kadlec, **L'Histoire du Droit Public des Peuples Slaves,** Paris 1933,
P. 103; Rosfovtzeff, **La Vie Economiques des Balkans dans l'Antiquitè, Revue Internationale des Efudes Balkaniques,** II, 396

أثر العثمانيون في الأقوام الصغيرة من غير المسلمين تأثيرات إيجابية جدًا طورت ثقافاتهم ، مستندين على أقدر عنصرين ثقافيين كالدين الإسلامي واللغة التركية . وعلى سبيل المثال ، فإن للشعر الشعبي التركي تأثيرا عميقا في المجريين ، الأوكرانيين ، البلغاريين ، الصربيين ، الرومانيين ، الألبانيين . لا توجد موسيقى وشعر أرمني ، كلاهما اقتبس من العثمانية . كانت العبادة في الكنائس الرومية والأرمنية ، تجري

بالموسيقى التركية تمامًا ، واليوم هي كذلك . لدينا معرفة بكثير من الأرمن والروم الذين انتسبوا – مع الاحتفاظ بدياناتهم المسيحية – إلى الطرائق البكتاشية والمولوية .

3 – اللغة التركيـة :

إن موضوعنا هنا هو اللهجة العثمانية ، وليس اللهجة الأناضولية والتركية ، وهي إحدى لهجات أوغوز أو اللهجة الغربية للغة التركية . هي أهم لهجة بين اللهجات التركية بشكل لا يقبل القياس ، وإحدى اللغات الأدبية الكبرى في العالم . أسلوبها المثالي في الكلام هو أسلوب استانبول ، وطريقة نطق الباب العالي القديمة من أسلوب استانبول .

من الطبيعي أن تؤثر اللغة التركية من حيث كونها لغة الإمبراطورية العثمانية الرسمية على لغات الأقوام الكبيرة والصغيرة التي تشكلها الإمبراطورية العثمانية . إذ هناك من بين هذه الأقوام من عاش تحت إدارتها 600 سنة . ومن الطبيعي أن تكون اللغة التركية كذلك قد اقتبست من هذه الأقوام بعض الشيء . إن لغات الأقوام التي تشكل الإمبراطورية هي لغات تقتبس كلمات كثيرة من اللغات الأجنبية وتعطي كلمات كثيرة إلى لغات عديدة . إن اللغة التي لا تقتبس كلمات أجنبية لغة بدائية جدًا . وأساسًا لا توجد لغة كهذه حاليًا . وحتى اللغات الكلاسيكية الكبرى الثلاث في العالم ، العربية واليونانية واللاتينية اقتبست في كل عصر كلمات من لغات مختلفة . إن اللغة الكلاسيكية للعالم الإسلامي هى العربية . إن عدد الكلمات العربية الموجودة في اللغة التركية ، كما في الفارسية ، يتجاوز بكثير الـ 10 000 كلمة . وعدد الكلمات الفارسية في اللغة التركية يبلغ الآلاف أيضًا . دخلت إلى اللغة التركية خلال المائة والخمسين سنة الأخيرة عدة آلاف كلمة فرنسية . الاقتباسات من اللغات الأخرى لا تتجاوز الـ 1000 كلمة ، دخلت كما دخلت الكلمات اليونانية والإيطالية التي دخلت في العصور العثمانية القديمة . أما الكلمات الإنكليزية فقد دخلت إلى التركية في الـ 40 سنة الأخيرة .

توجد في اللغة التركية 900 كلمة يونانية الأصل . وتوجد اليوم في اللغة اليونانية

كلمات تركية الأصل (**Turkceden Geeme Yunanca Kelimeler Sozlugu, C.**
(Coukidis ، باليونانية أثينا 1960) وتوجد في اللغة الصربية 9000 كلمة تركية . A)
Skalgic , Trueizmi V Srpstohrvatskom Jeziku , Sarajevo 1966) . وعدد الكلمات
التركية في اللغة البلغارية 6778 كلمة . أدرج Skalyic (شكاليج) ، في قاموسه ذي
الـ 700 صحيفة ، 9 000 كلمة تركية موجودة في اللهجات الصربية ، الخرواتية ،
البوشناقية و 1 000 تعبير تركي . وبالنسبة للبلغارية : **Recnik na Blogarskiy Yazik,**
Najden Gerov ، فيليه ، 1895 - 1904 ، **Recnik na Licnite i Famiilni Imena u Blgarite**
Stefan Ilcev أكاديمية العلوم البلغارية ، صوفيا 1969 . وللاطلاع على الكلمات التركية
الموجودة في اللهجة المكدونية من اللغة البلغارية : Mile Korvezirovski وكوثر سيف
الله ، **Makedonsko - Turski Recnik** ، 700 صحيفة ، اسكب 1967 . إن اللغات
السلافية الشمالية كالجيكية ، السلوفاكية ، الأكرانية ، الروسية ، الروسية البيضاء ،
البولونية مليئة بآلاف الكلمات التركية (Miklosich **Die Turkischen Element in den,**
Sudost - Europacischen Sprachen ، مجلد 2 ، فيينا 1884) . أما في اللغة الألبانية فإن
كلمة واحدة من كل 3 كلمات مأخوذة عن التركية . وللاطلاع على الكلمات
التركية الموجودة في اللغة الروسية انظر : **Dimitriev, Turetskie Elementi V Russkikh**
، نفس الكاتب ، **Argo, Yaziki Elementi, Yazik i Literatura, 1931, VII, 157 - 79;**
O Tyurskikh Elemantakh Russkogo Slovarya, Leksikagroficeskiy Sbornik, III, 1958 -

ورغم نشر 1000 كلمة تركية انتقلت إلى اللغة الرومانية ، في بخارست على شكل قاموس ، لكنه كان عملاً ناقصًا . وتوجد كذلك آلاف الكلمات التركية في اللغة المجرية (**Turk Sanat Tarihi . Geza Féhr Arastirmalari 205 , 2**) . اللغة الأرمنية مليئة بالكلمات التركية بشكل كثيف ، وقد لا تقل عن 10 000 . وللاطلاع على الكلمات التركية في اللغة الفرنسية انظر **Dictionnaire Etymologique, L, M,** Devic des Francais d'Origine Orientale ، باريس 1876 . ولا ضرورة للبحث عن الكلمات الموجودة في اللغة الإيطالية وجميع اللغات الأوروبية .

كثير من اللهجات العربية مليئة بالكلمات التركية . لكن الكلمات ذات الأصل التركي في اللغة الفارسية أكثر (**G. Doerfer, Turkische Elemente im Neupersichen،** مجلد

2، ويسبادن، Edebiyat Fakultesi Turk dili ve Edebiyali Dergisi, 21, 57-127, 1963م65) . يوجد شعراء إنكليز ، فرنسيون ، إيطاليون ، رومانيون ، مجريون ، عرب ، فرس ، يونانيون ، أرمن ، صربيون - خرواتيون ومن الأقوام الأخرى ، نظموا أشعارهم باللغة التركية .

إن الكلمات التركية الموجودة في اللغة الصينية واللغات الهندية ، تخرج عن موضوعنا ، إذ إنها لم تؤخذ عن اللهجة العثمانية ، وإنما أخذت عن اللهجات التركية الأخرى . وأخيرًا ، يجب أن نذكر أن الكردية مليئة بالكلمات التركية ، وكذلك كل اللغات القفقاسية (الكرجيّة ، الشركسية ، الابهاضيّة ، الججنيّة) مليئة بالكلمات التركية .

تأثير اللغة التركية يشاهد على الأغلب في مجال الجغرافية . إن لغات الأقطار الآسيوية والأوروبية حافلة بالكلمات الجغرافية التركية (The New Caxton Eneyclopdia , 1969 ، أطلس ، فهرست) . وفي أفريقيا كذلك كثيرة . يستهل التونسي حاجي محمد ، كتابه الجغرافي الشهير الذي حرره في 1559 بهذه الجملة « كتبت هذا الكتاب باللغة التركية إذ إن هذه اللغة تحكم العالم اليوم » .

4 - الشعر العثماني :

الشعر العثماني من أغنى أشعار العالم . يستعمل العروض (العروض الإيراني) . الشكل مأخوذ عن الشعر العربي والفارسي ؛ عاشت « أشكال » الأشعار التركية القديمة على الأغلب في الشعر الشعبي أيضًا ، إلا أنه استعمل على الأكثر وزن **هجه** الذي هو وزن شعر تركي أقدم منه بكثير .

سنكتفي هنا بذكر أسماء النوابغ الحقيقيين من الشعراء العثمانيين . يونس (1240- 1320) أكبر شاعر في التصوف والأدب الشعبي التركي ، نشأ خلال تشكيل الدولة العثمانية على سواحل نهر سقاريا . نسيمي (وفاته 1405) ، شاعر كبير في التصوف الكلاسيكي . نشأ خارج المجال العثماني ، لكن تأثيره في الشعر العثماني ، كان كبيرًا . الشاه إسماعيل (1487 - 1524) نظم الشعر باللغة التركية بالخصائص نفسها بالاسم

المستعار « حياتي » ويمتاز بالصفات نفسها . لكن مؤسسي الشعر الكلاسيكي العثماني هم الشعراء العظام مثل أحمدي ، شيخي ، عطائي ، نجاتي وخاصة أحمد باشا (1420- 1797) . إن نوابغ الشعر العثماني الكلاسيكي ابتداء من أحمد باشا هم :

فضولي (1480 ?- 1556) وهو شيعي بغدادي ، دخل المجتمع العثماني بعد ذلك ، أعظم شاعر تركي ؛ أكثرية الذين اتبعوه ، استانبوليون ، كلهم نشأوا على الإطلاق في استانبول وعاشوا فيها ، باقي (1527 - 1600) ، نوعي (1533 - 1599) وهو قضعسكر مثله ، روحي بغدادي (وفاته 1605) ، شيخ الإسلام يحيى (1553 - 1644) ، شاعر القصيدة التركية الكبير ، من بني دولقادر نفعي (1572 - 1635) ، عطايي (1583- 1635) هو ابن نوعي ، شيخ نشاطي (1600 - 1674) ، نائلي (- 1610 1666) ، فهيم الذي توفي وسنه 21 عامًا (1627 - 1648) نابي أورفه لي - 1642 1712) ، نديم (1681 - 1730) ، الصدر الأعظم راغب باشا (1699 - 1763) ، شيخ غالب (1758 - 1799) ، كيجه جي زاده عزت ملاء (1785 - 1829) ، يني شهرلي عوني بك (1827 - 1884) ، لسكوفجه لي غالب بك (1829 - 1867) ، ضياء باشا (1829 - 1880) ، نامق كمال بك (1840 - 1888) ، عبد الحق حامد تارهان (1851- 1937) ، توفيق فكرت بك (1867 - 1915) ، جناب شهاب الدين بك (1870 - 1934) ، محمد عاكف أرصوي (1873 - 1936) ، أحمد هاشم بك (1884 - 1933) ، يحيى كمال بياتلي (1884 - 1958) .

5 ـ التاريخ والجغرافيا :

إن أدب التاريخ والجغرافية في العثمانية رفيع . فاق العثمانيون الأدب الإيراني في هذه المجالات . ورغم أنهم لم يتوصلوا في التاريخ إلى مستوى العرب ، لكنه من الممكن اعتبارهم في المجال الجغرافي على مستوى واحد مع العرب .

كانوا يعلمون بكروية الأرض . يذكر ركن الدين أحمد في كتابه **عجائب المخلوقات** ، إلى جلبي سلطان محمد (1413 - 1421) بأن الأرض كروية . وقد اكتسب هذا الأمر صفته القطعية في كتاب بيري رئيس بعد عصر واحد . إذ إن بيري رئيس عندما

كتب كتابه كان كوبر نيكوس قد نشر كتابه وكولومب قد أكمل رحلته لأمريكا وماجلان على وشك الإبحار للطواف حول العالم . اكتسبت كروية الأرض صفتها القطعية في الجغرافية العثمانية بعد بيري رئيس .

إن أكبر جغرافي وراسم للخرائط الجغرافية في العصر 16 على نطاق عالمي ، هو الأميرال المعروف محيي الدين بيري رئيس (1474؟ - 1554) ابن أخ قره مانلي كمال رئيس . وسيدي علي رئيس (1498؟ - 1563) ، أميرال جغرافي وعالم رياضي آخر اشتهر بمؤلفاته المهمة . أشهر الأسماء في المجال الجغرافي في العصر الذي يليه هم « كاتب جلبي » و « مصطفى أفندي » (1609 - 1657) المعروف في الغرب باسم « حاجي خليفة » و « أولياء جلبي » (1611 - 1684) .

إن قسم أمريكا - أوروبا من خارطة العالم الملوّنة التي رسمها بيري رئيس من أجل السلطان ياووز سليم عام 1513 والذي صرّح بكروية الأرض بصورة قطعية محفوظة حاليًا في سراي طوبقابو . « بصحّة تدهش العقل ، فوق مستوى عصره في علم الجغرافيا وتفوق بكثير مستوى علم الجغرافيا لدى الغربيين » (**Jane Laroche Connaissance des Arts** ، باريس 1963 ، ص 125آ) . كتاب بيري رئيس « **كتاب بحرية** » الذي يحتوي على مئات الخرائط والمخططات والذي يصوّر فيه البحر الأبيض بصخوره ، بخلجانه ، بتيارات مياهه ، كتاب عظيم أيضًا .

والصورة المصغّرة (Miniature) التي صنعت في العصر 16 ، على زمان مدير مرصد استانبول تقي الدين أفندي ، والتي يشاهد فيها قارات أفريقيا ، أوروبا ، أمريكا الجنوبية وقسم من آسيا من الكرة الأرضية ، توضّح اشتغالهم على الكرات كذلك ، وليس على الخرائط والأطلس فحسب (**Istanbul Rasadhanesi,** Suheyl Unver ، ص 16 ,43) .

إن كتاب **جهانّما** لكاتب جلبي كتاب عظيم في الجغرافية العالية ، ترجم إلى اللغات الأوروبية في حينه . استفاد كاتب جلبي من الكتب والأطالس الجغرافية الأوروبية كما استفاد أسلافه وأخلافه من الجغرافيين ، وقد ترجم أطلس **Atlas Mayer** من اللاتينية إلى التركية . وإن المرء ليدهش عندما يقرأ المقطع الذي يوضّح أخلاق وعادات اليابانيين في **جهانّما** . أما بالنسبة للأقطار العثمانية فإنه يقدم معلومات مهمة جدًا عنها .

تجوّل أولياء جلبي مدة 40 سنة في الأقطار العثمانية وفي قسم من الأقطار المجاورة ، بقي ما يقارب الـ 10 سنين في القاهرة وزار السودان والحبشة أيضًا . كتابه يتكون من 10 مجلدات ويحتوي على 10 000 صحيفة . وقد يكون أكبر محرر عثماني . ومما لا شك فيه أنه رحّالة كبير نشأ في الشرق بصورة أكيدة . كتب مؤلفه بأسلوب شيّق جدًا ، قريب إلى لغة الشعب وليس بأسلوب علمي مثل كاتب جلبي . ترجمت مقاطع عديدة من كتابه إلى جميع اللغات . إن المعلومات التي جمعها من شعب السودان المحلي الذين قابلهم ، عن النيل وبحيرة فيكتوريا (927, 10) لم يتمكن من جمعها الأوروبيون إلا في أواسط العصر 19 .

أعجب محمد الرابع جدا بأطلس **Atlas Major** ، الذي نشره **Jan Blear** في النمسا عام 1662 المكون من 11 مجلّدا ، ترجمه بأمره أبو بكر أفندي من اللاتينية بعد أن أجرى عليه تنقيحات مهمّة وإضافات في قسم الأقطار الشرقية . صرّح **Paul Kahle** « بأن أبا بكر أفندي ، جغرافي يفوق **Bleur** قدرة » (**Islam Tedkiykleri Enstitusu** ,2 ,89 **Dergisi**) . والجغرافية العالمية التي حررها التونسي حاجي محمد أفندي في **1560** ، كتاب مهم وقد نشر في أوروبا كأمثاله من كتب الجغرافيين العثمانيين .

واسم مهم جدًا آخر ، هو مطرقجي نصوح بك (**1480? - 1564**) . سنجق بك (عميد بحري) اشترك في كثير من حملات عهد القانوني ، وخلالها اشترك في حملة بربروس على فرنسا . عالم رياضيات ، متخصّص في الأسلحة ، مختص برسم الخرائط الجغرافية ، رسّام ، مؤرخ . زيّن مؤلفاته المهمة بالتصاوير المصغّرة التي رسمها شخصيًا .

« سجايا الأتراك تظهر بوضوح في مؤلفاتهم من الكتب التاريخية . المؤرخون العثمانيون الكلاسيكيون رجال قديرون وذوو معلومات متقدمة على عصرهم . إن مؤلفاتهم هي من أنجح المؤلفات الثقافية العثمانية في فروعها » (**Bernard Lewis** ، ص 329 - 30) . نحن نعلم أن كاتب جلبي قد حرّر كتابه بعد مطالعته **1 300** كتاب في مجال التاريخ فقط . أهم المؤرخين العثمانيين الذين قدّموا مؤلفات مهمة في مادة التاريخ هم :

قره مانلي محمد باشا (وفاته 1481) ، من سلالة مولانا ، آخر صدر أعظم لفاتح . أكبر حقوقي في عصره . حرّر التاريخ العثماني باللغة العربية . كمال باشا - زاده أحمد شمس الدين أفندي (1468 - 1534) ، شيخ إسلام شهير . أكبر حقوقي في عصره ، مؤلف كتاب عظيم وذو قيمة كبيرة جدًا باللغة التركية في التاريخ العثماني مكون من 10 مجلّدات . طاشكوبرولو - زاده أحمد عصام الدين أفندي (1495 - 1561) ، مؤلف الموسوعة المسماة **موضوعات العلوم** وكتاب سير كبير لعلماء ومشايخ العثمانية المسمى **الشقائق النعمانية** ، كلا المؤلفين باللغة العربية . جلال - زاده مصطفى جلبي (1495؟ - 1568) ، أشهر نيشانجي (رئيس مكاتبات الدولة الخارجية) للقانوني . أهم مؤلف له هو التاريخ العثماني المسمى **طبقات الممالك** (كل الكتب التي لا يذكر أنها عربية هي باللغة التركية) . خواجه سعد أفندي (1536 - 1599) ، شيخ إسلام وأستاذ سلطاني . مؤلف تاريخ عثماني مهم جدًا في مجلدين باسم **تاج التواريخ** . عالي (هو مصطفى عالي جلبي أو باشا من غاليبولي) (1541 - 1600) ، رجل مالية ، صار بكلر بك على الشام لفترة من الزمن ، له مؤلفات كثيرة جدًا ومهمة جدًا ، أكثرها تاريخية . اسم كتابه الكبير في التاريخ العالمي **كنه الأخبار** . مصطفى أفندي السلانيكي (1540؟ - 1600) ، مؤلف **تاريخ سلانيك** . عطايي (نوعي - زاده عطاء الله أفندي) (1583 - 1635) ، من أكبر الشعراء وصاحب الكتاب العظيم في السير المسمى **حدائق الحقائق في تكملة الشقائق** . بجوي إبراهيم أفندي (باشا) (1574 - 1649) ، ابن أخ الصدر الأعظم صوقوللو محمد باشا ، ضابط صاعقة . هو مؤلف التاريخ العثماني المسمى **تاريخ بجوى** الذي يصوّر فيه الحياة في حدود الإمبراطورية في رملي بصورة حيّة وحرّر بلغة تركية نقيّة جدًا . كاتب جلبي (1609 - 1657) مر بحثه أعلاه . هو أعظم عالم في العصر 17 . له **فذلكة** مجلدان في التاريخ العثماني ، **وتحفة الكبار في أسفار البحار** وهو تاريخ البحرية العثمانية ، أعظم مؤلف له ، موسوعته الكبرى في السير باسم **كشف الظنون** الذي كتبه باللغة العربية . **وميزان الحق** ، أهم كتاب فكري له . شيخ أحمد ده ده المسمى « منجمباشي » (1631 - 1702) هو مؤلف كتاب عظيم في تاريخ العالم 3 أجزاء باللغة العربية باسم **جامع الدول** . نعيما (مصطفى أفندي) (1655 - 1716) هو مؤلف الكتاب الشهير جدًا **تاريخ نعيما** في 6 مجلدات ويسرد فيه تاريخ الدولة

العثمانية في النصف الأول من العصر 17 بشكل حي جدًا . مستقيم - زاده سليمان سعد الدين أفندي (1719 - 1788) أكبر عالم في العصر 18 متخصص في الموسوعات ، له مؤلفات كثيرة في 3 لغات . وأحد مؤلفاته **تحفة الخطّاطين** وهي مذكراته عن أشهر الخطّاطين . مترجم عاصم أفندي (1756 - 1819) ، ومع أنه مؤلف كتاب **تاريخ عاصم** المكون من مجلدين ، فإن أهم مؤلفاته هي قاموسه باللغة الفارسية وخاصة باللغة العربية . اشتهر جدًا قاموسه الإنسكلوبيدي العربي - التركي . شاني - زاده عبد الله أفندي (1764 ؟ - 1826) ، ومع أنه مؤلف كتاب **تاريخ شاني - زاده** في 4 مجلدات ، فإنه اشتهر بالدرجة الأولى كعالم طب . أحمد جودت باشا (1823 - 1895) هو رجل الدولة الكبير في التنظيمات ، أكبر حقوقي ومؤرخ في العصر 19 . ويعتبر كتابه **تاريخ جودت** في 12 مجلدا (1774 - 1826) وكتابه **تذاكر ومعروضات** اللذين يعالج فيهما الفترة الأخيرة من التاريخ العثماني ؛ مصدرين مهمين . وحرر كتابه في التاريخ الإسلامي المسمى **قصص أنبياء** ، بعناية فائقة وبلغة تركية لطيفة جدًا . ابن الأمين محمود كمال إينال (1870 - 1957) ، أكبر كاتب سير (بيوغرافي) ، أكبر متخصص في الفترة الأخيرة من التاريخ العثماني الداخلي ، حرر معظم مؤلفاته في العهد الجمهوري . أهمها **Son Asir, Son Sadrazamlar Turk Sairleri** (كل منهما 12 مجلد(1890 - 1966) . محمد فؤاد كوبرولو ، مؤسّس علم التاريخ الحديث (**1918, Turk Edebiyalinda ILK Mutesavviflar** .

6 - الطب :

حاول العثمانيون إجراء إضافات على طب ابن سيناء . أخذ طب الغرب كذلك في الدخول اعتبارًا من العصر 17 . اهتموا خاصة بالطب العملي . صرفوا جهدًا في جعل المستشفيات بحالة جيدة . من الطبيعي أن تولي دولة تخوض الحرب مثلها الأهمية للطب العملي والجراحة . شرح الجراح آماسيالي صابونجي أوغلو شرف الدين ، في كتابه المسمى **جرّاحية ء إيلخانيّة** الذي أهداه إلى فاتح عام 1465 ، فنَّ الجراحة في عصره

بصورة ممتازة مع احتوائه على تصاوير ملوّنة . وسار أنطاليه لي داود في العصر الذي يليه ، على غراره . حرّر آخي جلبي في العصر 15 مؤلفه المهم في المسالك البولية . وفي بداية العصر 17 حرّر شيخ الحرمين شمس الدين أفندي كتابه المسمى **تشريح الأبدان** ويلاحظ فيه أنه استفاد من كتاب Vasabius المسمى **De Humani Carporis Fabrica** . يلاحظ أن قسمًا من كتب الطب العثمانية مصوّرة .

شرحت أعراض الأمراض السريرية وتشخيصها بصورة جيدة جدًا في كتاب **شفاء الأسقام** الذي حرّره حاجي باشا قبل فتح استانبول . وتشاهد في أواخر العصر 16 ، في **قاموس الحكمة والطب** ترجمة المصطلحات الطبيّة العربية إلى التركية . أحمد بن محمد ، درس الطب في استانبول ، ذهب إلى الهند وصار طبيبًا خاصًا لشاه جهان عاد إلى استانبول وألّف كتابه **قاموس الأطبّاء** . تشاهد أول بوادر نقل الأعضاء . وفي 1624 ، يبحث أمير جلبي الطبيب الخاص لمراد الرابع في كتابه **أنموذج في الطب** بأنه قام بتشريح الجثث . وكتاب عياشلي شعبان **الشفاء في تدبير المولود** ، أحسن كتاب في عصره عن التوليد والأمراض النسائية . وفي العصر 18 ، شرع في ترجمة الكتب الطبية الأوروبية إلى اللغة التركية رأسًا .

انفصلت الأمراض العقلية والنفسية كفرع مستقل ، منذ مدة طويلة . وحتى قبل 1453 ، كان سينوبلي مؤمن جلبي قد دقّق الأمراض العقلية والنفسية ، العصبية وفصّلها على 25 بابًا في كتابه **ذخيرة المراديّة** الذي أهداه إلى مراد الثاني . ثم أخذت مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية العثمانية الشهيرة بالتطوّر واستخدامها كعيادات لاختصاص المدارس الطبيّة .

حافظ العثمانيون على أعلى المستويات العالمية في مداواة الأمراض العقلية والنفسية حتى العصر 19 . لم يعامل المرضى العقليون معاملة سيّئة بتاتًا . يبحث شعوري أفندي في كتابه **مرآة أمزجة** عن مداواة الأمراض النفسية بواسطة الموسيقى . تعلّمت أوروبا مداواة المرضى العقليين من الأتراك . أسّس الأتراك مستشفيات خاصة للأمراض العقليه قبلنا بمدة طويلة جدًا . وحتى في 1788 كتب الدكتور **John Howard** الإنكليزي ،

أن المستشفيات العقلية التركية في حالة انحطاط بالنسبة للسابق ، لكنها مع ذلك ما زالت أرقى من مثيلاتها في أوروبا » (Dr. Kraft Traitè Clinique de psychiatrie, Ebing ، باريس 1897 ، 53) . نقلت الأسطر آنفة الذكر عن كتاب لأكبر علماء الطب النفساني في العصر الأخير . « لا يعتبر المرضى العقليون في فرنسا عام 1818 ، مرضى ، ويعاملون معاملة أسوأ من الحيوانات والجناة ، أما [illegible] السالفة ، فكانوا يحرقون » (Rapport, Esquirol ، باريس 1874 ، 2 ؛ Les Malad[illegible] Jea[illegible] Vin chan ، باريس 1930 ، 24) . كذلك كان الروم الذين يعيشون في الدولة العثمانية ، يستهزئون بإدخال الأتراك المجانين في المستشفيات ، ويضربون المجانين من جماعتهم بقصد طرد الشيطان الذي دخل في أجسامهم ويتركونهم دون طعام وشراب (الصرّاف هوانيسيان ، نقل اينجيجيان ، 120) . لا يعدم القاتل إن ثبتت جنّته ، ويودع بالمستشفى (جودت ، 7 ,148) .

كان الأطباء العثمانيون يتمكنون من التفريق بين أمراض : الانفصام (الشيزوفرانيا) ، وداء السوداء (الماليخوليا) والهوس (الهستيريا) ويستخدمون أسلوبًا خاصًا لمداواة كل منها . شيّدت كل من زوجة القانوني خرّم سلطان مستشفى للمجانين النساء ، والقانوني بالذات ، داخل كلية السليمانية ، مستشفى للمجانين الذكور ، وكانت توجد قبلها في إستانبول والمدن الأخرى مستشفيات مماثلة لها شيد في السابق . أشهرها مستشفى بيازيد في أدرنه ، التي شيّدها جد القانوني ، بيازيد الثالث (أولياء ، 3 ,468 - 70) .

كتب شيخ السلطان فاتح ، آق شمس الدين المشهور ، في كتابه المسمى **مادة الحياة** ما يلي بالضبط (على أميري ، طب ، رقم 126 ، ورق 50) : كل الأمراض ، بالنسبة لأنواعها لها بذور وجذور ، كما في النبات والحيوان ، كبذر الحشيش وجذوره لا ترى بالعين . ويجب ألا ننسى أن هذا الكلام قيل في عام 1450 أي قبل اكتشاف المجهر وقبل باستور بـ 4 قرون . ولو لم يكن باستور يملك مجهرًا ، لما تمكن أن يقول أكثر من ذلك .

لقاح **الجدري** كذلك ، اكتشاف تركي . لدينا معلومات عن تطعيم الأطفال في إستانبول ضد الجدري عام 1695 (**Adivar, A. A. Osmanli Turkerinde Ilim, 194**) .

وفي عام 1721 شاهدت Lady Montague عندما كانت سفيرة لإنكلترا في إستانبول ، كيفية صنع هذا اللقاح ، وأخبرت المعنيين عند عودتها إلى إنكلترا . قاومت أوروبا مدة طويلة ، اللقاح الذي طبّقه الأتراك لعصور طويلة . وفي 1764 ، وافقت الأكاديمية الطبية الفرنسية على أن هذا اللقاح « قد يكون مفيدًا » . لكن لويس 15 أصيب بمرض الجدري ، رفض اقتراح تلقيحه ومات . أول لقاح في أوروبا ، جرى في إنكلترا عام 1764 (Lavisse - Rambaud ، 756, 7 ؛ جودت ، 1 ,234 - 7 ,353 - 4) . إن حدوث الاكتشاف من قبل الأتراك ، أوقع أوروبا في تردد طويل الأمد جدًا . أعلن الرهبان بأن الذي يسمح بإجراء تطعيم له ، يعتبر خارجًا على الدين . بينما كانت الليدي مونتاغ ، قد أجرت اللقاح لولدها في إستانبول . أيّد فولتير عام 1759 فائدة لقاح الجدري . لكن الأطباء خشوا جانب الكنيسة مدة طويلة . ولم يلق فولتير الذي اشتهر بإلحاده ، أذنًا صاغية من أحد . ورغم أن الليدى مونتاغ صرّحت بأنه لم تحدث واقعة وفاة لأي أحد لقّح في تركية ، فإن أحدا لم يصدقها .

يبدأ قبول وتطبيق الطب الغربي مع شاني – زاده محمد عبد الله أفندي . كان يجيد عدة لغات غربية واللغات الشرقية كذلك . نقل المصطلحات الطبيّة الغربية من اللاتينية إلى اللغة العربية . إن آلاف الكلمات التي اشتقتها العثمانية من جذور الكلمات العربية ، والتي هي من إيجاد العثمانيين ، تقبلتها الأقطار العربية كذلك . بدأ دور أشعة رونتكن في الطب العثماني في 1897 مع الدكتور أسعد فيضي أفندي .

7 – العلوم الرياضية :

كانت العلوم الرياضية التي يسميها العثمانيون « رياضيات » و « علم رياضيّة » في مرحلة متقدمة . آثار وسفن العثمانيين تشهد على ذلك . المدافع العثمانية ، تبيّن تفوق العثمانية الحاسم في علم البلّستك . إن الجبر الذي كان يدرّس في مدرسة فاتح في إستانبول ، اقتبس طبق الأصل ، اعتبارًا من أواخر العصر 15 وبدء بتدريسه بالتسلسل في جامعات البندقية ، بادوفا ، بولونيا فلورنسا (II. Turk Tarihi Kongresi ,2 ,632) . كان العالم الرياضي الكبير لدور فاتح ، قاضي – زاده رومي قد توصل إلى نتيجة أن جيب الكسر ذا (1°) درجة واحدة ، يعادل 0 , 017452406437 ، على اعتبار أن

نصف القطر يساوي 1 (**آثار باقية** ، 1 ,133 - 9) . كاد علي بن ولي أن يكتشف اللوغاريتمات قبل Napier بـ 23 سنة في كتابه **تحفة الأعداد** ، الذي حرّره في إستانبول عام 1591 ، شرح اللوغاريتم ، لكنه لم يتوصل إلى نتيجة بسبب بدئه في سلسلة الأعداد من رقم 1 بدلاً من (0) الصفر (**آثار باقية** ، 2 ,290) .

كانت تكنولوجية صناعة الساعات الجدارية (ساعات الحائط) والمنضدية العثمانية في العصر 16 ، أرق من مثيلاتها الأوروبية . إن تقي الدين أفندي (1520 - 1585) الذي حصل على 9 آلاف ليرة ذهبية من السلطان وأسّس مرصد إستانبول ، هو مخترع « جرخلي ساعت » (الساعة ذات الدولاب) والآلة الفلكية المسماة « ذات الثقبين » . إن ساعة ذات الدولاب ، كانت تشير إلى الثواني أيضًا **Istanbul Rasadhanesi** ، ,43) 30, 72, 23 . وقد اخترع يني شهرلي سعيد أفندي ، أحد أساتذة اسكدار هندسة خانه سي (مدرسة الهندسة) التي افتتحت في اسكدار عام 1734 ، الآلة التي أطلق عليها اسم « ربع مجيّب ذو القوسين » التي تستعمل في قياس زوايا المثلثات وكذلك في قياس الأراضي (**Katalog,** Pertsch ، رقم 166) . يسجل Toderini (166) إنه كان من بين أساتذة مدرسة الهندسة البحرية الهمايونية ، في 1784 ، قواد سفن أتراك ذهبوا إلى أمريكا والهند ، ويجيدون اللغات الفرنسية ، الأسبانية ، الإيطالية . كان يانيالي خواجه محمد أسعد أفندي الذي أصبح مدرسًا عام 1699 ، قد تعلم اللغتين اللاتينية واليونانية ، وقام بترجمة كتب عن هذه اللغات ، وترجم كتاب **الشفاء** لابن سيناء من العربية وهو عالم موسوعات له تجربة في استعمال المرقب (التلسكوب) والمجهر (المايكروسكوب) . وبناء على ذلك ، فإن الذي أدخل الرياضيات العالية ، هو ليس خواجه إسحق أفندي الذي توفي عام 1834 . إنه فقط نقل الفيزياء والرياضيات الأوروبية إلى اللغة التركية ، وألّف كتابه **مجموعة علوم رياضية** في 4 مجلدات وقد طبعه محمود الثاني . كان يجيد اللغات العبرية ، اليونانية ، اللاتينيّة ، الفرنسية ، العربية ، الفارسية . وفي عام 1815 ، عين أستاذًا في مدرسة الهندسة البرية الهمايونية (أسعد ، **مرآة مهندسخانه** ، 34 - 42) . وأخيرًا ، أنجبت العثمانية عالمها الرياضي الكبير الأخير صالح زكي بك (1864 - 1921) . كان أستاذًا للرياضيات العالية وعميدًا لجامعة إستانبول . وهو الزوج الأول للروائية الكبيرة خالدة أديب آديوار . هو مؤلف الموسوعة

الرياضية المسماة **قاموس رياضيات** وتاريخ العلوم المسمى **آثار باقية** .

يبرز مستوى علم الفلك ، في المراصد وفي الساعات العثمانية المصنوعة بأحجام وأنواع مختلفة . وفي وقت مبكّر كالنصف الأول من العصر 16 ، أوضح مطرقجي نصوح بك المنظومة الشمسية بصورة مضبوطة تمامًا (**مجموعة التواريخ** ، 1 ، ورق 12 آ – ب) .

كان علم الميكانيكا متقدمًا ، لكنه لم يكن مستندًا إلى الرياضيات العالية بل إلى الناحية العملية . ومن جملتها طيران هزارفن أحمد جلبي بحضور مراد الرابع في 1640 بواسطة طائرة نموذجية من برج غلطة إلى إسكدار ، أي من الجهة الأوروبية إلى الجهة الآسيوية وهبط هبوطًا ليّنًا . والتجربة الناجحة للغواصة التي جرت في الخليج بتاريخ 3 / 12 / 1719 . إن سفينة الغوص التي ركبها أشخاص كثيرون ، غاصت وظلّت تحت الماء مدة طويلة . إن الغواصة موضوع البحث ، التي جرت تجربتها أمام أحمد الثالث ، صنعها رئيس مهندسي مصنع السفن الإمبراطوري إبراهيم أفندي . اكتشف مدير الإطفاء محمد آغا في 1753 ماكينة ضخ الماء للحريق بالأنابيب **413, Murut - Tevarih** – ب) . باستطاعة هذه الماكينة سحب الماء من أعمق (مخازن المياه والآبار . وانتفت ضرورة البحث عن حنفية مياه . بدأ الأوروبيون والأتراك الذين ذهبوا لتحصيل العلم في أوروبا ، القادمون إلى إستانبول بتطيير مناطيد ذات ركاب . وفي أيلول 1786 ، طيّر الجنرال المدفعي إنجليز مصطفى باشا ، منطادًا يحمل ركابًا أمام أنظار الإستانبوليين . وكان الجنرال ميراندا بنفسه (63) حاضرًا .

وكذلك تم تأليف كتب قيّمة في حقل الزراعة . كما كان تفريخ الدجاج الصناعي ، معلومًا ويطبق قبل العصر 17 . يسجل **Galland** أن رسامي الخرائط الأتراك ، كانوا يرسمون خرائط مضبوطة ومتقنة في العصر 17 (**253, 168, 1, Journal**) .

صدرت موسوعات ومؤلفات عثمانية عظيمة في الفلسفة ، الأخلاق ، السياسة . لا تستوعب صحائفنا هنا تقديم نماذج منها . إن كتاب **معرفتنامه** للشيخ إبراهيم حقي الأرضرومي (1703 - 1780) من أهم إنجازات تاريخ الفكر العثماني . يحوي بحوثًا طريفة جدًا ، من فلكيات كوبرنيك إلى معالجة الأمراض النفسية والعصبية ، ومن الذرّة (الجزء الذي لا يتجزأ) إلى الفلسفة . وبالإمكان قراءة الأسطر التالية في **معرفتنامه** ، قبل دارون

(1859) بـ 105 سنوات : « حصلت المعادن في البداية من امتزاج العناصر ، ومنها حصلت النباتات ، ومنها الحيوانات . وعندما استكملت خلقة الحيوان ، ظهر الإنسان ... لكن أبرز المتوسطين بين الحيوانات والإنسان ، هو القرد . إذ إنه شبيه للإنسان ظاهرًا وباطنًا عدا شعره وذنبه .

8 - الإعمــار :

إن الهندسة العمارية العثمانية ، هي إحدى أكبر مظاهر المدنية الإسلامية ، ومن أهم بحوث تاريخ الفن البشري ، وعند النظر من مسافة بعيدة إلى إحدى المدن ، يمكن تمييز الآثار الإعمارية العثمانية فورًا . إذ إنه أسلوب عماري يمتاز بصفاته المميزة وطابعه الخاص . هدمت 90 ٪ من الآثار العمارية العثمانية الموجودة داخل يوغوسلافيا الحالية في 1976 (نعمة الله حافظ ومجاهد عاصم ، **Vakiflar Dergisi** 205, 11,) . وهدمت 99 ٪ من الآثار الموجودة في اليونان ، بلغاريا ، رومانيا ، وهدمت 9 , 99 ٪ من الموجودة في المجر . وهدمت كذلك 40 ٪ من تلك الموجودة ضمن حدود تركية الحالية .

إن أيا صوفيا ، هو أقدم أثر أوروبي دام حتى اليوم بفضل ترميمات واهتمام الأتراك المستمر (، و **Teasch ne** ، **Encyclopedie de l'Islam** ، **Sussheim nouvelle èdition** ، 1 - 799) . سمّيت حركة الإعمار العثماني باسم « حمّى الإعمار العثماني » . اشتهر في العصر 15 مراد الثاني وحفيده بيازيد الثاني كسلطانين اهتمّا بحركة الإعمار . ليس لمحمد الثاني الفاتح (1451 - 1481) الذي هو ابن الأول وأبو الثاني شهرة كهذه . لأنه سار للقتال في كل عام ولم يتمكن من الانشغال كثيرًا بالإعمار . ورغم ذلك فإنه تم على عهد سلطنته التي دامت 30 سنة تشييد الآثار التالية (**Fatih Devri Mimarisi,** **E.H. Ayverdi** 6 ب – 37 ,87 ,447 ب) : 308 جوامع ؛ 17 منها حوّل من كنيسة (184 منها في إستانبول ، 33 في بورصة 28 في أدرنة ، 59 في مدن أخرى) ، 57 مدرسة دينية) (24 في إستانبول ، 13 في بورصة ، 7 في أدرنة ، 13 في مدن أخرى) ، 59 حمّامًا عامًا (32 في إستانبول ، 11 في بورصة ، 6 في أدرنة ، 10 في مدن أخرى)

29 سوقًا مسقوفًا لبيع الحاجيات الثمينة ، ومنزل كبير للمسافرين (12 في إستانبول ، 6 في بورصة ، 11 في مدن أخرى) ومنشآت أخرى معادلة لما ذكر .

كان لدى العثمانية مهندسون عماريون ذوو خبرة واسعة . زار سنان جميع الأقطار من إيران إلى المجر ودقق الآثار العمرانية منذ العصور الغابرة إلى عصره ، التي ما زالت قائمة والتي اندثرت ، من الناحية التكنولوجية ومن الناحبة الفنيّة الجمالية . خرج المهندس العماري قوجا محمد أغا باني جامع سلطان أحمد ، بجولة تدقيقية إلى الأناضول ، البلاد العربية ، دول البلقان ، قرم ، المجر، مالطة ، ألمانيا ، إسبانيا والأقطار الأخرى وزار الآثار العمرانية الموجودة فيها وقدّم تقريره إلى السلطان مراد عند عودته (جعفر جلبي ، **رسالة عمارية**) . كان المهندس العماري العثماني يخطط أولاً ، خارطة الجامع الذي سيقوم بإنشائه ، ثم يعمل نموذجًا مجسمًا منه إلى الشخص الذي سيتولى الصرف عليه ، ولا يبدأ بالبناء إلاّ بعد أن يحوز إعجابه ويحصل على موافقته حول ميزانية الإنشاء . كتب جعفر جلبي كيفية تقديم محمد أغا نموذج جامع سلطان أحمد إلى أحمد الأول وحصوله على موافقته (**تاريخ جامع شريف نور عثماني** ، 6) . كانت نقوش الجامع تخطط أولاً على الورق ، ومن ثم تؤخذ موافقة مهندس المعمار النقاش (باركان **Suleymaniye Camii** ، 64, 1) . إذ إن المعمّار كان مسئولاً عن ملاءمة كل زينة ونقش يجرى لذلك الأثر من الناحية الذوقية والجمالية . بدأ سنان بإنشاء صالة في سراي طوبقابو بعد أن عرض خارطتها على سليم الثاني وحصل على موافقته (أحمد رفيق **Turk Mimarlari** ، 74) . لا ينشغل المعماربأمور الصرف . ويعيّن لهذا الغرض أحد متخصصي المالية - المحاسبات المسمى « بناء ناظري » أو « بناء أميني » أي ناظر أو أمين البناء . إن لرئيس المهندسين الحق في اختيار الفني ، المعمار ، الأستاذ (الأسطة) ، والعمال .

كان يوجه اهتمام كبير لصيانة الأثر العماري من الناحية الجمالية . لا تشيّد أبنية من شأنها أن تضيّق الشارع . تهدم فورًا الأبنية التي تقترب إلى الجامع مسافة تقل عن 5 أذرع من جميع أطرافه . إن المنطقة الممنوعة بالنسبة لجامع أيا صوفيا ، كانت 35 ذراعًا . لا يجوز لأي بناء الاقتراب إلى أيا صوفيا مسافة 35 ذراعًا من جميع

جهاته . تهدم البيوت التي تقترب من أسوار إستانبول مسافة 5 أذرع من الداخل والخارج . هدم سنان في 1539 البيوت التي اقتربت إلى الأسوار مسافة 5 أذرع . ثم أخل بالمنع ثانية . عاد سنان وهدمها في 1559 . والمعلوم أن أسوار إستانبول لم تستعمل أبدًا منذ 1453 لأغراض عسكرية و لم يوجد فيها جيش وحوفظ عليها وعني بصيانتها من الناحية الجمالية ومن الناحية الأثرية التذكارية . تم اصلاح الأجزاء البالية في الحال (أحمد رفيق ، **67, XVI Asirda Istanbul**) .

إن وزير إعمار الإمبراطورية ، كان رئيسًا لمهندسي السلطان . بقي سنان في هذا المنصب الذي أنشيء عام 1453 مدة 50 عامًا (31 / 8 / 1538 - 9 / 4 / 1588) . نظم الإمبراطورية بموجب ذوقه الفني الهندسي . كان رئيس المهندسين ، تابعًا للسلطان . و لم يكن عضوًا في الديوان الهمايوني . ولكن كانت تجوز دعوته إلى الديوان للتشاور . ألغى محمود الثاني في 1831 منصب رئاسة المهندسين العماريين ونظارة القلاع ووحدها تحت اسم مديرية الأبنية الخاصّة ، وشكلها في نهاية 1836 باسم « مجلس أمور نافعة » (مجلس الإعمار) ، وأخيرًا أسس نظارة التجارة والإعمار (1839) وأدخلها في عضوية الوزارة . إن آخر رئيس مهندسين للسلطان (خاصة عماري) (1825 - 1831) هو عبد الحليم أفندي ، وأصبح أول مدير للأبنية الخاصة . إن مهندسي الخاصة كانوا يتخرجون في مدرسة الهندسة العمارية للحدائق الخاصة (السلطانية) . أغلق محمود الثاني مدرسة السراي هذه . وحول العمل إلى المهندسين العسكريين . ولكن على إثر ثبوت قصور الأبنية التي شيدها العسكريون من الناحية الذوقية الجمالية أسست في 1881 أكاديمية الفنون الجميلة التي كانت تسمى صنائع نفيسة مكتبي . وأصبح الأركيولوجي والرسام عثمان حمدي بك أول مدير لها .

إن الفن العماري العثماني هو استمرار للفن العماري السلجوقي . إلاّ أن العماريين الأتراك وجدوا أن النقوش المتداخلة والتزيينات الكثيفة للإعمار السلجوقي ، غير ملائمة للذوق التركي ، وإنما تلائم الذوق الفارسي والعربي . والمئذنة العثمانية ، لا تشابه المآذن الإسلامية السابقة ، كما أنها لا تشابه المآذن السلجوقية ؛ رفيعة وطويلة . اقتبست من الأبراج الأربعة في القلاع التركية وطوّرت على هذا الأساس .

أكسب سنان هذا الطراز، العمارى أسلوبه الكلاسيكي . وبالنسبة إلى المؤرخ العماري الألماني Heinrich Gluck (487) فهو عماري أعظم من ميخائيل أنجيلو . « أعظم عماري عثماني ، وأحد أعظم عماري العالم » (IA, Thomas Menzel ، 392, 5 ب) ، إن الآثار العمرانية التي بناها سنان ، ليست أقل من الناحية الفنيّة ، من الآثار العمرانية الأوروبية لعصر النهضة العلمية » (Islam, Wilhelm Barthold Medeniyeti ، 140) .

شيّد سنان 441 أثرًا عماريًا في أقطار مختلفة جدًا من الإمبراطورية وعلى رأسها إستانبول (81 جامعا ، 50 مسجدا ، 55 مدرسة ، 19 مقبرة ، 14 منزلا ، 3 مستشفيات ، 7 سدود ، 8 جسور ، 16 منزلا استراحة كبيرة (كروانسراي) ، 33 سراي ، 32 حمّاما ، 6 مخازن ، 7 دور الحفّاظ) .

يعتبر جامع سليمية (سليم الثاني) في أدرنه ، الذروة بين الآثار العمرانية لسنان . إن لكل من منائره الأربع 3 شرفات وارتفاعها 50 , 70 مترًا . إن المنارة الوحيدة في العالم التي يفوق ارتفاعها هذه المنائر الأربع هي منارة قطب منار في دلهي (50 , 72 مترا) ، لكنها سميكة ومشيّدة على قاعدة مساحتها 14 م^2 . يصعد إلى كل من الشرفات الثلاث في اثنتين من منائرها من سلم مستقل ، والصاعدون لا يرى أحدهم الآخر ويسمعون أصوات أقدامهم فقط . إن قطر قبّته الوحيدة العظمى 28 , 31 م . أعلى من قبة أيا صوفيا بـ 6 أذرع وأعمق منها بـ 4 أذرع . تكلف تشييده خلال 1568 - 74 مبلغًا قدره 265 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا .

إن المساحة التي تشغلها الكليات العثمانية والتي يشترط أن يكون في وسطها جامع ، واسعة جدًا . فمثلاً ، أسّست كلية سليمانية على مساحة قدرها 700 ألف م^2 ، وللمقارنة ، سراي طوبقابو 699 ألف م^2 ، سراي أدرنة الإمبراطوري 3 ملايين م^2 ، دولة الفاتيكان 500 ألف م^2 ، دولة موناكوميلون 500 000 ألف م^2 ، ، مجمّع الكرملين في موسكو 120 ألف م^2 ، كلية فاتح في إستانبول 120 ألف م^2) .

أعظم أثر عماري لسنان في إستانبول هو جامع سليمانية ذو 4 منائر . العماري قوجا محمد أغا ، هو تلميذ سنان . وهو معمار جامع سلطان أحمد . بني لهذا الجامع 6 مآذن وجاهد في أن يكون داخل الجامع مضيئًا جدًا ويبعث على الانشراح كما يشاهد ذلك في بعض جوامع بورصة (أولو جامع ليبلديرم بيازيد ، ويشيل جامع لابنه جلبي

محمد) . ويعرف في أوروبا باسم « الجامع الأزرق » Blue Mosque بسبب ألوان خزفه . قطر قبته 60 , 33 م وهو أكبر من أياصوفيا بـ 60 , 2 م (تحسين أوز ، 126) . مجموع الشرفات في المآذن الستّة 16 . يضاء بواسطة 22 ألف قتيل (حاليًا مصباح كهربائي) . كان عدد موظفيه ومستخدميه في العصر 17 ، 750 شخصًا . صرف لتشييده مبلغ 450 مليون دولار تقريبًا بالسعر الرائج حاليًا . إذ إن الأراضي التي شيّد عليها كانت تحتوي على سرايات قيّمة جدًا ، اشتريت من أصحابها .

أشهر المهندسين المعماريين للعثمانية هم : معمار يشيل جامع ويشيل تربة في بورصة الوزير الثاني حاجي عوض باشا (وفاته 1429 ؛ معمار جامع ياووز سلطان سليم في إستانبول علاء الدين علي بك (وفاته 1537) ؛ المعمار قوجا (الكبير) سنان أغا الذي عاش 98 عامًا (29 / 5 / 1490 - 9 / 4 / 1588) ؛ معمار جامع سلطان أحمد قوجا محمد أغا (1553؟ - 1625؟)؛ معمار « يني جامع » مصطفى أغا (وفاته 1666) .

إن مجرد ذكر الآثار العمرانية العثمانية المتنوعة جدًا والتي وصلت إلى الذروة في نوعيّتها ، بل وحتى ذكر أثر واحد من كل نوع منها . سوف يطول جدًا ، لذلك ، سأكتفي بذكر عدة أمثلة للآثار العمرانية خارج الإعمار الديني وهو بناء الجسور .

الجسر الذي شيده القانوني في الهور على منعطف نهر الطونة - درافا والبالغ طوله 8 665 خطوة ، ظل مدة طويلة كأطول جسر في أوروبا (TAD 7 ,262) . يمر ذكره في التاريخ العثماني باسم « جسر أوسيك » Osiyek . مرت عليه جيوش عثمانية كبيرة جدًا إلى المجر ذهابًا وإيابًا . جسر أركنة Ergene (أوزون كوبري) لمراد الثاني (1421 - 1451) ذو 174 قنطرة طوله 240 1 م . ولا يزال قائمًا في تركية (سداد جتينطاش ، 1 ,13) إن عرض جسر Moster الذي أمر القانوني في 1566 بإنشائه من قبل سنان على نهر Narenta في هرسك 34 , 27 م وارتفاعه 19 م . طوله 100 م . إن بلوغه هذا الارتفاع بقنطرة واحدة تدعو إلى العجب والدهشة . وهو قائم حاليًا في يوغوسلافيا. كتب السائح الفرنسي A. Poullet الذي شاهد الجسر عام 1658 « دهشت للجرأة في إنشاء هذا الجسر الذي لا يقبل المقارنة ؛ كانت قنطرته الوحيدة ، أعرض من جسر Realte الذي يعتبر من خوارق الفن العماري البندقي ». وعبّر التمساوي

R. Michel الذي زاره في 1912 أي بعد 346 سنة ، عن إعجابه ودهشته بالكلمات التالية « هلال صار حجرًا ... أثر لا مثيل له في كل العالم ... » (IA Mostar ، 1430) . إن الجسر الذي شيّده الوزير الثاني داماد غازي جوبان مصطفى باشا في 1529 كأعمال خيرية ، موجود حاليًا على بعد 10 كم من الحدود التركية داخل بلغاريا . يجتاز، نهر مريج من جهتيه وطوله 295 مترًا (**Belleten** S. Eyice ، 28 ,730 - 747,1 - 52) . ويذكر المؤرخ البلغاري Radzeff في 1960 أن « تخطيطه متقن إلى درجة يستحيل معها أن تكون هناك خطة أخرى بديلة عنه . إن جميع الآثار الموجودة في بلغاريا جديرة بأن تحوز إعجاب من يشاهدها . وهي اليوم متينة كما في السابق » شيّد مصطفى باشا بالقرب من هذا الجسر منزلاً عظيمًا للمسافرين (كروانسراي) تبلغ مساحته 4725 م^2 ويستوعب اسطبله 3 آلاف حصان . وقرب المنزل ترتفع أبنية جامع ، مطبخ لإطعام المحتاجين ، خان ، حمّام ، سوق كبير ، أسواق صغيرة ، مدرسة وهي خيرات الباشا نفسه . وقد شيّد الباشا ذاته أيضًا كليات مشابهة لهذه في كبزه واسكي شهر Salomon Sehweigger, **Reysebesehreibung aus Teutschland Constantinople** ، نورمبرغ 1608 ,47 - 8) قال Cornelius Von den Driesch الذي شاهد الجسر في 1723 » جسر خارق للعادة بجماله ، يندر أن يشاهد مثيل له في أوروبا كلها » (Ungemein Schonen Brucke, dergleichen man in ganz Europa Wenig sehen wird) **Historische Nachricht**) ، نورمبرغ 1723 ، 125 - 6) . صرف مصطفى باشا ، لإنشاء جسر مصطفى باشا وكليّته مبلغًا قدره 42 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا » . يجب أن نذكر أن العثمانيين من أكبر مشيدي الجسور في التاريخ العالمي . إن الجسور العثمانية ، مظاهر حضارية وفنيّة حقيقية » (.K Kienitz **Alte Turkenbruecken, Mitteinlungen d'Deufsch -Turk . Gesel.**, No. 51, Bonn 1963, P . 6 - 10) ، وهناك جسور من صنع سنان (جسر سنانلي في آلبولّي Alpullu (تراقيا الشرقية) ، جسر بيوك جكمجه ذو 32 قنطرة في سيليوري قرب إستانبول ، جسر كبزه Gebze ، جسر Drina قرب Visgrad في بوسنة الذي موّله صوقوللو محمد باشا) ، تحتل مكانها كذلك بين الآثار العمرانية المتفوقة للعثمانية . اكتسب جسر درينا صفة الخلود في القلوب والأذهان عندما ذكره الكاتب الروائي Ivo Andriç الذي حصل على جائزة نوبل ، في إحدى رواياته

(Na Drini Euprija = جسر درينا ، 1945) . ومن أجمل نماذج الجسور العثمانية التي هدمها اليونانيون جسر Vardar قرب سلانيك 210 م ، جسر يني شهر (Larissa) على نهر بينتوس قرب تيساليا ، جسر Narda (Arta) 142 م على نهر Arahtos .

إن منشآت توزيع المياه العثمانية ، الجداول ، قناطر المياه ، البنود تعتبر آثارًا هندسية عظيمة كذلك . جلب القانوني في 1532 الماء إلى مكة ، وفي 1552 إلى القدس من أماكن بعيدة جدًا . إن قناة كربلاء التي تربط الفرات بماء عبيد التي أنشأها القانوني في 1544 هي إحدى المنجزات العثمانية العظيمة (**Stripling The Ottoman Turks and the Arabs** ، **1511 - 1574** ، أورباانا 1942 ، 81) .

إن عظمة النظام والكمال العمراني والقيمة الفنية لشبكة الطرق العثمانية والمنازل والخانات المشيدة عليها ، تخلب الألباب . تشمخ هذه الآثار العثمانية على طريق حج إستانبول ـــ مكـــة والطـرق التجاريـــة الرئيسيـــة كإستانبول ـــ أرضروم ، استانبول ـ بغداد ، إستانبول ـ القاهرة ، إستانبول ـ بودين ، وفي الأقطار الأبعد كتونس والجزائر وفي الأماكن من الدرجة الثانية الأقل عددًا في السكان (**J . Sauvaget, Les Caravansèrails Syriens du Hadjdj de Constantinople, Ars Islamica**, 1937, 98 - 121) . إن الخان التجاري الذي شيّده فاتح قبرص لالا مصطفى باشا فيها في فترة شبابه عندما كان واليًا (بكلر بك) على الشام ، كان يحتوي على 360 غرفة ، بقي مسجده فقط حاليًا (**Wulzinger, Watzinger Damaskus** ، برلين 1924 ، 52 - 4) . إن الكلية التي شيدها الباشا ذاته في قنيطرة قرب الشام (أولياء ، 133, 3) والكلية التي شيدها في إيلغين 1574 - 84 ، والجوامع في مدن كثيرة كقارص ، تفليس ، لفكوشه جميعها أعمال خيرية .

إن الأسواق العثمانية المسقوفة وأسواق الحاجيات الأثرية منجزات تدهش المرء . إن سوق إستانبول المسقوف هي أكبر سوق مسقوف على وجه الأرض حاليًا أيضًا . تبلغ المساحة التي يشغلها 300 ألف م^2 ويحتوي على 20 ألف صاحب عمل . ويحتوي كذلك على 4 آلاف مخزن ، 5 جوامع ، مدرسة ابتدائية ، 10 حنفيات عامة ، و 61 زقاقًا ؛ هذا عدا 21 خانًا كبيرًا خارجه لكنه ملاصق له . إن جميع شوارعه مسقوفة تمامًا وهذه الأزقة والمخازن جميعها تحت هيكل سقف واحد . لا يجوز دخول

الخيل أو العربات والسيارات فيه . كان البادشاه فقط في العهد العثماني يدخله ممتطيًا حصانه والسلطانة ــ الوالدة تدخل بالعربة . إن أبوابه الـ 18 التي تفتح على المدينة ، ذات سلاسل . وتعتبر كذلك سوق مصر في إستانبول التي شيدتها تارخان والدة ــ سلطان (1662) بواسطة المعمار مصطفى أغا ، من أكبر الأسواق المسقوفة .

إن فن البناء العسكري العثماني ، متقدم كذلك بنفس الدرجة . تشاهد القلاع العثمانية شامخة في أقطار لا تخطر على البال . وقد حافظ العثمانيون على القلاع القديمة الموجودة في الأقطار الداخلية و لم يهدموها لفقدانها قيمتها العسكرية . كانت قلعة إسكندرية (أبو قير) التي شيّدها في 1528 بكلر بك مصر سليمان باشا الذي صار بعدها صدرًا أعظم ، قلعة عظيمة يحيطها البحر الأبيض من جهاتها الأربع (أولياء ، 9 ,1 - 7) . ما زالت بقايا القلاع العثمانية شاخصة في بودين ، في المجر ، استركون وفي Sigetvar .

إن « المنازل » التي شيّدت لتشكيلات « البريد » ، كانت محطات لتبديل خيول سعاة البريد . البقايا المتبقية من آثار معامل السفن ، المدافع والبارود تثبت لنا مبلغ عظم الأبنية والمنشآت العثمانية بصورة واضحة .

إن هندسة الحدائق العثمانية ، هندسة المياه ، الهندسة الداخلية ، أيضًا بالمستوى نفسه . إن تعلق العثمانيين بالأزهار ، مشهور . الدولة الوحيدة التي أطلقت على فترة من فترات تاريخها اسم زهرة ، هي الدولة العثمانية (دور لاله « سنبل » 1718 - 1730) . دوّن أحمد كامل أفندي في كتابه الذي حرّره في 1753 عن زهرة اللالّه ، اسم 558 متخصّصًا في زهرة اللالّه . تمكن العثمانيون من استنباط 1350 نوعًا من زهرة اللاله وأطلقوا على كل نوع منها أسماء خاصة .

إن الزينة والتأثيث الداخلي ، بسيط ، بعيد عن المبالغة في المظهر ويمتاز بالوقار . لا يوجد أثاث كثير . يبدأ دور الأثاث الكثير والمبالغة في المظهر في الهندسة العمارية الداخلية ، مع التنظيمات وتزول مظاهر الوقار السابق .

9 ــ الرسم (المنيمنات (الرسم الصغير جدًا) Minia ture) والكتابة (الخط) :

كان الأتراك القدامي يصنعون التماثيل . استمر السلجوقيون على هذا التقليد رغم

تحريم الإسلام لذلك . أمر علاء الدين كيكباد بصنع هياكل كثيرة (ابن بي بي ، 254) . سياح كثيرون بحثوا عن التماثيل في قونية . ولكنها رفعت بعد ذلك باعتبارها مخالفة للإسلام . ومع ذلك توجد نماذج تماثيل كثيرة جدًا متبقية من العهد السلجوقي ، حتى يومنا هذا . استعاض العثمانيون في إشباع رغبتهم بالتماثيل ، بنحت أحجار القبور . إن المقبرة الكائنة في أخلاط Ahlat التي عاش فيها العثمانيون عصرًا ونصف العصر قبل مجيئهم إلى ضفاف سقاريا ، هي مدينة موتى مليئه ببدائع فن النحت الحجري . ويشاهد الفن الأثري ذاته في أحجار القبور كذلك .

اعتبر الرسم ذو البعدين (المجسم) محرّمًا في الإسلام . لكن الرسم المصغر ذا البعد الواحد (منياتور) كان موجودًا . وبالطبع لم تكن العثمانية تجهل اللوحات على الطراز الأوروبي ؛ حيث إنها كانت الدولة التي حكمت أقطارًا أوروبية عديدة لعصور طويلة . جلس فاتح أمام الرسام البندقي Bellini ليرسمه بالأصباغ الزيتية . أما نشوء الرسامين الأتراك ، فيبدأ مع حماية السلطان عزيز (1861 - 1876) الذي سمح بصنع تمثاله لأول مرة والذي كان هو رسامًا بالذات . إن أكبر رسام عثماني ، هو الأركيولوجي الشهير عثمان حمدي (1842 - 1910) ، وهو ابن الصدر الأعظم أدهم باشا .

إن أشهر رسامي المنينمات (الصور المصغرة) هم : نكاري حيدر بك (وفاته 1572) ، النقاش بوسنه لي سيّد عثمان أفندي (وفاته 1590؟) ، ولوني (وفاته 1732) في دور لاله . وهناك نقاشو الخاصة الذين يرسمون دائمًا الصور المصغرة على الكتب في السراي . أرسل فاتح ، بورصة لي سنان بك الذي رسم تصويره الجانبي وهو يشم الورد ، إلى البندقية لتحصيل الرسم وتعلّم على يد Mastori Pavli Dragoza . وتعتبر كذلك ، الصورة الجانبية لفاتح وهو جالس متربعًا يشم القرنفل التي رسمها سيّد لقمان ، من أرقى نماذج طراز المنينمات القريب إلى الرسم . والمعروف عن ياووز أنه رسّام وأنه رسم لوحة واقعة جالديران . كان للسراي في عام 1525 ,41 رسامًا . إن شاهقولو الذي قم من تبريز في غضون عام 1520 إلى سراي إستانبول واستوطن فيه ، هو تلميذ بهزاد (1455؟ - 1537؟) الرسام المنياتوري لتركية الشرقية وأكبر أستاذ في طراز رسم المنينمات في التاريخ . وقد نشأ كذلك ، عدة أساتذة في الفن المسمى « قطع » وهو

عمل نقوش على الورق بطريقة قصّه .

والمعروف عن الأتراك العثمانيين أنهم اشتهروا كذلك في التاريخ بإنجابهم أعاظم الفنانين في الخط . إن أشهر الخطاطين في العثمانية هم شيخ حمد الله (1429 - 1520) ، وقره حصاري أحمد شمس الدين أفندي (1468 - 1556) ، ستّار أفندي الإستانبولي الذي ذهب إلى الهند لأجل خط كتاب تاج محل (وفاته 1670) ، حافظ عثمان أفندي (1642 - 1698) ، قضعسكر مصطفى راقم أفندي (1758 - 1826) ، قضعسكر يساري – زاده مصطفى عزّت أفندي (1776 - 1849) ، وقضعسكر توسيالي مصطفى عزت أفندي (1801 - 1876) وهو ملحن كبير في الوقت ذاته . لم يتمكن العثمانيون من سبق الإيرانيين في خط التعليق . العثمانيون ، هم الأوائل في كل أنواع الخطوط الأخرى (يجب استثناء العرب في الخط الكوفي ، لم يستعمل العثمانيون الخط الكوفي بكثرة) . نشأ خطاطون عظام بين السلاطين : مثل أحمد الثالث ، محمود الثاني وعبد المجيد الأول ، إن أعظم **المصاحف** المخطوطة كتبت بيد الخطاطين الأتراك . لقي الخط العثماني إعتبارًا كبيرًا لدى العالم الإسلامي بأسره . إن لقب « خطاط » كان رسميًا . ويلزم لحيازة هذا اللقب بجدارة ، أن يعمل سنوات طويلة مع خطّاط واحد على الأقل ويحصل منه على إجازة (شهادة) موقعة بتوقيعه . لم تخل إستانبول من آلاف الخطّاطين في جميع الأدوار . ويمكن القول إن العثمانيين قد أشبعوا رغبتهم في الرسم ، باشتغالهم بهذا الفن . كل تركي ، أظهر محبة فائقة تجاه فن الخط .

10 – صناعة الخزف :

إحدى أرقي الصناعات العثمانية ، هي صناعة الخزف . أطلق العثمانيون على هذه الصناعة ، التي سمّاها الإيرانيون « كاشي » ، اسم « صيني » بسبب انتقال فن صناعة الخزف من الصين ، وهي إحدى الصناعات التي اشتهر بها العثمانيون عالميًا ، لم يهتم العثمانيون بصناعة الموزائيك البيزنطية ، رغم أنهم يملكون نماذج كثيرة منها . وفضلوا الصيني (الخزف) . وقد نشأ رسامون ، خطاطون وأساتذة مختصون بتناسق الألوان وامتزاجها على الخزف . يستهلك الكثير من الخزف في الأبنية الكبيرة . استعمل لجامع

سلطان أحمد 043 21 قطعة خزف . كان في إيزنيك ، في العصر 16 ، عدد 300 معمل للخزف . وقس على ذلك بالنسبة للمدن الأخرى ؛ إذ إن العثمانيين أحبّوا صناعة الخزف واستعملوها في أبنيتهم العسكرية ، الدينية ، والمدنية ومختلف أبنيتهم . قام متخصص الخزف المسمى دلي محمد ، بتزيين الجامع الأخضر لمحمد جلبي وقبره الأخضر بقطع من الخزف وصيّرها كأنها أركانًا نموذجية من أركان الجنّة ، إن جامع الصدر الأعظم رستم باشا في إستانبول (أمين أونو) الذي بناه سنان ، وشقة الحرم التي شيّدها سنان كذلك في سراي طوبقابو وباطن مقابر سليم الثاني ومراد الثالث التي شيّدها سنان كذلك في فناء أيا صوفيا ، مليئة ببدائع فن الخزف العثماني . إن أكثر الألوان استعمالا ، هي « الأزرق التركي » « أحمر طماطم العثماني » ، الأزرق الغامق ، الأصفر ، الأخضر .

11 – صناعة السجاد :

صناعة عثمانية كبيرة أخرى ، هي صناعة السجّاد . صناعة تركية قديمة جدا . إن المنينمات وصناعة السجاد ، انتقلت من الأتراك إلى الإيرانيين (TK, Alessio Bombaci ، رقم 20 ,48, Rasonyi: 9 - 38) . حتى 1918 ، كانت الدولة العثمانية تبيع للأقطار الأجنبية سجادًا بمبالغ تزيد على 8 ملايين ليرة ذهبية سنويًا . يتّضح من هذا الرقم ، أهمية صناعة السجّاد . يصنع السجّاد والأبسطة في جميع نواحي تركية . إن نقوش التركمان ، لها طابع خاص متناسق . لا تبهت الأصباغ النباتية ولو مضت عليها عصور . لا يمكن تصوّر عدد الغرزات المتراصة التى تغرز على 1 سم^2 من السجّاد . يصنع السجاد الحريرى بالإضافة إلى السجّاد الصوفي . لكن صناعة السجاد الحريري في إيران ، أرقى . ومنذ 1860 وحتى يومنا هذا ، يصنع السجاد من النوعية الفاخرة جدا في معمل هركه Hereke الذي أسّسه السلطان عبد المجيد . فرشت كل سرايات التنظيمات بسجاد هركه . ولغرض الاطلاع على أسماء كبار أساتذة صناعة السجاد العثماني للعصر 16 ، انظر Turk Sanati Tarihi Arastirmalari ، 1 ,731 .

12 – صناعة الأقمشة :

إن تركية من الدول المصدرة للمنسوجات ، الألبسة الجاهزة والأزياء وحاليا هي

كذلك . ومنذ العصر 15 ، لم يفقد القطن ، الكتّان ، الصوف ، الأقمشة الحريرية قيمتها في العالم أجمع ، كمستوردات من الدرجة الأولى (لوكس) . كانت بورصة مركزًا للمنسوجات الحريرية . أما مركز منسوجات صوف الماعز الذي يسمى « Sof » (Angora » فكان في أنقرة . كانت منسوجات العثمانية في العصر 16 ، تعتبر درجة ممتازة (لوكس) وفي الوقت ذاته أرقاها من ناحية قيمتها الصناعية . ولغرض الاطلاع على أسماء 650 نوعًا من المنسوجات العثمانية ، انظر **Tarih Dergisi, Turkcede Kumas, Adlari. M. E. Ozen** 33 ,1982 , 291 - 340 .

13 – صناعة الجلود :

أظهر الأتراك تفوقًا كبيرًا في مجال صناعة الجلود منذ فجر التاريخ . إن الحذاء الطويل التركي الذي يستخدم في ركوب الخيل ، حافظ على أفضليته في العهد العثماني . كانت المصنوعات الجلدية ، حتى العصر 18 كأنها محتكرة في الأناضول وروملي . أرسلت إنكلترا وفرنسا عمالها المهرة إلى العثمانية ليتعلموا دقائق الصناعة . الأحذية الخشبية (القباقيب) العثمانية هي كذلك صناعة فنيّة عثمانية مشهورة جدا .

14 – التجليد ، تأليف الكتب وخطّها ، التذهيب :

كان التجليد فرعًا مستقلا مهمًا . إن الجهد الذي يصرف لكتابة وتذهيب وتجليد الكتاب والدراهم التي تنفق لجعل الكتاب أثرًا فنيا في الوقت ذاته ، مذهل . صرف سليم الثالث مبلغًا قدره 000 3 ليرة ذهبية لكتابة **ديوان** الشيخ غالب أكبر شاعر في عصره البالغ عمره 34 عامًا الموجود حاليًا في متحف مكتبة جامعة إستانبول (رقم 5531) .

منحت بيخان – سلطان ، أخت السلطان نفسه الشيخ غالب 000 10 ليرة ذهبية عن القصيدة التى أتحفها لها ، كعطية (أجر تأليف) .

صرف مبلغ 930 284 آقجة (تعادل 7 , 2 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا) كأجور رسم المنمنمات وتذهيب وتجليد 6 مجلدات من كتاب **سير نبي** باللغة التركية

التي جهزت خصّيصًا للسلطان مراد الثالث والمشهورة لدى الأوساط العالمية .

التذهيب ، هو تزيين الكتب المخطوطة النفيسة بطبقة من الذهب الذي يكون على شكل طبقات ورقية رقيقة . كان يطلق علىّ الذي يصنع هذه الأوراق اسم « آلطون ورقجي » (ورّاق الذهب) والذي يشغل هذه الأوراق على الكتب اسم « مذهّب » . أرق النماذج ، صنعت في إستانبول . كان 345 مذهبًا يعملون في هذه المدينة قبيل عام 1640 (أولياء ، 1 ,608 - 9) ، إن ورّاقي الذهب خارج هذا العدد . استعمل التذهيب على نطاق ضيق ، في الإعمار المدني وخاصة في جدران وسقوف شقق الحرم . والمعلوم أن سفينة السلطان وسفينة الأميرالية لقائد القوات البحرية ، تطلى بالطلاء الذهبي . وتكسى النطف الموجودة على قبب الجوامع والمآذن التي تسمى « علم » بطبقة سميكة من الذهب وهكذا كانت تستهلك كمية كبيرة من الذهب لتزيين الجوامع السلاطينيّة .

15 ـ صناعة فخار (البورسلان) ، الزجاج ، الجواهر :

كانت هناك صناعة فخار (بورسلان) . لكنها لم تصل إلى مستوى الفخار الصيني . لذا جمع السلاطين وخاصة سلاطين العصر 16 في سراي طوبقابو أغنى مجموعات الفخار الصيني والتي من بينها ما كان مقدمًا كهدايا من الحكام الآسيويين أو كضرائب . ما زالت هذه المجموعة ، موجودة حاليًا ، يشاهدها بإعجاب وتقدير أولئك الذين يقدرون قيمة البورسلان الصيني القديم .

يبلغ عدد قطع الفخار الصيني (البورسلان) الموجودة في طوبقابو 000 12 قطعة من أنواع يستحيل تقليدها حاليًا ، وإنه لمما يدعو إلى الدهشة أن يتم في العصر 16 تجميع مجموعة كبيرة كهذه من قطر كالصين . إن 269 قطعة من البورسلان الموجود في سراي طوبقابو ، مرصّع (مطعم) بالجواهر . أما عدد البورسلان المرصع المسجل في الكتالوك في بقية أقطار العالم كله فهو 5 (خمسة) ، ويوضح ذلك قيمة البورسلان الصيني الموجود في مجموعة طوبقابو . ويأتي الزمرّد والياقوت ، على رأس الأحجار الكريمة التي طعّمت به قطع البورسلان وتكمّلها التزيينات المصنوعة من اللؤلؤ ، الياقوت الأزرق ، الفيروز ، المرجان ، الذهب ، الفضة وما شابه ذلك .

كانت صناعة الزجاج والزجاج الملوّن العثمانية ، متقدّمة أيضا . سرخوش إبراهيم الذي صنع زجاج جامع سليمانية الملوّن ، كان الأستاذ الأكبر لهذه الصناعة . وفي النصف الثاني من العصر 19 ، أصبحت صناعة البورسلان والزجاج العثمانية صناعة كمالية ، وأخيرًا ، أسس المعمل الهمايوني ومعمل زجاج باشا بقجه . توجد أنواع فخّار (بورسلان) ، خزف وزجاج ثمينة جدًا لا يمكن صناعة مثيل لها في الوقت الحاضر كالمزهريات الزجاجية ، الكاسات وأمثالها الخاصة بالعثمانية والمسماة « جشم بلبل » ، أصبحت موجودة في المتاحف فقط . إن صناعة الكهرب (بالفارسية : كهرباء) ، صناعة المسابح ، صناعة الجبك (غليون طويل لشرب الدخان) ، صناعة الغليون القصير للسجائر ، هي صناعات عثمانية كبيرة لفروع صغيرة . كانت تصنع المسابح من اللؤلؤ والزمرد .

اشتهر العثمانيون بالصياغة كذلك . اشتغل واحد أو اثنان من السلاطين بالصياغة ، كلهم تقريبا كانوا أخصائيين في الأحجار الكريمة . ما زالت الصياغة مستمرة بنسبة معيّنة حاليًا . أيضًا صناعة الحبر ، وإن كانت هذه الصناعة قد زالت بظهور الحبر الصناعي .

16 ـ الأثاث :

انقرضت صناعة الأثاث والأدوات المنزلية والمطبخية العثمانية بسبب قبول واستعمال الطراز الأوروبي في الأثاث بصورة كاملة . بقيت عدة فروع قليلة تعيش حتى اليوم كصناعة النحاس التي ما زالت تنتج صناعات نفيسة وجميلة . تشاهد في المتاحف ، السرايات .

نماذج كثيرة جدًا من الصناديق العثمانية ، الرحلات المطعمة بالصدف ، الموائد ، العلب ، المقصّات ، السكاكين ، الملاعق وأنواع كثيرة أخرى من الأدوات المنزلية التي لا تخطر على البال .

17 ـ صناعة الأسلحة :

وعدا العناية بالجودة في صناعة الأسلحة العثمانية ، فإنه كان يُعنى أيضًا بصورة فائقة

بالناحية الجمالية فيها وتستلفت النظر العناية بهذه الناحية حتى في أبسط الأسلحة . التزيينات التي صنعت في الكبيرة منها ، لا تقدر بثمن ، وكذلك الحال بالنسبة للأسلحة النارية . تشاهد أجمل نماذج في جناح الخزينة والأسلحة في سراي طوبقابو وفي المتحف العسكري في إستانبول وفي المجموعات الأجنبية المختلفة .

صنعت الأدوات الحديدية بعناية وبإتقان فائق . أكثرها كتبت عليها آيات وكتابات جميلة . كثير منها مرصع بالجواهر . وكذلك الحال بالنسبة للحاجيات المصنوعة من الجلود والأقمشة التي تستعمل لحفظ الأسلحة كالأجربة والجعب . يدهش المرء عند مشاهدته الجعب (محفظات النبال) المكسوة في خزينة طوبقابو . وأدوات الصيانة كالدروع (بالتركية : جبة ، Cebe) ، المغافر (بالتركية : توكولغا وبلغة الشعب تولغا) ، والتروس ، تعتبر آيات فنيّة رائعة ولدينا نماذج غنية منها منذ العصر 13 . ومن جملة الأسلحة النارية الغدارات (المسدس الذي يحشى بالبارود) والبنادق ، كانت تصنع على أحجام وأنواع مختلفة ، وتوجد أنواع مختلفة من الأسلحة الغارزة والضاربة كالمزراق ، الحربة ، البلطة (ضرب من الفئوس) ، والبلطة ذات المزراق التي تسمى « طبر » ويضاف إلى ذلك أنواع أخرى إليها كالششبر (كرة ذات 6 قطع تستعمل في القتال) والكرة الحديدية ذات المقبض (بالتركية = طوبوز) . إن نماذج الصفائح ، السيوف المعقوفة القصيرة ، السكاكين ، السكاكين الطويلة والسكاكين الصغيرة ، تشاهد بدهشة كبيرة ، ولكن أرق أنواع التفنن تشاهدها في **الخنجر** المعكوف **والسكين والسيف** . وكل هذه من خناجر وسيوف مرصعة نجدها في خزينة طوبقابو .

18 – صناعة القوارب :

اشتهرت القطع البحرية ، السفن والزوارق التركية بأنها آيات فنيّة كذلك . إن زوارق السلطنة والزوارق الرسمية الخاصة ، وزوارق طراز بوغاز إيجي ذات المجدافين ، لفتت أنظار جميع السياح بطرافتها . أمكن الاحتفاظ بنماذج نادرة منها في المتحف البحري . لا نجد في عصرنا زوارق عثمانية من طراز بوغاز إيجي ، لا تستعمل . وللتعرف على مشاهير أساتذة صناعة الزوارق طراز بوغاز إيجي في النصف الثاني من العصر 19

انظر (Istanbul Ansiklopedisi, 3, 652, 1,1) .

19 – الموسيقى :

الموسيقى الكلاسيكية والشعبية والتصوفيّة العثمانية غنية جدًا . إن العثماني شديد التعلق بالموسيقى « يحتمل ألا يوجد أبدًا شعب على وجه الأرض يعشق الموسيقى كالأتراك »
(il n'y a peut - ètre aucun peuple surla terre qui soit plus passionè qu eux pour la musique) (d'Ohsson, IV, 414) .

تنقسم الموسيقى إلى الفروع التالية :

1 – الموسيقى الشعبية : توجد موسيقى شعبية خالصة ، إلا أن الموسيقى الشعبية المتأثرة من موسيقى المدينة ، هي أكثر انتشارًا وأجمل . لها ميزات خاصة نسبة لكل منطقة . موسيقى الساز (الآلية) قليلة . الموسيقى اللفظية أكثر . تستعمل مقامات وأصول الموسيقى الكلاسيكية نفسها ، ولكن في إطار أضيق وبأسلوب أبسط . أغنى نماذج هذا النوع نجده في أغاني روملي وأغاني إستانبول الشعبية .

2 – الموسيقى الدينية : تنقسم إلى قسمين : موسيقى الجامع والموسيقى التصوفية أو موسيقى الطرق (التكايا) . لا تستعمل آلات الساز في موسيقى المساجد ، تستعمل الأنغام الصوتية فقط . وعلى رأسها تلاوة **القرآن** . يجب على كل حافظ أن يكون قد أتقن الموسيقى أولا بصورة تامة . إن تلاوة القرآن على المقامات التركية ، مرغوب فيها ومقبولة كما هي الحال في كتابة **القرآن** بيد الخطاطين الأتراك . **والمولد** ، هو موسيقى مسجدية أخرى خاصة بالأتراك . يطلب الأتراك تلاوة المولد النبوي في كل مناسبة . والمولد قصيدة منظومة طويلة ومؤثرة جدًا نظمت على طراز المثنوي عن حياة الرسول ﷺ في بورصة في السنوات الأولى من العصر 15 من قبل سليمان جلبي . يتلى المولد بأنغام وبمراسم خاصة ، في المساجد أو في البيوت .

تجرى الموسيقى التصوفية ، بتلحين الأشعار المنظومة لشعراء التصوف وعلى رأسهم يونس أمرة . إن شكله (Form) الرئيسي ، هو الغناء الديني الذي يسمى « إلّهي » ، وإن كانت المنظومة عربية تسمى « شغل » . وتوجد أشكال أخرى أيضًا إن الموسيقى

المولويّة ، تشكل أكبر شعبة من شعب الموسيقى التصوفية . تتلى في مراسم المولوية التي تسمى « مقابلة » منظومة ملحنة طويلة جدًا ، تسمى « آيين شريف » (المراسم الشريفة) وتكون على العموم تلحينات من أبيات مولانا الفارسية . تشترك هيئة الساز (الموسيقى) أيضًا مع الموسيقى التصوفية . مثلاً ، الناي ، هو الآلة الموسيقية المقدسة لدى المولويين . وتوجد كذلك موسيقى الساز . لكن الموسيقى اللفظيّة تشكل الناحية الأساسية .

3 – الموسيقى غير الدينية (pro fane) : موسيقى كلاسيكية . وتنقسم إلى قسمين موسيقى الساز (الآلة) والموسيقى اللفظية ، الثانية أغنى بكثير . وتقسم الموسيقى اللفظية إلى قسمين « الأغاني الصغيرة » (وشكلها الرئيسي الأغنية المسماة « شرقي ») و « الأغاني الكبيرة » . إن « الأغاني اللفظية ذات الشكل الكبير » تشكل القطع الأكثر كلاسيكية (كار ، بسته ، سماعي) .

4 – الموسيقى العسكرية : وهي موسيقى المهتر .

« الساز التركي » هو الطنبور الكمنجة والناي . أخذ العود والكمان عن العرب والسنطور عن الفرس ، دخل إلى الموسيقى التركية وخرج منها في فترات ، وتوجد آلات أخرى كثيرة . ومنذ أكثر من عصر واحد ، استعملت آلات موسيقية غربية عديدة وعلى رأسها الكمان .

أشهر الملحنين العثمانيين النوابغ هم خواجه عبد القادر مراغي (1360? - 1435) ، شيخ عبد العلي أفندي (وفاته 1575?) ، خطيب ذاكري حسن أفندي (1545? - 1623) ، غازي كيراي خان الثاني (1554 - 1608) ، حافظ بوست (1630? - 1694) ، شيخ علي شيروغي أفندي (1635? - 1714) ، رجب جلبي (وفاته 1701) ، بخاري – زاده مصطفى أطري أفندي (1640? - 1712) ، قطبي نايي شيخ عثمان ده ده (1652? - 1730) ، طنبوري مصطفى جاووش (وفاته 1745?) ، أبو بكر أغا (1685? - 1759) ، طبعي مصطفى أفندي (1705? - 1765) ، حاجي سعد الله أغا (وفاته 1801) ، كوجوك محمد أغا (وفاته 1800?) ، السلطان سليم الثالث (1761 - 1808) . حمّامي – زاده إسماعيل ده ده أفندي (1778 - 1846) ، دلّال – زاده

إسماعيل افندي (1797 - 1869) ، طنبوري عثمان بك (1816 - 1885) ، زكائي ده ده (1825 - 1897) ، حاجي عارف بك (1831 - 1885) ، طنبوري علي أفندي (- 1902 1836) ، شوقي بك (1860 - 1891) ، رحمي بك (1865 - 1924) ، إسماعيل حقي بك (1866 - 1927) ، طنبوري جميل بك (1871 - 1916) ، سعد الدين آريل Arel (1880 - 1955) - أكبر علماء الموسيقى (موزيكو لوغ) عبد القادر مراغي ، الدكتور صبحي أزكي (1869 - 1962) وآريل . إلا أن علم الموسيقى (موزيكولوجي) ، يستند على سيف الدين عبد المؤمن عمروي (1224? - 1294) .

وأهم الملحنين في هذه القائمة هم أطري ، ده ده ، عارف بك ، جميل بك وآريل . عبد القادر ليس عثمانيًا ، هو آذرى (نسبة إلى أذربيجان) كان يروح ويغدو إلى العثمانية ويهدى قطعة الموسيقية إلى البادشاه ، عاش في السرايات التركية في تبريز ، بغداد ، سمرقند ، هرات . لحن أشعارًا فارسية ، منظوماته العربية والفارسية قليلة . إن أطرى وده ده ، من أكبر أساتذة التلحين ، الأول بالنسبة للمدرسة الكلاسيكية ، والثاني بالنسبة للمدرسة النيوكلاسيكية . عارف بك ملحن كبير في شكل « شرقي » وهو الموسيقي الذي فتح دور الرومنطيقية . أما جميل فهو أكبر طنبوري وعازف على الكمنجة وملحن أغاني الساز الكبيرة . آريل أعظم أستاذ تلحين للمدرسة الحديثة وأكبر أستاذ تلحين في الموسيقى التصوفية وموسيقى الساز .

إن أكثر من نصف المقامات الموسيقية الحالية من اختراع العثمانيين . والمقامات الأخرى أخذت عن السلجوقيين .

والرقص الشعبي العثماني ، والرقص الديني (خاصة سماع المولويّة) والرقص الكلاسيكي ، غني جدًا وجذاب للغاية .



المبحث السادس عشر

الحياة المعنوية والمادية
التاريخ الاجتماعي والاقتصادي



1 ـ أخلاق وسجايا العثمانية :

ما السمات والخصائص الأخلاقية التي اشتركت في تكوين العثمانية ؟ ؛ للإجابة عن ذلك ، أفضل تقديم الخطوط المميزة للناحية الأخلاقية العثمانية عن الكتّاب الأوروبيين في العهود المختلفة ، باعتبارهم مشاهدين محايدين .

شعور **حب الوطن** لدى العثمانية مبني على قدسية مفاهيم الدين ، الدولة ، البادشاه ، العائلة ، الشرف . أى شيء يمكن التضحية به في سبيل عدم الإخلال بهذه المفاهيم وصيانة بقاء الدولة وإن أدى ذلك إلى الاستشهاد . ضحى الذين لم يتمكنوا من نيل مرتبة الشهادة ، بأموالهم ؛ ومن أمثلة ذلك القاضي جابان أوغلو عبد الفتاح أفندي الذي صار فيما بعد قاضيعسكر ، فقد وهب ثروته العائلية البالغة 18 ألف ليرة ذهب . في حرب الحياة والموت تجاه الروس عام 1829 قائلاً « يكفيني الراتب الذي تقدمه الدولة » (لطفي ، 2 ,58) .

الشعور بالاستعلاء (بالفرنسية : Complexe de supèriorcté) واضح لدى العثماني . لا يشك لحظة في كونه من رعايا أشرف دولة .

العثماني مشهور **بوقاره** ، العثماني جاد ، متأن ومتواضع . ليس هناك تعارض بين التواضع والشعور بالعظمة ، « يندر أن يضحك الأتراك . كلامهم جاد . يتكلمون باقتضاب . ويرغبون في أن يكلمهم المخاطب باقتضاب » (**L'Elat Militaire de l'Empire Ottoman, Kont Marsigli** ، لاهاي 1732 ,1 ,142) .

العثمانيون شعب وقور ، خلوق ومهذب . لا يهمل العثماني أبدًا قواعد الأخلاق والمجاملة . يشاهد الوقار جليًا في جميع حركاتهم مهما كانت طبقاتهم الاجتماعية . يحبون السكينة والهدوء . لا يزعجون أحدًا ، ولا يستسيغون من يزعجهم . قليلو الهياج وقليلو الفضول . لا تشاهد في المدن العثمانية التزاحم في الشوارع لحاجة ما ، أو مطاردة شخص لآخر ، أو الخروج عن الطور المعتاد (d'Ohsson, 4, 356, 370, 402 - 3 ») .

الأتراك شعب رزين ، مفكر ، وقور ، مجامل ، ذو مهابة . ينفر من الصخب والصياح ، تروقهم جدا السكينة ، ينامون في وقت مبكر وينهضون للصلاة قبل طلوع الشمس « Etat Actuel de la. Thornton Turquie ، باريس 1812 ,2 ,226 ,311 ,314) .

الأتراك شعب جاد وقور ، لا يتفاخرون ، ويستغربون من المتفاخرين . شعب حسن الطلعة ، طويل القامة . نظيف . يشربون الماء فقط . إن أرباب العمل الأتراك ، بعيدون تمامًا عن ضوضاء جماعتنا ، أناس لطفاء . كل مشغول بعمله ، لا يتدخل في عمل غيره . ذوو جلد وصبر أمام المصائب والشدائد » (Ubicini ,1855 ، 288 ,342) .

« يلعب الأطفال الأتراك في الشوارع بهدوء ، لا يبكون ، ولا يسبّبون الصخب ولا يصرخون » (Neuf, A. Brayer Annèes a Constantinople ، باريس 1836 ,224- 5) .

« إن احترام الآباء لدى الأتراك مهم إلى درجة كبيرة ، لا يجلسون أمام آبائهم دون استئذان . يعتبر كلام الأب أمرًا قاطعًا » (Amèdèe Jaubert Voyage ، باريس 1821 ,298 - 9) .

إن **رقة ودماثة أخلاق** العثماني مشهورة « إن الأتراك خلوقون إلى درجة قصوى ويراعون القواعد الأخلاقية بدقّة . إن القواعد التي يراعونها ، ليست أدنى من القواعد المرعية في أى قطر مدني في العالم ، خاصة معاملة وطراز مخاطبة منتسبي السراي بعضهم لبعض ، تجري بأقصى ما يمكن أن يتصور على وجه الأرض من الدقة في القواعد الأخلاقية وقواعد المجاملة » (,97 ,100 Lord Ricaut ,1677 ,1) .

« تشكّل الأخلاق العالية والرقيقة التي يتعامل بها في السراي ، الأساس في كل معاملة . إن الخادم أو البنت الخادمة التي تقوم بأبسط الأعمال ، تدرّب على هذا الأساس » (زياد أبو الضياء ، 2 ,261) .

« لا يمكن مشاهدة أى أثر للخشونة في تركيا ، اللطف والرقة يلفتان النظر في كل مكان » (Histoire, Prens Demetrius Cantemir de L'Empire Othoman ، باريس 1743 ,1 ,178) .

« لايصق الأتراك أبدًا على الأرض » (Marsigli ، 1732 ,1 ,37) .

« يجب أن تكون معاملة الأتراك لنا نحن النساء نموذجًا لجميع الأقطار . لا يمكن أن يحط من شأن المرأة أبدًا في الشارع » (Lady Craven ,Vayage a Constantinople ، باريس 1789 ,201) .

« يعتبر التواضع الزائد بالنسبة للأتراك تملقًا ومنافيًا للوقار ، لكن عدم الاحترام نقيصة أكبر (Moeurs et Usages des Turcs ، باريس 1746 ,1 ,393) .

« الأتراك محبوبون ، غير متكلفين ، مخلصون ، لطفاء ، ليس لديهم تصنّع أبدًا في حركاتهم . ظاهرهم كباطنهم . ولاكتسابهم هذه الأخلاق فإنهم لا يستغربون أبدًا عند ارتقاء الشخص المتواضع النشأة مراتب عالية جدًا كما يشاهد ذلك في أحوال كثيرة . الشخص الذي يرى الآخر أولاً هو الذي يبدأ بالتحية . الكبير يحيّي الصغير بسلام بسيط ، والصغير يحيي الكبير باحترام زائد . اللغة التركية مليئة جدًا بتعابير الرقة والمجاملة الزائدة » (d'Ohsson ,4 ,367 - 7) .

« إن الرقة في تركية متأصلة في طبيعة شعبها ، والمجاملة المتكلفة لا تعرف . إن الرقّة في تركية خلق فطرى . إن التركي مجتهد هادىء ، نظيف ، أنيق الملبس . لغتهم منطقية وموسيقية . إن امتزاج المقطع الطويل بين المقاطع القصيرة في اللغة التركية ، يجعل وقعها على الأذن كالموسيقى . لغة ممتازة . شخص واحد يتكلم ، والبقية تستمع . إن الغيبة والفرية عيب وخطيئة . مجالسهم هادئة ونزيهة . يستمعون الموسيقى بهدوء ، ويشاهدون الرقص بسكون ، لا يشاهد أثر للضوضاء الموجودة في مجالسنا المماثلة لها .Neuf, A Brayer Annèes à Constantinople ، 1836 ,1 ,293 - 5) .

« الأتراك أرق وأنبل قوم في الكون . هم أناس ظرفاء ومجاملون بأصالة » (Ubicini ، 1855 ,144) .

« التركي ، سواء كان بائعًا في الشارع أم وزيرًا ، رزين، وقور بصورة توحي بالعظمة . إن أخلاقهم متأصلة إلى درجة لا يمكن معها التفريق بين الباشا ورجل الشارع إلا من لباسه . وإن مرّ أوروبي ينظرون إليه بطرف أعينهم برقّة ولا يحرجونه بالنظر إليه .

وعندما يدخل الأوروبيون مساجدهم لزيارتها لا يلتفتون إليهم أبدًا . يعتبر إشغال الشارع أو المخزن أكثر من اللزوم عيبًا . لا يرتكبون الفاحشة . (Constantinople, Edmondo da Amicis ، 1883 ,415 ,420) .

إن السلطانات الأميرات الإمبراطوريات العثمانيات بنات البادشاه ، لا يغطين وجوههن . يتكلمن وهن مكشوفات الوجه حتى مع الرجال الأوروبيين . إن غطاء الوجه الذي يضعنه على وجوههن شفّاف . يمكن مشاهدة وجوههن من خلاله . جميع النساء الأخريات يغطين وجوههن » (Castellen, Lettres, 1811, 2, 226) .

يعتبر الكبر والغرور عيبًا ونقيصة . وخاصة إن بدرت بوادر التكبر من الشخص الذي يشغل مقامًا رفيعًا ، فإن ذلك يعتبر رذالة . وبالأساس فإنهم طبيعيون بالفطرة متواضعون . يهتف ضباط التشريفات في الاحتفالات الرسمية علنًا وأمام البادشاه بهذه الجملة : « مغرور أو لما بادشاهم سندن بيوك الله وار » (لا يصيبنك الغرور أيها السلطان ، الله أكبر منك) . يعتبر الكبر والغرور ، من خصال الشيطان » (Brayer ، 836, 198 - 9) .

ومن العناصر الأساسية في الشخصية التركية **احترام الكبير والشفقة على الصغير** . يقف خلف هذه العناصر أمور ثلاثة : العمر ، المقام ، والثروة ؛ الشاب يحترم المسن ، والأدنى يحترم الأعلى ، والفقير يحترم الغني ، والشفقة متبادلة بالتسلسل نفسه . « يندر أن يجد المرء في المجتمع التركي ولدًا [illegible] على طور الأخلاق وارتكب ما يخجل . احترام الأب والأم مهم جدًا . يحترم أمر [illegible] العائلة » (Guer, 1746, 1, 374) .

« يظهر حب الأولاد بشكل بارز لدى الرجال ولدى النساء » (Brayer ، 1836, 1, 224) .

« لا تحترم الشيخوخة في أي مكان كما تحترم في تركية . لا أعرف بلدًا يربي أولاده بشفقة واهتمام يفوقهم . يشاهد في الطريق كثير من الآباء الذين يسيرون وهم يحملون أطفالهم على أكتافهم وفي أحضانهم خشية إرهاقهم . لكن الولد عندما يكبر ، يظهر لأبيه احترامًا كبيرًا . لا يجلس إلا إذا أمر أبوه . لا يخاطب أباه بمجرد كلمة « بابا » وإنما

يخاطبه بها مقرونة برتبة أبيه مثل « أفندي بابا » ، « أغا بابا » « بك بابا » ، « باشا بابا » . الأخ الصغير يحترم الأخ الأكبر . لا يخاطب الأخ الكبير أبدًا باسمه . وتخاطب بكلمة « أبله » إن كانت أختًا و « أغا بك » إن كان أخًا ، وهذه الكلمات مجهولة في لغتنا . يخاطب الأب ابنه باسمه المجرد ولو كان صدرًا أعظم . تنتقل إدارة العائلة بعد وفاة الأب إلى الابن الأكبر » (Ubicini, 1855, 343, 284 - 6) .

الإخلاص واجب بالنسبة للعثماني . **والوفاء** من أبرز الصفات الإنسانية . الذي لا يخلص خائن . والعاري من الوفاء لا يعتبر حتى إنسانًا ، بل أدنى من الحيوان . « لا يخلف الأتراك وعودهم التي قطعوها ، ويوفون بقسمهم بصورة أكيدة » (Comte de Bonneval ، **Anecdoles,** 1740, 1, 24) .

أيضًا من أبرز صفات العثماني **حب الخير** ، إن المؤسسات الخيرية التي غمروا بها أرجاء الإمبراطورية التي تسيطر على قارات هي شواهد حية على حبهم الخير وأعمال الخير التي تجري سرًا ، لا يعلمها إلاّ الله . « الأتراك ، قوم محبون جدًا للخير . لا يوجد زقاق بدون حنفية . كلها أعمال خيرية في سبيل الله . وضعوا حنفيات في القرى ، على الطرق العامة ، وحتى في الصحاري » (الراهب الأرمني Simeon ، 1608 ، ص 27) .

« إن الحديقة العظمى لسراي قبطان دريا (قائد القوات البحرية ، مشير البحر) جزائرلي غازي حسن باشا مفتوحة للشعب ، تسرّه زيارة الشعب لحديقته ومشاهدتهم للورد » (General Mironda, 1786 ، ص 44) .

« حللت في منزل (كروانسراي) تركي . مكثت فيه ثلاثة أيام أكلت وشربت بحانًا . كانوا يضيّفون المسيحيين أيضًا كما يضيّفون الأتراك (المسلمين) » (Villamont ، 1596, 227 ب) .

« كانت هناك مؤسسات خيرية خاصة بالحيوانات كذلك . لا يوجد مجال لعمل الخير لم يفكروا فيه . ومع الأسف ، فإن ثروة كهذه لم تصرف لدين صحيح » (Les **Voyages, Du Loir** ، باريس 1654, 189 - 90) .

« آغنياء الأتراك ينفقون صدقات وافرة يبحثون عن الفقراء المتعففين الذين لا يصرّحون بفقرهم ويتصدقون عليهم . يسرهم بشكل خاص مساعدة هؤلاء . يسدّدون ديون المدينين . يهتمون بجيرانهم المعدمين . لا يسمحون أبدًا بإلحاق الأذى بالحيوان . هناك من أوقف وقفيات لأجل الكلاب والقطط » (**Reltion d'Un Voyage Fait au Levant,** de Thevenot ، 1665 ,95 - 7) .

« يوجد في إستانبول نحو 100 مستشفى ضخم كامل التشكيلات ، 417 منزلا ، خان ومطبخ عمومي للمسافرين ، 5 935 سبيل مياه . كل هذه أعمال خيرية » (Grelot ، 1680 ,293 - 4) .

كل الجوامع ، المطابخ العمومية (عمارات)، المستشفيات ، مستشفيات الأمراض العقلية ، المدارس (الدينية) ، تأسيسات المياه ، السبيل (توزيع المياه مجانًا) — آثار خيرية أسسها الأغنياء . لم تؤسس الدولة ولا واحدة منها » (**Memoires,** de la Croix ، 1684 ,1 ,128 , 132 ,132) .

« لا تجد تقريبًا السائل والمتسول » (**Voyages,** de la Montraye ، 263 , 1 , 1727) .

« يكرم الرعاة المعدمون المسافرون في الجبال ، ولا يدفعون شيئًا ؛ يكرم المسافر في القرى العثمانية إكرامًا كبيرًا . أما في المدينة والقصبات فإن هذا الإكرام يصبح شبه رسمي » (Kont Marsigli ,1732 ,134 ,38 - 9) .

« لا يمكن إنكار إقامة الأتراك للمنشآت الخيرية أكثر مما نفعله نحن المسيحيين بكثير . ويستفيد من هذه المنشآت المسيحيون والموسويون كاستفادة المسلمين منها . يستصحب الغني عند ذهابه إلى الحج عدة فقراء ويسدّد جميع مصروفاتهم . هناك كثير من التجار الأتراك الأغنياء جدًا الذين يهتمون بالفقراء ، وهؤلاء يسمونهم « أبو الفقراء » (فقير بابسي) . عرفني القنصل Tordli بتاجر تركي غني جدًا كهذا . كانت سن الرجل 84 عامًا . حجّ 8 مرات ، وكل حجة كلفته 20 ألف ليرة ذهب . كان يزكّي سنويًا بـ 10 آلاف ليرة ذهب . أما الخيرات التي يقدمها فلا تحصى . حصل على إجلال الجميع إلى درجة أن كل الجميع يقبلون حاشية ردائه . كنت أنا ذاهبًا إلى القدس لغرض

الحج . وعندما دعا لي استغربت وعلمت أن الأتراك لا يمارسون التفرقة بين الأديان »
(1 - 60, 2, 8 - 257, 1, 1732 ، Corneille le Bruyn) .

« يبالغ الأتراك في عمل الخير . أولاً ، هم لا يفرقون بين أتباع الأديان المختلفة . ولا ينظرون إلى ماضي الشخص . ويقومون كذلك بالأعمال الخيرية الخاصة بحماية الحيوانات والنباتات . إن موسر المحلة ، يرعى كل المحتاجين الموجودين في تلك المحلة »
(213, 1, 1740 ، Comte de Bonneval) .

« هناك كثير من المعتوهين بين الأتراك الذين يعملون الخير . إن المستشفى الخاص بالقطط والكلاب الموجود في الشام هو إنجاز أحد هؤلاء الذين أصابهم العته »
(221, 1, 1746 ، Guer) .

« هناك مؤسسات أخرى للأتراك تدعو إلى الدهشة وهي المستشفيات ذوات الأبنية الضخمة . تروح وتغدو الهيئات الموسيقية للترفيه عن المرضى في المستشفيات التي تحتوي على حدائق وأحواض **La Lègislation Orientale,** Anquetil Duperron ، أمستردام ، 1778 ، 28) .

« يسكن الأتراك أنفسهم في الأبنية المتواضعة ، إن جميع الأبنية الفخمة التى تشاهد ، هي الأبنية التي منحوها لأغراض خيرية » **Histoire de Turquie, Durdent** ، 1818 ، 466) .

وخصلة أخرى للعثمانيين ، هي **الكرم** . ينفر العثمانيون من الشح . ويحبون الكرم والكريم .

المرحمة والتسامح ، عنصران أساسيان في الأخلاق العثمانية . لا يرحبون بأن يخلو الشخص من المرحمة والتسامح ؛ إذ إن أحدًا لا يصدق أن شخصًا كهذا يحب بني جنسه .

« لا يشاهد التعصّب في تركيا لدى الأتراك ، ويشاهد لدى المسيحيين من رعايا العثمانية » (30 - 29, 1843, Gerard de Nerval) .

« الأتراك أناس طبيعيون على فطرتهم ، صريحون ، حسنو النيّة ، ولو دقّقتم أصل الأشحاء والبخلاء منهم ، لظهر أنهم ليسوا من الأتراك القدامى وأنهم من أصل مسيحي (دوشيرمه) . أما الروم فإنهم مخادعون ، خونة ، وإضافة لذلك فإنهم عرق مغرور » ـ (Du Loir ، 1654 ,166) .

« الأتراك بالنسبة لنا – نحن الأوروبيين – كسالى فاترون ولكنهم يحبون المساعدة ، يشفقون على من ضاقت مواردهم ، ولا يمكن إنكار رقّتهم ولطفهم » (,Voyage Delamarre 1802 ,208 - 9) .

« الأتراك متعصبون لدينهم ، مغرورون ، معجبون بأنفسهم ، حريصون على الدراهم ، مستهزئون بالأجانب . إلا أنهم يملكون مزايا حسنة تجاه نقائصهم هذه ، فهم صبورون ، شجعان ، متفهمون ، يحبون الضيف ، نبلاء » (Amèdèe Jaubert ، 1821 ,315 - 6) .

« إن شعور المرحمة متفوق جدًا لدى الأتراك ، خشيتهم لله هي التي تشكل أساس هذا الشعور . لا يهملون أبدًا تقديم الزكاة ، الصدقة وأعمال الخير . إن خير شعب في معاملة عبيده وخدمه هم الأتراك . يعاملونهم كأنهم من أفراد العائلة . يخافون من الفرية . ويعتقدون أنها من الذنوب الكبائر . يعتبرون قطع الأشجار بلا ضرورة وحشية ، ويعاملون قاطعها بقسوة » (Brayer ,1836 ,1 ,281 - 7) .

« إن الادعاء القائل بأن أخلاق الأتراك القدامى أمتن من أخلاق الأتراك الحاليين (1855) صحيح . لا نشاهد تقريبًا لدى الجدد عدم التكلّف ، الاعتدال ، الوقار ، القناعة ، التديّن ، الاستقامة ، حب الواجب ، هواية صرف الثروة لأعمال الخير ، الموجودة لدى الأتراك القدامى » (Ubicini ,1855 ,322 - 3) .

« لا يمكن إنكار شعور الشفقة الإنسانية ، المرحمة ، الوفاء والاعتدال لدى الأتراك . لكنهم بالغوا في ذلك ، وبذلك سبّبوا العطالة والكسل في المجتمع وبالتالي الفقر . إذ لم يكن أي فقير يخشى من المستقبل . يستمر على تراخيه وكسله موقنا بأنه لن يتركه الموسرون دون طعام ودون ملجأ . إنني أعتقد أن الناحية التي تستحق المدح والتقدير

أكثر من غيرها لدى الأتراك ، هي عدم التفرقة بين الطبقات الاجتماعية كبشر »
. (Amicis ، 1883 ,428) .

سجية أخرى للعثمانيين ، هي **التوكّل** . ورغم أن التوكل مزيّة بصورة أكيدة ، فإنه ينقلب إلى مصيبة إذا تجاوز حدّه . وبالأساس فإن التوكل الزائد يعارض الاعتقاد الماتريدي . إذ إن الإنسان هو مالك لإرادته الجزئية . إن الله ، جل جلاله ، منح هذه الإرادة للإنسان . وترك الأعمال وإحالة النتيجة إلى الله ، هما إلقاء المسئولية على الله واتهامه .

يسرد Sir Adolphus Slade الحادث التالي (ص 112 - 3) : « إن كلمة باقالم (دعنا نرَ) ، كلمة بلا معنى يستعملها الأتراك للتسويف كجواب للتخلص من مسئولية أمورهم الحسنة وغير الحسنة . إن كلمة « باقالم » (لنرَ ما سيحدث ، بالعاميّة : نشوف) التي كان يستعملها رجال الدولة في استانبول ، أفقدت المارشال Kont Sebastiani سفير الإمبراطور نابليون في استانبول أعصابه ، وهو كورسيكي كنابليون . كانت تركيا حينذاك في حالة حرب مع روسيا وانكلترا في ذات الوقت وبسبب ذلك ، كانت حليفة لفرنسا . وفي إحدى المناسبات ، لم يحتمل Sebastiani وقال مخاطبًا سليم الثالث : « يا صاحب الجلالة ، إن للأتراك ثلاثة أعداء أقوى بكثير من الإنكليز والروس » قال البادشاه : « ماذا تعني بذلك؟ لا يمكن أن يكون بالنسبة لنا عدو أكبر من انكلترا وروسيا » . أجاب سباستياني « نعم يا صاحب الجلالة ؛ للأتراك ثلاثة أعداء هم : إن شاء الله ، كريم ، ولنرَ ما سيحدث ! » .

« يؤمن الأتراك بالقدر ، ويخضعون له . لا يوجد تقريبًا تركي واحد لجأ إلى بلد أجنبي . وحتى السلاطين ، لا يقاومون عند خلعهم ويقولون يحصل ما يقدر الله »
. (Castellan ، 1811 ,2 ,229 - 30) .

« يعيش الأتراك عاطلين دون حركة ، لإيمانهم بالقضاء والقدر ، لا يمكنهم الحصول على النتيجة في أي عمل » (Jaubert ,1821 ,317) لكن الوضع في إيران أسوأ . إذ إنهم يؤمنون في إيران بالعلوم الغيبيّة إضافة لذلك ، كالفأل ، السحر ، قراءة المستقبل . توجد هذه الأمور في تركية كذلك ، لكنها تجري لغرض التسلية وقضاء الوقت ، ولا يؤمن

بها بصورة حقيقية » (الكتاب نفسه ، 318) .

« يعيش الأتراك وهم غافلون عن قيمة ومفهوم الزمن . يكثرون الدعاء وينتظرون كل شيء من الله » (424, 1883, de Amicis) .

الشرف ، عنصر آخر من عناصر الأخلاق العثمانية . « إن التجار وأرباب العمل الأتراك شرفاء إلى درجة قصوى . التاجر الرومي وأرباب العمل الروم غشاشون إلى درجة قصوى » (259, 1, 1727, de la Montray) .

« أكثر ما ينفر منه التركي ، الكسب غير المشروع . يستمدون روح أعمالهم من الشرف والاستقامة » (261, 4, 1791, d'Ohsson) .

« لا ضرورة للسند والوثيقة التحريرية بين الأتراك ، كما هي الحال في الشعوب الأخرى . هم أسرى أقوالهم التي لفظوها ووعودهم التي قطعوها . لا تختلف معاملتهم تجاه جميع البشر ، دون تفريق بين الأديان . يخشون جدًا من اغتصاب حق الغير . كل همّهم ، التفريق بين الحلال والحرام » (12 - 309, 4, d'Ohsson) .

« تتدنى نفس أفقر الأتراك إلى السرقة . إن الاستقامة خصلة تشرّف الأتراك » (3 - 222, 2, 1811 ، Castellan) .

« يجهل التجار وذوو المهن الحرة الأتراك ، الحيلة والخداع . يميزون فورًا بهذه الصفة عن الروم والأرمن واليهود » (4 - 323, 1812, Thornton) .

« إن خيانة الأمانة بالنسبة للأتراك أمر جلل . طبقات الشعب مستقيمة جدًا . كان الإنكشارية مصدر انعدام الأخلاق . تمكن محمود الثاني من إعادة الأمن كاملاً بعد سنتين من إزالتهم . إن مهابة السلطان وصلت الآن إلى درجة يمكن معها التجوال بكيس من الذهب في أقصى الأماكن النائية . ومع ذلك فإن الارتشاء كان منتشرًا بين رجال الدولة الكبار » (268, 177, 1, 1829, Mac Farlane) .

« والأطفال كذلك ذوو أخلاق عالية . إن الطفل الذي يعثر على شيء في الشارع ، يبدأ بالبحث عن صاحبه » (247, 2, 1897 **Voyage, Lamartine Crient**) .

الزنا مجهول . يتأهب الكل لترويج البنت والشاب اللذين وصلا إلى سن معيّنة . يعتبر ذلك ثوابًا كبيرًا . لا يجوز للمرأة المسلمة أن تكون زانية بصورة معلنة . الزنا السري نادر ؛ أصيبت به المرأة التركية في 1918 . إن عقوبة هتك العرض هي الإعدام .

القمار نادر . والألعاب كالشطرنج ، الداما ، تلعب بدون ربح . يشاهد في السجلات الشرعية عدم قبول بعض القضاة شهادة الأشخاص الذين يتعاطون المشروبات الكحولية ولاعبي القمار . القمار ممنوع ، وعند التفتيش الفوري تضع الخزينة يدها على الدراهم الموجودة على مائدة القمار (Jaubert 313 ؛ Le Bruyn 434, 1 ؛ Guer ، 394, 1) .

النظافة ، عنصر آخر من سمات شخصية العثماني ، مصدر النظافة هو الإيمان . يقول Jean de Thèvenot الذي زار استانبول وأناضول الغربية عام 1655 ما يلي : « الأتراك عرق معتدل القامة ، ذو جسم متناسب . إن العاهات البدنية التي تشاهد في أوروبا ، مثل العرج وخاصة الحدب قليلة جدًا . لم يضرب المثل الذي في لغتنا (الفرنسية) « قوى كالأتراك » عبثًا . هم أناس أصحاء البدن ، أقوياء وذوو عمر مديد . يمرضون قليلاً . يعتنون بمرضاهم في بيوتهم باهتمام بالغ . لا يملئون بطونهم حتى التخمة ، أكلهم معتدل ، لا يأكلون أنواعًا متعددة من الطعام في وجبة واحدة ، يغسلون جسمهم بكثرة ، يندر شربهم الشراب . كثير من الأمراض الموجودة في أوروبا ليست موجودة لديهم ، مثلاً « أحجار الكلى » « المرافق الصحية للأتراك نظيفة جدًا » (Mirando ,64) .

« أنظف بشر في العالم » (Belon ,2 ,199) .

« يغسلون أيديهم وأفواههم قبل وبعد الطعام بصورة أكيدة » (Ricout ، 285) .

« المطبخ التركي نظيف جدًا . لا يتحملون حتى أبسط الأوساخ . أدوات موائدهم تلمع وتشع نظافة » (Travenier ,1678 ,77 - 8 ,117) .

« إن مجموع عدد المعوقين والمصابين بتشويهات جسمانية الذين صادفتهم في مدينة أوروبية كبيرة واحدة ، لم أصادف بقدر عددهم في أنحاء الإمبراطورية التركية كلها .

يأكلون قليلاً ويغتسلون كثيرًا . وأعتقد أنهم لهذا السبب لا يمرضون إلا قليلاً . إن نساءهم يظهرن بملابسهن الطويلة ، طويلات القامة بشكل فخم (422, 1, 1732, Le Bruyn) .

« إن نظافة بيت أفقر القرويين الأتراك ، تدعو إلى الدهشة . المستشفيات التركية ، أنظف بكثير من المستشفيات الأوروبية . يعيش الأتراك حياتهم هذه منذ عصور . أما النظافة لدينا . فلم تبدأ إلا قبل نصف عصر » (Neuf Annèes à Constantinobe, Dr, A, Brayer ، باريس 1836 ,335 - 8) .

« البصق على الأرض عادة إفرنجية وهي من العادات التي تثير الاستغراب لدى الأتراك ، إذ إن التركي يخرج منديله ويبصق » (جودت ، 7 ,115) .

حب الحيوانات والنبات ، من خصال العثماني التي لا يمكن أن يستغني عنها . وقد توصلوا في تربية الحيوان والنبات إلى مراحل متقدمة . يستخرجون الأفراخ الصناعية بدفن البيضة (134, Busbecq) .

« يؤتى بالشخص الذي يصيب الحيوان أمام القاضي ، ومن الطبيعي أن يعترض الكل على عمله مسبقًا » (6 - 145, Busbecg) .

« الأشجار ، وخاصة التي مرت عليها عصور ، تلقى اهتمامًا كبيرًا » (Baron de Tott 1 ,39) .

تقدم الأزهار للمرضى (نعيما ، 5 ,48) . يوجد العديد من مخازن الأزهار والحيوانات . كان ف أواسط العصر 17 ، في إستانبول فقط 500 مخزن تقريبًا لبيع الطيور المغردة فقط » (أولياء ، 1 ,585 ,587) .

كانت في إسكدار مستشفى للقطط (فون مولتكه ، 1837 ,80 - 1 ,261) .

« يشاهد وزراء عظام يطعمون قططهم وحتى قطط الشوارع بأيديهم » (Du Loir ، 1654 ,192 - 3) .

« إن عدم إيذاء الحيوان ، مؤمن تحت حماية القانون (المحامي Guer ، 1746 ,1 ,369) .

« يعتبر قتل الحيوانات التي لا يؤكل لحمها ، وحشية (d'Ohsson 307, 4,1791 - 9) .

« لم تشاهد حالة داء الكلب في تركية » (Thrornton 287, 1812, - 9) .

« تنعدم تقريبًا في المجتمع العثماني حوادث الانتحار المتفشية في أوروبا بكثرة » (Dr. Brayer 302, 1836,) .

« يوجد نظام إخلاء المحكومين بكفالة مشروطة وبيمين الندامة » (Topkap'i Sarayi Arsivi ، E 10, 422) ولكن إذا تكرر الذنب ، تضاعف العقوبة بشكل متزايد .

كانت العدالة الاجتماعية قائمة بشكل جيد . يشيد فولتير في العصر 18 بالبادشاه التركي وتمكنه من إدارة 20 ملّة ذات 20 ديانة ومذهبا مختلفا والسماحة التي يبديها لهم ، ويقدم ذلك إلى الحكام الأوروبيين ومليكه هو كمثل يقتدى به .

كتب Porter سفير إنكلترا في استانبول في النصف الثاني من العصر 18 ، إن أكمل استقرار في العالم ، متوافر في الدولة العثمانية ، وإن تشكيلات أية دولة ، ليست أحسن من تشكيلاتها : « لا تشاهد في المجتمع العثماني حوادث وحشية تقشعر لها البشرية وتخجل وتخل بالشرف الإنساني ، كالتي تشاهد في الأقطار الأخرى » (d'Ohsson ، 4 ,473) .

« الطبقة الوسطى قوية جدًا وذات خلق قويم ، هؤلاء ، هم الأتراك الحقيقيون . تبدأ المؤامرات بين الطبقة العليا » (Thornton 323, 2, 1812, - 4) .

« العثمانيون ، مجتمع فخم » (Voyagaurs'Lorga ,14) .

« لا يجبر الأتراك أحدًا على أن يعيش على الأصول التركية ، يسمحون للجميع بأن يعيشوا وفق أعرافهم ولا يعارضون ذلك » **(Les Turcs ne Contraignent Personne à vivre à la mode Turquoise. Ils souffrent et Permettent chaseun vivre en saloy) (Geuffroy, II, 180).**

« وعند استيلائهم على إحدى القلاع أو القصور ، لا يخربون أبدًا أي شيء وبضمنها

التصاوير ويتركون كل شيء كما هو تمامًا (Les Turcs ont tousiouvs en ceste costume que, quelque chasteau ou fortresse qu'ilz aient iamais pris, est demeurè mesme estat en quoy ilz l'ont trouvè, car ilz ne demolissent iamais rien des eddifices et en graveures) (belon, 90) ، والشهادتان الأخيرتان تعودان إلى العصر 16 .

« إن التربح ، الاحتكار ، القمار تعتبر خطايا كبيرة بالنسبة للأتراك . يجول الحراس الليليون وبأيديهم عصي فقط . لا يجوز للعسكريين حمل السيف داخل المدينة . لا يحدث شجار ، وإن حدث ، يتدخل فورًا ، أول الذين يشاهدونه ، ومن غير الممكن أن يدوم الشجار ، يحل الخلاف فورًا . يجلّون سلطانهم ويحبونه بإخلاص كبير . لا يُتصور أن تركيًا لايخلص لسلطانه » (Thevenot ,1665 ,111 - 2) .

كان العرف ساريًا وكأنه قانون . أسست أرملة أحد الباشوات المسماة أمينة خانم ، علاقة جنسية مع خادمها . كان ابن السيدة الكبير ، كاتبا في غرفة الترجمة في الباب العالي والصغير طالبًا في مكتب الرشدية (المتوسطة) . ذاع الخبر ، انتقلت الدعوى إلى محكمة الجنايات العلمانية ، حكمت المحكمة بمنع الابنين الشابين من الدخول إلى الوظائف الحكومية مدى الحياة ، وحرمانهما من تمثيل الدولة في أي مجال ، وإن سكوتهما على وضع والدتهما رغم معرفتهما ذلك ، يعتبر تحديًا للأعراف والعادات العثمانية . صادق عبد المجيد الأول على هذا القرار الذي لا يستند على أية مادة قانونية ، دون أى تغيير (Istanbul Ansiklopedisi و ,5068 ب) .

لا شك أن قرائي المحترمين قد أدركوا أن كلمة « ترك » التي استعملها السائحون والمشاهدون الغربيون في المقتطفات آنفة الذكر ، تعني في كثير من الأماكن « عثماني » ، وحتى « مسلم » فقط . إن استعمال الأوربيين لكلمة « ترك » بمعنى « مسلم » كان دارجًا . ويجب ملاحظة أن تعبير « أصبح تركيًا » الذي يمر في بحوث أوروبية قديمة كثيرة ، تعني « أصبح مسلمًا ، اهتدى » . ولا تستعمل بالنسبة للمجتمع العثماني فقط ، واستعملت كذلك بالنسبة للمجتمعات الآسيوية الإسلامية الأخرى الموجودة خارج العثمانية .

2 ـ اضمحلال السجايا العثمانية :

يقول كاتب جلبي ، أكبر عالم ومفكّر في العصر 17 ، في نهاية كتابه **تقويم التواريخ** ما يلي : « إن علامة شيخوخة المرء هي بياض الشعر واللحية . وعلامات شيخوخة الدولة ، هي تهافت رجالها إلى السلطة والزينة ، وهذا دليل الانحطاط » .

تأتي هذه الفترة ، بعد فترة التوقف . تزداد الرغبة بشكل كبير فى الزينة ، الرفه ورغد العيش . يهجرون طراز الحياة السابق ، ويستولي عليهم الصراع على السلطة والمكانة ، ويستشري توزيع الألقاب على الجميع دون جدارة أو استحقاق فعلي . تبدأ طبقة الشعب الوسطى بالخروج عن طورها إلى درجة تقليد السلاطين في سكناهم وملبسهم . ويصبح الأنس ، الراحة ، الطرب والرفة أعرافًا وعادات لا يستغنى عنها ، وتكون من الأمور الطبيعية . الكل يدعي حقًا في هذه النعم . الجنود ، لا يصبرون على صعاب الحرب ويطلبون الصلح والسكون . لا أحد يمد يده في أمور البلد التي يكون فيها مشقة . ويفقد الجيش الذي سحب يده من الحرب ، اعتباره لدى الشعب .

لا نرى تقريبًا في العهود المتأخرة ، الحيوية العثمانية السابقة ، والسياسة العالمية التي دوّخت القارات . انسحب الجميع ، كل إلى معقله ، شلّت الحيوية . « لم يعد الأتراك يشعرون بالرغبة في زيارة الأقطار الأخرى ومشاهدتها . لذا لم يتمكنوا من إيجاد الحلول لكثير من مشاكلهم . وصلت الدولة إلى الوضع الذي أصبح فيه البادشاه (محمود الثاني) يضحي بنفسه في سبيل إنقاذ ولو قسم من أمور الدولة الجوهرية . رجال الدولة ، لا يقدرون على السير على نهجه » (Amiral Slade, 137, 204) .

تضعضعت الطبقة الوسطى التركية في الربع الأول من العصر 20 بشكل واسع . كان للإمبراطورية جناحان ولا يمكن الطيران إلاّ بجناحين : روملي وعلى نطاق واسع الأناضول (آسي) . اقتطع نصف جناح روملي في 1878 ونصفه الآخر في 1913 . انسحب أتراك روملي من الأدرياتيك والطونه إلى مريج تاركين ثرواته والأراضي التي كانت تحت تصرفهم منذ 500 عام . من كان يدري أنه ستحدث في هذه المرة مصيبة أكبر وتشمل الأناضول كذلك ؟ بدأت هذه المصيبة بعد سنتين وأكتملت بعد أربع سنوات من بدايتها . وحتى الحرب العالمية (1914 - 18) ، زالت الطبقة الوسطى العثمانية وكذلك القرى ولم يبق رب عمل من الطبقة المتوسطة له دار واحدة في المدينة ،

وعدة رؤوس من الماشية ، يعيش عيشة متواضعة دون أن يحتاج إلى أحد . اختلت بشكل مخيف الطبقة الوسطى التي اعتادت معيشة مرفهة شريفة دون إسراف ، أما الطبقة العليا ، فقد تقوضت بشكل تام تقريبًا . لم يبق إعمار ولا صناعة . استمر تضخم العملة . عمدت القوى الخارجية إلى خفض سعر الليرة التركية ، لاستغلال مواد تركيا الخام بسعر بخس . وكان التوازن النقدي بين العملة الذهبية والورقية قد زال منذ عهد بعيد . الموظف الذي كان يتقاضى راتبه بالعملة الذهبية ، أصبح يتسلمه بالعملة الورقية ، وصار فريسة للتضخّم . اختل نظام التعليم . وفي نفير عام 1914 ، تم وضع اليد على جميع مواشي القرويين بدون تعويض . تركت بقرتان وفرسان في القرى التركية العظيمة الواسعة . أكثرية المواشي التي جمعت ، بقيت بأيدي من جمعها . وتكونت الطبقة الفظيعة التي تسمى أغنياء الحرب ، أعقب ذلك القضاء على الشعب إلى درجة أن الجيش القوي الذي تمكن من لم شعثه ، أتلف في ثلوج صاري قامش ، في شبه جزيرة غاليبولي ، في قناة السويس ، في صحاري الجزيرة العربية ، في مستنقعات غاليجا وفي جبال القفقاس . استشهاد كل جندي تركي ، يعني موت 5 أفراد من عائلته ، المرأة والشيخ المسن والأطفال الموجودين في الداخل بسبب الجوع والمرض وعدم العناية . كانت الأخلاق العثمانية قد دمّرت كذلك ، مع اختلال الاقتصاد والميزان الاجتماعي التركي منذ 1914 وقبل دخولها الحرب . سحب الأتراك الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 50 من حقولهم وأعمالهم وبيوتهم وسيقوا إلى الجبهة . أدخل الذين لا يستطيعون القتال في سرايا العمل وأرسلوا للعمل في سكك حديد أنقرة – سيواس ، قدس – غزة ، في أنفاق طوروس والأماكن المشابهة .

3 – طبقات الشعب :

يأتي المتسوّلون في نهاية الطبقات الاجتماعية . « إن كان هناك تسوّل ، فليس بالمعنى الذي نعنيه في الغرب . هم الزمرة التي كانت تأكل في المطابخ العامة (عمارت) وفي القصور مجانًا والتي تقبل الصدقة . إن مستوى حياة الإستانبولي ، كان أرقى من مستوى حياة الباريسي واللندني . حتى أنه لم يكن هناك لزوم بالمعنى الصحيح للكفاح في الحياة

في إستانبول . إن كل إستانبولي كان مطمئنًا لمستقبل حياته » (Robert Mantran Levant DeshayesCormenn, Voyage de ، 1624 ,110)(, 158) لا يوجد بين الأتراك متسوّل علني

« لم أشاهد ولا سائلاً واحدًا » (De la Montraye ,1727 ,1 ,263) .

« ناهيك عن التسول ، لا يوجد حتى معدم بالمعنى الصحيح » (,1 ,48 Marsigli) .

« يعيش في إستانبول وضواحيها مليونا شخص . لم أشاهد ولا سائلا واحدًا » (Comte de Bonneval ، 1 ,212) .

« لم يصادفني في إستانبول أي سائل » (Guer ,1746 ,1 ,219) .

«شاهدت في البلاد العثمانية قليلا جدا من المتسولين » (La Bruyn , 1732 , 1 , 357)

« يوجد قليل من المتسولين في البلاد العثمانية وهؤلاء لا يزعجون المارة كما في فرنسا » (Du Loir ، 1654 ,191) .

وأساسًا ، كان التسول ممنوعًا ، والذين يشاهدون منهم كانوا محترفين قادمين من الشرق . قبض على هؤلاء في 24 / 9 / 1759 وأرسلوا إلى أزمير ، كانوا 43 سائلاً (أحمد رفيق ، **Istanbul Hayati** ,3 ,194 - 5) .

كان غجري برتبة عقيد ويسمى صوباشي أو جريباشي ، مسئولا عن جميع الغجر الموجودين في الإمبراطورية . كان يتعقب مع ضباطه ، الغحر الموجودين في جميع الأماكن . يتمكن الغجر المسلمون من السكن في المدينة في محلاتهم الخاصة فقط ، ولا يمكن لأي غجري أن يتخذ له مسكنًا في محلة أخرى . لا يخطب من الغجر ولا تعطى لهم أي بنت أبدًا . إن الغجري الوحيد الذي له اعتبار ، هو رئيس جلادي البادشاه . يختار من الغجر . أشهرهم رئيس الجلادين المسمى قرة علي أغا جلاد مراد الرابع (1623 - 1640) وعهد أخيه إبراهيم خان (1640 - 1648) ، وقد وصفه أولياء جلبي ، الذي قابله بالكلمات التالية « العياذ بالله ، لم يبق على وجهه أثر للنور » . إن مهمة

الجلد كان يقوم بها الغجر . بزغ منهم موسيقيون شهيرون ، أصبح هؤلاء بفضل فنهم هذا أصحاب ثروة . الراقصات الشهيرات ، كن كذلك من الغجريات . كان يغض النظر عن فحشهن . لا يمكن أبدًا أن تتخذ الغجرية جارية أو خادمةً في الدار . كان بالإمكان دخولها إلى الدار وحتى إلى السراي لغرض الرقص والإنشاد . .

لا يمكن أن يصبح الإستانبولي خادمًا ، وكان الذين يقومون بمثل هذه الأعمال في استانبول ، هم الذين يردون من أنحاء الإمبراطورية ، كان اتخاذ رجال الدولة خادمًا لهم من المسيحيين ، محظورًا . لم يكن الأغنياء يستخدمون الخادم بل يتخذون عبدًا أو جارية ، ويقومون بتربيتهم كأولادهم ثم يزوجونهم . هناك كثيرون منهم أصبحوا صدورا أعظم بينما كانوا عبيدًا .

كان يوجد في إستانبول صنف كبير العدد جدا ، وهم العتالون . هؤلاء أيضا كانوا من الخارج . كانوا ينقسمون إلى قسمين رئيسيين ؛ عتّالي الميناء وعتالي السوق ، كانت لهم تشكيلات ، ونقابات . عتالو الموانئ ، كانوا يؤخذون للخدمة بعد تمحيص كبير . لأنهم كانوا يحملون أموالا ثمينة جدا . ولم يحدث أبدًا تقريبًا أي حادث سرقة مهم . كان يطلق اسم « إيش إيري » على العامل في الفترة الكلاسيكية . ثم عرّبت هذه الكلمة في العصور المتأخرة وأصبح « عمله » . العامل الماهر ، لا يعتبر عاملًا ، وكان يسمى رب مهنة ومحترفا ، وكان لأرباب المهن نقابات . كانت الأجور اليومية للعمال مرتفعة ، وكانوا يجلبون من الخارج عندما تزداد الحاجة إليهم بين الفترة والأخرى . جاء من ألمانيا في (1581) ، 12 عاملاً ألمانيًا ، استفسر هؤلاء من آمر لواء (سنجق بك) فلك Filek ، عن أجور العمال وشروط عملهم ، وافقوا ومنحوا وثائق تخولهم العمل في الأراضي العثمانية (623, 2,Turk **Vojteeh Kopean Tarih Kongresi**) .

كان الباعة المتجولون الذين اقتسموا أزقة المدن ـ لكل زقاقه الخاص - والذين يجوبون المدن بالحصان ، بالبغل ، بالحمار ، بالعربة ، وبالعربة اليدوية ؛ يجلبون بضاعتهم إلى النساء في بيوتهن . لم تكن جماعة كبيرة العدد . لم تكن لديهم نقابة .

كان أرباب المهن الحرّة الذين يسيطرون على الصناعات الصغيرة والتجارة واقتصاد المدينة ، صنفًامستقلا وله مكانته . سوف يأتي ذكره فيما بعد . وبالطبع فإن زمرة

القرويين ، كانت تشكل أكبر كثافة سكانية في الإمبراطورية . كانوا يعملون في الفلاحة والزراعة . ويعملون كذلك بتربية المواشي . وكان يوجد من يعمل فى المهنتين معًا . كان يطلق على مجموعهم اسم « رعايا » لكن هذه الكلمة أطلقت في العصور الأخيرة على الرعايا المسيحيين . كان القروي ، عماد الاقتصاد العثماني . كان يدفع الضريبة عينًا أو نقدًا . كان صنفًا شريفًا ، قال القانوني « سيدنا جميعنا والذي يطعمنا ، هو القروي » ولم يكن هناك إقطاع وعبودية أراض كما في أوروبا .

كان الرّجل منهم يشتغل بتربية المواشي فقط . يدفعون الضرائب عن عدد ما يملكون من رعوس الحيوانات . بذلت الدولة جهودًا كبيرة لعصور طويلة لإسكان هؤلاء وصيّرتهم مزارعين وقلّلت عددهم كثيرًا . قابل الرّحل سياسة الدولة هذه بالمعارضة في جميع الأوقات تقريبًا . ورفضوا السكنى في القرى . كان قد تقرر إسكان التركمان والأقوام القفقاسية وأجبروا على ذلك ؛ ولأن العشائر الكردية والعربية اعتادت العيش في الأراضي الجبلية والمناطق الصحراوية ، فإن سياسة إسكانهم لم تنجح كالآخرين . كان يطلق على التركي الأوغوزي Ogyz إن أسلم « تركمن » ، وإن استوطن في الأراضي « تورك » ، وإن جاء إلى المدينة وتعلم آداب الدولة « عثمانلي » أي عثماني .

استترك المهتدون إلى الإسلام وتطبّعوا على الإسلام . لكن الإمبراطورية العثمانية لم تكن من حيث نفوسها أكبر دولة إسلامية في العالم فحسب ، بل كانت في الوقت ذاته أكبر دولة مسيحية وموسوية في العالم . لا يوجد قروي موسوي . سكنوا مدن الموانئ . استوطن الموسويون الذين يتكلمون العربية في الداخل أيضًا . أما الأقوام المسيحية المختلفة ، فكانت تعيش في قراها ومدنها . القرى المختلطة أي الإسلامية - المسيحية ، نادرة .

الشرف من العمل لا من النسب ؛ تفتخر العائلات بالخدمات التي قدمها أجدادها للدولة والوظائف التي شغلوها فقط . الأرستقراطية العثمانية ، ليست بالمعنى الغربي . إذ إنها كانت محرومة من جميع الامتيازات العائلية الموجودة في الغرب . أما تشكيل العائلات التي تمد الدولة بموظفين كبار ، الطبقة العليا في الإمبراطورية ، فهذا أكيد . أما الأرستقراطية بالمفهوم الذي نعنيه نحن ، فهذا غير موجود في تركية . لا توجد

شريحة اجتماعية نالت حقوقا وامتيازات عن طريق الوراثة ، ولم تكن موجودة في السابق أيضًا . موظفون الدولة الكبار الذين يطلق عليهم اسم « رجال دولت » هم صنف يحوز على حقوق بحكم موقعه (نسبة إلى سلسلة المراتب) (Hièrarchie) فقط . لم يقطع هذا الصنف علاقته بالشعب الذي نشأ منه ، وهو ليس ذا امتياز » (La Ubicini Actuelle Turquie ، باريس 1855 ، 320 - 1) . إن إنكار الشرافة بشكل مطلق إلى هذه الدرجة ، رغم وجود عائلات عثمانية شهيرة ، ليس دليلاً على سلامة اجتماعية مطلقة كما يظن . إن النظام الذي يجعل من العبد ومن ابن أكثر العائلات تواضعا ، صدرا أعظم وشيخًا للإسلام ويزوجهم ببنات البادشاه ، من الممكن أن يكون خطرًا ، فعدم استمرار التراث العائلي من المحتمل أن يؤدي إلى مجتمع يشكله أفراد لا يملكون قيمًا معنوية انتقلت إليهم عن آبائهم وأجدادهم .

4 – العبيد والجواري :

العبيد (عبد بالتركية = كوله) والجارية ، بشر ملكوا بالشراء . يجب التفريق بينهم وبين الأسرى والأسيرات الذين يؤسرون في القتال . أما المماليك (مملوك بالتركية = قل Kul) فهم العبيد القدامى الذين يستخدمون في الدولة وفي الجيش . والغلام ، هو العبد الذي يستخدم في البيوت . كوله = عبد تقابلها بالفرنسية esclave (كوله لك = العبودية بالفرنسية : csclavage) ، الأسير بالفرنسية : captive . (الأسر = captivtè) ولأن هذه المفاهيم يخلط بعضها مع البعض الآخر ، فقد أوضح ما يعنيه العثمانيون بهذه الألفاظ .

العبيد في الغرب هم الأسرى الذين اختطفوا من أفريقيا والذين يشغّلون كعمال في الأراضي . اشتغل الأسرى البيض في أوروبا ، في السرايات والقصور . إن العبيد الزنوج الذين يستخدمون كعمال أراض ، هو اختراع أوروبي للعصر 16 مجهول لدى العثمانية وبصورة عامة لدى العالم الإسلامي والآسيوي . العبيد والجواري لدى العثمانية ، هم البشر الذين يجرى تشغيلهم في الخدمات المنزلية . يستند ماضي أكثريتهم إلى كونهم أسرى حرب أيضًا . أما في العصور الأخيرة ، فقد كانوا أطفالاً يبتاعون من قفقاسيا . وبصورة عامة ، فقد جلب السود منهم من الصومال ومن الحبشة . كان الأغوات

الخصيان ، في السرايات ، وكان عددهم في العصر 18 في استانبول 500 تقريبًا . قل عددهم على مر الزمن . كانت عملية الخصي ، تجرى في مصر الجنوبية في سن الطفولة . إن نسل الرجل الحر من الجارية ، يكون حرًا (حكم الشريعة الاسلامية بهذا الشأن ، عكس حكم القانون الروماني) كان يسمح للمسيحيين في الدولة العثمانية ؛ باتخاذ عبد مسيحي أو جارية مسيحية ، ولا يجوز لهم استخدام عبد مسلم أو جارية مسلمة .

« إن الفرق بين العبد في تركية ، والعبد في جزر الأنتيل ، فرق هائل كالفرق بين الثرى والثريا . إن وضع الخادم التركي المشترى ، أحسن بكثير من وضع الخادم الأجير . ولكونه بضاعة غالية لسيده ، فإنه يراعي بصورة جيدة . لا يرهق في العمل . يلقى الاهتمام الكلي في مرضه . أما الأعمال الشاقة كالاشتغال في المزرعة ، فلم تكن موضوعًا للبحث في أي وقت من الأوقات . حرياتهم أكثر بكثير من حرية عبيد الأراضي المحليين الموجودين في أوروبا . العبد هو أحد أعضاء البيت . يأكل ويشرب مع أولاد البيت يلبس مثلهم . وبطبيعة الحال فإن من يكون لديهم عبيد أو جوار لابد أن يكونوا أغنياء . والواجبات التي على أكثرهم أن يقوموا بها هي أعمال بسيطة كمرافقة السيدات . تجهيز غليون سيّده . وعند بلوغ أكثريتهم سنًا معينة يزوجهم سيدهم ، بفك رقابهم ، ويصيرهم أرباب بيوت ويؤمن معيشتهم مدى الحياة بصورة أكيدة . ومن الجائز أن يصبح العبد الذي يحصل على رضا سيده ، صهرًا له » (مارشال فون مولتكه ، 1836 ,26 - 7) .

جميع الحقوق الإنسانية للعبيد ، كانت محفوظة . كان لا يجلد ، لا يظلم ولا يقتل . للعبد والجارية الحق في شكاية سيدهما إلى القاضي ولا يختمون كما في أوروبا .

5 – الاحتفالات الإمبراطورية (بالفرنسية : Fete Imperiale) :

كان الشعب يشترك في أفراح الكبار ويلهو في داره ، ويلهو الرجال في المقاهي ذات الجوقات الموسيقية وأمثالها وفي المسيرات . كانت الأفراح التي يقيمها البادشاه في مناسبات ختان الأمراء (أبناء البادشاه) وكذلك أعراس زفاف الأميرات السلطانات

(بنات البادشاه) ، وميلاد الأمراء والأميرات ، شعبية على الأغلب . ولشهرة هذه الاحتفالات العثمانية ، فقد يكون من المفيد أن نتناولها بنبذة مختصرة .

يشترك في هذه الاحتفالات بجهودهم جميع أرباب الفن من الصياغ إلى الرسامين . إن الأفراح التي تقيمها البحرية وإطلاق الزينات الهوائية تسمى « شهرآيين » يخطط لها المهندسون البحريون ، وأشهر هذه الأفراح ، تلك التي أجراها مراد الثالث لختان ابنه ولي عهد - شهزاده محمد (الثالث) ، والتي استمرت 55 يومًا و 55 ليلة . أفخم احتفال جرى على سطح الكرة الأرضية في العصر 16 » Elliot Stou The Stout Humayun of Murad III ، 1966 ، ص 48) . اشترك شعب استانبول برمته ، المدعوون من الأقطار الأجنبية ، والشعب القادم من خارج استانبول » جرت فنون وعروض وزينات تدهش العقل » (**La Description à Constantinople**, Labelski ، 1583 ، 80) .

أما أعظم احتفال جرى في العصر 17 ، فهو الاحتفال الذي جرى في أدرنة 1675 . أجرى محمد الرابع ختان ابنه الكبير ولي عهد - شهزاده مصطفى (الثاني) ، أثناء تزويج ابنته الكبرى خديجة سلطان في الوقت ذاته . جرت عملية ختان 8 000 طفل ، 6 000 منهم جلبوا من الأناضول مع الشهزاده . أجرى عمليات الختان 300 جراح (هزارفن ، **تلخيص البيان** ، 166 ، آ) . اشترك الجيش والبحرية في هذه الأفراح ، بآلاف من الجنود وقاموا بألعاب حربية كأنها معارك حقيقية . وأثاروا فضول الشعب . كان الشعب يأكل ويشرب على الموائد التي نصبت في الشوارع والميادين .

6 - الرياضـــة :

تأتي رياضة الصيد وألعاب الفروسية في مقدمة الألعاب الرياضية التي يهتم بها العثمانيون . إن الألعاب التي يلعبها أتراك الغرب والتي تسمى « جريد » وأتراك الشرق بضرب الكرة والتي تسمى « جوكان » ، هي ألعاب فروسية تؤدى بواسطة المزراق والعصي والتي انتقلت إلى الغرب بواسطة الإنكليز باسم « بولو » . وكان يوجد كذلك سباق الخيل ، والركض الرياضي أيضًا ، لكن الرياضة المرغوب فيها جدًا هي المصارعة .

وأخيرًا ، كان الرمي سواء بالسهم أو بالأسلحة النارية منتشرًا جدًا .

اشتهرت في استانبول نوادي المصارعة في زيرك (أولياء ، 583, 1) ، ونادي الرمي وألعاب السيف في بيازيد (Lubenau ,183, 1 - 4) ، وكانت توجد نواد مماثلة لها في كل مدينة .

كان بعض السلاطين أبطالاً في رمي السهام في عصورهم . تشيّد مسلة حجرية لكل رامٍ للسهم حقق إصابة الهدف من مسافة تقارب الـ 800 م ، ويسجل عليه الرقم القياسي الذي أحرزه ويكون شاهدًا تاريخيًا لا يمحى . كان بعض الرماة يتمكنون من إصابة الهدف الذي وضع على مسافة تفوق 800 م بمسافة كبيرة ، 10 - 12 مرة متتالية (Thèvenot ، 1687 ، 109) ؛ Taverier ,1675 ، 71 ؛ اينجيجيان ، 79) .

7 ـ الحياة المنزلية :

بيوت العثمانيين خشبية ، وبعضها حجري ، وأحيانًا مزيج من الإثنين . ذات حديقة . البوابة الخارجية مستقلة وتخص عائلة واحدة . لا يوجد نظام عمارات . قيمة الإيجارات قليلة . وعلى العموم تكون الدار ملكا للذي يسكنها . الأثاث قليل وبسيط . تقسم البيوت الكبيرة والقصور إلى قسمين ، للنساء (حرم) وللرجال (سلاملك) . يستقبل رب البيت ضيوفه في قسم السلاملك . وفي البيوت الصغيرة يجرى ذلك في الطابق الأول ويخصص الطابق الثاني للنوم . البيوت العثمانية نظيفة جدًا . الحذاء يخلع عند الدخول . من الأمور الأكيدة أن تكون في حديقته إي مزروعات مهما كانت .

الشوارع نظيفة . كل مسئول عن تنظيف القسم الذي يقع أمام داره . لكن الطين في الشتاء والتراب في الصيف كثير . شوارع جميع المدن تحتوي على أرصفة يعتنى بها باستمرار (أحمد رفيق ، 1 ,13 ,67 ,3 ,21 ,30) . تم وضع الأرصفة في شوارع لندن وباريس ، بعد إستانبول والمدن العثمانية الأخرى بعصور طويلة . المساكن على العموم خشبية . وتكون الأبنية العسكرية ، الدينية ، والعامة حجرية . وحتى العصر 19 ، كانت شروط المعيشة في المدن العثمانية ، بالنسبة للمدن الأوروبية أكثر راحة ، أرخص ، أحسن وأكثر رفاهية . أما في الفترة التي تسبق العصر 18 ، فقد كانت أرق

بشكل لا يقبل القياس . الغلاء وخاصة الفاقة نادرة . لكن يحتمل وجود أمراض سارية .

لا توجد مشكلة الأولاد غير الشرعيين التي تنتشر في المجتمعات الأوروبية . إذ لا يوجد زنى . يحتمل وجود أطفال مات آباؤهم وأمهاتهم . يلجئون فورًا إلى أقرب الأقارب .

8 ـ الأطعمة والمشروبات :

مشروب العثماني هو الماء . المشروب الكحولي حرام . لكن هناك رجالا يشربون الشراب ، العرق . توجد حانات الشرب . تشرب المشروبات غير الكحولية كالبوظة (خلاصة بعض الحبوب تعمل بطريقة خاصة) ، الشيرة (عصير العنب المجفف) ، عصير الفواكه . لا يشرب العثمانيون شراب قيميز (حليب الفرس المخمّر) كالأتراك الشرقيين . يشربون الحليب . وصل التخصص في تذوق الماء وخاصة في استانبول إلى درجة مدهشة . بإمكان الاستانبولي الأصيل التعرف على منبع الماء فورًا بعد ارتشافه شربة واحدة .

يؤكل الخبز والبيدة (الرغيف) . يصنع من نوعية جيدة من الطحين . إن صمون (فرانجولا) استانبول مشهور عالميًا . يؤكل الأرز بكثرة . لا يستغنى أبدًا عن لحم الغنم . الأطعمة الأخرى ، هي الفواكه الطازجة والمجففة والخضراوات .

أصبح المطبخ الاستانبولي على مر الزمن ، بفضل السرايات والقصور ، مطبخًا لصنع أنفس وأجود الأطعمة في العالم . توصل إلى القمة في 1908 وبدأ في الهبوط من قمته بعد ذلك التاريخ . ثم عطل تقريبًا بعدها . تستمر اليوم أيضًا المعجنات (البورك) حلويات العجين ، المخللات (الطرشي) ، المحلّبي ، أنواع الكباب . لكنها ليست بتلك النفاسة لعدم توافر تلك النوعية الجيدة من الطحين ، الرقاق واللحم .

9 ـ أرباب الحرف (أصناف) :

أرباب الحرف هم عماد الطبقة الوسطى . طبقة كبيرة مرفهة ، ذات اعتبار وكبيرة العدد ، يصنّعون المواد ويبيعونها ، ويعيشون في المدن ، وينقسمون إلى طوائف بحسب

المواد التي يصنعونها ويبيعونها . كان يوجد 100 1 نوع من الحرف في العصر 17 في استانبول . كل طائفة من هؤلاء متخصصة في عمل ، وكان الانتقال من إحداها إلى الأخرى ، يبدو غير ممكن .

لا يمكن قبول أصحاب الحرف الذين لا ينتمون إلى النقابات « لونجه » . كل محترف كان عضوًا بالضرورة في نقابته الخاصة بصناعته . وكانت الرقابة الذاتية (autoeontrol) لكل منظمة تسير بصورة دقيقة . كان من غير الممكن صنع بضاعة بنوعية غير جيدة مخالفة للمواصفات المطلوبة . وعلى العموم ، كان أرباب الحرف ينتمون إلى حرفة أبيهم . ولأجل الانتساب إلى السلك ، كان يجب العمل عند المحترف (الأسطة) في عمله كعامل مستجد (صانع بالتركية : جيراك) . وعند إتمامه دورة المستجد ، يكون الصبي قد أدرك سن الشباب ، عندئذ يطلق عليه اسم « قلفة » مساعد . ولكي يفتح القلفة مخزنًا مستقلاً ويصبح « أسطة » ، فإنه يلزم موافقة النقابة لا يجوز لأي أحد أن يفتح مخزنًا يزيد على الحاجة ، كل مخزن كان معملاً للإنتاج ووحدة تجارية للبيع . ولكي يحصل على عنوان محترف (أسطة) يجب أن يحصل على تزكية الأسطة الذي كان يعمل عنده وأن يجتاز امتحانًا أمام الهيئة الإدارية للنقابة

كانت هناك هيئة إدارية لكل نقابة ، تتشكل من 6 أساتذة محترفين يطلق عليهم اسم « آلتيلر » . (الستّة) ينتخبون من بين أعضاء النقابة بالتصويت ويكون هؤلاء عادة أساتذة (أسطة) مسنّين ، مستقيمين ، مجربين ، عقلاء ، أغنياء . لكل نقابة صندوق (خزينة) يسمى « عوارض صندوقي » كانت صناديق بعض النقابات كالبنوك . إن النقابات التي تملئ صناديقها بشتى الطرق كبدلات اشتراك الأعضاء ، التبرعات ، الأوقاف ، الهبات ، تحرص على ألا يتعرض عضو من أعضائها إلى الضيق ، وتقدم لهم القروض . يطلق على رئيس النقابة « شيخ » وعلى معاونه « كتخدا » أو « كاهيا » . كان هؤلاء مخولين بمراجعة الدولة . كان مرجعهم الأول هو القاضي الذي هو رئيس بلدية المدينة . لا يمكن لأي أحد أن يفتح دكانًا دون أن يكون عضوًا في النقابة . والمسيحيون كذلك كانوا مجبرين على أن يكونوا نقابيين . لم يكن الباعة المتجولون نقابيين . كان الدكان على العموم يتكون من أسطة واحد ، خلفه (مساعد) واحد

أو اثنان أو ثلاثة صنّاع (مستجدين) . كانت هناك أيضًا دكاكين كبيرة . لكن المخازن الكبيرة كانت في البدستان (سوق الحاجيات الثمينة جدًا) . لم يكن هؤلاء أعضاء في النقابة ولم يكونوا عمالاً من أرباب الحرف بل كانوا تجارًا . وبالنسبة لتعداد عام 1637 ، كانت مدينة استانبول تحتوي على 264 79 صانعا مستجدًا ، خلفه واسطة أي أرباب حرف ويفهم من ذلك أن 000 400 شخص على أقل تقدير يكسبون عيشهم بفضل حرفهم . عدد الدكاكين والمحترفين (الأسطة) كان 214 23 . كان عدد النقابات 158 ، لأن أصحاب الحرف المتقاربة ، كانوا ينتمون إلى نقابة واحدة . كانت هناك نقابات لا يتجاوز عدد أعضائها 100 ، بجانب النقابات التي يبلغ عدد أعضائها الآلاف . كانت النقابات الموجودة في المدن الأخرى ذات ارتباط مع استانبول . كانت الصناعات الحقيقية ، خارج قطاع أرباب الحرف والصناعات الأصلية الكبرى والثقيلة ، في قطاع الدولة .

« لدى الأتراك أساتذة عمل وعمال مهرة في جميع المجالات » (Philippe du Fresne - Canaye Voyage en Orient ، 1572 ,264) .

إن المصنوعات الأوروبية تعتبر ترقيعا عاديا إذا ما قيست بالمصنوعات التركية (Observations , Pierre belon , 451) .

« خياطة الملابس ، تجليد الكتب وتزيينها ، صناعة الجلود ، صناعة الأحذية ، صناعة الأحذية الطويلة (الجزمة) في تركيا ، أرقى من صناعتنا . أما في مجال السراجة وصناعة أطقم ركوب الخيل ، فإن تفوقهم يدهش . والمصنوعات التركية في المجالات الأخرى ، كما هي عندنا » (Pietro della Valle ,46 - 7) .

10 – الاقتصاد والنقود :

يكون الاقتصاد مكتفيًا بذاته (بالفرنسية : autarcique) في إمبراطورية عالمية حقيقية . الدولة مكتفية بذاتها في كل المواد الخام والمصنوعة التي يمكن أن تخطر على البال . كانت الإمبراطورية العثمانية على هذا الوضع لعدة عصور تمارس التجارة لغرض الربح . لم يستورد خلال العصور 15 - 17 أي شيء للجيش ولا للبحرية . أما المواد التي منع تصديرها ، فهي الخيل ، الأسلحة ، البارود ومعدن الرصاص . إلا أنه صرف النظر عن المنع خلال فترات معيّنة لدرجة أن هذه المواد كانت ترسل إلى الخارج كهدايا

من البادشاه .

كانت الإمبراطورية العثمانية بلاد السعة والبركة ، والرخص والرفاهية إن لم تدخل في حرب طويلة الأمد ، أو إن لم تتعاقب سنوات الجفاف وقلة الأمطار . كانت حتى العصر 18 من أكثر الأقطار رفاهية في العالم . وبالطبع فإنه لم يكن هناك تعادل بين المناطق ، طبيعي ألا يكون هناك تساوٍ بين المناطق في امبراطورية تحكم أقطارًا غير متجانسة إلى درجة كبيرة . ولكن الفرق بين أغنى مناطق الإمبراطورية وأفقرها لم يكن شاسعًا بقدر ما نجده من فرق بين انكلترا ومستعمراتها في الهند في تلك الفترة . ولم يكن كذلك بقدر الفرق بين فرنسا والسنغال . إن المناطق الأكثر رفاهية في العثمانية ، كانت المدن الكبيرة وضواحيها كاستانبول ، مرمره ومنطقة أناضول الغربية ، بورصة ، أدنة ، مانيسا ، والموانئ المفتوحة للخارج كسلانيك ، جزائر ، بيروت ، تونس ، وعلى العموم روملي .

دامت السعة والبركة ، الرخص والرفاهية في عصور الانحطاط كذلك . ومن الممكن القول إنها استمرت حتى 1912 . ولكن يجب ألا يغرب عن البال الذروة في مخطط الرفاهية للإمبراطورية هي قرابة عام 1540 ، ويصادف ذلك أواسط عهد القانوني . ولقلة النفوس بالنسبة للعصر 17 ، كانت الرفاهية أكثر وضوحًا . كانت المدينة العثمانية في العصر 16 ، أقل نفوسًا وأكثر تنظيمًا ، بالنسبة لمدينة العصر 17 ، وقرية العصر 16 العثمانية كانت منظمة . بدأ في القطاع القروي العثماني للعصر 17 اختلال الأمن وترك المزارع والنزوح إلى المدن . إن العصر 16 هو عصر الانفتاح الأوروبي على العالم . انفتحت على العالم ، لكنها لم تكن بعد قد تمكنت من حيازة الثروة العالمية . كانت تحاول استعمار أمريكا . لم تكن بعد قد تمكنت من الاستعمار في آسيا وأفريقيا . كانت مكتفية بالتجارة البحرية . وبناء على ذلك كانت المسافة ــ بينها ، وبين الشرق الذي وفّر الثروات الأساسية ، وبين العثمانية أقوى دولة في الشرق ــ بعيدة ، كانت الرفاهية والرخاء لا يزالان موجودين في الأقطار العثمانية عام 1912 . ولم تكن الكتل البشرية تموت من المجاعة كما في الهند وأيرلندا ، لم يكن هناك ملايين من المهاجرين الأوروبيين يفرون بأنفسهم إلى أمريكا للنجاة من الموت جوعًا . لكن أوروبا كانت قد أطلقت

العنان وتقدمت ولم يبق للشرق حتى أمل اللحاق بها . قبضت أوروبا على جميع مصادر الثروة بقوة .

كان الشخص الواحد يستطيع في عام 1843 في مدينة عثمانية غالية كاستانبول ، أكل 3 وجبات من الطعام بعشرة بارات . (عشرة بارات تعادل جزءًا من 400 جزء من الليرة الذهبية) ، لا يمكن اليوم أكل وجبة واحدة بهذا الثمن نفسه ، وليس 3 وجبات (Gerard de Nerval ، ص 66, 60) . لم يحدث تغيير في مستوى الأسعار حتى 1912 ، بقي التضخّم جزئيًا . كان بالإمكان في 1912 أيضًا شراء دار مستقلة في مدينة كاستانبول وفي منطقة جيدة لا بأس بها على الإطلاق بعدة قطع ذهبية (لم تتجاوز نفوس استانبول مع ضواحيها في العهد الإمبراطوري المليون ونصف مليون نسمة في أي وقت من الأوقات) . إن شيئًا كهذا ، لا يمكن أن يتحقق اليوم . قيمة الإيجارات ، كانت منخفضة جدًا .

انخفض التضخم الذي بدأ في تموز 1908 ، في ت1 / 1912 . الارتفاع الذي حدث خلال ت 1912/I – آيار 1913 كان كبيرًا . انخفض ثانية في الفترة آيار 1913 – تموز 1914 . زاد التضخم خلال تموز – ت 2 / 1914 وأصبح 50 ٪ خلال 3,5 شهر ، وتتضح درجة زيادته المخيفة إذا ما نسب إلى سنة كاملة . يحتمل أن الشعب العثماني لم يكن قد شهد طوال تاريخه ارتفاعًا في الأسعار إلى مثل هذه الدرجة ، أصبحوا في حالة اجتماعية واقتصادية يرثى لها . إن نهب الحكومة المخازن والدكاكين ووضعها اليد على الأرزاق والثروة الحيوانية في القرى بحجة النفير ، صيّر من التضخم آفة مخيفة . وفي ك2 / 1916 وصل التضخم في مدينة استانبول إلى 300 ٪ . تركت زراعة نصف الأراضي الصالحة للزراعة . حدث قحط فظيع .

كتب محيي الدين بك في جريدة طنين (30 / 10 / 1916) أنه لم يصادف خلال سفره من اسكي شهر إلى قونية أي مظهر للحياة .

إن رجلاً كأحمد رضا بك (كان مستقيمًا ، شريفًا ومحبًا للوطن ، بصرف النظر عن أخطائه السياسية) مؤسس حزب الاتحاد والترقي ، رئيسه السابق ، رئيس مجلس النواب لتلك الفترة وعين في المجلس مدى الحياة ، ألقى خطابًا شديد اللهجة في مجلس سناتو الإمبراطورية الذي يسمى « مجلس أعيان » . أفاد بأنه بسبب سوء التصرفات ،

تعذر تأمين الخبز حتى لشعب استانبول . إن شخصًا كهذا ورغم حصانتة التشريعية ، أوقف لمدة 24 ساعة وأخلي سبيله بعد أن وعد أنه لن يتحدث بحديث مشابه .

تجاوز الوضع الذي انتهجه صاحب أنور باشا ورئيس شعبة اللوازم في نظارة الحربية طوبال إسماعيل حقي باشا ، حده المعقول . أسست نظارة الإعاشة وجيء بقره كمال بك على رأسها . حاول مكافحة سوء التصرفات هذه ، لكنه لم يوفق ؛ إذ إنه وزّع كثيرًا من الأعمال الممتازة التي تدر الربح الكثير ، على أصدقائه من كبار الاتحاديين ، وعلى أصحابهم وعلى أقربائه . كان كل شيء متوافرا بالنسبة للغني . شوهد في أغنى مدينتين للإمبراطورية كاستانبول وبيروت اللتين كانتا لعدة سنوات مضت متخمتين من الرفاهة ، أناس سقطوا على الأرض من الجوع . صرخ الشعب عندما ارتفع سعر السكر في 1913 إلى 200 بارة (1 / 200 من القطعة الذهبية) ، أما عندما ارتفع فجأة سعر كيلو الصمون الأبيض (فرانجولا) في آب 1916 إلى 16 قرشا ، لم يسمع صوت اعتراض مع أن الذين يمكنهم دفع 16 قرشًا كانوا قليلين جدًا . وزّع على شعب استانبول في (1917) ، 150 جرامًا يوميًا من الخبز الأسود المخلوط ببذر المكانس . شوهد زواج بنات عائلات الوزراء وقضاة العسكر الشهيرة والعريقة بأغنياء الحرب الذين لا يُعرف كيف ومن أين أتوا والذين لا يعرفون أسماء أجدادهم . أما الطبقة الوسطى في استانبول فقد سمع أن بنات كثيرات منهن تورطن في الفاحشة . تلك هي الطبقة الوسطى ، التي كانت حريصة على الاستقامة بما يفوق الطبقة العليا بكثير . هزلت المرأة التركية الممتلئة قوة وحيوية ، وخارت قواها . برزت الهياكل العظمية للشيوخ الذين كان تركيبهم الجسماني كالأبطال . شوهد أطفال ضمرت بطونهم من الهزال ، وأصبحوا معرضين لمرض السل في كل لحظة . أما الرجل الشاب ، فلم يكن يشاهد أبدًا ، كان في الجبهة .

حدثني أبي محيي الدين أوزتونا الذي حارب الإنكليز كضابط احتياط في جبهة العراق عام 1916 بما يلي : « وبعد 1915 انهارت تمامًا إعاشة الجيش أيضًا . كانت هناك وحدات أكلت اللفت (الشلجم) فقط ، البطيخ ، حتى قشور البطيخ أيامًا عديدة . وأنا أكلت كذلك لعدة مرات قشور البطيخ . كان يوجد على العموم في جيوب الضباط

حفنة من العنب المجفف ، البندق أو الأيغده (الهيده) ، لكننا لم نكن نتمكن من أكلها لخجلنا من الجند » بدأت الأمراض . الإسهال الدموي كان مخيفًا .

كان شعب استانبول يشكو في صيف عام 1914 من ارتفاع سعر السكر إلى 5 , - (نصف) قرش ، وزيادة الأسعار على أسعار عهد السلطان حميد عدة أضعاف . ارتفع سعر السكر في آب 1916 إلى 60 وفي تموز 1917 إلى 120 قرشًا (نصف قطعة ذهبية) .

أصبح سعر صفيحة النفط الواحدة (16 كغم) 50 قرشًا أي نصف ليرة ذهبية . وبسبب ذلك ، بقيت استانبول في ظلام حالك . لأن الكهرباء لم تكن موجودة إلا في بيوت الأغنياء فقط ، في الضواحي ؛ كبك أوغلو ، شيشلي . والإنارة بواسطة غاز الاستصباح لم يكن شاملاً جميع المدينة . عادوا مرة أخرى إلى عهد الشموع . أصبح الشمع بعدها نادر الوجود . ثم بدأت الإنارة بواسطة حرق جذوع أشجار الصنوبر (جيرا) والأشجار الأخرى . عادت استانبول تعيش دور الكهوف ؛ إذ إن سعر النفط ، ارتفع في 1917 إلى 250 قرشًا (5 , 2 قطعة ذهبية) . كانت الصحيفة الموالية للاتحاد والترقي النصف الرسمية تكتب ما يلي : « لا تحزنوا على قضاء لياليكم في الظلام ، سيتنوّر العالم العثماني عن قريب بأنوار النصر ! » .

أغلق القصابون حوانيتهم في ت 2/ 1916 . إذ لم يكن لديهم اللحم ليبيعوه . ظهرت مشكلة لم يسبق أن شوهد مثيلها في المجتمع العثماني حتى ذلك التاريخ . الأطفال الذين مات عائلهم وظلوا دون عائل . أحصى عددهم في النصف الأول من عام 1917 في استانبول فقط فكان 20 000 طفل وسيقوا لملاجىء الأطفال الحكومية . رفض أقارب وجيران هؤلاء الأطفال أن يعولوهم بسبب عدم عثورهم على الطعام . حدث اختلال اجتماعي كبير في المجتمع العثماني . الكل يحاول أن ينجو بنفسه . لم يكن أحد يهتم بمشاكل غيره . كان يوزع على شعب استانبول بموجب القرار الذي صدر في 24 / 3 / 1917 شهريًا للشخص الواحد وبالبطاقات ، 150 جرامًا من السكر بسعر 20 قرشًا للكيلو ، و 300 غرام من الفاصولية اليابسة بسعر 10 قروش للكيلو . كانت الكارثة الكبرى ، في المدن الكبرى ، إذ إن القصبات والقرى نجت من الكارثة لأنها لم تكن محتلة ، وكانت قريبة من الأرض وبذلك كان بإمكانها الحصول على الغذاء . إن مركز الإمبراطورية والخلافة المسمى إستانبول ،

لم يعد قادرًا على حمل عبئه ، وأصبحت استانبول بلدة يرثى لها . بدأت نفوسها بالهجرة والذهاب إلى هنا وهناك . ثم بدأ احتلال العدو واقترب إلى مسافة تسمع منها أصوات المدافع من أنقره . سحقت القصبات والقرى تحت الأقدام وتلفت .

اختل ميزان النقد المبني على أساس ليرة ذهبية = 1 ليرة ورقية عثمانية . لم يبق أحد يعتمد على النقود الورقية للدولة . والذين حصلوا على نصف ليرة ذهبية أخذوا يخبئونها تحت وساداتهم . كان سعر الليرة العثمانية (الورقية) = 45 , 18 مارك ألماني = 70 , 3 دولار = 17 فرنكًا سويسريًا . كتبت صحيفة **Temps** (باريس) المؤرخة 11 / 6 / 1916 أنه لا يمكن شراء العملة الذهبية الإنكليزية الواحدة في إيالات حلب ، شام ، بيروت وألوية لبنان وقدس العثمانية بأقل من 137 قرشًا عثمانيًا ، وإن العملة الورقية العثمانية الواحدة فقدت قيمتها إلى هذه الدرجة الوخيمة (!) تجاه العملة الذهبية ، وإن بدل العملة الورقية العثمانية الواحدة في بلد محايد كسويسرا ، يعادل 3 دولارات وإن الاقتصاد التركي قد انهار . ثم ارتفعت قيمة الليرة الذهبية الواحدة في استانبول إلى 3 عملات ورقية عثمانية وفي الأناضول إلى 4 وفي بغداد إلى 5 عملات ورقية . وفي الهدنة 1919 ، كانت قيمة الليرة الذهبية الواحدة = 7 ليرات ورقية ، عندئذ أعلن إفلاس الميزان النقدي ومعادلة الليرة الذهبية للعملة الورقية ، ويجب أن نذكر أن أحد أسباب ذلك هو قيام الشعب بسحب الذهب من السوق بصورة مستمرة والاحتفاظ به . كان في الإمبراطورية العثمانية عام 1914 : 000 000 40 ليرة ذهبية عثمانية عملة نقدية متداولة ، وكان انتشار العملة الورقية قليلاً بالنسبة لذلك . وإضافة إلى ذلك ، فإن الرقم المذكور هو بالنسبة إلى العملة الذهبية العثمانية المتداولة فقط (عزيز ، حميد ، رشاد) . العملات الذهبية الأجنبية لم تحسب ضمن هذا الرقم . والحال ، أنه كانت توجد في تركيا كذلك ، كما في جميع أقطار العالم كمية كبيرة من الليرات الذهبية الأجنبية وكانت متداولة (وخاصة الإنكليزية ، الفرنسية ، النمساوية ، الألمانية ، السويسرية ، الهولندية ، البلجيكية وحتى العملة الذهبية الروسية) وفي بداية عام 1917 بلغت العملة الورقية المتداولة مبلغ 000 000 46 ليرة تركية (كانت توجد كذلك عملات ورقية ذات قيمة 1000 ليرة) . وخلال عام 1917 ، فاقت العملة الورقية المتداولة ، العملة

الذهبية المتداولة . وهذا سبّب ارتفاع سعر الذهب . كانت ميزانية الحرب لسنة (1915) ، 83 مليون ليرة تركية وبالنسبة لتلك الفترة ، من الممكن القول إن الليرة الذهبية الواحدة تعادل 1,5 ليرة ورقية تركية . إن المصروفات الظاهرة للحرب ، هي المصروفات المنظورة فقط . وحقيقة الأمر أن الحكومة كانت تستولي على الكثير من حاجيات الشعب عن طريق السخرة ووضع اليد .

لم تخرج الدولة العثمانية من الحرب العامة ، بجيوش مغلوبة ، وأقطار محتلة وإمبراطورية متداعية فحسب ، بل إنها كانت قد دمرت اقتصاديًا كذلك . أصبح المدني والقروي فيها معدمًا . كانت الروابط الاجتماعية قد ضعفت . بدأ الانهيار الأخلاقي الذي لم يسبق أن عرف حتى ذلك التاريخ . لم تعد إستانبول بعد الآن قادرة على تسيير دفة الدولة وفقدت عظمتها وطاقتها المعنوية والثقافية . اضمحلت التجارة ، الزراعة العثمانية والصناعة التي كانت بالأساس محدودة ، وكذلك المعادن . وقد يكون الأكثر من ذلك بلاء ، انهيار الاعتماد المطلق على الدولة الذي يعود تاريخه إلى مئات السنين .

11 – الصناعــة :

قانونًا : الذهب ، الفضة ، الحديد ، الرصاص ، النحاس وجميع المعادن الأخرى الموجودة في الممالك السلطانية ، تعود إلى الشخص الذي يعثر عليها . على أن يقدم خمس المستخرج إلى الخزينة (d'Ohsson , 4 , 24 - 6) . كانت الإمبراطورية مكتفية بذاتها من حيث المعادن . كانت هناك كذلك معادن ثمينة (الذهب في بوزقير ، كركر ، شيرو ، كموشخانة ، اسبية ، الفيروز في ايسبير ، الزمرّد في أسيوط والفضة في أماكن كثيرة جدًا إلخ .) كانت للمعادن أهمية كبيرة في صناعات الإمبراطورية .

كان القسم الأكبر من الصناعات الثقيلة والصناعات الكبرى التي تستخدم عددًا كبيرًا من العمال تحت تصرف الدولة . وكانت موجهة إلى الصناعات الحربية . كان الجيش والبحرية لأغراض السراي . لكن الشراء من القطاع الخاص لتأمين احتياجات الجيش ، الأسطول والسراي كان سائدًا كذلك . وبناء على ذلك ، كانت الصناعات الثقيلة والكبرى الموجودة في القطاع الخاص ، تعمل لأجل الدولة أكثر من عملها لأجل

الشعب . كان أرباب الصناعات الصغيرة والحرف ، هم الذين يقومون بتأمين حاجات الشعب ، على الأغلب .

إن المنسوجات المتقدمة جدًا والتي أصبحت من مواد التصدير ، كانت منتشرة في جميع أنحاء الإمبراطورية . كان للدولة كذلك معامل لصنع الأقمشة الصوفية الثقيلة (الجوخ والقماش الأسمك من الجوخ) للجيش . كانت معامل السكر في كل مكان ولدى القطاع الخاص . وحتى في قبرص ، كان يوجدمعملان للسكرفي ليماسول وباف (**Belgeler** ، 4 ,11) . « أرقى من كل شعوب العالم » (**88, 1, Ricaut**) . صناعة النحاس ، كانت صناعة منتشرة . والمصنوعات الجلدية التي كانت أجود نوعية في العالم بصورة جازمة كانت واسعة الانتشار كذلك (**158, La Cour Ottoman**) .

كانت هناك معامل للورق في بيكوز ، كاغدخانه ويالوه وفي أماكن كثيرة أخرى . وكانت توجد معامل للقطاع الخاص لصناعة الأسلحة النارية والحادة بجودة فائقة ، عدا المدافع .

كانت مدينة بورصة مركزًا عالميًا للنسيج الحريري لعدة عصور . ثم احتلت ليون مكان بورصة . وحتى في 1914 ، كان مجموع ما ينسجه 35 معملاً في بورصة من الحرير الخام 1 000 طن (بلغ نسيج بورصة من الحرير الخام في 1958 : 140 طنًا) . الشاش ، الملاءات الحرير (Vale) ، الشال وكل أنواع النسيج الدقيق ، كانت موجودة . وعندما دخل السلطان ياووز سليم في 1514 ، إلى شقة الشاه إسماعيل في سراي تبريز ، أحصى 91 بدلة من بدلات الشاه مصنوعة من قماش بورصة . كانت الهند ، أكبر منافس للعثمانية في المنسوجات . ثلاثة مصانع تنسج أقمشة بأسلاك ذهبية وفضية (سيمكشخانة) ، في إستانبول ، بورصة وسلانيك ، كانت تتبع للدولة .

كانت تكنولوجية النسيج التركي في عام 1800 ، لا تزال أرقى من أوروبا . تطوّرت جدًا صناعة النسيج الأوروبي بعد هذا التاريخ بالاختراعات الجديدة واضطرت العثمانية إلى استعمال تلك الماكينات . إلا أن ماكينات النسيج الإنكليزية الحديثة قضت على تفوق منسوجات العثمانية والهند في العصر 19 .

فتح عبد المجيد الأول (1839 - 1861) معملاً حديثًا يستخدم حوالي 150 ماكينة مستوردة من الغرب (457, The Emergence, Lewis) . عرضت بضاعتها في الردهات المؤقتة للمعرض الصناعي في إستانبول 1863 بصرف مبلغ 30 000 ليرة ذهبية . تلقت عروضًا كبيرة من أوروبا . ولكن لم يبق هناك أمل في اللحاق بالصناعة الأوروبية ، بعد هزيمة 93 .

كان النساء والأطفال يعملون فيما مضى في الصناعات كالنسيج والسجاد . سبّبت الصناعة ذات الماكينات الحديثة زيادة عدد العاملات النساء والأطفال في العثمانية أيضًا . كان عدد العاملات النساء في معمل الكبريت (الشخاط) في إستانبول عام (1897) , 121 من مجموع 201 عامل وعاملة و 1 000 عامل في معمل الخام في باقركوي في التاريخ نفسه ، كان نصفهم تقريبًا أطفالاً شارفوا سن الشباب (475, Lewis - 9) . إن أول منظمة عمالية أسست في 1871 ، عدا نقابات أرباب الحرف ، هي المنظمة المسماة « عالم برور جمعيتي » . وحدث أول إضراب في 1872 ، وهو إضراب 600 عامل من عمال معمل سفن قاسم باشا ، وتمكن من تأمين زيادة في الأجور . وقد سجل في آب وأيلول من عام 1908 ، ثلاثون إضرابًا .

12 – التجـــارة :

يورد الفريق الأول الكونت مارسيكلي Kont Marsigli في كتابه المشهور (57 - 61) عن التجارة العثمانية في بداية العصر 18 ، الفقرات التالية التي تستحق الذكر .

« سواء الأتراك ، أو الأقوام الأخرى التي تعيش ضمن الإمبراطورية التركية ، كانت نشطة في مجال التجارة . كانوا تجارًا أتقنوا مهنتهم ، مهرة ، مقتدرين . كانت سياسة الباب العالي الثابتة ، هي تقديم كل المساعدات للعاملين بالتجارة . ترغب الحكومة العثمانية في دخول وخروج الأموال التجارية وتحريكها قدر الإمكان . تزداد واردات الدولة ويغتني الشعب بنسبة دخولها وخروجها . تتحاشى الضرائب العالية . وتعتقد أن الضرائب العالية تعرقل الحركة التجارية وتعوق دخول وخروج سلع كثيرة ، وإضافة

ذلك فإنها تؤدي إلى التهريب. لا يجسر أي تاجر على ذلك . تسحب منه إجازة الاستيراد والتصدير . ولو فكرنا في سبب رفاهية الإمبراطورية التركية ، لاتضح أن السبب هو التجارة . إن سعة الأراضي وإنتاجيتها تأتيان في الدرجة الثانية . وفي الواقع فإن كثيرًا من أقطار الإمبراطورية ليست مناطق مدرة للمحاصيل ، لم أكن في البداية قد تعرفت على الأتراك . إذ إننا نحن الأوروبيين نقضي أوقاتنا في بك أوغلو بين الجالية الأوروبية ، ونعود إلى أوروبا مدعين أننا قد تعرفنا على العثمانية . يجب الولوج داخل العائلة العثمانية . إن مظهرهم الخارجي يوحي بأنهم مجتمع إسلامي نظيف الملبس ، لكن لا نرى في لباسهم المبالغة في الزينة التي نراها في أوروبا ، لا يرغب في حب الظهور ، وقور ، قنوع . إن هذا ، هو التركي في الشارع . ولو دخلنا إلى بيوتهم ، للفت نظرنا قلة مصروفاتهم ، ولكن إذا مكثنا مدة طويلة في تركية واطلعنا على بواطنهم ، لاتضح أن لكل عائلة كيانا وتصرفا خاصا بها . لا يوجد من يشحذ في الطرقات . يوجد معدمون ، لكن لا يوجد معدم لا يلقى معونة . إن هذا الكيان الاجتماعي ، تحقق بفضل التجارة التركية المتقدمة جدًا ، أكثر مما تحقق بفضل الصناعة التركية المتقدمة . إذ إن جغرافية الإمبراطورية العثمانية ملاءمة للحصول على ربح متزايد من التجارة ، وقد أدرك الأتراك هذه الملاءمة في وقت مبكر جدًا وشمّروا عن سواعدهم للعمل . تقع الإمبراطورية ، وسط القارات الثلاث . وهي في وضع يمكنها من بيع المواد الخام والمصنعة المختلفة وشراء ما يروقها من آسيا وأوروبا من محاصيل بيعها . لا توجد دولة أوروبية واحدة لا تتعرض لمشاكل كبيرة في حالة قطع تجارتها مع العثمانية . إنهم مضطرون لاستيراد بعض المواد من العثمانية بصورة حتمية لا يمكن تصور مدى غناء الإمبراطورية في موادها الخام . تصدّر من تركيا إلى أوروبا أخشاب إنشاء السفن ، الحرير ، الصوف ، القطن ، شمع العسل ، الزيت ، المواشي الكبيرة والصغيرة . ويأتي على رأس المصنوعات المصدرة الأقمشة من كل الأنواع أو الخيوط ، الجلود ، والمصنوعات النحاسية .

تصدير الأسلحة ممنوع ، ولكن الأسلحة النارية والحادة الجميلة جدًا ، تُهرّب إلى أوروبا وتجد هناك من يرغب في شرائها بأسعار فاحشة .

يتاجر الأتراك بالمقايضة في بعض السلع . ولكن مهما كان الأمر ، فإنهم حتى في

أتعس أيامهم ، كانت صادراتهم تفوق وارداتهم . ولهذا السبب فإن البضاعة الأوروبية التي ترسل إلى تركية ، لا تكفي ، وكذلك فإن الدول الأوروبية جعلت العثمانية تستوعب الذهب والفضة الأمريكيين كمسكوكات نقدية . إن هذا وضع سيء بالنسبة لنا ، وإضافة لذلك فإن الأتراك لم يكونوا يبيعون أموالهم . فقط يشترون من الدول الآسيوية بضاعة بسعر رخيص جدًا ويخزنون قسما كبيرًا منها ثم يصدرونه إلى أوروبا . إن هذا نهب فاحش في حد ذاته . لا يستطيع الأتراك حاليًا نهب أوروبا كما كان في السابق ؛ إذ إن السفن الأوروبية أخذت تدخل بصورة فعلية إلى المحيط الهندي . لكن طرق التجارة البريّة ، ما زالت في يد العثمانية .

الأصباغ التركية ثابتة لا تمحى ، تصنع بتكنولوجيا متقدمة جدًا . تباع في أوروبا بأسعار باهظة . يصبغون سجادهم بهذه الأصباغ . السجاد ، الجلود ، القماش الفاخر ، هي مصنوعات تركية تفتش عنها طبقة الأغنياء الأوروبية بإصرار . إن السجاد والأقمشة التركية تعتبر آيات فنية من ناحية الذوق السليم في تصميم نقوشها . شاهدت مصنوعات معمل جانفس (الحرير الناعم) الذي فتح حديثًا في إستانبول الحقيقة ، كانت منتجات ممتازة مصنوعة بذوق سليم . يحب الأتراك الفرو كثيرًا ويستعملونه بكثرة رجالاً ونساء للدلالة على الأبهة ، أكثر من كونه للتدفئة . فروهم الخام لا يكفي . يستوردون الفرو الخام من روسيا ويصنعونه بشكل ممتاز ، يبيعون الفرو المشغول إلى أوروبا وهو مرغوب فيه جدًا لدى أشراف أوروبا . لا يتمكن الروس من تصنيع الجلود وشغلها وخياطتها بصورة ممتازة .

الطبقة الغنية والمرفهة التركية مغرمة بالسلع البندقية الزجاجية ، الكريستال ، الورق ، تماثيل الزينة والمرايا العمودية . يزينون قصورهم بمواد الاستيراد هذه .

أما السلع التي تستوردها العثمانية من فرنسا ، فهي للطبقة المتوسطة . ويستوردون الحاجيات المعدنية من ألمانيا .

كان الأتراك إلى زمن قريب ، مغرمين بذهب الدوكا البندقي المزيّن المسكوك بشكل جميل جدًا . من الممكن القول بأن ذهب الدوكا متداول في تركية بدرجة الذهب العثماني . احتل الآن ذهب هولندا المسمى فلوري مكانة ذهب الدوكا . يسر الأتراك

استبدال ذهبهم بالفلوري الذي يروقهم جدًا .

يظهر من هذا التصوير أن واردات الأتراك عبارة عن حاجيات طفيفة ، ومن الواضح أن أوروبا لن تلفح في حالة بقائها مضطرة إلى شراء البضاعة من العثمانية بصورة دائمة ودفع سعر فاحش جدًا مقدما . إن حجم التجارة العثمانية مع انكلترا الآن ، قد فاق البندقية وحتى فرنسا . تستورد من إنكلترا المواد الخام الرصاص والقصدير . المعادن العثمانية غير كافية بالنسبة لهاتين المادتين ؛ إذ إن الأتراك يستهلكون هذين المعدنين أكثر من جميع الدول في العالم . أما انكلترا فتستورد من العثمانية الغنم ، الماعز ، الصوف الإبل ، (الوبر) ، الحرير الخام ، الخيوط الحريرية ، الأقمشة الحريرية وما شابه ذلك . إن هذه المواد تأتي في المقدمة ولكن توجد مواد كثيرة تؤخذ بالمقايضة . الإنكليز تجار عقلاء جدًا . يجلبون الأقمشة التي اشتروها من العثمانية إلى أمريكا ويبيعونها بسعر فاحش ، بل وإنهم يبيعونها إلى أقطار أوروبية أخرى . تتعطل معامل النسيج الإنكليزية ، في حالة عدم ورود الصوف من تركيا ويؤدي ذلك إلى حدوث ضيق شديد . تأتي السفن الإنكليزية إلى الموانئ العثمانية مرتين في السنة ، على شكل أسطول ، يأخذون الصوف ويعودون . يشكل العمال في إنكلترا ، طبقة بائسة تعمل بأجور زهيدة جدًا . تبيع إنكلترا هذه الأقمشة الصوفية إلى جميع أقطار العالم . تشتري فرنسا من العثمانية كميات كبيرة من الحنطة والسمن ، بسبب وفرة عدد سكانها . وعندما تتوتّر علاقاتها مع العثمانية ، تمنع العثمانية تصدير الحنطة ، ويحصل قحط في فرنسا . ومن المواد التي تصدرها العثمانية ، المصوغات . يدرك الباب العالي ، سحبه مبالغ نقدية كبيرة من أوروبا . لذا فإنه قلّل المعاملات إلى الحد الأدنى . أمّن كل التسهيلات للتاجر الأوروبي . أنّى كان التاجر الأوروبي ، فإنه يتمتع بحماية قانونية أكثر من التي يتمتع بها في قطره . الحقيقة أن تأمين التجار والتجارة ، قد أكسب الدولة العثمانية شرفًا . أطلق الأوروبيون على هذه الامتيازات الممنوحة « كابيتولا سيون » (Capitulation) .

يحصل الباب العالي من البضاعة التي استوردها من أوروبا رسمًا جمركيًا منخفضًا . توزع البضاعة التي استوردتها من أوروبا على الأقطار التي تحتاج إليها في أنحاء الإمبراطورية بمهارة فائقة وفورًا ، بالقدر الذي يحتاج إليه كل قطر . يقوم بهذه العملية ، التجار العثمانيون .

يجلب الأوروبي بضاعته إلى الميناء العثماني فقط . ولا يمكنه نقل بضاعته إلى داخل البلاد العثمانية فذلك ممنوع . وكذلك العثماني ، مضطر إلى تسلم بضاعته من الموانئ بدفع الدراهم مقدمًا . والأوروبي لا يمكنه الدخول إلى داخل القطر العثماني واستلام البضاعة من البائع رأسًا . إن التجار العثمانيين الذين يشترون هذه البضاعة من مصدرها يقومون بنقلها إلى الموانئ ، ويحصلون على أرباح كبيرة . وهناك أصحاب سفن ينقلون بضائعهم بسفنهم ويجلبونها إلى الموانئ الأوروبية ، ويوجد في البندقية خان تجاري تركي كبير . لا يفرّق الباب العالي بين تاجر مسلم ومسيحي شرط أن يكون من رعاياه . كلاهما يخضع للقانون ذاته . ولا تخشى العثمانية أبدًا من اغتناء رعاياها المسيحيين . ولا شك أن هذه المعاملة تكسب العثماني شرفًا » .

13 - المرور البري والبحري :

استانبول ، نقطة التقاء لجميع الطرق سواء كانت برية أم بحرية . أطلقت العثمانية في عصور عظمتها وقت أن كانت دولة عالمية عظمى ، على استانبول اسم بأي تخت جهان (مركز العالم) ولها الحق في ذلك . كانت الطرق البرية العثمانية أجود الطرق في العالم (244, La Méditerranée. Brandel) . كانت مرصوفة بحجر الجرانيت . صالحة لمرور الجيوش ، القوافل ، الخيالة والمشاة . كان سوق الماشية فيها محظورًا . والطرق الفرعية ، كانت ترابية ممهدة . كان طريق استانبول - بودين ، الطريق الرئيسي في البلقان . إن طريق استانبول - أدرنة الذي يشكل القسم الأول من الطريق ، كان أكثر الطرق ازدحامًا في المرور على وجه الأرض (العصرين 16 - 17) كانت أدرنة ، فيليبه ، صوفيا ، نيش ، بلغراد ، أوسيك أهم نقاط التقاء في هذا الطريق . يستدير الطريق بعد بودين إلى الغرب ، ويمتد إلى براتيسلافا عن طريق استركون ويانق (Gyor) ومنها إلى فيينا . ثم تأتي طرق استانبول - سلانيك ، سلانيك - بوسنة سراي ، سلانيك - مورا . والطريق الذي يصعد من أدرنة إلى الشمال موازيًا لغرب البحر الأسود ، كان يمتد إلى رومانيا وقرم . وطرق بوسنة كانت تمتد إلى البندقية . يستغرق طريق استانبول - البندقية بواسطة القافلة مدة 30 إلى 45 يومًا ، بريا إلى حد Dubrovink ، ثم عن طريق البحر إلى البندقية الذي كان يستغرق 20 إلى 25 يومًا .

بريا إلى حد Split ، ومنها عن طريق البحر استانبول - البندقية يستغرق 30 يومًا .

إن الشارع الكبير في آسيا هو طريق استانبول (اسكدار) - بغداد - بصرة . كان يربط خليج البصرة ببحر مرمرة . وكان طريق استانبول - سورية - فلسطين - القاهرة مهما ، وكلا الطريقين يمران بأزميت . كان طريق استانبول - ازميت مماثلاً لطريق استانبول - أدنة في ازدحام المرور . كان طريق استانبول - أنقرة - أرضروم طريقًا مهمًا جدًا ويمتد إلى تبريز .

كانت القافلة (بالتركية : كروان)الواحدة تحتوي على 300 إلى 000 2 ونادرًا 000 2 إلى 000 12 حيوان .

الإبل والخيول تشكل أكثرية الحيوانات ، كانت البغال موجودة كذلك . القافلة لها خط سير يبين حركتها والمنازل (المحطات) التي ستمر بها وأوقات مرورها وأيام وصولها وأماكن مبيتها ومدة بقائها فيه ؛ فمثلاً ، كانت قافلة واحدة تحرك من أزمير إلى استانبول في صبيحة كل يوم . لكن مرور استانبول - أزمير الأصلي كان عن طريق البحر . كانت تأتي من تبريز قافلة واحدة في كل 3 أشهر ، وسنويًا قافلة واحدة من دوبرونيك ، ومن حلب في كل 3 أشهر ، من البصرة في كل 6 أشهر قافلة واحدة ، ومن بولونيا (Krakovi) شهريًا قافلة واحدة . الكروان (القافلة) الذي يحتوي على أقل من 300 رأس حيوان ، لا يسمى كروانًا ويسمى قافلة . ولم يحتسب هؤلاء ضمن هذا العدد .

كانت القوافل تقطع المسافة من استانبول إل أدرنه - حسب الموسم - في 5 - 6 أيام ، إلى فيليبه 9 - 10 أيام ، إلى صوفيا 13 يومًا ، إلى نيش 15 يومًا ، إلى بلغراد 20 - 30 يومًا ، وكذلك من استانبول إلى بورصة 2 - 3 أيام ، إلى أزمير 10 - 20 يومًا ، إلى أنقرة 13 يومًا ، إلى سينوب 20 - 25 يومًا على مهل ودون استعجال . كان من الجائز أن ينضم الخارجيون من غير التجار إلى القافلة بعد حصولهم على إذن من الكروانباشي (قائد القافلة) ويتابعون سفرهم .

إن أهمية المرور البحري بالنسبة إلى إمبراطورية قيل إنها تحكم 7 بحار ، واضحة .

كانت جميع الطرق البحرية أيضًا ترتبط باستانبول . لم يكن للدولة أسطول تجاري رسمي ، كانت جميع السفن التجارية يملكها القطاع الخاص ، كانوا ينقلون البضاعة وكذلك البشر . كلها كانت مسجلة في ميناء واحد . إذ إنه كان يسمح لهم من قبل الدولة بحمل المدافع والسلاح . لا يجوز لأية قطعة بحرية أن تحمل السلاح قبل أن تسجله لدى الدولة . هذا التسلح ، كان تجاه القراصنة .

كانت السفن الحربية ترافق الأساطيل التجارية والأساطيل التي تحمل الحجاج . البضاعة الخاصة بالدولة ، تحملها البحرية . كانت للبحرية سفن نقل كثيرة العدد جدًا ومن كل النوعيات . ولكن لا تعمل في التجارة .

البحر الأسود وبحر آزاك ، بحر مرمره ، بحر الجزر الذي يسمى حاليًا إيجه ، شرق البحر الأبيض ، البحر الأحمر كلها كانت بحيرات عثمانية . السواحل الجنوبية لوسط وغرب البحر الأبيض ، السواحل الغربية لخليج البصرة ، كذلك كانت تحت سيطرة العثمانية . ولعدم وجود قناة السويس ، لم يكن للبحر الأبيض ارتباط بالبحر الأحمر والبحر الهندي . كانت السفن التجارية منفصلة كأساطيل البحرية تمامًا . يطلق على الذين يشغّلون سفنهم في الأول « آق دنيز تجاري » (تاجر البحر الأبيض) ، وعلى الذين يشغّلون سفنهم في الثاني « هند تجاري » (تاجر الهند) .

يستغرق السفر بالسفن من استانبول إلى الموانىء الموجودة إلى مصب نهر الطونة من 3 إلى 4 أيام ، إلى موانىء قرم 6 أيام . إن أهم طريق بحري طويل ، هو طريق استانبول – اسكندرية ويستغرق 15 يومًا ؛ 7 أيام منها أيام سير و8 أيام للمنام في مختلف موانىء إيجه . كان طريق استانبول – اسكندرية بالنسبة لسفن الأسطول يستغرق 7 أيام . ويستغرق طريق استانبول – قاهرة بالقافلة 5 أشهر . وإن كان بواسطة الخيل فإن المدة تكون أقل بكثير . ولكن على العموم يرجح السفر إلى مصر عن طريق البحر . إذ كان يوفر كثيرا من الوقت . كان الحجّاج يقطعون الطريق من الأسكندرية إلى السويس مشيًا ، ثم ينقلون منها بواسطة السفن إلى جده . والحجاج الذين ليسوا موظفين في الدولة ، كانوا يذهبون عن طريق البحر من استانبول إلى الأناضول ويجتازون سوريا ويصلون إلى مكة ، وهذا يعتبر أكثر ثوابًا . وبذلك يكونون قد شاهدوا الأقطار ،

وزادت معلوماتهم .

وتأتي أزمير وسلانيك على رأس الموانئ ذات حركة المرور الواسعة بعد استانبول .
ومن الممكن اعتبار Pire مثلها أيضًا .

كان طريق إستانبول – البندقية واستانبول – مرسيليا عن طريق البحر بالنسبة للسفن التجارية ، يستغرق من 30 إلى 60 يومًا . يقل المرور البحري شتاء بين أوروبا وتركية . كانت كل سفينة تجارية بعد تحركها من استانبول ، خاضعةللتفتيش في جناقلعة (جمرك غاليبولي) وعند عودتها إلى استانبول ، تفتش في جناقلعة كذلك ، وتملأ الأوراق .

وبينما كان 93 ٪ من أصحاب السفن وربابنتها خلال 1500 -1650 مسلمين والأكثرية الكبرى منهم أتراك و7 ٪ روم ، زادت نسبة الروم خلال 1650 - 1800 ، إلى 21 ٪ . كان هؤلاء تجار البحر الأبيض » . أما تجار البحر الأسود وربابنته فقد كان 69,5 ٪ منهم أتراكا . وجميع أصحاب السفن في منطقة المحيط الهندي ، كانوا عربًا وأتراكًا . كان عدد السفن التجارية المسجلة في ميناء استانبول في أواسط العصر (17) ، 2600 ، 600 منها سفن كبيرة . و 3 000 بحار حازوا على إجازة ربّان (قبطان) سفينة تجارية . كان عدد الملاحين بصورة مستمرة 27 000 . يضاف إليهم ملاحون آخرون حسب الحاجة . إن أشهر أصحاب السفن الاستانبوليين نحو عام 1640 هم حاجي قاسم ، حاجي أنور ، حاجي فرهاد وحاجي نعمة الله . كانوا في الحقيقة حائزين على إجازة « تاجر البحر الأبيض » لكنهم كانوا يجلبون أموالاً كثيرة من الهند . كانت ثروة حاجي قاسم تقدر بـ ملياري آقجه وتعادل بالسعر الرائج حاليًا 4 , 5 مليار دولار تقريبًا . وثروات الثلاثة الآخرين مقاربة لذلك . كان نحو من 100 عبد وجارية يخدمون في قصور كل منهم . كانوا مساهمين مع الشركات الموجودة في جميع الأقطار الآسيوية والأوروبية . يقرضون الخزينة في أوقات الحرب . لكنهم كانوا لا يسترجعون قروضهم هذه . وفي العصور 16 - 17 ، كانت جزيرة Sandvip الطويلة نسبيًا الواقعة بالقرب من شمال – غربي ميناء Cittatong في بنكلادش الحالية ، تعود إلى العثمانية ، هي على الشرق تمامًا من الجزيرة الواقعة في دلتا مصب نهر الكانج (Vie Bouvier , Maynial

d'Aureng Zeb , 208) . كانت فيها قاعدة بحرية عثمانية ومخازن تجارية . ومصانع تصليح وإنشاء سفن للقطاع الخاص . كانت حتى البندقية توصي بصنع سفنها في مصانع السفن العثمانية في إستانبول والبحر الأسود (Annales d'Histoire Economique et Sociale, L'Febvre ، 7 ,1935 ,83) . كان عشرات الألوف من الملاحين يعملون في السفن التجارية العثمانية العاملة في الطونة ، الفرات ، دجلة والنيل .

14 – تاجر بدستان (سوق السلع الثمينة والأثرية) :

ثلاثة أنواع من أرباب التجارة يسمون « تاجر » وبصيغة الجمع « تجّار » : النوع الأول أصحاب السفن الذين مر ذكرهم أعلاه . والثاني بائعو الجملة الذين يشترون المواد وخاصة الغذائية ويبيعونها . والثالث هم الذين يبيعون في المدن الكبيرة الأغراض المستوردة الفاخرة والبضائع الثمينة . ويطلق على الذين يقومون بإرسال اللحم إلى المدن « جَلَب » (بفتح الحرفين الأول والثاني) ، والذين يقومون بإرسال الفاكهة والخضروات « قبض مال » وهكذا كان هناك الذين يقومون ببيع الدقيق والمواد الغذائية الضرورية الأخرى . لكن التجار الأصليين ، هم الذين يملكون مخازن كبيرة (مغازة) في البدستان ويبيعون السلع الفخمة والثمينة . كان هؤلاء يملكون مخازن للتجارة الداخلية والخارجية . كانت لهم علاقة مع الأقطار الخارجية . وفي أواسط العصر 17 ، كان يوجد من هؤلاء 188 3 تاجر بدستان مسجلين في إستانبول . ويشتغل في مخزن كل منهم من 15 إلى 160 شخصًا . كانوا يبيعون الحاجيات الثمينة فقط . يعملون بإجازة من الحكومة . ويدفعون ضريبة باهظة .

أطلق العثمانيون على مجمّع المخازن التي تبيع البضاعة الشعبية « جارشي » (سوق) هذا السوق مسقوف ويطلق عليه اسم « قابالي جارشي » ، ويطلق على المجمّع المختلط الذي يبيع السلع المتنوعة في مساطب مستقلة على شكل معرض في الهواء الطلق « بازار » ، وتسمى المخازن الكبيرة التي تبيع السلع الثمينة « بدستان » يوجد البدستان في المدن المهمة والمراكز التجارية فقط . ولا يوجد في المدن الصغيرة . كان في إستانبول سوقان (بدستان) من هذا النوع وكلاهما داخل سوق مسقّف وفي مكان مستقل ،

وهو موجود حاليًا ومستمر في المكان نفسه كان يباع في أحدها الجواهر ويباع في الآخر قماش الأطلس (حرير سميك) الثمين جدًا المسمى « صندل » . إن الفرو ، البورسلان (الخزف الصيني) ، البلور ، الأسلحة الثمينة ، الروائح الغالية ، الأشياء الأثرية ، وأنواع البضاعة الثمينة المستوردة كانت تباع في البدستان . كان يتحتم على التاجر الذي سيفتح مخزنًا في البدستان ، ألا يكون في سجله التجاري أدنى ما يعاب عليه . كانت المهنة ، في كثير من الأحيان تنتقل من الأب إلى الابن كما في المهن الأخرى أسس فاتح بدستان إستانبول في 1453 ، كان جده جلبي سلطان محمد قد أسس بدستان أدرنة نحو 1420 . إن البضاعة الثمينة الوافرة في بدستان القاهرة ، أضحت حديث الألسن . كان سعر فرو زبلن الذي يتمكن البادشاه وشيخ الإسلام من ارتدائه بصورة رسمية بـ 100 ليرة ذهبية ، في باريس 450 ليرة ذهبية . إن Pedro (183) الذي مكث في إستانبول في عهد القانوني مدة طويلة جدًا ، دوّن مشاهداته بأمر فيليب الثاني ، يذكر أن البضاعة الموجودة في مخزن واحد من مخازن بدستان استانبول ، يحوي على مجوهرات تفوق مجموع كل موجودات مخازن المجوهرات الكائنة في ميدان Medina del Campo في مدريد ، كميّة وقيمة .

كان العبيد والجواري يباعون في الخانات التجارية المسقّفة . كان الباعة الذين يسمون « اسيرجي » يدخلون في قائمة التجار الكبار والأغنياء . كان يرد إلى إستانبول سنويًا في الربع الثالث من العصر 17 ، 000 20 عبد وجارية (Ricaut, 1, 252) . كان سعر بنت مجرية لا بأس بجمالها 34 قطعة ذهبية . إن الجواري اللاتي يبعن بسعر يتراوح بين 500 1000 ليرة ذهبية وأكثر من ذلك في بعض الأحيان ، إما أن يكن جميلات إلى درجة ، منقطعة النظير أو أن يكن عازفات أو مغنيات أو راقصات . سوق الأسرى ، كان خارج السوق المسقّف (قابالي جارشي) . لا تشترى العبيد والجواري من هذا السوق لأجل السراي . إذ إن الذين يدخلون السراي يشترط فيهم أن يكونوا أطفالاً . كان هؤلاء يختارون من قبل ولاة الإيالات ويرسلون إلى السراي .

إن سوق الجواهر الموجود في سوق جارشي والمسمى « بدستان عتيق » أثر عماري فني رائع . مساحته 365 1 م^2 . ويطلق على بدستان صندل « بدستان جديد » ومساحته 280 1 م^2 ، جميع جدرانه تحتوي على أطر حديدية مدفونة بداخلها

من بدايته إلى نهايته . ويعتبر قلاعًا حقيقية لسوق قابالي جارشي .

15 – الأسواق (جارشي) ، الأسواق المفتوحة (بازار) ، الخانات :

بالرغم من عدم وجود بدستان (سوق الحاجيات الثمينة) في كل مدينة ، فإنه كان يوجد سوق (جارشي) في كل مدينة وحتى في كل قصبة . كانت توجد في المدن الكبيرة أسواق كثيرة جدًا . الدكاكين الكائنة على طرفي زقاق واحد تعتبر توجد . توجد في المدن الكبيرة أسواق مستقلة لبيع نوع واحد من السلع . مثلاً ، سوق سرّاجخانه في إستانبول ، كان أكبر سوق على وجه الأرض لبيع كل أنواع المنتجات الجلدية . تحتوي الأسواق الكبيرة على عدة أزقة . يندر أن تغطى الأزقة بسقوف ، إن غطيت ، تصبح « قابالي جارشي » (سوق مسقّف) . إن السوق المسقف في إستانبول ، هو المهد الحقيقي لأسواق Shopping center الغربية . السوق المسقف الإستانبولي ، كان أكبرها . وحاليًا هو كذلك رغم أن مساحته قلت بالنسبة للسابق . إن خمس الـ 000 48 مخزن الموجودة في إستانبول في العصر 17 كانت مجموعة في سوق قابالي جارشي . وسوق آخر شهير جدًا في إستانبول ، هو سوق الصحافين (صحافلر جارشيسي) الذي يبيع الكتب فقط .

البازار ، أسواق مفتوحة . اشتهر منها في إستانبول ، طووق بازاري (سوق الدجاج) ، قوش بازاري (سوق الطيور) ، آط بازاري (سوق الخيول) . أصبحت أسواق إستانبول المفتوحة حاليًا ، لبيع الأطعمة الطازجة على الأكثر وتخاطب الشعب ذا الدخل المحدود . وكانت هناك معارض موسمية تباع فيها الفواكه في مواسمها .

كانت الفنادق – كذلك تسمى خان – . وكانت توجد خانات تجارية أيضًا ، وهي الأماكن التي يستعملها تجار الجملة كمخازن ومكاتب عمل في الوقت نفسه . وهي أمثال خانات العمل (إيثر خان) الحالية . كان في العصر 17 مثلاً ، في مدينة الشام 240 خانًا من هذا النوع وعدد غرف بعضها 170 ، وعدد الدكاكين والمخازن التي تحتويها تصل إلى 100 (أولياء ، 543,9) . كان في أدرنة 18 خان عمل (أيش خان) كبير ، 28 أوتيل – خان . عدا خانات عمل صغيرة . إن والدة خان (خان

الوالدة) الذي شيّدته كوسم سلطان في جغالوغلو كأعمال خيرية يحتوي على 366 غرفة كبيرة . قسم منه قائم حاليًا ، إنه أثر مدهش يستحق المشاهدة .

16 – التجارة الخارجية :

كان التاجر العثماني أيضًا يستفيد من اتفاقية الامتيازات الأجنبية **copitulation** لعقدها على أساس المعاملة بالمثل ، فمثلاً ، بينما تدفع السفينة الإنكليزية التي تخرج البضاعة من فرنسا ، الضريبة ، كانت السفن العثمانية لا تدفع (أوزون جارشيلي 3 ,2 ,582 - 3) . ولكن أصبحت السفن التركية ، على مر الزمن ، لا تذهب إلى أوروبا . إذ إن السفن البخارية ارتبطت بخط سير خاص وانتقلت لسيطرة الأوروبيين . لم تتمكن العثمانية من تشكيل الشركات ولم تتمكن من تطبيق نظام البنوك وانتقال رءوس الأموال ، وبالتالي لم تستطع المنافسة . الميكنة ، غيرت النظام من أساسه أما أوروبا التي أصابها الغرور ، فقد فرضت نظامها جبرًا . تركيا التي كانت حتى 1850 ، تفوق صادراتها وارداتها ، اضطرت بعد هذا التاريخ إلى أن تستورد أكثر مما تصدّر ؛ إذ إنها لم تتمكن من منافسة البضاعة الأوروبية التي كانت تصنع بالماكينة وتصدر بكميات هائلة وبسعر أرخص . العثمانية التي لم تستورد السلاح أي شيء للأسطول في أية فترة من فتراتها ، اضطرت إلى استيراد الأسلحة والأسلحة الثقيلة . إذ إنها كانت تعلم ما أصاب الأقطار الشرقية التي لم تتمكن من حيازة هذه الأسلحة . أما العثمانية ، فقد كانت في رأس أنف أوروبا ، وكأنما كانت في داخلها . كانت حدودها تمتد إلى أوروبا الوسطى . إن المؤسسات التي تستوجب امتلاك العثمانية لها بصورة أكيدة ، كالسكك الحديدية واللاسلكي عرقلت تجارة ومالية العثمانية .

وبعد عام 1878 ، احتل العداء المطلق في إنكلترا ، تجاه العثمانية ، مكان الصداقة التقليدية وأعقبتها فرنسا أيضًا وقد يكون ذلك لخشيتها من ألمانيا . كلتا الدولتين ركّزتا أنظارهما على الأقطار العثمانية . واجه عبد الحميد الثاني هاتين الدولتين بتقليص استيراده منهما وتحويله ذلك إلى منافستيهما ألمانيا والنمسا . وقد ولّد ذلك في فرنسا ، وبخاصة في إنكلترا عداء متزايدًا ضد عبد الحميد الثاني . أخذتا تنظران إليه بعين الشخص الذي

يمنع أرباحهم الكبيرة جدًا . يتضح الوضع من الأرقام التالية : بينما كانت 61 ٪ من واردات العثمانية ، تستورد من إنكلترا في 1878 ، هبطت هذه النسبة في 1910 إلى 35 ٪ ، وهبطت الواردات من فرنسا في التاريخ نفسه من 18 ٪ إلى 11 ٪ . وخلال الوقت ذاته ، ارتفعت الواردات من ألمانيا من 6٪ إلى 21 ٪ ومن النمسا من 12 ٪ إلى 21 ٪ ((Almanach de Gotha; 531, Mandelstam; 14, Sarkda Almanya, Jaeck ، السنوات ذات العلاقة) . وارتفعت الواردات من إيطاليا من 3 ٪ إلى 12 ٪ .

وبينما كانت صادرات العثمانية إلى انكلترا عام (1861) ,13 مليون ليرة ذهبية وارتفعت في 1865 إلى 28 مليون ليرة ذهبية ، هبطت في 1867 إلى 20 مليون ليرة ذهبية . كانت العثمانية تبيع إلى إنكلترا في النصف الأخير من القرن 19 المواد الرئيسية التالية : كل أنواع المنسوجات ، الخيوط ، المصنوعات النحاسية ، المصنوعات الجلدية ، العرق ، السجاد ، الأكنمة ، الصابون ، زيت الزيتون ، زيت الورد ، النحاس ، الأفيون ، القمح ، الجوز ، البندق ، الجلود ، البن ، القطن ، الجاودار (جويدار) ، التبغ والعنب . وكانت تستورد من إنكلترا المواد الرئيسية التالية : كل أنواع المنسوجات ، البيرة ، المصنوعات الحديدية ، العاج ، المخمل ، المواد الكيماوية ، الأدوية ، الرصاص ، الشراب . ويمكن قياس التجارة الخارجية مع الدولة الأخرى على هذا الأساس .

أما حرب البلقان والحرب العالمية ، فقد قضتا على الاقتصاد العثماني من أساسه . وعلى سبيل المثال ، عند دخول اليونان إلى أزمير (1919) ، كان في هذه المدينة ، ثاني مدينة كبيرة في الإمبراطورية ، أكثر من ألف شركة تجارية تركية . أغلقت تقريبًا كامل هذه الشركات التي نهبت منها اليونان ثلاثة ملايين ليرة ذهبية و لم تتمكن من الاستمرار في تجارتها . أفلس المليونيرات من تجار الأتراك أمثال قير – زاده لر ، شيخ – زاده لر ، زعيم – زاده لر ، علائية لي – زاده لر ، سليمان شوكت بك (طيّب كوكبيلكين Lilli Mucadele Baslarken , 1, 137, 160) .

لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الرفاهية العثمانية أخذت في التقلص اعتبارًا من العصر 16 . إذ إن أوروبا أيضًا كانت تكسب مجالات كثيرة ، خرجت من سيطرة العثمانية . كان بإمكان العثمانية أن تجلب بواسطة سفنها 000 21 كنتال دفعة واحدة من الفلفل

الأسود والبهارات الأخرى من سلطنة آجه في أندونيزيا التابعة لها وتخزنها في مخازن التصدير في القاهرة (6 / 6 / 1564) . ثم تبيعها إلى شعبها بسعر رخيص جدًا إلى أوروبا بعد إضافة ربحها إليه ومع مرور الزمن ، اضطرت إما أن تشارك في هذه المجالات ، أو أن تتركها كلية إلى أوروبا . كـ ت في العصر 17 لا تزال غنية إلى درجة غفلت فيها واستصغرت معها أعمال وإنجازات أوروبا . أدركت ذلك في العصر 18 عندما بدأت كل هذه الحقائق تطفو . لكن المستفيدين من النظام القديم ، كانوا أكثرية ساحقة ، ولم تتمكن من إنجاز ما تصبو إليه . ومع حلول العصر 19 ، لم يعد هناك مجال للصبر وأصبحت قضية تحقيق بعض الإنجازات مسألة حياة أو موت . لكن المصاعب الداخلية كانت كبيرة . أما المصاعب الخارجية فقد كانت أكبر . كان الأوروبيون يفترس بعضهم البعض ليكون أغنى من الآخر ، أما بالنسبة للعثمانية التي يعتقدون أنها ليست منهم ، فقد كانوا قساة بصورة كبيرة . خارت أنفاس العثمانية بتورطها في الحروب دون تدبير وبشكل جنوني . كان اللحاق بأوروبا سهلاً جدًا عند بدء النظام الجديد فى 1793 ، كان الأمر يحتاج إلى قليل من الصبر والعزم . وقد أصبح ذلك صعبًا في 1826 ، لكنه كان ممكنًا على أية حال . وفي 1876 ، كان تدارك الأمر لا يزال ممكنًا . لكنه أصبح مستحيلاً بعد هذا التاريخ .

رأى عبد الحميد الثاني أن الحيلة الوحيدة الممكنة ، هي كسب الوقت . كان يؤمن بأن الإمبريالية الأوروبية ستفقد اندفاعها ، أو أنها قد تضمحل ولكن شيئًا من هذا لم يحدث .

كانت السياسة التجارية والاقتصادية الكلاسيكية العثمانية المعلنة حتى في العصر 19 ، كما يلي : توفير جميع البضائع في العثمانية . يشتري الذي لديه نقود ما يحلو له . تحريك البيع والشراء وتأمين سيولة الدراهم النقدية قدر الإمكان . تقوية الإيرادات الجمركية للدولة . التنبيه إلى عدم حدوث اختناق في أي مادة ، تأمين عدم خروج الذهب والفضة من البلاد قدر الإمكان ، وتأمين دخولهما. العمل على أن يكون مخزون الحنطة وشمع العسل (المادة الرئيسية للإنارة) كبيرًا وبصورة دائمة . الانتباه إلى عدم تهريب المواد التي تسد بالكاد حاجة الإمبراطورية كالرصاص والحديد . تأمين استفادة

الأوروبيين كفرنسا ، إنكلترا وهولندا من هذا النشاط التجاري ، لكي تتمكن من الوقوف أمام أسبانيا ، ألمانيا وإيطاليا أكبر أعداء العثمانية ، تسهيلات تصدير السلع إلى إستانبول بدفع رسوم جمركية قدرها 3 ٪ وشراء البضاعة التي يرغبونها وإخراجها والذي منح إلى فرنسا في 1533 ، وإلى إنكلترا في 1581 ، وإلى هولندا في 1609 والذي سمي بعد ذلك (Capitulation) . تأمين مرور القوافل ذات 10 - 12 000 رأس حيوان ومنحها حرية المرور من كل الأقطار ونقل البضائع التجارية المختلفة (**Devrinde Istanbul Kaanuni**, Pedro, 90) . جمع وتخزين لبضائع الهند وآسيا في البصرة ، بغداد والقاهرة ، وبيع العثمانية هذه المواد إلى أوروبا بالسعر الذي تريده (يخمن أن ربح العثمانية من مبيعات المرور هذه سنويًا 500 000 ليرة ذهبية من البيع المباشر ، 500 000 قطعة ذهب أخرى من الرسوم الجمركية التي تحصلها أثناء دخول البضاعة إلى الجمارك ، Grenard, 90 - 1) . حماية التاجر العثماني وجعل الرسم الجمركي للبضائع التي يستوردها 5 ٪ وتحصيل جمركي قدره 10 ٪ من التاجر الأوروبي وتأمين الربح المستمر للتاجر العثماني . السعي لدرء الضيق عن مركز العرش وتأمين حاجة إستانبول السنوية من الأناضول وروملي البالغة 7 ملايين رأس غنم ، 200 000 رأس بقر ، يوميًا 500 طن دقيق ، وما يعادل ذلك من الأرز ، السمن والمواد الأخرى وتأمين وصولها في فسحة من الوقت وبسعر رخيص ، وذلك بتخزينها على دفعات تكفي لسد الحاجة لمدة 6 أشهر على الأقل . تخزين كميات كبيرة من المواد الصناعية التى تستهلكها إستانبول بكثرة ولا تتمكن معاملها المحلية من توفير كامل حاجتها منها ؛ الورق والسكر ، وتأمين توفر هذه المواد بصورة دائمة . ولكون المدن الأخرى أقل نفوسًا وقريبة للمناطق الريفيّة فإنه يمكن عندئذ الحصول على النتيجة نفسها بجهد أقل . الاكتفاء بالربح المعقول وعدم الدخول في مضاربات ، المصنوعات كلها بسعر موحد ونوعية موحدة ومواصفات موحدة تقريبًا ويضاف إلى تقدم توجيه الاهتمام الزائد للحفاظ على النظام وعدم الإخلال به بالنسبة لـ 10 000 عامل ؛ عمال 29 معملاً كبيرًا في إستانبول ، و 29 264 عاملاً يعملون في 23 214 مصنعًا صغيرًا (ورشة) و 48 000 نقابي يعملون في 39 معملاً كبيرًا وللعاملين خارج هذا القطاع الخاص ، وفي مؤسسات الدولة العسكرية الصناعية الكبرى والثقيلة (العصر 17) .

إن هذه السياسة ، كانت تحول دون المنافسة الحرة ، وبالتالي فإنها كانت تحول دون تطور التجارة وحتى الصناعة وتستهدف فقط تأمين إعاشة المواطن بسعر رخيص وبشكل جيد ، ولا يرد على بالها وجود حياة أرقى وأفضل (Moitiè du XVII, Siècle Istanbul Dans la Seconde, Mantran ، 1962 ، ص 287) .

كانت رفاهية المناطق خارج إستانبول ، بدرجة قريبة من رفاهية إستانبول ؛ فمثلا ، كان يرد إلى طرابزون حتى في عام 1834 بضاعة من آسيا تصل قيمتها إلى حوالي 100 مليون ليرة ذهبية وكانت تصدّر إلى أوروبا رأسًا ، وكان 5 , 7 ٪ من هذا المبلغ تربحه الدولة ، 7,5٪ منه يربحه التجار وطرابزون (Iorga, 5, 445 - 6) . وقد كانت طرابزون أساسًا مركزًا لصناعة منسوجات الكتان وكانت تبيع الكتان ، البندق ، التبغ ، الشراب إلى الأقطار الممتدة من الهند إلى أوروبا ، فإذا ما أضفنا الربح الناشئ عن هذه الصناعات وبيعها يتضح لنا مبلغ رفاهية مدينة ليست كبيرة كطرابزون . وعلى سبيل المثال ، فإن هذه المنطقة ، كانت تربح في التبغ فقط سنويًا مبلغ 10 000 ليرة ذهب .

ونجد في بورصة مركز صناعة الحرير في العالم ، كان تجار الحرير فقط يسدّدون للدولة في عام 1485 ضريبة قدرها 35 مليون دولارًا بالسعر الرائج حاليًا (4 , 5 آقجة) ، ثم زيدت هذه الضريبة بشكل كبير في العصر 16 (مصطفى آقداغ ، 2 ، 184 - 5 ، 188 ، 349) . وهكذا ، فإن الرفاهية كانت شاملة ولم تكن مقصورة على إستانبول فقط . إلا أن هذا التوازن والنظام اختل في العصر 19 وتداعى في العصر 20 .



البحث السابع عشر

الوصف الجغرافي للإمبراطورية العثمانية



1 ـ الكيان الجغرافي للإمبراطورية

يوضح تعداد عام 1607 أن الإمبراطورية تشتمل على 553000 مدينة ، قصبة وقرية . ولايشمل هذا العدد الرحّل المزارع والإيالات المستقلة ذاتيا الموجودة في الإمبراطورية .

ليس من السهل أن نصف ، جغرافيا ، دولة لها تلك الحدود الواسعة وبخاصة إذا كانت قد مرت على حدودها تغيرات جمة في عصور مختلفة . ولكن المحاولة ضرورية في هذا المجال .

كان الحصان ـ كما كان في أقطار العالم أجمع ـ أسرع واسطة للاتصالات في هذه الامبراطورية الواسعة قبل 1850 ، قبل اللاسلكى والسكك الحديدية .

كان سعاة بريد الدولة الذين يطلق عليهم اسم « تاتار » و « أولاق » يقطعون طريق إستانبول ـ بغداد في 14 يوما ، طريق استانبول ـ عكا في 13 يوما . قطع أحد سعاة البريد طريق استانبول ـ بغداد في 9 أيام وسجل بذلك رقما قياسيا (Adolphas Slade، 2 ـ 300) . وقد استعملت العثمانية المرور النهري والبحري بكفاءة ، كما تمكن العثمانيون من إدارة الإمبراطورية لعصور طويلة بتقسيمات إدارية بإدارات تناسب كل قطر وتلائم حاجات العصر بصورة ممتازة .

2 ـ الإيالات والألوية :

لم يكن للإمارة (بكلك) العثمانية خلال 95 عاما 1231 ـ 1326 أراض يمكن أن تشكل إيالة . كان لديها أراض يمكن أن تشكل ولاية (سنجق ، إيل) واحدة . ويعتبر فتح بورصة في 1326 سببا مهيئا لتشكيل أول إيالة عثمانية .

تعرضت بمرور الزمن حدود الإيالات إلى تغيير كبير . كانت مساحاتها متفاوتة جدا . أسست الإيالات لاعتبارات عسكرية ، وإدارية وقومية . بينما وسعت الفتوحات حدود الإيالات القديمة ، كذلك أسست إيالات جديدة على الأراضي التى فتحت حديثا . كما شكلت أيضا إيالات عديدة باستقطاع بعض الأراضي من الإيالات وتقسيمها .

هناك إيالات تبلغ مساحاتها الملايين من الكيلومترات (كمصر) ،وفي الوقت نفسه توجد كذلك إيالات صغيرة مكونة من لواءين أو ثلاثة ألوية لا تتعدى بضعة آلاف من الكيلو مترات . وبينما توجد إيالات مستقرة تماما ، كذلك توجد إيالات أخرى لم تدم غير سنين معدودة فقدت بعدها أو ألحقت بإيالات أخرى .

ويمكن تقديم القائمة التالية بالنسبة للإيالات العثمانية قبل التنظيمات وحسب تسلسل تواريخ تأسيسها :

(1) ايالة أناضولى (الأناضول) (مركزها بورصة ، ثم أنقرة ، وفى 1451 كوتاهية) أسست في 1326 .

(2) **روملي**1363 (أدرنة ، ثم مناسطر ، صوفيا) .

(3) **قره مان** 1397 – 1402 وبعدها اعتبارا من 1470 (قونية) .

(4) **روم** روميه صغرى 1398 (توقاط ، آماسيا ، وفي 1526سيواس) .

(5) **ديار بكر** 1515 Diyar - Bekr (قره عامد = دياربكر Diyarbakir)

(6) **شام**1516 .

(7) **مصر** 1517 (قاهرة) .

(8) **يمن** 1517 (صنعاء) ، وفي 1567 – 69 انفصلت إيالة زبيد .

(9) إيالة **جزائر** البحرية 1519 .

(10) **حلب** 1521 .

(11) **دولقادر** 1522 (مرعش ، وبعضا البستان) .

(12) أرضروم 1534 (قبلها لفترة من الزمن أرزنجان) .

(13) **جزائر بحر سفيد** 1534 (الإيالة البحرية لقبطان باشا) .

(14) **عراق العجم** (همدان) 1534 (ألغيت بعد فترة وجيزة ثم أسست مرتين في الأدوار المتعاقبة لفترات قصيرة) .

(15) **بغداد** 1535 .

(16) **بوسنة** 1541 (بوسنة سراي ، ترافنيك ، بانيالوكا) .

(17) **بودين** 1541 المجر .

(18) **وان** 1548 .

(19) **كوجوك نوكاي** 1548 – 1555 (شمال – شرق قفقاسيا) .

(20) إيالة **طرابلس الغرب** البحرية 1551 (ليبيا) .

(21) **بصرة** 1552 .

(22) **تامشوار**1552 .

(23) **حبش** 1554 (مصوّع ، ثم سواكن ، ثم جدة) (انفصلت من الحبشة في بعض الفترات وشكلت إيالة الحجاز المنفصلة ، وفي بعض الفترات انفصلت مكة والمدينة وجعلتا إيالتين منفصلتين دستوريا) .

(24) **قبرص** 1751 .

(25) إيالة **تونس** البحرية 1574 .

(26) **شهر زور** 1578 (كركوك) .

(27) **جلدر** Gildér 1578 (جلدر ، آخيسكا) .

(28) **سوخوم** Sohum 1578 (آبهازستان ، ألغيت بعد عدة سنوات) .

(29) **داغستان** 1578 (دربند) .

(30) **شيروان** 1578 – 1604 (باكو) .

(31) **تفليس** 1578 – 1586 .

(32) **كاكهيتي** Kakheti 1578 (في كرجستان وقد ألغيت بعد عدة سنوات) .

(33) **أردلان** 1578 – 1607 (نهاوند) .

(34) **بلنكان** 1578 .

(35) **دينور** Dinever 1586 (بيلور Pilever) .

(36) **كردستان** (كرمنشاه ، وأحيانا سنة 1534 ، 1588 – 1607 ، 1630 ، والسنوات التالية ، 1723 والسنوات التالية ؛ اتحدث الإيالات الثلاث الأخيرة باسم سينة في 1588 – 1607.

(37) **فاش** 1579 (بوتي) .

(38) **لحساء** 1579 (قطيف) .

(39) **كفه** Kefe (في قرم) .

(40) **لوري** 1585 (في كرجستان) .

(41) **توماينس** 1584 (في كرجستان) .

(42) **شماهي** 1583 (ألغيت بعد عدة سنوات ، عرّان =قره باغ) .

(43) **روان** 1583 – 1604 ، 1774 والسنوات التالية (اريوان) .

(44) **غورى** Gori 1588 (في كرجستان ، ألغيت بعد عدة سنوات) .

(45) **كنجة** 1588 – 1606 ، 1723 – 1735 .

(46) **طرابزون** 1588 .

(47) **قارص** 1589 .

(48) **رقّة** 1594 (أورفة) .

(49) **يانق** 1594 – 1598 (Gyor) .

(50) **أكرى** 1596 (في المجرEger) .

(51) **كانيجه** 1596 (مركزها لغاية Sigetvar1600) .

(52) **أوزو** Ozu مركزها لغاية 1620 Silister ثم Ozu = Oezakov في اوكراينا .

(53) **نهجوان** 1603 (ألغيت بعد مدة) .

(54) **آزاك** (آزوف قرب روستوف) .

(55) **باطوم** 1617 .

(56) **طرابلس الشام** 1593 .

(57) **موصل** 1624 .

(58) **مورا** 1660 .

(59) **أدنة** 1660 .

(60) **صيدا** 1660 (صيدا ، بيروت) .

(61) **كريت** 1669 .

(62) **Varad** 1661 .

(63) **1661Yanova** (jenoe) .

(64) **Uyvar** 1663 (جنوب سلوفاكيا) .

(65) كامانيجة 1674 – 1699 (Podolya) .

(66) **استانبول** 1453 ، كانت كإيالة مستقلة بدون فريق أول (بكلربك) وتابعة للصدر الأعظم بصورة مباشرة .

ويمكن عرض قائمة بالإيالات ذات الحكم الذاتي والدول التابعة كما يلي :

(1) **أفلاق** 1391 – 1878(Tragoviste ثم بخارست) .

(2) **بغدان** 1455 – 1878 (Sucava) ، ثم ياش .

(3) **أردل** 1526 – 1691 .

وهن بالتسلسل إمارات رومانية وترانسيلفانية والأخيرة منها مجرية في ذلك العهد . وقد منح العثمانيون أمراء الأخيرة أحيانا لقب « ملك » .

(4) ملكية **المجر** « بودابست » ، كانت ضمن نظام الدولة التابعة قبل إلحاقها بإيالة بودين : 1526 – 1541 .

(5) ملكية **المجر الوسطى** ، الدولة المجرية التابعة للعثمانية في العصر 17 وتقع في جهة سلوفينيا .

رقم 1 و 2 أرثوذكس ، أما رقم 3 ، 4 ، 5 فهم كاثوليك أو بروتستانت (كلفيني او لوثري) .

(6) إمارة (هتمانية) **أوكرانيا** القوزاقية ، أرثوذكسية وقد تبعت العثمانية في فترات خلال العصر 17 .

(7) ملكية **بولونيا** (كراكوفي ثم وارشو) ودوقية ليتوانيا الكبرى – التي تشمل روسيا البيضاء كذلك – التابعة لها ، تبعت العثمانية في نهاية العصر 16 ، (كاثوليكية) .

(8) الملكيات والإمارات الموجودة في **كرجستان** تبعن العثمانية بين فترة وأخرى خلال العصور 16 – 18 ، (أرثوذكسية) .

(9) إمارة (خانلق) **قرم** (ملكية) 1475 – 1783 ، هي الدولة التركية السنية – الحنفية لبني جنكيز (بافجه سراي) .

(10) إمارة **قازان** 1521 – 1531 – 1546 +1533 – 1546 – 1551 ، الدولة التركية السنية – الحنفية لبني جنكيز (قازان) .

(11) إمارة **قسيم** 1486 – 1512 (هذه سنوات تبعيتهم للعثمانية) دولة تركية سنية – حنفية لبني جنكيز (قسيم قرب موسكو) .

(12) **إمارة استرخان** 1543 – 1557 ، دولة تركية سنية – حنفية لبني جنكيز (استرخان) .

(13) إمارة **باشكردستان** دولة تركية سنية – حنفية لبني جنكيز ، تبعت العثمانية لفترة من الزمن في لعصر 18 ، امراء (خانات) القوزاق **Kazak** .

(14) إمارة **كاشغر** دولة تركية سنيه – حنفيه تابعة للعثمانية في نهاية العصر 19 .

(15) بعض الإمارات (خاقانلقر ، خاقانيات) التركية في **تركستان** عرضت أحيانا تبعيتها إلى العثمانية (سنية – حنفية) .

(16) بعض الإمارات (خانلق) التركية والقفقاسية في قفقاسيا تابعة كذلك (سنية – حنفية ، أحيانا شافعية) .

(17) إمارة **كيلان** (رشت) ، تبعت العثمانية في 1534 ، إيرانية سنية – شافعية .

(18) أمراء (بك) **الأكراد** ، بكوات الأكراد في إيران ، تابعة للعثمانية في العصور 16 – 19 ، سنية – شافعية .

(19) سلطنة **آجه** كانت تابعة في العصر 16 سنية – حنفية وشافعية (سومطرة وماليزيا) .

(20) دول كثيرة في **الهند** عرضت تبعيتها للعثمانية في العصور 16 – 19 ، قسم منها دول سنية – حنفية ، وبعضها براهمي هندو* .

(21) إمارات (بكللك) البندقيين والجنويين الإيطالية الكاثوليكية (دوقية ، إمارة ، كونتية .. إلخ .) جزرها الكائنة في الأرخبيل وبحر ايونيا ، تبعت العثمانية ثم تم إلحاق أكثرها .

(22) تشاهد تبعيّة الإمبراطورية **البيزنطية** كذلك للعثمانية في غضون 1390 .

(23) يصرح العديد من المؤرخين القدامى والجدد بأن روسيا القيصرية كذلك ، دولة أرثوذكسية تابعة للعثمانية فى العصرين 16 – 17 .

* حتى الإمبراطورية التيمورية الهندية ، التي هي أعظم دولة شهدها تاريخ الهند كله ، لم تكن بعيدة عن التأثر بتفوق العثمانية . كان همايون شاه بن وخلف بابور شاه مؤسس هذه الإمبراطورية ، قد طلب إلى سيدي علي رئيس اللواء البحري العثماني والجغرافي الشهير ، أن يجعله صدرا أعظم له . وظل همايون شاه يخاطب السلطان سليمان القانوني في رسالته المؤرخة في 25 / 10 / 1548 التي يبعثها إليه والمحفوظة في أرشيف سراي طوبقابو بجملة « عزيز باد شاه بابام » (أبي السلطان العزيز) ويفيد بأنه لتخذه أبا في الدنيا والآخرة ويقترح محو إيران وإزالتها من الوجود ، وأنه فى حالة تقسيمها ، يطلب خراسان فقط ، وأن القسم الباق من إيران سيكون للعثمانية ، كان همايون شاه شاعرا كذلك في اللغة التركية ولو أنه لم يكن بدرجة أبيه .

(24) سلطنة فاس والدول الزنجية التابعة (سنية – مالكية) تبعت العثمانية بين فترة وأخرى في النصف الثاني من العصر 16 وفي العصر 17 .

(25) إمامة **عمان** الخارجية – العبادية ، تبعت العثمانية من النصف الثاني للعصر 16 إلي العصر 19 .

(26) أمراء مشعشع العرب في **خوزستان** ، تبعوا العثمانية اعتبارا من 1534 .

(27) الدولة العربية **الشيرازية** كانت تابعة للعثمانية في العصر 16 (سنية – شافعية) (سواحل موزمبيق ، تنزانيا ، كينيا) .

(28) الحكام المحليون السنة – الشافعيون في **الحبشة** وعلى رأسهم إمارتا هرر وصومالي ، تبعوا العثمانية في العصور 16 – 19 .

(29) دولة بورنو الزنجية (كوكا) (سنية – مالكية) تبعت العثمانية في العصور 16 – 19 (نيجيريا الشمالية ، كمرون الشمالية ، جاد) .

(30) دول زنجية كثيرة تبعت العثمانية في العصور 16 – 19 **في السودان** وفي أقصى جنوبها وغربها . سنية – شافعية ، أحيانا مالكية ، وقسم منهم كانوا عبدة أصنام .

(31) أمراء وشيوخ **حضرموت** وعلي رأسهم سلطان لحج ، كانوا تابعين أيضا خلال 1517 – 1919 .

(32) الأئمة الشيعية – الزيدية في **اليمن** ، كانوا كذلك خلال 1517 .

(33) كانت سلالات الحسيني في تونس ، قرة مانلي في ليبيا وقاوالالي في مصر – السودان – أوغنده ، تدخل ضمن نظام الولاة الوراثيين وليست ضمن نظام التوابع كلهم أتراك وسنة – حنفية .

(34) **أمراء مكة** ، كانوا في حالة تعاون وثيق مع العثمانية ويلقون اعتبارا كبيرا في الإمبراطورية كشرفاء من سلالة الرسول ﷺ .

يطلق اسم « بكلربك » علي والي الإيالة . وهذه الكلمة تعني في الوقت نفسه رتبة عسكرية بدرجة فريق أول ، وإن كانت الإيالة ، إيالة بحرية فعندئذ تكون رتبة الوالي فريق أول بحري . منحت رتبة وزير (مارشال) إلي جميع ولاة (بكلربك) الإيالات المهمة وبخاصة اعتبارا من العصر 17 ، ولم تكن هناك ضرورة لذلك بالنسبة للإيالات الصغيرة .

كان البكلربك ممثلا مطلق الصلاحية للبادشاه في إيالته . يعرف البادشاه جميع ولاة الإيالات (البكلربك) شخصيا ويجتمع بهم قبل ذهابهم إلي إيالاتهم .

كانت الإيالة الواحدة تتشكل من 2 إلى 40 ولاية (سنجق ، إيل) . وبناء على ذلك ، وكما يتضح من القائمة آنفة الذكر ، فإننا نرى أن الإيالات كانت متباينة بصورة كبيرة ، وكان على رأس كل ولاية وال عسكري يطلق عليه اسم « سنجق بك » . إن هذه الكلمة في الوقت نفسه رتبة لواء (رتبة دريا أو بحرية سنجق بك = لواء بحري Tumamiral) .

واعتبارا من العصر 17 منحت رتبة بكلربك إلي ولاة الألوية (سنجق) الكبيرة ، وهؤلاء سمّوا سنجق بك أيضا ، إلا أنهم يطلق عليهم لقب « بك » وكذلك لقب « باشا » الذي يطلق على البكلربك والوزراء . لا يعرف السلاطين ولاة الألوية (سنجق بك) شخصيا ، لكنهم يعرفونهم بأسمائهم ولهم علم بخدمات كل منهم . لكن نجد في العصر 17 أن بعض السلاطين لا يعرفون جميع أسماء ولاة الألوية . كانت الألوية تقسم إلى أقضية (ايلجة) وكان لكل قضاء عدة نواح (ناحية = بوجاق) ، وكانت لكل ناحية قرى عديدة (قرية = كوي) تابعة لها .

(3) الإدارة المدنية لعهد التنظيمات .

الإيالات التي شكلت في عهد التنظيمات أصغر من الإيالات القديمة . اسم ولاة الإيالة « والي » .

ومنح ولاة الإيالات الكبيرة مرتبة وزير ، وفي عهد التنظيمات لم تعد هذه المرتبة تعني الرتبة العسكرية مارشال (بالعثمانية : مشير) ، بل كانت تعني أعلى رتبة ملكية (مدنية) . ويوجد ولاة برتبة بالا ، بكلربك روملي ، أولى .

وبالنسبة للعسكريين نجد ولاة برتبة مشير ، فريق أول ، فريق . استمرت عادة زيارة ولاة الإيالات للبادشاه قبل التحاقهم بإيالاتهم ، كما ظلت هذه العادة جارية بالنسبة للسفراء أيضا .

وفي عهد التنظيمات أطلق على الإيالات اسم « ولاية » ، كل ولاية تتكون من عدة ألوية (سنجق) .

احتفظ بكلمة « سنجق » ، لكن سمي ولاة السنجق (الألوية) ، « متصرف » . وكذلك كانت الألوية تقسم إلى أقضية ولم تعد إدارة الأقضية بعهدة القضاة كما كانت في السابق ، وأصبحت بعهدة الإداريين من المدنيين الذين يطلق عليهم اسم « قائمقام » . وكذلك ، لم تعد إدارة الناحية بعهدة القضاة الصغار الذين يطلق عليهم اسم « نائب » بل أصبحت بعهدة إداري مدني يسمي « مدير » و « ناحية مديري » (مدير ناحية) . ومدراء القرى يعينون بالانتخاب ويدعون « مختار » . كان لكل من الولايات ، الألوية والأقضية مجالس تشكل من الأعضاء المنتخبين . ... ي الولايات كذلك سكرتير عام يسمى « مكتوبجي » « كما كان الوضع في النظارات (الوزارات) .

يسجل J.J. Hellert في أطلسه الفخم Atlas de l' Empire Ottoman (باريس 1844 ، النادر جدا) الذي نشره كملحق لتاريخ in folio المكون من 18 مجلدا ، أن الإمبراطورية العثمانية في عام التنظيمات أي عام 1839 تحتوي علي 628000 قرية ، 94 مدينة يزيد عدد سكانها علي 10000 نسمة ، وعدة آلاف من القصبات . ويذكر أن 25 مدينة يتجاوز عدد سكانها 50 000 ويذكر هذه مع المدن الكبيرة .

حصلت تغيرات كثيرة في الإدارة المدنية في عهد التنظيمات أيضا . وفيما يلي نموذج للوضع الإداري للإمبراطورية العثمانية في عام 1908 .

الإمبراطورية العثمانية (1908) : 880 128 كم ^{2} ، عدد السكان 000 689 62 نسمة (1 / 27 من مجموع نفوس العالم) : في آسيا 112 582 3 كم ^{2} و 000 177 30 نسمة + في أفريقيا 180 213 5 كم ^{2} و 000 671 17 + في أوروبا 588 333 كم ^{2} و 000 841 14 نسمة . كان 825 161 4 كم ^{2} و 36655000 نسمة منها تدار من إستانبول رأسا . وكانت تحتوي على 352 قضاء ضمن الـ 63 ولاية التي ظلت في تركيا حاليا + 327 قضاء ضمن الـ 62 لواء التي بقيت خارج تركيا = 679 قضاء ضمن 125 لواء . والبقية كانت دولا تابعة ومستقلة إيالة ، ألوية وإمارات . كانت الإمبراطورية تشتمل على 55 مدينة يتجاوز عدد سكانها الـ 000 50 نسمة ومجموع نفوسها الكلي 000 744 7 نسمة ، منها 19 مدينة يبلغ مجموع سكانها 000 4944 نسمة يتجاوز عدد سكان الواحدة منها 000 100 نسمة . بقي من هذه الإمبراطورية – في 1918 – بعد 10 سنوات 254 606 3 كم ^{2} وتقلصت الإمبراطورية 1919 إلى حدود تركيا الحالية .

مما يلي الولايات (بمعنى إيالة) والألوية (سنجق) (بمعنى ولاية إيل) التي كانت تديرها وزارة الداخلية في إستانبول عام 1908 :

إستانبول 3 900 كم^2 ونفوسها 000 400 1 نسمة : (المدينة 000 300 1) (10 دوائر بلدية « دائرة بلدية » .

لواء **جتالجة** 1 900 كم^2 و 000 85 نسمة (لواء درجة أولى ذو 3 أقضية) .

ولاية **أدرنة** 400 46 كم^2 و 000 524 1 نسمة (الكثافة السكانية 33 شخصا كم^2) (مدينة أدرنة 000 140) (ألويتها : المركز أدرنة درجة أولى ذو 7 أقضية ، قيريق كليسه (قيرقلايلي) درجة أولى ذو 7 أقضية ، ده ده آغاج درجة 2 ذو 3 أقضية ، كموجينه درجة 2 ذو 6 أقضية ، غاليبولي درجة 3 ذو 5 أقضية ، تكفور داغي (تكرداغ) درجة 3 ذو 4 أقضية ، المجموع 6 ألوية ذات 32 قضاء .

ولاية **سلانيك** 000 35 كم^2 و 000 415 1 نسمة (الكثافة 40.5) (مدينة سلانيك 000 250) (المركز سلانيك درجة أولى ذو 14 قضاء + سيروز (Serez) درجة 2 ذو 8 أقضية + دراما درجة 3 ذو 5 أقضية + تامشوار درجة 3 ذو قضاء واحد = 28 قضاء ضمن 4 ألوية) .

ولاية **مناسطر** 000 28 كم^2 و 000 061 1 نسمة (المركز مناسطر درجة 1 ذو 6 أقضية + سرفيجة درجة 2 ذو 6 أقضية + Debre درجة 2 ذو 4 أقضية + Goriee درجة 3 ذو 4 أقضية + Elbasan درجة 3 ذو 3 أقضية = 23 قضاء ضمن 5 ولايات) .

ولاية **كوسوفا** 000 32 كم^2 و 000 726 1 نسمة (المركز أسكب درجة أولى ذو 11 قضاء + Pristine درجة 2 ذو 6 أقضية + Ipek درجة 2 ذو 5 أقضية + Prizrin درجة 2 ذو 4 أقضية + Serice درجة 2 ذو 4 أقضية + طاشليجة درجة 3 ذو 2 قضاء = 32 قضاء ضمن 6 ولايات) نسمة .

ولاية **اشكودرا** 800 10 كم² و 368000 نسمة .
المركز اشكودرا درجة أولى ذو 5 أقضية + Drae درجة 3 ذو 5 أقضية = 10 أقضية ضمن 2 لواء) .

ولاية **يانيا** 17900 كم² و 649 000 نسمة (المركز يانيا درجة أولى ذو 7 أقضية + Ergiri درجة 2 ذو 6 أقضية + Berat درجة 2 ذو 4 أقضية + بيروزه Piruze درجة 2 ذو 3 أقضية = 20 قضاء ضمن 4 ألوية) . إن مجموع روملي المكونة من 7 ولايات + لواء مستقل (جتالجه) الذي أحصى حتى الآن أعلاه : 300 177 كم² و 000 228 نسمة .

ولاية **جزائر بحر سفيد** (جزر البحر الأبيض) 900 6 كم² و 000 415 نسمة (60) (المركز رودس درجة أولى ذو 6 أقضية + ساقيز درجة أولى ذو 4 أقضية + مديللي درجة أولى ذو 3 أقضية + يمني درجة 3 ذو 3 أقضية = 16 قضاء ضمن 4 ولايات) .

ولاية **أزميت** 100 8 كم² و 000 349 نسمة (لواء درجة أولى ذو 6 أقضية) .

ولاية **بيغا** (جناقلعة) 600 6 كم² و 000 187 (لواء درجة أولى ذو 6 أقضية) .

ولاية **خدا وندكار** 800 65 كم² و 000 1890 نسمة (مدينة بورصة 000 100 ، مدينة أفيون 000 120) (المركز بورصة درجة أولى ذو 7 أقضية + كاراسي (باليكسير) درجة 3 ذو 9 أقضية + كوتاهية درجة 3 ذو 5 أقضية + أرطغرل (بيله جك) درجة 3 ذو 4 أقضية + قره حصار (أفيون) درجة 3 ذو 4 أقضية = 29 قضاء ضمن 5 ألوية) .

ولاية **آيدن** 900 55 كم² و 000 873 1 نسمة (مدينة أزمير 000 300 ، مدينة مانيسا 000 100) (المركز أزمير درجة أولى ذو 13 قضاء + ساروخان (مانيسا) درجة أولى ذو 11 قضاء + آيدن درجة 2 ذو 6 أقضيه + دنيزلي درجة 3 ذو 6 أقضية + منتشة (موغلا) درجة 3 ذو 6 أقضية = 42 قضاء ضمن 5 ألوية) .

ولاية **قونية** 100 102 كم² و 000 380 1 نسمة (المركز قونية درجة أولى ذو 11 قضاء + نيغدة درجة 3 ذو 7 أقضية + حميد (اسبارطة) درجة 3 ذو 5 أقضية + تكه (انطالية) درجة 3 ذو 5أقضية + بوردور درجة 3 ذو 2 قضاء = 30 قضاء ضمن 5 ألوية .

ولاية **أدنة** 39 900 كم^2 و538 000 نسمة (المركز أدنة درجة أولى ذو 3 أقضية + قوزان درجة 2 ذو 4 أقضية + jeel (سيليفكه) درجة 2 ذو 4 أقضية + جيل بركت درجة 3 ذو 5 أقضية + مرسين درجه 3 ذو 2 قضاء = 18 قضاء ضمن 5 ولايات) .

ولاية **أنقرة** 70 900 كم^2 و1 277 000 نسمة (أنقرة درجة أولى ذو 10 أقضية + قيصرية (قيصري) درجه 2 ذو 3 أقضية + يوزغات درجة 3 ذو 4 أقضية + قير شهري درجة 3 ذو 4 أقضية = 24 قضاء ضمن 5 ألوية) .

ولاية **قسطموني** 50 700 كم^2 و 1 211 000 نسمة (المركز قسطموني درجه أولى ذو 8 أقضية + بولو درجة 3 ذو 9 أقضية + سينوب درجة 3 ذو 3 أقضية + كنكري (جانقيري) درجة 3 ذو 2 قضاء = 22 قضاء ضمن 4 ألوية .

ولاية سيواس 62100 كم^2 و 1 318 000 نسمة (المركز سيواس درجتي أولى ذو 22 قضاء) + آماسيا درجة 3 ذو 7 أقضية + قره حصار شرقي (شين قره حصار) درجة 3 ذو 5 أقضية + توقاط درجة 3 ذو 4 أقضية = 27 قضاء ضمن 4 ألوية) .

ولاية **طرابزون** 32 400 كم^2 و 589 000 نسمة (المركز طرابزون درجة أولى ذو 9 أقضية + جانيك (صمصون) درجه أولى ذو 6 أقضية + لازستان (ريزة) درجه 2 ذو 3 أقضية + كموشخانة درجة 3 ذو 4 أقضية .

ولاية **أرضوم** 49 700 كم^2 و 859 000 نسمة (مدينة أرضوم 140 000) (المركز أرضوم درجة أولى ذو 8 أقضية + بيازيد (آغري) أولى ذو 5 أقضية + أرزنجان درجة 2 ذو 5 أقضية + Hinis درجة [illegible] ذو قضاء واحد = 19 قضاء ضمن 4 ألوية) .

ولاية معمورة **العزيز** 32 900 كم^2 و 50 2[illegible] نسمة (المركز معمورة العزيز Elazig) درجة أولى ذو 6 أقضية + ملاطية درجة [illegible] ذو 5 أقضية + درسيم (طونجلي) درجة 2 ذو 5 أقضية = 16 قضاء ضمن 3 ألوية) .

ولاية **بيتليس** 27 100 كم^2 و 451 000 نسمة (المركز بيتليس درجه أولى ذو 4 أقضية + موش درجة أولى ذو 5 أقضية + زعرت درجة أولى ذو 5 أقضية + كنج (بينكول) درجه أولى ذو 3 اقضية = 17 قضاء ضمن 4 ألوية) .

ولاية **وان** 39300 كم^2 و 315 000 نسمة (المركز وان درجة أولى ذو 6 أقضية + حكاري درجة أولى ذو 5 أقضية = 11 قضاء ضمن 2 لواء .

ولاية **دياربكر** 37 500 كم² و 468000 نسمة (المركز دياربكر درجة أولى ذو 6 أقضية + ماردين درجة أولى ذو 5 أقضية + أركاني معدني درجة 3 ذو 3 أقضية = 14 قضاء ضمن 3 ألوية) . مجموع 13 ولاية أناضولي و2 لواء مستقل : 900 687 كم² و 14 632000 نسمة (عدا 2 لواء أناضولى تابع لولاية حلب) .

ولاية **حلب** 86 000 كم² و1040 000 نسمة (مدينة حلب 240 000) (المركز حلب درجة أولى ذو 14 قضاء + أورفة درجة 2 ذو 5 أقضية + مرعش درجة 2 ذو 5 أقضية = 24 قضاء ضمن 3 ألوية) (هاتاي وعينتاب = غازي عنتب ، كانا قضاءين تابعين للواء المركز لولاية حلب) .

ولاية **سورية** 95 900 كم² (مدينة شام 320000 (المركز شام درجه أولى ذو 10 أقضية + حوران درجة 2 ذو 7 أقضية + حماه درجة 2 ذو 4 أقضية + كرك درجة 3 ذو 4 أقضية =25 قضاء ضمن 4 ألوية) .

لواء **دير الزور**78 000 كم² و 90 000 نسمة (لواء درجة أولى ذو 4 أقضية) .

ولاية **بيروت** 16 000 كم² و 801 000 نسمة (مدينة بيروت 170 000) (المركز بيروت درجة أولى ذو 5 أقضية + عكا درجة أولى ذو 4 أقضية + طرابلس الشام درجة 2 ذو 4 أقضية + نابلس درجة 2 ذو 3 أقضية + لاذقية درجة 3 ذو 4 أقضية = 19 قضاء ضمن 5 ألوية) .

لواء لبنان 3 100 كم² و 550 000 نسمة (لواء مستقل ذاتيا مركزه دير القمر) .

لواء **قدس شريف** 17 100 كم² و 420 000 نسمة (مدينة القدس 100 000) (لواء درجه أولى ذو 6 أقضية) .

ولاية **موصل** 91 100 كم² و 420 000 نسمة (مدينة الموصل 100 000) (المركز موصل درجه أولى ذو 6 أقضية + كركوك درجة أولى ذو 6 أقضية + سليمانية درجة أولى ذو 5 أقضية = 17 قضاء ضمن 3 ألوية)

ولاية **بغداد** 182 000 كم² و 880 000 نسمة (5) (مدينة بغداد 200 000) (المركز بغداد درجة أولى ذو 12 قضاء + ديوانية درجة أولى ذو 4 أقضية + كربلاء درجة 2 ذو 4 أقضية = 20 قضاء ضمن 3 ألوية) .

ولاية **بصرة** 184 500 كم^2 و 819 000 نسمة (المركز بصرة درجة أولى ذو 4 أقضية + نجد = إحساء درجة 2 ذو 4 أقضية + عمارة درجة 3 ذو 2 قضاء = 13 قضاء ضمن 4 ألوية) .

ولاية **يمن** 197 000 كم^2 و 3 000 000 نسمة (مدينة صنعاء 100 000) (المركز صنعاء درجة أولى ذو 9 أقضية + حديدة درجة أولى ذو 9 أقضية + عسير درجة أولى ذو 7 أقضية + تعز درجة أولى ذو 6 أقضية = 31 قضاء ضمن ألوية) .

ولاية **حجاز** 589 975 كم^2 و 3 200 000 نسمة (مدينة مكة 100 000) (المركز مكة درجة أولى ذو 1 قضاء + المدينة درجة أولى ذو 4 أقضية + جدة درجة أولى ذو قضاء = 7 أقضية ضمن 3 ألوية) . مجموع 8 ولايات و 3 ألوية التي تشكل الأقطار العربية : 1 581 175 كم^2 و12 220 000 نسمة .

ولاية **طرابلس الغرب** 1 059 450 كم^2 و 900 000نسمة (المركز طرابلس درجة أولى ذو 9 أقضية + فيزان درجة أولى ذو 5 أقضية + **حمص** درجة 3 ذو 5 أقضية + جبل غريب درجة 3 ذو 4 أقضية = 23 قضاء ضمن 4 ألوية) .

لواء **بنغازي** 700 000 كم^2 و 330 000 نسمة (5 / –) (لواء درجة أولى ذو 5 أقضية) . مجموع الاثنين يشكل ليبيا : 1 759 450 كم^2 و 1 230 000 نسمة .

خديوية **مصر** (انفصلت في 1914) (مدينة القاهرة 752 000 ، إسكندرية 402 000) : مصر 994 300 كم^2 و 12 416 000 نسمة + سودان 2 294 600 كم^2 و 4 050 000 نسمة (خرطوم) = 3 288 900 كم^2 و 16 466 000 نسمة .

ألوية مصر العشرون : القاهرة ، الإسكندرية ، دمياط ، قنال (بور سعيد ، سويس) ، سيناء (العريش) ، الغربية (طنطا) ، الدقهلية (منصورة) ، الشرقية (زقازيق) ، البحيرة (دمنهور) ، المنوفية (شبين الكوم) القليوبية (بنها) ، أسيوط ، جرجا (سوهاج) ، قنا ، المنيا ، الجيزة ، الفيوم ، بني سويف ، نبيه (أسوان) .

ألوية سودان مصر الـ 9 : النيل الأزرق (واد مدني) ، كردفان (عبيد) ، دار فور (فاشر) ، أعالي النيل (ملكال) ، كسلا ، بحر الغزال (فو) نوبة (دامر) ، خرطوم ، خط الاستواء (جوبا) .

إمارة **بلغارستان** (بلغاريا) (انفصلت في 1908) (صوفيا 000 103) : إمارة بلغاريا الأصلية 3751 كم^2 و 000 3088 نسمة + ولاية روملي الشرقية 594 32 كم^2 و 000 1250 نسمة (5 /38) (فيليبه) = 345 35 و 000 338 4 نسمة .

ألوية بلغاريا الـ 9 : صوفيا ، شومنو ، كوسنتديل ، بلونة ، روسجك ، ترنوفا ، فارنا ، فيدين ، فراجا .

ألوية **روملي الشرقية** الـ 3 : فيليبه ، بورغاز ، اسكي زاغرا .

ولاية **بوسنه** - هرسك 564 51 كم^2 و 000 932 1 نسمة (بوسنه سرايي) (انفصلت في 1908) 6 ألوية : بوسنه سرايي ، بانيالوكا ، بيهاج ، توزلا ، ترافنيك ، هرسك (موستار) . تحت حكم النمسا - المجر المؤقت .

لواء **يني بازار** 000 133 نسمة ، اعيدت إلى تركيا في 1908 عندما كانت هي أيضا محتلة مؤقتا من قبل النمسا - المجر ، انفصلت عن تركيا في 1912 .

لواء **قبرص** 282 9 كم^2 و 000 280 نسمة ، 6 أقضية . محتلة مؤقتا من قبل إنكلترا ، انفصلت في 1914 .

ولاية **كريت** 379 8 كم^2 و 000 344 نسمة (جزيرة رومية مستقلة ذاتيا ، انفصلت في 1912) المركز خانيا ذو 4 أقضية + كاندية ذو 5 أقضية + ريسمو ذو 3 أقضية + لاشيد ذو 4 أقضية + أسفاكيا ذو 3 أقضية = 5 ألوية ذات 19 قضاء .

لواء **سيسام** 833 كم^2 و000 80 نسمة (جزيرة رومية مستقلة ذاتيا انفصلت في 1912) ، إمارة ذات 4 أقضية .

الإمارات **العربية ضمن العثمانية** : إمارة **نجد** الوهابية 000 390 1 كم^2 و 000 2800 (إمارتا : السعوديين والرشديين) .

إمارة **الكويت** 5000 كم^2 و 000 55 نسمة .

مشيخة البحرين 552 كم^2 و 000 20 نسمة .

إمارات **حضرموت** وسلطنة **لحج** 850 153 كم^2 و 000 400 نسمة (9 نواحي تابعة للواء تعز) . ولا حاجة في هذا المجال لذكر الإمارات والمشيخات العربية الأخرى .

كانت الرتب التي يحملها ولاة الإيالات ، في عام 1893 هي كما يلي : 3 مشير (مارشال) ، 4 فريق ، صدارة واحدة من الرتب الملكية (خديو مصر) ، 14 وزيرا (رتبة مدنية تعادل مارشال) ، 6 بالا (رتبة مدنية تعادل فريق أول) ، 6 روملي (رتبة مدنية تعادل فريق) .

والوضع في 1907 كما يلي : مشير بحري (أميرال كبير ، 3 مشير (مارشال) ، 2 فريق أول ، فريق ، صدارة واحدة (خديو مصر) ، 9 وزراء ، 10 بالا ، 6 روملي ، 10 أولى (رتبة مدنية تعادل فريق)

4 – استانبول

كانت استانبول من 1520 إلي 1820 (مدة تقرب من 3 عصور) أكثر بلاد العالم كثافة في السكان. إن نفوس استانبول في العهد البيزنطي ، من أوائل العصر 6 وحتى السنوات الأخيرة من العصر 12 ، تراوحت بين 000 1000 نسمة ، وتجاوزتها قليلا في بعض الأحيان . شتت الاجتياح اللاتيني هذه النفوس تماما (M. Andreades, De la population de Constantirople Sous Empereurs Byzantins, Metron, Rovigo, 1920, I, NO 97) إذا كان عدد السكان داخل السور الذي فتحه فاتح عام (1453) ، 000 50 يمكن عندئذ تقدير عدد سكان البوغاز وسواحل مرمرة ، والجزر ، وإسكدار ، و أيوب مع نفوس الساكنين داخل الحدود الحقيقية لمدينة استانبول 000 150 . ومن الممكن كذلك القول بأن عدد النفوس هذا قد تجرز الـ 000 300 في 1478 ، ويحتمل أنه قد أقترب من 000 400 . كان 000 148 من هذا العدد داخل الأسوار . وكان 000 90 منهم تقريبا مسلمين و 000 58 مسيحيين (قليل جدا من الموسويين) .

وفي 1520 يتوقع أن يكون عدد سكان استانبول الكبري قد بلغ 000 800 نسمة . إن إحصاء النفوس لعام 1577 بعد إحصاء عام 1478 موجود لدينا وقد أشرف على هذا الإحصاء قاضي حلب زكريا أفندي (عثمان ، مرآة جهان ، 46) .

بالنسبة إلى هذا الإحصاء ، كان تقسيم الأزقة في مدينة استانبول كما يلي : 973 3 زقاقا مسلما + 585 4 مسيحيا + 585 2 موسويا . والحقيقة أن عدد سكان المسلمين كان يفوق هذا العدد بسبب تجمعهم في الأماكن كالسرايات والثكنات .

كانت توجد 1 653 مدرسة ابتدائية ، 485 جامعا ، و 4 494 مسجدًا ، و 948 سبيلاً ، و 4985 حنفية مياة مبنية ، 150 تكية كبيرة و 285 تكية صغيرة ، و 285 فرنا ، و 743 كنيسة وأبنية أخرى كثيرة . كانت مدينة مليئة بخليط من كل الأجناس البشرية .

وفي العصر 17 كان في المدينة من العبيد والجواري ما يقرب من 20 000 بولوني ، وما يقرب من 20 000 روسي وأوكراني . وقس على ذلك بالنسبة للأجناس الأخرى .

وفي الإحصاء الذي أجراه مراد الرابع عام 1638 تم تعداد 9 990 زقاقا يسكنها مسلمون و 957 مسيحيون ، و 304 روم أرمن 27 و 17 زقاقا إفرنج (أوروبي) ، و 74 جامعا سلطانيا ، 1985 جامعا ، و 6 665 مسجدا ، و 19 مطبخا عاما (عمارت) ، 9 مستشفيات ، و 1993 مدرسة إبتدائية ، و 180 مدرسة (دينية) ، و 979 منزل مسافرين كبير (كروانسراي) ، و 686 خانا (اوتيلا) ، و 91 مضيفة ، و 557 مطبخا عاما ومضيفة ، و 55 مخزن مياه ، و 155 سوقا ، و 200 سبيل ، 22 073 محل وضوء وحنفيات مياه مبنية ، و 600 فرن وما شبه ذلك (أولياء ، 1 ، 510) .

لم يتجاوز عدد سكان المدينة في العهد العثماني في أي وقت من الأوقات المليون والنصف (Buyuk Istanbul) .

ويمكن القول إن المدينة وصلت في 1680 إلى الحد الأعلى في السكان .

يقول الجغرافي الأرمني الشهير إينجيجيان في 1804 « يتجاوز نفوس المدينة المليون ، لكن 400 000 منهم فقط أتراك ، و 300 000 روم ، و 300 000 أرمني ، أكثر من 10 000 موسوي ويوجد عدة آلاف من الأوروبيين » (ص 14 ، 25 ، 35) ، ويضيف أنه توجد 1 255 مدرسة ابتدائية ، و 518 مدرسة (دينية) ، و 490 جامعا ، و 4 494 مسجدا ، وأن 10 جوامع تعتبر من أكبر وأشهر الأبنية في العالم . ويوضح أن أستانبول ليست أكبر مدينة تركية فقط وإنما هي في الوقت نفسه أكبر مدينة يونانية وأكبر مدينة أوروبية .

وفي 1638 ، يقول أولياء جلبي إن 40 000 شخص يعيشون في سراي طوبقابو والأبنية التابعة له ؛ 12 000 منهم حرس (بوستانجي) ، وإنه يوجد في غلطه – بك أوغلو 200 000 « كافر » مع نحو 60 000 « مسلم » و 1 160 زقاقا ، و 8 أسواق ، و 3 080 دكانا ، وإن الروم يشكلون أكثرية الكفرة ، والبقية الصغرى من الأوروبين ، والأرمن ، واليهود . ويمكن تقدير عدد السكان في الجانب الأناضولي من المدينة بـ 500 000 شخص (أولياء ، 3 ، 76) .

إن ميزة مدينة استانبول هي تناثرها ، وانتشارها على مجال واسع جدا ، بشكل شرائط وليس بشكل مجتمع .

وطبعا إن أكبر ميزة لها ، هي كونها المدينة الوحيدة في العالم التي تقع في قارتين . ويقدر أن ثلثي نفوس استانبول عاشوا في الجانب الأوروبي ، وثلثا في الجانب الآسيوي .

الساحل الغربي من مضيق (بوغاز) استانبول أوروبا (روملي) ، والساحل الشرقي منها آسيا (أناضولي) ، وتشكل إسكدار ، النواة في جانب آسيا ، وتشكل النواة في الجانب الأوروبي المدينة الأصلية التي تسمى « نفس استانبول » التي تقع في جنوب الخليج . ويطلق اسم غلطة وبك أوغلو علي القسم الشمالي من الخليج ، وأيوب علي القسم الواقع على السواحل الشمالية من الخليج . ثم تأتي الأماكن المسكونة التي تصطف على طرفي ساحل بوغاز إيجي ، وهي التي أخذت من البيزنط كقرى قليلة السكان وفي حالة يرثى لها ثم أصبحت قصبات سكنية فخمة تنتهي في قصبتي روملي قاواغي وأناضولي قاواغي علي مقربة من البحر الأسود .

ومن ناحية أخرى ، تمتد أسكدار بمحلاتها السكنية على طول مرمرة ، حتى جسر بوستانجب في الساحل وفي الداخل .

أما نفس استانبول في الجانب الأوروبي ، فتمتد كذلك على طول ساحل مرمرة حتى كوجوك جكمجة . والمدينة التي تبقي داخل هذه الحدود كلها هي (استانبول الكبرى) .

ذكر سفير البندقية في استانبول Contarini (Relazioni ، 1 ، 337) أن عدد سكان المدينة « يتجاوز الـ 000 1000 » (1640) ، وذكر سفير بندقي آخر Civrano (Relazioni ، 2 ، 268) أن العدد « 800 000 » (1680) ، وذكر General Miranda (ص 56) إن « عدد السكان 000 100 1 ، وأكثر من ذلك يعد مبالغة » ، إلا أنه يوضح أن عدد السكان نقص بما يقارب 200 000 نسمة نسبة لعدد السكان السابق بسبب الحرائق . ومن الممكن القول إن عدد سكان استانبول الكبرى شارف لفترة من الزمن 000 000 2 . وعلى العموم فإن العدد يتراوح بين 1 و 1.5 ، مليون في العصر 19 ، ومن 1915 إلى 1930 تناقص عدد النفوس بصورة مستمرة حتي هبط في 1927 إلى 000 691 : ثم أصبح 000 741 (1935) ، و 000 794 (1940) ، و 000 844 (1945) ، و 000 010 1 (1950) ، و 000 215 1 (1955) ، و 000 460 1 (1960) ثم زاد باطراد جنوني حتى وصل إلى أرقام لم يصل إليها في التاريخ أبدا ، فقد وصل في 1985 إلى 5 ملايين .

قال نابليون : « لو أصبحت الكرة الأرضية دولة واحدة ، فيجب أن تكون عاصمتها استانبول » (جودت ، 1 ، 37 ، 356) . أما بطرس الكبير فإنه يستهل البند التاسع من وصيته بما يلي : « الذي يحكم استانبول يحكم العالم أجمع . هذا رأي لايمكن مناقشته . إن الدولة الأكثر قربا من استانبول ، هي الدولة ذات المستقبل الباهر » .

أدهش موقع استانبول الفريد ، السائحين الأوروبيين كافة . وقد امتدح جميعهم – دون استثناء – جمال موقعها ، والتناسق في منظرها وآثارها ، وتفوق مينائها من الناحية العملية . إن كونها أكبر مدن العالم كثافة في عدد النفوس ، وكونها مركزًا للإسلام ، جعلاها على الدوام بؤرة للإعجاب والتقدير . إن الدولة التي كانت هي عاصمة لها ، طوّرت استانبول من النواحي الفنية والثقافية حتى في فترة انحطاطها « Robert Mantran ، 322 ، 20) .

لاتوجد في العالم أجمع ، مدينة ثانية موقعها الجغرافي ملائم كاستانبول Devrinde Istanbul Kanunl Pedro ، 178 ، 182 » .

« كان أمل كاترينا الثانية في الحياة أن تشاهد استانبول ولو مرة واحدة . كانت تكرر دائما إنها سوف تتنكر في زي عاملة ألمانية وتزور المدينة . ماتت وهي آسفة على عدم تحقق رغبتها » (Gerard de Nerval, 39, 40, 1843) .

« استانبول هي عاصمة العالم . ولايوجد ما ينافسها في موقعها الجغرافي . يتفق الجميع على أن هذا الموقع فريد على وجه الأرض . أن بوغاز إيجي (البوغاز ، المضيق) قد أضفى رونقا خلابا على أجمل ميناء في العالم . ولقد تأسست استانبول على 7 هضاب كما في العهد البيزنطي (Hallert ، Atlas ، 53 ب ، 55ب ؛ 1844)

Constantinople n'a pas de rivale Sous la rapport de la situation . Tous Sont d'aecord :)
C'est une Position unique. Ce Canal lui Forme un des plus beaux port du monde .
Comme la Romeantique, elle Oecupe sept collines) .

يصف البارون فون هامّر Hammer ، أعظم مؤلف في التاريخ العثماني ، قدومه الأول إلى استانبول بتاريخ 1 / 7 / 1799 في مذكراته(Erinnerungen ، فيينا 1940 ، ص 37 ، 40) فيقول : بهرت عيناي ، دهشت وأعجبت . نموذج مبعثر للغرابة ، كانت لوحة

Naples et tous ses enchantements, comparer quelque chose ce magnifique et gracieux ensemble, c' est injurier la creation) .

يعّبر سفير الولايات الأمريكية المتحدة Morgenthau (ص 57) عن إحساسه عند دخوله بوغاز إيجي (منطقة المضيق) بالجملة التالية (1913) : « لم تشاهد عيناي أبدا منظرا على هذا القدر من الجمال » .

يصف نيكولاي Nicolay الذي قدم إلى استانبول في النصف الثاني من العصر 16 ، أحوال ميناء إستانبول بالجمل التالية (118, Voyages) : « في ميناء استانبول فيه جمال لايمكن أن نعثر على مثيل له في العالم ، وهو فريد من ناحيته العملية كذلك ؛ له مجال واسع جدا يبلغ 4 - 5 أميال . عرضه في المدخل يقارب الميل الواحد في بعض الأجزاء ويقل إلى نصف الميل في أجزاء أخرى ، عمقه عملي جدا بحيث تتمكن أكبر سفن الشحن من الاقتراب تماماً إلى الأبنية الساحلية » .

أما أولياء جلبي ، فيقول : تعمل في الميناء 800 سفينة ، 8000 برمه جي (ملاح زوارق الغناديل) ، 7000ملاح زوارق .

ويسجل Grelot أن 16 000 زورق وقارب - ويقول Fermanel 15 - تسير باستمرار في طرفي الساحلين وتحمل البشر والبضائع وهذه الأرقام تؤيد الأرقام التي قدمها جلبي .

إن كون استانبول أكبر قاعدة بحرية للإمبراطورية إضافة إلى أن بها أكبر معمل للسفن العسكرية ، تظهر أهمية البحر بالنسبة لمدينة تقع وسط البحر .

كان عدد العاملين في المعمل في العصر 16 ، 30 000 فورس (أسير يعمل بالأجرة) ، أرتفع هذا العدد في العصر 17 إلى 48 000 . لم يستطع أي عامل أسير الهروب من المعمل أو إحداث أي شغب . كان بإمكان المعمل استيعاب 110 ، وفي أقوال أخري 150 هيكلا للسفن في آن واحد (أولياء ، 1 ، 417) .

كان هناك سوقان للبحارة ، في غلطة وفي أمين أونو ، تبيعان كل أدوات السفن ، والتي لا يمكن أن تخطر علي البال ، لأصحاب السفن والبحّارة العثمانيين .

كتب Tournefort في نهاية العصر 17 مايلي (1 ، 464 - 5) إن استانبول من أكبر

المدن المبهجة والمفيدة في الكون ، كما يشهد على ذلك المؤرخون القدامى وجميع السواح حاليا (la Plus agréable et la plus avantageuse de l'univers) وكأن خيرات مضيقي جناقلعة والبحر الأسود وخيرات العالم من مختلف أمصاره خلقت لنقلها إلي هذه المدينة . تكدس في هذه البلدة العظيمة خيرات المغول ، الهند ، أقصى الشمال ، واليابان ، بواسطة البحر الأسود ؛ وخيرات الجزيرة العربية ، مصر ، الحبشة ، سواحل أفريقيا ، الانتيل ، أوروبا ، بواسطة البحر الأبيض .

إن الغناديل الظريفة التي تسمى « برمة » Perme الخاصة بالبوغاز والزوارق الكبيرة التي تسمي « قايق » ، كانت تؤمن المرور في بلدة تكتسب تلك الأهمية البالغة في المرور البحري الداخلي .

كتب أولياء جلبي (1 ، 553) أن 8000 برمه جي (ملاح الغناديل) يشغّلون 4614 عند أول مسجل في الميناء . وجاء في سجل أرشيفي مؤرخ في 1802 (Tarih dergisi ، 16 ، 127) أن 572 6 ملاح زوارق يشغلون 996 3 زروقا وغندولا وتسجل أسماؤهم فردا فردا مع أسماء كفلائهم . إن 189 5 من هؤلاء الملاحين مسلمون ، ومنهم 924 مسيحيًا ، و 464 يهوديًا ، وإضافة إلى ذلك يوجد 189 1 ملاحا ليسوا أصحاب زوارق ويعملون عند الحاجة لكنهم مسجلون كذلك لدى إدارة ميناء استانبول ويطلق عليهم اسم « آيلاقجي » .

يرغب غالبًا في هذا العمل أهالي شرق البحر الأسود .

« يجلس المسافر الذي يركب الزورق على وسادة في مؤخرة الزورق ويتكيء بظهره علي القارب .

الجدافون لونهم نحاسي ، يرتدون القمصان الحريرية والحزام الأطلسي . مؤدبون وطيبون جدا . يقبلون على مهنتهم في رضا ، وكأنها ضرب من الفن الجميل » (Gerard de Nerval ، ص 87 ، 1843) . « توجد الآن سفن بخارية كثيرة في البوغاز ولكن سير الزوارق التي تروح وتغدو كالريح في البوغاز بأعلامها الحمراء ذات الهلال والنجمة وكأنها شارع فخم يسير في البحر ، منظر يستحق المشاهدة . (Von Moltke ، 120 – 1؛ 1837) .

لايوجد موقع علي وجه الأرض فيه تنوع الأسماك وطعمها اللذيذ كما في البوغاز .

يقول Gyllius في العصر 16 مايلي : « إن مارسيليا ، البندقية ، وتورنتو ، مشهورة بأسماكها . لكن استانبول تتفوق علي كل هذه المدن .
يمتليء الميناء بزوارق السماكة التي لا تحصى القادمة من كلا البحرين . إن وفرة الأسماك تدعو إلى العجب . إن شبكة واحدة تملأ 20 قاربا بالأسماك . لكن الأتراك مولعون بلحم الغنم إلى درجة كبيرة ولا يأكلون السمك بكثرة . هذه الأسماك الوافرة والحيوانات ذات القشور يأكلها غير المسلمين القاطنين في استانبول » .

الحقيقة أن سوق السمك في استانبول محل يستحق المشاهدة . إن سوق غلطة (بك أوغلو) ، أجمل من سوق استانبول (أمين أونو) . يصاب المرء بالدهشة من كثرة أنواع الأسماك . تباع الأسماك فقط في هذين السوقين » (Tourne fort ، 1 507) .

« أخرجوا الشباك من البحر أمام عيني ، ولو لم أشاهد ذلك بنفسي لما صدّقت . كانت الشبكة تحتوي على نصف مليون من سمك الأسكمرو Uskumru وهذا يعني 1000 ليرة ذهب » (Von Moltke ، 75 ؛ 1836) .

أجود وأنفس أنواع الأسماك في استانبول هو سمك قيليج (سمك السيف) ، لورك Levrek ، باربونية Barbunye ، ثم تكير Tekir ، قير لانغج Kirlangiç وأمثاله ، وأيضا الاستاكوز istakoz والقريدس Karides والمحّار . حاول أحد أرقى المطاعم في استانبول ، إطعام كاتب هذه السطور شيش سمك القرش على أنه سمك السيف .

كانت أحب أكلة لدى محمود الثاني ، هي شيش سمك السيف .

يجب أن أشير إلى أن الذي سيزور استانبول لأول مرة بعد قراءته ملاحظات السائحين القدامى التي دونتها آنفا سيصاب بالخيبة نسبيًا ، فالمدينة كانت علي تلك الدرجة من الجمال ، وقت كان عدد سكانها مليونًا ، ومن الطبيعي أن يختلف الوضع عندما يصبح سكانها خمسة ملايين من النفوس . لقد سببت العقلية القاصرة عن تفهم القليل من فن الذوق والجمال الكثير من القبح ، هدمت لآليء الفن العماري العثماني وشيّدت مكانها كتلا كونكريتية .

تصّوروا مدنا كلندن و باريس تعرضّت لمثل هذا ... كيف تصبح حالها ؟! ...

في عصور العظمة ، كانت تهدم فورًا المباني التي تشوّه الناحية الجمالية للمدينة والتي ليست متينة . يخرج 140 مفتشا معماريا يوميا لتفتيش الأبنية في إستانبول (أولياء ، 1 ، 627) . كان مائة ألف من النفوس في ذلك العهد يعتبر كبيرا جدا ، ناهيك عن المليون والمليونين . إن المستوى الحضاري الذي يفرض رصف الطريق البري الذي يربط إستانبول بأدرهة في العصر 16) (وهو من أشد الطرق زحاما في العالم) ، بصورة كاملة (الراهب البولوني Simeon ، ص 23 ؛ 1611) – لمستوى يستحق الاحترام الزائد . إن إنجلترا لم تشرع في إنشاء الأرصفة في مدينة لندن إلا في عام 1824 . ولم يشيد نابليون أول مجزر لذبح المواشي في باريس إلا عام 1813 ، وكان ذلك بعد عصور طويلة من إنشاء العثمانيين لهذه المجازر .

ولكي تتعرف على مدى تأخر لندن وباريس أكبر مدن العالم تطورا حتى 1850 ، من ناحية الإثارة وتوزيع المياه ولنرى أي درجة بدائية كانوا عليها ، انظر Halier ، L' Ancien Regine et le Monde, Contemporain (1715 – 1870) ، باريس 1966 ، ص 198 .

يلاحظ أنه بعد أن تطورت الخدمات البلدية في المدن الأوروبية بعد 1850 ، لم تتمكن المدن العثمانية ومن بينها استانبول من مسايرة هذا التقدم ؛ لأنها لم تكن تستطيع الإنفاق على هذا التطوير .

كانت إنارة عدة شوارع في لندن بغاز الاستصباح في 1813 لأول مرة في تاريخ الكرة الأرضية ، وبعد فترة في باريس ، إحدى أكبر الانقلابات في بناء المدن .

أنيرت المدن الغربية خلال الفترة 1850 إلي 1860 بغاز الاستصباح وأصبحت تتلألأ نورا .

أُسس معمل توليد غاز دولمه بقجه في استانبول في 1853 . وأنير سراي دولمه بقجه ، حدائقه وشوارعه . ثم أنير جاده كبير (شارع الاستقلال) بغاز الاستصباح في 1856 . واعتبارًا من عام 1856 ، بدأت استانبول في وضع لوحات تبين أسماء الشوارع ، وفي بك أوغلو تم إنشاء فنادق كبيرة على الطراز الغربي ، وكازينوهات ، وافتتحت المطاعم . وفي 1864 ، افتتح معمل توليد غاز الاستصباح الثاني في قوزغونجق ، وفي 1880 / افتتح المعمل الثالث في يدي كوله ، وفي 1891 افتتح الرابع

في حسن باشا وشاعت الإنارة بواسطة الغاز . ولايفوتنا أن نذكر أن الإنارة بالنفط وحتى بالشمع ، قد استمرت إلى عهد قريب في المناطق الفقيرة من إستانبول .

وفي ك 2 / 1875 ، أسس خط مترو قره كوى – غلطه الذي يسميه الأتراك « تونيل » ، وهو المترو الوحيد في تركيا حتى الآن . استفاد الشعب كثيرا من هذا المترو لاختراقه مرتفعا عاليا جدا .

مدت السكك الحديدية في إيلول 1869 وبدأ النقل بواسطة الترام الذي تسحبه بغال مجرية ضخمة ، وقد حول في شباط 1914 إلى ترام كهربائي . وقبل 1908 ، كانت الكهرباء والسيارات موجودة في المنطقة التي تحيط بسراي ييلدز فقط . ورغم أن الإنارة بالكهرباء دخلت سلانيك بيروت وأزمير منذ مدة طويلة ، فإن الإنارة الكهربائية ، وسيارات الأجرة (التاكسي) لم تقم في استانبول إلا اعتبارا من 1908 .

أما حاجة المدينة إلى الماء فقد رصدت في جميع الأدوار مبالغ كبيرة لتأمينها . دهش فاتح عند دخوله المدينة ، لاكتفاء أهلها بمخازن المياه تحت الأرض ، جلب لهم المياه .

إن آخر إنجاز عثماني كبير هو مياه حميدية التي أسسها عبد الحميد كخيرات من جيبه الخاص ليستعمله فقراء إستانبول ، وكان صالحا للشرب والاستعمال . ومازال كذلك حتى اليوم . وفي غضون 1850 ، جهزت إستانبول باللاسلكي ، والسكك الحديدية ثم الهاتف .

إن كارثة استانبول الكبرى هي الحرائق . والسبب الرئيس في هذه الكارثة هو شغف العثمانيين بالسكن في البيوت الخشبية (عدا الأبنية العامة التي تبنى بالحجر) . هناك حرائق كبيرة أحرقت أكثر من 80 000 دار . أما الكوارث الكبيرة التي حدثت بعد ، فهي الهزة الأرضية في 1894 ، وحرائق 1908 ، 1911 ، آذار 1918 ، 13/ 6 / 1918 .

كان أمن أستانبول جيدا للغاية . كان معدل الجنايات في عهد القانوني جناية واحدة في السنة . تسببت الإنكشارية في الإخلال بهذا الأمن في الربع الأخير من العصر 18 والربع الأول من العصر 19.

يمتدح Sir James Porter في 1769 (ص 311) شرطة استانبول The polis of the great city of Constantinople is admirable. No riots, no mobs, no desorders are known in the street).

يقول Thevenot في 1665 (ص 112) إن عدد المدينة بلغ المليون وأنه حدثت خلال السنوات الأربع 4 جرائم قتل .

نفي Du loir في 1654 وقوع جرائم القتل في استانبول وذكر أنها نادرة الوقوع خارج استانبول (ص 188) .

يذكر De la Montraye في 1727 أنه مكث في استانبول 14 عاما لم يسمع خلالها بحادث سرقة واحد ، وأن 6 من الأشقياء أجلسوا على الأوتاد ، وكلهم من الروم (1 ، 258) .

يسجل أولياء جلبي ، أن باستانبول 12000 حارس مسئول عن أمنها وخاصة في الليل ، وأنهم يحملون العصيّ فقط كسلاح ، وهؤلاء يعرفون أهالي أزقتهم فردا فردا .

« تُجهل تقريبا في تركيا السرقة ، السلب ، قطع الطرق ، الاحتيال ، النشل . الأمن متوافر في الشوارع وقت الحرب والجند في جبهات القتال بقدر ما هو متوافر وقت السلم . وخاصة في الطرق الرئيسية ، إذ إنه يمكن اجتياز الإمبراطورية من أولها إلى آخرها بسلام ودون التعرض إلي أصغر حادث . الحوادث قليلة ، ويندر وقوع حادث واحد على مدى سنوات .

أردت تدقيق ماهية الأسلوب الذي تتبّعه الحكومة لتأمين أمن كهذا .

وقد توصلت إلى أن الإمبراطورية مقسمة إلى مناطق صغيرة ، وأن بكل منطقة شخصا واحدا مسئولا عن أمنها ، وإلى جانب ذلك السرعة الكبيرة في تطبيق العدالة ، ولا أمل في الإفلات من العقاب ، يرسل مفتش واحد من استانبول في أقل الحوادث أهمية ليقوم بتحقيق الحادث بصورة دقيقة وتتحمل القصبة أو المدينة التي وقع الحادث بكل نفقات المفتش ومصروفاته . وقد تراءى لي أن كل هذه الضوابط لا تكفي لتحقيق أمن كامل ، فالإمبراطورية التركية مترامية الأطراف ، والذي يقدم على السرقة يستطيع أن يهرب

ويختفي في مكان ما ، في مثل هذه الإمبراطورية ، إلا أنني وجدت أن الشعب - وبخاصة الطبقة المتوسطة - يخشى عقاب الدولة ، ويحاول جهده ألا يقترف مايستوجب العقاب . إن هذه الخشية لم تكن من عقوبة السجن أو العقوبة المادية فقط ، وإنما كانت كذلك من الضغط الأدبي ، إذ إن الشعب ينظر إلى مثل هذا الشخص على أنه قليل الشرف . صادفت خلال سفري أوروبيا يسافر وحده من إستانبول إلى إيران دون أن يحدث أي تغيير في لباسه الأوروبي ، تكلمت معه لأنه بالنسبة لي ، مشاهد جيد ومحايد . استفسرت منه عما جرى له خلال سفره ، فأجاب بأنه قطع القسم الأكبر من الطريق بدخوله بين صفوف الجيش التركي ، وأنه لجأ إلى ذلك لشعوره بأن ذلك أكثر أمنا ، لكنه علم أخيرا بأنه حتى لو لم يعمل ذلك لما مسه أحد بسوء . وسألته عما إذا كان قد تعرض لمعاملة سيئة من قبل الجيش التركي ، فأجاب بأن الجيش التركي لم يكترث به ولم يتلق إخطارا من أي ضابط بالابتعاد عن داخل الجيش .

إن حوادث النشل ، والاحتيال ، والسرقة نادرة للغاية وخاصة في استانبول . سمعت عن بعض حوادث الغش ، وبعد الاستفسار والبحث والتمحيص علمت أن الفاعلين ليسوا أتراكا ، وإنما بلغار وروم .

يلاحظ أن شعب استانبول لم ير ضرورة في اتخاذ أي تدابير أمنية تجاه السرقة ، وهذا طبعا لاعتماده على استتباب الأمن (Sir James Porter ، 1769 ، 2 ، 50 - 3)

« لايمكنكم أبدا أن تصادفوا عملا يحيد عن العدالة أو يمثل ظلما ، ولم أتمكن من تعليل ذلك ، ربما يمكن القول بأن ذلك يرجع إلى الخوف من العقاب ، وإلى التربية الوجدانية ، وقد يكون الأمران معا . ولكن يجب تحاشي المسيحيين الذين يعيشون في الإمبراطورية والحذر منهم ، وأيضا الأوروبيين الذين يعيشون في استانبول . وبخاصة الروم ، فإنهم محتالون جدا » (General Comte de Bonneval ، 1740 =1, 512) .

الأتراك أناس مدنيون جدا . تكفي مشاهدة تفوق انضباط الأمن ، ليس فقط في إستانبول بل في جميع أنحاء الإمبراطورية » (Guer , 2 , 188) .

« إن الأمن مستقر ليلا في إستانبول ، كما هو في النهار . من ا نادر حدوث سرقة . وفي حالة عدم العثور على السارق فإن سكان ذلك الزقاق يكونون ملزمين بتحمل السداد ، وأن عثر على السارق ، يعاقب بالحبس الشديد . لاتقع تقريبا السرقة المسلّحة ،

إذ إن عقوبتها الإعدام » (Castellan ، 1811 ، 2 ، 221) .

اضطررت خائفا إلى اللجوء ليلا إلى بيت صغير لأحد التركمان لأكون ضيفا عليه . إذ إن مظهرهم كان وحشيا ، لكنني خجلت إثر المعاملة اللطيفة التي لقيتها داخل الدار . وعلمت فورا أنني في أمان كما لو كنت في أفخم فندق أوروبي » (Mac Farlane ، 1829 ، 1 ، 360) .

إن كيفية السيطرة على الأمن بهذا الشكل ، وخاصة في مدينة كاستانبول ، التي بقدر ماهي كبيرة ، فإن سكانها خليط من مختلف الجنسيات والمذاهب ، موضع تدقيق بالنسبة للأوروبي . إن السكون بعد غروب الشمس كان عجيبا ، كأنه سكون مطلق . لاتشبه استانبول المدن الأوروبية أبدا . لم أجد صعوبة في معرفة السبب ، لم يكن في الشوارع أناس كثيرون في الليل ، المرأة لاتخرج ليلا إلى الشارع أبدا ، كان حمل السلاح ممنوعا ، لم يكن الأتراك يشربون المشروبات أو يلعبون الورق (القمار) . ينامون مبكرين . لأنهم مجبرون على النهوض مبكرين . كان المسيحيون يخشون من ارتكاب أية مخالفة وإضافة إلى ذلك فإنهم لم يكونوا كالمسيحيين الموجودين في أوروبا ، إذا إنهم كانوا قد تطبّعوا بالأخلاق العثمانية بصورة أساسية ، تعوّدوا على السلوك مثلهم . كانت تشكيلات الأمن كثيرة في المدن . لكنهم جميعا لم يكن لديهم ما يعملونه . لاتعرف أبدا المبارزة، الانتحار والجرائم المدهشة التي تحدث في المدن الأوروبية الكبيرة . لم أشاهد حتى من ينظر إلى الآخر شزرا (Brayer ، 1836 ، 1 ، 196 – 7) .

« علمت أن معدل حوادث السرقة السنوي في استانبول هو 6 حوادث . وهذا الوضع كان واضحا . كان الإمكان التعرف على مدى الأمان من الناس الذين يذهبون لصلاة الظهر ، تاركين مخازنهم المليئة بالحاجيات الثمينة ، مفتوحة دون أن يغلقوا أبوابها » (الكتاب نفسه ، 1 ، 234 – 5) .

إن معدل حوادث السرقة في استانبول سنويا 4 . منطقة بك أوغلو غلطه ، تبقى خارج هذه الإحصائية . تشاهد هناك سرقات بل وجرائم . إن الأمن خارج المدن ، هو كما في المدن على حد سواء . لم يسمع أبدا ، ارتكاب الجندي التركي سرقة ، إن عقوبة السرقة بالنسبة للعسكري ليست السجن كما عند المدنيين وانما الإعدام رميا

بالرصاص . يجب أن يحكى عن أخلاق الأتراك هذه ، في كنائس لندن في مواعظ أيام الآحاد كنموذج يقتدى به (Ubicini ، 1855 ، 329 – 30) .

يستطيع أي شخص ، ينتسب إلى أي دين كان ، ترك بضاعته الثمينة أو نقوده ، في أي جامع تركي ، دون أن يسدد أي أجور . توضع في الخزائن الموجودة في الطابق العلوي من الجوامع . يستطيع تسلمها كما هي ولو مضت عليها سنوات . لم تسمع أي شكاية في هذا الشأن (Eudel ، 1872 ، 190) .

في الفترة الكلاسكية كان الضباط الذين يطلق عليهم اسم سوباشي ، يشرفون على الأمن نهارا ويشرف الذين يطلق عليهم اسم أساس باشي على الأمن ليلا .

أما رئيس الانضباط العسكري (الشرطة العسكرية) فكان يطلق عليه اسم محضر آغا . لا يعلم أحد أنه شرطي ، كان لديه شرطيات سرّيات من النساء كذلك .

لا يمكن للشرطي أن يتدخل أو يتعرض بأي شكل من الأشكال إلى شخص لم يرتكب حادثا .

كان طوبجيباشي هو المسئول الأعلى عن الأمن في الطوبخانة (معمل المدافع) ، وقبودان دريا (مشير البحر) مسئولا عن قاسم باشا ، الخليج ، بك أوغلو وغلطه ، وبوستانجيباشي هو المسئول عن الحدائق العامة (البارك) والحدائق .

كان رئيس البلدية (شهر أميني) مسئولا عن الخدمات البلدية أمام قاضي استانبول ، و المعمار باشي ، مسئولا عن نظام الإعمار ، وناظر إسالة الماء عن حاجة المدينة إلى الماء ، وسوباشي النفايات ، مسئولا عن النظافة . والإمام مسئولا عن شرف المحلة .

كان مختار المحلة مسئولا أمام الحكومة ، تسدد عائلة القاتل ، وإن كانت غير مقتدرة على ذلك ، فسكنة محلة القاتل ، إلى عائلة القتيل من 250 إلى 700 ليرة ذهب على حسب سن ووضع القتيل الاجتماعي ، كان ذلك مادة قانونية . وإن حدثت أي عاهة جسمانية ، يسري نظام الدية نفسه .

في العصر 16 كان في استانبول 100 كنيسة أرثوذكسية وغريغوريانية تقريبا ، 12 كنيسة كاثوليكية ، والعديد من معابد اليهود ، وكنائس بروتستانتية تابعة للسفارات

الأوروبية . وقد ظل هذا العدد على حاله تقريبا في العصور التالية ، لم يسمح للكنائس في أي وقت من الأوقات وفي أي حال من الأحوال أن تدق الأجراس . عباداتهم ومراسمهم الأخرى ، كانت كما هي عليها في أوروبا ، كان يجوز للكنائس التي توجد في مدن أو قرى يشكل المسيحيون فيها أكثرية ساحقة أن تدق أجراسها ولكن لا يسمح بذلك في الأماكن التي تعيش فيها أكثرية مسلمة .

وقد صرف النظر جزئيا عن هذا الحظر في عهد التنظيمات .

كانت الجماعات المسيحية غير متوائمة معا . بعضها يكره بعضها الآخر . وإن تخاصمت جماعتان تتدخل الشرطة العثمانية وتعاقب المتخاصمين ، وكذلك تأتي بالمسئول الروحي لتلك المحلة لغرض التحقيق ، وإن اقتضى الأمر تعزل المسئول الروحي وتستبدله بآخر . كانت رتبة البطريك (رئيس رؤساء الأساقفة) العالمي في فنر Fener في التشريفات العثمانية وزيرا ، البطاركة الآخرون بكلربك (فريق أول) ، رؤساء الأساقفة سنجق بك (لواء) ، والأساقفة آلاي بك (عقيد) . كانت السلطات العثمانية تعاملهم بموجب تلك الرتب . وإن اقترفوا ذنبا فإنهم يعاملون كما يعامل بقية المسئولين من رعايا العثمانية .

لم يكن جميع الروم الموجودين في استانبول من أصل بيزنطي . كان فاتح قد أسكن في استانبول العائلات الرومية التي قدمت من أدرنة ، غاليبولي ، بورصة ، فيليبة ، ازمير ، سمسون ، سينوب ، طرابزون ، تاشوز ، سمنديرك ، مورا ، وقد توافد في العصر 16 على المدينة عائلات من اليونان ، تراقيا ، الأناضول ، وكانوا يسكنون في محلاتهم التي تمركزت في بك أوغلو ، وجانب روملي من البوغاز وسواحل الخليج . كانت لهم 30 كنيسة تقريبا ، منع تشييد كنائس جديدة ، وإنما كان يمكن فقط إصلاح وترميم القديم منها .

دخل العثمانيون استانبول ، كما دخلوا مدنا كثيرة أخري دون سفك دماء . اقتداء بأسلوب دخول النبي ﷺ إلى مكة .

كان عدد اليهود لدي البيزنط قليلا . والقسم الأكبر من يهود إستانبول هم أولئك اليهود البالغ عددهم 60 000 تقريبا الذين طردوا من إسبانيا والبرتغال نحو عام 1500 و لم

يقبلهم أي قطر في أوروبا ، ثم الذين وافقت العثمانية على طلب لجوئهم ومنحتهم حق المواطنة ، وأسكن القسم الأكبر منهم في إستانبول والباقي في مناطق أخرى كأزمير وسلانيك . لم يكن اليهود يتمكنون حتى من المرور بإسبانيا والبرتغال لعصور طويلة ، والذي يقبض عليه منهم كان يحرق حيًا . هؤلاء هم يهود اسكنازى Eskenazi الذين يتكلمون إحدى لهجات اللغة الإسبانية وكانوا أصحاب نفوذ في إستانبول .

هناك اليهود الذين طردوا من بافيرا والأقطار الأوروبية الأخرى نحو 1470 ، وجاءوا إلى الأراضي العثمانية ، وهؤلاء لم يكن عددهم كبيرا كالسابقين ، وهم يتكلمون اللغة الألمانية الخاصة باليهود التي تسمى ييديش Yidis . وهم موسويون سفارديد Sefaridis . أما موسويو رومانيوت Romaniot فقد كانوا قليلي العدد ، يتكلمون الإيطالية ، قدموا إلى الأراضي العثمانية من إيطاليا . والذين هربوا من أوكرانيا ، روسيا ومن بولونيا وقدموا إلى الأراضى العثمانية ، فإنهم يشكلون زمرة أخرى ويتكلمون الأوكرانية ، ويقال إن أصل هؤلاء ينحدر من أتراك الخزر . أما موسويو قرايم Karaim أو قاراي Karay فإن منشأهم تركي وخزري بصورة مؤكدة وعددهم عدة آلاف ، ولغتهم الأم التركية ، وهم قد جاءوا من قرم وأسكنوا في قره كوي .

أدخل اليهود نظام العمارات إلى إستانبول منذ العصر 16 . كان قسم من حاخامات اليهود يجيد اللغة العبرية ، ولا يوجد أي يهودي عثماني يتكلم تلك اللغة كلغة أم أساسية .

أسس اليهود منذ 1494 مطبعة في إستانبول ، واشتغلوا غالبا بالأعمال المالية .

كان عدد الأرمن في المدينة قليلا جدا عندما فتحها فاتح . جلب عائلات أرمنية كثيرة جدا من أماكن كقيصرى ، طوقات ، سيواس ، بورصة ، أنقرة ، أدرنة وبايبورت وأسكنهم إستانبول . وفي بداية العصر 17 جاء قسم من الأرمن من الأناضول الشرقية . انصرف هؤلاء إلى وظائف كالتجارة ، صناعة الباسطرما (اللحم المجفّف) ، الصياغة ، الصيرفة والموسيقى . كان محل سكناهم على الأغلب في مرمرة ، خليج ، سواحل روملي من البوغاز واسكدار ، كانت لديهم 9 كنائس .

كان البطريك العالمي الأرثوذكسي في فنر - استانبول مسئولا أمام الحكومة العثمانية عن كل الروم وبقية الأرثوذكس في الإمبراطورية العثمانية .

وكان الحاخامباشي (رئيس الحاخامات) في استانبول مسئولا عن كل اليهود .

كان البطريك الموجود في استانبول مسئولا عن جميع الأرمن الغريغوغوريان ، وكان تابعا لبطريك إجميازدين غريغوريان Eçmiazdin Gregoryen الذي يقيم قرب روان . ثم استحدثت بطريركية أرمنيه كاثوليكية تابعة للبابا .

كان الأوروبيون (إيطاليون ، فرنسيون ، إنجليز ، وشعوب أخري) يعيشون في بك أوغلو ، ويوجد من بين هؤلاء من لم يشاهد ، لا هو ولا أبوه ولا أمه ، وطنهم الأصلي أبدا . كانت لغتهم الفرنسية . أكثرهم كانوا قد تزوجوا ببنات روميات أرمنيات ، أو يهوديات ، ويطلق على هؤلاء (Levanten) . وكانت لهم كنائس كاثوليكية .

كان باستانبول مسلمون ألبانيون ، شركس ، إباضة ، بوشناق ، كريتيون (من جزيرة كريت) ، كرجيون ، عرب ، إيرانيون واكراد ، وأقوام أخري كثيرة جدًا . نسي هؤلاء لغتهم الأم وأصبحوا بعد بطن أو بطنين ، أتراكا .. يقول يحيى كمال بياتلي أكبر شاعر تركي :

« لم يتم إعمار استانبول على أيدي السلاطين والاستانبوليين فقط وإنما اشترك فيه أولئك الذين قدموا من أنحاء الوطن كافة ؛ من قونية ومن بورصة ومن أدرنة ، ومن سيواس ، من طوقات ، من أرضروم ، من اسكدار ، من المجر ، من الحجاز ، من بغداد ، من الأراضي المغربية كتونس ، طرابلس ، الجزائر ، من الذين يروحون ويغدون إلى تلك الأماكن أو الذين يقدمون منها ويقيمون في استانبول ، من العديد من المسلمين والأتراك الذين استوطنوا بنسائهم وأطفالهم وشيوخهم . شارك هؤلاء جميعا بفنونهم اليدوية ، بموسيقاهم ، بأشعارهم الشعبية والكلاسيكية ؛ بمهاراتهم في إعمار المدن ، الأزقة ، البيوت والغرف ، بخبرتهم في بناء الجوامع ، والحمامات والقبب ، بحصيلة فنونهم وذكرياتهم التي جلبوها من كل عصر ، كل هؤلاء شاركوا في إنشاء هذه المدينة التي أصبحت مركّبا وخلاصة للتاريخ التركي والجغرافية التركية . لقد أخذ المفهوم ، يسيطر عليّ كلما مرت الأيام وعلمت أن الوطن الحقيقي والمكان الوحيد الذي يسعد الإنسان

فيه هو هذه المدينة التي تشكل روح الوطن بأسره (يحيى كمال بياتلي ، Hatirat ، 51) .

يزور السفراء الأجانب ، بعد حصولهم على الموافقة ، كل الأماكن الدينية ، العلمية ، العسكرية ، الصحية ، الاجتماعية ، الآثار الخاصة باستانبول ، ويجد أكثرهم نفسه مضطرا للاعتراف بعدم وجود مثيل لاستانبول على وجه الأرض (هامر ، 11 ، 151) .

يقدر Pedro أن 50 000 شخص يؤمون المدينة يوميا في العصر 16 (ص 31 ، 136) .

« إن جمال استانبول جمال عالمي . يشعر عالم الآثار ، والشاعر ، والسفير والتاجر ، والأميرة والبحّار ، وأقوام الشمال وأقوام الجنوب بنفس الشعور بالإعجاب أمام هذا الجمال . ويكفي أن نتذكر أهم الكتّاب الذين وصفوا لنا استانبول ، Perthusier عاجز عن النطق . و Tournefort يصف عجز جميع الألسن عن التعبير وPouquevill يشعر أنه انتقل إلى عالم آخر ، و Croix يبدى ولهه ، و De Marcellus شغوف بها مدله ، ولامارتين يشكر الخالق لإبداعه هذا الجمال وإتاحة الفرصة له لمشاهدته ، و Gauthier لايصدق عينيه . ويكرر Chateaubriand المعنى نفسه ، وأنا كذلك حمدت الباري على إبداعه هذا الجمال . واعجبت بذوق الذين زينوا هذا الجمال بالآثار في تناسق منقطع النظير (Constantinople, Edmondo de Amicis ، 1883 ،2 – 3 ، 17 – 8) .

« استانبول تحتوي على 1200 مدرسة ابتدائية و 518 مدرسة (دينية) و 36 مكتبه متطورة على غرار المدن العظيمة في أوروبا » (Hellert ، 1843 ، 57ب) (L' instruction public est aussi florissant à contantinople que dans nos villes littéraires de l'Europe)

« ترتفع القبب الكبيرة والمنائر بعدد لا يصدق بين الأبنية المعتادة . جميع محاريب الصلاة مكسوة بالرصاص ، وجميع نطف القبب (علامات الأهلة) مكسوة بالذهب » (Grelot ، 1680 ، ص 83 – 4) . « الجوامع السلطانية ، أجمل بدرجة غير متناهية من أياصوفيا (infiniment plus belles) (Hellert ، 156) .

إن معالم استانبول المميزة هي الأسوار البيزنطية التي تحيط بداخل المدينة بطول 20 000 قولاج (مسافة مابين الذراعين إذا فتحتا بشكل أفقي) (Hellert ، 57ب) ، سراي طوبقابو التي بمثابة مدينة ، يدى كوله (سبعة أبراج) التي هي عبارة عن قلعة ذات 7 أبراج ، جسر غلطة المتبقي من الجنويين ، برج بيازيد الذي أمر بصنعه محمود الثاني ، قيز كوله سي (برج البنت) الذي شيّد في عهد أحمد الثالث وسط البحر وفي مدخل البوغاز ، وأخيرا جسر الخليج .

لم يكن في العهد البيزنطي جسر على الخليج . هدم فاتح الجسر الذي شيّده أثناء الحصار لأغراض عسكرية . أراد ابنه بيازيد الثاني تشييد جسر مرتين خلال 1502 إلى 1500 لكنه لم يوفق . افتتح محمود الثاني الجسر الأول (1836/9/3) . قال فون مولتكه الذي مر على الجسر بعد يومين من افتتاحه (ص 61) : « طوله 637 خطوة ، وعرضه 25 خطوة ، لقد غرس في قاعدة هذا الجسر غابة من أجود أنواع الأشجار الصالحة لتكون دعائم إسناد . صنع الجسر في معمل سفن استانبول ، اسمه « جسر خيراتيه » وسمي بعد ذلك « جسر عتيق » كان يصل بين عذابقابو وأونقابوسي . شيدت جسر الخليج الثاني بعد 9 سنوات زوجة محمود الثاني بزم عالم والدة – سلطان التي أوصت معمل السفن بصنعه في 1845 ، وتم نصبه بين قره كوي وأمين أونو . وسمي « جسر جديد » . وهكذا أصبح على الخليج جسران . انسحب نوتية القوارب إلى البوغاز ، لبقائهم في الخليج دون عمل . وبعد 18 عاما رفع السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني ، الجسر الذي أطلق عليه الشعب اسم : والده كوبروسي (جسر الوالدة) . وفي 1863 أمر بصنع جسر جديد ، وهو الذي استعمل مدة 12 سنة حتى 1875 . لم يعجب السلطان عبد العزيز بالجسر الذي صنعه ، وأوصى بصنع جسر جديد في 1870 بتكلفة قدرها 000 105 ليرة ذهب ، وتم تثبيته عام 1875 . استعمل 37 عاما حتى 1912 . كانت له 24 طوافة ، حديدي ، طوله 480 م . وعند صنع جسر جديد مكانه في 1912 ، نصب هذا الجسر القديم بين عذابقابو – أونكاباني ، وبقي هناك كجسر ثان مدة 24 عاما حتى 1936 (خدم جمعا 61 عاما) . وكان السلطان عزيز قد نصب كذلك في 1875 جسر عذابقابو – أونكاباني ، تكلف 000 135 ليرة ذهبية . كانت له 26 طوافة ، طوله 480 م عرضه 18 م . تم فك هذا الجسر وتركيبه في 1912 بمكان

جسر قره كوي القديم . أما جسر قره كوي الحالي فقد صنعه الألمان في 1912 وتكلف 350 000 ليرة ذهبية ، وهو مكون من 12 قطعة ، يفتح قبيل الضحى بمدة قصيرة لاجتياز السفن . يقصد الشعب الاستانبولي بقوله « كوبري » هذا الجسر . افتتح في 1940 جسر جديد بدلا من جسر أونكاباني الذي حطمته عاصفة 1936 . أما جسر الخليج الثالث فقد افتتح في 1974 بعد جسر بوغاز إيجي بسنة واحدة .

بدأت المراكب البخارية ، القوارب البخارية ، ووسائط البحر البخارية التي كانت تسمي « موتور » وأخيرا بواخر « شركت خيريه » العمل في العصر 19 . وفي ذات الوقت ، كان لكل مالك دار ساحلية قاربه الخاص ، وفي أواخر العصر 19 زورقه الطويل (KIK) . وهكذا فقد توقف تقريبا استخدام الغناديل التي كانت تحمل الركاب لقاء أجور في البوغاز الذي كان يطلق عليهم اسم « برمنه جيلر » ، وكذلك استخدام القوارب .

تقع « أيوب » ، المدينة الإسلامية الخالصة ، في شمال الخليج كقطعة من استانبول . وهي المنطقة التي كان يفضل منتسبو صنف العلماء السكن فيها ، وكان يطلق اسم « بهاريه » علي قسمها الذي يقع علي ساحل الخليج . في هذه المدينة قبر أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد وجامع كبير شيده فاتح ، وقد جدد سليم الثالث الجامع كله تقريبا . يمنع دخول المسيحيين هذا المكان كما هي الحال في « خرقهء سعادت » (البردة الشريفة) . كانت تجري مراسم تقليد السيف للبادشاه – خليفة التي تناظر مراسم التتويج التي تجري للحكام الغربيين داخل مرقد أيوب ، ويقلد البادشاه الذي اعتلى العرش حديثا سيف الرسول ﷺ

تقع محلات طوبخانه في مدخل روملي من البوغاز ، وتقع دولمه بقجه علي مسافة قريبة من شمالها . وهي أراض كبيرة مكتسبة من البحر بواسطة ردمه بالحجارة والتراب ، الأولي ردمها قبودان دريا (مشير البحر) قليج علي باشا نحو عام 1580 ، والثانية ردمها عثمان الثاني في 1620 . شيّد قليج علي باشا جامعه الفخم في قطعة الأرض هذه التي اكتسبت من البحر . وسراي دولمه بقجه الحالي شيّد على الأراضي التي ردمها عثمان الثاني .

يذكر أولياء جلبي ، أنه كان يوجد في استانبول في العصر 17 ، عصر الظرافة والأبهة للمدينة 168 حماما مفتوحا للشعب ، جزء منها حمامات مزدوجة (قسم للرجال وقسم للنساء) . كان أحدث هذه الحمامات ، « جوقور حمام » وبه 110 أحواض . أما سرايات وقصور استانبول ، فكانت تحتوي على مايقرب من 14000 حماما . المعلومات التالية جميعها مأخوذة عن أولياء جلبي :

إن أرقى مستشفى للأمراض العقلية في المدينة ، دار الشفقة في فاتح . ذات 80 غرفة ، 80 قبه ، 200 مستخدم ، وصيدلية . كانت لها عيادة خارجية أيضا . كان المرضى الداخليون يُطعمون لحوم طيور الصيد وتعزف لهم الموسيقى يوميا . كانت مقبرة أدرنة قابو ، أكبر مقبرة في المدينة . يدون في سجل المقبرة الخاص أسماء المدفونين منذ عهد فاتح . كانت قطع القبور العائلية مدونة في السجلات . كانت أيوب وسوتلوجة التي تقع على الساحل المقابل لها ، تحتوي على 800 9 دارا سكنيه ، عدة جوامع ، نحو 80 مسجدا ، و 26 ناحية ، ونحو 700 قريه تابعة لملائية أيوب (دالا قضاء اللواء) . كان المسلمون الوافدون من مختلف أنحاء العالم ، بعدزياراتهم قبر أيوب وتبركهم به ، يأكلون رغيف أيوب الشهير ، كبابه ، جبنته البيضاء ، لبنه ، قشدته ولبنه المختر . كانت الجزر الصغيرة الموجودة في الخليج أماكن سباحة للرجال والأطفال . كانت خاصكوي الواقعة في الخليج مدينة لليهود بها 11 محلة يهودية ، 2 محلة رومية ، ومحلة واحدة أرمنية ومحلة واحدة تركية . كانت بها المقبرة الموسوية الوحيدة في استانبول . كان محظورا على الموسويين دفن موتاهم في مكان آخر .

كان في حديقة ترسانة السلطانية الخاصة في خاصكوي 12000 شجرة سرو ، وكانت هذه الحديقة سابقا حديقة لأباطرة البيزنط ، وكان السلطان إبراهيم ، قد شيّد فيها قصرا شبه سراي ، وكانت الحديقة مفتوحة للشعب .

وبالنسبة إلى الإحصاء الذي أجراه مراد الرابع فقد كان بمنطقة قاسم باشا 11085 دارا سكنية 10 محلات رومية ، محلة واحدة أرمنية والبقية .

كان بمعمل السفن (ترسانة) 31000 أسير حرب (فورس) . تجري عليهم أجرة نظرية عن كل يوم عمل ، وبعد اشتغالهم لعدة سنوات يفترض تسديدهم لما يعادل

ما يجب عليهم سداده ، ويعطى لكل منهم كمية من الدراهم ويرسلون إلي أقطارهم . كان أسرى الحرب الممتازون كالأميرال الجنرال الكنت يسجنون في يدي كوله ولا يرسلون مع هؤلاء ، وتخصص لهم غرف حسب درجاتهم ولا يستخدمون في الأعمال ، أما الإفراج عنهم فكان يعتمد على الاتفاقيات التي تعقد مع دولهم ، أو على دفع الفدية من أقطارهم .

يعتبر جامع المشير البحري الوزير الثاني داماد بياله باشا أكبر جامع في قاسم باشا ، وقد عثر على 7 جرار مليئة بالذهب البيزنطي أثناء حفر قطعة من أرض الجامع أنفقها الباشا على إنشاء كلية تحيط بالجامع .

يتجول بحارة المغرب القادمون من تونس بزيهم الخاص وعددهم كبير دائما .

كان يسكن في غلطة وبك أوغلو 000 200 مسيحي ، 000 60 مسلم ، و 1000 يهودي . كانت المنطقة تتكون من 160 1 زقاقا ، وبها 70 كنيسة ، و 8 أسواق ، 080 3 دكانا . لاتوجد فيها حدائق ولا حقول ، ويوجد بها 200 محل مشروبات على الساحل . كانت ملاّئية غلطة تنقسم إلى 44 ناحية . أي أنه كان 44 قاضيا صغيرا يدعي كل منهم « نائبا » تابعين لقاضي غلطة . كان قد تم إسكان المهاجرين العرب القادمين من الأندلس في قره كوي نحو عام 1610 . كان لايستطيع أي مسيحي الدخول إلي محلاتهم ، وإن دخل كانوا يشبعونه ضربا ويخرج نادما على دخوله . إذ إن أمهاتهم وآباءهم كانوا قد أحرقوا في الأندلس لكونهم مسلمين .

كانت محلة طوبخانه تحتوي على 70 زقاقًا للأتراك ، و 20 للروم ، و 7 للأرمن . و 700 قصر يحتوي كل منها علي حمّام خاص . وضعت تماثيل أسود علي البوابة الفخمة لأكبر معمل سباكة علي وجه الأرض والذي يسمى طوبخانه .

كانت بشكتاش مع دولمه بقجه تحتويان على 000 6 دار سكنية ، وأورطه كوي على 300 2 دارا .

وكان ساحل روملي من البوغاز مقسما إلى نواح تابعة لقضاء غلطة .

تحتوي قورو جشمه علي 11 زقاقا لليهود ، و 3 للروم ، وواحد للمسلمين ، وفيها كنيستان و 3 معابد لليهود ، وكان الساحل مليئا ببيوت رجال العثمانية .

عرنا ووطكوي تحتويان على 1000 دار لليهود والروم .

كان القسم الأعظم من بيك حدائق سلطانية خاصة ومفتوحة للشعب ، وعلى هذا المنوال كانت تتوالى قصبات روملي في البوغاز . وأخيرا كانت قرية أناضولي قاواغي تحتوي على 200 مسكن للمسلمين ، وشمالها الأقصى كان يعتبر خارج حدود مدينة ستانبول .

كـان جانب أناضولي من البوغاز يبدأ من قصبة بيكوز بعد قرية كوجوك أناضولي قاواغي . كان عدد المسيحيين قليلا في قصبات ساحل أناضولي . كانت الأكثرية الساحقة مسلمة . كان هذا الساحل مصيفا مفضلا لرجال العثمانية . كان الساحل من أوله إلى آخره مليئا بالسرايات الساحلية لرجال العثمانية وبالقصور الساحلية .

جنكلكوي التي تحتوي كذلك على كثير من الأروام هي أكبر قصبة ، بها 3060 دارا .

كانت مدينة اسكدار تشكل نهاية الجانب الآسيوي للبوغاز في الجنوب ، وكان بها 900 دار تحتوي على 70 زقاقًا للمسلمين ، و 11 للروم والأرمن ، وزقاق واحد لليهود ، 8 جوامع سلاطينية وجوامع ومساجد كثيرة جدا .

كانت المطابخ العامة (عمارت) التي شيدتها مهرماه سلطان ، ونوربانو والده ـ سلطان ، وكوسم والده ـ أكبر مؤسسات خيرية تحيط بالجوامع .

كان بمدينة استانبول 16 ميدانا كبيرًا (ساحة) . وكان بالمدينة 8 سجون ، 4 منها للجُنح ، و 4 للجنايات . لم يكن هذان النوعان من المذنبين يسجنون في سجن واحد . سجّل نحو 300 استانبولي في سجل سوابق النشل ، ونحو 200 في سوابق الدعارة ، ونحو 500 في الشذوذ الجنسي . تستهلك المدينة يوميا 30 000 رأس من الغنم ، ويذبح في عيد الأضحى مايقرب من 6 ملايين رأس غنم .

كان تجار العبيد في استانبول يدفعون للدولة سنويا 5 ملايين آقجه (13 مليون دولار) . كانت خيرة الجواري حسب تسلسل أثمانهن ، الشركسيات الكرجيات ، الإباضنيات واللواتي من أقوام أخرى كن أرخص ، إن لم تكن لهن مزايا خاصة . هناك

جوار وعبيد سود . يجلب في كل عام عدة أطفال ذكور جرى خصاؤهم في أفريقيا ، وهؤلاء يطلبهم السراي فقط . لا تجرى عملية خصاء في استانبول أبدا ، إذ تعتبر خطيئة . وكان قد منع منذ مدة خصاء العبيد البيض منعا باتا .

كان أغنى أصحاب الأعمال هم أصحاب السفن الذين يستوردون السلع من آسيا وأوربا غالبا ، والذين لهم شركاء في الأقطار الآسيوية والأوروبية كافة . كان منهم من يمتلك 50000 كيس (2.5) مليار آقجه = أكثر من 6 مليارات دولار) ، و 10 سفن كبيرة ، و 7 خانات عمل كبيرة ، وعدة مخازن للبضاعة المستوردة . كان تجار العبيد هم رجال الأعمال الذين يتلونهم فى حجم الثروة .

كانت استانبول تحتوي على أرباب الصناعات من جميع النوعيات . وقد سجل أولياء جلبي أن هناك 12426 عاملا يعملون في 509 أنواع من الأعمال فمثلا هناك نحو من 100 مروّض للحيوانات الوحشية . كانوا يبيعون الحيوانات كالأسود ، النمور والضباع ، إلى السراي بعد ترويضها ، و70 شخصا كانوا يصنعون الساعات ، ونحو 100 شخص يبيعون اللؤلؤ ، و 155 شخصا يبيعون الجواهر الثمينة جداً ، و 600 تقريبا يبيعون الجواهر العادية . وعدا هؤلاء 5000 صائغ تقريبا يُصنّعون الأحجار الثمينة .

كان الأجانب الذين يردون إلى استانبول مستهلكين بدرجة شعب استانبول .

كان هناك كذلك نحّاتون . وكان 1180 فنانا يشتغلون برسم المنمنمات (الرسم المصغر) ، النقش والتذهيب . ونحو 300 مجلّد كتب . وكان بالمدينة 510 مهندسين معماريين ومهندس معمار معيد ، هذا عدا المهندسين الآخرين ، ونحو 6000 رجل و 3000 امرأة أصبحوا حفاظا بعد اجتيازهم امتحانا أمام هيئة الامتحانات ، يكسب هؤلاء عيشهم بقراءة القرآن .

كان هناك 9 469 موسيقيا محترفا و 3 100 راقصو من المحترفين . كان جميع الراقصين المحترفين من الروم الأرمن اليهود والغجر . كانوا يعملون كفرق وليس كأفراد . لايدخل ضمن هذا العدد الراقصات الجواري اللواتي في السراي

كانت الموسيقى أكبر تسلية . وكانت الموسيقى الشعبية معتبرة بدرجة الموسيقى الكلاسيكية .

5 – بورصــة

تعتبر بورصة مدينة العرش الثالثة ، بعد استانبول وأدرنة وكانت تعامل على هذا الأساس معاملة متميزة . وأصبحت عاصمة فطية من 1326 إلى 1402 ، ثم اعتبرت بعد ذلك بصورة نظرية ، إحدى مدن العرش الثلاث .

دفن سلاطين العثمانية الـ 8 الأوائل ، من عثمان غازي إلى مراد الثاني في بورصة . ودفن جميع السلاطين اعتبارا من فاتح إلى مجيد الخامس ، في استانبول . قد نجد سلطانا توفي في أدرنة ، ولكننا لا نجد سلطانا مدفونا فيها .

أصبحت بورصة إلى أن فتحها البيزنطيون كمدينة صغيرة ، من أكبر المدن العالمية لذلك العهد وعدا الوضع الاستثنائي لاستانبول في الآثار العثمانية ، فإنها تنافس أدرنة في هذا الصدد ، وقد ظلت عصورا طويلة مركزا عالميا لصناعة الحرير .

حتى نحو 1390 ، كان عدد سكانها قد جاوز 100 000 نسمة ، تضعضعت نتيجة تخريبات تيمور . قل عدد نفوسها عندما انتقلت العاصمة إلى أدرنة .

وقد بلغ عدد سكانها نحو عام 1570 ، 129 000 ؛ منهم نحو 4 000 فقط مسيحيون و 3 000 تقريبا يهود .

بلغ عدد نفوسها في أواسط العصر 17 ، نحو 250 000 نسمة ، ثم بدأ تعدادها يقل بعد ذلك .

كانت تحتوي في العصر 17 على 205 محلة ؛ 176 منها للأتراك ، 357 جامعا ، 683 مسجدا .

كان السراي الهمايوني في بورصة ، لايزال قائما في ذلك العهد ، لكنه كان متروكا وخارجا عن قائمة سرايات البادشاه . لم يبق اليوم أي أثر منه لدرجة أننا لانعرف ماهية المساكن التي أقامت بها شخصيات كاورخان غازي ويبلديرم بيازيد .

كانت بورصة مركزا للواء خداوندكار وهذا اللواء كان تابعا لايالة اناضولي التي كان مركزها كوتاهية . يعيّن لها رجال ممتازون جدا برتبة سنجق بك (لواء) وفي حالة ترفيعه ، يصبحون فورا بكلربك (فريق أول) . كان قاضي بورصه ، رئيسا لبلدية المدينة وحاكمها الأكبر . في حالة ترفيعه ، يصبح أولا قاضيا لأدرنة ، ثم مكة أو مدينة ، ثم قاضيا لاستانبول بمرتبة قاضي عسكر . كانت المدينة تنقسم إلى 7 نواح . كانت لها مولويخانة (موقع تجرى فيه المراسم الدينية المولوية) فخمة ذات 80 غرفة ، كان بالمدينة 27 مطبخا عموميا ، 10 أوتيل مجاني ، 70 خانا للمسافرين بعضها به 200 غرفة وعدد كبير من الخانات (عمارات كبيرة) التجارية . كان الماء متوافرا بكثرة . ويوجد 2 030 دورة مياه وسبيل ماء في الشارع يصل الماء إلى 23 000 دار . وتحتوي على 9 محلات رومية ، 7 أرمنية ، 6 يهودية ، ومحلة واحدة للغجر . بالسوق السلطاني 9 000 دكان . والبدستان (محل بيع السلع الثمينة) يتكون من 300 دكان . كان محاطا بالكروم وأشجار التوت .

كانت محلة مرادية التي تحتوي على قبر فاتح بورصة أورخان غازي وبجواره أبوه عثمان غازي والتي جعلها مراد الثاني من أعظم الزوايا الروحانية الإسلامية في العالم ، من المزارات الكبيرة ، وفي 1970 ، جاوز عدد سكانها 276 000 وبذلك جلوز عدد سكانها حتى أقصى مابلغته في العهد العثماني . وهي اليوم بعدد سكانها البالغ نصف المليون ، المدينة التركية الخامسة .

أصبحت بورصة في 1844 ، مركزا لإيالة خداوندكار . كانت تتكون من 5 ألوية (بورصة ، قاراسي = بالق أسير ، كوتاهية ، أرطغرل = بيله جك ، قرة حصار = أفيون) . إن اللواءين الآخرين (أسكي شهر وأوشاق) اللذين أصبحا حاليا ولايتين ، كانا قضاءين تابعين للواء كوتاهية . كانت مساحة الإيالة 879 81 كم². كان عدد سكانها في 1903، 000 1691 ، % 95. 14 منهم مسيحيون ، % 0.25 موسويون و % 80. 84 مسلمون .

كان بالإيالة 29 قضاء ، 78 ناحية ، 3578 قرية . وتحتوي على 065 660 2 رأس حيوان صغير وكبير (313 ألف رأس من البقر) ، 34 ألف رأس جاموس ، 76 ألف حصان ،8

آلاف بغل ، 8 آلاف جمل ، 128 ألف حمار ، 715 ألف عنز ، 582 ألف عنز انكور ، و 363 1 (ألف من الغنم) .

كانت أربعة أخماس القرى ، تحتوي على مدارس ابتدائية ، وعلى مدرسة متوسطة في مركز قضاء ، وعلى مدارس ثانوية نظامية ومدارس (دينية) في مركز كل لواء . وتوجد كذلك مدرسة متوسطة ومدرسة (دينية) في بعض مراكز النواحي . كانت الإيالة تحتوي على 28 مكتبة عامة ، هذا عدا مكتبات أخرى داخل المدارس .

6 ـ أدرنة .

فتح أدرنة مراد الأول الذي كان قد اعتلى العرش حديثا في 1363 ، أصبحت عاصمة من 1402 إلى 1453 . واستمرت في جميع الأوقات على وضعها كمدينة عرش للإمبراطورية بعد استانبول . سكن السلاطين أدرنة في النصف الثاني من العصر 17 حتى 1703 أكثر مما سكنوا إستانبول وبلغت المدينة غاية اتساع لها ، وأصبحت من أكبر مدن العالم وأكثرها إعمارا . كانت أدرنة أو لواء باشا أيلي ، تابعة لإيالة روملي . تأسست إيالة أدرنة في عهد التنظيمات وكانت تشمل تراقيا الشرقية والغربية كلها وروملي الشرقية .

إن المدينة التي كانت في 1529 تحتوي على 144 محلة ارتفع عدد محلاتها في 1609 إلى 321 (290 للمسلمين ، 19 للمسيحيين و 12 لليهود) .

وفي 1669 كانت تحتوي على 160 محلة ، 28 مكتبة ، 300 جامع ، 24 مدرسة (دينية) ، 220 مكتبا (مدرسة) ، 53 خانا (عمارة) تجارياً ، 8 ارتفع عددها فيما بعد إلى 13 ، 53 منزلا كبيرا (كروانسراي) ، معامل صابون ، نسيج ، عربات ... إلخ ، ويوجد فيها 450 حديقة عامة (بارك) مفتوحة للشعب .

أصيبت المدينة بتلف كبير خلال الاحتلالين الروسيين في 1829 و 1878 ، وفي الاحتلال البلغارى في 1913 ، والاحتلال اليوناني في 1919 . وهي بعيدة اليوم جدا عما وصلت إليه في وفرة عدد السكان خلال جميع العصور العثمانية .

تلك المدينة التي كانت تحتوي على سراي همايوني أوسع من سراي طوبقابو ، كان

عدد سكانها قبل الفتح قد وصل مابين 150 إلى 200 ألف نسمة . لم يبق محل واحد من محلات توزيع المياه (سبيل) الثلاثة عشر التي كانت في المدينة ، بقي القليل من دورات المياه الـ 124 .

أسست المدينة في الموقع الذي يلتقي فيه رافد آردا بنهر مريج ، على ارتفاع 41 م عن مستوى البحر ، ويلتقي نهرا أوزونجة وطونجة ، بمريج في ذات للموقع أيضا .

الجوامع السلطانية في أدرنة هي جامع خداوندكار الذي شيده فاتح أدرنة مراد الأول ، جامع ييلديرم الذي شيّده ابنه بيازيد الأول ، أسكي جامع أو لولو جامع الذي شيّده أولاد الأخير سليمان الأول ، موسي خان و محمد الأول ، وجامع مراديه الذي شيّده مراد الثاني وخاصة جامع دار الحديث ذا الثلاث شرفات الذي شيّده هو أيضا ، جامع بيازيد الذي شيده بيازيد الثاني ، جامع طاشلق الذي شيّده القانوني وجامع سليميه الذي يعتبر أفخم جامع عثماني وهو الذي كلّف سليم الثاني المعمار سنان ببنائه . وبالنسبة لتعداد عام 1638 ، كان بالمدينة 14 جامعًا سلطانيا ونحو 300 جامع ، 1386 مسجدا في الأزقة والقصور .

وكانت مدرسة أدرنة تقدم خدمات ثقافية بمستوي عال ، وكذلك بدرجة دكتوراة التي تفوق التحصيل العالي .

ينير جامع سليميه 12000 قنديل ، ويدخله ضوء النهار من خلال نحو 250 زجاجة بلورية ونجف . خطّ الكتابات بداخله قرة حصاري حسن جلبي ، أقدر تلامذة قرة حصاري أحمد شمس الدين أمهر خطاطي كتابات سليمانية . مساحة الفناء 180 × 180 قدما مكسو بالمرمر الأبيض وبه 26 عمودا . للجامع 10 أبواب ، وله 4 منائر كل منها ذات 3 شرفات طويلة جدا ورفيعة جدا .

كانت تكية بهلوانلر التي أسسها مراد الأول في 1363 من أمواله الموقوفة ، ناديا رياضيا تجري فيه كل أنواع الألعاب ، طبقت شهرته العالم في العصور القديمة . خرّج أبطالا كثيرين . وكذلك استمرت شهرة دار الشفاء (مستشفي الأمراض العقلية) العالمية الذي أسسه السلطان بيازيد ، لعصور طويلة . كانت بالمدينة في 1653 ؛ 6170 زقاقا ، 700 6 دكان .

7 – روملي .

تأسست إيالة روملي عام 1363 ، كإيالة ثانية بعد إيالة أناضولي . وبينما كان مركز الإيالة أدرنة ، نقل أولا إلى فيليبه ، ثم مناسطر ، ثم صوفيا .

يقيم والي الإيالة (البكلربك) حسب رغبته في إحدى هاتين المدينتين ، كان بكلتيهما سرايات رسمية .

ويمكن القول بأن الإيالة – عدا الجزر – كانت تشمل شبه جزيرة البلقان بأسرها التي تقع في جنوب ألطونة ، إلا أن تأسيس إيالتي بوسنة في العصر 16 وسيليسترة (Ozu) في العصر 17 ، سبّب تقليص حدود إيالة روملي وقطع ارتباطها بالبحر الأسود ، واستمرت في امتدادها إلى بحر الأدرياتيك غربا ، وإيجه جنوبا . كانت تمتد في أقصى الجنوب إلى البحر الأيوني والبحر الأبيض . وبينما كانت جائزة على المرتبة الأولى في التشريفات العثمانية ، تقدمت عليها مصر في 1517 وبودين (المجر) في 1541 وهبطت روملي في التشريفات العثمانية إلى المرتبة الثالثة .

كان مركز الإيالة أدرنة خلال 1363 –1453 ، ثم فيليبة ، وفي السنوات الأولى للعصر 16 صارت صوفيا واستمر الوضع على ذلك ، أقام الولاة في بعض الأدوار ، في مناسطر .

بلغت الولاية حدها الأقصى بألويتها الواسعة التي يبلغ عددها 32 ، في 1521 . أعطيت بعض ألويتها إلى إيالتي بوسنة وبودين عند تأسيسهما . وتقلصت أكثر ، عند تأسيس إيالتي سيليسترة (OZU) في 1608 ، وموراً في 1715 . نقل مركزها إلى أدرنة في السنوات الأخيرة من العصر 18 وإلى مناسطر في بداية العصر 19 . ثم تأسست إيالات Vidin ، Nis ، Varna ، وأخيرا وحّدت هذه الإيالات وشكلت إيالة طونا (Tuno) في 1864 وجعل مركزها روسجك .

تشمل إيالة طونا - عدا روملي الشرقية وعدا احتوائها على بلغاريا الأصلية ، ألوية دوبروجة ونيش وتطغى بشكل واسع على رومانيا ، وخاصة يوغسلافيا . أما روملي الشرقية (Filibe) ، فقد ألحقت مع ميناء بورغاز بإيالة أدرنة . وتنقسم في مكدونيا إلى قسمين شمالي وجنوبي وشكلت إيالات كوسوفا (Uskub) وسلانيك ، وبينهما إيالة مناسطر ، أما في الغرب فقد تم تشكيل إيالتي أشكودرا ويانيا . وهكذا فإن إيالة روملي التاريخية ، انقسمت في عهد التنظيمات على الصورة آنفة الذكر . وفي 1878 ، تأسست إمارة بلغاريا (إيالة مستقلة ذاتيا) على الأراضي الأصلية لإيالة طونا .

يمكنني هنا استنادا إلى النشرة السنوية لولاية طونا لسنة 1868 (**طونا ولايتي سالنامة سي**) أن أقدم أعداد بعض المؤسسات الإسلامية الفعالة منها فقط .

في صوفيا 44 جامعا ، و 4 مدارس (دينية) ، و 8 مكاتب (مدرسة) ، 18 تكية ،

في شومنو 40 جامعا ، و 19 مكتبا ، و 4 تكايا .

في روسجك 30 جامعا ، و 6 مدارس ، و 9 مكاتب ، و 7 تكايا .

في Vidin 24 جامعا ، ومدرسة ، و 12 مكتباً ، و7 تكايا .

في حاجي أوغلوبازاري 20 جامعا ، و 4 مدارس ، و 12 مكتبًا و تكيتان .

في لوفجة 20 جامعا ، و 4 مدارس ، تكية .

في زيشتوفي 19 جامعا و مدرسة ، و 3 مكاتب .

في فارنا 19 جامعا ، و مدرسة و 12 مكتبا ، و تكية .

في Plevne 18 جامعا ، و 3 مدارس ، و 4 مكاتب ، و 5 تكايا .

في أسكي جمعة 17 جامعا ، و 6 مدارس ، و 6 مكاتب ، و تكيه .

في Kostendil 16 جامعا ، و 3 مدارس ، و 7 مكاتب و 16 تكية .

في نيغبولو 12 جامعا ، و مدرسة ، و 8 مكاتب ، وتكية .

في سيليسترة 12 جامعا ، و 6 مدارس ، و 7 مكاتب .

في Razgrad 11 جامعا ، مدرستان ، 7 مكاتب ، 4 تكايا .

في Pravadi 11 جامعا ، و مدرستان ، و 3 مكاتب .

في Balecik 10 جوامع ، و مدرسة ، و 3 مكاتب .

في Servi 10 جوامع ، ومدرسة ، و 5 مكاتب .

في Samakov 10 جوامع ، و مدرستان ، و 3 مكاتب ، وتكيتان

في Berkofca 9 جوامع ، و مدرسة ، و 5 مكاتب ، و تكيتان .

في عثمانبازارى 8 جوامع ، 3 مدارس ، 8 ، مكاتب ، تكية .

في Vraca 7 جوامع ،ومدرسة و5 مكاتب، تكتيان .

في Lom 5 جوامع ، مدرسة ، تكتيان .

في Tutrakan 3 جوامع ، مدرسة ، 4 مكاتب ، .

في باباداغي 3 جوامع ، مدرسة ، تكتيان .

في Rahava 3 جوامع ، مدرسة ، مكتب ، تكية .

في Jhtiman جامعان ، مدرستان ، تكيتان .

وفي كوسنتجة جامعان ، و 3 مكاتب .

وأنقل فيما يلي عن أولياء جلبي ، وضع بعض المدن المهمة لإيالتي روملي و Silistre (OZU) في أواسط العصر 17 : .

جورلو ، مركز قضاء تابع لأدرنة ، يحتوي على 3000 دار ، و 3 جوامع ، و 12 مسجدا ، و 20 مكتبًا ، و 180 خانا صغيرا .

لولة برغاز ، مركز قضاء في لواء قيرقلارايلى به 700 دار . و 3 جوامع ، و 3 مساجد ، يحتوي على كلية صوقوللو هندسة المعمار سنان ،ومنزل فخم للمسافرين وجسر .

آيدوس ، قضاء قيرقلارايلى ، وبه 1000 دار ، و جامع ، و 4 مساجد ، و 6 خانات

شومنو ، قضاء نيغبولو ، وبه ، 2000 دار ، و 10 جوامع ومساجد ، و 7 مكاتب .

هزاركراد ، قضاء نيغبولو ، وبه ، 1700 دار ، و 17 جامعا ومسجدا .

روسجك ،قضاء نيغبولو ، به ، 2 200 دار .

يركويو ، قضاء نيغبولو ، في الساحل الشمالي للطونة (رومانيا) به ، 600 دار .

زيشتوفي ، قضاء نيغبولو ، وبه ، 300 دار .

وكان لكل من هذه المدن الصغيرة قلاع وجنود .

Nigbolu أو **Nigebolu** ، مركز لواء في إيالة أوزو . تقع على جنوب ساحل الطونة ، وبه ، 3950 داراً ، و 26 جامعا ومسجدا ، و 26 مكتبًا ، و 10 حمامات ، و 7 خانات

Silistre ، مركز إيالة أوزو . والي (بكلربك) أوزو يسكن في هذه المدينة . تقع على الساحل الجنوبي من الطونة . إن جميع سواحل البحر الأسود ، من قيرقلارايلى إلى قرم ، السواحل الجنوبية للطونة تشكل إيالة أوزو التي كانت ضمن إيالة روملي في العصر 16 . قلعتها ذات 500 برج ، و 11 برجا عاليا ، و 40 مدفعا ، و 7 جوامع ، و مساجد كثيرة ، مدرسة ، و 40 مكتبا ، و 3 حمامات ، و 48 حماما داخل قصور ، و 10 حنفيات مياه مبنية ، و 20 سبيلا للمياه المجانية .

حاجي أوغلوبازاري ، مركز قضاء للواء سيليستره المركزي ، وبه ، 2000 دار ، و 4 جوامع ، و مساجد كثيرة ، و 11 مكتبًا ، و 3 حمامات ، و 3 خانات ، و 9 حنفيات مياه مبنية .

Mangalya ، قضاء سيليسترة ، و 7 مكاتب ، سوق لبيع الحاجيات الثمينة (بدستان) ، و 3 خانات و ميناء فعّال .

كوسنتجة ، قضاء سيليسترة ، و جامع ، و عدة مساجد ، و 150 دارا ، ورصيف بحري فعّال .

باباداغي ، قضاء سيليسترة ، 3000 دار ، و جامع سلطاني لبيازيد الثاني ، وتكية بكتاشية مشهورة جدا باسم صاري باسم سالطق ، و 3 مدارس ، و 20 مكتبًا ، 8 خانات ، 3 حمامات . ويحتوي على جامع وقبر (1571) شيخ النقشية الشهير

نقّاش – زادة مصطفى جلبي .

أستراباد ، مركز قضاء آخر ذو 1500 دار على مقربة منه .

Karasu ، مركز قضاء آخر ذو 7 مكاتب ، و 7 أسبلة .

أسليمية ، مركز قضاء ذو 12 جامعًا ومسجدا .

يني زاغرا أو زاغرا ينيجه سي ، مركز قضاء به 7 محلات ، و جامعان ، و 5 مساجد ، و 7 مكاتب ، و 3 خانات .

اسكي زاغرا مركز قضاء تابع لولاية جيرمن Girmen ، (أدرنة) كاللواتي مرّ ذكرهن آنفا ، به ، 3000 دار ، و 6 جوامع ، و 11 مسجدا ، و 5 حمامات ، و 855 دكانا ، ونحو 200 قصر .

فيليبة Filibe ، مركز قضاء في لواء صوفيا اللواء المركزي لإيالة روملي . المدينة ذات 3 نواح ، وفوق ذلك ، فإن 9 نواح تابعة لهذا القضاء ، وبه ، 600 80 دار ، كانت تحتوي على 23 محلة للأتراك ، و 6 للمسيحيين ، و 1 لليهود . و 10 جوامع ، و 43 مسجدا ، و 11 تكية ، 880 + 300 دكان على شكل سوقين ، 165 قصرا وحماما ، مطبخان عموميان وجسر كبير . شيّد أول جامع مراد الأول الذي فتح المدينة بعد أدرنة مباشرة في 1363 .

تاتاربازارجيغي ، على ساحل مريج الشمالي . وعلى الشمال الغربي من **فيليبة التي** تقع على ساحله الجنوبي . مركز قضاء في لواء صوفيا . ويحتوي على 8 جوامع ، و 12 مسجدا ، و 876 دارا ، و 7 تكايا ، و 3 حمامات ، و 7 خانات ، و منزل مسافرين كبير (كروانسراي) مقبول إبراهيم باشا الذي يستوعب 5000 حيوان . أسس المدينة جلبي محمد لكن الذي وسّعها هو بيوك إبراهيم باشا .

Ihtiman مركز قضاء في لواء صوفيا ، به 600 دار وتكيتان ، وحمّام ، و عدة جوامع ، و مسجد وحنفيات مياه .

صوفيا ، مقر إقامة الوالي (بكلربك) في إيالة روملي . مخصصات الوالي الذي برتبة

وزير السنوية مليون آقجة (000 700 1 دولار) . تقّدم الإيالة 000 40 تمارلي سباهي . للوزير ، 4 مساعدين بدرجة بكلربك (فريق أول) . يعيش التركمان الذين فتحوا روملي في النصف الثاني من العصر 14 في 8 أماكن منفصلة ، بحالة شبه مستقلة ، ولهم 8 بّكات برتبة لواء (سنجق بك) .

تنقسم الإيالة إلى الالوية التالية ، المركز صوفيا ، كوستنديل ، أشكودرا ، ترهالا ، أوهرى ، آفلونيا ، لآجاحصار ، بريزرين ، فولجترين ، يانيا ، جيرمن (أدرنة) ، مناسطر وقاوالا .

تغيرت الألوية بين الحين والآخر . يعين لواء بحري لقلوالا . يقدم اللواء المركزي صوفيا ، 3000 سباهي . يوجد في المدينة من الجوامع والمساجد ما ينيف عددها على 100 ، لايوجد جامع سلطاني . يوجد نحو 70 سراي تحتوي على حمّامات . بها منزلان كبيران للمسافرين . اثنتان من مدارسها (الدينية) كانت لهما شهرة ذائعة .

لها 4 حمامات جوفية حاره فتحها مراد الأول وتتسع لـ 1000 شخص . تحتوي أيضا على تكية وقبر الشيخ الكبير بالي أفندي الذي عاش على عهد القانوني ، من أكبر شيوخ الطريقة البايرامية وهي من أكبر تكايا روملي . كل شيء في المدينة من أثر العثمانيين ، يقول بعض المؤرخين « إن صوفيا تركية إلى درجة أنه لايمكن أن يرى فيها شيء يرجع إلى ماقبل الأتراك .

اسكي كوسنتجة ، قضاء صوفيا ، بها 700 دار ،وجامع ، 6 مساجد .

جسر مصطفى باشا ، هي المدينة التي أسسها داماد مصطفى باشا ونصب جسرها العظيم ، وشيّد جامعها وكلّيتها . وبالإضافة إلى ذلك ، توجد 6 مساجد . وعلى مقربة منها توجد قصبة **هارمان** التي تسمى Cirmen أيضا . وللواء (سنجق بك) الخيار في الإقامة في أدرنة أو في هذه القصبة .

أسست حفصة والده ـ سلطان والدة القانوني مدينة **حفصة** ، وفي 1576 ، وسّعها صوقوللو وطلب إلى سنان أن يشّيد فيها كلية ، وبها بالإضافة إلى ذلك 7 مساجد .

بابا ايسكي ، مركز قضاء ، يحتوي على 1060 دارًا ، وجامع ،و7 مساجد و7 خانات ،

و 7 مكاتب ، و 3 دكاكين . يقع على الضفة الغربية من رافد بابا ايسكي (بابا عتيق) الذي يصب في أركنه وذو جسر . يحتوي على الكلية التي كلف الصدر الأعظم سميز علي باشا ، سنان بإنشائها .

جتالجه ، قضاء إستانبول ، يحتوي على 5 جوامع ، و 42 مسجدا و 7 تكايا .

قرق كليسة (Kirklareli) ، مركز لواء في إيالة سيليستره (Ozu) .

Varna ، ميناء مهم ذو قلعة كبيرة . يحتوي على 5 جوامع ، و 36 مسجدا . يدخل ميناءه سنويا 1500 سفينة . محلاتها ، 7 للأتراك ، و 1 للروم ، و 2 للأرمن ، و 1 لليهود و 1 للبلغار .

Tulca أو **Tolcu** ، مركز قضاء . ذو 5 نواح في شمال دوبروجا ، وبه 600 دار . يقع على الساحل الجنوبي من الطونة . وعلى مقربة من شماله تقع **إسماعيل** ، مركز قضاء . ولم تعد هذه المنطقة دوبروجا وإنما بوجاق (بيسارابيا الجنوبية) . **فتحها إسماعيل قبودان** في عهد بيازيد الثاني ، بها 2000 دار .

Akkerman ، قلعة كبيرة وميناء على الخليج الذي يصب فيه نهر تورلا (Dnyestr) . مقر إقامة أمير اللواء (سنجق بك) . استولى عليها بيازيد الثاني من إمارة بغدان وقطع ارتباط الإمارة بالبحر الأسود وجعلها لواء . إيالتها أوزو . يقدم اللواء 500 جندي تمارالي . تحتوي القلعة على 180 مدفعًا كبيرًا جدًّا ذات 13 محلة و 4 جوامع و 17 مكتبًا ، ومدرسة .

Bender ، فتحها بيازيد الثاني تقع على الضفة الغربية من نهر تورلا ، بين آكرمان و كيشينيف . والضفة المقابلة للنهر ، هي أوكراينا وليست بيسارابيا . هي مركز لواء آخر في إيالة أوزو . يقدم اللواء 3000 سباهي . وإضافة إلى ذلك ، فإنه يوجد في اللواء 500 12 جندي . إحدى القواعد الكبرى العثمانية .
بقلعتها 12 برجا من صنع سنان . هاجمها الروس بـ 6 طلعات بـ 000 100 جندي وارتدوا خاسرين . مثوى للغزاة . بها 100 1 دار و 6 جوامع .

Hotion ، تقع على الساحل الجنوبي من نهر تورلا ، في قطر **Bukovina** و **Podolya**

و غاليجيا ، تشكلان الضفة الجنوبية للنهر . مركز لواء إيالة أوزو . قلعة تم الاستيلاء عليها من بولونيا على عهد عثمان الثاني وحصنت بصورة فائقة . استشهد بكلربك (امير أمراء ، والي) بودين الوزير قره قاش محمد باشا مع آلاف الجنود (15 /9 1621) المسجلة اسماؤهم فردا فردا في مقبرة الشهداء ، عندما حاصر محمود الثاني القلعة .

كامانيجة (بالاوكرانيّة : Kamenets - Podolsky) ، قلعة كبيرة في القطر المسمى بودوليا ، تقع على شمال نهر تورلا ، وهي قطعة من غاليجيا . فتحت على عهد محمد الرابع وجعلت مركزا للإيالة .

Kiev ويسميها أهالي القرم « Mingkerman = ألف قلعة » ويطلق عليها العثمانيون غالبا اسم « Korlo » . مدينة أرثوذكسية مقدسة . خضعت للعثمانية بين الفترة والأخرى ، وخضعت على الأغلب لبولونيا ، وخضعت لروسيا في نهاية العصر 17 .

خوجابك Odesa ، ميناء يقع على رأس الشمال – الغربي للبحر الأسود ورصيف على خليج بين قلاع وموانى أوزو و Akkermann . لها قلعة ، مركز ناحية .

Ozu (Oczakov) ، على مقربة من شرق أوديسا ، قلعة وميناء على البحر الأسود . سميت باسم نهر أوزو (Dnyepr) الذي يجري على الشرق منها . ومع أنها تشمل كامل غرب البحر الأسود من قرقلارايلي إلى قرم وأقطار سواحل الطونة الجنوبية ، وكونها مركزا لإيالة أوزو الكبرى التي أسست بعد انفصالها عن روملي ، فإن والي الإيالة يقيم على الأغلب في سيليسترة . إن إفلاق (رومانيا) وبغدان (مولدافيا) ، تعتبران لواءين لهذه الإيالة . هي الإيالة الكبرى الممتدة بين قرقلارايلي وكييف . يقيم بالقلعة 000 10 جندي ، 210 أمراء لواء موظفين لإدارتها . وهذا يبين مبلغ ما أولته العثمانية لهذه القلعة من الأهمية . تحتوي على معمل سفن وأسطول حربي ، و قاعدة عسكرية بها 880 دارا . قلعة قيل بورنو العظمى التي شيدها مراد الرابع ، ترتفع على السحل المقابل لها .

Kili (Kilye) ، قلعة وميناء على الضفة الشمالية من دلتا الطونة ، في شرق إسماعيل . أكبر موضع لنصب الشراك الثابتة لصيد الأسماك للدولة ، تحيط بها 200 سفينة . تستخرج منها جبال من الأسماك ، وهو أيضا من أهم الأماكن التي يستخرج منها بيض السمك (Caviar) من سمك مرسين . بها مركز قضاء ، وجامع ، و7 مساجد ، و 2000 دار .

Hirsova (Harsova) ، مركز قضاء في Dobruea الوسطى ، بها 1 600 دار ، و 17 جامعا ومسجدا .

إيسالا Ipsala ، Inoz (Enez) ، كشان ، مالقارا ، اينه جك ، مراكز أقضية في إيالة روملي .

كاريناباد أو بويحد Boyhad ، بها ، 1 000 دار ، مركز قضاء في لواء سيلسيترة المركزي في إيالة أوزو .

Ishakçi ، مركز قضاء في إيالة أوزو . في دوبروجا الشمالية على ضفة الطونة الجنونية . الساحل المقابل بوجاق .

شاركوى مركز قضاء في إيالة روملي ، بها 1000 دار .

نيش هو الموضع الذي يلي صوفيا ، بعد شاركوى وموسى باشا بالانغاسي . يقع على الضفة الجنوبية من نهير شافا فرع موارافا . مركز قضاء به 2 060 دارا ، فتحه مراد الأول 1375 ، به جامع سلطان مراد ، و جامعان ، ومساجد كثيرة ، و 22 مكتبًا ، وتكايا كثيرة ، تحتوي على مقبرة دفن فيها بعض أعضاء أسرة ميهال – زاده لر .

Yogodin ، قضاء في لواء Semendire ، به 1600 دار فتح في 1375 .

بلغراد ، مركز لواء سمندره . يقيم أمير اللواء (سنجق بك) حسب رغبته في بلغراد أو على مقربة من جنوبها في سمندره . لواء تابع لإيالة بودين (المجر) . تبع إيالة روملي أحيانا . من أهم الألوية . يرسل إلى قلعة بلغراد أحيانا محافظ بدرجة وزير . وفي تلك الحالة ، ينسحب السنجق بك إلى سمندره . ورغم محاصرة مراد الثاني و ابنه فاتح وابنه بيازيد الثاني هذه القلعة المجرية 3 مرات ، لم يتمكنوا من فتحها ، وفتحها السلطان سليمان القانوني في أول حملة همايونية له في 1521 . هي البوابة التي تفتح إلى أوروبا الوسطى والمجر . تقع على ملتقى نهرى الطونة وسافا وعلى الجنوب من ضفتى كلا النهرين . قلعتها التي تشتمل على 116 برجا و 5 060 مزغلا ومكونة من 4 طوابق ، تعد من أقوى القلاع العثمانية تحصينا . بها جامع سلطاني للسلطان سليمان ، فاتح بلغراد . وعدا ذلك ، توجد 3 جوامع أخرى . كان يتجمع في أوقات الحملات الأوروبية جيش كامل في بلغراد . يستوعب المخزن الموجود تحت القلعة ، 3 000 أسير عدا الجنود من جميع الأصناف الموجودين خارج القلعة ، فإن لواء سمندره يقدّم 2 000 من جنود

تمارلي سباهي .
يعيش في اللواء نحو 200 000 مسيحي البقية بمسلمون . يعد والي المحافظة (سنجق بك) من أهم ولاة المحافظات في الدولة مخصصاته السنوية تبلغ 260 540 آقجة ، وإن نقل من وظيفته ، ينقل واليا لإحدى الإيالات برتبة فريق أول (بكلربك) . يعيش في المدينة والقلعة نحو 150 000 نسمة . من أكبر المدن الأوروبية . تحتوي على 17 000 دار ، 160 سراي وقصر ، و 28 جامعا و 189 مسجدا ، و 17 مدرسة ، و 270 مكتبًا ، و 17 تكية ، و 26 حنفية مياه مبنية ، 600 حنفية عامة ، 8 كنائس أرثوذكسية ، ومعبد يهودي ، 11 000 بئر ، و منازل كبار المسافرين 7 خانات مسافرين (أوتيل) ، و 21 خان عمل ، سوق به 3 700 دكان . يحتوي منزل المسافرين .الكبير (كروانسراي) الذي شيّده صوقوللو ، وكأنه قلعة خارج المدينة ، على 1660 غرفة . إن حجم كروانسراي السلطان سليمان مقارب لحجمه.. جميع القوافل التي تروح وتغدو إلى أوروبا ، تتوقف في بلغراد . إن مخازن السلع المستوردة و مصانع المدافع الخاصة بالجيش و مصانع السباكة كلها أماكن تستحق المشاهدة . قبر شيخ الإسلام أدنه لي عبد الرحيم أفندي موجود في بلغراد . إن أشاغي شهيد لك ، تحفة للناظرين . دفن فيها آلاف الجنود الذين استشهدوا في محاصرة بلغراد الثانية التي أجراها فاتح 1456 . وفي 1521 ، أي بعد 65 عاما دفن فيها أيضا بأمر السلطان سليمان آلاف من الذين استشهدوا .

Valva ، قضاء سمندره به ، 870 دارا ، و جامع واحد ، 9 مساجد .

يني بازار ، مركز قضاء يتبع أحيانا بوسنه وأحيانا إيالة روملي . حوّله فاتح إلى مدينة . يحتوي على 23 جامعا ، و 11 مسجدا ، و34 مكتبًا ، وتكيتين ، و 49 دورة مياه ومطبخين عموميين ، و 3 000 دار ، وحمامين ، و 1 100 دكان . يحتوي على معامل البنادق ، و المسدّسات ، و الأقفال ، و المطارق الحديدية .

Mitroviçe ، 300 دار تقع بين يني بازار و Pristine .

Vulcitrin ، في ذات المنطقة ، مركز لواء لإيالة روملي . 4 000 جندي تمارلي سباهي بها 2 000 دار و بها جامع سلطاني لمراد الأول . **مشهد خداوندكار** ، هي المقبرة التي دفنت فيها الإحصاء الباطنية للسلطان مراد خان الأول وتقع وسط صحراء كوسوفا ، أحد ثاني الأماكن المقدسة الكبرى للعثمانية في روملي . أكثر الأماكن تقديسا ، هو قبر الأخ

الأكبر للسلطان مراد فاتح روملي ، غازي سليمان باشا في بولاير . تحيط بمشهد خداوندكار ، قبور 10 000 جندي عثماني استشهدوا في كوسوفا ، وكأنهم يحرسون سلطانهم .

Pristine ، وهو أيضا من فتوحات السلطان مراد ، قضاء للواء **Vulçitin** ، في حافة صحراء كوسوفا ، به 2 060 دار .

Kaçanik ، قضاء للواء أسكب ، وهو في الأصل قريب جدا من أسكب .

Uskub ، مركز لواحد من أهم ألوية إيالة روملي . يعين فيه على الأغلب سنجق بك (والي المحافظة برتبة بكلربك (فريق أول) . من فتوحات غازي أفرنوس بك . قضاؤه المركزي ذو 5 نواحٍ ، و 350 قرية . يقدم اللواء 4500 جندي تمارلي . إن مناجم Kratova للفضة والحديد قريبة جدا للمدينة . تحتوي اسكب على أحد أكبر معامل البارود . إذ يتم إخراج نترات البوتاسيوم على مسافة قريبة منه . ذو 70 محلة ، 1 060 دارا ، جامعين سلطانيين لمراد الثاني وفاتح ، و 43 جامعا ، و 75 مسجدا ، و 70 مكتبة ، و 20 تكية ، و 14 مدرسة ، و 110 حنفية مياه مبنية ، و 200 سبيل مياه مجانية ، و 1 060 قصرا ذا حمّام ، و 7 منازل كبيرة ، و 13 خان مسافرين ، وخانات عمل كثيرة ، و 9 مطابخ عمومية (عمارات) .

Kumanova ، مركز قضاء في شمال – شرق أسكب ذو 600 دار .

Kratova ، مركز قضاء في أسكب ، و 800 دار و 350 دكان . من فتوحات افرنوس بك . مشهور بفضته ، يحتوي على مناجم ذات 7 عروق جوفية للفضة الخالصة والبقية مناجم للفضة الممزوجة بالحديد والنحاس . به 20 جامعا ومسجدا .

Kostendil ، مركز لواء في إيالة روملي ، يقع في جنوب – غربي صوفيا ، على طريق صوليا – أسكب ، يحتوي على 1100 دار . و جامع سلطاني للسلطان مراد الأول ، و جامعين ، و مساجد كثيرة ، و 3 مدارس ، و 6 مكاتب ، و 5 تكايا ، وكروانسراي السلطان مراد . مياهه الجوفية مشهورة .

Dobniçse ، مركز قضاء من فتوحات لالا شاهين باشا . **Koprulu** ، قضاء كذلك للواء

كوسنتديل ، على الضفة الشرقية من واردار ، وعلى الجنوب - الشرقي من أسكب ، ذو 4 محلات .

Pirlepe ، مركز قضاء ، من فتوحات تيمورطاش باشا ، به ، 1000 دار .

Manastir ، بها **3 000** دار ، و **70** جامعا ومسجدا ، و **9** مدارس . من فتوحات مراد الأول . وهي مدينة كبيرة ، مركز لواء في إيالة روملي . سكن قسم من ولاة إيالة (بكلربك) روملي ، هذه المدينة بدلا من صوفيا .

Florina ، قضاء مناسطر ويقع في جنوبه **6** محلات ، و **1500** دار ، و **17** جامعا ومسجدا ، و **3** مدارس ، و **7** مكاتب ، و خانان ، وتكية .

كسرّية (باليونانيه : **Kastoria** مركز قضاء من فتوحات مراد الأول ، بها جامعان سلطانيان للسلطان سليمان ووالده - سلطان ، جوامع ومساجد كثيرة ، **2500** دار ، وهى مدينة رومية على الأغلب وبها **70** كنيسة . وشوارعها ذات أرصفة .

صاري كول Sarigol ، قضاء به **300** دار .

Serfice ، مركز قضاء في شمال - غربي يني بازار ، به 1800 دار . و 6 جوامع ، و 6 مساجد و 7 كنائس . هذه الأقضية تقع في لواء Vulcitrin .

Novoberda ، وهو مركز قضاء اشتهر بعروقه الجوفية الثلاثة لمناجم الفضة .

كورشونلو ، يتبع قضاء فولجيترين كذلك .

آلاجه حصار (بالصربية : Kurgujevac) ، مركز لواء في إيالة روملي ، يحتوى على 9 محلات ، و جامع مراد الثاني ، و جامع آخر ، و 7 مساجد ، وتكيتين ، و 3 مكاتب .

Semendire ، مركز لواء في جنوب - شرقي بلغراد ، على ساحل الطونه الجنوبي ، في إيالة بودين ، كان سابقا تابعا لإيالة روملي وكان أمير اللواء (سنجق بك) يقيم أحيانا فيها ، وأحيانا يقيم في بلغراد . تبع هذا اللواء العثمانية على عهد ييلديرم بيازيد ، وعلى عهد مراد الثاني ، لكنه فتح بصورة نهائية في عهد فاتح . يقدم اللواء **4 000** جندي تمارلي . قلعته ذات **30** برجا مرتفعا ويحرسها **350** جنديا . به جامع فاتح ، و **4** جوامع ، **20** مسجدا ، ومدرستان ، و**10** مكاتب ، و **4 000** دار . مثوى للغزاة .

Yejan، مركز قضاء في Ohriو Les ، و مركز قضاء في Dukagin .

اشكودرا ، فتحت مع لش Les على يد فاتح بعد حروب شديدة . تقع على رأس بحيرة اشكودرا الجنوبي – الشرقي . مركز لواء في إيالة روملي . تقدم 4000 تمارلي ، وبها 2600 دار ، و جامعان سلطانيان لفاتح وبيازيد ، و 9 جوامع ، و 70 مسجدا . وقسم من المدينة يقع في الضفة الشرقية من نهر درين Drin . ويقال لاشكودرا « إسكندرية » وكذلك « عرنووط إسكندرية سي « (إسكندرية الألبان) .

Podgorie (بالصربية : Titograd) ، في شمال البحيرة ، قلعة شيدها فاتح بها 300 دار .

Kotor ، **Budva** ، **Bar** ، **Ulgun** (بالإيطالية : Dulcigno) ، **Busat** ، **Mat** ، **Yakova** ، قلاع من فتوحات فاتح أكثرها تقع في منطقة اشكودرا ، قسم منها أقضية (على نهر أدريا) ، أحيانا مراكز ناحية .

Istib ، من فتوحات مراد الأول ، فى شمال مكدونيا ، مدينة تركمانية خالصة بها 2 420 دارا ، و 24 جامعا ، و 24 مسجدا ، ومدرسة ، و11 مكتبًا ، و 7 تكايا ، و كروانسراى . وفيها جامع مراد خان .

Samakov ، قضاء في لواء صوفيا ، 700 1 دار ، و 12 جامعًا ، و 8 مساجد ، ومدرستان ، و 3 مكاتب . بها منجم كبير جدا للحديد . ينقل سنويا إلى الأقطار العثمانية بالبحر عن طريق سلانيك ، 800 عربة من الحديد . فتحها لالا شاهين باشا عام 1370 .

جربان ، مركز قضاء ذو 302 قرية في روملي ، و 600 دار ، و جامعان ، و 4 مساجد ، و 3 تكايا ، و 3 مكاتب .

قنزيل آغاج ينيجة سي ، مركز قضاء ذو 25 قرية ، تابع للواء قيرق كليسة في إيالة أوزو ، يقع على الضفة الشمالية لنهر طونجة شمال أدرنة ، وبه 300 دار .

كوجك أسكب ، قضاء قيرق كليسة ، به 300 دار ، وجامع ، و 6 مساجد .

Vize ، مركز لواء في إيالة أوزو . وفي الجنوب الشرقي منها قرق كليسة ، به ، 300 دار . يوجد في هذا اللواء أيضا أمير لواء (سنجق بك) آخر للعشائر الرحل .

بينار حصار ، مركز قضاء طو ، به 400 دار .

سراي ، مركز قضاء ذو 800 دار في لواء ويزة أيضا .

حلقة لي ، اسمه الكامل حلقه لي بينار ، قريب جدا من استانبول ، يحرس السراي الهمايوني الذي كلف القانوني ، سنان بإنشائه ، 60 بستانجي (حرس عسكري يعني كذلك بالحدائق) داخل الحديقة السلطانية الخاصة .

قيزانلق ، مركز قضاء على مقربة من شمال طونجة ، تابع للواء أدرنة ، وبه 1060 دارا ، ومدرستان ، و 3 تكايا ، وشعبة تركماني .

Lofea ، قضاء في لواء نيغبولو ، من فتوحات غازي ميهال بك ، على عهد مراد الأول ، به 3000 دار ، و 16 محلة تركية ، و 4 بلغارية ، وواحدة يهودية ومحلة واحدة غجرية ، وبه أيضا 7 جوامع ، و 23 مسجدا ، و 3 جسور ، و 3 مدارس ، و 6 مكاتب ، و 5 تكايا ، و 6 حنفيات مياه مبنية ، وحمامان ، و 7 خانات ، و 215 دكانا . جامع هنكار ، جامع سلطاني شيّد بأمر السلطان مراد الأول .

Plevne ، قضاء نيغبولو ، من فتوحات ميهال بك أيضا وأحد مراكز بني ميهال ، به 2000 دار ، وسراي فخم ، وجامع ، ومساجد ، ومدرسة ، و6 تكايا ، و 6 خانات ، و حمّام ، مطبخان عموميان ، أكثرها من أعمال بني ميهال الخيرية .

Vraea ، قضاء نيغبولو ، به 1500 دار و 9 جوامع ومساجد ، ومدرستان ، و 4 حمامات و تكيتان ، 200 دكان .

Vidin ، مركز لواء في إيالة روملي . على الساحل الجنوبي من نهر الطونة . وقالافات **Kalafat** ، في الساحل المقابل في رومانيا ، تابعة لفيدين . وعلى الغرب منه يصب نهر **Timok** الذي يشكل حدود لواء سمندرة (بلغراد) لإيالة روملي وإيالة بودين . من فتوحات افرنوس بك عام 1389 . يقدم 2000 تمارلي . ترسو على نهر الطونة في فيدين 10 سفن حربية . مدينة مهمة تشتمل على 19 محلة تركية و 4 بلغارية

وواحدة يهودية ، و 4700 دار . بها 10 جوامع و 14 مسجدا ، و 9 مدارس ، و 11 مكتبًا ، و 7 تكايا ، و 200 قصر ذي حمامات .

ايليجة ، قضاء فيدين ، به 200 دار ، و جامعان ، و 4 مساجد ، و 2 تكيتان ، و مدرسة ، ومكتبان .

يني بازار قضاء في لواء سيلسترة ، به ، 150 دارا ، و جامعان .

يانبولو ، مركز قضاء على نهر طونجة . من فتوحات مراد الأول في 1363 ، 3500 دار . يحتوي على 17 محلة للأتراك ، وواحدة للبلغار ، وواحدة لليهود ، و 17 جامعا ومسجدا ، له سوق لبيع السلع الثمينة ، و 3 حمامات ، و 6 خانات مسافرين و 5 خانات عمل ، و 3 مدارس ، و 11 مكتبًا ، و 5000 بغل تخص الدولة تنتظر بصورة دائمة في منزل المسافرين (الكروانسراي) خارج المدينة ، لخدمة الجيش وقت الحرب .

خاصكوي ، قضاء تابع للواء قرق كليسة يقع بين أدرنة وفيليبة ، على مقربة من جنوب مريج Meric ، به 250 دارا ، و 6 جوامع ، و حمام .

Dimetoka ، قضاء تابع للواء أدرنة . به سراي كبير لفاتحها مراد الأول الذي أقام فيه عدة سلاطين وبه ، 600 دار ، جامع سلطاني ليلديرم ، و 11 مسجدا ، و 4 مدارس ، و 5 مكاتب و 5 تكايا ، ومطبخان عموميان و 2 كروانسراي (منزل) ، و خانان ، و 3 حمامات ، و 70 قصرا ذا حمّام .

Ferecik ، قضاء أدرنة ، من فتوحات غازي سليمان باشا ، وبه ، و 4 مساجد ، ومدرستان ، و تكيتان .

ده ده آغاج ، قضاء أدرنة ، من فتوحات أفرنوس بك ، على بحر إيجة وعلى مسافة ليست بعيدة عنه جزيرة سماديرك Semadirek . يوجد به جامع يلديرم خان .

كمو لجينا Gumulcina قضاء من فتوحات أفرنوس بك وهو مدينة مهمة تحتوي على حمامات و 4000 دار ، 16 جامعا ، 11 مسجدا ، و 5 مدارس ، و 7 مكاتب ، و 7 خانات عمل و 10 خانات مسافرين . أكثرها أعمال خيرية لعائلة أفرنوس . بك الغجر المعترف به من الدولة ، يقيم في كمولجينه . و المحيط ، من أملاك عائلة أفرنوس .

أورهانية ، مركز قضاء في لواء سلانيك في روملي ، Sidrekapsi ، كسابقتها

أيضا . يوجد فيها أحد معامل النقود للدولة التي يبلغ عددها 47 . ناحية Aynaroz ، ضمن هذا القضاء ، ومشهورة بديرها العائد للروم . والذي يقع في جبل Athos (2030 م) ولا يمكن لأحد أن يدخله .

آوراتحصارى ، قضاء آخر لسلانيك . Doyran ، مركز قضاء آخر لسلانيك .

ينيجه ، هي قرة صو ينيجه سي قضاء سلانيك من فتوحات أفرنوس بك ، به 1000 دار ، على نهر اسكجه ، وعلى مسافة قريبة من البحر . به منزل للمسافرين وجامع فخم لاكمكجي – زاده أحمد باشا .

قاوالا Kavala ، في مكدونيا ، ولم تعد في تراقيا الغربية . ميناء جزيرة تاشوز ذو القلعة مقابل لها .

مركز إمارة اللواء البحري في إيالة روملي . تضع تحت أمر أمير لوائها سفينتين حربيتين . يقدم اللواء نحو 2000 تمارلي ، به 7 أقضية ، و 700 دار ، بالقلعة 50 مدفعا . معظم أبنيتها من أعمال مقبول إبراهيم باشا الخيرية . فتحها مراد الأول .

Drama ، مركز قضاء ، على مقربة من شمال – غربي قاوالا ، من فتوحات أفرنوس بك ، به 800 دار ، 13 جامعا ، 7 مساجد ، مدرستان ، 3 مكاتب ، تكيتان ، 10 خانات ، حمام . اسكي جامع ، جامع سلطاني لبيازيد الثاني .

Zihne ، قضاء سلانيك ، من فتوحات أفرنوس بك ، بها 200 دار ، جامع سلطان بيازيد الثاني .

Serez أو Siroz ، قضاء سلانيك ، وهي مدينة كبيرة ذات 6000 دار بها 12 جامعا ، 87 مسجدا ، 30 مدرسة ، وتكية ، 21 مكتبًا ، 717 حنفية مياه مبنية (جشمة) وحنفيات (مصلق) ، وبها أيضا سوق للسلع الثمينة ، 5 حمامات ، 1060 قصرا بها حمامات ، 7 خانات عمل و 9 خانات للمسافرين ، جسر ، 30 محلة تركية ، 10 مسيحية . **دمير حصار** ، مركز قضاء في لواء سلانيك به 1600 دار .

سلانيك ، ميناء كبير . فتحه اولا ييلدرم بيازيد ، ثم مراد الثاني . مركز إمارة اللواء البحري في إيالة روملي . يقدم اللواء 6000 تمارلي سباهي ، ويمكن تجنيد 12000 متطوع

يستقر في اللواء 40000 جندي بّري وبحري بصورة مستمرة . يعزف المهتر (الموسيقى العسكرية) في كل مساء في 4 أماكن مختلفة من قلعتها الكبيرة ذات الـ 150 برجًا و 4000 مزغل (مرمى) . أعاد سليمان القانوني إنشاء القلعة في 1545 . تحتوي المدينة على نحو 150 جامعًا و 150 مسجدًا ومنشآت أخرى توازي ذلك ، 48 محلة تركية ، 57 يهودية ومسيحية . يعيش في لواء سلانيك 000 500 نسمة ، قسمها الأعظم في مدينة سلانيك ، وهي تحتوي على 340 محلا للمشروبات الروحية و 17 مقهى فيها جوقات موسيقية فخمة ، فيها أيضا ما يقرب من 300 قصر ذي حمام ، و 11 حماما داخل السوق ، و تكية المولويين الشهيرة جدا وتكايا الطرق الأخرى ، ومنازل مسافرين كبيرة ، وخانات مليئة بالبشر والبضائع .

فاردار ينيجة سي (ينيجة فاردار) ، قضاء سلانيك ، من فتوحات أفرنوس بك ، وبها 1500 دار ، و 17 جامعا و 5 مساجد ، ومدرسة ، و 7 مكاتب و 3 مطابخ عمومية ، و 740 دكانا ، و حمامان ، و 2 كروانسراي (منزل كبير) ، و 9 خانات ، و 20 حنفية مياه مبنية (جشمة) ، و 41 سبيل مياه مجانية ، أكثرها من أعمال أفرنوس – زاده لر الخيرية .

Vodine ، قضاء سلانيك ، به 1060 دارا ، و 8 جوامع ، و مسجدا ، و مدرسة ، و 4 مكاتب ، و 10 خانات ، و مطبخ عمومي ، و 7 كنائس نحو 300 دكان . على مقربة منه دير أرثوذكسي يقبل البنات الأبكار .

Karaferye ، من فتوحات أفرنوس بك ، قضاء سلانيك ، مدينة ذات 4000 دار . وبها 16 محلة تركية ، و 2 يهودية ، و 15 مسيحية ، و جامعان سلطانيان لمراد الأول وموسى خان ، و جامعان ، و 19 مسجدا ، و 3 مدارس ، و 10 مكاتب ، و 5 تكايا ، و 5 حمامات مزدوجة (للنساء والرجال) ، نحو 70 قصرا تحتوي على حمامات ، و 3 مطابخ عمومية ، سوق للسلع الثمينة ، 600 دكان .

Alasonya ، مركز قضاء به 655 دارا ، وأيضا 4 جوامع ، 7 مساجد . له جسر على نهر أوليمبوس

Tirnovi ، ورغم أنها كانت ناحية لها لكنها أكبر منها بكثير ، وبينما كانت قرية إلى عهد قريب فقد أصبحت مدينة رومية ذات 3500 دار . شوارعها قذرة جدا وضيقة .

يني شهر (باليونانية : larissa) ، مركز قضاء في لواء Tirhala (Tesalya) ، يقيم فيها أمراء الألوية أحيانا بدلا من ترخالا ، يتبع هذا القضاء 200 قرية ، ويحتوي على 22 جامعا ، 49 مسجدا ، 8 مدارس ، 22 مكتبًا ، 10 تكايا ، 5 حمامات ، نحو 400 قصر ذي حمام ، 21 خانا ، 880 دكانا ، 10 جسور على رافد Kustum (Pintos) ، 300 حنفية مياه مبنية (جشمة) ، سبيل وحنفيات ، 160 3 بئر مياه وتكيتها المولوية من التكايا الكبيرة .

Tirhala ، مركز لواء في إيالة روملي . من أهم الألوية ، به ، 300 2 دار ، 8 جوامع ، 8 مساجد ، 6 مدارس ، 9 مكاتب ، 8 تكايا ، 3 حمامات ، نحو 70 قصرا يحتوي على حمّام ، وجسر جميل جدا ذو 6 قناطر . أكثرها من الأعمال الخيرية لابن عمة السلطان سليمان القانوني سلطان – زاده (سليل العائلة السلطانية) عثمان – شاه بك ، وهو الذي صيّر المدينة على هذا الشكل ، شغل وظيفة أمير لواء (سنجق بك) لمدة طويلة في Tesalya وتوفي فيها .

فنار Fener (يني شهر فنار) قضاء ترخالا ، به 160 دارًا، و 5 جوامع ، و 3 مساجد ، و مدرسة ، و مكتب .

Kardiçe ، رغم أنها ناحيتها لكنها أكبر منها بكثير ، بها تقريبا 1000 دار ، 9 جوامع ، 8 مساجد .

ناردا (Arta) ، قضاء تابع للواء يانيا (Epir) وفي أقصى جنوبه ، به 2000 دار ، 10 محلات رومية ، 3 مسلمة ، 4 يهودية . لها جامع سلطاني لبيازيد الثاني وجامع آخر ، مساجد ، 3 مدارس ، 5 مكاتب و 3 تكايا ، 11 كنيسة ، جسر .

Yanya ، مركز لواء في إيالة روملي . ، وهو لواء مهم ذو 22 قضاء ، قلعة كبيرة ، 23 محلة للمسلمين ، 14 للروم ، 1 للغجر ، 4 لليهود ، 4800 دار ، 845 قصرا ذا حمامات ، 260 2 دكانا ، 23 جامعا ، 12 مسجدا ، 16 مدرسة ، 11 مكتبا ، 7 تكايا ، 3 خانات ، حمامين ، 400 4 بئر مياه . جامع فتحية لبيازيد الثاني يقع في القلعة .

Aydonat ، قضاء تابع للواء Delvine ، وهو قصبة ألبانية مسلمة ، به 840 دارا ، 3 جوامع (أحدها لبيازيد الثاني) ، 3 مساجد ، 6 مكاتب ، 3 تكايا ، حمامان ، 17 حنفية مياه مبنية .

Margalic ، مركز قضاء Delvine ذو 40 قرية ، وبه 1 300 دار ، 3 جوامع (أحدها لبيازيد الثاني) ، 7 مساجد ، مدرسة ، مكتبان ، تكيتان .
قلعة Parga قريبة لها ومقابلة لجزيرة Korfu مسقط رأس الصدر الأعظم مقبول إبراهيم باشا .

Delvine مركز لواء في إيالة روملي . من فتوحات بيازيد الثاني ، وهي لواء صغير يقدم 2 200 تمارلي . تقع على مقربة من جنوب Ergeri ، قصبة ألبانية صغيرة . لها جامع ، مسجدان ، 3 مدارس ، مكتبتان ، و 3 تكايا .

أركري (Argyrokastro) ، قضاء دلفين ، ترتبط بها 68 قرية ، يحتوي على قلعة بيازيد الثاني وجامعين في الضواحي ، و 7 جوامع أخرى و 7 مساجد ، و مدرستين ، و 5 مكاتب ، ويسكن أمير لواء دلفين أحيانا في هذه المدينة .

Pogonya ، مركز قضاء آخر في اللواء نفسه ، **تبه ده لن** Tepedelen مركز قضاء في آفلونيا له 80 قرية ، و 240 دارا .

Iskarapar ، قضاء تابع للواء بآفلونيا له 47 قرية ، به جامع لبيازيد الثاني ، وعلى مقربة منه قرية Rosnik ، التي ولد فيها الصدر الأعظم كوبرولو محمد باشا الذي اهتم بعمرانها وجعلها قصبة . أما قرية Lavdani الواقعة على مقربة منها ، فهي مسقط رأس كانكش قرة مصطفى باشا الصدر الأعظم الأخير لمراد الرابع والأول لإبراهيم خان . أما قرية Jotom التي تقع بعد عبور إحدى السواقي ، فهي مسقط رأس آغا الإنكشارية وزير مصطفى باشا الذي سقط شهيدا في النمسا في الحرب الميدانية Sen Gotar .

Berat ، وتدعى كذلك بـ « عرنووط بلغرادي » (بلغراد ألبانيا) ، يقيم بها أمير لواء آفلونيا أكثر مما يقيم آفلونيا . تقع بين آفلونيا و Goriee ، يتبع قضاءها المركزي 120 قرية . لها 9 أقضية ، للواء 4000 تمارلي وجنود آخرون ، وبيرات مدينة مهمة .

تحتوي على 4 جوامع مستقلة لبيازيد الثاني ، 480 5 دارا ، وعدا ذلك فإن بها 26 جامعا ، 17 مسجدا ، 5 مدارس ، 4 تكايا . ولها 170 قصرا ذا حمام ، وبها 19 محلة البانية مسلمة ، 10 محلات البانية مسيحية (سكانها يجيدون اللغة التركية) ، 3 مطابخ عمومية ، 11 خانًا .

Avlonya ، تقع على الجنوب ـ الغربي من بيرات ، جانب منها يقع على الخليج وجانبها الآخر يقع على البحيرة . يجري نهر Viyosa في شمالها . وعلى مسافة منها جزيرة Sazan . وتقع على مضيق Otrano الذي يربط البحر الأدرياتيكي بالبحر اليوناني (الأيوني) . شيّد السلطان سليمان القانوني فيها قلعة كبيرة وجامعين ؛ بها 300 1 دار ، 4 جوامع ، 5 مساجد ، 3 مدارس . ميناؤها كبير .

Drac ، قضاء ذو 73 قرية في لواء الباسان . ميناء على الأدرياتيكي ، وقضاء Kavaya ، على مقربة من ضواحي دراج .

Pekin مركز قضاء آخر لباسان ، وبه 430 دارا ، 5 جوامع ، 7 مساجد ، 3 مدارس ، 5 مكاتب ، تكيتان ، 7 حنفيات مياه مبنية ، وأكثرها أعمال خيرية للوزير عبد الرحمن باشا آغا الإنكشارية عند فتح كاندية التي ولد فيها .

إلباسان Elbasan ، أصلها « Ilbasan » أطلق هذا الاسم السلطان محمد الفاتح . مركز لواء في إيالة روملي . يقدم اللواء 4600 جندي ، ويتبعه 426 قرية . يقع على الضفة الشمالية لفرع Iskombi . شيّد فاتح قلعة المدينة مع جامعين . يحتوي اللواء على 44 جامعا ، 24 مسجدا ، 11 تكية ، 7 مقاه فخمة ذات جوقات موسيقية ، 11 خان عمل ، 9 خانات مسافرين ، 2060 بئرا ، 18 محلة ألبانية مسلمة وتركية ، 10 محلات ألبانية أرثوذكسية ، محلة واحدة ألبانية كاثوليكية ، أكثرية الألبان يجيدون التكلم بالتركية كذلك .

اوهري ، مركز لواء صغير آخر في إيالة روملي ، على الضفة الشمالية ـ الشرقية من بحيرة أوهري بين الباسان ومناسطر ، يستقر في اللواء نحو 7000 جندي . قضاؤها المركزي ذو 3 نواح . تعد أوهري من أكبر مدن روملي . تحتوي على مايقرب من 15000 دار و 400 قصر ، 10 محلات للمسلمين ، 6 للأرثوذكس وواحدة للكاثوليك . يشكل الألبان أكثرية السكان ثم يليهم الأتراك ، ثم الروم ، ثم المكدونيون ، باللواء 17 جامعا ، 18 مسجداً ، 3 مدارس ، 7 مكاتب ، 3 مطابخ عمومية .

Resne ، مركز ناحية تابع للقضاء المركزى أوهرى ، به 180 دارا ، محلتان ، جامعان ، مدرستان ، قصبة صغيرة نصف سكانها من المسلمين والنصف الآخر أرثوذكس .

Astrova ، تقع على ساحل البحيرة المسماة بالاسم نفسه ، Presba (Prespe) ، كلاهما قضاءان في لواء أوهري .

Ardoviste ، قضاء تابع للواء كزستندل ، به 400 دار ، 5 جوامع ، مسجدان .

تكوش Tikves ، مركز قضاء آخر في اللواء ذاته ، به 300 دار ، 3 جوامع ، مسجدان .

أوستروجة (Strumice) ، مركز قضاء في جنوب شرقي إيشتب ، قصبة تركانية بها 1000 دار ، 14 جامعا ومسجدا ، مدرسة ، 6 مكاتب ، 12 دورة مياه ، 13 خانًا ، وعلى مقربة من جنوبها تقع بحيرة Doyran وقصبتها .

Petric ، مركز قضاء كوستندل به ، 240 دارا ، جامعان ، مسجدان ، مدرستان ، 3 مكاتب ، حمامان ، تكية واحدة

Vetirne ، مركز قضاء يتبعه 48 قرية في اللواء نفسه .

Stanimaça ، مركز قضاء في لواء فيليبه ، يحتوي على 300 دار للبلغار ، 100 للأتراك .

خيرابولو Hayrabolu ، من فتوحات غازي سليمان باشا فاتح روملي ، مركز قضاء في لواء أدرنة .

تكفور داغي (تكرداغ) مركز لواء في إيالة روملي ويقع على ساحل مرمرة ، فتحه سليمان باشا على عهد أبيه أوخان غازي وهدم قلعته ، وهو من الألوية المهمة ، ويعتبر رصيفا بحريا رئيسيا لأدرنة ، وهى مدينة كبيرة وغنية .

إركلى Eregli (Marmara Ereglisi) قصبة صغيرة ولكنها ميناء فعال ، من فتوحات سليمان باشا أيضا ، بها 300 دار .

قال نامق كمال بك (1840 – 1888) ، « إن حد الدولة العثمانية الطبيعي هو خط ألطونة (الدانوب صباح ، 5 /11/ 1912) . واضافة إلى ذلك « إن فقدان هذا الخط يعني فقدان الوطن » . أما المؤرخ الأستاذ (أورديناريوس بروفسور) مكرمين خليل يينانج فيقول « إن أكبر خسارة في تاريخنا ، هي فقداننا روملي » (على جانقايا 4 ، 1707) .

إن روملي التي وصفها لنا أولياء جلبي في أواسط العصر 17 والتي سلف وصفها فقدت على مرحلتين في 1878 و 1913 ؛ في هزيمتي حرب 93 وحرب البلقان . ورغم الحفاظ على لقب « سلطان البحرين » (البحر الأبيض والأسود) للبادشاه العثماني ، فإن نصف لقب « خاقان البرين » (خاقان القطعتين) الأناضول وروملي) أصبح موضعا للشك . كيف يفقد وطنا أما يرجع تاريخه إلى 500 سنة مضت ؟ إنها حكاية لا تكاد تصدق .. لكنها وقعت حقا . تراجع خط ألطونة للمسلمين إلى مريج . عشرات الملايين من المسلمين يرقدون حاليا في الأراضي المسيحية .

أسست إمارة بلغاريا في 1878 من 6 ألوية من إيالة طونا وإيالة روملي الشرقية ومن لواءين من إيالة أدرنة (فيليبة وأسليمية) ، ومنح الاستقلال الذاتي لكليهما . وقبل الحرب في 1877 كان يسكن في الألوية الستة 1 130 000 بلغاري + 1 120 000 تركي = (2 250 000 نسمة) ، أما سكان اللواءين اللذين يشكلان روملي الشرقية ، فكانوا 483000 بلغاري + 681 000 تركي = (1 164 000 نسمة) ، وجمعا 1 613 000 بلغاري + 1801000 تركي = 3 414 000 نسمة . وهذا هو المجموع للألوية الثمانية التي كانت تشكل ملكية بلغاريا التي انفصلت عن العثمانية عام 1908 . كان عدد نفوس الأتراك في الأحصاء والذي تم عام 1887 هو 676 215 . وإذا كان نفوس الأتراك بالنسبة لاحصاء 1876 هو 1 801 000 وإذا ما أضيف إلى ذلك الزيادة الحاصلة في النفوس فإنه يتضح أن 1 300 000 تركي زالوا عن الوجود . إن مايقرب من ثلثي هذا الرقم تركوا وطنهم الذي يعود تاريخه إلى 5 عصور وهاجروا إلى تركية ، أما ثلثه الباقي ، فقد قتلهم الروس والبلغار بشكل جماعي ، ومات قسم منهم في الطريق أثناء هروبه بسبب البرد والجوع والمرض . كان 53 ٪ من مجموع السكان في الألوية الثمانية

في 1876 أتراكا ، وكان بها 45 مدرسة متوسطة وثانوية للأتراك 2255 ، إبتدائية ، ومايتيف على 100 مدرسة (دينية) ، عدا المدارس التي توجد بالجوامع . انخفض عدد السكان الأتراك في بلغاريا بعد كارثة 93 إلى الثلث ، ولم يتمكنوا من خفض هذه النسبة إلى الربع رغم جميع المحاولات والضغوط التي مورست خلال مدة طويلة جدا . وفي 19 / 2 / 1946 أصدر السكرتير الأول للحزب الشيوعي البلغاري رئيس الوزراء جورجي ديميتروف التعليمات التالية :

« يجب علينا أن نسعى لتأمين بقاء البلقان للبلقانيين فقط ، وعدم السماح للسلاف أن يلعبوا الدور الرئيسي في البلقان . يجب أن تنمحي تماما آثار الإمبراطورية العثمانية للعصور السالفة التي كانت تحكم فيها البلقان » .

إن هذا البيان يمثل خطأ تاريخيا ، حيث يغفل كون الأتراك من الأقوام الرئيسية التي تشكل البلقان ؛ حتى إنه حتى في العام الدراسي 1949 / 1950 ، كان في بلغاريا 3037 مدرسا تركيا يعملون بالتدريس في 1199 مدرسة تركية ابتدائية ومتوسطة ويدرسون لـ 376 100 طالبا تركيا ، وأتراك كثيرون آخرون يتلقون تعليمهم في المدارس البلغارية .

هاجر 156 000 تركي من بلغاريا إلى تركية خلال سنة واحدة 1950 / 1951 وخلال 1878 – 1908 كان في بلغاريا المستقلة ذاتيا ، 15 صحيفة تركية و 12 مجلة ، وفي الوقت الذي كانت تصدر فيه في بلغاريا الملكية خلال (1908– 1944) ، 28 صحيفة تركية 38 مجلة ، هبط هذا العدد في غضون 1960 إلى 3 صحائف ومجلة تركية واحدة وكان شرط صدورها أن تروج الدعاية الشيوعية . وفي 1985 كان لايزال عدد سكان الأتراك يتجاوز كثيرا 1 : 10 من سكان البلاد ولايزال عددهم حاليا ، يتجاوز المليون نسمة بكثير . يعلن السكرتير الأول للحزب رئيس الوزراء تودور جيفكوف Todor Jivkov ببيانه الصادر في 28 /5 / 1962 أن « بلغاريا ليست دولة جمهورية شعبية ذات شعوب مختلفة » يعلن أن كيان الدولة يختلف كل الاختلاف عن السوفييت والصين ويوغسلافيا وكان يقول للأتراك « لكم الفناء أو الموت » . وأخيرا في 1985 شرعت بلغاريا في تطبيق السياسة التي طبقتها أسبانيا على العرب قبل عصور ، بأقسى مظاهرها ، على المسلمين فيها .

منحت معاهدة برلين 1878 لواءين من إيالة طونا يشكلان Dobruca إلى إمارة رومانيا التي انفصلت عن الإمبراطورية ، ولواء نيش إلى صربيا التي انفصلت كذلك عن الإمبراطورية . وبالنسبة لإحصاء النفوس لعام 1868 كان 945 125 تركيا وعدد من Ulah (الرومان) والبلغار يسكنون في ألوية كوسنتجة و تولجا . وبالنسبة للإحصاء الروماني لعام 1930 ، كان نفوس الأتراك في (Dobruca) 720 345 ، وكانوا يشكلون الأكثرية . وهبط في 1965 ، إلى 000 250 . أما أتراك لواء نيش فقد تركوا اللواء بأجمعهم تقريبا منذ 1878 .

وهكذا أسفرت كارثة 93 ، عن فقدان نصف روملي العثمانية في 1878 ، وضاع النصف الآخر بعد 35 عاما . تحقق ذلك أيضا عام 1913 . محيت الآثار العمرانية العثمانية بالأسلوب ذاته .

8 بوسنة .

كانت بوسنة – هرسك في البداية ، قسما من إيالة روملي ، ثم انفصلت عنها وأصبحت إيالة بذاتها . البوشناق أى الخروات المسلمون ، كانوا يشكلون أكثرية نفوسها ، كانوا سنة حنفيين . وهم حاليا يشكلون الأكثرية في القطر . تطبعوا بالثقافة العثمانية العميقة . ظهر منهم صدور عظام ووزراء كثيرون ، وعلماء وكتاب لغة وشعراء وفنانون . يوجد كذلك في بوسنة أتراك ، وخاصة فى هرسك . أخذ هؤلاء يتكلمون اللغة البوشناقية وعلى مر الزمن تطبعوا وأصبحوا بوشناقا . الألبانيون قليلون جدا . والأقوام الأخرى هم الخروات الكاثوليك والصرب الارثوذكس . كانت تأثيرات الثقافة العثمانية في الصرب أكثر عمقا . يميل الخروات على الأكثر إلى المجر والالمان .

يشرف لواء هرسك التابع لبوسنة ، على البحر الأدرياتيكي . دالماجيا هو الشريط الجبلي الطويل للبحر الأدرياتيكي الذى يفصل بوسنة عن البحر . كان هذا الشريط موضع خلاف مستمر بين العثمانية والبنادقة . شعبه خروات وإيطاليون أي إنهم كاثوليك . توجد في الجنوب منطقة صغيرة تسمى قره داغ تفصل هرسك عن ألبانيا . يسكن فيها أحد فروع الصرب الأرثوذكس الذين يطلق عليهم اسم قرة داغلي . كان هؤلاء قوما جبليا متوحشا . العثمانيون الذين دخلوا ملكية بوسنة (التي كانت كاثوليكية) منذ أواخر

العصر 14 فتحوا القطر كاملا في حملات فاتح . أدى اهتداء الخروات الذين كانوا على مذهب بوغوميل Bogomil ، وأخذهم عن الدين الإسلامي بعض مبادئه في العصر 15 ، واختلاطهم بالسكان الأتراك الذين قدموا إليها لغرض الاستيطان . إلى جعل القطر قطرا إسلاميا ، وهو حاليا وبصورة جزئية كذلك ، إلى درجة أنه كان في مدينة Mostar عاصمة هرسك في عام 1878 ، 36 جامعا ، فى مقابل كنيستين صربيتين أرثوذكسيتين وواحدة خرواتية كاثوليكية فقط (Vakiflar Dergisi ، 7 ، 215) .

لواء **يني بازار** ، يفصل بين قره داغ وصربيا ، ومع أنه يتبع إيالة بوسنة أحيانا ، فانه تبع على الأكثر إيالة روملي .

كانت بوسنة سراي (Sarajevo) المركز حتى سنة 1550 ، ثم أصبحت Travnik الواقعة في الشمال – الغربي مركزا حتى 1583 ، ثم Banyaluka التي تقع في أقصى الشمال – الغربي حتى 1639 ، ثم بوسنة سراى مرة أخرى إلى 1648 ، ثم Travnik مرة أخرى حتى 1850 ، ثم بوسنة سراي مرة ثالثة بعد 1850 .

ولكننا نجد الوالي يقيم في بوسنة سراى على الأكثر وحتى في فترات انتقال المركز إلى مدن أخرى . كانت إيالة حدودية (سرحد) حيث كانت ألمانيا تحدها من الشمال والبندقية من الشمال – الغربي . كان ثلثا النفوس مسلمين ، بوشناقا وأتراكا أو خليطا من كليهما .

انفصلت في 1521 ، ولاية بوسنة عن إيالة روملي وأصبحت لواء مستقلا ، وفي 1583 رفعت وأدخلت إلى نظام الإيالات . انقسمت الإيالة في 1866 إلى 7 ألوية (محافظات) ، كانت إحداها هرسك . افتتح في 1872 خط بانيالوكا – نوفي ، ثم مدت السكك الحديدية الأخرى . وفي 1876 ، كان في بوسنة سراي ، مدرسة حقوق شاهانه (كلية الحقوق) ، مدرسة غازي خسرو بك العليا ، 28 مدرسة ثانوية ومتوسطة ، 917 مدرسة ابتدائية ومدارس متوسطة كثيرة ، هذا عدا مدارس المسيحيين التابعة للكنيسة . وبالنسبة لإحصاء السكان لعام 1953 ، فإن 42.6 ٪ من سكان جمهورية بوسنة – هرسك الائتلافية الشعبية مسلمون بوشناق ، 1 / 35 ٪ منهم صرب

أرثوذكس ، 21,5 ٪ خروات كاثوليك ، 9, ٪ أتراك مسلمون ، ألبانيون وغجر .

وفي 1957 كان في بوسنة – هرسك 635 جامعا من جملة 1514 جامعا كانت مفتوحة للعبادة في يوغسلافيا . بينما كان عدد الجوامع في بوسنة – هرسك حتى في عام (1939) ، 1173 جامعا .

إن عدد الجوامع في بوسنة سراي الذي كان في عام (1939) ، 108 ، أصبح في عام (1955) ، 87 ، وكان في Gradiska عام (1943) ، 26 جامعا ، ثم هبط العدد في 1957 إلى (واحد) .

فوجا Foça التي كان عدد سكانها في العصر (19) ، 12000 نسمة و بها 12 جامعًا (**قاموس الإعلام** ، 5 ، 3443) ، هبط عدد سكانها في 1934 إلى 600 4 (Pelletier ، Sarajevo ، 242) . وفد إلى البلاد كثيرون من الخروات ، وخاصة الصرب واستوطنوا فيها .

جسر Drina (الطول 179 م ، العرض 4,35 م) الذي شيّده المعمار سنان قريب جدا إلى Visgrad ، ويقف شامخا بقدر شموخ جسر Mostar لسنان أيضا . منحت الإيالة لإدارة أوستريا – المجر عام 1878 ، وفي 1908 ، ألحقت بأوستريا – المجر وانقطعت علاقتها بالعثمانية ، ثم انتقلت في نهاية عام 1918 بتسميتها يوغسلافيا ، إلى ملكية صربيا التي وسعت جدا . يسرد أولياء جلبي معلومات مفصلة جدا عن الإيالة في الفصول الأخيرة من مجلده الخامس . وسنكتفي هنا بنقل بعض أسطرمنه ، وسننقل لكم فيما يلي بعض المعلومات التي دونها الرحّالة عن المدن مراكز الألوية فقط :

بوسنة سرايي أو بوسنة سراي أو سراي بوسنة ، ومختصرا سراي ، وبالصربية – الخرواتية Sarayevo ، أصبحت مركزا للواء في إيالة روملي في 1436 ، ثم اتخذت بعد ذلك مركزا لإيالة بوسنة – هرسك ، وتتميز خلال فترات عدم اتخاذها مركزا بأنها أكبر مدينة في الإيالة ، ومركز ثقافي عثماني ، ومن أهم مدن الإمبراطورية . تقع على ضفة نهر بوسنة الذي يصب في سافا . وفي 1436 ، شيّد أمير لواء (سنجق بك) أسكب غازي باشا ييغيت محمد بك – زاده غازي إسحٰق بك ،

عند تعيينه ، دائرة حكومية كبيرة سميت « سراي » ، أصبحت اسما للمدينة . وسراي التي كانت قصبة صغيرة ، أصبحت مدينة كبيرة (يستعمل حاليا سراي إسحق بك ، دائرة حكومية في جمهورية بوسنة – هرسك) . يتبع الإيالة 8 ألوية ، يتولى إدارتها غالبا الفرقاء الأول (بكلربك) برتبة وزير . تحتوي الإيالة على 773 قلعة وحصن وقلاع مصنوعة من عواميد خشبية (بالأنغة) ، وتقدم 15 000 جندي . يبلغ عدد المسيحيين 385 000 نسمة وتعداد المدينة التي تحتوي على 92 محلة للمسلمين ، 10 للمسيحيين ، 2 لليهود ، يبلغ نحو 170 000 نسمة . بها جامع فاتح السلطاني في القلعة . وبها أيضا 77 جامعًا ، 93 مسجدا ، 18 مدرسة (مدرسة غازي خسروبك ، مدرسة عالية) ، تكية كبيرة للمولويين مع 47 تكية أخرى ، 180 مكتبًا ، وحوالي 100 حنفية مياة مبنية ونحو 300 حنفية بسيطة ، 700 بئر ونحو 670 قصرا ذا حمّام ، 3 منازل كبيرة للمسافرين ، 23 خان تجارة و 8 خانات للمسافرين ، سوق لبيع السلع الثمينة ، 1 080 دكانا ، 7 جسور ، عدة كنائس وأديرة ومعبد يهودي واحد مع مدرسته ، 7 مطابخ عمومية .

يتكلم الشعب في المدينة اللغة البوشناقية والتركية ، و يجيد التكلم بهما . أما الجنود الموجودون في القلاع فإن أكثرهم يتكلم التركية فقط .

تستهلك المدينة يوميا 2 000 رأس غنم وسنويا الباسطرما المصنوعة خارج المدينة من لحوم 40 000 رأس من الغنم وعدة آلاف من البقر . والجبن المصنوع من 100 000 برميل من حليب الماعز ، ويستهلك الطرشي المصنوع من مئات الألوف من رءوس الكرنب (لهانة) . يبلغ عدد الخبز الذي يستهلك في المدينة وضواحيها 600 000 يوميا . إن الكلية الكبرى الموجودة في المدينة ومنشآت كثيرة أخرى كلها من إنجازات غازي خسرو باشا ابن عمة القانوني الذي تقلّد الولاية فيها مدة طويلة جدا . وقبره مزار كبير مفتوح للجميع .

Travnik ، مركز لواء في الأوقات التي لا تتخذ فيها مركزا للإيالة . تقع في شمال غربي ، بوسنة سراي في القسم الكائن بين مصب رافدي Bosna & Vrbas . مدينة صغيرة ذات 2 000 دار وقصر ذي طابقين ، تحتوي على 17 جامعا ومسجدا . إن Helvina التي تلي قضاء كليس بعد آقحصار (Dolnji - Asagi = Vakuf Vakif) ذات 800 خانه ، هي مركز لواء كليس Klis . لواء صغير على حدود البندقية . في خرواتيا ودلماجيا ،

على البحر الأدرياتيكي . يقدم نحو 2000 جندي تمارلي ، به 1400 دار ذات طوابق عديدة ، به جامع القانوني ، و7 جوامع أخرى ، 6 مساجد ، 3 مدارس (دينية) ، 6 مكاتب (مدرسة) ، 6 تكايا .

(Sin Sinj) قلعة في قضاء Klis .

Klis ، في دلماجيا قريبة جدا إلى بحر دلماجيا ، وقريبة جدا من شمال – شرقي Split (Spalato) . فتحها سلطان – زاده خسرو باشا عام 1536 ، وانتقلت إلى حوزة البنادقة في 8/ 9 / 1647 .

Knin ، مركز لواء Kerka (Krka) . يقدم اللواء 3300 جندي . فتحه غازي مالقوج في 1553 ، يقع على فرع Krka ، شرق Zara ، وعلى الشمال الشرقي من Sibenik (Sebeniko) .

Obroça ، كانت مركز لواء في عهد القانوني . وحاليا ، قضاء تابع للواء Kerka . تقع في شمال – شرقي زارا . فتح Split (Ispelet= Spolato) غازي خسرو باشا ، واسترجعتها البندقية Kalamue ، قضاء في لواء كليس . Papicsa ، مركز قضاء آخر .

Banyaluka أو Banaluka ، تقع على رافد Vrbas الذي يصب في سافا ، في شمال Yayçe ، مركز لواء وهي المدينة الكبيرة الثانية في الإيالة . من فتوحات غازي فرهاد باشا . يقيم فيها بكلربك بوسنة أحيانا ، تحتوي على 3700 دار ، 45 جامعا ومسجدا ، 11 مكتبًا ، وسوق للسلع الثمينة .

Kradiska ، من فتوحات خسرو باشا ، قضاء بانيالوكا ، بها جامع القانوني ، 7 جوامع ، 18 مسجدا .

Kostaniçse (Kostajnica) ، قضاء آخر لبانيالوكا يتكون من 40 قرية . و Koknovi قضاؤها أيضا .

Bihke (Bihaç) ، قضاء في أقصى شمال بانيالوكا وعبرها خرواتيا .

يني حصار (Bosanski Novi) ، مركز لواء في نقطة تلاقي نهري أونا و سانا وتقع خرواتيا في الساحل المقابل لفرع أونا .

Siska (Sissek , Sisak) ، مركز قضاء في لواء Krka ، من فتوحات رستم بك ، تقع في الجنوب – الشرقي من زغرب وهذه المنطقة هي خرواتيا .

Zagreb (بالألمانية : Agram) ، مركز خرواتيا وأكبر مدنها . كانت في العهد العثماني تابعة للواء Krka وتدفع الجزية للعثمانية ويديرها البانات (بان = لقب أمراء الألوية في خرواتيا) . احتلها للمرة الأخيرة غازي رستم باشا في 1595 ، ثم عادت فانتقلت إلى الألمان .

Çernik ، مركز لواء . يقع شمال سافا وفي سلافونيا . فتحه سلطان ـ زاده غازي محمد بك (باشا) ابن عمة القانوني عام 1539 . فيه جامع القانوني ، 3 جوامع ، 18 مسجدا .

Pakriçe ، مركز قضاء تابع للواء باكريجة .

Pojega (Pozega) ، مركز لواء يقع على نهر Pakra في سلافونيا . فُصِل هذا اللواء من إيالة بوسنة وألحق بكانيجة عند تأسيس إيالة كانيجة عام 1600 . من فتوحات سلطان ـ زاده محمد باشا . من الألوية الكبيرة ، تقدم 4 000 سباهي .

Rahoviçe ، مركز لواء آخر ، فصل كذلك في 1600 عن إيالة بوسنة وألحق بإيالة كانيجة . وهو كذلك من فتوحات محمد باشا . وهو لواء كبير يوجد فيه 5 000 جندي . والمناطق التي تليه ، هي حدود ألمانيا . ويبدأ القطر الذي يديره ألبانات (الأمراء) الخروات من بني زرين (Zrin Ogullari) بصورة متوارثة ، وهذه العائلة ، لاتميل إلى الألمان ، وعلى الأغلب تتبع العثمانية . وسلوفينيا تشكل أقصى شمال خرواتيا . يشتبك العثمانيون في هذه المنطقة مع الألمان بصورة دائمة . يحكم هذه المنطقة بنو زرين (زرين أوغللري) منذ 800 سنة . لقبهم دوق .

Visegrad ، مركز قضاء ، فيه ، 700 دار في لواء هرسك . جميع المؤسسات الخيرية في القصبة من الأعمال الخيرية لصوقوللو . يقع في هذا المركز جسر Drina المشهور عالميا والذي كلف سنان بصنعه ، وقرب الجسر منزل عظيم للمسافرين .

Priboy و Yeni Varos ، قضاءان تابعان للواء بوسنة سراي المركزي ، أراضي كل من القضاءين في صربيا . بالأول 300 دار وبالثاني أكثر من 2 000 دار . والمنطقة التي تلي هذين القضاءين هي إيالة روملي .

زار الولياء جلبي لواء هرسك بعد 3 أعوام (1664) . وخصص في المجلد السادس فصلا كبيرا لوصف هذا اللواء ، أنقل لكم بعض سطوره .

أوزيجة (Uzice) ، قضاء تابع للواء Semendir (بلغراد) التابع لإيالة بودير شرق فيشغراد ، في صربيا ، وهي مدينة مهمة تحتوي على 800 4 دار ، 34 جامعا ، 29 مسجدا ، 5 مدارس ، 11 مكتبًا ، 9 تكايا بكتاشية ، تكية واحدة خلوتية ، 3 جسور ، حمامين ، سوق للسلع الثمينة ، 140 1 دكانا ، منزل واحد كبير للمسافرين ، 11 خان عمل ، وفي الضواحي 060 1 بستان كروم .

Pripol (Pripolye) ، مركز قضاء هرسك ، على الضفة الشرقية من فرع ليم في جنوب أوزيجة . شيّد السلطان محمد الفاتح جسرا على النهر . يحتوي على 6 محلات للمسلمين و 4 للمسيحيين . 11 جامعا ومسجداً ،3 مدارس ، تكيتين للخلوتية ، تكية واحدة قادرية وواحدة بكتاشية ،

Miloseve ، ناحية لها ، وهي إحدى القلاع التي شيّد فيها السلطان محمد الفاتح جامعا .

طاشليجة (Plevlje) ، مركز قضاء في لواء هرسك ، وأحيانا يصبح مركز لواء بدلا من موستار . وأساسا ، فإنه يقع خارج هرسك الأصلية وعلى أقصى الشرق . ولد فيها طاشليجة لي يحيى بك من أمراء اللواء (سنجق بك) وأكبر شاعر في العصر 16 في هذا المركز 5 محلات تركية ، 5 مسيحية ونحو 70 قرية تابعة للقضاء . القصبة فيها 700 دار ، 6 جوامع ، 4 مساجد ، مدرستان ، مطبخ عمومي (عمارت) ، تكيتان . من أهالي طاشليجة الوزير حسن باشا الذي أصبح واليا على مصر ، وقد أحيا القصبة على عهد القانوني وأذاب 000 10 قطعة نقود ذهبية واستعملها لطلاء ذوائب الجامع .

Caniçe ، ناحية طاشليجة لكنها كمحلة بعيدة عنها ، بها 700 دار ، 5 محلات مسلمة ، 3 مسيحية ، 10 جوامع ، 5 مساجد ، 11 تكية ، 3 مدارس ، مطبخ عمومي ، على مسافة نصف ساعة من طاشليجة . تحتوي على كلية سنان باشا ، صهر صوقوللو وفيها قبره أيضا .

Foca ؛ مركز قضاء في لواء هرسك . فتحه ، فاتح بنفسه بصورة نهائية عام 1464 . يحتوي على 10 محلات مسلمة ، 8 مسيحية ، 1 يهودية ، 166 2 دارا ، 17 جامعا

وبضعة مساجد . يحتوي على جامع بيازيد الثاني و جامع فاطمة سلطان ، 19 تكية ، 6 مدارس ، سوقها يحتوي على 540 دكانا ، 3 حمامات ، مطبخين عموميين .

Ustikolina ، قضاء هرسك ، بها 175 دارا .

Nevesin (Nevesinye) ، قضاء هرسك ، يتبعه 70 قرية . مسقط رأس صالح باشا صدر أعظم إبراهيم خان وعدة وزراء آخرين . يحتوي على 1 500 دار ، 4 محلات مسلمة ، محلتين مسيحيتين ، 11 جامعا ، 8 مساجد ، 3 تكايا . Ustulea ، قضاء هرسك ، به 280 دارا .

Lobin ، قضاء هرسك ، به 200 دار .

Dobrovenedik (بالخرواتية : Dobrovink ، بالإيطالية : Ragusa) ، ميناء على البحر الأدرياتيكى ، جمهورية ومقاطعة تجارية خرواتية كاثوليكية . على شمالها نهر Trebinçika الذي يجري موازيا للبحر ، ويشكل الحدود مع ولاية هرسك . تابع للدولة العثمانية منذ عهد مراد الأول ويدفع ضريبة سنوية . يؤمن معيشته عن طريق التجارة البحرية . يتاجر مع إيطاليا ويجيد تجّاره اللغات الإيطالية واللاتينية . لم تمس العثمانية استقلاله ، إذ إنه يشكل منفذه المفتوح إلى إيطاليا . ويؤم إليه التجار المسلمون كذلك بكثرة يديره 12 بك (أميرا) شرفاء وأغنياء يرتدون القبعة الأفلاطونية اللون .

Nove (Hersegnovi) ، تقع على البحر الأدرياتيكي ، في الشمال – الغربي من الخليج ، وميناء كتّارو يقع على الرأس الآخر للخليج . قريبة من قرة داغ . فتحها فاتح ، واسترجعتها البندقية ، وأعيد فتحها في عهد القانوني . تتبع قضاء هرسك ، يحرس قلعتها 1900 جندي . لها 3 080 دارا ، 44 جامعا ، ومسجدا ، ومدرستان ، 7 مكاتب . وفيها جامع بيازيد الثاني . لها عدة نواح أكثرها يحتوي على قلاع ، إحداها Niksik . Satra . devam edilek

polgay ، قضاء هرسك . فتحه الفاتح ، به جامع ، 450 داراً ، تكية خلوتية ، له قلعة محكمة كما هي الحالة في جميع قصبات بوسنة – هرسك .

Gabela ، قضاء هرسك ، يقع في جنوب موستار ، به جامع ، مسجدان ، 180 دارا . شيّد الفاتح قلعته وجامعه .

Mostar ، مركز لواء هرسك . ويعني باللغة البوشناقية « المدينة ذات الجسر » . شيد القانوني قلعتها . جسر موستار الشهير ، من أعمال القانوني الخيرية ومن بناء سنان ، يؤمه الناس من جميع أمصار العالم لمشاهدته . اكتمل في 1566 . يصاب بالدهشة الذين لهم إلمام بالهندسة المعمارية ، عند مشاهدتهم الجسر . إذ إن الأستاذ كان قد أقدم بجزأة على إجتياز النهر بقنطرة واحدة . تحتوي المدينة على 3 040 دارا ، 45 جامعًا ومسجدًا ، 127 قصرًا ذا حمام ، 350 دكانا مبنيًا بالحجر ، وسوق واحدة ، ومنشآت أخرى مماثلة . يتكلم أغلب الشعب اللغة التركية ، وقسم قليل منه اللغة البوشناقية ، أما الأقلية المسيحية فإنها كاثوليكية وتتكلم الخرواتية ، لكن الجميع يجيدون اللغة التركية . كثير من الأتراك قدموا إليها من الأناضول واستوطنوا فيها .

كونيجة (Konyika) ، مركز قضاء في هرسك يقع في منتصف طريق موستار – بوسنة سراي على ضفتي نهر نارنتا ، ذو 6 محلات وجسر واحد ، 8 جوامع ومسجد ، مدرستين ، 3 مكاتب ، تكيتين ، حمّام ، خانين ، 75 دكانا . وعلى مقربة منه تقع مناجم الفحم والحديد . ينتهي لواء هرسك في هذا الموقع . يحد اللواء شمالا لواء بوسنة سرايي ، وشرقا لواء Dukagin ، جنوبا لواء أشكودرا .

يني قصبة ، قصبة لواء بوسنة سراي . أسسها موسى باشا أحد وزراء مراد الرابع . تحتوي على 170 دارا ، 3 مساجد ، تكيتين ، خانين ، حمّام ، 18 دكانا ، كلها من أعماله الخيرية .

Izvornik (Zvornik) مركز لواء في إيالة بوسنة ، يقع على حدود لواء سمندرة (بلغراد) التابع لإيالة روملي .

Drina لها لواءان ، من فتوحات السلطان محمد الفاتح . اللواء ذو 18 قضاء ويجّهز نحو 2000 سباهي . يحتوي على أكثر من 3 800 دار ، جامع فاتح ، جامع فتحية للقانوني ، وعدا ذلك 16 جامعًا ، 8 مساجد ، 8 تكايا ، 3 مدارس ، 7 مكاتب . مجاري نهري درينا وسافا نظيفة و موضع عناية فائقة ، إذ إن السفن تسير باستمرار عن طريق النهر بين أزفونيك وبلغراد .

Tuzla و Byelina ، قضاءان من أقضيـة أزفورنيك . يقـع أحـدهما على الشمال ـ الغربي منه ، والثاني على الشمال ـ الشرقي .

Raça (Braçka) ، يقع على الضفة الجنوبية من سافا . تبع لواء Sirem بينما كان قضاء في لواء أزفورنيك . يحتوي على 7 محلات للمسلمين ، 4 للمسيحيين ، 550 دارا ، 5 جوامع ، مدرستين ، 3 مكاتب ، تكيتين ، خانين ، حمّام ، عدة جسور ، ليس به مسجد .

Moravaç و Nemse ، قضاءان تابعان للواء Sirem تحتوي Nemse على 1 040 دارا ، 6 محلات للمسلمين ، 3 للمسيحيين .

9 ـ المجر :

فتح السلطان سليمان القانوني المجر في 1526 . عاشت ملكية المجر 15 عاما تابعة للسلطان . ألغى السلطان سليمان الذي جاء إلى بودابشته (بودابست) بنفسه في 29 / 8 /1541 ، الملكية وألحقها بإدارة العثمانية المباشرة باسم « إيالة بودين » ورفع درجتها إلى الإيالة الثالثة في تشريفات الإمبراطورية بعد إيالة مصر التي تأسست في 1517 وقبل إيالة روملي التي تأسست في 1363 . وشرع في إدارتها بواسطة الأمراء (فرقاء الأول ، بكلربك) نواب السلطنة الحقيقيين في المجر وكلهم تقريبا برتبة وزير . جعل القانوني ترانسلفانيا التي تسمى « أردل » خارج إيالة بودين ، وسمح بأن تستمر فيها إمارة مجرية مستقلة ذاتيًا ، كما سمح بأن يحمل ملك المجر الأخير يانوش الثاني (بالمجرية : Janes) الذي كان طفلا ، لقب الملك وعين أمير (فويفودا) أردل ووالدته الملكة نائبا له ، وهكذا كانت عاقبة ملكية المجر الكاثوليكية التي كانت إحدى أكبر الدول الأوروبية منذ 6 عصور . إن تاج هذه الملكية أضحى أحد الأحجار العديدة التي ترمز إلى الملكيات في شارة رأس السلطان .

وبعد أن أسست إيلات جديدة ، تقلّصت مساحة إيالة بودين . وإحدى هذه الإيالات هي إيالة كانيجة التي أسست في 1600 والتي كانت تشمل جنوب شرقي المجر وسلوفينيا ، والأخرى إيالة أكري (Egri) التي تأسست في 1596 وكانت تشمل شمال ـ شرقي المجر وشرق سلوفينيا ، والأخرى إيالة تامشوار التي تشمل جنوب شرقي ترانسلفانيا وقطر Banat . تم فصل لواء بيوك سمندرة (بلغراد) ، عن إيالة روملي

وألحق بإيالة بودين ، كان قسمه المسمى فويفودينا وأراضيه التي كانت تخص الصرب في السابق والتي تقع في جنوب سافا ، كانتا موقعين يسكنهما المجر أكثر مما يسكنهما الصرب .

كان والي بودين ، مأذونا بصفته نائبا لملك المجر ، بمراسلة إمبراطور ألمانيا شخصيا ، وإرسال سفير إلى فيينا واستقبال سفير الإمبراطور باسم البادشاه . استمرت إمارة (بكلربك) بودين 145 سنة ، 4 أيام (29 / 8 / 1541 – 2 / 9 / 1686) .

أطلق العثمانيون اسم « بودين » على ضفة بودا (بالألمانية : Ofen من إيالة بودابشته (بودابست) ، وكان يطلق على قسمها الذي يقع في الجانب المقابل من ألطونة اسم بشتة . ورغم أنه تم خلال 145 عاما تعيين 98 واليا ، فإن عدد الولاة أقل من ذلك ، إذ إن بعضهم عين في هذه الوظيفة مرتين و 3 و 4 مرات . 10 ولاة منهم فقط تمكنوا من البقاء في هذا المنصب مدة يزيد مجموعها على 4 سنوات . صوقوللو – زاده مصطفى باشا 12 سنة ، 3 أشهر ، 7 أيام ؛ وقد أحرز كل من داماد أوزون إبراهيم باشا وقاضي – زاده علي باشا الرقم القياسي ببقاء الأول ثلاث دفعات مدتها 9 سنوات ، 5 أشهر ، وبقاء الثاني أربع دفعات مدتها 9 سنوات .

أول وال هو رمضان أوغلو أوزون سليمان باشا ، وهو أول وال (بكلربك) على بغداد (العراق) أيضا ، ظل 6 أشهر ، وهو من سلالة بكات التركمان في أدنة . أما سلطان – زاده غازي كوجوك بالي باشا الذي احتل مكانه فهو حفيد بيازيد الثاني ، ابن يحيى باشا وابن عمة القانوني ، بقي في الولاية حتى وفاته مدة 1,5 سنة . عين مكانه أخوه سلطان – زاده محمد باشا وبقي هو الآخر واليا حتى وفاته مدة 4,5 سنة .

وعدا أن بودين كانت تدخل في أعماق أراضي يوغسلافيا الحالية ، فإنها كانت في الشمال تتجاوز الأراضي الجيكوسلوفاكية . كانت سلوفاكيا تحتوي على 4 ألوية عثمانية : Uyvar (بالسلوفاكية : Mové Zamky ، بالمجرية : Ersekujvar ، بالألمانية : Neuhausel) ، Komaron (Komorn) (بالسلوفاكية : Kamarno ، بالمجرية : koemoern ، Filek (بالسلوفاكية : Filakovo بالمجرية : Fulek) و Rima Sonbat (بالسلوفاكية : Rimavska Sobota ، بالمجرية : Rimas Zombat بالألمانية : Gross - Steffelsdorff) .

ثم أسست إيالة Uyvar في سلوفاكيا . وإضافة إلى ذلك فإن ملكية المجر الوسطى التي تتعدى منطقة ماوراء الكاربات والعائدة لسلوفاكيا والموجودة حاليا في حيازة روسيا ، كانت تابعة للعثمانية . منحت الحكومة العثمانية لقب (ملك المجر الوسطى) لبعض أمراء المجر .

يقول المؤرخ السلوفاكي لتلك الفترة Michal Matunak (Kremnice ، 385 – 7) :
« عندما كانت القرية السلوفاكية المسماة Oçova تابعة للألمان ، كان أهالي القرية يهربون برمتهم ويختبئون في الغابات حالما يقترب الجنود الألمان . أما الآن ، فإن القرية التي تتبع العثمانيين ، تعيش برفه وتتاجر مع الجيش التركي . كان خطرا في العهد الألماني التجوال بدون سلاح أو بدون بندقية . وحاليا ليست هناك حاجة حتى إلى حمل العصى أثناء التجوال » .

تم إلحاق قسم من سلوفاكيا ، إيالة أكري التي أسست في 1596 . كانت Rimavska Sobota مركزا للواء Filek ، (1554 – 1593 و 1596 – 1686) . تحتفظ سلوفاكيا حاليا في أرشيفها بنحو 1 000 وثيقة أرشيفية ، بقيت من ذلك العهد ، وفقدت البقية في الحروب .

أنقل إليكم بعض مادونه أولياء جلبي عن المجر في الربع الثالث من العصر 17 :

Tamesvar (بالمجرية : Tamesvar ، بالرومانية : Timisoara) مركز إيالة . تقع على فرع Bega الذي يصب في Tisa . من فتوحات داماد قره أحمد باشا الذي صار فيما بعد صدرا أعظم للقانوني . يتكون من 6 ألوية : Orsova , Morava, Gole, Cenar, Lipve, Tamesvar يوجد بالإيالة 10 000 جندي . يسكن المدينة 36 000 مسيحي . وفي 1659 ، فصل كوبرولو محمد باشا 3 ألوية (Lugos, Sebes, Yanova) من إمارة أردل وأضافها إلى إيالة تامشوار ورفع عدد ألويتها إلى 9 تحتوي القلعة على نحو 200 مدفع . وبالمدينة 2 700 دار ، جامع سليمان خان ، و 4 جوامع أخرى .

Arad ، مركز ناحية في قضاء تامشوار المركزي . Lipve (Lippa) ، مركز لواء في إيالة تامشوار .

فتحه صوقوللو محمد باشا في 1551 . به 1 500 دار ، جامع سليمان خان ، جامعان ، مسجدان ، 3 تكايا .

Yanova (بالمجرية : Jeno) ، مركز لواء آخر . يقيم فيه والي تامشوار منذ 1659 ويحتوي على 800 دار ، 3 جوامع .

Lugos ، مركز لواء آخر يقع في شرق مدينة تامشوار . Kohlabos ، أحد مراكز ألوية تامشوار .

Kolçovar (بالمجرية : Kolozsvar بالرومانية : Cluj) ، أكبر مدن إمارة أردل . أردل بلغرادي (ببلغراد الأردلية) (بالمجرية : Gyulafehérvar ، بالرومانية : Alba Julia بالألمانية : Karlsburg) مدينة العرش لأمير أردل .

Kase (بالمجرية : Kassa ، بالألمانية : Kasehau بالسلوفاكية : Kosice) مدينة مجرية أخرى في سلوفاكيا ، كانت موضع نزاع بين ألمانيا والعثمانية .

Brasov (بالمجرية : Brasso) تقع جنوب أردل وبعد مسافة قصيرة تبدأ إيالة إفلاق .

Seben (بالمجرية : Szeben ، بالرومانية : Sibiu) ، مدينة أردلية أخرى تقع في الجنوب – الشرقي من بلغراد الأردلية . يوجد في المدن الأردلية جيش مجري وقلاع ومدافع . أما في إفلاق وبغدان ؛ فلا توجد قلاع . بك (أمير) أردل ، بدرجة وزير ، أما بكّات (أمراء) إفلاق وبغدان ؛ فهم بدرجة بكلربك (فريق أول) . يتولى بعض الصدور الأعظم أو مرافقوهم تتويج أمراء أردل ويمنحونهم لقب « ملك » باسم البادشاه .

Mitroviçe ، مركز لواء Sirem في إيالة budin . يقع في الشمال – الغربي من بلغراد . يعسكر في اللواء ذي الـ 9 أقضية ، 3 600 جندي .

(يجب تمييزه عن Mitroviçe الموجود في Kosova) ، بالمركز 12 محلة ، 12 جامعًا ، 6 مساجد ، 5 مدارس ، 10 مكاتب ، 3 تكايا ، 3 حمامات ، 3 خانات ، 400 دكان ، 1 500 دار . بنى أحد جوامعه سليمان خان .

Osek (بالمجرية : Eszek ، بالألمانية Essek ، بالخرواتية : Osijek أو Osek أو Osiyek ، تقع في Esklavonya (Slavonya) وعلى الساحل الجنوبي من Drava . فتحها مقبول إبراهيم باشا الذي كان يقود مقدمة الجيش في حملة موهاج في 1526 وهي من أوائل القلاع التي فتحها إبراهيم باشا في تلك الفترة من بين ما يقرب من 40 قلعة صغيرة وكبيرة . ارتبطت حتى 1541 بإيالة روملي كلواء ثم إيالة بودين ، وفي 1600 ارتبطت بإيالة كانيجة . بها 18 محلة ، جامعان لسليمان خان ، 10 جوامع أخرى ، 40 مسجدا ، 4 مدارس ، 5 مكاتب ، 4 تكايا ، مطبخ عام لتوزيع الطعام المجاني (عمارت) ، حمام ، 12 سبيلا . جسر Osek من إنجازات إبراهيم باشا العظيمة وهو عريض بحيث تتمكن واسطتا نقل من العبور عليه جنبا إلى جنب ، وعلى مسافة قريبة منه جسر Drava وهو كبير جدا أيضا . يجتاز الجيش هذه الجسور للعبور إلى المجر .

Mohaç ، مركز لواء في إيالة بودين . أفنى السلطان سليمان القانوني ، الجيش المجري مع مليكه Layos الثاني في المستنقعات التي تقع خارج هذه القصبة وفتح المجر . يحتوي المركز على 350 دارا وجامع سليمان خان .

Peç أو Peçuy (بالمجرية : Pécs بالألمانية : Funfkirchen) ، مدينة مهمة ، مركز أحد ألوية إيالة بودين يقع في شمال – غربي موهاج . له قلعة جميلة بها 87 برجًا ، 5 500 مزغل و 200 جندي . يحتوي على 17 محلة للأتراك ، 1 للمجر ، 200 2 دار وقصر ذي عدة طوابق . أكثرها به حديقة ، أحواض وفسقيات ، أسطحها مكسوة بالقرميد الأحمر اللون ، ويتعاقب نحو 40 قصرا وسراي فخما على الشارع الكبير تحصى البكات الأتراك . له 17 جامعا ، 10 مساجد ، 5 مدارس ، 6 تكايا . (مساحة جامع سليمان خان 250 × 1 000 ذراع . الصعود للمحراب بواسطة سلم ذي 40 درجة) ، جامع ياكوفالي حسن باشا ومدرسته بها 70 غرفة ، تكيته المولوية وسط حديقة من الورد على درجة من الجمال لايمكن وصفها وكلها من أعمال الباشا الخيرية . إن عدد غرف البناية التي تقع في الفناء الخارجي فقط للتكية يبلغ 80 غرفة . إيرادات التكية السنوية 10 000 ليرة ذهب ، أيضا تكية فرهاد باشا الخلوتية عظيمة ، وبالمدينة أيضا 47 حنفية مياه مبنية (جشمة) ، 3 خانات نحو 400 دكان . كامل شعبها تقريبا أتراك . أكثرهم ينطق المجرية وقسم منهم ينطق الصربية . معظم المثقفين ينطقون اللغة الفارسية أيضا

لايستغنون في المطالعة عن كتب **المثنوي ، كلستان ، بستان ، ديوان حافظ ، خمسة نظامي ، رباعيات الخيام .**

Segsar (بالمجرية : **Szegszard**) مركز لواء في إيالة بودين . يحتوي اللواء علي 1 600 جندي . وتحتوي القلعة علي جامع سلمان خان ، وعدا ذلك 4 جوامع ، ومساجد ، وجسر كبير .

بودين ، مركز الإيالة المسماة بنفس الاسم . ويطلق على جزئها الواقع في الجانب الآخر علي الضفة الشرقية من ألطونة اسم بشتة **Peste** . تبلغ مخصصات الوالي (البكلربك) السنوية 000 880 12 آقجه (وتعادل 150 مليون دولار) ، يمنح في الإمبراطورية ، بكلربك مصر فقط راتبا يفوق هذا المبلغ . كل أصناف الجيش موجودة عدا جنود التمارلي ، وهي بشكل خاص وكر للمغاوير (الصاعقة) . مدة خدمة الجندي عدا التمارلي والمغاوير ، سنة واحدة .

يتردد علي بودين ذهابا وإيابا في كل عام 000 36 جندي سراي قيزيل الما (التفاحة الحمراء) ، هو سراي ملوك المجر . لم يسكنه الوالي لمكوث سليمان خان فيه خلال زياراته العديدة بعد عام 1526 ، وصار كمتحف مفتوح للشعب ، حيث يتمكن الجميع من زيارته . كتب فاتح المجر السلطان سليمان القانوني علي جدار الديوانخانة (صالة الاستقبال الكبري) بخط يده شخصيا البيت الذي معناه :

إنه مثوى الغزاة ، سادتي لاشك في ذلك ، ومن ظلم فيها ، أبشره بسوء العاقبة .

يقرأ الكل من الوزير إلي أبسط الزوار تهديد السلطان هذا بدهشة وخوف واعتبار .

كتب السلطان سليمان تحت هذا البيت من الشعر ، الحديث النبوي الشريف التالي باللغة العربية « وعدل ساعة ، خير من عبادة ستين عاما » .

يتكون قضاء بودين المركزي من 10 نواح . أما لواء بودين المركزي فيتكون من 21 قضاء و 060 1 قرية وفي كامل الإيالة 900 3 قرية ، 306 قلاع بالأنغة (قلاع مصنوعة من عواميد خشبية) . عدد الرجال المسيحيين الذين يدفعون الضريبة في الإيالة 053 600 . يشكل نهر **Raba** (بالألمانية : **Raab**) في الغرب ، الحدود بين الإيالة والإمبراطورية الألمانية . ويحد إيالة بودين شمالا نهر الطونة وتبدأ إيالة أويفار في الضفة

الشمالية من الطونة ، ومن الشمال ـ الشرقي إيالة أكري ، ومن الجنوب ـ الشرقي إيالة تامشوار وفي منتصف كلتيهما إيالة فارادين ، ومن الجنوب ـ الغربي إيالة كانيجة ، ويحدها جنوبا إيالة روملي وإيالة بودين . وفي حالة عدم إقامة قائد الطونة البحري اللواء البحري (دريا سنجق بك) في بودين ، يترك نيابة عنه في المدينة عقيد بحري (دريابك) .
حيث إن لديه سفنا في نهر الطونة . ترسو في ميناء ومصنع سفن بودين 52 قطعة بحرية حربية . يتبع قائد الطونة البحري 2000 ضابط تقريبا ، لكن قسمًا منهم يرابطون في بودين .

يبلغ عرض أسوار القلعة 56 ذراعا ويمكن أن تسير عليه عربتان جنبا إلى جنب ، للقلعة 90 برجا عاليا و 17 حصنا كل منها يستوعب ألف جندي ، وبكل حصن منها 10 – 15 مدفع من نوعًا باليمز بعيد المدى ، ولكل حصن اسم خاص . يحرس القلعة الداخلية 500 جندي ، ولا يمكن لأحد أن يقيم فيها أو يدخلها . تحتوي القلعة على أكثر من ألف غرفة . يقيم في القلعة المسئولون الكبار والجنود . سراي قيزيل الما وسراي البكلربك ذوات الـ 200 غرفة وطوبخانة (التي هي من أكبر مصانع سباكة المدافع ، داخل القلعة) مساحة جامع سليمان خان 200 × 100 ذراع وهو أكبر الجوامع التي يبلغ عددها 21 الموجودة داخل القلعة . وبالقلعة سوق للحاجيات الثمينة وسوق يحتوي على 300 دكان ، 75 سبيلا ، و حماما ، و 170 خزان مياه تحت الأرض وبئر و 7 مدارس ، و 6 مكاتب ، وقبور الباشوات الذين توفوا في بودين . وتحتوي كذلك على برج ساعة .

بمنطقة طبقخانة خارج القلعة 1 000 دار ، 11 جامعا ومسجدا ، 4 مكاتب ، 3 تكايا ، 3 خانات ، 3 حمّامات بالمياة المعدنية الجوفية الحارة و 100 مصنع لدباغة الجلود والمدينة الأصلية هي بيوك فاروش ، خارج القلعة ، لكنها محاطة بالأسوار . لها حصن ذو 5 طوابق ، 10 أبواب ، 13 محلة . بها 2 500 دار ، و 24 جامعا ومسجدا ، و 5 مدارس ، و 6 مكاتب ، و تكية كلبابا البكتاشية ، 3 مطابخ عامة للمحتاجين ، وتحتوي بودين على محلتين لليهود ومعبد لهم ، و 3 كنائس أرثوذكسية . ربطت 70 سفينة بعضها إلى بعض بالسلاسل وجعلت جسرا بين بودين وبشتة ، يقطع الجسر ويمنع العبور في الليل . يحرس الجسر 300 جندي . يجيد جميع المسلمين تقريبا في بودين التكلم باللغة المجرية

إجادة تامة .

بشته (Pest) ، تقع على الجانب الشرقي من الطونة . بها 5 جوامع ، 6 مساجد ، 11 محلة ، ونحو 1000 دار حجرية ذات طابقين ، و مدرستان ، و 3 مكاتب ، و تكيتان ، و مطبخان عامان ، و حمامان . هي ناحية القضاء المركزي لبودين . يسكن بشته مسئول برتبة لواء .

Estergon ، تقع في شمال – غرب بودين . على الساحل الشمالي من الطونة والساحل المقابل لم يعد المجر ، بل سلوفاكيا وهي مثوى جنود الصاعقة المغاوير الغزاة (بالمجرية : **Estergon** ، بالألمانية : Gran) . و هي مركز لواء في إيالة بودين . يتكون اللواء من 6 000 جندي تمارلي وتحتوي القلعة على جنود من جميع الأصناف . يشكل جنود العثمانية أكثرية شعب المدينة وبخاصة الصاعقة وهم يحسنون التكلم باللغة المجرية بصورة جيدة . جانب الطونة من القلعة حجر صلد بارتفاع ثلاث منائر . تحتوي على معمل للمدافع . باشا سراي ، داخل القلعة ، يسكن فيه اللواء (سنجق بك) . الساحة المجاورة ، هي ساحة الشهداء وجامع قيزيل الما الذي يصعد إليه بواسطة 110 درجات . بالمدينة 3 100 دار ، و 3 جوامع ، و مسجدان ، و مدرستان ، و 4 مكاتب ، وسوق فيه 210 دكاكين . المجريون أكثرية . أسوار المدينة في بعض الأماكن خمسة طوابق . فتحها السلطان سليمان القانوني بنفسه . سقطت بيد الألمان مدة عشرة أعوام واسترجعها الصدر الأعظم صوقوللو – زاده لالا محمد باشا . أتراك استركون لطفاء ، ذوو شهامة ، يتصفون بالكرم والشجاعة . لايمكن للمخاتلين والمخادعين والأنذال أن يندسوا بينهم . حصّنت القلعة بشكل يمكنها من أن تقاوم 100 000 من جنود العدو شهورا عديدة . يعبر إلى الساحل سلوفاكيا المقابل بواسطة 17 سفينة مصفوفة جنبا لجنب . والجسر منفصل عادة . يلتئم عند الاجتياز ، وبعد الانتهاء من الاجتياز يفصل مرة أخرى .

جكرده لن (بالمجرية : **Parkany**) ، هو قسم قلعة استركون الباقي في ساحل سلوفاكيا المقابل للطونة أسسها السلطان سليمان وأطلق عليها اسمها عام 1543 . تتكون حاميتها من 250 جنديا ، وبها جامع واحد و مرتبطة باستركون . تستطيع تحكيماتها أن تستوعب عشرات الألوف من الجنود وقت الحرب . تحرك العثمانيون من هذه القاعدة وتمكنوا من السيطرة على 700 قرية .

Uyvar ، مركز إيالة في سلوفاكيا . لها قلعة كبيرة جدا . **Nitro** ، مركز لواء في إيالة أويفار يقع في غرب سلوفاكيا وشمال أويفار وعلى الساحل الغربي من نهر **Nitra** . وعلى بعد 75 كم من براتسلافا و 145 كم مسافة مستقيمة من فيينا . بها 600 3 دار ، 7 كنائس ، وعدة أديرة . أحد الجوامع شيّده محمد الرابع والآخر شيّدته والدته تارهان والده - سلطان . ويوجد في أويفار كذلك جامعان .

Leve (بالسلوفاكية : **Levice**) ، تقع بالقرب من الضفة الشرقية لنهر **Horn** (**Gran**) في سلوفاكيا تتبع إيالة أويفار ويتبع لواءها 300 قرية بها جامع محمد الرابع وفاضل أحمد باشا .

Novigrad (**Neograd**) ، تقع بين استركون و **Vaç** ، على الضفة الشمالية للطونة ، من فتوحات سلطان - زاده محمد باشا في 1549 . استولى عليها الألمان في 1593 ، استعيدت من الألمان في 5/ 11 / 1663 ، وهي مركز لواء في إيالة أويفار . تحتوي على جامع سليمان خان .

Vaç (بالمجرية : **Vacz** ، بالألمانية : **Vac**) ، مركز لواء في أويفار يحتوي على 000 1 دار ، 7 جوامع ، 3 كنائس . أحد الجوامع لسليمان خان فتحها في 1541 أوزون سليمان باشا والي بودين الأول ، استولى عليها الألمان في 1602 استرجعت في 1663 .

Rudnik ، مركز قضاء في لواء سمندرة ، يحتوي على 800 دار ، 11 جامعا ، ومسجدا ، 3 مكاتب ، وحمام .

جاجكا (بالصربية : **Cacak**) ، قضاء في اللواء ذاته ، يقع بين **Rudnik** و **Ozice** على الضفة الجنوبية من نهر مورافا ، يتبعه 96 قرية ، وبه 7 جوامع ومسجد ، و 3 مدارس ، و 4 مكاتب ، و 3 تكايا ، و خانان ، وحمام .

Pojegaeik (بالصربية : **Pozega**) ، قضاء في اللواء ذاته ، يتبعه 110 قرى ، وبه 1060 دارا ، و 10 جوامع ومساجد ، و 3 مدارس ، و 6 مكاتب ، و 4 تكايا .

Valpo (بالخرواتية : **Valpovo**) ، ناحية القضاء المركزي للواء **Pojega** به 3 جوامع ومساجد ، ومدرسة واحدة ، و مكتب واحد ، و تكية واحدة ، وحمام واحد ، وخانان .

Siklos (بالمجرية : **Siklos**) ، مركز لواء في إيالة كانيجه . يقع في جنوب **Pec** من

فتوحات سليمان خان في 1543 . قلعته ذات 3 طوابق و 17 برجا ، به 850 دارا ، جامع سليمان خان ، وعدا ذلك 14 جامعا ومسجدا ، و 3 مدارس ، و 3 تكايا ، و خانان ، ومكتب واحد .

Sigetvar (بالمجرية : Szigetvar) ، تقع في غرب|بـج ، مركز لواء | في إيالة كانيجة . فتحه السلطان سليمان في حملته السلطانية الثالثة عشرة عام 1566 ومات أمام القلعة . تتكون حامية اللواء من 600 3 سباهي . باللواء 6576 دارا ، و 8 جوامع ، و 3 مساجد ، و 8 تكايا .

Kanije (بالمجرية : Nagrk anizsa) ، قريبة من حدود سلوفينيا وأوستريا . فتحها الصدر الأعظم داماد إبراهيم باشا في 1600 وجعلها مركزًا للإيالة . أسست هذه الإيالة بعد فصل ألوية من إيالات بودين وبوسنة ، وتتكون من 10 ألوية : المركز كانيجة ، بـج ، Sigetvar ، Sislos ، Kaposvar ، Kopan ، Pojega ، Yakova ، Kemenvar و Egersek . جدد إنشاء القلعة في 1661 . ترى فيها حتى الآن المدافع التي غنمها غازي ترياكي حسن باشا من الألمان بالقلعة على 77 مدفعا . وبها 500 1 دار ، و 3 مصانع للبارود ، و جامع محمد الثالث ، و 5 جوامع ، و 6 مساجد ، و مدرستان ، و 6 مكاتب ، و 3 تكايا ، و 4 خانات .

يني قلعة (بالمجرية : Serinvar ، Zrinvar) ، تقع في جنوب كانيجة عند مصب نهر Mur في Drava شيّدت في 1661 ، بها 7 مواقع مستحكمة ، وبكل موقع من 40 – 50 مدفعاً . صنع جسرها من تجميع 50 قطعة بحرية .

Kosek (بالمجرية Kozeg ، بالألمانية Guns) ، من فتوحات سليمان خان ، وهي حاليا لدى الألمان .

Kopan ، مركز لواء في كانيجة ، يجهز 000 3 جندي سباهي . يحتوي على 17 محلة ، و جامع سليمان خان ، و 3 جوامع ، و 11 مسجدا . اللواء صغير وذو قضاء واحد . **قبر سليمان خان** ، خارج سكيتفار وتسمى « تربة » وهي في الأصل فإنها عبارة عن قلعة صغيرة . رأى المهندس العثماني أنه من اللائق أن يشيد لأحشاء السلطان الغازى

الذي مات أمام العدو في هذا الموقع قبرا على شكل قلعة . وضع قلب ، ورئتا ، و كليتا وأمعاء سليمان خان في طبق ذهبي ودفن في الموضع الذي نصب فيه السرادق الهمايوني . ذؤابة القلعة مطلية بالذهب الخالص ، تبهر العيون . محيط القبر 1 500 ذراع . تحيط به (المشتملات والمرافق ، التي هي عبارة عن جامع ، و مسجد ، ومدرسة ، ومكتب ، وتكية ، وخان ، بناها جميعا كوبرولو - زاده فاضل أحمد باشا . يزور هذا المكان المجريون والسائحون على أساس أن « قلب سليمان العظيم مدفون فيها » .

Simontorana (Simontornya) ، مركز لواء في إيالة بودين . يقع في جنوب استولني بلغراد . يجهز 3 060 جنديًا تمارلي سباهي . يتبع قضاءه المركزي قرية . من فتوحات سليمان خان . له جوامع ، مدارس (دينية) وتكايا .

Istolni Belgrad أو Istuni Bedgrad (بالمجرية Székesfehervar ، بالألمانية : Stuhlweissenburg) ، مركز لواء مهم جدا في إيالة بودين ، ولاته بمرتبة فريق أول (بكلربك) . يقع بين الرأس الشمالي لبحيرة Balatan وبودين . « استولني) تعني « اسكملة » أي كرسي . إذ إن ملوك المجر ، يحضرون بعد اعتلائهم العرش إلى الكاتدرائية الموجودة فيها ويشرعون في الدعاء وهم جلوس على الكرسي . ينقل جثمانهم بعد وفاتهم إليها ويدفنون في مخزن الكاتدرائية . فتحها سليمان خان في 1 543 وعين ابن عمته سلطان - زاده أحمد بك واليا (سنجق بك) عليها وهو الأخ الأصغر لبالي باشا ومحمد باشا ، وجميعهم أبناء غازي داماد يحيى باشا والسلطانة ابنة بيازيد الثاني . حاصرها الألمان مدة 4 أشهر في 1594 وخسروا 47000 جندي ، و لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها . استولى عليها الألمان في 1601 ، ثم استرجعت في السنة التالية 1602 . تحتوي القلعة على 9 مواضع استحكامية ، يمكث فيها نحو 2 000 جندي ، وتحتوي على 14 محلة ، جوامع ومساجد كثيرة جدا . خمس من تكاياها البالغة إحدى عشرة ، بكتاشية و بها 7 مكاتب . أكبر بناء فيها هو جامع سليمان خان . يقوم الحرس العثماني بحراسة الكاتدرائية التي بقيت داخل القلعة بكل دقة ، لها زوار كثيرون . إذ إنها من الأماكن التي تستوجب الزيارة وهي مقدسة بالنسبة للمجريين . يرقد فيها كل ملوك المجر داخل قبور فخمه ويهتم الجند العثمانيون جدا ألا تصاب اللحود بأدنى ضرر .

وعند وفاة يانوش Yanos الذي نصبه السلطان سليمان ملكا على المجر ، دفن فيها كذلك بأمر البادشاه . ودفن كذلك في هذا المكان بأمر البادشاه الملك Layos الثاني الذي قتله سليمان خان في حملة موهاج في 1526 .

Petervaradin أو مختصرا Varadin ، فتحها الصدر الأعظم مقبول إبراهيم باشا الذي كان يقود الطليعة أثناء ذهابه لحملة موهاج . تقع في الساحل الجنوبي من الطونة . وتوجد Novi Sad في ساحلها الشمالي المقابل . وهي مركز قضاء في لواء Sirem التابع لإيالة بودين ، تحتوي على جامع سليمان خان ، و جوامع ، و مساجد ، و 3 مدارس ، و 4 مكاتب وتكايا .

Hatvan ، مركز لواء في إيالة أكري . يرابط في اللواء 6 000 جندي ، 300 منهم في قلعة Hatvan . تقع بين بودين وأكري . في القلعة 8 مواقع استحكامية وجسران ، 107 مدافع . وتحتوي القلعة على برج ساعة مرتفع فوق البوابة الكبرى . يحتوي المركز على 700 دار ، و جامع محمد الثالث ، وجوامع وأبنية أخرى .

Egri (Eger ، بالألمانية Erlau) ، تقع في الشمال ـ الشرقي من المجر . كان قد حاصرها على عهد سليمان خان ، الوزير الثاني (وبعدها الصدر الأعظم) فاتح تامشوار غازي داماد قرة أحمد باشا ولم يتمكن من فتحها ، وفتحها محمد الثالث بنفسه من الألمان عام 1596 وسمّي « فاتح أكري » . هي مركز إيالة منذ ذلك العهد . فصل القسم الأكبر من الإيالة من إيالة بودين . واعتبارا من 1 640 ، شرع في تعيين ولاة بمرتبة وزير على الأغلب . تحتوي على 7 ألوية : Egri ، Hatvan ، Sonluk ، Seçan ، Baçka ، Segedin و Keçkemet . وبذلك فإن القسم الأكبر من سهل Alfold الكبير الواقع بين الطونة وتيسا ، بقي في هذه الإيالة . وتشمل تقريبا كامل المجر الشرقية . عدد المجريين في هذه الإيالة ، يفوق عددهم في إيالة بودين وكانيجه . يمكث في الإيالة نحو 20 000 جندي منهم 4 500 يمكثون في قلعة أكري . يبلغ راتب البكلربك السنوي 650 000 آقجه . تحتوي الإيالة على 40 مدينة و 111 قلعة وبالأنغة (قلعة خشبية) . يبلغ ارتفاع أسوار أكري 47 ذراعًا وعرضها 50 ذراعًا . يحيط بالقلعة خندق عميق جدا وعريض . يوجد في القلعة جامع علم شريف لمحمد الثالث . سمي بهذا الاسم بسبب أن محمد الثالث قطع من حافة الراية النبوية الشريفة خيطا وعلقه

بنفسه على المنبر في 1596 . مساحة باشا سراي 200 × 100 ذراع ، وباشا جامع داخل القلعة كذلك . إن جامع « كوجوك باشا جامعي » ومخزن العتاد ، موجود في سراي ميدان . يوجد على البوابة الكبرى برج يحتوي على ساعة . يبلغ محيط السور 12 000 ذراع ، ويتصل بالخارج بواسطة 5 أبواب . القلعة مستحكمة بواسطة عشر طبقات من الأسوار . إن الشارع الذي يصل بين باب ايليجة وباب Malatoz ، والذي يبلغ طوله 500 ذراع ، مكسو بالخشب الثمين (باركه) . تبقى قلعة بارود خانة في الجهة الجانبية . محيطها 500 ذراع . شيّدها كوبرولو عام 1658 . تحتوي المدينة على أكثر من 3000 دار ، 46 جامعا ، و 31 مسجدا ، و 4 مدارس ، و 17 مكتبًا ، و 7 تكايا ، و 20 سبيل ماء ، حمامين ، و 5 خانات ، 600 دكان ، ونحو 800 قصر تحتوي على حمامات . هي ثاني المدن في المجر بعد بودين التي سكنها عدد كبير من الأتراك . تحتوي المدينة على جامع فتحية لمحمد الثالث . وتقع مدينة أكري ، في شمال الإيالة . ويسمى أقصى شمالها ، المجر الوسطى ، يوجد فيها أمير مجري تابع للعثمانية ويمنح أحيانا لقب « ملك » .

Haçova ، على مسافة 7 ساعات من شمال أكري . سهل مخيف . استولى محمد الثالث في 1596 على أكري بعد إفنائه الجيش الألماني . وبالرغم من مرور 70 عاما ، كانت أكوام عظام المسيحيين القتلى تظهر في سبعين أو ثمانين مكانًا . استخدمت حافة السهل كمقبرة لنحو 30 000 من شهداء العثمانية في هذه الحرب الميدانية الكبرى . دفن زملاء القتال متجاورين .

Debrecin (**Debrecen**) ، مدينة مجرية كبيرة تقع في أقصى شرق المجر ، في إيالة أكري لا قلعة لها ، فيها 12 800 دار و 40 ديرًا وكنيسة . يسكنها الأتراك ، كذلك تحتوي على 4000 ماكينة لحياكة الجوخ .

Kenkus (بالمجرية : **Miskolc**) مدينة حرة في إيالة أكري أيضا ، لا يوجد فيها أتراك . تمتد هذه المدينة على طول 8000 ذراع ، وبها نحو 200 كنيسة وأديرة كبيرة ، و دكاكين ، و للمدينة قلعة ولكنها فارغة . يمر الأتراك عن طريق هذه المدينة لكنهم لا يتخذونها محلا للإقامة ويقيمون في مدينة أكري . يسلم رئيس بلدية كنكوش سنويا الضريبة المعيّنة التي جمعها إلى أكري . ليس بالمدينة جنود عثمانيون .

Fulek ، مركز لواء في جنوب منتصف سلوفاكيا ، تابع لإيالة بودين . تم فتحه في 1564 . استولى عليها الألمان في 1594 ، واسترجعها محمد الثالث في 1596 ، ثم انتقلت لحيازة الألمان في 1604 ، ثم فتحها للمرة الثالثة فاضل أحمد باشا في 1662 خلال حملة أويفار . لها قلعة ذات 7 أبراج ، وبها ماينيف على 1000 دار ، جامع محمد الرابع ، 300 دكان و 10 كنائس . شعبها مجري .

Seçen (بالمجرية : Széchen ، Szécheny ، أحد مراكز لواء إيالة بودين ، يقع بين أكري ونيوغراد في جنوب Fulek . فتحت في 1592 ، استرجعها الألمان في 1594 . ثم أعيد فتحها في 1662 . يحتوي اللواء على نحو 3000 جندي وفي القلعة جامع محمد الرابع .

Germat (بالمجرية : Balassa - Gyarmat) مركز لواء في إيالة بودين في الساحل الجنوبي لنهير Ipoly والجانب المقابل ، سلوفاكيا . في الشمال – الشرقي من بودين . فتح في 1592 وفقد في 1594 ، ثم فتحه فاضل أحمد باشا مجددا في 1662 .

Tata ، مركز لواء آخر لإيالة بودين . يقع بين استركون ويانق (Gyor) . فتح على عهد القانوني ، فقد في 1565 ، ثم استرجع في 1593 ، وعاد لحيازة الألمان في 1597 ، ورغم أنه استرد في العام نفسه ، إلا أنه عاد مرة أخرى لسيطرة الألمان في 1601 . يحتوي على 2000 دارا . ثبِّتت على هذه الأراضي علامات الحدود العثمانية – الألمانية بمسافات منتظمة .

Komran أو Komorn أو Komorno ، تقع في جنوب أويفار ، على مسافة 12 ساعة من استركون ، بها 2000 دار ، 300 دكان ،7 كنائس . كانت سابقا مركز لواء في بودين .

يانق أو Yanikkala (Yanikkal'a = يانق قلعة أي القلعة المحروقة) (بالمجرية Gyor ، بالألمانية : Raab) في الساحل الجنوبي من نهر Raba (بالألمانية : Raab) . منتصف طريق بودين وبج (فيينا) . أطلق السلطان سليمان هذا الاسم على القلعة وذلك أن الجيش الهمايوني أحرقها أثناء ذهابه لمحاصرة فيينا . فتحت في عهد القانوني

استرجعها الألمان ، ثم أعيد فتحها مرة أخرى في 1594 وفقدت في 1597 . أصبحت مركز إيالة في تلك الفترة الأخيرة . كان يحمي قلعتها 20 000 جندي . وتعتبر المنفذ إلى فيينا ، وجودها بحوزة الأتراك يمثل تهديدا كبيرا لفيينا . يحمي القلعة 7 مواضع استحكامية . وتحتوي على 2000 دار .

Samorin (Samorin ، شامورين) أو Samartin أو Sen Marten ، فتحت وفقدت مع يانق ، كانت مركز لواء . يقع بين يانق و براتسلافا .

Kasevar (بالألمانية : Kaschau ، بالسلوفاكية Kosiee ، بالمجرية Kassa) ، بلا قلعة ، وبها 8 000 دار . تبعت/العثمانية ، يديرها على الأغلب ملك المجر الوسطى .

Sonlok (بالمجرية : Szolnok) ، مركز لواء في إيالة أكري ، يقع على ساحل الطونة الغربي في الجنوب – الشرقي من بودين . يحتوي اللواء على 3500 جندي . فتحه أولا سليمان خان في 1526 ، ثم والي بودين علي باشا في 1552 ، ثم محمد الثالث في 1596 . تحتوي القلعة على جامع محمد الثالث ، وفي الضواحي عدة جوامع وأبنية أخرى .

Keckemet (بالمجرية : Kecskemet) ، مدينة مجرية في إيالة بودين تحتوي على أكثر من 1000 دار ، 3 كنائس . تدفع ضريبة سنوية ، ولايوجد في المدينة مسلمون .

Sombor (بالمجرية : Zombor) ، مركز قضاء في لواء Segedin . من فتوحات برتو باشا عام 1552 ، تحتوي على جامع سليمان خان ، 5 جوامع ، 9 مساجد ، مدرستين ، 6 مكاتب ، تكيتين .

Bac (بالمجرية : Bacsalmas) ، مركز قضاء في لواء سكدين . يسكنها أمير لواء سكدين أكثر مما يسكن سكدين . يحتوي على جامعين شيّدهما سليمان خان ، بها 7 مساجد ، 400 دار ، سوق جديد به 140 دكانًا . وجنوبا على مسافة 6 ساعات قلعة **Votok** الخشبية ، مركز ناحية يحتوي على جامع سليمان خان ، 3 مساجد ، 180 داراً .

Titel ، قضاء سكدين ، يحتوي على جامع سليمان خان ، ومسجدين ، 3 مدارس ، 4 مكاتب ، تكيتين ، حمامان .

Sente (Senta ، على مسافة 6 ساعات ، قلعة ذات جامع واحد .

Sobocka (بالصربية : Subotica بالألمانية : ariatheresiopel ، من فتوحات سليمان خان في 1526 ، ناحية سكدين فيها 140دارا وتحتوي على جامع سليمان خان .

Segedin (بالمجرية : Szeged ، بالألمانية : Szegedin) ، في الساحل الغربي من نهر تيسا من فتوحات سليمان خان . بها قلعة ذات 7 أبراج وفي كل برج من 40 – 50 مدفعا . مركز لواء في إيالة أكري ، يقيم أمير اللواء الذي يتقاضى مخصصات سنوية قدرها 000 500 آقجة الأغلب في مدينة بج . من الألوية الكبيرة ، ويوجد جامع سليمان خان .

Canad (بالمجرية : Csanad) ، مركز لواء في إيالة تامشوار . وإيالة تامشوار هي الأراضي الواقعة في شرق تيسا . أما شمال نهري Koros و Berettyo فهي إيالة أكري كذلك . تقع جاناد بين تامشوار وآراد في جنوب نهر ماروش ، من فتوحات داماد قرة أحمد باشا . يحتوي اللواء على مايقرب من 6000 جندي ، 7 نواح و تتبع 240 قرية لقضائها المركزي . تحتوي على جامع سليمان خان وعدا ذلك ، جامعين ، 10 مساجد ، 3 مدارس ، 4 مكاتب ، 3 تكايا ، 535 دارا حجرية وقصرا ، ونحو 300 دكان .

Gole (بالمجرية : Gyula) ، مركز لواء . يحتوي اللواء على 800 8 جندي . قلعتها ذات 60 مدفعا ويوجد فيها ما ينيف على 100 1 دار وقصر ذي حديقة ، جامع سليمان خان ، جامع ومسجدين ، 3مكاتب ، تكيتين ، 11 خانا ، 3 كنائس ، نحو 300 دكان .

Varadin (بالألمانية : Grosswardein ، بالرومانية : Oradea ، بالمجرية : Varod) ، انفصلت في 1661 عن إمارة أردل وأسست إيالة فارادين . تقع في جنوب شرقي Debrecen . يتقاضى أمير أمرائها (بكلربك) الوالي وهو بمرتبة وزير ، راتبا سنويا قدره 800000 آقجة . يحتوي لواؤها المركزي على 8000 جندي و12 قلعة . يمنح الوالي عدا ذلك مخصصات سرّية سنوية قدرها 24000 ليرة ذهبية ليصرفها في الأغراض التي يراها مناسبة . تتكون الإيالة من 5 ألوية ويحتوي لواؤها المركزي على 10 نواح ونحو 340 قرية تحتوي القلعة على 60 مدفعا وبرج وساعة و 5 مواقع مستحكمة كبيرة مع

جامع محمد الرابع . تحتوي مدينة فارادين على 250 1 دارا ، 3 جوامع ، 14 مسجدا ، 3 مدارس ، 4 مكاتب ، تكيتين ، 3 خانات ، مطبخ عام (عمارت) ، 7 أسبلة و 300 دكان . ويشاهد خارج المدينة كذلك 66 مدفعا و 12 موقعا استحكاميا صغيرا .

Senkoy ، مركز لواء في إيالة فارادين ويحتوي اللواء على مايقرب من 000 9 جندي .

Bohar ، مدينة مجرية أخرى ، ومركز لواء في الإيالة ذاتها ، يحتوي اللواء على 000 9 جندي .

Verse ، قضاء في تامشوار يحتوي على جامع سليمان خان .

يني بالأنغة لواء Medova في إيالة تامشوار . يحتوي اللواء على نحو 5000 جندي ، 350 دارا نصفهم مسلمين ، جامع السلطان محمد الفاتح ، وجامع آخر ومسجدين .

Medova ، فتحها بيوكبالي بك على عهد فاتح . يحتوي على 200 دار ، وجامعين . كان أمير اللواء يقيم فيه سابقا .

Orsova أو Irseve أو Irsova ، من فتوحات بيوك بالي بك كذلك ، وهو مركز اللواء الكائن في أقصى جنوب إيالة تامشوار . يقع على الضفة الشمالية لأحد منعطفات الطونة وعلى الشرق منه تقع إمارة إفلاق . يحتوي اللواء على نحو 3000 جندي ، 350 دارا ، وجامعين ، ومسجد ، مدرسة . وعلى مقربة من جنوب أورشوفا ، تقع دميرقابو وهي دوّامة مائية مخيفة . من المعلوم أن نهر الطونة مليء في هذا الموقع بالصخور التي يبلغ حجمها قدر حجم قبب الحمامات ، وتسير السفن بواسطة المرشدين الذين يعرفون مواقع هذه الصخور بصورة جيدة . يمنع مرور السفن بدون دليل . تحصل الدولة على ضريبة عن كل سفينة تتولى إمرارها حسب حجمها ، من 100 إلى 250 ليرة ذهب . وفي حالة اصطدام السفينة تسّدد قيمة الأضرار بالليرات الذهبية .

فتح الإسلام (بالصربية : Gladova) هي جارة أورشوفا التي بقيت في جانب الطونة الجنوبي . مركز قضاء في لواء Vidin التابع لإيالة روملي . دخلت تحت الحماية العثمانية قبل عام 1400 ، تم فتحها في عهد فاتح وعلى يد/ بيوك بالي بك (باشا)

يحتوي على جامع سليمان خان ، وجامعين آخرين ، ومسجدين ومدرستين ، 5 مكاتب وتكيتين .

10 – رومانيا .

كانت رومانيا الحالية ، تحتوي على إمارتين (فويفودا) مستقلتين استقلالا ذاتيا ، عدا ترانسلفانيا ، بانات ودوبروجه : إفلاق وبغدان . كونت هاتان الإمارتان قسما من الإمبراطورية العثمانية حتى معاهدة بخارست في 1878 . تبعت الإفلاق ، العثمانية على عهد يلدرم بيازيد وبغدان على عهد فاتح ، وارتبطتا بالعثمانية بروابط وثيقة جدا .

كانت درجة كل من الأميرين (فويفودا) في التشريفات العثمانية بكلربك (أمير الأمراء فريق أول) لكن كان أمير بغدان يتقدم على أمير إفلاق . لم تكن هاتان الإمارتان دولتين مستقلتين ، قبل انضمامهما إلى العثمانية ؛ فقد كانت إفلاق تابعة للمجر غالبا أما بغدان فكانت تابعة لبولونيا . عين الديوان لهاتين الإمارتين حتى 1711 ، أمراء من أشراف الرومانيين الذين يطلق عليهم أسم « بويار » Boyar ؛ ولم تكن التعيينات لمدى الحياة ، وإنما كان الأمراء يتغيرون في فترات قصيرة جدا . واعتبارا من 1711 ، شرع بالنسبة لكل من الإمارتين ، في تعيين أشراف الروم المقيمين في إستانبول الذين كان يطلق عليهم اسم فنار بكلري (بالفرنسية : Phanariote) ، وأصبحت الإمارتان تحت رقابة عثمانية أشد .

أساسا ، كانت كلتا الإمارتان تحت رقابة والي روملي أولا ، ومن ثم تحت رقابة والي أوزو . كانت كلا من الإمارتين ترسلان إلى العثمانية في حالة الحرب مع ألمانيا ، وحدتين قوام كل منها على أكثر تقدير 10 000 شخص . كان الأمراء يترأسون جنودهم بأنفسهم ، وكانوا يقدمون إلى استانبول عند [illegible] واستدعائهم ، ويرسلون إلى استانبول في كل عام ضريبة سنوية مقطوعة . هدمت [illegible] الموجودة في كل من الإمارتين ومنع تشييد القلاع . ومقابل ذلك ، لم يكن المسلمون يسكنون في كلا الإمارتين ، وإنما كانوا يقيمون إقامة مؤقتة كتجار فقط . وضعت حامية قوية من الانكشارية في سراي كل من الأميرين بدعوى للحراسة . قلصت العثمانية على مر الزمن حدود الإمارتين ، وحتى أن صلة بغدان بالبحر الأسود انقطعت في نهاية القرن 15 . وبناء على ذلك ، فإنه لم يكن لكلا الإمارتين

اللتين تسميهما العثمانية « مملكتين » ساحل على البحر . يطلق على الإفلاقيين « Ulah »، وعلى البغدانيين « Moldav » وينطقون بلهجتي الرومانية .

كانت Tragoviste عاصمة الإفلاق حتى 1661 ثم أصبحت العاصمة بخارست ؛ أما عاصمة بغدان فكانت سوجافا Suçava حتى 1568 ، ثم أصبحت العاصمة ياش .

يتم إجلاس كلا الأميرين على العرش أمام الشعب في عاصمتهما ، من قبل أحد مرافقي البادشاه . يلبسانهما القبعة الحمراء ، ثم تتلى براءة السلطان بالتعيين وتوضع على أكتافهما الخلعة . كان لكل من الأميرين فرقة موسيقى عسكرية (مهترم) مكونة من الموسيقيين العثمانيين . كان في روما ، كما كان في جميع أنحاء أوروبا عبيد يعملون في الأراضي يطلق عليهم Serf » . أعتقت رقاب هؤلاء العبيد عام 1740 ، وقد حدث ذلك قبل ألمانيا بـ 50 سنة وقبل روسيا بـ 125 عاما . اهتدى بعض الأمراء (Voyvoda) إلى الإسلام . يوجد في كل من العاصمتين قاض عثماني . ينظر القاضي في الدعاوى القائمة بين المسلمين الذين كانوا يقيمون في الإمارتين كحرس عسكريين ، أفراد الموسيقى العسكرية (مهتر) والتجار ، وبين الرومانيين . كان القانون ينص على أن يكون لكل أمير 24 مرافقا ؛ 12 منهم من الضباط العثمانيين ، و 12 من الضباط أتراك قرم . كان لكل من الأميرين مكتب يشكله الكتبة العثمانيون وعلى رأسهم رئيسهم المسمى « ديوان أفنديسي » (رئيس الديوان) لتأمين المراسلات باللغة التركية . كانت عروش إفلاق وبغدان وفويفودات (أمراء) أردل التي تعامل معاملة مرتبة الوزير في التشريعات ، تسمى « اسكمله » (كرسي) كان أمير أردل بمرتبة ملك كملوك المجر الوسطى وخانات قرم ، زيدت حريات إدارات الحكم الذاتي في الإمارات في العصر 19 وفي 1859 ، أدمجت الإمارتان وأصبحت العاصمة بخارست (بالعثمانية بكرش) .

ياش أوياش يازاري أو Papaz Yaska (القس ياشكا) (بالرومانية :Iassi) ، كانت بالنسبة لما كتبه أولياء جلبي في 1659 ، تحتوي على 000 20 دار ، قصورها وسراياتها على الأسلوب العثماني من الناحية المعمارية والتأثيث . وتحتوي على أكثر من 2000 دكان ، 11 كنيسة .

بكرش(بالرومانية : بخارست Bucarest) ، كانت بها 000 12 دار ، ويوجد خارج

المدينة منزل كبير للمسافرين المسلمين . كانت إفلاق تحتوي على 120 مدينة وقصبة و 3600 قرية . كان بالمدينة عدد أكبر من العثمانيين بالنسبة إلى ياش . علم إفلاق ، كان على شكل صقر مفتوح الجناحين .

11 – بودوليا :

كانت بودوليا تتبع في السابق ، بولونيا ، واليوم تتبع جمهورية اوكرانيا السوفيتية ، وهي القطر الذي ينحصر بين شمال رومانيا وشمال Dnyestr . وبينما كانت قلعة Hotin تابعة لبغدان سيطرت عليها بولونيا (بجوي ، 2 ، 379 ؛ نعيما ، 2 ، 206) . انتقلت إلى العثمانية نتيجة لحملة بولونيا الهمايونية لعثمان الثاني عام 1622 وأصبحت قلعة عثمانية مستحكمة ومهمة جدا . بقيت لدى العثمانية حتى 26 / 11 / 1806 .

احتلها الروس في هذا التاريخ (Iorga ، 5 ، 159) . أما القطر الأصلي المسمى بودوليا ، فقد فتحه قبلان مصطفى باشا عام 1672 وأسست إيالة كامانيجه (30 / 8 / 1672) . أعيدت إلى بولونيا عام 1699 وانتقلت إلى روسيا عام 1793 . تقع كامانيجه (بالأوكراينية : Kemanets - Podolski) في شمال – شرق هوتين على مسافة من الساحل الشمالي لدنيستر . أما Bukovina الشمالية التي تقع في جنوب Prut وجنوب Hotin ، فإنها تركت لألمانيا مع مدينة جرنوفيج عام 1792 .

12 – القرم :

كما أن بعض الإمارات لبني جنكيز أمثال قسيم ، قزان ، استرخآن ، نوكاي وباشكردستان وكذلك الخاقانيات التابعة لأتراك الشمال التي تسيطر عليها دولة جوجي ، تبعت العثمانية بين حين وآخر ، كذلك ارتبطت قرم بالعثمانية اعتبارًا من 1475 . كانت قرم تجّهز جيشا يتكون من 200 000 خيال ؛ 100 000 منه تحت إشراف الخان ، 60 000 تحت إشراف كالغاي (ولي العهد) و 40 000 تحت إشراف نور الدين (ولي العهد الثاني) . كان تعيين ولاة العهد (كالغاي) وولاة العهد الثانيين (أنوار الدين) يصدر من أستانبول ، كالخانات . كان الخان سابقا ، في مستوى الصدور العظام في التشريفات وذي 5 شارات توضع على الرأس . اعتبر في العصر 16 ، في مستوى الوزراء ذوي 3 شارات (طوغ) .

Kefe ، ألحقت كفه بالعثمانية رأسا كلواء في 5 /6 / 1475 وفي 1580 ، أصبحت إيالة . كان هذا اللواء يشمل المنطقة التي تمتد من سفاستوبول إلى كرج ، ويشمل كامل الساحل الجنوبي - الشرقي من القرم وشبه جزيرة تامان التي تقع تجاهه وكان مسيطرا على مضيق كرج . ولواء آزاك (روستوف) أيضا ، أصبح بعد ذلك إيالة . وكان هذا اللواء كذلك ، مسيطرا على بحر آزاك ومصب نهر الدون . وقد اعتبرت كفه وآزاك في بعض الفترات لوائين لإيالة واحدة . تولى كل من شهزاده (ولي العهد) محمد أحد أبناء بيازيد الثاني ، وبعده ، ابن أخ هذا شهزاده سليمان (القانوني) ، إدارة لواء كفه . الحق باللواء عام 1479 ، قضاء تامان وناحيتي آنابا Anapa و Kopa . وفي 1479 ، بدأت آزاك ، قبل أن تكون لواء - بتشكيل أحد أقضية كفه الستة (الأقضية الأخرى هي : Sogdak ، Mengup ، Kerç) . كان عدد سكان كفه في 1671 ، 40 000 ، 8000 منهم مسيحيون والباقي مسلمون . كان ميناءً فعالا (Chardin ، 1 ، 104 ، 107 - 8) . نقتبس من أولياء جلبي بعض ماسرده من سطور في مجلده السابع عن جولته في قرم .

اورقابو Orkapi (بالروسية : Perekop) ، مركز قضاء في إمارة قرم . هي القلعة التي شيّدها صاحب كيراي خان في العصر 16 . وهي قطعة الأرض الضيقة جدا التي تربط قرم باوكرانيا وأوروبا ، ولولا وجود هذا البرزخ الضيق لأصبحت قرم جزيرة تامة . حامية القلعة ليسوا جنودا من قرم ، دائما جنود عثمانيون يرسلون من استانبول . إذ إن أهالي القرم لا إلمام لهم بشئون المدافع ، والبنادق والقلاع ، وإنما يحاربون بالنبال والسيوف على ظهور الخيل . ملأ محمد كيراي خان في نهاية القرن 16 الخندق المقابل للقلعة بالماء وجعل من قرم جزيرة . أعدم قائد البحر (قبطان دريا) قيليج علي باشا الذي حضر إلى قرم بقصد التفتيش ، محمد كيراي وأعاد ملء الخندق بالتراب .
إلا أنه في أواخر القرن 17 ، حفر أهالي القرم الخندق ثانية وملؤوه بالماء بموافقة الحكومة العثمانية ، واليوم ، قرم كجزيرة ليس لها إتصال بالأرض . يمكن العبور إليها عن طريق الجسور المنصوبة في أماكن معيّنة . لا يمكن أن يخرج أو يدخل أي شخص من وإلى قرم عن طريق البر خفية وبدون إذن . يجهز قضاء اورقابو 12000 خيالا . يحتوي القضاء على 680 1 دارا ، 14 جامعا ومسجدا ، ونحو 500 دكان ، مدرسة واحدة ، مكاتب ، خانات ، تكايا . ويمتاز جامع صاحب كيراي بجماله .

غازي كيرمان أو قلعة دوغان كجيدي (ممر دوغان) ، خارج قرم ، في زاوية البحر الأسود التي يصب فيها دنيبر . مركز لواء إيالة أوزو . شيد القلعة في 1661 كوبرولو محمد باشا . يحميها 1800 جندي عثماني و 1200 قرمي . إرتفاع أسوارها 27 وعرضه 20 ذراعا . يحتوي على جامع محمد الرابع (حاليا Kherson) .

قلعة Gozleve (بالروسية : Yevpatorya) ، ميناء على البحر الأسود . غرب قرم . شيد صاحب كيراي قلعتها الكبرى التي يبلغ طول محيطها الخارجي 400 3 ذراع وتحتوي على 13 جامعا ، 12 مسجدا ، 5 مكاتب 3 كروانسراي (منزل مسافرين) ، 14 خانا ، 5 حمامات ، 7 دورات مياه ، 795 دكانا . تتبع 300 قرية تقريبا لقضاء اورقابو ، تتبع 110 لـ Gozleve . جامع بهادر كيراي ، من أبنية المعمار سنان الفخمة .

Inkerman ميناء كبير وناحية قضاء باليكوفا لإيالة كفه العثمانية . تحتوي على 750 دارا ، جامعين ، مسجدين ، مدرسة ، مكتبين ، تكية خلوتية واحدة . إن قلعتي **Serkerman** وتجاهها **Salonya** الواقعتان على مسافة 6 ساعات هما أيضا ناحيتان لباليكوفا . **Balikova** ، ميناء ذو قلعة في الجنوب . و شمالا Akyar (Sivastopol) . قلعته ذات 50 مدفعا . تحتوي على 250 دارا ، جامع واحد ومسجد واحد .

Menkup أو Mengup قضاء كفه ، ميناء ذو 70 قرية وقلعة . يحتوي على جامع بيازيد الثاني . وعلى 1000 دار يملكها القرميون Karaim (الموسوي التركي الذي ينطق بلغة قرم التركية) . وعلى مقربة منها قلعة **جوهركيرمان** وهي الأخرى تحتوي على 150 1 دارا للقرميين حامية القلعة موسويون ، لذا سميت جفود = Gfit قلعة سي (قلعة اليهود) ، ولا يوجد في الدولة العثمانية نظير لها ، إذ إنها القلعة الوحيدة التي يسيطر عليها الموسويون . تحتوي على جامع صاحب كيراي لكن جماعته قليلة جدًا .

سالاجك ، قلعة ذات 3000 دار ، 5 جوامع . كان لخانات قرم المتأخرين قصور جميلة في المنطقة المحيطة بالسراي الذي بناه منكلي كيراي في القرن 15 .

باغجه سرايي ، مدينة عرش قرم . تحتوي قرم بكاملها على 000 21 جامع ، ومسجد ، وتكية . تنتشر فيها الطرق الخلوتية والجلوتية . كلا الطريقتين لها 000 40 مريد .

شعبها سني – حنفي . الشافعيون قليلون . تقع باغجه سرايي في جنوب قرم لكنها ليست على الساحل . عبارة عن 5000 دار حجرية وقصر . سميت بهذا الاسم لأن السراي الذي شيّده صاحب كيراي الذي عمر المدينة خلال 7 سنوات ؛ كان داخل حدائق جميلة جدا . كانت جزيرة قرم تحتوي على 25 قضاء ، 4 تديرها العثمانية مباشرة . وعدا أمراء قرم ، كان هناك 40 بك من أشراف التتر . كان هؤلاء كولاة برتبة عقيد ولواء في العثمانية . تحتوي قرم بكاملها على نحو 1600 قريـة وما يقرب من 6000 مزرعة . يسكن في قرم نحو 20 000 مسيحي (أروام وأرمن) عدا الأسرى ويعملون بالتجارة يبلغ عدد الأسرى في بعض السنين مئات الألوف . تحتوي باغجه سرايي على 24 جامعا ومسجدا ، وعدة مدارس دينية ، و 17 مكتبا ، و 9 تكايا ، و 117 جشمة (دورة مياه) ، وسبيل ، و 14 خانا ، و 4 حمامات ، و 3 مطابخ للمحتاجين وعدد غير قليل من سرايا وجهاء قرم . يجري الماء في كل مكان . جامع صاحب كيراي ، أكبر جامع تبلغ مساحته 110 × 70 ذراعا . حدائق مدينتي Salacik و Sala تجاور باغجه سراي . تحتوي ثلاثتها على 8000 دار ، قصر وسراي . يحتوي منزل المسافرين الذي بناه غازي صفر آغا في 1661 داخل السوق ، يحتوي على 177 غرفة، والحمام الذي شيّده محمد كيراي في نفس العام داخل السوق ، يحتوي على 6 أقسام خاصة ، فسقيات أحواضها وطاساتها مطلية بالذهب . الحمام بكامله مكسي بالبلاط الأبيض . أطقم الحمام من الحرير . العبيد القفقاسيون والسلاف يخدمون ويوزعون العطور اللطيفة بصورة مستمرة . لا يوجد في استانبول حمام مشابه له . إذ إن هذا البذخ يعتبر خطيئة لدى العثمانيين . نحو 600 قصر يحتوي على حمام خاص . خانات قرم ، يدعون الموسيقين ، الملحنين ، الشعراء والخطاطين المشهورين في إستانبول إلي سراياتهم ، يضيفونهم وأحيانا يضيفونهم لفترات طويلة تستغرق السنين . يعشقون الفنون الجميلة العثمانية .

آق مسجد (بالروسية : Simferepol) ، على مقربة من شمال – شرق باغجه سراي في منتصف قرم نحو الجنوب . يقيم فيها كالغاي ولي عهد قرم تحتوي على 2370 داراً ، قصر ، وسراي ، ونحو 200 دكان و 5 جوامع و 4 مساجد ومدرستين و 3 تكايا و 4 دورات مياه وخانين وحمام . الجامع الذي شيده منكلي كيراي عام 1508

فخم جدا ؛ فيه منزل مسافرين كبير شيّده محمد كيراي عام 1652 في قرية عزيزلر على طريق آق مسجد قرة صوبازاري .

قرة صو بازاري ، يقع في شمال شرق آق مسجد وبين آق مسجد – كفه . تحتوي المدينة على وحده إنكشارية أرسلها والي كفه . نهر قرهصو يجري وسط المدينة . سكنة دورها الـ 500 ، أتراك أناضوليون هاجروا من آماسيا ، سيواس وتوقاظ . فيها 8 جسور على نهر قرهصو ، 5 جوامع ، 23 مسجدا 5 مدارس ، 8 مكاتب ، 4 تكايا ، 27 سبيلا ، 8 خانات ، 4 حمامات ، 296 1 دكانا . البيوت ذات حدائق ، وخان غازي صفر آغا الذي شيّده في 1651 ، له 4 أبراج ، بوابتان حديديتان و 120 غرفة .

Sudak ، ميناء مركز قضاء في اللواء المركزي لإيالة كفه . ذو قلعة . يقع بالقرب من جنوب – غربي كفه . تحتوي قلعته التي يبلغ محيطها 300 ذراع ، على 24 برجا وجامع بايزيد الثاني . المدينة المسماة **اسكي قرم** (قرم القديمة) ، قضاء تابع للواء كفه المركزي يقع في شمال – غربي كفه ، به 500 دار . يحتوي على جامع منكلي كيراي الذي بني في 1512 ، وجامع آخر ، 3 مساجد ، مدرستين ، تكيتين . تأخرت نهضتها عند تطّور بغجه سراي . يشاهد فيه بقايا خربه لخاقانات الطون اوردي .

كفه Kefe (بالروسيه : Feodosiya) ، مرفأ وقلعة في جنوب – شرقي الجزيرة ، مركز إيالة عثمانية فتحها قبودان دريا (مشير البحر) كديك أحمد باشا من الجنوبيين في 1475 . يتقاضى الوالي راتبا سنويا قدره 766 504 آقجه . لاتوجد في الإيالة تشكيلات تيمار .

يقيم فيه الأميرال أو عقيد البحر المسمى كفه قبوداني (قائد كفه) ، يتجول بواسطة اسطوله في بحر آزاك والمناطق المجاورة . للوالي عدا ذلك مخصصات سرية تترواح مابين 500 19 إلى 25000 قطعة ذهبية . تنقسم الإيالة إلى 8 ألوية في قرم Kefe ، Kerc ، ولاية Tat . والألوية الخمسة الأخرى تقع خارج قرم (Bolva ، Adahun ، Azak ، Balasira و Taman) .

Taman ، هو المرفأ الواقع في الجانب المواجه لقرم من مضيق كرج .

Azak (بالروسية : Azov ، ضاحية روستوف) ، مرفأ في الموضع الذي يصب فيه نهر الدون في البحر ، في الرأس الشمالي – الغربي لبحر آزاك (آزوف) .

Bolva ، مرفأ على بحر آزوف ، يقيم فيه لواء بحري يتجول بصحبة 20 قطعة بحرية حربية . يراقب مصب نهر كوبان وأطرافه ، يعتبر آزاق من أهم الألوية . راتب أمير اللواء البحري (سنجق بك) 000 800 آقجه في السنة . وهو بمرتبة فريق أول (بكلربك) . وهذا اللواء هو أقصى وحدة إدارية حدودية تابعة لإدارة العثمانية متوغلة في قلب روسيا . لا يستطيع الروس أن يروا قفقاسيا والبحر الأسود ولو من بعيد ، دون سحق هذا اللواء . يقيم والي كفه في آزوف ، منذ 1657 . وتوجد عدا هذه الألوية الـ 8 ، أقوام ، قبائل وأراض تابعة لإيالة كفه ، وهي الأقوام التي تعيش في جبال القفقاس ، وأهمها الشراكسة . إن 40 بك (أمير) شركسي حلفوا يمين الإخلاص للعثمانية .

والي كفه وآزوف وخان قرم لهم نفوذ قوي في هذه الجبال . لايمكن أن يصل نفوذ روسيا من الشمال ولا نفوذ إيران من الجنوب ، إلى هذه الجبال . يبلغ محيط قلعة تكفه 8000 ذراع . أسوارها البرية مزدوجة وبإرتفاع 30 ذراعا . وأمامها خندق بعرض 50 ذراعا وعمق 20 ذراعا . لها 117 برجا مرتفعا . وهي مرفأ فعال ، و مدينة كبيرة تحتوي على 10 جوامع ، نحو 50 مسجدا ، 5 مدارس ، 9 تكايا ، 45 مكتبًا ، 10 حمامات نحو 600 قصر ذي حمام ، أكثر من 4000 دار ذات بئر ، أكثر من 1000 دكان ، 23 مقهى فخما به جوقات موسيقية وشعراء وجامع سلطاني عظيم لولي العهد سليمان (القانوني) خان مساحته 150 ×100 قدم ، ذي 5 قبب قائمة على 6 أعمدة : شيده السلطان سليمان عندما كان أمير لواء على كفه . معظم التكايا خلوتية ، جلوتية ، كلشنية وقادرية . يرقد منتسبو السلالة العثمانية تحت صناديق مرمرية في فناء جامع سليمان خان . إذ إن 3 ولاة عهد ، تقلدوا وظيفة أمير لواء كفه . المدينة من المراكز الكبيرة لبيع العبيد والجواري . أكثرهم قفقاسي وسلافي .

كرج ، مركز لواء في إيالة كفه ، مرفأ ذو قلعة . واقع على ضفة قرم لمضيق كرج .

في أقصى شرق قرم . يرى في مواجهته شبه جزيرة تامان . قلعته وجامعه من أعمال بايزيد الثاني . وعدا ذلك هناك جامعان و 520 دارا . مليء بمنشآت الميناء والمخازن .

13 - جزر البحر الأبيض :

جزائر بحر سفيد وباللغة التركية آق دنيز آدالري (جزر البحر الأبيض) ، هي إيالة قبودان دريا (قبودان باشا ، مشير البحر) للإمبراطورية العثمانية . ناظر البحرية المسمى قبودان دريا ، هو في نفس الوقت أمير لواء (بكلربك) والِ لهذه الإيالة . يوجد في كل لواء من ألوية الإيالة ، أمير لواء بحري (سنجق بك) وكل منهم يشرف على أساطيل تحت إمرته . أن « آق دنيز » (البحر الأبيض) تعني في علم الاصطلاحات الفنية (Terminology) العثماني ، المجال الممتد من استانبول إلى البحر الأسود بما فيها أرخبيل بحر الجزر (إيجه) وبحر مرمره . وما بعده هو البحر الأسود . يطلق على مضيق جناقلعة ، أسم مضيق البحر الأبيض كذلك . البادشاه العثماني ، خاقان هذين البحرين ، البحر الأسود والأبيض (خاقاقان بحرين) . قلّصت حدود هذه الإيالة البحرية في فترة التنظيمات بشكل كبير وأصبحت مقصورة على الجزر الآسيوية لبحر إيجه (رودس ، ساقز ، مديللي ، لمني) وحتى 1878 قبرص وسميت أيضا « جزائر بحر سفيد » ، لم يعّين فيها بحريون بل ولاة مدنيون . وحّدت قبرص في الفترة الكلاسكسة أحيانا مع عدة ألوية أناضولية وشكلت إيالة منفصلة ، وضمّت أحيانا كلواء إلى جزائر بحر سفيد .

أما مورا فإنها ربطت كليا أو جزئيا بإيالة جزر البحر الأبيض عندما كانت لواء لإيالة روملي ، ومن ثم أصبحت إيالة مستقلة . كريت ، إيالة أخرى ليس لها علاقة بهذه الإيالة . كانت تمتد إلى البحر الإدرياتيكي . ارتبط بهذه الإيالة بين الحين والآخر ، قسم من الجزر الأيونية (اليونانية) ، بعض الألوية في الساحل الأناضولي ، 3 ألوية بحرية على البحر الأبيض في مصر (إسكندرية، دمياط ، رشيد) . وفي الوقت الذي كان يقيم فيه ناظر البحرية في غاليبولي حتى 1453 ، بدأ يقيم بعد هذا التاريخ ، في استانبول . كانت ساقز ، مركزا للإيالة على عهد التنظيمات ، لفترة أصبحت جناقلعة ثم ظل المركز في ردوس وفقدت غاليبولي أهميتها على مر الزمن . وفي 1836 ، هبط

عدد سكانها من 80 000 إلى 17 000 (Hallert ، Atlas ، 61 ب) . بينما تطورت في الجانب المقابل جناقلعة الحالية التي كانت تسمى قلعة سلطانية . كان يحمي مضيق جناقلعة في 1836 ، 580 مدفعا وكان قد « رصد لهذه الأسلحة مبلغا كبيرا » (Von Moltke ، 42) . أنقل إليكم فيما يلي بعض ماكتبه أولياء جلبي حول جزائر بحر سفيد (جزر البحر الأبيض) :

قره بيغا ، مركز لواء في إيالة آق دنيز ، في غرب خليج أردك ، وشمال بيغا . يجهز 500 جندي تمارلي (الجنود الذين لا يتقاضون رواتب من الدولة ويكسبون عيشهم من زراعة الأراضي التي توزعها لهم الدولة لكنهم يشتركون في القتال بأسلحتهم) . جامع ؛ وعلى مقربة من جنوبه **جارداق** ، ذي جامع ، ومسجد يقع على جناقلعة وعلى مقربة من جنوبها مرفأ Lapeški ذي 1 300 دار وجميعها مراكز أقضية مواجهة لغاليبولي .

كليد البحرين تعني بالعربية قفل البحرين أو كما يسميها الشعب « كليد بحر » ، المواجهة تماما لمدينة جناقلعة وفي الجانب الأوروبي ، وهي أضيق نقطة في المضيق . قلعة سلطانية (جناقلعة) تقع في مواجهتها ، يمكن لهاتين القلعتين في حالة فتح نار المدفعية منهما معا ، إغراق أي نوع كان من السفن التي تجتاز دون الحصول على موافقة .

شيّد السلطان محمد الفاتح هذه القلعة الكبيرة . لأول مرة في التاريخ أغلق مضيق جناقلعة كما أغلق مضيق استانبول وأصبحا تحت سيطرة الدولة . كانت المضائق قبل 1453 ، طرقا مائية مفتوحة ، وكان من المتعذر قطعها بواسطة المدافع . تحتوي هذه القلعة على أكبر المدافع العالمية . في القلعة 1530 مدفعي ، 24 منهم ضباطا . لا يوجد جنود من أصناف أخرى ، إذ لا حاجة لذلك . كان بإمكان المدفعيين أن يسجلوا إصابات على النقطة أو الهدف الذي يشاءونه في البحر لدرجة أنهم كانوا يجعلون القذائف المنطلقة من طرفي المضيق ، تصطدم مع بعضها . إن اتخاذ تدابير كهذه ، كانت في محلها تماما ، إذ إن أية سفينة أو أسطول يجتاز المضيق يجد نفسه أمام استانبول .

من الصحيح أنه لايمكنه أن يعمل شيئا في إستانبول ، لكن دخوله سوف يوّلد اضطرابا وهياجا كبيرين ، ومن غير المستطاع أو المستساغ أن يقال لشعب استانبول إن عدوا توصل جبرا إلى استانبول . منطقهم لا يمكن أن يتقبل ذلك ، لقد كانوا يقلقون

من احتمال حدوث أيّ ضرر على استانبول ، عند حدوث قتال أمام استركون وبودين وأزوف . إن **جناقلعة** وبلغة الشعب قلعة سلطانية تواجه قلعة كليد البحر ، في جهة آسيا . تحتوي على جامع فاتح ، وجامعين آخرين ومساجد ، وسوق ذي 800 دكان . شيّد القلعة فاتح .

بوزجه آدا ، جزيرة صغيرة قريبة جدا من شبه جزيرة جناقلعة . ولأنها واقعة في مدخل البوغاز ، فإنه يعتني بقلعتها حتى لا يتمكن العدو من اتخاذ موضع له فيها ، يحميها 2000 جندي . شعبها رومي خارج القلعة . وهي قضاء للواء غاليبولي مثل كليد البحر .

غاليبولى Gelibolu ، معمل سفن ومرفأ وقاعدة بحرية واقعة في نقطة انتهاء البوغاز قرب مرمرة في جانب روملي ، نحو الشمال – الشرقي من الجزيرة المسماه بنفس الاسم . مركز لواء . وهو في الحقيقة مركز إيالة ، إلا أن ناظر البحرية الذي بمثابة أمير الأمراء (بكلربك) ، فريق أول ، للإيالة ، لا يقيم فيه بل في استانبول .

لكنه بصفته فريقا أول بحريا لإيالة البحر الأبيض ، يتقاضى راتبا إضافيا قدره 885 000 آقجه في السنة . ينقسم المركز إلى 13 لواء : غاليبولي ، آغريبوز ، قارلي ايلي ، إينه بختي ، رودس ، مديللي ، قره بيغا ، قوجا ايلي ، صيغلا (أزمير) ، Mizistre ، ساقز ، نقشة (جزر كيكلاد) ومهدية في تونس . الألوية الثلاثة الأخيرة فقط ليس فيها تشكيلات التيمار .

كانت مور سابقا ضمن إيالة البحر الأبيض عدا ميزسترة ، وحاليا هي إيالة منفصلة . وقبرص ، ضمن إيالة إيجل Içel وحاليا إيالة منفصلة . وكذلك كريت إيالة منفصلة . يوجد في لواء غاليبولي نحو 3000 جندي بحري تمارلي . مخصص ناظر البحرية (قبودان دريا) ، مبلغ 32 500 ليرة ذهب سنويا من المخصصات السرية عدا راتبه السالف ذكره لإدارة هاتين الإيالتين . كانت هناك فصيلة غوص . يتمكن أفرادها من الغوص لعمق 60 قولاجًا (مسافة بين اليدين من الإصبع إلى الإصبع إذا فتحتا بشكل مستو) . قلعتها ذات 70 برجا و 1 200 موضع رماية (مزغل) ، لكن مدافعها صغيرة . إذ لايحتمل أن تجتاز سفن العدو من البوغاز وتصل أمام غاليبولي . تحتوي المدينة على نحو

من 1200 دار ، ومجموع عدد الجوامع والمساجد والتكايات 164 ، اثنان من الجوامع . جامعان سلطانيان (فاتح ومراد الرابع) . بها 8 أسواق ، يحتوي أكبرها على مايقرب من 800 دكان ، وبها 11 خانا للمسافرين ، ونحو 200 قصر ذي حمام خاص . وعلى شمال الميناء فنار بحري كبير يضيئ على بعد أميال ويرشد السفن . بها مزار وتكية يازجي أوغلو (يازجي – زاده شيخ محمد أفندي) خليفة حاجي بايرام ولي ، وهي من أكبر تكايا القطر العثماني . حررت هذه الشخصية **محمديّة** في غاليبولي . ويرقد بجواره أخوه يازجي – زاده أحمد بيجان أفندي مؤلف **أنوار العاشقين** .

بولاير Bolayir ، ناحية غاليبولي ، تقع في شمال غاليبولي داخل حدائق السنبل ، فيها 1000 دار ، جامع ، 6 مساجد ، تكية ، مطبخ عام ، نحو 100 دكان . تحتوي على قبر فاتح روملي أولو شهزاده غازي سليمان باشا ، كان السلاطين يقدمون إلى بولاير لمجرد تقبيل حاشية غطاء ضريحه . علق سيفه على مقربة من رأس الضريح . وهو ولي العهد الذي فتح قارة أوروبا للعثمانية ، والعم الكبير لجميع السلاطين . هو الابن الأكبر لا ورخا غازي ونيلوفر خاتون ، لم يعتل العرش لوفاته واعتلى العرش بدلا منه أخوه المولود من الأم ذاتها ، مراد الأول ؛ واستمر في فتوحات أخيه ووصل حتى البحر الإدرياتيكي والطونة وفتح البلقان .

سماديرك Semadirek أو سمنديرك (باليونانية : Samothraki) . مركز قضاء ذو قمة شهيرة بإرتفاعها البالغ 1 600 م يقع بين إيمروز وطاشوز ، Semendirek عبارة عن جزيرة سكانها روم . ميناؤها وقلعتها كبيرتان .

Ezdin ، مركز قضاء في لواء آغريبوز التابع لإيالة البحر الأبيض (آقدنيز) . لكنه ليس في جزيرة آغريبوز بل في شبه جزيرة Attika . يحتوي على 13 محلة للمسلمين ، 8 للمسيحيين ، 2 550 دارا ، 4 جوامع ، 4 مساجد ، 5 جسور ، نحو 40 قصرا ذي حمام ، تكايا عديدة ، ومدارس . فتحها السلطان الفاتح من البندقيين .

Bardacik و Modononuç ، قضاءان لنفس اللواء . اشتهر في باردا جك جسر السلطانة كوسم ذو 7 قناطر على نهر Barda

Livadye (Levadia) مركز قضاء آخر لنفس اللواء وكان مركزا للإيالة في السابق . يقع في جزيرة آتيكا ج فتحه تورهان باشا على عهد فاتح من البندقيين . يحتوي على 7 محلات للمسلمين ، 6 للمسيحيين ، 2000 دار ، 7 جوامع ، مدرستين ، 3 تكايا ، 3 مكاتب ، 3 جسور . أحد جوامعها ، الجامع الذي شيّده سلطان – زاده بالي بك (باشا) ابن خالة القانوني عام 1525 .

Istife ، قضاء آغريبوز أيضا ، من فتوحات تورهان باشا ، به 2500 دار ، 4 جوامع ، 3 ساجد ، 4 مدارس .

آغريبوز أو أكريبوز (باليونانية Halkis , Euripos) ، قلعة ومرفأ ومركز لواء آغريبوز الذي يشمل شبه جيرة Attik أيضا واقع في منتصف ونحو الساحل الغربي لأكبر جزيرة (4 297 م^2) من جزير بحر أرخبيل فتحه السلطان فاتح من البندقيين حيث سار إليه بالجيش برا وبالأسطول بحرا بعد حرب ضارية . لواء بحري (أمير لوائها « سنجق بك » برتبة لواء بحري) يتقاضى أمير اللواء سنويا 000 440 آقجه راتبا و 000 200 3 آقجه مخصصات . من الألوية الكبيرة . اللواء تابع لإيالة البحر الأبيض للقبودان - باشا . قلعتها التي يبلغ محيطها 000 6 ذراعا وعرض أسوارها من 40 - 50 ذراعا بإرتفاع 40 ذراعا ذات الـ 7 طوابق ، مخمسة الشكل وتقع على الساحل . كل برج من أبراجها الـ 111 يحتوي على ماين 10 إلى 15 مدفعا و 40 إلى 50 مزغلا . قليل من القلاع تحتوي على هذا العدد من المدافع . ولكن هذا التدبير كان تحسبا للبنادقة . ان معمل مدافع القلعة الذي شيّده سليمان خان ليس لتصليح المدافع فحسب بل لسبك مدافع جديدة أيضا . يحتوي داخل القلعة على 10 محلات للمسلمين ، 11 جامعا (من جملتها جامع فاتح 130 × 90 ذراعا) ، 6 مساجد ، 19 حنفية مياه مبنية (جشمه) ، مدارس (دينية) عديدة ، مكتب (مدرسه) وتكيه . أما في الضواحي (خارج السور) فتوجد نحو 2000 دار ، قصر وسراي ، جامع ، 9 مساجد ، مدرستان ، 5 مكاتب ، 4 تكايا ، حمامان ، خانان . تقع مقبرة الشهداء بين القلعة والضاحية . يرقد فيها آلاف الجنود الذين استشهدوا في فتح آغريبوز . يستوعب المرفأ 400 سفينة . جزيرة باشا (باشا آداسي) الواقعة في مدخل الميناء ، هي الجزيرة الصغيرة التي نصب فيها فاتح سرادقه وأدار الحرب منها .

Dopoz و Kese ، مركز قضاء في لواء آغريبور قرب أثينا . قصبتين صغيرتين ذواتي 200 أو 300 دار .

أثينا ، مركز قضاء في لواء آغريبوز . تبعت العثمانية على عهد يلدرم بايزيد ، دخل فاتح المدينة بنفسه كأبيه وألحقها بإدارة العثمانية المباشرة . وهى مدينة رومية كبيرة تحتوي على 7000 دار ، المسلمون قليلون جامع فاتح ، داخل قلعتها المسماة Agora ومجاور لمعبد Partenon . بالإضافة إلى ذلك ، توجد 3 جوامع أخرى ، 7 مساجد ، مدرسه ، 3 مكاتب ، 3 تكايا ، 3 حمامات، خانان ، 118 حنفية مياه مبنية ، هذا عدا الأبنية الخاصة بالمسيحيين . توجد في أثينا وأطرافها نحو 300 كنيسة ودير أرثوذكسي . يقوم بالخدمة فيها نحو 3000 راهب وقس . إن مرفأ Terzi (Pire) هو مرفأ أثينا ، وتقع جزيرة Salamis أمام المرفأ ، أما بين مورا واتيكا ،

فتوجد جزيرة **Egine** الواقعة داخل الخليج الذي يطلق عليه الاسم ذاته ، وهي تحتوي على قلعة وجامع و 100 محلة للمسلمين و 400 للروم .

AyaMavri (Leukas) ، لواء بحري واحد في الجزر السبع الأيونية (اليونانية) والواقعة على البحر الذي يحمل الاسم ذاته . أما جزر Zanta (zakyntohos) و (Kefellenia) **Kefalonya** فإنها قد انتقلت حاليا من العثمانية لحيازة البندقية . أما جزيرة كورفواهم الجزر الأيونية ، فلم يتم الاستيلاء عليها من البنادقة بشكل تام في أي وقت من الأوقات ، رغم أن العثمانيين والسلطان سليمان بالذات دخلوها .

Satirbasi جزر **Kiklad** مجموعة جزر واقعة جنوب بحر أرخبيل الجزر وتمتد من آغريبوز نحو الجنوب ـــ الشرقي إلى رودس . لواء بحري في إيالة البحر الأبيض . تم فتحه من البنادقة في القرن 16 . إن كل جزيرة من الجزر ، كنقشه (Nokos) ، ودكير منلك (Milos) قضاء منفصل . يسكنها الروم المولّدين من الإيطاليين . توجد في الجزر قواعد بحرية عثمانية .

Salone ، قضاء آغريبوز الواقع في أقصى الغرب ثم يبدأ بعده لواء اينه بختي .

اينه بختي (بالإيطالية : Lepanto ، باليونانية : Navpaktos) ، مرفأ ، قلعة وقاعدة بحرية . مركز اللواء البحري في إيالة البحر الأبيض . يقع على مضيق ضيّق جدا بين خليجى Korinthos-Potras وتجاهه Mora . فتحها بايزيد الثاني من البندقيين . باللواء 6 000 جندي ، 5 سفن حربية ، راتب الوالي (سنجق بك) 300 000 آقجة في السنة ومخصصاته 3 500 قطعة ذهبية . قلعته ذات 70 برجا و 5 أبواب . يحتوي المركز على 3 000 دار ، 8 جوامع 11 مسجدا ، 3 مدارس ، 6 تكايا ، 45 دورة مياه ، 3 حمامات . أكبرها جامع فتحية لبايزيد الثاني . المدينة كبيرة وأكثرية سكانها مسلمون . يحتوي قضاؤها المركزي على نحو 27 000 مزرعة كروم ونحو 245 نبع مياه . المدافع التي تطلق من قلعة اينه بختي يمكنها دك سواحل مورا المقابلة .

Zeban ، قضاء في لواء قارلي ايلي ، يحتوي على 4 جوامع ، و 11 مسجدا ومدرستين .

Voniçse (Vonitsa) قضاء في لواء AyaMavri مواجه لـ Preveze يحتوي على جامع بايزيد الثاني .

Behor ، قضاء تابع لقارلي ايلي ، يحتوي على 20 دار وجامع واحد .

Angeli Kasri (Argyrokasto) ، بالمركز الجديد للواء قارلي ايلي البحري في إيالة البحر الأبيض . يتكون المركز من أقضية Ekseromoz ، Valtoz ، Voliçe ، Lahar .
كان في السابق لواء واسعا جدا وكانت كل من جزر Preveze ، Aya Mavri و

Kefalonya أقضية تابعة لهذا اللواء . كان طرغد باشا الشهير ، واليا على هذا اللواء قبل أن يعين واليا على طرابلس (ليبيا) . إن قصر آنجيلي من فتوحات فائق باشا عام 1500 ، استولي عليه من البنلقة . باللواء 4000 جندي ، 3 سفن حربية ، ويتبعه 46 قرية ، أكثرها قرى ألبانية أرثوذكسية . يحتوي على 300 دار ، جامع بايزيد خان ، مسجد واحد ، مدرسة واحدة ، تكيتين .

Verehor (Agrinion = Vrahori) ، كضاحية لقصر آنجيلي ، يوجد فيها 300 دار ، 3 جوامع ، 11 مسجدا ، مدرستان ، تكيتان ، 3 مكاتب ، شعبها أتراك .

Aya Mavri أو Aya Mavra (بالإيطالية : Santa Maura ، باليونانية : Levkas) ، جزيرة كبيرة واقعة في جنوب Preveze ومركز لواء بحري في إيالة البحر الأبيض ، استرجع قيليج علي باشا هذه الجزيرة بمنحه جزيرتي Kefalonya و Ithaki إلى البنادقة ، إذ إنها كانت أقرب إلى الساحل العثماني . لكن كيفا لونيا أكبر منها . باللواء 2000 جندي تمارلي ، 4 سفن حربية . راتب أمير اللواء 400 000 آقجه و مخصصاته 1 880,000 آقجه في السنة . يشاهد في القلعة 196 مدفعا . يحتوي على جامع سليم الثاني ، وعدا ذلك 4 جوامع ، 11 مسجدا ، مدرسة واحدة ، تكية ، جسر ، 500 دار . جزيرة Lefka (Megarasi) تابعة لآيا مافري .

Preveze ، مرفأ يقع في مدخل خليج Arta ، قلعة بحرية ، لايمكن لأية سفينة أن تدخل الخليج جبرا في حالة فتح نار المدفعية من هذه القلعة بالاشتراك مع القلعة الواقعة في الساحل المواجه ، بصورة متقابلة . تحتوي على 400 دار ، جامع سليمان خان ، 3 مساجد ، مدرسة . يستوعب ميناؤها 200 سفينة .

Preveze ، مركز قضاء في لواء قارلي ايلي . حقق بربروس خير الدين باشا انتصاره الكبير على الأسطول الصليبي بالقرب من هذه المنطقة .

منه من كوزل حصاري ، قرة فوجا ومنه من Menemen 3 مراكز أقضية في لواء صيغلا Sigla . يحتوي Menemen ، على نحو 3000 دار وقصر ، 29 جامعا ومسجدا .

أزمير ، مركز لواء صيغلا البحري لإيالة البحر الأبيض ، ميناء كبير وقاعدة بحرية .

سميت المنطقة بهذا الاسم نسبة إلى صيغلا أوغلو علي بك أحد بكّات التركمان الذي فتح في هذه المنطقة من البيزنطيين في أواخر عهد السلجوقيين . للمدينة قلعتان إحداهما في الجانب البحري والأخرى في الجبلي . إيرادات الخزينة السنوية من ضريبة جمارك هذه المدينة تبلغ 000 200 ليرة ذهبية .

إن كلا من أورلا ، سنجق بورون ، قرة بورون ، جمعة آباد ، وترنده آباد ، نواح تابعة لقضاء أزمير المركزي . بالمدينة قناصل 7 دول أوروبية . فيها تجار كبار نّموا ثرواتهم أبًا عن جد . منهم ملياردبرات مثل محمود أفندي ، حسن آغا ، كوجوك حسين آغا تتراوح ثروة أغناهم أوزون أحمد آغا ، ين 1000 إلى 2000 كيسه (وتعادل بالسعر الرائج حاليا مبلغ 0,9 إلى 1,8 مليار دولار) . بنى فاتح القلعة الحالية المشرفة على البحر . من أكبر مدن العالم التي تحتوي على 300 12 دار وقصر . عدد المسيحيين أكثر ، ويشكل الأوروبيون بينهم عددا ضخما . تحتوي على 15 جامعا ، 77 مسجدا ، 43 مدرسة ، 11 حماما عموميا ، نحو 600 قصر يحتوي على حمّام خاص ، 82 خانًا عمل كبير جدا ، 40 مكتبا ، مطبخ للمحتاجين ، 87 حنفية مياه مبنية وسبيل ، نحو 3000 دكان وما يقرب من 300 مخزن للبضائع ، نحو 200 حانة مشروبات ومقهى ، محل بيع البوظة (مشروب غير كحولي يستخلص من عصير بعض الحبوب) ، 70 معمل صابون و 20 مصنعًا للأصباغ ، سوق واحدة للسراجين ، معمل واحد للشمع . بناية عظيمة للجمارك وأبنية أخرى تناظرها . أسواقها شديدة الزحام ببشر من جميع الأقوام ، جلب بلطه جي محمود آغا الماء إليها من مكان على بعد 6 ساعات . أنفق الكثير على ذلك . وهو عمل خيري كبير . ترسو في المرفأ المقابل لكمر كخانة (بناية الجمارك) ، 200 سفينة ، تتجول سفينتان عسكريتان بصورة مستمرة للطوارئ ؛ الكل يعمل بالتجارة ، يشترون ويبيعون . نرى في سنجق بورنو (Alsancak) القلعة التى شيّدها كوبرولو محمد باشا . ترابط فيها حامية أزمير . تفرغ السفن الأوروبية حمولتها وتعود بعد تحميله مجددا ببضاعة أكثر من الذي جلبته . يمنع سيرها ين مرفئين عثمانيين فمثلا ، جميع السفن التي تنقل البضاعة من وإلى مصر يملكها المسلمون . يوجد في سنجق بورنو جامع محمد الرابع .

وبينا كانت **أورلا وقرة بورون** ناحيتين لقضاء أزمير ، فإنهما الآن قضائين في لواء صيغلا . أورلا ، عبارة عن 11 محلة ، 5 جوامع ، 35 مسجدا . أحد الجوامع هو جامع قيليج علي باشا .

جشمه ، قضاء آخر لصيغلا يقع على بوغاز ساقيز ومرفأ ساقيز لجزيرة مواجه له . له قلعة ، به 200 دار ، شوارعه مزينه بأشجار النخيل .
شيّدت القلعة والجامع بيازيد الثاني في 1518 .

ساقيز Sahiz ، هي الجزيرة الكبيرة المواجهة لجشمه (902كم٢) ، المرفأ والقلعة والمدينة التي تحمل الاسم ذاته تشرف على مرفأ جشمه وهي مركز لواء ساقيز البحري التابع لإيالة البحر الأبيض . يفصل الجزيرة عن الأناضول بوغاز ساقيز وتظل في قارة آسيا . وبينما عاشت مدة طويلة كإمارة (بكلك) تحت حماية العثمانية ، الحقت في 1560 من قبل بياله باشا ، مشير البحر الذي كان عائدا من حملة جربه Gerbe . يتقاضى الوالي (سنجق بك ، أمير اللواء) سنويا 000 700 آقجه راتبا و 000 10 ليرة ذهبية مخصصات . تحتوي الجزيرة على عدة قصبات أخرى و 25 قرية جبلية و 25 قرية رومية على الساحل تعمل بزراعة أشجار العلك (ساقز) . تصّدر أشجار العلك من الجزيرة إلى كل أنحاء العالم لعدم توفرها في مكان آخر . كثافة النفوس كبيرة جدا . تشم رائحة العلك في جميع أطراف الجزيرة . تقف بالجزيرة سفينتان حربيتان و 2000 1 جندي على أهبه الاستعداد . ترسل الجزيرة سنويا من ضريبة الجمارك إلى أستانبول مبلغ 4 ملايين آقجه . يستوعب مرفؤها نحو ألف سفينة . تحتوي القلعة على 100 2 دار ذات طابقين . كل البيوت يملكها الأتراك . تحتوي على جامع سليمان خان ، 5 جوامع ، ومسجد . يسكن الروم في الضاحية ويشكلون 40 محلة ، 5 محلات للكاثوليك ، 3 محلات لليهود ومحلتان للمسلمين وتحتوي على ما يقرب من 4000 زقاق ونحو 2000 دكان . فيها جامع بياله باشا وقيليج علي باشا . يسدد شعب ساقز ضريبة سنوية قدرها 28,4 مليون آقجه .

سيوري حصار ، **جمعه آباد** ، **قنزيل حصار** ، **آيا سولوك** ، كلها مراكز أقضية في لواء صيغلا . يوجد في آياسولوك الواقعة في رأس خليج قوش آداسي الشمالي – الشرقي ، جامع آيدن أوغلو عيسى بك الخارق للعادة .

قوش آداسي ، قضاء آخر لصيغلا . يحتوي على 4 جوامع ، 5 مساجد ، 4 مدارس ، 7 مكاتب ، 7 حنفيات مياه مبنية ، وعلى منزل مسافرين أنشأه الصدر الأعظم داماد أوكوز محمد باشا به 80 غرفة .

Balat ، **Mandaliyat** ، **Ineabad** و **Soke** سوكة ، 4 أقضية أخرى لصيغلا . يقيم والي صيغلا في سوكة ، أكثر من إقامته في أزمير . صيغلا ، من الألوية المهمة جدا . يتقاضى الوالي (بكلربك) أمير اللواء البحري برتبة فريق أول 000 800 آقجه راتبًا ، و 000 20 ليرة ذهبية مخصصات سرية في السنة ، ويخضع له 2000 جندي و سفينتان حربيتان . تتكون من 17 قضاء ونواح كثيرة جدا . تحتوي سوكة على 100 1 دار ، 6 جوامع و 3 مساجد .

جزيرة استانكوي (Kos) ، قضاء في لواء رودس . استانكوي ، جزيرة رفيعة وطويلة وكبيرة نوعا ما ، تقع على مدخل خليج استانكوي (Kerme) ، على الجنوب ـ الغربي من بودرم . فتحت في 1522 من الفرسان . تحتوي على 4 نواح ، والناحيتان الأخريتان منها هما جزيرتا باشا و Kalimnos . يدير جزيرة استانكوي عقيد بحري ، يتبعه نحو 500 جندي وسفينة حربية واحدة . تحتوي قلعتها على 205 مدافع وجامع سليمان خان ، وفي الضاحية 200 3 دار ، 5 جوامع ، مسجدين ، 7 مكاتب ، تكية ، وليس بها مدرسة (دينية) . عبارة عن 26 محلة للروم و 8 للأتراك . تصنع النساء الروميات العرقي و الشراب في بيوتهن .

Rodos رودس ، لواء في إيالة البحر الأبيض . فتحه السلطان سليمان في 1522 في حملته الهمايونية الثانية . أرسل قبله فاتح أسطولا على دفعات لكن الجزيرة لم تسقط . لا توجد تشكيلات التيمار في اللواء . تتكون الجزيرة من 44 قرية وقصبة . يتسلم اللواء البحري راتبا قدره 000 870 آقجه . من أهم الألوية . ترابط فيه بصورة دائمة 4 قطع بحرية حربية . قاعدة بحرية كبيرة وإحدى أكبر قلاع الإمبراطورية . محيط القلعة 700 5 ذراع ، طول الأسوار 700 9 ذراع ، تركت في القلعة التي بنيت بحجر **Kufeki** بعض الفتحات التي أحدثتها قذائف سليمان خان من زنة 40 ـ 50 آقة للذكرى ، على

وضعها السابق و لم ترمم . إن الزنازين الموجودة في القلعة تحت الأرض وكأنها علب ، تشكل عبرة . كان الفرسان يحجزون فيها مايقرب من 12000 أسير مسيحي . لازالت كتابات الأسرى المسلمين تقرأ على الجدران . كتب أحد الأتراك المسنين ، أنه أسر منذ 40 سنة ، وأنه خلال هذه المدة لم يهمل ولا وقت من أوقات صلاته ، وتمنى أن يهب الله عز وجل له السعادة في الدار الآخرة .

وفي كتابة أخرى لتركي آخر كتب أنه وقع في أسر الرودسيين للمرة الثالثة . وكتب آخر أن الكفار استولوا على شحنة سفينتين من بضاعته ، وأنه بحار أسير منذ 30 عاما وأنه خلال هذه المدة ضرب 3000 عصا . وتقرأ في كتابة أسير آخر أن عينه فقئت لمحاولته الهرب ، وقلعت جميع أسنانه . وعلّق من يديه لمدة 3 أيام و 3 ليال . وكتابة أخرى دونها قاضي عسكر مملوك مصر سلطان اينال ، يذكر فيها أنه خلال مدة أسره قام بواجب الإمامة للأسرى .

تحتوي القلعة على نحو 700 مدفع . و جامع سليمانية ، داخل القلعة 3000 موضع رماية . الطاقة الاستيعابية للمرفأ ، 300 سفينة . يرسو فيها أسطول عثماني بصورة مستمرة . بإمكان مرفأ السفن الحربية إيواء 500 سفينة أخرى وبإمكان المرفأ الخارجي استيعاب 1000 قطعة من السفن . يحتوي معمل السفن ، على السفينة التي ركبها السلطان سليمان في حملته على رودس والمسماة يشيل ملك (وتعنى الملك الأخضر) مصبوغة باللون الأخضر ، تعرض على المتفرجين بعد سحبها إلى البر . وتحفظ فيه كذلك أشياء تاريخية أخرى . مخازن المعمل مليئة إلى آخرها بالأدوات البحرية . ينفى خانات قرم الذين تغضب عليهم الدولة ، إلى رودس . شيّد لهم فيها قصر يقيمون فيه ويدعون للدولة . بعضهم توفي فيها ، ودفنوا في جامع مراد رئيس . تحتوي على 20 محلة للأتراك ، و 4 للروم ، 2 لليهود و400 دار وقصر ، 10 جوامع ، 30 مسجدا ، 4 مدارس ، 17 مكتبًا ، 4 تكايا ، 4 حمامات ، 70 حنفية مياه مبنية . دفن بجوار قبر مراد رئيس ، بحارة مشهورون جدا . يسكن نحو 7000 رومي في Lindos ، المدينة الثانية في جزيرة رودس (341 1 م^{2}) . الجزر الاثنا عشر ، أقضية تابعة لرودس . إحداها جزيرة سنبكي (Sym) . توجد في الجزر قلاع ومرافئ . جزيرة سوسام Susam (Samos ، Sisam) كذلك مركز قضاء .

مديللي Midilli (Midillu باليونانية : Lesbos) (1696 كم٢) لواء بحري في إيالة البحر الأبيض .

14_ مورا :

مورا (21 , 643 كم2) ، أصبحت إيالة بحرية مستقلة ، بعد أن كانت تابعة في البداية لإيالة روملي ، ثم لإيالة البحر الأبيض . تتكون من 7 ألوية : كردس Gordes (Korinthos) ، باللي بادرا (Patras) إينه بختي (Lapento) ، آيا مافـرا (Leukas) ، قارلي ايلي (Preveze) ، Manya و Mizistre . ومنها كردس ، باللي بادرا ، مانيا ومزسترة ، تشكل مورا ، وتبقي الألوية الأخرى خارج مورا .

وكذلك يبقي قضاء Megara للواء Gordos في Attika خارج مورا . جزيرة مورا تحتوي على 24 مدينة وقصبة يسكن الأتراك المدن الساحليه . بدأ فتح مورا على عهد يلدرم بايزيد . وفتح كاملها تقريبا بحملات مورا الهمايونية لفاتح ، إلا أن قواعد البنادقة البحرية لم يتم الاستيلاء عليها إلا في عهد بايزيد الثاني ، بل إن بعضها تم الاستيلاء عليه على عهد القانوني .

Gordos (Korinthos) ، مركز لواء . يقع على الرأس الجنوبي – الغربي للبرزخ الذي يصل مورا بـ آتيكا . يحتوي اللواء على 306 قرية ، نحو 3000 جندي . يحيط بقلعته سور طوله 000 14 ذراع ، به 7700 موضع رماية . وبالرغم من وجود هذه القلعة ، اجتاز البرزخ بكّات تورخان أوغللري (بني تورخان) المغاوير مئات الدفعات ودخلوا مورا إعتبارا من عهد يلدرم . بالإمكان ملء البرزخ بالماء وبذلك تنفصل مورا عن آتيكا وتصبح جزيرة كاملة (تعتبر مورا حاليا جزيرة ، بواسطة قناة كورينثوس) . تحتوي على جامع فاتح و 6 جوامع آخر ، مسجدين ، 3 تكايا ، 7 مكاتب ، 700 دار ، ونحو 70 قصرا ذي حمام .

Kalavrata ، مركز قضاء في شمال مورا ، بين كردس وباتراس ، ذو 70 قرية ، يحتوي المركز على 420 دارا ، و جامع ، مدرسة .

Vosticse ، مركز قضاء كذلك .

Mora Kasteli (وتعني قلعة مورا) ، ناحية قضاء باتراس المركزي ، هي القلعة التي شيّدها بربروس خير الدين باشا ، وعلى الضفة المقابلة توجد إينه بختي . إن نار المدفعية الصادر من كليهما يقطع السبيل على مرور أية سفينة من الخليج .

Ballibadra (Patras) ، مركز الإيالة وأكبر مدينة في مورا ، تقع على الساحل الشمالي لمورا وعلى الساحل الجنوبي للخليج المسمى بالاسم ذاته . يقيم البكربك (الفريق الأول البحري أو الاميرال الكبير « المشير ») فيها أو في Gordos . في المدينة قناصل 6 دول أوروبية . تحتوي على 400 3 دار ، 4 جوامع ، 4 مساجد ، 4 مدارس ، 5 مكاتب ، 4 تكايا ، 3 حمامات ، نحو 40 قصرا يحتوي على حمام .

Helomic ، مركز قضاء ، يحتوي على جامع بايزيد الثاني .

Gastun (Gasṭuni) ، قضاء في لواء باتراس المركزي ، يحتوي على جامعين ، ومسجدين ومدرسة ، و 4 تكايا .

Fener (Mora Feneri) وتعني فنار مورا) ، مركز قضاء ذو 2000 دار ، و جامع ، و مدرسة . فتحه الصدر الأعظم قوجا مصطفى باشا في 500 1 .

Arkadya (Arkadia ، Kyparissia) قضاء في لواء باتراس المركزي . فتحه بايزيد الثاني في 500 1 من البندقية . يحتوي على 380 دار ، وجامعين ، ومسجد ، و مدرسة و تكية . أحد الجوامع ، الجامع الذي شيّده سليمان خان .

نافارين Navarin أو Anavarin (باليونانية : Pylos ، بالإيطالية : Navarino) ، ميناء ، قلعة وقاعدة بحرية على الساحل الغربي من شبه الجزيرة التي تقع في أقصى الغرب من بين أشباه الجزر الثلاث الصغار في جنوب مورا . فتحها بايزيد الثاني من البندقية في حملته الهمايونية لمورا . تحتوي على 913 دارا ، جامعي بايزيد خان ومراد الثالث وعدا ذلك جامع واحد و 3 مساجد

Moton (باليونانية : Methoni) ، على مقربة من جنوب نافارين ، قلعة ، ميناء ، وقاعدة بحرية . وعلى مسافة من جنوبها ، توجد جزيرة **Sapienza** التي يطلق عليها الأتراك اسم « جزيرة براق رئيس » **Barak Reis** التي استشهد فيها براق رئيس في

1499 . أجهز زميله كمال رئيس على الأسطول البندقي في هذا الموقع . فتح بايزيد الثاني Moton من البنادقة عام 1500 . تحتوي على جامعي بايزيد ومراد الثالث ، رصيف كاسر الأمواج لسليمان خان ، وفي قلعتها برج ذو 12 ضلعا ، 9 طوابق وذو 12 مدفعا ، بها 5 مساجد ، تكيتان ، مطبخان للمحتاجين ، مدرسة بايزيد و 950 دارا . أعاد المعمار سنان إنشاء كاملا لقلعتها تقريبا ، التي أنتقلت إليهم من البنادقة . مركز قضاء وقاعدة بحرية عثمانية كبيرة .

Koron ، تقع شرق Modon وتجاهها تماما . مركز قضاء آخر ، ميناء ، قلعة وقاعدة بحرية . من فتوحات بايزيد خان من البندقية عام 1500 . وعند سقوطها في أيدي البنادقة عام 1533 ، أدركها بربروس خير الدين باشا فورا واسترجعها . هو اللواء المركزي لمورا . له قلعة ذات موقع مستحكم ، 47 برجا ، 1900 موضع سلاح ، نحو 1300 دار وقصر ، جامع بايزيد ، جامع ، مسجد ، تكية ، مدرسة .

Kalamata ، قضاء في لواء مزستره . فتحها فاتح . تحتوي على جامع محمد الرابع ، وجامع آخر ، 9 كنائس ، و 800 دار . مشهورة عالميًا بزيتونها .

Andorese ؛ قضاء في اللواء ذاته ، وبه جامع بيازيد خان وجامع ، و مدرسة ، تكية ، 125 دارا .

Kritna ، مركز قضاء Petretna في اللواء ذاته . تحتوي على جامع بايزيد خان ، جامع ، مسجدين ، مدرسة ، تكية ، جسر واحد .

قلعة **Londar** ، ناحية اللواء المركزي ، تحتوي على جامع بايزيد خان ، مدرسة ، تكية

Mizistre ، هي مدينة Sparta للعصور القديمة . وقد سماها العثمانيون « Isparta ، Misehor ، Misistre ، Mizistre ، Mistra » . مركز إيالة . يتقاضى الوالي (أمير اللواء) سنويًا 219 000 آقجة راتبا و 1200 000 آقجة مخصصات . فتحها فاتح من الأمراء البيزنطيين . يحتوي اللواء على نحو 3000 جندي و 3 سفن حربية تحت أمر أمير اللواء البحري . طول أسوارها 9020 ذراعا ، ذات 8 أبواب . تحتوي على 1 600 دار ، جامعي فاتح وفتحية ، جامع ، 4 مساجد ، 7 كنائس ، 29 ديرا ، مدرستين ، 3

تكايا ، منزلين للمسافرين ، 5 خانات ، 380 دكانا ، معبد لليهود . نصف شعبها أتراك والبقية روم وقسم آخر يهود .

Bardonya ، مركز قضاء في مرستره ، يحتوي على جامع فاتح .

Benefse (Monemvasia) ، ميناء ، قلعة وقاعدة بحرية في جنوب – شرقي مورا ، على بحر الأرخبيل . وعلى أقرب نقطة إلى ميناء خانيا في كريت . مركز قضاء في لواء مورا المركزي . كان على عهد القانوني مركزا لأحد الألوية البحرية . يحتوي على 1 600 دار ، جامعي السلطان سليمان وفتحية للقانوني ، 3 جوامع أخرى ، مسجدين ، مدرسة .

Tana ، قضاء في اللواء المركزي ، به 500 دار .

Trapoliçe (Tripolis) ، قضاء في اللواء المركزي في منتصف مورا تماما ، في شمال Sparta . فتحه فاتح من الأمراء البيزنطيين . يحتوي على نحو 1000 دار ، جامعين ، 6 مساجد ، مدرستين ، تكيتين ، مطبخ عمومي ، 14 حنفية مياه مبنية (جشمة) ، 160 دكانا ، قلعته فارغة .

Arhoz (Argos) ، مركز قضاء في شمال – شرقي Trapoliçe . يحتوي على قلعة ، جامع فاتح ، جامعين ، 10 مساجد ، مدرسة ، تكيتين ، 1045 دارا .

Anapoli (Nauplion ، Nauplia ، Napoli ، Mora Napolisi) ميناء في الرأس الشمالي للخليج الذى يحمل الاسم ذاته ، قلعة وقاعدة بحرية . مركز قضاء في اللواء المركزي . لم يتمكن من فتحها لا فاتح ولا بايزيد الثاني وفتحت على عهد القانوني من البندقية . سكنت في هذه المدينة أسر البحارة المشهورين الذين أنجبوا للدولة أميرالات عديدين ، يسكنون في قصورهم الشبيهة بالسراي . تحتوي على 1805 دار وقصر ، جامع سليمان خان ، جامعين ، 250 دكانا ومنشآت أخرى .

Zaranta ، قضاء في لواء مزستره ذو قلعة . هي منطقة مانيا Manya . المانيون قوم متوحش يتكلم اليونانية بشكل غريب . لايسكن المسلمون هذه المنطقة . جعلت مانيا لواء نحو عام 1666 .

15 – كريت

جزيرة كريت (8 379 كم²) ، إيالة عثمانية منفصلة . تأسست هذه الإيالة مع فتح يوسف باشا خانيا في 19 / 8 / 1645 وأصبحت مركزا للإيالة . انتقل إليها مركز

الإيالة ، عندما فتح فاضل أحمد باشا كاندية في 27 / 9 / 1669 ؛ وفي 1850 نقل المركز إلى خانيا أيضا . فتحت كريت من البندقية ، بعد حروب دامت ربع قرن . يقدم أولياء جلبي الذي كان في الجزيرة خلال فتح كاندية ، معلومات وافية عن الإيالة التي كانت قد تأسست حديثا . تم إعمار الجزيرة في العصور التالية بشكل فائق وأصبح نصف سكانها مسلمين . عين في كثير من الأحيان وزير مستقل لكل من خانيا وكاندية بلقب « محافظ » واتخذت تدابير واسعة لحمايتها تجاه أي تعرض بندقي وأوروبي . إذ إن أوروبا بأسرها دافعت عن كريت تجاه العثمانية . وأنقل إليكم فيما يلي بعض السطور عن أولياء جلبي حول الوضع في 1669 :

Hanya (Kanea ، Hania) ، ميناء وقلعة وقاعدة بحرية . تقع على ساحل الجزيرة الشمالي – الغربي . يعسكر فيها تحت أمر الوالي الفريق الأول ، 500 1 جندي . مخصصاته السنوية 25 000 ليرة ذهب . ورتبته وزير . يحتوي الميناء على 6 جوامع ، 7 مدارس (دينية) ، مكاتب (مدارس) كثيرة ، تكايا ، 6 حمامات ، خانات ، حنفيات مياه مبنية ، 520 دكانا ، شيّدت في الـ 25 سنة الأخيرة .

Suda ، ميناء وقلعة ، تستوعب 3000 سفينة قريبة لخانيا .

Aporkon ؛ مركز لواء . وقلعة خارج شرم Suda . يوجد في القلعة 500 جنديا .

Zibartma (باليونانية : Armyro) ، مركز لواء آخر . قلعة في الشمال قريبة إلى البحر ، تحتوي على جامع السلطان إبراهيم . يرابط في اللواء 5000 جندي وتحتوي على تشكيلات التيمار .

Retme (Resmo) مركز لواء ، ميناء وقلعة في الساحل الشمالي المشرف على بحر ارخبيل الجزر ، ثالث مدينة في الجزيرة ، بها 3700 دار وقصر . تحتوي على جامعي إبراهيم خان ووالده – سلطان ، و 4 جوامع أخر ، 9 مساجد ، مدرستين ، 3 مكاتب ، 3 تكايا و حمامين ، 10 مطابخ عمومية ، 10 حنفيات مياه مبنية ، 3 خانات ، و 150 دكانا . ازدهرت المدينة على يد فاتحها دلي "حسين باشا .

عنادية Inadiye ، القلعة والمدينة التي أسسها دلي حسين باشا على مقربة من غرب كاندية . تحتوي على جامع سلطان إبراهيم ، 7 جوامع ، نحو 40 مسجدا ، 3 مدارس ،

5 مكاتب ، تكيتين ، 6 حمامات ، 7 خانات ، 2000 دكان ، نحو 7500 بيت بسيط . ترك الجيش هذه المدينة ، عند فتح كاندية ، قل شأنها وقل عدد نفوسها بسبب إنتقال سكانها إلى كانديه .

Kandiye (باليونانية : **Heraklion** ، بالإيطاليه : **Candia** ، **Megalokastron**) ، مركز كريت الجديد . أكبر مدينة فيها ، قلعتها وميناؤها . **Candia** ، هي في نفس الوقت الاسم الذي أطلقه الإيطاليون على جزيرة كريت التي سماها اليونانيون « Kreta » والعرب « اقريطش » . تقع على الساحل الشمالي من الجزيرة وفي منتصفها وعلى مسافة منها جزيرة Dia الصغيرة . فتح كوبرولو – زاده ، هذه الجزيرة الشديدة المنعة التي دافعت عنها أوروبا بأسرها بعد أن أسس تحت الأرض وحول كاندية مقر جيش – مدينة عظيمة تحتوي على 160 مسجدا ، واغتنم معدات حربية وافرة تملأ مدينة كامله . قلعتها ذات 12 770 موضع سلاح . وتحتوي على مصنع سفن عظيم ومعملين مدهشين للمدافع والبارود ، وجامع السلطان محمد خان الرابع ، بناء بيزنطي . كان جامعا على عهد العرب وأصبح كنيسة مرة أخرى بعد استرجاع البيزنطيين له ، وكاتدرائية على عهد البنادقه ، ثم عاد الآن وأصبح جامعا . مساحته 250 × 100 ذراع وإرتفاعه 40 ذراعا . وعدا جوامع تارهان – والده ، إبراهيم خان كوبرولو – زاده ، شيّد خلال مدة قصيرة 8 جوامع ، 71مسجدا ، 70 حنفية مياه مبنية ، حمامان ، 9 مدارس ، 9 مكاتب ، 17 تكيه ، 3 منها تكايا بكتاشية وإحداها تكية أوقجولر . كانت تحتوي عند فتح المدينة على 1 700 دكان . شيد فيها الآن 3 أسواق ذات 150 و 50 و 30 دكانا . فيها أيضا 68 مخزنا لخزن البضائع ، 17 خانا ، 10 مقاه ، 20 بوظه خان (معمل صنع البوظه ، مشروب غير كحولي يصنع من عصارة بعض الحبوب) .

في المدينة الآن حركة نشطة لإنشاء الابنية الجديدة وإصلاح القديمة المنهدمة . وتحتوي على 4000 دار وقصر وتحتوي على نحو 9 000 بئر ماء ونحو 7000 خزّان مياه تحت الأرض . تركها الآن عدد كبير من الإيطاليين وخرجوا منها . ظل الروم ومحلة يهودية واحدة في أماكنهم . وقبل عهد فاتح كان يسكنها 20 محلة للإيطالين الكاثوليك ، 20 محلة للأرثوذكس الروم . تم وضع اليد على الكنائس الكاثوليكية فقط من بين 172 كنيسة وديرا . وتركت الكنائس الإرثوذكسية على وضعها . يمنح واليها (بكلر بك) الذي بمرتبة وزير ،

راتبا قدره 1 270 000 آقجه . قسمت الجزيرة إلى 5 ألوية و 20 قضاء . وبدا الشعب الرومي المحلي بالتسجيل في دائرة النفوس فردا فردا . تحتوي على 861 قريه ، 200 قصبة و 25 قلعة مليئة بالجنود .

Kisamo (Kisamos Kasteli « قلعة كيساموس ») مركز لواء ، قلعة وميناء يقع في أقصى الشمال – الغربي من الجزيرة . شيّد فيها كل من محمد الرابع وكوبرلو – زاده جامعا . يتبع اللواء 84 قرية .

Isfakya (Sphakia) ، مركز لواء ، قلعة وميناء في الجنوب – الغربي . هو الموقع المهم الوحيد في جنوب الجزيرة المشرف على البحر الأبيض .

تحتوي الجزيرة على 3 مناجم نحاس ، منجمي فضة ، 7 ملاحات ، 40 منجم نترات البوتاسيوم ، 4 مناجم شب ، 7 مناجم كلس وحجر الكلس ومنجم واحد لكل من الذهب ، والحديد ، والرصاص ، و الزرنيخ ، و الزفت ، الكبريت ،

استغلت جميع هذه المناجم وجدّدت عقودها مع الدولة . وتحتوي الجزيرة على نحو 8000 طاحونة قربية ، 71 000 خلية نحل ، 41 000 حظيرة مواشي ، نحو 160 000 حقل ، مايقرب من 200 000 مزرعة كروم وحدائق ، 2800 حصان ، 70 000 بغل ، 400 000 حمار ، 263 000 رأس بقر وجاموس ، 280 جملا و 600 000 رأس غنم وماعز . أجري تعداد النفوس في الجزيرة ، فبلغ 324 000 عدا الأطفال الذين لم يبلغوا سن العاشرة .

كانت نفوس الجزيرة أكثر في السابق ، واتضح أن نحو 7000 رومي اهتدى إلى الإسلام خلال الـ 25 سنة الأخيرة .

16 – أناضول الغربية .

إيالة اناضولي ؛ هي نواة للإمبراطورية العثمانية . تكونت الدولة في 1326 واتخذت بورصة مركزا لها (مدينة العرش) . واعتبارا من 1360 حتى 1451 اتخذت أنقرة مركزا للإيالة . نقل فاتح عند اعتلائه العرش مركز الإيالة من أنقرة إلى كوتاهية . وظل المركز في كوتاهية حتى العصر 19 . كانت حتى تشكيل إيالة روملي الإيالة الأولى في تشريفات الدولة ، ثم الثانية ، وعند تشكيل إيالتي مصر وبودين في 1517

و 1541 ، أصبحت الإيالة الرابعة في التشريفات وعندما خرجت بودين من حوزة العثمانية في 1686 ، أصبحت الثالثة . تغيّرت بين الفترة والأخرى الوية أقدم الإيالات هذه . في 1520 ، كانت 17 لواء : كرميان Germiyan المركز (كوتاهية خد اوندكار (بورصه) ، قوجا إيلي (أزميت) ، كاراسي (بالكسير) ، بيغا (جناقلعه) ، ساروهان (مانيسا) ، سلطان أونو (أسكي شهر) ، أنقرة (أنكرو) ، بولو ، قسطموني ، آيدن ، تكة (انطالة) ، منتشه (ميلاس) ، حميد (اسبارطه) ، قرة حصار صاحب (أفيون) ، جنقرى (كنكرى) ، علائية (آلانيه) . كانت كل من سقاريا ، زنغلداق ، سنوب ، نوشهر ، قيرشم ، بيله جك ، أوشاق ، دنيزلي ، بوردور .. اللواتي أصبحن اليوم ولايات ، عبارة عن أقضية تابعة للألوية المذكورة وأصبح بعضها بعد ذلك مراكز ألوية (مثل دنيزلي ، بيله جك ، سينوب ، اوشاق) . كان للوائي خداوندكار (بورصه) و ساروهان (مانيسا) ، مكانا متميزا بين هذه الألوية . إذ ان أولها كان الثالث في تشريفات الإمبراطورية وأخر مدينة عرش ، أما مانيسا ، فكان اللواء الذي يديره ولي عهد ـ شهزاده بالذات . قسم من إيالة أناضولي ، هو الأراضي التي فتحت من البيزنطيين ـ التي كانت الأراضي الأصلية لبني عثمان ـ أما القسم الأكبر منها ، فقد تكون بإلحاق الإمارات (بكلك) التركمانية ، وهذه الإمارات التركمانية ، كانت قد فتحت أراضيها ـ باسم بني سلجوق ـ من البيزنطيين أيضا . فتح بنو عثمان معظم المناطق القريبة من مرمرة ، بالذات من البيزنطيين . ومن ثم إبتداء من أمارة كراسي ، الحقوا الإمارات التركمانية كبني كرميان ، ساروهان ، تكه ، آيدن ، منتشه ، حميد وآهى بإيالة أناضولي ، كألوية . ولو كانوا قد جعلوا كل إمارة من الإمارات التي ألحقوها ، إيالة منفصلة ، لكان من المحتمل أن تطول مدة انصهارها مع بعضها ضمن إطار ذولة موحدة . تمزقت فى عهد التنظيمات تلك الإيالة العظمى ، التي تمتد من البحر الأسود إلى البحر الأبيض ، من مرمرة وإيجه إلى قيزيل إيرماق ، وتكونت على أراضيها 4 إيالات : خداوندكار (بورصة) ، آيدن (أزمير) ، انقرة وقسطموني Kastamoni . وظلت على الوضع ذاته حتى 1920

إيالة أناضولي ، أغنى الإيالات وأكثرها تقدما في الإمبراطورية . وأحد أكثر الأقطار

تطوّرا بالنسبة لأقطار ذلك العصر . كانت مهدا للحضارات الكبرى طوال العصور التاريخية ، ويمكن القول إنها قد حافظت تقريبا على وضعها هذا حتى أواسط القرن 19 . وعاشت قمة دور عزها في عهد القانوني. ولايوجد اليوم قسم من القرى التي كانت موجودة على عهد يلدرم بايزيد (1389 – 1402) في سهل بورصة ، زالت (Vakiflar Dergisi ، 8 ، 39 ب) . كانت كثافة النفوس فيها كبيرة في العهد العثماني ، كما كانت عليه في العصور القديمة وفي عهد السلاجقة . أنقل إليكم فيما يلي بعض ما كتب أولياء جلبي الذي زار قسما من مدن إيالة أناضولي في أواسط القرن 17 :

بورصة Bursa ، مركز لواء خداوندكار . سميت المنطقة باسم « خداوندكار » إضافة إلى لقب مراد الأول . فتحها أورهان غازي في نيسان 1326 وجعلها مدينة العرش ، وبقيت كذلك حتى تموز 1402 . من أهم الألوية . راتب أمير لوائها 079 618 آقجة .

مودانيا Mudanya ، أحد أقضية لواء خداوندكار . يحتوي على 3 جوامع ، 7 مساجد ، 3 خانات ، حمام .

أزنكميد Iznikmid أو أزميت Izmit ، ميناء مرمرة ، تقع في رأس الخليج المسمى بالاسم نفسه . مركز لواء قوجا إيلي . ربطت بإيالة البحر الأبيض (آقدنيز) عندما كانت لواء في إيالة أناضولي . إذ إنها لواء بحري وقاعدة بحرية . سميت المنطقة قوجا يالي نسبة إلى آقجاقوجا ، أحد بكات (أمراء) عثمان غازي الذي فتحها من البيزنط . شيّد مراد الرابع في المدينة سرايا هما يونيا . يحرسه 200 بوستانجي (حارس وبستاني فى نفس الوقت) . تحتوي على 3500 دار وقصر ، 19 محلة تركية ، 3 مسيحية ، ومحلة يهودية ، 23 جامعا ، ومساجد عديدة ، مدرسة ، تكية ، 1140 دكانا ، 200 مخزن لتخزين المواد الواردة إلى الجمارك كلية برتو باشا ، حمام رستم باشا ، جوامع محمد بك ، علاء الدين بك ، عبد السلام بك من بناء المعمار سنان .

يالوه Yalova أو يالاق آباد Yalakabad ، مركز قضاء في لواء خداوندكار ، اشتهر بحمّاماته المعدنية الحارة ، يحتوي على 700 دار ، 7 جوامع ومساجد ، 3 خانات .

شيلة Sile ، قضاء قوجايلي ميناء ذو 600 دار .

آقجه قوجا Akeakoca مركز قضاء في لواء بولو ، به 600 دار . رصيف بحري لبولو .

أما سرا Amasra ، قضاء بولو ، ذو قلعة ، ميناء جميل .

إينه بولو Inebolu ، قضاء قسطموني ورصيفها البحري . قلعتها بناء جنوي مثل آماسرا .

سينوب Sinop ، مركز لواء ، ميناء على البحر الأسود . أقصي شمال الأناضول وتجاه قرم . قاعدة بحرية لها مصنع للسفن . استولى على قلعتها من بني أسفنديار أولا يلدرم ، ثم فاتح بعد آماسرا بدون قتال . لها 24 محلة ، أولو جامع أحد الآثار الفنية النفيسة الباقية من عهد السلاجقة ، جامع سليمانية ، 4 جوامع أخرى ، 15 مسجدا ، مدرسة علاء الدين كيكباد ، و4 مدارس أخرى ، ونحو 60 مكتبا ، مطبخ عمومي ، 1080 دكانا .

كبوزة Gebze) قضاء قوجايلي ، يحتوي على 1000 دار ، 3 جوامع ، 41 خانا ، 180 دكانا ، رصيفه البحري درايجه Darica . تحتوي كبوزة علي كلية الوزير مصطفى باشا الذي شيّد الجسر المسمي جسر مصطفى باشا والكلية بالقرب من أدرنه وقد شيّدها في بداية العصر 16 جامع الكلية الفخم ذو أنصاف القبب السبع وخاصة منزل المسافرين الذي شيّده والذي يستوعب 2000 حصان و 300 شخص ، يستحق المشاهدة . يقوم الخدم بتوزيع الطعام ونقله إلى غرف المسافرين دون مقابل . شرط الباشا الواقف ذلك في وقفيته مقدرا أن المسافرين يحتمل أن يكونوا|علي درجة من التعب بحيث لايمكنهم النزول إلى صالة الطعام . إلا أنه يصادف كثيرا أن يمر بأمثال هذه المنازل التجار الأغنياء جدا فيغدقوا على الخدم مبالغ كبيرة ويرمموا بعض أماكنها .

سابانجة Sapanca ، مركز ناحية في قوجايلي ، به 1000 دار . موّل كل من رستم باشا وبرتو باشا المعمار سنان في عهد القانوني وبنى لكل منهما منزلا عظيما للمسافرين .

يشتمل المنزل الذي أنشأه رستم باشا على 170 غرفة ، حمامات وأسواق .

خندق Hendek ، قضاء بولو . **دوزجه** Duzce ناحية قضاء بولو المركزي ، ويقال أيضال دوزجه بازاري . له جامع وخانان ، وهو من الأعمال الخيرية للوزير اسفنديار اوغلو شمسي باشا . الباشا الذي له جامع في أسكدار على البحر .

بولو Bolu ، مركز لواء . فتحه أوهان غازي في 1326 من أومور بك . فقد لفترة من الزمن ثم استرجع في 1354 . راتب أمير اللواء السنوي 122 300 آقجه ومخصصاته 5000 سكة ذهبية . تجهّز 3600 جندي تمارلي سباهي . يحتوي اللواء على 3 محلات ، 34 جامعا ومسجدا ، 7 خانات ، 1 بدستان (سوق التحف الثمينة) عدة مدارس ، 70 مكتبا ، 3000 دار ، 400 دكان . لاتسكنه الأقليات . جامعا مصطفى باشا وفرهاد باشا من هندسة المعمار سنان . معظم الأعمال الخيرية تعود إلى بني أسفنديار وبخاصة شمسي باشا .

كرده Gerede ، قضاء بولو ، يحتوي على 10 جوامع ومسجد ، 100 دار ، 3 تكايا .

جركش Cerkes ، قضاء جانقيري ، به 300 دار . شيّد فيها الوزير الثاني مصطفى باشا ، نديم مراد الرابع ، كروانسراي (منزل مسافرين) مكونا من 150 غرفه وسوق وقف به 100 دكان .

توسية Yosya ، قضاء قسطموني ، مدينة تحتوي على 3000 دار ، 340 دكانا ، 21 جامعا ومسجدا ، سوق للسلع الثمينة (بدستان) ومنشآت أخرى عديدة . فتحها مراد الأول ومن ثم جلبي محمد .

قلعة جك (Kalecik) ، قضاء جانقيري ، يحتوي على 1 220 دارا ، 18 جامعا ، ومسجدا .

أنقرة Ankara (Enguru) ، مركز لواء . راتب أمير اللواء 263 400 آقجه في السنة ومخصصاته 20 000 ليرة ذهب . يجهز اللواء نحو 3000 تمارلي سباهي . يحيط بقلعتها الواقعة على رابية سور طوله 6000 ذراع ، وبالقلعة 86 مدفعا . تحتوي المدينة على 6000

دار ، ونحو 200 قصر به حمام خاص ، 76 جامعا ومسجدا 18 تكية 170 حنفية مياه مبنية ، مدارس كثيرة ، نحو 180 مكتبا ، 2000 دكان ، ما يقرب من 200 سبيل ماء ، سوق للسلع الثمينة .

شوارعها نظيفة ومكسية بالحجر الأبيض . بالمدينة أكثر من 1000 حافظ قرآن . لها جامعان مشهوران لحاجي بايران وجنابي أحمد باشا (بناهما سنان) . يقيم في تكية حاجي بايرام أكثر من 300 درويش وشيخهم من أحفاد حاجي بايرام . شعبها المحلى تركمان . وقد هاجر إليها عدد كبير من سكان البحر الأسود واستوطنوا فيها . يسكنها عدد من اليهود ، الأرمن ، الروم ، الغجر . ماعز مالطز (معز أنقرة « Angora ») يعيش في هذه المنطقة فقط ؛ لأنه يأكل ورق البرنار (شجر البلوط) وإن لم يتغذ بهذا الورق يتحول صوفه فى الحال إلى صوف الماعز العادي . عقوبة تهريب ماعز أنقرة إلى الخارج ، هي الإعدام وعلى الرغم من هذه العقوبة المشددة ، فإن الربح الكبير الناشئ عن ذلك أغرى الأوروبيين بتهريب الماعز ، إلا أنه من الملاحظ أن هذا النوع من الماعز إذا أطعم النبات المشابه للنبات الموجود في أنقرة . وتحوّل في الأقطار التي سيق إليها إلى ماعز ذي صوف اعتيادي . ولذلك ومن أجل الحصول على ربح بمقدار النصف ، اشتروا الخيوط المصنوعة من صوف الماعز (تيفتيك) أي صوف معز أنقرة المسموح بتصديره ، لكنهم لم يتمكنوا من نسج الأقمشة التي تحاك فى أنقرة ، ونسجوا القماش الأسود غير المموج الذي يرتديه الرهبان ، وهو قماش لا يمكن مقارنته إطلاقا بصوف أنقرة . أن صوف أنقرة المعمول من خيوط الماعز (تيفتيك) مشهور عالميا ، يهدى إلى الحكام . يمكن صباغة هذا الصوف بجميع الألوان وحياكته ، وهو نوعان : صيفي وشتوي . يرتدى رجال العلمية (رجال الدين) لدينا الألبسة المصنوعة كلها من الصوف (Sof) . ويمتاز بنعومة كالحرير ، رغم أنه صوف خالص .

آياش Ayas ، قضاء أنقرة ، يحتوي على 1000 دار ، 10 جوامع ومساجد .

بك بازاري Beypazari قضاء أنقرة ، بها 41 جامعا ومسجدا ، أكثر من 3000 دار ، 3 مدارس ، نحو 70 مكتبا ، 7 خانات ، 600 دكان يرجع الفضل في رفاهية المدينة إلى صناعة خيوط الماعز ، حيث تصنعها وتبيعها في كل مكان ، في السهول والجبال .

ورغم أن **نالي خان** Nalli han و **نازلي خان** Nazli han قريتان ، فإن نظيف باشا شيد في كل منهما منزلا للمسافرين لأنهما تقعان على طريق المسافرين . يحتوي كل من هذين المنزلين على 150 غرفة واسطبلات للحيوانات تستوعب 2000 حيوان كما أن بهما جوامع و حمامات وأسواقا .

كوينوك Coynuk ، من فتوحات عثمان غازي ، مركز قضاء في بولو بها 200 2 دار ، 18 جامعا ومسجدا ، ونحو 20 مكتبا ، ولا توجد بها مدرسة . فيها قبر الشيخ محمد آق شمس الدين ، فاتح إستانبول المعنوي . دفن بجواره ابنه الصغير الشاعر الكبير حمد الله حمدي جلبي .

تاراقلي Tarakli من فتوحات عثمان غازى ، عبارة عن 500 دار ، 11 جامعا ومسجدا ، 5 خانات ، 6 مكاتب و 200 دكان .

كيوه Geyve ، فتوحات عثمان غازي ، مركز قضاء ، بها 300 دار . على مسافة قريبة منها على نهر سقاريا يوجد جسر بايزيد الثاني الكبير .

أيزنيك Iznik ، قضاء بورصة ، من فتوحات أورهان غازي . وعلى ساحل بحيرة إيزنيك ، توجد قلعته التي تحتوي على 366 برجا ويحيط بها سور طوله 6000 ذراع ، تحتوي على 1000 دار ، 26 جامعا ومسجدا ، 9 مدارس ، 46 مكتبًا ، 7 تكايا ، 7 مطابخ عمومية ، حمامين مزدوجين (للرجال والنساء) ، و 1 كروانسراي ، 7 حنفيات مياه مبنية ، 600 دكانا ، 7 معامل خزف . كانت قديما مدينة كبيرة ويتضح ذلك من آثارها ، وبمرور الزمن أنتقل شعبها إلى مدينة بورصة . وانتقلت صناعة الخزف إلى أستانبول وكوتاهية . احترق جامع أوهان غازي على عهد السلطان سليمان . شيده سنان مجددا . يرقد المتصوف والشاعر الكبير أشرف أوغلو رومي في زاوية من زوايا الجامع المسمى باسمه . جامعا فاتح روملي سليمان باشا ، وجاندارلي – زاده خير الدين باشا ، وكروانسراى (منزل) رستم باشا من بناء سنان ، تكية أشرف أوغلو تستحق الذكر . الأواني ، الصحون والأباريق الخزفية المصنوعة في إيزنيك مشهورة عالميا ، تشترى وتباع كتحف وهي ذات قيمة كبيرة .

بورصة يني شهري Bursa Yenisehri ولفكة Lefke (عثمان إيلي Osmaneli) ، **قضاءان في** لواء بورصة ، يتبع بورصة 70 قرية تحتوي على 600 دار ، 5 جوامع ومساجد و 4 خانات .

سوكوت Sogut ، ناحية لقضاء بيله جك ، بها 700 دار . أصبح قبر أرطغرل غازي الموجود فيها مزارا وطنيا . فتح أرطغرل غازي القصبة من البيزنطيين في 1231 واتخذها مركزا له .

إسكي شهر Eskisehir ، مركز قضاء في لواء سلطان أونو (بيله جك يحتوي على 18 محلة ، 800 دكان ، 7 تكايا ، 7 خانات وعدة مدارس . دخلت ضمن إدارة الدولة في 1280 .

سيدي غازي Seydigazi ، قضاء بيله جك ، من فتوحات مراد الأول . يرقد المجاهد الملاطية لي (نسبه إلى ملاطية سيد بطال غازي في قبره الموجود فيها . وبجواره تكية بكتاشية ، قبره مزار كبير جدا . كل موضع فى القبر مكسو بالفضة دون استثناء . له صندوق ضريح عظيم يبلغ 10 أذرع . يحتوي على 150 دارا ، يتبع هذا القضاء 76 قرية ، يحتوي على كروانسراي (منزل) مصاحب سلاحدار مصطفى باشا به 70 غرفة .

بولفادين Bolavadin ، قضاء تابع لولاية قره حصار . يحتوي على جامع رستم باشا من بناء سنان .

جانقيري Cankiri ، مركز لواء . يجهز 1500 جندي تمارلي سباهي . راتب ومخصصات أمير اللواء (سنجق بك) 781 350 آقجه و 5000 ليرة ذهب . يتشكل قضاؤه المركزي من 13 ناحية . من فتوحات يلدرم بايزيد . تحتوي المدينة على 4000 دار ، وجامع سليمان خان .

جاغا Gaga ، مركز قضاء تابع لبولو ذو 47 قرية .

مودورنو Mudurnu ، من فتوحات عثمان غازي ، تتبع قضاء بولو . بها أكثر من 3000 دار . فيها جامع يلدرم خان .

بازاركوي Pazarkoyu (أوهان غازي) ، قضاء بورصة ؛ به 1300 دار و جامعان وعدة مساجد .

إنكروجك Engurucuk (كوجوك أنقرة = أنقرة الصغيرة) تتبع قضاء بورصة ، من فتوحات عثمان غازي ، بها 1000 دار .

كملك Gemlik ، قضاء بورصة ، فتحها أورهان غازي من البيزنط في 1334 .

آبوليوند Apolyond ، قضاء بورصه ، بها ، 1000 دار ، آخر موقع فتحه عثمان غازي من البيزنط .

أولوباد Ulubad ، قضاء بورصة فتحه أوهان غازي في 1334 من البيزنط ، به 2000 دار .

كرماستي Kirmasti (مصطفى كمال باشا) ، تابع قضاء بورصة من فتوحات أورهان غازي من البيزنط عام 1342 .

ميهالج Mihaliç (قره جه بك Karacabey) ، تابع قضاء بورصة . فتحها غازي مهال بك من البيزنط في 1342 . تحتوي على كلية قرة جه بك ، كروانسراي ، وجامع .

باندرمه Bandirma ، قضاء بورصة ، من فتوحات أورهان غازي من البيزنط عام 1342 ، ميناء فعال ذو 17 جامعا ومسجدا .

قابوداغي Kapidagi (إردك Erdk) ، تابع قضاء بورصة ميناء ، فتح غازي سليمان باشا شبه جزيرة قابوداغي من البيزنط . تحتوي على 1000 دار ، جزر مرمرة نواحي هذا القضاء .

إدينجك Edineik ، يتبع قضاء بورصة . ميناء في خليج إردك ، بها 2000 دار ، فتحها أورهان غازي من البيزنط . وتقع بحيرة مانياس فى جنوب باندرمه . أطلق التركمان عليها هذا الاسم . مجال كبير للصيد حيث البحيرة مليئة بالأسماك . كما يجري صيد الطيور في الشتاء ، وفرة الطيور وتنوعها لا مثيل لهما في أي مكان في العالم . غير مسموح بالصيد دون موافقة الدولة وسداد الرسوم اللازمة ، كما أنه هنالك خط على صيد بعض

أنواع الحيوانات .

Dimetoka (بيغا Biga) ، من فتوحات أورهان غازي من البيزنط . قضاء بورصة . أما **كونن**Gonen فهي ناحيتها .

إينه كول Inegol ، يتبع قضاء بورصة ، ذو 1000 دار ، و 60 قرية . فتحه عثمان غازي من البيزنط عام 1299 ، به جامع يلدرم خان واسحق باشا ، 3 مساجد ، مدرستان ، 3 مكاتب ، 7 دورات مياه يرقد اسحق باشا في ضريحه الكائن في كلّيته .
جوقورجه Cukurea قضاء بورصة .

كوتاهيه Kutahya ، مركز إيالة أناضولي . يسمى لواها المركزي كرميان سنجاغي (لواء كرميان) . انتقلت من بني كرميان إلى بني عثمان في 1378 . يتقاضي والي أناضولي ، وهو بمرتبة وزير ، مليون آقجه راتبا سنويا . كانت أكثر اتساعا ، وهي الآن (1671) 14 لواء : كرميان (كوتاهيه) ، خداوندكار (بورصة) ، ساروهان (مانيسا) ، آيدن (قسطموني) ، بولو ، منتشه (موغلا) ، سلطان أونو (بيله جك ، اسكيشهر) ، أنكروا (أنقرة) ، قرة حصار صاحب (أفيون) ، تكه (أنطاليا) ، كانغري (جانقري) ، حميد (إسبارطة) ، كاراسي (بالكسير) . كانت سينوب لواء ، ثم أصبحت قضاء تابعا إلى قسطموني . أما لواء جانيك Conik سمسون (Samsun) ، فقد ارتبط بإيالة روم سيواس) . يوجد في الإيالة 4 موظفين بدرجة أمير لواء يطلق عليهم اسم مُسلّم (بضم الحرف الأول وفتح الثاني وشد الثالث) يرعون شئون الأتراك المهاجرين . وفي الإيالة 36 800 جندي ، منهم 13 800 تمارلي سباهي ، ويبقي 3000 مع أمير الأمراء (الوالي) بصورة دائمة . تتمكن الدولة في حالة الحاجة من تجهيز 90 000 جندي من هذه الإيالة ، إذ إنه من السهل جدا تسجيل 50 – 60 ألف متطوع كجندي . يذهب متطوعون كثيرون من شباب هذه الإيالة ، وبخاصة من الألوية الساحلية كمنتشه وآيدن ، إلى حاميات المغرب « مغرب أوجاقلري » (جزائر ، تونس ، طرابلس) ، للتسجيل كجنود بحارة (لوند) وانكشارية ، وتصبح لهم هناك مكانة وشهرة . يحد الإيالة شمالا البحر الأسود ، جنوبا البحر الأبيض ، غربا بحر أرخبيل ، الجزر أو إيالة البحر الأبيض شرقا– من الشمال إلى الجنوب – إيالتا روم

(سواس) ، قرة مان ورمضان (أدنة) . ينقسم لواء كرميان المركزي إلى 25 قضاء ، أما قضاء كوتاهية المركزي ، فينقسم إلى 10 نواح . يربط في قلعة كوتاهية 70 جنديا لإجراء المراسم ، ويوجد بالقلعة جامع كرميان أوغلو . المدينة كبيرة وبها 7000 دار . تحتوي على 28 محلة للأتراك ، 3 محلات لكل من الروم والأرمن . ولا يوجد يهود .

أن باشا سراي ، الذي يقيم فيه الوزير أمير الأمراء ، هو سراي بني كرميان القديم الذي أقام فيه بعض ولاة العهد العثماني . يحتوي على 360 غرفة وعدة صالات استقبال (ديوان خانة) ، ذو حمام وحديقة . يعمل فيه 40 خادما بصورة مستمرة لغرض التنظيف فقط . وتحتوي الإيالة على 11 جامعا ، 37 مسجدا ، 8 مدارس ، 70 مكتبا ، 3 مطابخ للمحتاجين ، 3 حمامات ، 23 سراي وقصر ذي حمام ، 17 خان عمل ، 70 حنفية مياه مبنية وسبيل ، 8 أبار مياه جوفية ، 3 كنائس للأرمن و 2 للروم ، سوقين للتحف الثمينة إحداها لكديك أحمد باشا ، سوق ذي 860 دكاناً (سوق سلطاني) .

مساحة أولو جامع 180 × 90 ذراعا ، بناه يلدرم بايزيد ، وأتم نواقصه موسى جلبي ، أما سليمان خان ، فإنه أمر سنان بإصلاحه . تم ترميم جامع كيخسرو في 1642 . جامع سليمان – شاه من مخلفات بني كرميان . (13 مسجداً من مساجدهم مكسية بالرصاص) . التكية المولوية . تكية كبيرة جدا من بين تكاياه الـ 6 . خان كابان ، ذو 12 عمودا ، رواقه ذو فسقيه وحوض ، كل غرفة من غرفه تحتوي على موقد ، به 200 غرفة ، تاريخ بنائه 1506 . أقضية لواء كرميان هي : المركز كوتاهية ، عنيد ، إكريكوز ، سيماو ، سيركه ، جاقيرجه ، كوكأويوك ، دنيزلي ، شيخلي ، بأقلان ، دازقيري ، سوما ، كنكر ، أوشاق ، باناز ، هوناز ، أزنية جهاشمية ، داغاردي ، جال ، كركيفران ، افرنجيك طاوشانلي ، كموش ، عرموطلو Armatlu (Ermudlu) وآلطونطاش Altintas ذو 200 دار .

قرة حصار صاحب (أفيون Afyon) ، مركز لواء في إيالة اناضول . وسمي « قرة حصار » أي القلعة السوداء ، لميل لون قلعته إلى السواد ، ولتميزها عن القلاع الأخرى ، أضيفت كلمة « صاحب » ان أحد وزرائه المسمى صاحب عطا ، هو الذي عمر المدينة . ويقال « افيون قرة حصاري » أيضا لكثرة الأفيون في المنطقة . يرابط في المنطقة

4 200 تمارلي سباهي . راتب ومخصصات أمير اللواء 299 240 آقجه ، 100 كيسة .
ينقسم اللواء إلى الأقضية التالية :

المركز قرة حصار ، صندوقلي ، سنجانلي ، شهد ، جلة ، قيرامق ، جاي ، بيوك بارجن كوجوك بارجن ، أصلح السلاجقة قلعته التي شيدها البيزنط ، ثم أصلحت مجدّدا نحو عام 1570 ، يرابط فيها نحو 200 جندى . انتقلت المدينة إلى الإدارة العثمانية على عهد مراد الأول . تحتوي على 600 5 دار ذات حدائق وبساتين ، 1000 منها تقريبا يملكها المسيحيون ، 12 جامعا ، 3 مساجد ، 7 تكايا ، 5 حمامات ، مدارس ومكاتب ، سوقين للتحف الثمينة ، 2048 دكانا ، 19 خانا ، أكثر من 200 حنفية مياه مبنية وسبيل . جامعا علاء الدين كيكباد وهنكار داخل القلعة . تكيتها المولوية فخمة . يعمل 3000 عامل بالسراجة ، ويعمل عدد مماثل بصناعة الزيوت . مصنوعاتها من الجلود التي تمتاز بليونتها ، مرغوبة حتى في إستانبول .

شهد Suhud ، قضاء أفيون ، ذو 40 قرية ، 200 1 دار ، 9 جوامع ومساجد .

سنان باشا Sinanpasa ، مركز قضاء سبحانلي التابع لأفيون ، ذو 200 دار ، يحتوي على كلية سنان باشا .

صندوقلي Sandikli ، بقضاء أفيون ، 350 دارا ، جامع ، 3 مساجد ، له 70 قرية .

باناز Banaz ، قضاء في لواء كرميان ، قرية كبيرة ذات 100 دار ، كانت ناحية للعشاق ، أصبحت نحو عام 1660 قضاء ، ارتبط بها 40 قرية .

أوشاق Usak ، قضاء كرميان ، بها 3600 دار ، 4 جوامع ، 14 مسجدا ، حمامان ، 7 خانات ، 377 دكانا ، خان السلطان علاء الدين كيكباد شبيه بالكروانسراي (المنزل الكبير) .

كديز Gediz ، قضاء كرميان ، به 2000 دار ، 20 جامعا ومسجدا ، يحتوي على كلية دار السعادة آغاسي غضنفر آغا .

سيماو Simav ، قضاء كرميان ، به 200 1 دار ، 4 جوامع ، 13 مسجدا ، 255 دكانا ، ألولو جامع مخلفات السلاجقة .

دميرجي Demirei ، قضاء ساروهان ، يحتوي على أكثر من 3000 دار ، 7 جوامع ، 35 مسجدا ، 4 مدارس ، 10 مكاتب ، 17 حنفية مياه مبنية ، تكيتين ، 7 خانات .

جامعه الكبير من مخلفات بني ساروهان .

كولا Kula ، قضاء كرميان ، يحتوي على 200 1 دارا ، 24 جامعا ومسجدا ، 11 مكتبا ، 6 خانات ، لايحتوي على مدرسة .

آلا شهر Alasehir ، قضاء آيدن من فتوحات يلدرم خان من البيزنط ، يحتوي على 2070 دارا ، 24 جامعا ومسجدا ، مدرستين ، 16 مكتبا ، 9 خانات ، حمامين . وكلية يلدرم خان تحتوي على 70 دكانًا من 800 دكان ، يستخرج الأصباغ من النباتات بشكل جيد ، يصنع فيها أجود أنواع الصبغ النفطي (الأخضر الغامق) في العالم .

سارت Sart ، قضاء ساروهان ، به 150 دارا .

كوردس Gordes ، قضاء ساروهان ، به 200 2 دار ، 3 جوامع ، 8 مساجد ، مدرسة ، 9 مكاتب ، تكيتان ، 6 حنفيات مياه مبنية ، 3 خانات .

قاياجك Kayacik ، قضاء ساروهان ، يحتوي على 300 دار ، و جامع ، و مسجدين .

آقحصار Akhisar ، قضاء ساروهان ، يحتوي على 600 2 دار ، 10 جوامع ، 37 مسجدا ، سوق تحف ثمينة ، نحو 1000 دكان ، 9 مدارس ، 23 مكتبًا . يحتوي على جامع سلطان علم ـ شاه .

كول مرمرة Golmarmara أو مرمرة ، قضاء ساروهان يحتوي على 200 1 دار ، 22 جامعا ومسجدا ، له قرية ، وفيه كلية لالا باشا .

طرغدلو Turgutlu ، قضاء ساروهان ، يحتوي على 500 1 دار ، 5 جوامع ، 16 مسجدا ، 11 حماما ، 3 خانات .

نيف Nif ، قضاء ساروهان . يحتوي على 200 1 دار ، 9 جوامع ومساجد ، حمامين ، قضاء نيف وهو نهاية لواء ساروهان غربا ، ويبدأ في الغرب لواء صيغلا (أزمير) التابع لإيالة البحر الأبيض .

مغنيسا Magnisa (مانيسا Manisa) ، مركز لواء ساروهان . كان هذا اللواء في السابق خاصا بولاة العهد ـ الأمراء ، كان ولي العهد يقدم منها إلى أستانبول ويعتلي

العرش . من أهم ألوية الدولة . راتب أمير اللواء 600 000 آقجه . تتبع هذا اللواء 500 قرية . يجهز اللواء مايقرب من 4000 تمارلي سباهي . له قلعة محاطه بسور طوله 6000 ذراع . مانيسا ، مدينة عرش يني ساروهان القديمة فتحت أولا على عهد يلدرم بايزيد من ثم على عهد ابنيه جلبي محمد . مدينة كبيرة بها نحو من 700 6 دار . فيها قصور وسرايات كبيرة ، 105 جوامع ومساجد . وعند اعتلاء مراد الثالث الذي تقلد أمور الولاية فيها مدة 9 سنوات العرش في 1586 ، شيّد فيها جامع مراديه ذا المئذنتين ، انفق مبلغ 000 40 ليرة ذهب على طلائه الذهبي فقط . زجاجه من البّلور والنجف . أقامت حفصه والده _ سلطان ، أم القانوني مدة طويلة في مانيسا ، عندما كان ابنها يرعى أمور الولاية فيها . جامع « كوجوك والده جامعي » الذي شيّدته والدة الأمير شهنشاه ابن بايزيد الثاني في 1491 ، وجامع زال داماد محمد باشا ، يستحقان الذكر . تحتوي المدينة على 3040 حنفية مياه مبنية ، من بينها حنفيات المياه الموجودة في القصور والبيوت ، 6 من مدارسها تقدم دراسات في المدارس العالية ، المدارس الأخرى متوسطة الدرجة . كان لقسم الطب من المدرسة السلطانية ولطلابها ، مستشفى خاص بالأمراض العقلية « دار الشفاء » قسم حفاظ القرآن الذين أشرف عددهم في المدينة على 3000 ، كانوا من النساء والأطفال . تحتوي المدينة والمناطق القريبة منها على نحو 600 مكتب ويوجد أكثر من 100 خان ، 6 مطابخ للمحتاجين ، نحو 70 تكية . تكيتها المولوية فخمه ، 760 بناية سقوفها مكسوة بالرصاص . إن قبّة حمام حفصة سلطان ، مماثلة لقبب استانبول الكبيرة ، شيّد البناء بالمرمر الأبيض . يلجها ضوء النهار من خلال نحو 300 نافذة ذات زجاج بلوري ونجف . تحتوي على سوقين لبيع التحف الثمينة ، 360 3 دكانا ، مقاهيها الفخمة المليئة بالمغنين والمغنيات والفرق الموسيقية الشرقية ، الرقاصين ، المهرجين والشعراء ، مزدحمة بالبشر . جميع الشوارع دون استثناء نظيفة ومرصوفة بالحجر الأبيض . لهجة وأخلاق ومعاملة الشعب ، كالشعب الاستانبولي تماما . يكرم أصحاب الدكاكين عملاءهم بتقديم عصير العنب (شيري) في أقداح خزفية صينية . يرى في جميع الدكاكين داخل المزهريات ، باقات من أجمل أنواع الزهور التي تبدل كل يوم . يعيش حاليا في المدينة 17 شاعرا من أصحاب الدواوين . ولا يعلم عدد الشعراء الذين ليست لهم دواوين إلا الله . الطرق المولوية منتشرة جدا .

الكل محب لمولانا . سراي مانيسا الهمايوني فخم ، أقام فيه العديد من السلاطين عندما كانوا أمراء (شهزداه) . إن ضريح ساروهان بك الذي فتح مانيسا من البيزنط مزار وطني .

برغاما Bergama ، مركز قضاء في لواء بورصة .

كوزل حصار Guzelhisar (آيدن Aydin) ، مركز قضاء في لواء آيدن . مدينة كبيرة . كان يقيم فيها أمير لواء آيدن ، ويقيم الآن بمدينة تيرة . تحتوي على أكثر من 6700 دار ، قصر ، سراي ، 56 جامعا ، ومسجدا ، 18 مدرسة ، 40 مكتبًا ، 9 خانات ، سوق تحف ثمينة ، 600 دكان ، 4 حمامات .

تيرة مركز لواء آيدن الحالي . من أهم ألوية الدولة . تجهز 3500 سباهي . يتسلم أمير اللواء سنويا 847 000 آقجه راتبا و 25000 سكة ذهبية مخصصات . ينقسم اللواء إلى 19 قضاء : تيرة ، فوانا ، بيوك برغاصو ، كوجوك برغاصو ، معدن ، بايندر ، بركي ، سارت ، باليامبولو ، كليس ، كوزل حصار ، كشك ، سلطان حصاري ، نازللي ، آرباز ، آماسيه ، إينه كول ، آلاشهر ، وقف . يتبع اللواء نحو 1000 قرية . تيرة ، مدينة كبيرة . تحتوي على 36 جامعا ، 8 مساجد ، مدارس عديدة ، 60 مكتبًا ، 270 حنفية مياه مبنية وسبيل ، 27 خاناً ، 13 حماما عموميًا أكثرها ذات أحواض ، 8 مطابخ للمحتاجين ، 2800 دكان . يشتغل الجميع بالصناعة والتجارة . تنافس أزمير . ازدحمت فجأة . تحتوي ضاحيتها ، قره قاضي وينيجه على حوالي 5000 دار . ويرى فيها أبنية فخمة ترجع إلى ياوز ، القانوني ، ووزراء العصر 16 .

بايندر Bayindir ، قضاء فى آيدن ، من فتوحات يلدرم خان ، يحتوي على 200 دار ، و جامع ، 3 تكايا .

بيركي Birgi ، يتبع قضاء آيدن . انضم إلى إدارة الدولة العثمانية عندما ألحق يلدرم خان إمارة آيدن . يحتوي على نحو 3000 دار ، 24 جامعا ومسجدا . شيّدت نحو من 3000 دار جبلية فى هضاب بوزداغ . وهو مصيف بيركي . كان مستوى التعليم في مدرسة بيركي فى القرن 16 ، عاليًا . شيّد آيدن أوغلو محمد بك اسكى جامع

قبر سلالة محمد بك موجود في هذا الموقع ، فقد كان مدينة العرش لبني آيدن .

كولشن Gulsen (كوكجن Gokcen) ، قضاء آيدن ، ذو 20 قرية .

باليامبول Balyambolu ، قضاء آيدن ، عبارة عن 300 دار ، 7 قرى .

كشك Kosk ، قضاء آيدن ، يحتوي على 200 دار ، جامع ، ومسجدان .

دندرار . Donduran ، قضاء آيدن ، به 100 .

آن آماسيه Amasya ، **بوزدوغان** Bozdogan ، **به** 200 دار ، **آربان** Arpan ، **وسلطان حصاري** Sultanhisari ، **به** 300 دار ، وهذه أيضا 4 مراكز أقضية للواء آيدن .

نازللي Nazilli ، مركز قضاء كبير في ولاية آيدن . يحتوي على قلعة من مخلفات بني آيدن ، محاطة بسور طوله 6000 ذراع ، بها 3170 دارا ، 12 جامعا ، سوق تحف ونحو 2000 دكان . الحقت بإمارة آيدن في 1390 . ونازللي رازاري ، ناحيتها خارج المدينة ، ذات 300 دار ، سوق كبيرة جدا . تحتوي على خانين للعمل و 5 للمسافرين ، ودكاكين لاتحصى ، 300 منها تعمل كل يوم باستمرار .

قويوجاق Kuyucak ، قضاء آيدن . يحتوي على 1200 دار ، و جامع ، و 5 مساجد .

سراي Saray ، قضاء دنيزلي بها 200 دار ، جامع ، مسجدان ؛ ويسمى كذلك سراي قويو وازينه آباد . **هوناز** Honaz ، قضاء دنيزلي ، به 400 دار ، جامع ، مسجد .

دنيزلي Denizli ، وفي الوقت الذى كان فيه مركزا للواء ، ربط نحو 1660 ، بلواء كرميان كقضاء . يحتوي على 3600 دار ، 440 دكانًا ، 20 جامعا ، و 37 مسجدا ، 8 مدارس ، 7 مكاتب ، 11 تكية ، 6 حمامات ، نحو 100 قصر ذي حمام . مدرستان من مدارسها عالية المستوى .

عاشقلر Asiklar ، قضاء دنيزلي ، يحتوي على 450 دارا . **قيزيلجه بوركلو** Kizilcaborklu أو Kizilcaboluk ، قضاء آيدن عبارة عن 150 دارًا ، كانت سابقا تابعة لمنتشه .

تلكلي Telekli ، قضاء منتشه ، يحتوي على 300 دار ، و جامع ، و مسجد .

تاواس Tavas ، قضاء منتشه ، به 350 دارا ، 5 جوامع ومساجد ، 3 مكاتب ، تكيتان ، 6 زوايا (تكية صغيرة) ، يحتوي القضاء على نحو 300 مزرعة كروم

مغله Mugla ، مركز لواء منتشه . ألحقت إمارة منتشه على يد يلدرم خان بدون قتال عام 1390 . من الألوية الكبيرة . راتب أمير اللواء 800 400 آقجه . ويجهز نحو 3000 جندي سباهي . يحتوي على 2170 دارا ، 70 جامعا ومسجدا ، 200 دكان ، حمامين ، 7 مدارس ، 11 مكتباً ، 13 جسرا مشيّدا على مسافات متقاربة ، مطبخين عموميين للمحتاجين . يحتوي قضاؤها المركزي على 11000 مزرعة كروم . يدرس أكثر من 1 000 طالب وطالبة في مدرستها الابتدائية المسماة « شاهدي مكتبي » . المكاتب (المدارس) التي يصل عدد طلابها إلى هذا الرقم قليلة جدا ، وهي مدارس مرغوبة لتطبيقها الأصول التربوية للشيخ شاهدي . كل شعبها أتراك مشهورون بالرغبة في تلقي العلم ، وكثير منهم يذهب إلى إستانبول لإكمال تحصيله العالي .

أولا Ula ، قضاء منتشه ، به 2000 دار ، 19 جامعا ومسجدا ، مدرستان ، تكيتان ، حمامان ، 300 دكان . تقع كوك آباد على مسافة 3 ساعات وهي رصيف بحري لـ « أولا » .

يركسيغي Yerkesigi ، قضاء منتشه ، وبه 150 دارا و جامع .

بوزويوك Bozoyuk ، قضاء منتشه ، عبارة عن 150 دارا ، و جامع ، نصب سليمان خان ، في حملة رودس الهمايونية عام 1521 ، سرادقه الهمايوني في هذا الموقع ، واستقبل كل شعب منتشه وتحدث إليهم مجتمعين . تقلد الأمراء منصب الولاية في منتشه .

اسكي حصار قضاء منتشه ، به 280 دارا ، وجامعان .

ميلاس Milas ، قضاء منتشه ، به 1000 دار ، 3 جوامع ، مسجدان ، حمامان ، خانان ، 50 دكانا ، ومدرسة ، يتبع القضاء 75 قرية . كانت في السابق مدينة مهمة ويقال إنها كانت مقرا لبني منتشه . فتح بنو منتشه لواء منتشه من البيزنط . الجوامع الثلاثة الموجودة من بناء بني منتشه . وأصبحت **بجين** كذلك مركزا لإمارة

منتشه ، وحاليا هي ناحية ميلاس ، بها 120 دارا . توجد كلية عظيمة لمنتشه اوغلو غازي أحمد بك . **كمر** Kemer مركز قضاء في اللواء ذاته ذو 100 دار .

بودرم Bodrum قضاء في منتشه ، قلعة وميناء مقابل جزيرة استانكوي . كانت سابقًا لدى العثمانية ظلت عصرا واحدا لدى فرسان رودس استعيدت عام 1522 . آخر موقع تم الإستيلاء عليه من المسيحيين في الأناضول كلها . قلعته التي بها جامع سليمان خان ، الحقت بقضاء استانكوي البحري التابع للواء رودس العائد لإيالة البحر الأبيض ، وبقيت الضواحي في لواء منتشه ؛ ولذا فإن قاضي بودرم يقيم في كمر . كان الأسطول البندقي قد حاصر قبل عدة سنوات في حرب كريت 17 سفينة حربية عثمانية كانت راسية في ميناء بودروم التابعة لإمارة الجزائر ، وتبودل القصف المدفعي الشديد ، فانسحب البنادقة الذين لم يتمكنوا من الصمود تجاه نيران مدفعية الأسطول العثماني وقلعة بودرم ، بعد أن غرقت سفينتان من سفنهم وعادوا أدراجهم . لم تصب أية سفينة من السفن العثمانية ، غير أن أحد قوادها استشهد . انتشلت إحدى السفن الغارقة مع من فيها من البحر .

كليسه لي kiliseli ، قضاء منتشه ذو 47 قرية ويطلق عليها كذلك اسم Penice ، Zarahiye ، وبخاصة داتچه Datca .

كره مه Gereme قضاء منتشه ذو 47 قريه . **كوك أوفا** Gokova ، قضاء آخر ذو 70 قرية .

مرمريس Marmaris ، قلعة ومينا في قضاء منتشه . قلعتها من بناء سليمان خان وكل الأعمال الخيرية الأخرى الموجودة في القصبة أقامتها والدته حفصه سلطان .

مكري Mekri ، قضاء منتشه ، به 50 دارا و جامع و 70 قرية . **آغير دوس** Agirdos قضاء منتشه به 100 دار .

فينيكه Finike ، مركز قضاء في لواء تكه ، قلعة وميناء ، بها 300 دار .

أكيردر Egirdir ، قضاء في ذات اللواء ، يقع في شرق فينيكه ، وهو ليس Egirdir الكائن في أسبارطه .

إلمالي Elmali ، قضاء في اللواء ذاته . يسكن فيه حاليا أمير لواء تكة بدلا من أنطالية . راتبه 000 328 آقجه ، تكة ، إمارة أخذها يلدرم خان من بني تكه عام 1391 بدون قتال . يقسم اللواء إلى 10 أقضية : المالي ، قاش ، قالقانلي ، فينيكه ، أكيردر ، آدريسان ، إنطاليه ، إيستانوس ، قيزيلقايا ، تكه قره حصارى . كانت قاش وقالقانلي ، قديما تابعة إلى منتشه . تحتوي المالي على نحو 900 8 دار بسيطة ، 32 جامعا ، ومسجدا ، 4 مدارس ، 77 مكتبًا ، 7 حمامات ، مطبخ عمومى ، 3 خانات ، نحو 300 دكان .

استانوس Istanos (قورقودايلي Korkuteli) ، قضاء تكة ومدينة العرش القديمة لبني تكة . تقلد منصب الولاية في تكه بعض الأمراء (شهزاده) من أولاد السلاطين . الكليّة مع الجامع الكبير من بناء السلطان علاء الدين كيكياد ، أصلحه قويوجو مراد باشا . كل السكان موزعون في الجبال على أطراف استانبوس ، ويوجد ما يقرب من 200 مسجد .

إسبارطه Isparta أو حميد آباد ، مركز لواء حميد . راتب أمير اللواء 000 200 آقجه . يجهز اللواء 400 5 جندي . يتسلم أمير اللواء مخصصات قدرها 15000 ليرة ذهبًا . كانت مدينة العرش لبني حميد ألحقت بالعثمانية على عهد مراد الأول . جامع فردوس بك ، من بناء سنان .

آداله أو **أنطاليه** Antalya ، ألحقت بالعثمانية في عام 1391 ، ميناء وقلعة فى أقصى شمال خليج أنطاليه . مركز لواء أنطالية ، لكن أمير اللواء يسكن حاليا في المالي . أنتقلت قلعتها المحاطة بسور طوله 4400 ذراع من البيزنطيين إلى السلاجقة . لم يقم العثمانيون بإصلاحات فى القلعة . تحتوي القلعة على 80 برجا . تبلغ إيرادت الخزينة السنوية من جمرك أنطاليه 7 ملايين آقجه . المرور البحري في طريق انطاليه – إسكندرية كثيف . لها 24 محله للأتراك ، 190 دارا للروم (الروم في إيطاليا لايجيدون التكلم بالرومية ، ويتكلمون التركية باللهجة القره مانية ، يحتوي على 11 جامعا ومساجد كثيرة جدا ، 9 مدارس ، 17 مكتبًا ، 7 تكايا ، 11 قصرا ذي حمام ، خانات كثيرة جدا ، نحو 500 دكان وأكثر من 200 حنفية مياه مبنية ، بها خان ديزدار جعفر آغا ، وهو في الحقيقة

منزل مسافرين ذو 600 غرفة. تكيتها المولوية كبيرة جدا. تحتوي على 8 حمامات عامة، جامع علاء الدين كيكباد، اسكي جامع، 3 مدارس وبعض الأبنية الأخرى من مخلفات السلجوقيين. شيّد السلطان قورقود خان، يني جامع عندما كان واليا عليها المنطقة مليئة بكثافة بأشجار التين، والزيتون، و قصب السكر، و الرمان، و السرو و الليمون والبرتقال.

تكه حصاري Teke Hisari، مركز قضاء لولاية تكة ذو 70 قرية. فتحها السلاجقة من البيزنط كأنطاليا.

17 – أناضول الوسطى.

يحتوي قطاع أناضول الوسطى على إيالات؛ روم (سيواس)، قره مان (قونية)، دلقادر (ماراش) و رمضان (أدنه). يحدها شمالا البحر الأسود، وجنوبا البحر الأبيض. وتغطي إيالة أناضولي الغرب تماما، أما شرقا – من الشمال إلى الجنوب – فتوجد إيالات طرابزون، أرضروم، دياربكر. وبينما فتح السلاجقة وأمراء الحدود التابعون لهم والعثمانيون الأناضول الغربية؛ فإن كامل أناضول الوسطى فتحت على يد السلاجقة أو قبلهم.

أسس فاتح، إيالة قره مان ذات الستة ألوية (المركز قونيه، قيصري، ايجل (سلفكه)، نيغده، آقسراي، بكشهري). أسس ياوز إيالة دلقادر، ذات 6 ألوية (المركز ماراش، البستان، عينتاب، عُزير (بضم الحرف الأول)، طرسوس، أدنه). كوّنت إيالة أدنة في العصر 17 وتقلّصت حدود إيالة دلقادر. ألغى القانوني إيالة أرزنجان التي أسسها والده ياوز وكون إيالة أرضروم بعد أخذه لواء من إيالة روم أيضا. إيالة روم (إيالت روميه، صغري) التي تكونت في نهاية العصر 14، عبارة عن 8 ألوية (المركز سيواس، آماسيا، جورم، جانيك (صصون)، توقاط، مالاطيه. ديوريكي، كركر) (أصبحت كرر بعد ذلك كاهيا Kahya ومن ثم حصن منصور = لواء آدي يامان. نقل مركز هذه الإيالة في 1520، من توقاط إلى سيواس. فقدت أناضول الوسطى أهميتها في العهد العثماني بالنسبة إلى ماكانت عليه في عهد

السلجوقيين ، وبذلك فقدت رفاهيتها كذلك ، إذ إن أناضول الوسطى كانت نواة السلجوقيين . أما نواة العثمانيين فقد كانت أناضول الغربية وروملي . ازدهرت آماسيا كمركز ثقافي عثماني مهم جدا وبخاصة في القرن 15 . تقلد فيها منصب الولاية 7 شهزادات (أمراء من أبناء السلاطين) خلال الفترة 1393 _ 1559 والذين اعتلوا العرش من بين هؤلاء هم جلبي محمد الأول (والي في 1393 – 1403) ، مراد الثاني (والي في 1417 – 1421) ، فاتح (1437 – 1438) ، بايزيد الثاني (1457 – 1481) . الاثنان الأخيران هما ابنا القانوني أولو شهزاده مصطفى (1541 – 1549) وشهزاده بايزيد (1558 –1559) . ولد في آماسيا كل من مراد الثاني في 1404 وياوز سلطان سليم في 1470 .

أنقل فيما يلي عن أولياء جلبي بعض الملاحظات عن الأناضول الوسطى في أواسط القرن 17 :

بافره Bafra ، مركز قضاء في لواء جانك (سمسون) التابع لإيالة روم (سيواس) ، له جامعان .

سمسون Samsun ، مركز لواء جانك في إيالة سيواس . من فتوحات يلدرم خان . يقع على الساحل لكن ليس له مرفأ . له قلعة .

انيه Unye ، قضاء جانك . ناحيته فاجا (فطسه Fatsa) بها 300 دار . **فونا** (أوردو Ordu) قضاء جانك . ان كركواز Kerkevaz ذو 60 قرية ؛ **وعثمانجك** Osmaneik به 7 جوامع ومساجد و 10 خانات وهما قضاءان للواء جورم التابع لإيالة سيواس .

آماسيا Amasya ، مركز لواء في إيالة سيواس . راتب ومخصصات أمير لوائها السنوية 200 000 آقجه + 35000 ليرة ذهبية . تقسم إلى 12 قضاء : آماسيا ، وزير كوبروسي ، سمره ، زيتون ، كوموش ، بولاق ، مرزفون ، كركواز ، لادك ، فراى ، سنون آباد والوان جلبي . يحيط بالقلعة سور طوله 9000 ذراع . في آماسيا جامع يلدرم خان ، 48 محلة تركية و 5 أرمنيه وروميه ، وبها 56000 دار قصر

وسراي ، 2 سراي همايوني ، 240 جامعا ومسجدا ، 11 مدرسة ، نحو 200 مكتب ، 9 دور للقراء (الحفاظ) ، 40 تكية ، 5 كروانسراي ، 10 مطابخ عمومية ، 6 حمامات ؛ 3 منها مزدوجة (للنساء والرجال) ، سوق تحف ، 1060 دكانا ، 5 منازل مسافرين ، وخانات كثيرة جدا . أقام السلطان سليمان مدة من الزمن في آماسيا ، خلال سلطنته ، ومن آثاره العظيمة في آماسيا كلية بايزيد خان التي اكتملت في 1488 ، جامعه ذو المأذنتين والبالغ مساحته 100 × 100 ذراع ، مدرسته التي تقدّم التحصيل العالي ، مطبخه العام وأقسامه الأخرى أثر عظيم ، تكيته المولوية .

نيكسار Niksar ، قضاء في اللواء المركزي التابع لسيواس ، له 12 ناحية ، 3000 دار ، 500 دكان ، 9 جوامع ، 51 مسجدا . فيها جامع دانشمند أوغلوا مليك غازي ، وهو من بدائع الأسلوب القديم .

لادك Ladik ، قضاء آماسيا بها 3020 دارا ، 3 جوامع سلطانية ، 3 جوامع و 41 مسجدا ، 7 تكايا ، 7 خانات ، 6 مدارس ، 19 مكتباً ، مطبخان للمحتاجين ، وبها نحو 40 قصرا ، و400 دكان . بها جامع سلطان أحمد ، وهو من الأعمال الخيرية لابن بايزيد الثاني الكبير .

مرزفون Merzifon ، قضاء آماسيا ، وبها 4000 دار ، 74 جامعا ومسجدا ، عدة مدارس ، نحو 70 مكتبا ، 7 تكايا . قلعتها من أعمال دانشمندلي ، وبها جامع مراد الثاني ومدرسته .

كوبري Kopru ، وتذكر كذلك باسم وزير كوبروسي ، بسبب أن كبرولو محمد باشا بدأ بإعمارها اعتبارا من عام 1660 تقريبا . قضاء آماسيا ، تتبعها 140 قرية ، وبفضل كوبرولو ، ازدادت إلى 6000 دار . شيد فيها 11 جامعا ، 11 خانا ، ومطبخين للمحتاجين ، 48 مكتبا ، نحو 1000 دكان ، و مساجد وتكايا عديدة .

زيتون Zeytin ، قضاء آماسيا ، بها 2000 دار . و **كوموش** Gumus ، قضاء آماسيا ، بها 1000 دار ، 11 جامعا ومسجدا . **وعلى مقربة من شمالها الشرقي ، كوموش حاجي كوي ، التي تستخرج منها الفضة ، من 7 عروق جوفية ومن 70 موقعا .**

جورم Gorum ، مركز لواء في إيالة سيواس . يقبض أمير اللواء راتبا قدره 300 000 آقجه . يحتوي على 42 جامعا ، 300 4 دار ، 40 قصرا ذي حمام ، 7 مدارس ، 11 مكتبًا ، 7 خانات ، 3 تكايا ، 18 حنفية مياه مبنية ، 300 دكان . والحقيقة أن جامع السلطان علاء الدين كيكباد ، هو الجامع الذي قام سليمان خان بإصلاحه ، وكلّف سنان بإعادة إنشائه بصورة كلية . يوجد في جورم جامع وكليّة مراد الزابع .

ألوان جلبي Elvangelebi ، قضاء آماسيا ، به 200 دار .

آقشهر Aksehir ، مركز لواء في إيالة قرة مان . يتقاضى أمير اللواء سنويا 190 500 + 000 800 آقجه راتبا ومخصصات . يرابط فيه 1300 جندي . في هذه المدينة قبر نصر الدين خواجا الذي طبقت شهرته أرجاء العالم .

إيلغن Iligin ، قضاء آقشهر . يحتوي على كروانسراي مصطفى باشا وعين المياه الحارة لعلاء الدين كيكباد . مات فهيم (1627 –1648) – من أكبر الشعراء – في 21 من عمره أثناء عودته من واجبه كمستشار (ديوان افنديسي) لوالي (بكلربك) مصر ودفن أمام محراب الجامع . كان صديقا مقربا لي .

قونيه Konya ، مركز إيالة قرة مان والعاصمة القديمة للسلاجقة وبني قرة مان . كثير من الأمراء (أبناء السلاطين) تقلدوا منصب الولاية في هذه المدينة . أشرفت قلعة قليج أرسلان على السقوط حاليا لعدم استعمالها . راتب الوالي 070 660 آقجه . يرابط في الإيالة 12000 جندي . يحدها من الغرب والشمال إيالة أناضولي ، ومن شمالها – الشرقي سيواس ، وشرقا ماراش ، وجنوبا إيالة أدنة ، ليس لها منفذ إلى البحر ، وهي حاليا 7 ألوية : قونيه ، آقشهر ، بيشهري ، نيغده ، اقسراي ، قيصري ، قير شهري . تقع المدينة في شرق مزارع كروم مرام . تحتوي القلعة على جامع علاء الدين كيكباد ، وجامع سليمان خان ذي المنارتين . أما الجوامع والمساجد والمدارس فإنها كثيرة تحتوي على نحو 170 مكتبًا ، وما يقرب من 40 تكية ، 11 مطبخا للمحتاجين ، 11 دارا للقراء (الحفاظ) ، 3 دور الحديث ونحو 340 قصرا وسراي ، 26 خانا للمسافرين ، وعدد كبير من الخانات التجارية ومنازل المسافرين . سوق خف ، 900 دكان ، عدد كبير من حنفيات المياه المبنية ، 700 2 بئر ، ويوجد في قضائها

المركزي نحو 9000 مزرعة كروم وحديقة . آلاف من البيوت ، المساجد ، الخانات ، الحمامات منتشرة في مزارع كروم « مرام » . يصعب المرور بسبب كثرة أشجار الفواكه ، لدرجة أن شعب مو ـ يضل فيها . تكية مولانا من أكبر أماكن الزيارة في الدولة العثمانية . يقيم عندها شيخ الطريقة المولوية الكبير المسمى « جلبي » ويكون عادة من سلالة مولانا جلال الدين الرومي ، ولا يمكن لأي شخص أن يصبح شيخا لأية تكية مولوية ما لم يحصل على إذنه . مما زاد في اعتبار هذه الطريقة ، كونها الطريقة الأكثر انتشارا لدى بني عثمان وكون كامل السلاطين تقريبا محبين للمولوية ، وزيارة الخاقانات السلجوقيين والعثمانيين لمرقده وإعلانهم خضوعهم له . صرف السلطان سليمان أثناء ذهابه إلى حملة بغداد ، 8 ملايين آقجة (380 مليون دولار) وجدّد التكية الحالية مع الجوامع بصورة كلّية ، وزين جميع أطرافها بالفضة والذهب والأحجار الكريمة . تعادل منزلة الجلبي في التشريفات العثمانية ، الوزراء ، ومع ذلك ، فإن وزراء وقضاة عسكر كثيرون ، يقبلون يد الجلبي . لا يرد والي قونيه أي رجاء للجلبي . يتولى الخدمة في التكية نحو 1000 درويش ، 300 منهم سماعزن (الراقصون بشكل خاص) . جامع سلطان سليم ذو المنارتين الذي يجاوره ، يتبع التكية . يوجد قبر الشيخ صدر الدين قنوي ، وهو ربيب الشيخ الأكبر محيي الدين العربي من زوجته ، بالقرب من التكيه . أكثر سلاطين السلاجقة في قونيه دفنوا في جامع علاء الدين . جامع سليمان الموجود في السوق من بناء المعمار سنان .

أركلي Eregli أو قونيه إركليسي ، أو قره مان إركليسى ، قضاء في لواء قونيه المركزي . فيه جامع صوقوللو محمد باشا ومنزل مسافرين رستم باشا ، وهما من أعمال المهندس المعمار سنان .

أولو قشلاق Uiukislak ، قضاء نيغده . يحتوي على كلية (مجمّع أبنية ومرافق) محمد أوكوز باشا ، ويحتوي على منزل مسافرين به 170 غرفة ، حوض اسطبلات للجمال والخيل ويوجد بها كذلك سوق وقف يحتوي على 300 دكان مبني بالحجر .

تنتهي إيالة قره مان في بوغاز **كولك** Kulek ، وتبدأ إيالة أدنة . توجد في البوغاز الموجود على جبال طوروس ، قلعة وجامع فاتح .

باياس Payas أو ياقاجك Yakacik ، مركز قضاء في لواء أدنة المركزي ، ميناء وقلعة . ويحتوي على كّلية صوقوللو وكروانسراي صوقوللو العظيم ، يحتوي على 1 150 دارا .

اسكندرون ، ميناء وقضاء في لواء حلب المركزي . إيرادات جمرك حلب السنوية تبلغ 7 ملايين آقجه . ترده وترسو فيه سنويا 200 سفينة عثمانية وأوروبية . وفيه نواب قناصل لـ 7 دول أوروبيه ويقيم القناصل فى حلب .

بلن Belen ، قضاء في لواء حلب المركزي ، به 700 دار .

مرج دابق (بالعربية مرج الدابق ، بالتركية دابق جايري) ، قضاء اللواء المركزي لحلب ، به 150 دارا . هو الموقع الذي هزم فيه السلطان ياوز سليم المماليك وقتل سلطانهم وأسر الخليفة .

أنطاكية ، قضاء في لواء حلب المركزي ، كانت سابقا مدينة كبيرة . قل عدد سكانها عند ازدهار حلب . وضع على قلعتها لغرض الزينة ، 20 مدفعا قديما . طول السور 48000 ذراع ، ويشير ذلك إلى وفرة عدد سكانها فى السابق .

(أسوار إستانبول تبلغ 87 000 ذراع . أسوار بغداد 51 000 ذراع . أسوار القاهرة ، شام ، حلب ، كفة وسلانيك أقصر من أسوار أنطاكية) . الحقيقة أن هذه المدن قد فاضت إلى خارج الأسوار تماما ، لكن ذلك يعطي لنا فكرة عن نواة هذه المدن . ترتفع الأسوار حتى 80 ذراعا . آخر من قام بإصلاحها المماليك ، أما العثمانيون فقد تركوا القلعة والأسوار على ماهي عليه ، إذ إنها صارت وسط الدولة العثمانية تماما وفي حماية من التعرضات الأوروبية . تحتوي المدينة على 8 سراي ، 10 مدارس ، نحو 40 مكتبًا ، 9 خانات مسافرين ، وكثير من خانات العمل والجوامع والمساجد ، وسوق فيه 300 دكان .

قيصرية (قيصري Kayseri) ، مركز لواء في إيالة قره مان . تناقص عدد سكانها عما كان عليه في عهد السلاجقة يجهز اللواء 5000 جندي . يحتوي على 1 600 دار وقصر ، و17 جامعا ، ومساجد كثيرة جدا ، و تكية مولوية عظيمة و تكايا أخرى ،

وسوقين لبيع التحف الثمينة ومنشآت خيرية أخرى كثيرة . يلاحظ أن آثار السلاجقة أكثر ؛ أولو جامع أثر سلجوقي . جوامع لالا باشا ، عثمان باشا ، حاجي باشا من بناء سنان . نشأ المعمار سنان فى إحدى قرى قيصري . لا يجيد الروم الموجودون فى المدينة التكلم باللغة الرومية ، ويتكلمون التركيه ومازالت بعض مدارسها تدّرس العلوم العالية

بور Bor أو بوربازاري Borpazari ، قضاء نيغده ، يحتوي على 7 جوامع ، 46 مسجدا ، 7 مدارس ، نحو 40 مكتبا ، 4 تكايا ، 12 منزلا للمسافرين ، سوق تحف به جامع علاء الدين كيكباد القديم وكلية صوقوللو .

اورطة كوي Ortakoy ، قضاء اقسراي يتبعه 36 قرية . اقسراي Aksoray ، مركز لواء في إيالة قره مان . به 23 محلة ، 5 جوامع ، 98 مسجدا . به جامع قره مان أوغلو إبراهيم بك ومدرسته ، وهما أثران جميلان .

البستان Elbistan ، قضاء اللواء المركزي لماراش ، مركز لواء سابق . آجتي ، قضاء ماراش ، به 1000 دار . **كورون** Gurun ، قضاء فى لواء سيواس المركزي ، وبه 1000 دار . **دارنده** Darende ، مركز قضاء في لواء سيواس المركزي ، به 1000 دار ، 7 جوامع ، ومساجد . **أولاش** Ulas ، قضاء فى اللواء ذاته ، به 500 دار .

سيواس Sivas ، اسمه الأصلي إيالت رومية صغرى (الإيالة الرومية الصغرى) ويسمى كذلك (إيالة أناضولي الصغرى وهو مركز الإيالة التي تسمى أيضا إيالة روم وإيالة سيواس . كانت مدينة توقاط مركز هذه الإيالة قبل عام 1520 ، يجهز اللواء المركزي 3133 جنديا سباهيا من مجموع الـ 000 10 سباهي الموجودين فى الإيالة . راتب الوالي (بكلربك) 000 900 آقجه . تنقسم الإيالة إلى 8 ألوية : سيواس ، توقاط ، آماسيا ، جورم ، بوزاوق (يوزغات) ، ديفريكي ، جانيك (سمسون) وعربكير . وبهذا تصل حدودها شمالا إلى البحر الأسود . يحدها غربا إيالة أناضولي ، شرقا إيالة أرضروم ، من الجنوب الغربي إيالة قره مان ، ومن الجنوب الشرقي إيالة ماراش ودياربكر . هدم تيمور قلعتها في 1400 ، ولانتفاء الحاجة إليها تركت بعد ذلك على وضعها . شيّد جلبي سلطان محمد الذي تقلد الولاية فيها القلعة الداخلية . يشاهد في القلعة نحو 40 مدفعا قديما . تحتوي سيواس على 38 محلة للأتراك ، ومحلة

واحدة لكل من الروم والأرمن . بها 4600 دار وقصر ، عدد كبير جدا من المساجد ، المدارس ، نحو 140 مكتبًا ، 11 تكية ، 18 خانا ، و7 حمامات عامة كلها مزدوجة (للنساء والرجال) ، 18 قصرا يحتوي على حمام ، سوق كبير لبيع التحف فيه 1000 دكان . لم يبق ذلك الازدهار الذي كانت عليه سيواس في عهد السلاجقة . شيّد أولو جامع الذي تبلغ مساحته 200 × 200 ذراع ، شيّد السلطان قيليج ـ أرسلان الثاني ، كما شيّد قيزيل مدرسة في عام 1171 ، بها 80 غرفة في 7 طوابق وهي من بدائع الفن العماري السلجوقي . اشترط في وقفيته ، تقديم أنواع الطعام لطلاب المدرسة العالية على دفعتين وداخل 8 صحون فغفورية (خزف صيني) . ليس بالإمكان حاليا تحقيق ذلك الشرط . تكية عبد الوهاب غازي ، وقبر شيخ قره شمسي أفندي أماكن زيارات كبرى فى سيواس .

ديفريكي Divrigi (ديفريك Divrik) ، مركز لواء في إيالة سيواس . يحتوي اللواء على 2000 جندي ، 46 محلة . شيّد أولو جامع علاء الدين كيكباد وهو بمثابة القانوني بالنسبة لبني سلجوق . شُغل مرمره بالنقوش وُخرّم كما يخرّم القماش . ترك بعدها العثمانيون هذا النوع الدقيق من الزينة واعتبروه فنا عماريا مؤنثا .

أكين Egin (كمالية) ، قضاء ديفريكي الذي تبدأ شرقه إيالة ارضروم . به نحو 1000 دار .

عربكير Arabgir ، مركز لواء فى إيالة سيواس يحتوي على 2000 جندي . الفرات الغربي ، يفصل بين لواء عربكير التابع لإيالة سيواس ولواء جميشكزك التابع لإيالة دياربكر . أما فى الجنوب فيبدأ لواء ملاطية التابع لإيالة مراش .

آريكوفا Arikova (آرتوفا Artova) ، قضاء في لواء سيواس المركزي ذو 7 نواح .

بوزوك (يوزغات Yozgat) ، لواء فى إيالة سيواس يتقاضى أمير اللواء سنويا 300275 آقجه راتبا ، و 5500 ليرة ذهبًا مخصصات . يرابط فيه 1100 جندي سباهي ، لا يوجد في اللواء مكان آهل يمكن أن يقال عنه أنه مدينة . يقيم أمير اللواء في القصبة التي يرغب أن يقيم فيها ، يفصل نهر دليجه Delice ، لواء بوزوك عن ألوية أنقرة وقير شهري ، وفى الشمال ـ الغربي ، يقع لواء جوروم . يقسم اللواء إلى 9 أقضية : صورغن ، آقداغ ، حسين أوفا ،

بوداك أوزو ، قيزيل كوجالي ، بشكوزو ، كدك ، جبك ، قازاوفاسي صونغور ايجي (صونغورلو) ، ناحية قضاء حسين أوفا .

زله Zile ، قضاء توقاط التابع لإيالة سيواس ، كان فى السابق تابعا للواء سيواس المركزي . يحتوي على 3000 دار ، 12 جامعا ، 24 مسجدا ، 7 مدارس ، 12 مكتبًا ، 3 حمامات مزدوجة ، 20 قصرا ذي حمام ، 4 خانات ، 800 دكان ، وسوق تحف .

إسكيلب Iskilip ، قضاء جوروم ، يحتوي على نحو 40 مكتبًا .

ملاطية Malataya ، مركز أحد الألوية الكبيرة التابعة لإيالة لقادر (ماراش) راتب أمير اللواء 500 000 آقجه . يحتوي اللواء على نحو 2000 جندي ، محيط القلعة 5 100 ذراع . تحتوي محلاتها البالغة 25 محلة للمسلمين و 7 للأرمن ، على 5 565 دارا ، 11 سراي ، 12 جامعا ، 20 مسجدا ، 7 حمامات ، نحو 200 قصر ذي حمام ، 7 كنائس أرمنية . ويشاهد على بعد 5 أميال نحو الجنوب جسر سلطان حسن ذو الـ 40 قنطرة . كلية الوزير الثاني لمراد الرابع صاحب مصطفى باشا وبخاصة محطة إستراحة المسافرين ذات 170 غرفة التي شيّدها هو كذلك ، عظيمة . يحتوي مركز القضاء على 7800 مزرعة كروم و 600 بستان . استولى يلدرم خان على ملاطية في البداية ، من المماليك ، انتقلت ثانية إلى المماليك فى 1402 ، وفي 1516 ضمها ياوز إلى الدولة العثمانية .

توقاط Tokat ، مركز لواء فى إيالة سيواس وهو مركز الإيالة قبل 1520 . يُهبط من قلعتها البالغ محيطها 6000 خطوة إلى نهر يشيل إيرمق بواسطة سلّم مكون من 62 درجة . هناك جامع ملك غازي الذي انتقل من الدانشمنديين وأصلحه يلدرم ، خان وتوجد 10 جوامع آخر ومساجد كثيرة جدا . ومن الآثار الدانشمنديه العظيمة مدارس كوك مدرسة ، خاتونية وأولو جامع . مازالت المدارس تدّرس بعض العلوم العالية . أكبر تكية بين تكاياها العديدة تكية مولويخانة . توجد مئات من حنفيات المياه المبنية والأسبلة . و 1045 سراي وقصرا يحتوي على حمام خاص . وكذلك 11 حماما عاما ، كنيسة رومية وأخرى أرمنية . ومحطات استراحة للمسافرين تستحق الذكر أيضا .

ماناوغات Manavagat ، مركز قضاء في لواء علائية ، به 75 دارا ، جامع . له 40 قرية .

علائية Alaiye (آلانيا Alanya) ، مركز لواء إيالة آدنة الكائن في أقصى غربها ، سمي بهذا الاسم لفتحه من البيزنط على يد علاء الدين كيكباد . وضعت تحت تصرف أمير اللواء البحري الذي يتسلم سنويا راتبا قدره 250 000 آقجه ومخصصات قدرها 15000 ليرة ذهبا ، سفينتان حربيتان و 3000 جندي سباهي . يستوعب الميناء 2000 سفينة . **قلعته** على رابية مرتفعة جدا ومهيبة .. أعاد السلجوقيون بناءها . تحتوي على 83 برجا ، و 4000 حائط . له 5 أقضية (علائية ، ماناوغات ، آق سكي ، دوشنبه ، ايرادي) و 26 ناحية . قصبة كبيرة تحتوي على 1 100 دار ، 16 جامعا ومسجدا ، مدرستين ، 6 مكاتب ، 3 خانات ، حمام ، 150 دكانًا .

سلينتي Selinti (غازي باشا Gazipasa) ، قضاء صغير في لواء سلفكه (بكسر الحرفين الأول والثاني) ذو 26 قرية .

معمورِيّة Mamuriyye (آنامور Anamur) قضاء سلفكه تتبعه 30 قرية وأقرب رصيف بحري أناضولي إلى قبرص . تسير سفن كثيرة بين قبرص وآنامور . **كونلر** Cunler (كولنار Culnar) ، قضاء سلفكه ذو 37 قرية و 200 دار .

أرمنك Ermenek ، مركز أحد الأقضية الكبيرة في لواء سلفكه (إيجل Icel) . له ناحيتان ، 70 قرية ، 800 دار ، 4 جوامع ، مساجد عديدة ، 3 مدارس ، 6 مكاتب ، 3 خانات ، حمامان ، 17 حنفية مياه مبنية ، تكيتان وتكية مولوية واحدة . كانت قديما تابعة لإيالة قره مان . من مراكز بني قره مان القديمة .

كافرآباد ، قضاء في لواء قونيه المركزي ، يحتوي على قلعة ذات 30 برجا ، و جامعين ، 8 مساجد ، 3 مدارس .

لارنده Larende (قره مان karaman) أحد الأقضية الكبيرة للواء قونيه المركزي . أحد مدن عرش بني قره مان ، إلا أن العثمانيين عند انتقال إمارة قره مان إليهم لم يسكنوها و سكنوا المدينة الكبيرة قونيه . تحتوي على قلعة يحيط بها سور طوله 7 000 ذراع ، 7 126 دارا ، 10

جوامع و 43 مسجدا ، 8 مدارس ، و مطبخين للمحتاجين ، نحو 70 سراي وقصرًا ذا حمام ، 23 حنفية مياه مبنية ، 470 دكانًا وأبنية أخرى مماثلة .

موت Mut ، مركز قضاء في لواء إيجل (سلفكه) ، به 157 دارا ، و جامعا و مسجدا . يحتوي على منزل استراحة للمسافرين (كروانسراي قره مان أوغلو إبراهيم بك) ذو 200 غرفة ذات مواقد .

زين شريف Zeyn Sherif ، قضاء فى اللواء ذاته ، به أكثر من 200 دار .

سلفكه Silifke أو سَلَفكه (بفتح الحرفين الأول والثاني) Selefke ، مركز لواء Icel في إيالة أدنة . قريب إلى البحر الأبيض . كان اللواءان البحريان علائية وسلفكه تابعين لإيالة قبرص ، وعندما أصبحت أدنة إيالة ضما إلى إيالة أدنة ؛ وارتبطت قبرص بإيالة البحر الأبيض كلواء . يتسلم أمير اللواء سنويا 000 470 آقجه + 000 10 ليرة ذهبا . يرابط فيه 700 1 جندي . يحتوي على قلعة ذات 23 برجا ، بايزيد ، جامع علاء الدين كيكباد ، وجامعين آخرين ومساجد عديدة .

مرسين أوغلو أو مرسين Mersin ، قرية تركمانية مكونة من 70 دارا ، تابعة لقضاء قره طاش التابع لولاية سلفكه (مدينة مرسين الحالية) .

طرسوس Tarsus ، مركز لواء في إيالة أدنة . يتقاضى أمير اللواء راتبا قدره 235 260 آقجه ، يرابط فيه 200 2 جندي . يتكون من 5 أقضية : شرقا طرسوس ، كاسون ، شمالا أولاش ، وغربا كوكجه لي وفي أقصى الغرب الوانلر (الوانلي) . ويحتوي على قلعة ، 15 جامعا ، ومسجدا ، 6 مدارس ، 7 مكاتب ، حمامين ، سوق تحف ، به 80 دكانًا ، وسوق به 317 دكانا .

أدنة Adana ، مركز إيالة رمضان أو أدنة . كانت سابقا لواء لإيالة حلب . تكّونت إيالة أدنة بأخذ لواءي (علائية وسلفكه) من إيالة قبرص ولواءي أدنة وطرسوس من إيالة حلب ،ولواء سيس (قوزان) من إيالة مرعش (دلقادر) . كان بنو رمضان حتى عهد ياوز ، يحكمون لواء ادنه تحت إشراف المماليك ، ولما أعلن هؤلاء الأمراء التركمان خضوعهم لياوز ، فإنهم بالإضافة إلى إبقائهم قرابة عصر كامل ، إلى بداية العصر 17 ،

كأمراء لواء على أدنة ، فإن كثيرين منهم أصبحوا ولاة (بكلربك) وأمراء (بك) على العديد من الإيالات والألوية العثمانية . تعتبر أدنة من الإيالات الكبيرة . يتقاضى الوالي سنويا 000 1095 آقجه + 15000 ليرة ذهبا . يجهز 3000 جندي سباهي ، وعدا ذلك فإن للوالي 200 من جنود المعية . تحد الإيالة الإيالات التالية ؛ غربا أناضولي ، شمالا قره مان ، شرقا دلقادر ، وجنوبا نحو الشرق إيالة حلب . جنوبا البحر الأبيض وشمالا جبال طوروس . لواء أدنة المركزي يشمل السهل المسمى جوقواوفا وينقسم إلى 11 قضاء : أدنة ، نور ، برندي ، ميسيس ، قورد قولاغي ، قينق ، صاريجام ، قره قشله ، ديندارلي ، حاجيلي ، قره عيسالي (حقت) . تجهز الإيالة وقت الحرب 10000 جندي . لها قلعة ، وهي مدينة كبيرة تحتوي على 8720 دارا ، 5 جوامع ، 65 مسجدا ، 25 مدرسة ، 40 مكتبًا ، حمامين ، 17 خانا ، مطبخين للمحتاجين ، سوق رمضان أوغلو ذو 360 دكانا مبنيا بالحجر و 730 دكانا آخرى . ومما يجدر ذكره أيضا ، الجامع القديم في الكلية التي شيّدها رمضان أوغلو بيري محمد باشا في 1558 ، المدرسة ذات التحصيل العالي ومنزل للمسافرين به 120 موقدا . يصل طرفي المدينة الجسر الكائن على نهر جيحان والمزدحم ذو البرجين على طرفيه والبالغ طوله 550 ذراعا والمكون من 21 قنطره . قضاؤه المركزي ، يحتوي على نحو 11000 مزرعة كروم وحديقة . أسلوب الري ، الذي هو أحد أعمال بني رمضان الخيرية ، متفوق جدا .

ميسيس Misis ، قضاء في لواء أدنة المركزي له قلعة ، 380 دارا . يحتوي على جسر جيحان الكبير الذي شيّده محمد الرابع في 1661 . كانت في السابق مدينة كبيرة . وعندما تطّورت أدنة ، نزح سكانها إليها .

سيس Sis (قوزان Kozan) ، مركز لواء فى إيالة أدنة . راتب أمير اللواء 299 260 آقجه + 3000 ليرة ذهبا . هو اللواء الشمالي للإيالة ، يجّهز 1080 جنديا سباهي ، يتبعه 70 قرية . كانت كثافتها السكانية كبيرة فى السابق . والآن عبارة عن هضبة وقرية . أمير اللواء يحكم التركمان المقيمين فى الهضاب .

اثنين Isneyn ، مركز قضاء Kinik التابع للواء أدنة المركزي ، تتبعه 48 قرية .

ماراش Maras (مرعش Maras) ، مركز إيالة دلقادر أو ماراش . أحد مركزي بني دلقادر الذين تبعوا العثمانية منذ عهد يلدرم بايزيد (المركز الآخر البستان) وأسسوا روابط قرابة متينة مع بني عثمان . شغل بنو دلقادر مراكز مهمة فى إيالات وألوية الدولة الأخرى . راتب أمير الأمراء (بكلربك) 450 648 آقجه + 500 23 سكة ذهبية . تنقسم إلى 5 ألوية : ماراش ، عينتاب ، ملاطيه ، ساماد وقادرلي . تجّهز الإيالة 500 5 جندي يرابط فى لوائها المركزي 169 2 جنديا سباهيا » . ينقسم لواؤها المركزي إلى 12 قضاء : ماراش ، هاوسستول ، كورجينلك ، ينيجه ، زيتونيه ، برتيز ، كوينك ، يوروكان ، هارونية ، آندورون ، ألبكي ، نواهي . أصلح إبراهيم خان القلعة بعد سليمان خان في 1643 . توجد في جانبي القلعة أربعة تماثيل لـ 4 أسود مهيبة من الحجر الأسود . مدينة كبيرة تمتد على مسافة 7000 ذراع . تحتوي على 100 11 دار ، وقصر وسراي ، 28 مسجدا ، 11 مدرسة ، 40 مكتبًا ، مطبخين للمحتاجين ، 70 حنفية مياه مبنية ، 6 خانات ، 7 أسواق تحف و 1045 دكانا . إحدى مدارسها عالية .

بسني Besni ، قضاء في لواء ماراش المركزي ، يحتوي على 1040 دارا ، 10 جوامع ومساجد ، مدرستين ، 6 مكاتب ، 4 حمامات ، 75 دكانا . به قلعة وجامع سليمان خان .

عثمان ده ده Osman Dede ، قضاء عينتاب ذو 45 قرية ، 50 دارا .

عينتاب Ayntab (غازى عنتب Gaziantep) ، مركز لواء فى إيالة ماراش من فتوحات ياوز سلطان سليم من المُماليك . يتقاضى أمير اللواء راتبا قدره 130 235 آقجه + 25000 ليرة ذهبية . يرابط في اللواء 2800 جندي ، ويحتوي قضاؤها المركزي على 107 قرى . مدينة كبيرة . لها قلعة ، تحتوي على 8067 دارا وقصرا ، 19 جامعا و 121 مسجدا، 14 مدرسة ، أكثر من 140 مكتبا ، سوقي تحف ، 900 3 دكان ، نحو 46 تكية ، مطبخين للمحتاجين ، نحو 70 حنفية مياه مبنية فى الشوارع (جشمة) . تحتوي التكية المولوية التي شيّدت في 1638 على 45 غرفة . قلعتها ذات 26 برجا ، ويمكن إحصاء 70 مدفعا بها .

كلس Kilis ، مركز قضاء في لواء حلب المركزي ، مدينة مهمة . تحتوي على

4660 دارا ، 8 جوامع ، 22 مسجدا ، 7 مدارس ، 11 مكتبًا ، 9 حنفيات مياه مبنية ، 11 خانا ، 170 2 دكانا ، 40 مقهى ، 7 تكايا وأكثر من 20 قصرا ذا حمام . أكثرية الأعمال الخيرية أقامتها أسرة جان بولاد . تحتوي على قلعة .

18 ـ أناضول الشرقية :

تتكون هذه المنطقة في أواسط العصر 17 من 7 إيالات : طرابزون ، جلدر ، قارص ، وأن ، أرضروم ، دياربكر و رقّه (اورفه) . إيالتا دياربكر وارضروم مهمتان ، إيالة وأن متوسطة الأهمية والبقية إيالات صغيرة . كانت إيالات جلدر ، قارص ، طرابزون تمتد نحو قفقاسيا ، وأما إيالة رقّة ، فإنها تمتد نحو سورية والعراق . كانت هذه الإيالات السبعة واقعة بين جنوب – شرقي البحر الأسود سوريا والعراق ، وأناضول الوسطى وبين قفقاسيا وإيران .

على الرغم من أن جنوب – شرقي الأناضول خضع للحكم الإسلامى منذ القرن 7 ؛ فإنه توجد مناطق – كالمناطق المحيطة بطرابزون مثلا، لم يتم التحاقها بالأراضي الإسلامية إلا بعد فتح استانبول . ومن الممكن القول بأن أناضول الشرقية التي كوّنت بصورة عامة ، مناطق متطّورة في العهد السلجوقي ، أخذت تفقد أهميتها في العهد العثماني . يرجع هذا الوضع إلى وجود إيران شيعية ، تقطع ارتباط أناضول الشرقية بالشرق . أما في أواخر العصر 19 ، فإنه نتيجة تغير الطرق التجارية العالمية بصورة كلّية ، أو ربما الشغب والاضطرابات التي قام بها الأرمن بتحريض روسي وإنكليزي وفرنسي ، وأصبحت الأناضول الشرقية في عداد المناطق المتخّلفة . لقد أدى الوضع الجغرافي للمنطقة واتساعها ، إلى عدم إمكان استفادتها من وسائل المواصلات بالدرجة الكافية ، وهناك سبب آخر لتخلفها ، وهو عدم تمّكن الدولة العثمانية في هذه المنطقة ـ على عكس نجاحها في أقطار كثيرة أخرى ـ من القضاء على نظام القبائل والإقطاع والأغوات الشرقي الطراز جدا . بينما أخذت التكايا في روملي وأناضول القريبة سمة النوادي فقد كانت لها في أناضول الشرقية هوية أخرى .

فتح طرابزون فاتح في 1461 من إحدى السلالات الإمبراطورية البيزنطية ، ثم تبعت بعد ذلك إيالة روم (توقاط) كلواء ،حتى 1470 ، ثم أصبحت لواء مستقلا وتولى

إدارتها أولو شهزاده عبد الله (1470 – 1481) ، ثم أخوه ، شهزاده ياوز سليم ـ شاه (1487 – 1512) . كان اللواء يشمل ، عدا ولايتي طرابزون وريزه الحالية ، القسم الساحلي من آرتفين وشمال ولاية كموشخانه . وبعد إضافة لواء باطوم كذلك في 1512 ، تكّونت إيالة طرابزون أو باطوم . وفي دور التنظيمات ، أصبحت طرابزون إيالة تشمل كامل المنطقة الساحلية للبحر الأسود وجنوبها من آلاجام (داخله) إلى باطوم (داخله) . ازدهرت المدينة بتجارة الترانزيت ووصل عدد نفوسها في بداية القرن 18 إلى 180 000 نسمة ، ثم أخذت اعتبارا من هذا العصر في الضمور والتقّلص . كان بالإيالة في (1889) ، 690 1004 نسمة ؛ 986 194 منهم مسيحيون ، اللواء المركزي طرابزون 700 447 نسمة ؛ (975 334 أتراك ، 91000 روم ، 000 20 أرمن ، 200 1 أرمن كاثوليك ، 235 أرمن بروتستانت ، 290 أقليات أخرى) ، أما مدينة طرابزون فكان فيها 000 35 نسمة (500 19 أتراك ، 200 8 روم ، 6000 أرمن ، 300 1 أقليات أخرى) تعداد السكان في (1891) ، 315 45 نسمة).

أسس ياوز إيالة دياربكر عام 1515 من 12 ولاية (المركز ، ماردين ، سنجار ، بيره جك ، أورفه ، سيوه رك ، جرميك ، ارغاني ، خربوت ، عربيكر ، كيغيي ، جميشكزك) . أضيف إليها في 1526 ، ألوية موصل ، هيت ، دير ، رحبه ، عانه ، أما ميره جك ، فقد جعلت قضاء كسعرت وحسن كيفا . وأسس ياوز كذلك في 1515 ، إيالة ارزنجان من 8 ألوية (ارزنجان ، طرابزون ، بايبورت ، قره حصار ، كموشخانه ، كه ماه ، ترجان ، أسبير) . ثم ضم لواء طرابزون لإيالة أناضولي ، وأصبح بعد ذلك إيالة منفصلة كما كان في الفترة خلال 1512 ـ 1515 .

فصل القانوني بعد مدة شمال العراق عن دياربكر . وقّلص حدود الإيالة كثيرا وجعلها 23 لواء ، تشمل الولايات الحالية دياربكر ، بنكول ، طونجلي ، ألازغ ، أورفه ، ماردين ، بتلس ، حّكاري ، سعرت ، موش ومنطقة عربكير التابعة لملاطيه وعماديه الواقعة في جنوب حكّاري . كان أمراء اللواء المعينون من المركز يديرون منها 12 لواء (المركز ، كيغي ، جميشكزك ، عربكير ، أرغاني ، خربوت ، جرميك ، سيوه رك ، أورفه ، بيره جك ، ماردين ، سنجار) . و 11 لواء منها ، كان يديرها أمراء

(بكّات) الأكراد بصورة وراثية ومن قبل عائلة واحدة تسمى (يوردلك أو أوجاقلق) (بتلس ، جاباقجور ، بالو ، هزان ، جزره ، أكيل ، حسن كيفا ، سعرت ، شيراون ، ساسون ، عماديه ، حكاري) .

ألغى القانوني إيالة ارزنجان وأسس إيالة ارضروم (5 / 10 / 1535) ، وكان أول من تولى الإدارة (بكلربك) فيها ، هو ابن خال ياوز ، دلقادر أوغلو محمد باشا . تكّونت الإيالة من 12 لواء : ارضروم ، باسينلر (آفنيك) ، ليفانه (آرتفين) ، طرابزون ، قره حصار ، بايبورت ، ايسبير ، كيغي ، كه ماه ، ارزنجان ، جميشكزك ، أولطو . أسس القانوني في 1548 (آب) ، إيالة قارص ، وكان أول والٍ (بكلربك) عليها هو أخو محمد باشا وابن خال ياوز دلقادر أوغلو ميرزا - علي باشا (جد الشاعر الكبير نفعي لابيه) الذي صار فيما بعد واليا على تفليس أيضا . في 1548 ، أسس القانوني إيالة وان . وفي 1578 ، ارتفع عدد ألوية إيالة ارضروم إلى 22 لواء ، وإيالة وان إلى 15 لواء (وان ، عادل جواز ، بتلس ، حيزان ، شيروان ، أسبايرت ، مكس (بضم الحرفين الأول والثاني) ، أختمار ، وسطان (كواش) ، حكّاري ، الباك (باش قلعة) ، آغاكيس (أرجيش) ، كوتر الباقية حاليا لدى اذربيجان الجنوبية ، سلماس (دلمان) ، أورميه) .

أسست إيالة جلدر في 9 / 8 / / 1578 من 9 ألوية (المركز آخيسكه ، آخيلك ، آلطون قلعة ، أوسكخا ، ججرك ، اسبنجه ، خرطوس ، بوسوف ، جلدر . لم تفتح أقضية قارص ، طوزلوجه ، ايغدر ، آرالق من الصفويين ، إلا في 1583 ، بينما كانت حدود العثمانية تصل وقتئذ إلى أندونيزيا ، أفريقيا الوسطى وأوروبا الوسطى . ولم يتم الإستيلاء على آغري الحالية من الصفويين ، إلا في 1578 .. وفي غضون ذلك ، أسس العثمانيون مدينة جلدر وعّمروا وأسكنوا بوجه خارص أرضروم وقارص اللتين خلتا من السكان . وعند انتهاء إعمار قارص في 20 / 10 / 1579 ، أعيد تأسيس إيالة قارص من 5 ألوية (قارص ، كوله ، كاغزمان ، مكزبرد (عرب جاي) و كجيفان) . وأعيد تأسيس إيالة طرابزون مجددا في 1585 ، وأضيف إليها ألوية إيالة أرضروم الواقعة على البحر الأسود .

يصف أولياء جلبي هذه المنطقة التي تلت 1640 كما يلي (خلاصة قصيرة جدا) :

كيره سون Giresun ، مركز قضاء كبير فى لواء طرابزون المركزى ، ميناء وقلعه .

طرابزون Trabzon مركز إيالة طرابزون ، قلعة وميناء على البحر الأسود . يجهز 3000 جندي . إيالة صغيرة ذات 4 ألوية : طرابزون ، باطوم ، كونيه و جنحه (كموشخانه) . تحتوى المدينة على 7 جوامع ، ومساجد كثيرة جدا ، يذكر منها جامع أورطه حصار لفاتح ، وجامع دلقادر أوغلو عائشة خاتون والدة ياوز (وهي مدفونة فى قبرها الكائن فيه) (ولد السلطان سليمان القانوني في طرابزون عندما كان والده أمير لواء فيه) . بها 9 مدارس ، قبور كثيرة ، 7 حمامات ، 245 سراي وقصرا ذا حمام . مركز كبير للتجارة والثروة السمكية والصياغة .

سرمنه Surmene ، مركز قضاء ذو قلعة في لواء طرابزون المركزي .

ريزه Riza ، مركز قضاء وميناء في لواء طرابزون المركزي فتحها السلطان محمد الفاتح مع طرابزون .

كونيه Gonye ، مركز لواء فى إيالة طرابزون . ميناء وقلعة بعد ريزه . من الألوية الصغيرة . تجهّز 1 100 جندي . جميع الساحل حتى نهر جورو Coruh تابع لهذا اللواء .

اسفكسر Isfekser ، قضاء فى لواء شرقي قره حصار فى إيالة ارضروم .

قويلحصار Koyulhisar ، قضاء فى اللواء ذاته . فتحه أولا يلدرم خان ، وبصورة نهائية فاتح من آقويونلو .

ارضروم Erzurum ، كلمة محورة من Erzen - i Rum وقيل من أرض روم Arz -i Rum أيضا . مركز إيالة . يتكون من 12 لواء : ارضروم ، قره حصار شرقي ، ملازغرت ، طورطم ، اسبر ، تكمان ، خنس (بكسر الحرفين الأول والثاني) ، ياسين ، كيغي ، قورجان ، ميجنكرد ، ممروفان . راتب الوالي 1 200 000 آقجه . تجهز الإيالة 5269 جنديا « سباهي » ، ويبلغ مجموع ما تجهزهم مع الأصناف الآخرى 13000 جندي ، 2 500 منهم قابوقولو (الجيش العثماني الدائم غير الأجير الذى يتسلم راتبه من

الدولة رأسا) . تحتوى قلعتها على 180 مدفعا ملتصقا بعضها ببعض ، موضوعة على مسافات متقاربة . ارتفاع الأسوار 50 ذراعا . ذات 210 أبراج ، وجميعها تحتوي على مواضع لرمي الرصاص ، بها 2080 مانعا (بند) . بداخل القلعة 1 700 دار وتوجد في الضواحي 70 محلة للمسلمين و 7 للأرمن . يتكون باشا سراي ذو الـ 110 غرف من قصرين ، عدة صالات استقبال ، عدة حمامات واسطبلات . وتوجد 7 جوامع ، 70 مسجدا ، عدد كبير من المدارس ، 110 مكاتب ، تكايا وحنفيات مياه مبنية كثيرة جدا ، نحو 70 سبيل ماء ، 70 خان تجّار و 11 خان مسافرين ، سوق تحف ، دار مسكوكات النقود ، سوق كبير فيه 800 دكان ، وسوق آخر للصياغ وآخر للسراجين ، سوق السباهية ، وسوق القزّاز . مساحة أولو جامع 200 × 200 ذراع وهو من آثار آقويونلولر . يظهر أن المدينة كانت كبيرة على عهد السلاجقة ، و عندما تسلمها العثمانيون ، كانت عبارة عن أطلال خربة مهجورة . عمّرها وأسكنها مجددا سليمان خان .

حسن آباد Hasanabad ، مركز لواء في إيالة ارضروم ، وكان يطلق عليه كذلك اسم حسن قلعه سي ، حسن قلعه و باسينلر . راتب أمير اللواء 124 000 آقجه ، لواء صغير . يجهز 15 00 جندي . شيّد مراد الرابع في قلعته قصرا خلال ذهابه لحملة روان . وقد مّر بهذا الموقع قبلها كل من ياوز والقانوني لغرض الاستراحة . يحتوي على 590 دارا ، نحو 700 جندي ، 9 جوامع ومساجد ، أحدها جامع سليمان خان . ولد فيه الشاعر الكبير نفعي .

خنس Hinis ، مركز أحد الألوية المهمة في إيالة ارضروم . راتب أمير اللواء 484000 آقجه . يجهّز 2000 جندي . يحتوي على 1 200 دار ، 7 جوامع ومساجد .

آهيسكه Ahiska ، مركز إيالة جلدر . أقام والي هذه الإيالة التي انفصلت عن إيالة ارضروم ، في الموقع الذى شيّدته العثمانية المسمى جلدر وأقام كذلك في قارص ، وحاليا يقيم في آهيسكه . يتكون من 13 لواء : آهيسكه ، جلدر ، أولطو ، أردانوج ، أردخان ، شاوشاد ، هرتز ، هاجره ك ، بوستهار ، محجل ، بورته كرك ، ليفانه (آرتفين) ونيم ليفانه . كانت ألوية لورى ، برتك ، ساسن ، جكه لك ، هتاله ، ايسبير تابعة لهذه الإيالة أيضا . يتقاضى أمير الأمراء سنويا 000 400 آقجه راتبا + 000 3200

آقجه مخصصات . تحتوى الإيالة على 1060 قرية ، 1500 جندي سباهي ، 2000 جندي قابوقولو . أعطيت إدارة ألوية ساوشاد وليفانه إلى أمراء لواء ينحدرون من عائلة واحدة (بالتركية : أوجاقلق) . تتراوح رواتب أمراء اللواء بين 000 65 إلى 190 462 آقجه . تقع مدينة آهيسكه (حاليا في كرجستان) على نهر كورا Kura (Kur) ، ذات قلعة ، 28 جامعا ، ومسجدا ، سوق تحف (بدستان) ، 100 1 دار و 300 دكان . وتقع Kutalis على مسافة مرحلتين نحو الشمال ، كانت سابقا مركز إيالة ؛ والآن هى مركز حكومة آجيقباش الكردية ، وهى كالإيالة كذلك تحت إشراف والي جلدر . تبعد تفلس عن آهيسكه ، مسافة 5 مراحل .

قلعة **هاجرك** Hacerek ، مركز لواء يقع بين آهيسكه و أرد خان وقلعة **بوستهار** Postahar ، كذلك مركز لواء وهي أيضا من فتوحات فاتح قبرص لالا مصطفى باشا في 1577 . قلاع **شاوشاد** Savsad ، وفي أقصى الجنوب ـ الغربي **آردانوج**Ardanuc **و محجل** Mahcil أو حـــدجـــي Avhatei كلها مراكز ألوية صغيرة .

أردخانArdahan مركز لواء آخر فى الإيالة . ويطلق عليها كذلك قره أردخان . راتب أمير لوائها 000 300 آقجه ، له 1000 جندي . قلعة جميلة .

أولطوOltu ، على نهر Oltu مركز لواء آخر .

برتك Pertek كذلك مركز لواء من فتوحات لالا باشا أيضا ، وهي من القلاع التي استولى عليها الصفويون من الكرج سابقا .

كوله Gole ، كانت مركز لواء يتقاضى أميرها 300000 آقجه وحاليا مركز قضاء .

ينكYenek ، على مسافة 8 ساعات نحو الغرب من كوله ، من فتوحات ياوز ، مركز لواء يتقاضى أميره 000 400 أقجه

مامردان Mamerdan ، على مسافة ساعتين من ينك ، قلعة أخرى فتحها لالا باشا ، وحاليا مركز لواء فى إيالة ارضروم . بها 800 دار . راتب أمير اللواء 000 203 آقجه

وتشكل خان ده ده سي ، الحدود بين إيالتي ارضروم وقارص .

كيج قوان Geckovan ، مركز لواء صغير فى إيالة قارص يتقاضى أميرها 153 500 آقجه ، من فتوحات سليمان خان فى حملته إلى نهجوان . تجهّز 1200 جندي . تحتوي على 1 200 دار ، 50 دكانا ، 3 جوامع .

قارص Kars ، بينما كان لواء فى إيالة أرضروم ، ولفترة من الزمن في إيالة جلدر ، أصبح بين حين وآخر مركزا للإيالة . وحاليا مركز لإيالة صغيرة . راتب أمير الأمراء (الوالي) 600 000 . عبارة عن 8 ألوية صغيرة : قارص ، كغيزمان ، مغازبرد ، وريشان ، كجوان ، زارشاد ، خوجه جان وكوجوك آردخان . يرابط فى الإيالة 3000 جندي ، 1 500 منهم فى قلعة قارص . يتبع اللواء المركزى ، 10 أقضية و 18 ناحية . شيّد لالا مصطفى باشا المدينة وجميع مافيها . طول محيط القلعة 5 700 ذراع ، وبها 2080 موضع رماية . وتحوى على 3 200 دار ، 8 جوامع ، 39 مسجدا ، 7 مدارس ، 18 مكتبًا ، حمامين عموميين وسوق ذي 200 دكان . فى المدينة عدد قليل من المسيحيين الأرمن .

كاغيزمان Kagizman ، مركز لواء في قارص ، عبارة عن 700 دار ، ويرابط فيها 900 جندي .

مغازبرد Magazbird ، مركز لواء قارص من فتوحات سليمان خان ، به 600 دار ، يجري نهير Arpa أسفل قلعته . **زارشد** Zarsed ، مركز لواء قارص .

كموشخانه Gumushane وتعني باللغة العربية دار الفضة ، مركز في إيالة طرابزون . أطلق الشعب عليها هذا الاسم ، اسمها السابق جنحه Cenha أو جنحه Canea . حفرت الجبال والأحجار لاستخراج الفضة . هو أغنى منجم للفضة بين الـ 70 منجما العاملة حاليا فى الدولة العثمانية .

بايبورد Bayburd ، قلعة قضاء للواء ارضروم المركزي . فيها 1 300 دار . فتحها أولا يلدرم خان ثم فاتح من آقويونلولر ، وجلبوا 3000 شخص من تيره Tire وأسكنوهم فيها .

تورطم Tortum ، مركز لواء في إيالة ارضروم . يجّهز اللواء 6000 جندي . يحتوي

على 7 محلات ، 7 جوامع ومساجد ، 718 دارا ، 70 دكانا ، 10 مكاتب ، خانين ، ليس به مدرسة .

كماه ، مركز أحد الأقضية الكبيرة في لواء ارضروم المركزي ، به 600 دار ، 3 جوامع ، 8 مساجد ، قلعة ركز فيها 36 مدفعا قديما للزينة .

ارزنجان Erzincan ، مركز قضاء في لواء ارضروم المركزي . كانت لواء فى السابق ومركزا لإيالة قبل تأسيس إيالة ارضروم يحتوي على نحو 2000 دار ، قلعة ، 7 جوامع ، 63 مسجدا ، 7 تكايا ، عدة حمامات ، 11 خانا متوسط الحجم ، نحو 40 مكتبًا ، ويحتوي على سوق للتحف الثمينة . مكتبة تكيتها المولوية غنية جدا .

قره صار شرقي Karahisar - i Sarki (شبين قره حصار ، شرقي قره حصار ، دوغو قره حصار) ، يطلق عليها هذا الاسم للتفريق بينها وبين آفيون قره حصار . مركز اللواء الواقع في أقصى شرق إيالة ارضروم . فتحها أولا يلدرم خان ثم فاتح . يتقاضى أمير اللواء سنويا 000 130 آقجه راتبا + 000 600 1 آقجه مخصصات . لواء صغير يحتوي على قلعة ذات 50 مدفعا ، 1670 دارا ، 42 جامعا ومسجدا ، 3 تكايا ونحو 750 دكانا ، 4 خانات ، 7 مكاتب وسوق تحف . بداخل القلعة جامع فاتح .

نزب Nizip ، مركز قضاء فى لواء بيره جك فى إيالة رقه ، قصبة صغيرة .

بيره جك Bircck ، مركز لواء في إيالة رّقه (أورفه) . راتب أمير اللواء 220 295 آقجه . يرابط باللواء حوالي 2000 جندي وبه نحو 70 قرية تابعة لقضائها المركزي . ويحتوي على قلعة ، بها حوالي 1000 دار ، 11 جامعا ومسجدا ، ليس فيه مدرسة .

سروج Suruc (سرج Suruc) ، مركز لواء فى إيالة حلب . راتب أمير اللواء 900 277 آقجه .

أورفه Urfa ، مركز إيالة رّقه . فتح السلطان ياوز سليم كامل الإيالة من المماليك عام 1516 . وتسمى كذلك إيالة أورفه . اسم المدينة الأصلي رحا (بضم الحرف الأول) و « رحاوى » « Ruhavi » تعني « أورفه لى » أى من أهالى اوروفه ، وحّورت بلغة الشعب وبشكل خاطىء إلى « رحاوى » (بفتح الحرف الأول)

« Rehavi » . إيالة صغيرة . راتب أمير الأمراء 076 600 آقجه ، مخصصاته 000 20 سكة ذهب . تجّهز نحو 2600 جندي ، 1000 منهم فى اللواء المركزي . تحتوي المدينة على 4 مفتين على المذاهب الأربعة . للإيالة 8 ألوية ؟ أورفه ، جماسي ، خايور ، رّقه ، درجه ، بني ربيعة ، رحبه ، بيره جك . بها 2620 دارا ، قصر وسراي ، 22 جامعا ، 67 مسجدا ، 5 مدارس ، 30 مكتبًا ، سوقان للتحف ، 400 دكان ، معمل سراجه . أكثرية الأبنية من آثار العرب السلاجقة والمماليك . إن الماء الذى انبثق من النار وقت أن كان النمروذ يريد إحراق إبراهيم عليه السلام ، حاليا حوض جامع خليل الرحمن . وهو موقع زيارة كبير للمسلمين يحتوي على تكية ، مطبخ للفقراء (عمارت) ، أوقاف غنية . تحتوي المدينة على 10 خانات ومنزل مسافرين ، حوالي 70 قصرا ذا حمّام ، 8 حمامات عامة .

كرك Kerek ، مركز قضاء في إيالة ماراش .

صمصد Samsad ، قضاء آخر لماراش قريب منه ، وصار مركزا للواء أحيانا .

حرّان Harran (**الطوق باشاق** Altinbasak) ، بينما كانت مدينة كبيرة جدا على عهد العباسيين ، أصبحت الآن ناحية وقلعة خربة على أثر تردّي طرقها المائية .

رقّه مركز لواء يقع فى الصحراء قريب إلى الساحل الشمالي للفرات . وتسكن اللواء عشائر تركمانية وعربية .

قلعة جابر Cabir Kalesi ، تقع بين رقّه ومسكنه ، في الصحراء وعلى الشمال ـ الشرقي من الفرات . مركز قضاء فى لواء رقّه . قصبة صغيرة قرب القلعة والنهر . كامل المنطقة يسكنها التركمان ، ولا يسمحون للغريب بالقرب منها ، إذ إنها تحتوي على قبر سليمان ـ شاه الذي يقدسه التركمان ، ويطلق عليه كذلك « تورك مزارى » أى « القبرالتركي » .

بالس Balis ، مركز لواء فى إيالة حلب . راتب أمير اللواء 000 280 آقجه . يحتوي اللواء على 1060 جنديا . يقع بين حلب ورقّه . على مسافة منزل واحد من غرب رقّه .

جولاب Gulab ، قضاء لواء اورفه المركزي ، به 000 1 دار .

سيوه رك Siverek ، شمال جولاب ، مركز لواء في إيالة ديار بكر . راتب البك (الأمير) 043 213 آقجه . تجهّز 00 12 جندي . لها قلعة . رحبة ، Rahbe ، مركز أحد الألوية الكبار في إيالة اورفه . راتب البك 000 600 آقجه . يرابط فيه 800 جندي سباهي وجنود آخرون . يصب الزاب الأصغر في دجلة من أسفل قلعته . جنوب الموصل ، لواء إيالة اورفه الواقع في أقصى شرقه .

جرميكCermik ، مركز أحد الألوية في دياربكر . يتقاضى أميرها 400 299 آقجه .

كاهطهKahta ، قضاء ملاطيه . إن **حصن منصور** (منصور قلعه سي) ، يطلق عليه التركمان اسم « آدي يامان » Adiyaman ، هو قضاء اللواء المركزي لماراش ، تتبعه 70 قرية .

خربوت Harput ، مركز لواء في إيالة دياربكر . يجهز 200 2 جندي . قلعة جميلة من فتوحات بيبقلي محمد باشا على عهد السلطان ياوز سليم (لم تكن مدينة معمورة العزيز = ألازغ Elazig التي أسسها السلطان عبد العزيز نحو أواخر العصر 19 ، موجودة في ذلك الحين) . يحتوي على أكثر من 000 1 دار ، 9 جوامع ، مساجد كثيرة جدا ، 6 مدارس ، مايقرب من 50 مكتبا ، 20 قصرا ذا حمام ، سوقين للتحف ، سوق ذي 600 دكان ويوجد كذلك سوق للسراجين .

برتك PERREK ،مركز لواء في ديار بكر . راتب أمير اللواء 000 380 آقجه . **تجهّز** 800 جندي .

ساغمانSagman ، مركز لواء آخر في شرق برتك . راتب أميرها 057 369 آقجه . **تجّهز** 850 جنديا .

جميشكزك Cemiskezek ، مركز اللواء الواقع في أقصى غرب إيالة دياربكر . راتب أميرها 223 334 آقجه .

بالو Palu ، أحد مراكز الألوية في دياربكر يجهّز 000 2 جندي ، به 000 1 دار.

جابا قجور Capakcur (بنكول Bingol) ، مركز أحد الألوية في إيالة دياربكر ،

راتب أميرها 000 370 آقجه ومخصصاته 4 ملايين آقجه . يسكن في هذا اللواء نحو 000 200 من العشائر الرحل مع حوالى مليون رأس من أغنامهم .

كنج Gene ، مركز أحد الألوية فى دياربكر ويجهز نحو 000 1 جندي .

آتاك Atak ، مركز أحد الألوية الكبيرة في دياربكر ، يجهز 800 جندي ويتقاضى أميره 300 447 آقجه .

حازو Hazo (حزرو Hazro) ، مركز أحد الألوية في دياربكر يتقاضى أميره 000 200 آقجه ، وبه 500 جندي .

موش Mus ، مركز لواء في إيالة وان .

كيل Gil ، مركز أحد الألوية في دياربكر .

ارغني Ergani ، مركز أحد الألوية في دياربكر . به 3000 جندي .

مركز إيالة دياربكر ، هو **عامد** Amid (**دياربكر** Diyarbakir) ، ويطلق عليه التركمان اسم « قره عامد » (عامد الأسود) نسبة إلى قلعته المبنية بالحجر الأسود . مدينة كبيرة ، ظلّت في حوزة المسلمين منذ بداية االقرن السابع . فتح المنطقة والمدينة من الصفويين بأمر السلطان ياوز سليم في 1515 ، الوزير بيبقلي محمد باشا وقد تكوّنت في الحال إيالة ، وأصبحت مركزها من الإيالات الكبيرة . كانت مساحتها أكبر من قبل تكوين إيالتي رقّه (أورفه) و وان . يتقاضى أمير الأمراء راتبا قدره 200 1 000 آقجه + 000 50 ليرة ذهبًا مخصصات في السنة ، ويتقاضى قاضيها راتبا قدره 500 آقجه في اليوم + 000 800 آقجه مخصصات في السنة . شعبها شافعي وحنفي . وفور فتح هذه المنطقة التي تحمل اسم قبيلة بكر بن وائل من البيزنط ، أسكنت هذه القبيلة فيها . يسكن الإيالة حاليا ، قليل من العرب . تحتوي الإيالة – بموجب قانون السلطان سليم خان – على نوعين من الألوية وهي التي تسمى « الألوية العثمانية » و « الألوية الكردية » . الألوية العثمانية ، كألوية الإمبراطورية الأخرى يرسل إليها أمير اللواء (سنجق بك) من استانبول وهي : المركز عامد ، سعرت ، أرغاني ، سيوهرك ، نصيبين ، آقجه قلعة حصن كيفا ، ميّافارقين (سلفان) ، جميشكزك (تونجلي) ، خربوت (ألازغ) ، سنجار ، خابور ، قربنصيبين Vrb - Inusaylin ، والأخير لواء مكون من العشائر . والألوية التي كانت كردية في السابق وأصبحت الآن ألوية عثمانية هي = برتك ، جابا قجور (بينكول) ، جرميك ، كولب ، صاغمان ، آتاك ،

ترجيل ، مهرانية . والألوية الكردية حاليا هي الألوية الـ 5 التالية : جزيرة (جزره) ، أكيل ، كنج ، بالو وهازو (هازرو) . وكما أن هذه الألوية أعطيت إلى بكّات الأكراد بصورة وراثية ، وإلى ذات العائلة ، فإنها كذلك خالية من تشكيلات التيمار . يشترك أمير اللواء الكردي بعدد محدد من جنده في القتال تابعا لأمر أمير أمراء (بكلربك) دياربكر ويرسل سنويا ضريبة معيّنة إلى عامد . لكن القاضي يرسل من استانبول ؛ حيث أن رتبة القضاء ، رتبة العلمية (صنف رجال الدين) لايمكن منحها إلا من استنابول . ولا يجوز لأي وزير أن يمنح رتبة « علمية » . والسبب في تبديل الوضع السابق للألوية التي كانت كردية في 1515 ثم أصبحت خلال عصر ونصف ، ألوية عثمانية ، هو اما وفاة الوالي (بكلربك) الذي لم يخلف ابنا ، واما أن أمراءهم خالفوا أمر والي دياربكر . يرابط في لواء عامد المركزي 5 000 جندي سباهي وفي كامل الإيالة ، 30 000 جندي . قلعة عامد كبيرة جدا . يجري نهر دجلة من تحت القلعة ويرى كالخيط . جدّدها البيزنطيون ، العرب ، السلجوقيون ، دولة آق قويونلو والصفويون . ارتفاع السور 40 ذراعا محيطه 4 000 ذراع . سراي أمير الأمراء الذي يحتوي على 150 غرفي وعدة صالات استقبال ، وله مشتملات ، من أفخم سرايات الولاة الكائنة في الأراضي العثمانية . بدأ إنشاءه فاتح دياربكر بيـيقلي محمد باشا ، ووسعه كل من الولاة الذين تلوه ، وذلك ببناء أقسام إضافية له . كسا العثمانيون أولو جامع ، أحد الجوامع الـ 16 بالرصاص . قواد عديدون ابتداء من خالد بن الوليد إلى بيـيقلي محمد باشا ، بنوا جوامع . مدرسة مرجانية المجاورة للجامع ، مدرسة عالية . هناك 7 مدارس أخرى تدرس العلوم العالية . عدا ذلك يوجد عدد غير قليل من المدارس وعدد كبير من المساجد والمكاتب والتكايا . وحوالى 70 سراي وقصرا . صناعات الحديد ، الأسلحة الجارحة والصياغة متقدمة جدا ومنتشرة . يحتوي على 13 حماما كبيرا ، بضعة حمامات صغيرة ، والعديد من دورات المياه . المدينة مرفأ نهري فعّال على نهر دجلة . تجري سفرات منتظمة عن طريق النهر بالكلك (الطوف) من عامد إلى بغداد والبصرة . تسير السفن في الفرات ولكن يسير الكلك في دجلة بواسطة قرب منفوخة . وفي 1655 ، صرف الوزير سلاحدار قره مصطفى باشا كل ثروته البالغة 40 مليون آقجه (92 مليون دولار) في سبيل الله لإصلاح مجرى ديالي قرب بغداد وتنظيف مجرى دجلة وتوزيع الماء ، وحقّق عملا

خيريا كبيرا جدا . تحتوي الإيالة على 176 قلعة وحوالي 100 قلعة مهدمة .

ماردين Mardin (Mardin) ، مركز لواء في إيالة دياربكر . يتقاضى أمير اللواء سنويا مبلغ 200000 آقجه راتبا + 10000 ليرة ذهبا مخصصات . يحتوي اللواء على 1060 جنديا سباهيا و نحو 1000 جندي من الأصناف الأخرى . فتح بيبقلي محمد باشا ، ماردين كذلك من الصفويين . **سنجار** ، مركز لواء في دياربكر . يقع في السفح الجنوبي لجبل سنجار (حاليا في العراق) . قصبة صغيرة ذات قلعة يحيطها سور طوله 7000 ذراع . يسكن اليزيديون في المنطقة . له جامع واحد ومدرسة واحدة . تسمى هذه المنطقة ديار ربيعة ، وهي القبيلة العربية التي أسكنت هذه المنطقة في الفتح الإسلامي الذي جرى في أوائل القرن السابع .

ميافارقين Meyyafarikiyn (سلفان) ، مركز لواء في إيالة دياربكر . يقع بين عامد وسعرت . قلعة صفوية استسلمت لبيبقلي محمد باشا دون قتال . ويُظن أنها كانت مدينة كبيرة في الماضي . يحيط بالمدينة سور طوله 11 000 ذراع . تحتوي على حوالي 1000 دار . توجد فيها آثار إسلامية غنية من مخلفات العصور القديمة .

حازو Hazo (حزرو Hazro) مركز لواء في دياربكر ذو 1 150 دارا .

بتليس Bitlis ، مركز لواء في إيالة وان . يعين لها منذ عهد ياوز أمراء لواء (سنجق بك) وباستثناء مرة أو مرتين ، أعطيت إلى العائلة المسماة شرف _ خانلر . وكما هو الحال بالنسبة لبكات الأكراد الآخرين ، فإنهم لا يلقبون بلقب « بك » ويلقبون بلقب « خان » . وهؤلاء أغنى وأشهر بكّات الأكراد . يشغل سراي الخان « خان سرايي » نصف المساحة التي تشغلها قلعته البالغة 4000 × 4000 ذراع . الخان بمرتبة بكلربك (أمير الأمراء) وله 2000 جندي . أحد أطراف اللواء ، يصل إلى بحيرة وان وتسكنه نحو 70 عشيرة . يبلغ عدد نفوس مدينة بتليس 40 000 نسمة . يسكن في اللواء 43000 مسيحي . يتقاضى الخان نصف ضريبة الجزية التي يدفعها هؤلاء ويرسل النصف الباقي إلى والي وان .

يوجد في اللواء تشكيلات تيمار ويجهز نحو 1000 تيمارلي سباهي ، وهم الذين أعطيت إدارتهم لبكلر بك وان . وهؤلاء غير جنود شرف خان . قضاء بتليس المركزي ينقسم إلى 18 ناحية . أكثرية الشعب المسلم وسلالة شرف خان شافعيون . ورغم ذلك فإن

بعض بكّات هذه العائلة تعاونوا مع الصفويين . تحتوي المدينة على 110 جوامع ومساجد ، 4 مدارس ، نحو 70 مكتبًا ، حوالي 70 دورة مياه ، 41 سبيلا ، نحو 20 تكية ، 9 خانات ، 11 جسرا حجريا ، 1 200 دكان ، نحو 5000 دار . وعدا ذلك توجد مكاتب (مدارس) تدريس القرآن الكريم التابعة لأكثرية الجوامع والمدارس . يعيش حاليا في المدينة 7 شعراء أصحاب دواوين تركية . الخان الحالي متزوج بخانم ـ سلطان ، هي ابنة بنت سليم الثاني . نحو 100 جارية فى خدمة الخانم ـ سلطان ونحو 600 قصر يحتوي على حمام خاص . يحتوي القضاء المركزي على مزارع كروم كثيرة جدا .

تطوانTatvan ، هو رصيف بتليس المائي على بحيرة وان ، وهو ناحية لواء وان المركزي . بحيرة وان كاملة محاطة بإيالة وان . يوجد على طريق بتليس ـ تطوان منزل المسافرين الكبير الذي بناه خسرو باشا ، من ولاة وان السابقين .

آهلاط Ahlat ، مركز لواء موش في إيالة وان . سكنها أمير لواء موش بدلا من موش منذ مدة . من أمراء اللواء الكبار الذين يتقاضون راتبا قدره 410 000 آقجه + 20 كيسة مخصصات . له جنود عددهم 1000 جندي سباهي و 500 جندي معية . آهلاط ، رصيف مائي على الساحل الشمالي ـ الغربي من بحيرة وان . يظهر أنها كانت مدينة كبيرة في الماضي . عاش فيها العثمانيون عصرا ونصف عصر قبل مجيئهم في 1231 إلى سواحل سقاريا . يرقد في آهلاط جميع أجداد عثمان غازي ، وقبر قايا ألب جد أرطغول غازي ، مزار وطني كبير . حنَّط أكثرهم . سلم الصفويون آهلاط إلى العثمانيين خربة وخالية من السكان . أحيا المدينة الوزير داماد زال محمود باشا ، أبو زوجة شرف خان الحالي بواسطة المعمار سنان . وفي 1556 بنى فيها قلعة ، 350 دارا ، جامع سليمان باشا ، خانا وحماما .

عادلجواز ، مركز لواء في إيالة وان . مرفأ وقلعة على الساحل الشمالي من وان . وعلى السفح الجنوبي من جبل سبحان (4 434 م) وهذا الجبل أعلى قمة بين جبال الأناضول بعد جبل آغرى . لواء صغير يتقاضى أميره 154036 آقجه راتبا + 4000 ليرة ذهبا مخصصات . له 1000 جندي سباهي ونحو 600 جندي معيّة وجنود حامية القلعة .

تحتوي القلعة على 76 مدفعا وجامع سليمان خان ، طول محيط القلعة 4000 ذارع تحتوي على 8 محلات ، 8 جوامع ومساجد نحو 70 قصرا ذا حمام . ولها أيضا كلية زال محمود باشا . يحتوي قضاؤها المركزي على مايقرب من 7000 مزرعة كروم .

أرجش Ercis ، أحد مراكز الألوية في إيالة وان . قريب إلى ساحل الخليج في شمال ـ شرق البحيرة . يتقاضى أمير اللواء 000 300 آقجه راتبا + 10 كيسة مخصصات . له 1000 جندي سباهي وألف جندي معية ، وعدا ذلك جنود حامية القلعة . ومن الممكن أن يجهز نحو 6000 جندي تحتوي قلعته على 110 مدافع ، 1000 دار ، 200 دكان ، جامع سليمان خان ، ومنشآت خيرية أخرى . لايوجد في أرجش سكان محليون . جلب سليمان خان الأتراك ، الألبان والبوشناق من روملي إلى المدينة وأسكنهم فيها ، سكانها هم أبناء أولئك . ذلك أن الصفويين تركوا أرجيش إلى العثمانيين خربة وخالية من السكان كذلك .

باركيري Bargiri مركز لواء غير كبير في إيالة وان . راتب أمير اللواء 000 200 آقجه . لواء كردي يتولى إدارته أمراء (بكّات) عشيرة محمودي . والأمير الحالي هو صهر آبدال خان حاكم بتليس الحالي من سلالة شرف خان . يشترك أمير اللواء في القتال مع 3000 جندي . ورغم أن اللواء من الألوية الوراثية ، لكنه يحتوي على تشكيلات التيمار . خضع الأمير المحمودي ، لسليمان خان في 1548 دون قتال ، ترك البادشاه اللواء له ولعائلته بصورة وراثية .

وان Van ، فتحها السلطان سليمان خان من الصفويين . وكون إيالة وان ، شرق إيالة دياربكر وعلى حدود الصفويين . قلعة وان ، هي إحدى أقوى قلاع العثمانية تحكيما . يبلغ ارتفاع القلعة من الأسفل إلى أعلى نقطة فيها 100 4 ذراع . لها 600 مخزن مليئة إلى نهايتها بالمهمات ، الذخائر العتاد . لها 70 برجا . طول محيطها 11000 ذراع . وفي كل 24 ساعة ، يبدل 500 حارس لحراسة القلعة . أكثرية المدافع الموجودة والبالغة 760 مدفعا موضوعة في أماكن خفية . لايمكن تحديد أماكنها أبدا قبل فتح النار . يرابط في القلعة 3000 إنكشاري ، 1000 جيبه جي (صنف تجهيزات الجيش) ، 1000 مدفعي (جمعا 5000 جندي) قابوقولو مع نحو 1000 جندي حامية للقلعة . إيالة وان من الإيالات الكبيرة ، يتقاضى أمير أمرائها الوزير سنويا 000 132 1 آقجه راتبا + 000 20 ليرة ذهبا

مخصصات . إيرادات الإيالة سنويا من الضرائب 24 مليون آقجه . تجهز الإيالة نحو 3000 جندي تمارلي سباهي ، هذا عدا الأصناف الأخرى . تتكون من 38 لواء ، منها 21 لواء عثمانيا + 17 لواء كرديا . وحوالي 700 قرية ، تتبع للوائها المركزي . ترك الصفويون مدينة وان وقلعتها إلى العثمانيين بصورة خربة وخالية من السكان ، وصلت المدينة إلى وضعها الحالي بفضل سليمان خان . استمر الاعمار بعدها . يحتوى باشا سراي على 600 غرفة بطابقين . الشوارع ، نظيفة جدا وذات أرصفة . مدينة كبيرة ذات 800 8 دار ، 3 محلات من محلاتها للأرمن ، وتحتوي على نحو 700 قصر ذي حمام . تحتوي القلعة وكذلك الضواحي على جامعي سليمان خان . أعدت وان بشكل تتمكن فيه الحملات الإيرانية من تجهيز 48000 جندي . سار الصدر الأعظم السابق ملك إبراهيم باشا ، بصفته واليا على وان ، من وان وجاء إلى بتليس يوم 28 / 7 / 1655 مع 000 40 جندي .

خوشاب Hosâb ، مركز لواء ارثي في إيالة وان . يديرها منذ قرنين ونصف فرع من فروع المحموديين .

قره جه قلعة Karacakale ، مركز أحد الألوية التي أعطيت إلى أحد الأمراء المحموديين كذلك .

بنياش Pinyanis ، مركز أحد الألوية الصغيرة المعطاة إلى أمير محمودى آخر . الحياة هنا بدائية ، ولا تشبه الحياة فى بقية المناطق العثمانية

سعرت Siirt (سعرد Si'ird) ، مركز لواء فى إيالة دياربكر ، وشرقها لواء **حكارى** Hakkâri ، يتقاضى أميره 883 333 آقجه ، له 800 جندي سباهي ، 500 حندي معيه .

زريكلي ، مركز أحد الألوية الوراثية التي تسكنها 20 قبيلة .

ملازغرت Malazgirt ، مركز أحد الألوية الصغيرة التي يتقاضى أميرها 000 100 آقجه . له 500 1 جندي تمارلي سباهي ، ولكن يمكن تجهيز 8000 جندي . مدينة صغيرة تحتوي على 2000 دار ، 50 دكانا ، مدرستين ، 7 مكاتب ومؤسسات خيرية أخرى .

19 _ قفقاسيا

إن الإيالات العثمانية الواقعة بين قفقاسيا الجنوبية والشمالية وبين إيران الغربية ، هي الإيالات التي كانت تتناوش مع إيران بصورة مستمرة خلال القرون 16 و 17 ، و 18 والتي تتبع العثمانية أحيانا ، وإيران فى أكثر الأحيان . أما خوزستان (عربستان إيران) المنطقة الواقعة في إيران الغربية والممتدة من خليج البصرة إلى قفقاسيا من الجنوب إلى الشمال ، شمالها لورستان (سينة) ، وشمال هذه كيرمان _ شاه ، وشمالها _ الغربي همدان ثم أردلان أو كردستا ، شرقها خمسة ، فكلها إيالات إيران الغربية التي بقيت تحت حكم العثمانية بصورة مؤقتة . سكان هذه الإيالات خليط من الأتراك والفرس والأكراد ، (يشكل الأتراك الأكثرية في خمسة وهمدان) يوجد عرب كذلك فى خوزستان في الجنوب . أما فى الشمال _ الغربي في آذريجان الجنوبية (آذربيجان إيران) أهم إيالة فى إيران ، فإن كل سكانها أتراك ، تمتد بين الأناضول وبحر الخزر ويشكل نهر آراس حدودها الشمالية ، وعدا ذلك ، دخلت في حكم العثمانية أو تبعتها ، بعض المناطق التي ظلت ضمن إيران الحالية . وإحداها إيالة كيلان الواقعة على الجنوب _ الغربي من بحر الخزر والتي يسكنها الإيرانيون الخلص ، إلا أن الشافعيين يشكلون أكثرية هؤلاء السكان وأصبح للعثمانيين نفوذ فى إيالة فارس كذلك ، التي يسكنها الإيرانيون والأتراك بصورة مشتركة

أما قفقاسيا ، فإن قفقاسيا الجنوبية هي البلاد الواقعة بين نهر آراس وجبال القفقاس والتي تمتد بين البحر الأسود وبحر الخزر ؛ وقفقاسيا الشمالية هي البلاد الممتدة بين البحرين كذلك والتي تقع شمال جبال القفقاس تقع قفقاسيا الجنوبية في قارة آسيا ؛ أما قفقاسيا الشمالية فإنها تقع في قارة اوروبا ؛ إذ ان جبال القفقاس الكبرى تفصل بين القارتين . سكان البلاد الواقعة في شرق قفقاسيا الجنوبية والتي تصل حتي بحر الخزر والمسماة آذربيجان الشمالية (آذربيجان السوفيتية الحالية) أتراك تماما . تنقسم إلى مناطق كشيروان ، عرّان ، ناهجوان . جنوبها ـ الغربي ، هو المنطقة التي تسمى

روان وهي أرمنستان السوفيتية الحالية ، وحتى العصر 19 كان في هذه المنطقة أقلية قليلة جدا من الأرمن ، ويسكنها الأتراك ، وكانت جزءا من آذربيجان الشمالية . أما القسم الكائن في غرب قفقاسيا الجنوبية والذي يصل حتى البحر الأسود ، فهو كرجستان . كون الكرج هنا عدة ملكيات وإمارات . عاشوا يتبعون العثمانية حينا والصفويين حينا آخر ، كما توجد أيضا أقلية تركية . ورغم أن قسما من الكرج أصبحوا مسلمين خلصا ضمن الإدارة العثمانية ، فإن الأكثرية بقيت على الديانة المسيحية الأرثوذكسية .

القسم الجنوبي – الغربي من هذا القطر ، هو آجارستان (باطوم) الواقع على البحر الأسود ، والآجاريون أتراك قيبجاق ، وقد أصبحوا كرجا من الناحية اللغوية وتقبلوا الأرثوذكسية ، واهتدوا إلى الإسلام في القرن 16 تحت ظل الإدارة العثمانية ، وقسم منهم فقط بدأ يتكلم اللغة التركية ، وقسم آخر منهم ما زال يتكلم اللغة الكرجية رغم إسلامه . الكرج هم أكثف الأقوام القفقاسية نفوسا

وقسم كرجستان الشمالي – الغربي الذي يتاخم البحر الأسود أيضا ، هو آبهازستان أو آبهاضستان ، ويسكن فيه الأبهاضة الذين أسلموا على عهد الإدارة العثمانية (الأبهاض العثمانيون) ، وهم قوم قفقاسي يتكلم لغته القومية ، وقد استترك الذين هاجروا منهم إلى القطر العثماني

أما قفقاسيا الشمالية فتمتاز بأنها تموج بالقوميات واللغات الصغيرة ، وهي تفوق في ذلك بكثير قفقاسيا الجنوبية . أكثر سكانها هم الجركس . يعيشون في الجبال كقبائل . استترك الذين هاجر منهم إلى البلاد العثمانية . لم يتمكن العثمانيون من إدخال الذين ثبتوا في أماكنهم إلى الدين الإسلامي إلا في نهاية العصر 18 . مازال هؤلاء ينطقون باللغة الجركسية . تعيش كذلك أقوام كثيرة في القسم المتاخم لشرق بحر الخزر من قفقاسيا الشمالية . الآفاريون منهم أتراك (الشيخ شامل ينتسب إلى هذا القوم) وقد كانوا في الأزمنة المتقدمة مسلمين شافعيين وبعضهم أحناف قاوموا الصفويين كثيرا وناصروا العثمانية لكونهم سنّة . على نطاق واسع ، اهتدت قوميات كثيرة على يد العثمانيين في قفقاسيا إلى الدين الإسلامي ، كانوا وثنيين يحيون حياة قبلية (الأوسيت Oset ،

اللزكيون Lezgi الجحان œcen ، الانكوش Ingus ... إلخ) أما البلقاريون Balkar والقره جاى Karacay فإنهم أتراك ، النوكاى أتراك كذلك . وهناك قسم قليل من المغول أيضا .. تقّبلت أقوام قفقاسيا الشمالية الثقافة التركية . واستترك الذين تركوا الجبال على نطاق واسع وهاجروا إلى الأقطار العثمانية .

الإيالات العثمانية غير المستقرة والتى تبدلت ألويتها ، وتغيرت ملكيتها ، والتي انحلت ثم أعيد تأسيسها في هذه المنطقة ــ لا تشابه الإيالات التي دامت عصورا طويلة – بعضها 400 و 500 سنة – في الأقطار العثمانية الأخرى . لذا يجب تجاوزها بعد تقديم بعض النماذج فقط . فمثلا إيالة كنجه ، 1588 – 1606 = 18 + 1723 – 1735 = 12 = (جمعا مدة 30 عاما) . كانت 8 ألوية : كنجه ذات 12 قضاء ، برزعه ذات 5 أقضية ، هاجين ذات 9 أقضية ، آهس آباد ذات 5 أقضية . ديزاك ذات 4 أقضية ، هكرى ذات 4 أقضية وفيرندة ، ذات القضاء الواحد (أرشيف رئاسة الوزارة ، **طابو** ، 699) . كانت تشمل شرق آذربيجان الشمالية المسمى شيروان . انتهى نفوذ الأتراك في تفليس في 15 / 8 / 1783 وذلك باضطرار الملك هيراكليوس الذي يلقبه الأتراك بـ « أركلي خان » للخضوع لروسيا ، رغم أنه أصبح حاكما رسميا في 1776 بمنشور العثمانية . كان الخان التركي فى باكو لايزال في 1813 يعلن تبعيته للبادشاه . لكن نهايته كانت قريبة ، ونفوذ العثمانية في الخزر كان على وشك الانتهاء .

إيالة **تبريز** كذلك تأسست وانحلت مرات عديدة . كانت الإيالة التى تكونت في 21 / 8 / 1534 تتألف من 15 لواء ؛ 5 من هذه الألوية بقيت حاليا لدى تركية ، 3 منها لدى روسيا و 7 لدى إيران : تبريز ، ناهجوان ، مراغة ، مشكين ، آفوهكان (موش) ، مهراني (Lice / دياربكر) ، وستان (Gevas / وان) ، جولمريك (حكّارى) ، سلماس ، روان ، كمرل ، اورميه ، درياس ، داين (آغرى Avri) ، جالديران (ماكو) . وإيالة همدان التي أسسها القانوني فى ذات التاريخ ، كانت 6 ألوية ؛ همدان ، كاشان ، قم ، شاو ، شهريار ، اسنجك . بني الصدر الأعظم اوزدمير أوغلو عثمان باشا في تبريز خلال 45 يوما قلعة طول الأسوار المحيطة بها 700 12 ذراع وتستوعب 45 ألف جندي ، وبها منزل استراحة للمسافرين وكلية ،

هدم الشاه عباس هذه القلعة من الأساس عند استرجاعه تبريز بعد 20 عاما (**تاريخا اعلم آراي عباسي** ، 441 ، 451) يقال إن نفوس تبريز في 1673كانت لاتزال 550 000 نسمة (Chardin ، 2 ، 328) . هذه المدينة التركية المهمة جدا التي فتحها ياوز لأول مرة ، وأول عاصمة للصفويين ، دخلت بين الحين والآخر ضمن النفوذ العثماني وخرجت منه . دخل الجيش العثماني المدينة ثانية فى 8 / 1/ 1915 . جاء الروس بعد 23 يوما . أخذت تبريز مرة أخرى في 18 / 6 / 1918 . دخل المدينة في 8 تموز على إحسان سابس باشا ، وفي 25 آب كاظم قره بكر باشا . لكن المدينة أخليت بعد 5 أشهر .

دخل العثمانيون منطقة كرجستان بالأسطول الذي أرسله فاتح في 1451 ، وفتحهم آبهاضستان (قلعة سوخم) وفتحهم آجارستان (باطوم) في 1479 . ظلت آجارستان بحوزة العثمانية حتي 1877 ، ثم انتقلت ثانية إلى العثمانية في 1918 _ 19 وبذلك يكون حكم العثمانية قد استمر فيها 400 سنة . أما في آبهاضستان ، فقد دام حكمها 359 سنة حتي الاستيلاء الروسي في 1810 . كذلك سواحل آنابا وجركز ستان من شبه جزيرة تامان إلى سوجي ، بقيت لدى العثمانية من عام 1479 حتى الاحتلال الروسي فى 1810 . أما فى كرجستان الأصلية ، فإن الإيالات العثمانية تأسست ثم انحلت ، وظلت على الأكثر كمنطقة محمية لدى ملوك وأمراء الكرج تحت إشراف وتبعية العثمانية .

أسس القانونى في 1548 إيالة نوكاي Nogay في شمال جركزستان وداغستان ، في المنطقة المنحصرة بين بحر آزاك ودلتا الفولغا في شمال قفقاسيا . وفي 1580 ، وحّدت الألوية القديمة . أسست إيالة البحر الأسود الشمالية التي تسمى « إيالة كفة » ، وأعطيت لهذه الإيالة إدارة كل السواحل الشمالية وبحر آزاك الذي يسميه الأتراك « بحر قرم » . كانت 6 ألوية : كفة ، كرج ، بندر ، آكرمان ، قيلبورون ، آزاك (روستوف) .

كانت إيالة Kiçi Nogay لاتزال مستمرة في 1578 . أسس أوزدمير أوغلو إيالة تفليس في 24 / 8 / 1578 . أخذت إيالة تفليس في 1728 ، من إدارة ملوك الكرج وشكلت مجّددا من6 ألوية : تفليس ، غوري ، سومهورت ، آغجاقلعة ، Tiryaled ، قايغولو : وتأسست فى 1578/9/1 إيالة Kakhet في شرق كرجستان . أعيد تأسيس إيالة شيروان

فى 1578 من 12 لواء : Saadru, Zerdab Saburan, Aktas, Kabala, Eres ، باكو ، ساليان ، حوض لحج ، كورة ، شكي ، آهتي . كانت هذه الإيالة الواسعة تشمل القسم الأعظم من السواحل الغربية لبحر الخزر ، حتى حدود الأناضول . ولصعوبة إدارتها ، تجزأت بعد 4 سنوات و 9 أشهر 11 يوما إلى 3 إيالات (قرار الديوان الهمايوني المؤرخ 26 / 6 / 1583 : Muhimme 49 ، 373) : تحتوي إيالة Eres على ألوية : (أرش ، شكي ، قبالة ، اقتاش ، قضالي ، آجن ، سالق ، جواد) ، إيالة شماهي (شماهي ، آختي ، زرداب ، سعدرو ، باكو ، ساليان ، حوض لحج) ، إيالة دمير قابو (دربند / داغستان) (دربند ، شابوران ، كوبا ، مسكر ، كورة ، جراك ، رستاف) . وفي 1590 أدمجت إيالة أرش برمتها في شماهي

كانت روان وكوكجه كول أكثر المناطق ازدحاما بالسكان الأتراك . وفي العصر الأخير بدأ الأرمن يردون إليها بكثرة ، وهؤلاء إما أنهم أفنوا الأتراك عن بكرة أبيهم ، وإما اضطهدوهم وسببوا هربهم . وفي الاحصاء الذي أجراه الروس في 1908 ، كان لايزال في لواء روان (Erivan) الروسي 149 65 تركيا مقابل 329 55 أرمنيا

تأسست فى كرجستان إيالات لورو (8 / 8 / 1584) ، تومانيس (30 / 9 / 1584) ، كورو Goru (Gori) (2 / 10 / 1587) . وفي 1578 ، رفعت سوخوم من نظام اللواء إلى نظام الإيالة . وتأسست خلال هذه الأيام كذلك إيالة ناهجوان . وينبغي هنا أن نذكر أن تبعية إمارة (خانلق) باشكردستان لبني جنكيز في أقصى الشمال إلى العثمانية كانت في تاريخ متأخر (1708 _ 1728 + 1735 – 1737)

وننقل فيما يلي سطورا من كتابة أولياء جلبي عن هذه المنطقة في أواسط العصر 17 :

آنابا ، ميناء وقلعة ، مركز قضاء في لواء تامان التابع لإيالة كفة . على مقربة من جنوب نهر كوبان ، مجاور لخليج كرج . فتحه كديك أحمد باشا في 1475 بواسطة أسطول بحرى **تامان** ، على مقربة من الشمال الغربي ، على الساحل الشرقي من

بوغاز كرج . آزاك ، مركز لواء آخر (Azov / Roshov) في إيالة كفة . قلعة كبيرة على مصب نهر الدون . أعيد إنشاء القلعة مجددا نحو 1640 وجهزت بمهمات كثيرة وتكلف ذلك مبلغ 200 مليون آقجه (350 مليون دولار) .

كانت قلعة **مكو** مركزا للواء أو قضاء عثماني ، هي الآن لدى إيران . عبارة عن 700 دار . **قره باغ** و **ناهجوان** ، كانا مركزين لإيالتين عثمانيتين ، هما الآن لدى إيران شعبها أتراك . الأول 10 000 دار ، 40 جامعا ، 30 مسجدا . الثاني 3000 دار ، 7 جوامع ، 63 مسجدا ، 600 دكان ، 7 حمامات ، 3 خانات ومازال موجودا فيها 33 جامعا ومسجدا من بناء العثمانيين . **تبريز** ، لم تعد مدينة العرش الإيرانية ، لكنها مازالت مدينتها التي تفوق مدنها الأخرى بكثافتها السكانية ، مركز إيالة عثمانية سابق . أهم إيالة في الدولة الإيرانية بعد خراسان . هدم الشاه عباس قلعتها لكونها أثرا عثمانيا . وبالنسبة إلى الإحصاء الذي أجراه أمير الأمراء جعفر باشا فإن عدد سكان الإيالة قبيل 1600 ، كان 800 000 نسمة ؛ 300 000 منهم في المدينة . تحتوي على 19 جامعا سلطانيا ، 50 جامعا ، 270 مسجدا ، جامعين من مخلفات العهد العباسي . أعظمها جامع قويونلو سلطان أوزون حسن . و 47 مدرسة أكبرها مدرسة قره قويونلو سلطان جهان ـ شاه و 27 دارا للقراء (الحفاظ) ودار الحديث ونحو 600 مكتب ، وحوالي 160 تكية ، 1046 حنفية مياه مبنية وسبيل ، 1070 قصرا ، 1060 زقاقا ، وحوالي 200 كروانسراي (منزل مسافرين) ، 70 خان عمل ومسافرين ، 7000 دكان ، 21 سوقا ، 700 دار تحتوي على حمامات . يعيش في المدينة 178 شاعرا من أصحاب الدواوين . وتحتوي على 4 مطابخ عامة ، 42 كنيسة للأقلية الأرمنية . مازالت كلية جعفر باشا قائمة .

قوملة ، لواء تبريز ، به 11 جامعا ، 59 مسجدا ، أحد الجوامع من بناء فرهاد باشا .

مراغة ، مركز لواء في تبريز ، يحتوي على نحو 7160 دارا ، 11 جامعا ، 60 مسجدا ، 40 خانا ، 40 تكية ، 11 حماما ، 3000 دكان . يتظاهر الشعب التركي بالمذهب الشيعي خوفا ، رغم أنه حنفي .

أردبيل ، مركز لواء يعتبر قريبا إلى بحر الخزر وهو مكان نشوء السلالة الصفوية .

خوي ، مركز لواء تبريز ، بها 7000 دار ، 1000 دكان ، 70 جامعا ومسجدا ، قلعتها التي تستوعب 1000 جندى صفوي تركي ، من بناء الصدر الأعظم فرهاد باشا .

جورس ، مركز لواء آخر على بعد 3 ساعات من خوي . يحتوي على جامعي اوزدمير أوغلو عثمان وحسن باشا .

روان ، مركز إيالة في غرب كوكجه كول فتحها سليمان خان ، ثم فرهاد باشا قائد مراد الثالث العام ، ثم مراد الرابع ، وهي حاليا لدى إيران أيضا . استسلمت في 1604 ، إلى طقماق خان تركمن بسبب المجاعة . ورغم أن مراد خان استرجعها في 8 / 8 / 1635 ، فإنها فقدت أيضا . تحتوي القلعة على 100 مدفع صنع عثماني ، وتحتوي المدينة على 600 2 دار ، وبالإيالة 13000 جندي صفوي .

كنجه ، مركز إيالة آخر لإيران ، مركز إيالة عثماني سابق . فى شمال شرقي كوكجه كول ، وعلى طريق تفليس – باكو ، به 6000 دار ، كل سكانه أتراك .

آراس ، فتحها فاتح قبرص لالا مصطفى باشا ، وجعلت مركز إيالة (إيالة شيروان) (Eres) ، بنى الباشا قلعتها كذلك ، يحتوى المركز على 10 000 دار ، 40 جامعا ومسجدا ، 800 دكان ، 16 حماما . **شكي** ، من فتوحات مصطفى باشا كذلك ، حاليا لدى إيران أيضا ، قلعة ومركز لواء يحتوي على 3000 دارا ، 7 جوامع . جامع مراد الثالث ، وجامعين آخرين عثمانيـي البناء . **نياز آباد** ، مركز لواء يحتوي على نحو 40 جامعا ومسجدا . هدم فرهاد باشا قلعتها . **شماهي** ، مركز إيالة فى إيران . له 48 قضاء ، 70 قلعة ، 300 1 قرية . مدينة ذات 7000 دار صغيرة . مسجدا اوزدمير اوغلو و فرهاد باشا أفخم مسجدين بين جوامعها ومساجدها البالغ عددها نحو 70 . جعل الصفويون حاليا الأول منهما مدرسة . فيها 7 مدارس ، نحو 40 مكتبًا ، 44 كروانسراي (منزل مسافرين) ، خان ، 7 حمامات . **باكو** ، مرفأ على بحر الخزر . له قلعة محاطة بسور ارتفاعه 40 ذراعا . تحتوي على 70 برجا ، 600 مانع (بند) ، وفيها 1070 دارا . مركز لواء في إيالة شيروان (شماهي) . مركز قضائها يشمل 8 نواح . شعبه أتراك وأغلبهم سنّة . اشتهر في ساحل الخزر بمعدن زيت النفط ، يملأ في القرب ويرسل إلى جميع الجهات . يستعمل بكثرة عسكريا في صنع المشاعل التي تشعل وتلقى على

الأعداء . كل قلعه عثمانية تحتوي على مخزون من زيت النفط .

شابوران ، هى المدينة التي فتحها اودمير أوغلو وجعلها لواء في إيالة داغستان ، ذات 70 جامعا ومسجدا . جامع أوزون حسن جميل جدا . يشمل قضاؤها المركزى 8 نواح . ويطلق العرب على **دميرقابو** اسم « باب الأبواب » والإيرانيون « دربند » . وحاليا تسمى على الأكثر دربند . ميناء على الخزر ، أكبر مدينة فى داغستار فتحها اوزدمير اوغلو وسكن فيها مدة طويلة مع 15000 من جنده . حاليا يرابط فيها 9000 جندي صفوي . يحيط بقلعتها سور طوله 11060 ذراعا له 70 برجا ، 7060 موضع سلاح . شاهدت بتأثر أن مدافعها الـ 70 الموجهة نحو بحر الخزر ، عثمانية الصنع ومن نوع باليمز (مدفع بعيد المدى) . إذ إن الإيرانيين لا يمكنهم صناعة المدافع ، ويحصلون عليها أما باغتنامها من العثمانية أو بشرائها من الأوروبيين . لاتباع المدافع العثمانية لاية دولة . بيعها ممنوع ؛ تهدى كمساعدة عسكرية إلى الدول الصديقة فقط . لم تكن إيران في أي وقت من الأوقات في عداد هذه الدول إذ إنها كانت أكبر منافس للعثمانية . لازال حتى الآن سراى أوزدميرا أوغلو الفخم وكليته قائم فى المدينة التى تحتوى على 2 200 دار . الشعب سنّي المذهب ولا يحب الصفويين أبدا ، كلهم محبون للعثمانية وموالون للخليفة ، عدا جنود الصفويين . كانت إيالة شيروان على عهد مراد الثالث ، مؤلفة من 8 ألوية و 71 قضاء حاليا تحت إداراة إيران ومؤلفة من 19 لواء . كانت تجبى من الإيالة فى العهد العثماني ضريبة قدرها 000 700 4 آقجه . توجد فيها قبور عثمانية كثيرة . ورغم أن شعب شيروان وداغستان تحت إدارة إيران حاليا ، إلا أنه أقام قبل مدة الأفراح عند فتح كريت وخانيا وعند ولادة محمد (الرابع) أول مولود (شهزاده) للسلطان إبراهيم .

كوره ، مركز لواء يسكنه 10 000 نسمة . **اوردوبار** ، مركز لواء ذو قلعة كبيرة و 2000 دار .

تفليس (بالعثمانية : Tiflis ، بالكرجيه : Tbilisi) ، أكبر مدينة في كرجستان على نهر كورا . فتحها اوزدمير اوغلو عثمان باشا مع قلاع كرجستان الأخرى البالغ عددها 26 ، كانت مركزا للإيالة . حاليا لدى إيران . تحتوي المدينة على الأتراك الآذريين

(أتراك آذربيجان) أكثر مما تحتوي على الكرج وعلى قبور وشواهد قبور العثمانيين . لكن محيط كرج مسيحي تماما .

كوتور Kotur ، مركز لواء قلعة بين وان وخوي . تداولها الطرفان مرات عديدة جدا ، وانتقلت في المرة الأخيرة في 1640 من العثمانية إلى الصفوية مع مكو .

أورميه ، مركز إيالة في جنوب غرب البحيرة الكبيرة التي تحمل الاسم ذاته ، وعلى الحدود العثمانية ، وفي أقصى جنوب القطر الآذري الكبير . يحيط بها سور طوله 11000 ذراع عرض السور 30 ذراعا وارتفاعه 70 ذراعا . بناه العثمانيون وحاليا لدى إيران . كان بالقلعة 4000 جندي . تجهّز الإيالة 15000 جندي . طول محيط المدينة 17000 ذراع . تحتوي على 8 جوامع ، مساجد كثيرة ، 6 مدارس ، 40 مكتبًا ، 3 تكايا ، 11 خانًا . أن جوامع كازان الهان ، فرهاد باشا ، جعفر باشا ، جغالوغلو سنان باشا ، طواشي سليمان باشا — تلفت الأنظار . كان الشعب تركيا سنّيا . يحتوي لواؤه المركزي على 50 مدينة وقصبة ذات قلعة . 41 قرية كبيرة ، ونحو 20 000 مزرعة كروم ، وعلى 12 جزيرة في بحيرة أورميه .

دمدمي ، قلعة صفوية تحتوي على جامع جغالوغلو سنان باشا . **دنبلي** ، مركز لواء في أورميه ، مدينة تركمانية ذات قلعة ، وسوق يحتوي على 3000 دكان ، وأجمل جوامعها الـ 7 الجامع الذي بناه قره قويونلو جهان شاه . **سلماس** ، مركز لواء في إيالة تبريز ، به 3000 دار و 3 جوامع . شعبها أتراك سنّة ، لكنهم لا يصرحون بأنهم سنّة .

سلطانية ، مركز لواء في إيالة خمسة ، في جنوب شرقي زنجان . يعتقد أنه كان فيما مضى مدينة كبيرة جدا ، ولفترة كان مدينة العرش للإلخانيين . يحتوي خارج القلعة حاليا على 1000 دار .

سراف ، مركز لواء مكون من 4000 دار . حاليا لدى إيران ، ولكن تشاهد فيه شواهد قبور ولاة العثمانية مثل بييقلي حسن باشا ، أرسلان باشا ، مصطفى باشا .

نهاوند ، أصبحت لفترة من الزمن مركز إيالة عثمانية . تقع في جنوب همدان ، يحيط بالمدينة سور طوله 13000 ذراع ، ذو قلعة ، ويتكون من 70 جامعا ومسجدا ، 7 مدارس ،

40 مكتبًا ، 6 تكايا ، 40 حنفيه مياه مبنية ، 20 سبيلا ، 7 منازل مسافرين ، 70 سرايا ، 7 حمامات ، 130 قصرا وسوق ذي 1000 دكان . يحتوي قضاؤها المركزي على نحو 150 قرية . حاليا مركز لواء صفوي . يشاهد في قلعتها جامعا عمر رضى الله عنه وهارون الرشيد ، وحمام جغالوغلو سنان باشا .

كنغور Kengur (كنكاور Kengâver) وبيستون ، مدينتان فتحهما جغالوغلو في 1586 و 1590 في شمال غرب نهاوند ، بنى قلعة كل منهما جغالوغلو سنان باشا .

همدان مركز إيالة . يسكنها الأتراك ، في أقصى غرب الإيالة ، ويعتقد أنها كانت فيما مضي مدينة أكبر مما هي عليه الآن ومركزا للإيالات المجاورة المسماة عراق عجم ، وأصبحت مركزا للعرش لبعض الدول (السلجوقيون مثلا) . ولفترة من الزمن ، أصبحت مركزا لإيالة عثمانية . تحتوي الإيالة على نحو 500 قرية . لها قلعة ذات 70 برجا ، 8000 دارا ، سوق شاه فيه 2000 دكان ، 200 قصر ، 7 حمامات ، 11 تكية ، 40 مكتبًا وحوالي 150 حنفية مياه مبنية (جشمة) . المنزل الذي بناه فرهاد باشا أفخم منزل للمسافرين بين منازلها الثلاثة . أبوابه مصنوعة من فولاذ ناهجوان . فيها 3 مطابخ للمحتاجين ، 7 كنائس ، ومعبد لليهود . فيها شاهدا قبري فقي باشا وصحابي باشا . فتحها أولاً في 1533 مقبول إبراهيم باشا ، ثم جغالوغلو سنان باشا ، ثم خسرو باشا ، استرجعها الصفويون .

كرمان ـ شاه ، مركز الإيالة التي تحمل الأسم ذاته . يشكل الأكراد أكثرية شعب الإيالة .

دركوزين ، مدينة تحتوي على 7000 دار ، 7 جوامع ، مساجد كثيرة ، 5 مدارس 15 مكاتب ، 4 حمامات ، 600 دكان ويسكنها حاليا الخان بكلربك كرمان ـ شاه . يلقب ولاة الإيالات البكلربك في إيران بلقب « خان » وأمراء اللواء السنجق بك بلقب « سلطان » . يحتوي قضاؤها المركزي على 6000 مزرعة كروم . فتح دركوزين رستم باشا في 1534 ، وجغالوغلو في 1584 ، وخسرو باشا في 1629 .

دينور أو دينلور ، مركز لواء . فتحه جغالوغلو في 1585 . قلعة متينة ، تحتوي على 500 دار .

قصرشيرين ، مركز لواء صفوي على الحدود العثمانية تماما . يتضح من طول محيطها البالغ 12000 ذراع ، أنها كانت كبيرة جدا . أصابها الخراب بسبب كثرة فقدانها واستردادها بين العثمانيين و الصفويين . وقد أبرمت فيها الاتفاقية الأخيرة التى أنهت في 1639 أكبر حرب عثمانية ـ صفوية . أسس قصبة حلوان الكائنة في شرقها السلطان سليمان القانوني ، وهي آخر موقع صفوي آهل على حدود إيالة بغداد .

قلعة باغ جاح ، بالقرب من همدان ، فتحها رستم باشا في 1534 ، جغالوغلو في 1585 ، خسرو باشا في 1629 . يقوم بإدارتها أمير لواء صفوي يتبعه 3000 جندي .

مهربان ، فتحها للمرة الأخيرة في 1629 خسرو باشا . هي حاليا مركز لإيالة إيرانية كان مركزها إلى عهد قريب **سينة** (سنندج) . يحيطها سور طوله 6000 قدم . بنى قلعتها خسرو باشا .

قم ، مركز اللواء الذي في أقصى جنوب غربي إيالة ري (طهران) . دمّرها الجيش العثماني بأمر السلطان سليمان القانوني ، لم تخضع أبدا لإدارة الأتراك .

كاشان ، أو **كشان** ، دمّرت كذلك بأمر البادشاه ذاته . مركز إيالة بين قم وأصفهان . مركز صناعة الخزف الإيراني .

ينتقل أولياء جلبي في تموز من عام 1666 ثانية من قرم إلى قفقاسيا الشمالية . أنقل لكم فيما يلي بعض المعلومات المدرجة في نهاية مجلّده السابع :

تامان ، مركز لواء في إيالة كفة ، راتب أميره 320 000 آقجه ، فتحه كديك أحمد باشا من الجنويين في 1475 بواسطة اسطول . لا يحتوي على تشكيلات التيمار . ميناء مقابل كرج في جانب قفقاسيا من بوغاز كرج وقلعة بحرية . به 7 جوامع ، مساجد ، 5 تكايا ، 9 مكاتب ، 3 مدارس ، حمامان ، 5 خانات .

تمرك كيرمان ، قضاؤها . بنى قلعتها ياوز « Kermen / Kirmañ » تعني في لغة التتر التركية « قلعة » . رصيف بحري ذو 4 جوامع ومسجدين . أحد جوامعها من بناء

ياوز سليم خان . **صوغوجاق** Svgucak (Sovucuk) ، مركز ناحية ذو 400 دار ، وجامع ، 3 مساجد . فيها سلسلة من القلاع العثمانية كلها مراكز ناحية .

تسلّطت روسيا على الولايات الإسلامية التركية منذ 110 ستين . صغرت الآن المدن التركية الكبيرة ، وتهدمت أكثرية الجوامع ، وبدأ الروس بالاستيطان . فمثلا تبلغ حاليا نفوس استرخان Astirhân (Ejderhan) مركز إحدى الإمارات (خانلق) والميناء النهري في دلتا نهر الفولغا الذي كان تابعا في حينه للعثمانية ، 000 40 نسمة ، ويبلغ عدد المسلمين نصف هذا العدد فقط ، بقي فيها 7 جوامع ، بني فيها 49 كنيسة و 22 ديرا . وتقريبا نصف نفوس **سراي** عاصمة خاقانات ألطون أوردي الواقعة على نهر الفولغا مُسلمون ، فيها 7 كنائس . إن كامل شعب **قازان** مركز الإمارة التي تبعت العثمانية كذلك فى السابق مسلمون ولكن فيها 000 10 جندي روسي . بقي فيها 7 جوامع وبنيت 20 كنيسة . وفي **ألاتر** Alatir ، إحدى المدن التترية الكبيرة القديمة ، حوّل 77 جامعا إلى كنائس و لم تبق إلا 7 جوامع . وفى مدينة **أوفا**Ufa (Mujik) في باشكردستان ، مازال هناك 50 جامعا رغم تحويل 20 جامعا إلى كنائس وأديرة . وتحتوى المنطقة على 000 20 جندي روسي . لكن نحو نصف مليون تتري مسلم يسكنون هذا القطر . ويسمى الموقع الذي تتقارب فيه استدارة نهر الدون (بالتركية : Ten) مع نهر فولغا (بالتركية : Idil) الذي يقابله ، **ترك** Turk أو **أورو** Oru أو قلاج Kalaç . وتعني « الخندق العثماني » . أمر سليم الثاني في حينه بحفر القناة المشهورة في هذا الموقع . بقيت مسافة أقل من ساعتين لالتقاء النهرين كلاهما مع الآخر . ومازالت ترى تلال التراب المكومة على الجانبين . استخدم في هذه العملية 000 100 عامل . ألقى سليم خان مسئولية عدم إكمال حفر القناة على الصدر الأعظم صوقوللو ، وألقى صوقوللو بدوره مسئولية ذلك على خان قرم محمد كيراي الذي أعدمه شنقا في سوق مدينة كفة .

آزاك ، مركز لواء في إيالة كفة . قلعة وميناء في حوض نهر الدون ، وعلى مقربة من نهاية رأس بحر آزاك ، يتجمّد بحر آزاك من 7 إلى 8 أشهر في السنة . ويعتبر اللواء من الألوية الكبيرة نوعا ما حيث يتقاضى أميره 000 400 آقجه . الرتب الحالية للوالي

(بكلربك) و لمعاونة ، فريق أول (بكلربك) . يرابط في اللواء 13000 جندي ، 4000 منهم إنكشاريون ، 2000 جيبه جي (صنف تجهيز الأسلحة) ، 2000 مدفعيون . يبدل هؤلاء مع الوحدات الجديدة القادمة من استانبول سنويا . قلعة كبيرة جدا . المسافة بين بابيها على امتداد نهر الدون 10 000 ذراع . فيها 2 400 دار . وتحتوي القلعة على جامع بايزيد الثاني . باشا سراي ذو الـ 55 غرفة ، واسطبله يستوعب 100 حصان .

سد إسلام ، القلعة الجديدة التي بناها محمد الرابع مع جامع واحد . وعلى مسافة قريبة منه شاه كوله سي (برج شاه) الذي بناه السلطان نفسه ، وقلعة « سلطانية » التي بنتها والدته ، والدة - سلطان . لا يتمكن القوزاق الاوكرانيون المعتادون على السطو والنهب ومغول قالمق البوذيون من اجتياز نهر الدون والوصول إلى بحر آزاك بفضل هاتين القلعتين : إذ إن هاتين القلعتين متقابلتان على نهر الدون ولا يمكن اجتيازهما عنوة من خلال نيران المدفعية المتقابلة .

20 - العراق

موقع العراق في أقصى شرق العالم العربي . يحده شرقا إيران . كانت إدارته لدى السلالات التركية من 1055 إلى 1918 : السلجوقيون ، الإيلخانيون ، الجلايريون ، التيموريون ، قره قويونلولر (أصحاب الخرفان السود) ، آق قويونلولر (أصحاب الخرفان البيض) ، الصفويون . ضم السلطان سليم العراق الشمالي الذي أخذه من الصفويين في 1515 إلى إيالة دياربكر التي أسسها في السنة ذاتها . وبعد مضي 20 عاما أسس ابنه السلطان سليمان إيالة بغداد ، بعد أن استولى على العراق كاملا من الصفويين . وعند تأسيس هذه الإيالة ضم العراق الشمالي أيضا إلى بغداد . وبعد مدة أسست إيالة البصرة بانفصالها عن إيالة بغداد ، وإيالة لحساء بانفصالها عن إيالة البصرة كانت إيالة لحساء تشمل غرب خليج البصرة ، أما إيالة البصرة فكانت تشمل سواحله الشمالية . ثم انفصل العراق الشمالي كذلك وأسست منه إيالة شهر زور أو كركوك أو موصل . خضعت جزيرة بحرين إلى العثمانية في 1559 (Muhimme ، 3 ، 364 ، 366) .

كانت درجة إيالة بغداد في التشريفات العثمانية الخامسة ، أما اليمن فكانت السادسة ، سورية السابعة . أسست إيالة لحساء في 1554 بعد انفصالها عن البصرة . كانت تشمل 6 ألوية . لحساء ، قطيف ، بادية ، عيون ، صفوة ، تهمية . وكانت هذه الألوية تشرف على العشائر في نجد كذلك . القطيف كان لواء بحريا ، فتحه والي البصرة علي باشا في 1550 . أول وال (بكلربك) على لحساء بييق اؤغلو مصطفى باشا ، توفي في جزيرة بحرين في ك 1/ 1559 ودفن فيها بعد تقلده منصب الولاية لمدة 5 أعوام . عين لهذا المقام عندما كان أمير للواء طرابزون . وعين مكانه واليا على لحساء أولاً ، أبوه بييقلي محمد باشا الذي كان أميرا لآق قويونلو (أصحاب الخرفان البيض) ثم أصبح وزيرا للسلطان ياوز سليم وفتح دياربكر . ثم عين مراد باشا وأعقبه أوزدمير اؤغلو عثمان باشا .

أخذ العثمانيون بغداد في 28 / 11 / 1534 ، والبصرة في 1538 ولأول مرة في ذلك التاريخ يلجون خليج البصرة وقد كان هذا بعد ولوجهم البحر الأحمر بمدة طويلة . وفي 1538 أعلن شيخ جزيرة هرمز العربي ، الكائنة على بوغاز هرمز ، خضوعه وتبعيته للعثمانية ، وعرض فى العام ذاته كل من شيخ قطيف وشيخ البحرين خضوعهما للعثمانية . وفي 26 / 12 / 1546 ، أسست إيالة البصرة . كانت تتألف من 22 لواء : بصرة ، غرّاف ، حمّار ، مدينة قرنة ، رحمانية ، زكيه ، فتحيه ، صدر سويب ، طرة ، جزاير ، زرنوق ، ابو عربة ، معدن ، كنكد ، واقع ، جاروز ، طاشكوبر ، آقجه قلعة ، آرجا ، محّرى ، رملة ، شرير . كان ميناء البصرة يحتوي على معمل تصليح وصنع السفن ، وله أمير لواء بحري . كانت الأخشاب تنقل إلى البصرة عن طريق بيره جك . وفي 1563 كانت 5 سفن حربية مرفوعة على الأعمدة في حالة إنشاء (Simao da Costa ، 5 ، 141 ـ 2) . تأسس اللواءان البحريان رملة وقطيف في 1577 لم تؤسس تشكيلات ألتيمار في إيالة لحساء كاملة وفي معظم ألوية إيالة البصرة . إذ لم يكن في هذه الأقطار سكان أتراك ، وإنما كان السكان كلهم عربا . أما أئمة عمّان ، فإنهم كانوا يتبعون العثمانية اسما للاطلاع على عرض وتأييد تبعيّة إمام عمان للبادشاه في 1780 ، انظر جودت باشا ، 2 ، 148 ـ 9) .

انضمت بعد ذلك إيالة لحساء ثانية إلى إيالة البصرة . كانت العراق تنقسم في عهد التنظيمات – كبقية أقطار غرب خليج البصرة – إلى 3 إيالات ، بغداد ، بصرة ، موصل . استمرت على هذا الوضع حتى 1918 . تعطى أحيانا إدارة إيالتين وأحيانا إدارة ثلاث إيالات لعهدة وال واحد . كانت بغداد مركزا للجيش السادس . إن كان والي بغداد عسكريا (مشيرا) ، يعطى الجيش لأمره . احتل الإنكليز البصرة في الحرب العالمية الأولى يوم 21 / 11 / 1914 ، بغداد في 11 / 2 / 1917 ، الموصل في 3 / 11 / 1918 وانهوا الحكم العثماني في البلاد .

تمكن أولياء جلبي من زيارة بغداد فقط ومر بعدة أماكن أخرى . خصص نهاية مجّلده الرابع لجولته في العراق . ومن الممكن أن تعطينا كتابته فكرة عن وضع القطر في أواسط القرن 17 (ك 2 / 1656) :

درتنك ، مركز لواء في إيالة بغداد . لواء كبير يتقاضى أميره 430000 آقجه و 20 كيسة مخصصات . نحو 90 قرية تتبع قضاءه المركزي . تحتوي قلعته على 300 من أفراد الحرس . وتأتي **درنة** على بعد 9 ساعات من درتنك نحو القبلة ، مركز لواء كبير في إيالة بغداد . يتقاضى أمير لوائها راتبا قدره 406931 آقجه . يحتوي اللواء على مايقرب من 1000 جندي .

كيلان ، مركز لواء في بغداد ذو راتب 000 200 آقجه .

صالح ، مركز لواء آخر في بغداد راتبه 000 200 آقجه

قره داغ ، مركز أحد الألوية الكبيرة لإيالة بغداد ، راتب أميره 387 884 آقجه ، لواء وراثي . **زنكاباد** ، مركز أحد ألوية بغداد راتب أميره 000 270 آقجه . يحتوي اللواء على نحو 1000 جندي ، ويتبع قضاءه 70 قرية . **بيات** ، مركز ألوية بغداد ، راتب أميره 000 200 آقجه ، يقيم فيه التركمان من قبيلة بيات . الشاعر فضولي بغدادي ينتسب إلى هذه القبيلة . **يني قصبة** مركز لواء في بغداد راتب أميره 000 260 آقجه ، 86 قرية تتبع لقضائه المركزي . يحتوي هذا اللواء على تشكيلات التيمار .

كرند ، مركز أحد ألوية بغداد راتب أميره 926 230 آقجه .

بغداد ، إحدى المدن الشهيرة المعدودة في الكرة الأرضية . إذ إنها أصبحت مدينة العرش للعباسيين ومركزا للمسلمين وأكبر مدينة في العالم مدة 5 قرون . أسست في الضفة الشرقية من دجلة . ويجرى نهر ديالي في جانبها الشرقي . فتحها السلطان سليمان خان القانوني من الشيعة الصفويين (28 / 11 / 1534) وسدد لقبري الإمام الأعظم والشيخ عبد القادر الكيلاني فقط مبلغ 000 100 ليرة ذهبا . ثم تعرضت بغداد مجددا للاحتلال الصفوى لمدة 15 سنة . استرجعها مراد خان الرابع بعد خوضه أكبر معركة شهدها عصرنا . حاصر مراد خان بغداد بجيش يبلغ عدده 000 170 جندي لمدة 40 يوما و 40 ليلة دون أن يتوقف إطلاق النار دقيقة واحدة . استشهد الصدر الأعظم طيار محمد باشا . كان في المدينة 11 خانا صفويا (بكلربك = فريق أول) ، 70 سلطانا صفويا (سنجقبك = لواء) ، 000 110 جندي صفوي ، 000 30 من أرباب الحرف الصفويين . استسلمت المدينة بعد مقتل 87000 جندي صفوي . أنفق مراد خان مبالغ كبيرة لإصلاح الدمار الكبير الذي أصاب المدينة . كساكل قبر الإمام الأعظم أبو حنيفة الذي كان الصفويون يحّقرونه ويستهزئون به كلما مروا عليه في ذهابهم وإيابهم ، بالفضة وزيّنه بمئات القناديل والثريات الذهبية ذات الأحجار الكريمة . كما أولى العناية ذاتها لإعادة إنشاء قبور : الإمام موسى الكاظم ، الشيخ عبد القادر الكيلاني ، الشيخ شهاب الدين السهروردي . أصلح القلعة وكل الأبنية . ارسل جميع حكام العرب في نجد وعمّان 130 مفتاح قلعة إلى الخاقان خلال وجود مراد خان في بغداد ، معلنين طاعتهم . حضر إلى بغداد نحو 600 من شيوخ العرب واستقبلهم الخليفة ، كان بعضهم من حضرموت واليمن . خصص السلطان مراد لقلعة بغداد 8000 إنكشاري ، 2000 جيبه جي ، 2000 جندي مدفعية وركز أكثر من 1000 مدفع . أعاد التنظيم الإداري لإيالة بغداد وجعلها 18 لواء . وأسس تشكيلات ألتيمار في 7 ألوية منها (بغداد ، حلّة ، زنكآباد ، جوارز ، رماحّية ، جنكوله ، قره داغ) . أما الألوية الخالية من نظام ألتيمار فهي : درتنك ، سماوات ، بيات ، درنة ، واسط ، كرند ، دميرقابو ، كيلان ، صالح ، قرانيه ، مهبالا . ودمج لواء عمادية الوراثي في الشمال بإيالة شهرزور . أعاد تنظيم تشكيلات إيالتي البصرة في جنوب بغداد ولحساء التي في جنوبها . أكسب الديار العربية التي تعتبر درر الخلافة والسلطنة العثمانية ، الأهمية التي تستحقها ونفخ فيها روحا جديدة

بحيث يخال أن عهد جديه السلطان سليم والسلطان سليمان قد عاد من جديد . بغداد من الإيالات الكبيرة . راتب الوالي (الوزير) 000 16 آقجه . يرابط في الإيالة 000 40 جندي تتجاوز مصروفات هذا الجيش الصغير السنوية 320 مليون آقجه .

وفي الحملات الإيرانية تعطى القيادة العامة للجيش إلى والي بغداد الذي يكون وزيرا على الأغلب ، ويخضع كل ولاة الإيالات القريبة من إيران لأمره . قاد 3 سلاطين فقط حملات همايونية على إيران ، السلطان ياوز سليم حملة واحدة ، ابنه السلطان سليمان القانوني 3 حملات ، السلطان مراد الرابع حملتين . أما الحملات الأخرى فقد قادها الصدور العظام والوزراء القواد . إذ إنها لا تشبه الحملات الأوروبية ، فهي بالغة المشقة وتستمر مدة طويلة . أما حملة السلطان محمد الفاتح ، فإنها لم تكن تجاه الصفويين ، بل تجاه آقويونلولر (أصحاب الخرفان البيض) والأناضول الشرقية . كان يلدرم بايزيد خان قد وصل قبلها إلى الاناضول الشرقية ، لكنه لم يذهب إلى إيران . يتسلم قاضي بغداد 500 آقجه في اليوم + 000 800 آقجه في السنة + 000 10 ليرة ذهبا في السنة راتبا ومخصصات . وآغا الإنكشارية في بغداد يتسلم 1500 ليرة ذهبا راتبا سنويا + 000 50 ليرة ذهبا مخصصات سنوية . يتقاضى موظفو المالية الأول والثاني للإيالة سنويا مبلغ 000 100 و 000 80 آقجه . أمراء ألوية (سنجق بك) الإيالة يتقاضون مبالغ تتراوح بين 000 200 (4 ألوية) و 951000 آقجه (حلة) في السنة .

يحيط بمدينة بغداد سور طوله 28000 ذراع . لكن المدينة امتدت خارج السور بشكل واسع النطاق . قلعتها احدى أكبر قلاع الإمبراطورية . عرض خندقها 60 ذراعا . مجرى دجله ، ميناء من أوله إلى آخره . ارتفاع السور 60 وعرضه من 10إلى 15 ذراعا . تسمع الموسيقى العسكرية التي تعزفها 8 فرق من دار الموسيقى العسكرية (مهترخانه) ، من القلعة الداخلية ، من الأعظمية . وطبل المهتر الكبير الذى يصعد إليه بثلاث درجات من السلم أمر يستحق المشاهدة . له دوي يهز الأرض والسماء . وصلت شهرته إلى استانبول وسمّي « كوس بغداد » أى طبل بغداد . لايوجد طبل يفوقه حجما . تحتوي على 665 جامعا ومسجدا . يسمى حاليا جامع سليمان خان

الموجود داخل القلعة ، باسم جامع مراد خان ، حيث هو الذي جدّده . بني سليمان خان جامع الشيخ عبد القادر الموجود داخل المدينة . الآثار المتبقية من العباسيين والسلالات الحاكمة قبل العثمانية كثيرة إلى درجة لايمكن إحصاؤها . مدرستا المرجانية والخلفاء ، تقدّمان دروسا عالية . تحتوي على مدارس ومكاتب كثيرة جدا ، نحو 700 تكية أكثرها صغيرة ، 300 دورة مياه وسبيل تحصل على مياهها من دجلة . أن أجمل الأبنية الحاوية على الحنفيات (جشمة) ، هي التي بناها العثمانيون . إن تكيتها المولوية تستلف النظر بين تكاياها الأخرى . في المدينة 24 منطقة . نحو 150 سراي وما يقرب من 350 قصرا تحتوي على حمّامات خاصة . سوق بغداد ، يشمل 2000 دكان . وعدا ذلك أسواق كثيرة جدا ، وسوق لبيع التحف الثمينة . يمكن شراء أثمن السلع الموجودة في قارة آسيا من سوقها هذا . معظم الحمامات والمطابخ العامة بناء عثماني . بنى سليمان خان مطابخ للمحتاجين بكل من مراقد الكيلاني ، السهروردي ، موسى الكاظم وأبو حنيفة التي أعاد إصلاحها بشكل شامل كأنها شيدت من جديد . وينبغي أن نضيف أن بمدينة بغداد 8 كنائس و 3 معابد لليهود . تتكون الإيالة من 75 قضاء . اشتهرت عالميا سيوف بغداد ، مصنوعاتها من جلد الغزال ، منسوجاتها ، مصوغاتها ، مصنوعاتها النحاسية ، وهي تباع بأسعار جيدة في كل أنحاء العالم . معظم الشعب من العرب السنة والشيعة . الأتراك كثيرون جدا كذلك . ويوجد قليل من الأكراد ، العجم ، اليهود ، الأرمن . وفي شرقها طاق كسرى ، من بقايا الآثار الساسانية . جسر بغداد ، جسر كبير صُنع منْ شد 45 قطعة من السفن جنبا لجنب ، يصرف مبلغ 3000 قطعة ذهبية سنويا لصيانة الجسر . توجد أنقاض كثيرة في الأطراف . إن أطلال المدائن مشهورة ، وهي التي كانت مدينة عرش الساسانيين . تربية الحمام في بغداد مهنة كبيرة انتقلت عن العباسيين . هناك أنواع من الحمام تباع بسعر 250 قطعة نقود ذهبية ؛ إذ إنه يحمل الرسائل ويعيد أجوبة الرسائل بسرعة لا تصدق . لا يخطىء في المكان الذي يحط فيه في المدينة ، ولا يمكن أبدا القبض عليه . يذهب ويعود إلى الهند ، اليمن ، فاس ، مصر ، جزائر ، تونس ، وإلى المدن الحجازية المختلفة . تسمى المراسلة بواسطة الحمام « بريدا » . **الأعظمية** ، خارج بغداد على مسافة قريبة منها . بنى قلعتها سليمان خان . فيها قبر الإمام الأعظم أبو حنيفة الفخم . بناه سليمان خان مع كلية فخمة . وجدّده مراد خان

محاط بسور طوله 8000 ذراع . صرفت مبالغ كبيرة بسبب استهلاك كميات كبيرة من الذهب ، والفضة والأحجار الكريمة . يدخل إليه كما لو كان المرء يدخل إلى خزينة .

كاظمية ، ضاحية خارج بغداد وأبعد من الأعظمية ، فيها قبر الإمام موسى الكاظم . بل يقدسه الشيعية ، وتجله السنة كذلك إجلالا كبيرا . القبر من بناء هارون الرشيد إلا أنه جدّد بعده . جدده للمرة الأخيرة سليمان خان ومراد خان . جميع جوانبه مزينة بالفضة ، والذهب ، والأحجار الكريمة . يؤمه زوار كثيرون من إيران . تحتوى القصبة على نحو 2000 دار ، مايقرب من 300 دكان وآثار خيرية كثيرة . يرقد بجوار موسى الكاظم (رضي الله عنه) حفيده الإمام التاسع محمد التقي (رضي الله عنه) الذي توفي في سن 21 . والقسم الأبعد من بغداد صحراء وتحتوي على أسود .

21 – سورية وفلسطين :

فتح السلطان سليم سورية ولبنان ، فلسطين ، الأردن من المماليك في 1516 ، وألحقها بالدولة العثمانية . أسس ياوز إيالة شام على هذه الأراضي (27/ 9 / 1516) . وأما في سوريا الشمالية فقد أسست إيالة حلب (28/ 8 / 1516) . وألحقت بهذه الإيالة بعض الألوية من الأناضول . أما شطر سورية في شرق الفرات فقد أصبح إيالة رقّة (أورفه) التي ذكرناها في حديثنا عن الأناضول الشرقية ، ثم تجزأت إيالة شام (سورية) . ونحو 1620 ، انفصلت الوية طرابلس ، حماه ، حمص ، جبله ، سلمّيه (بضم الحرف الأول وفتح الثاني) وأسست إيالة طرابلس الشام (نعيما ،2 ، 242) . وانفصلت بعدها لبنان وفلسطين وأسست إيالة صيدا . وفي عهد التنظيمات ، كان يوجد عدا إيالات سورية (شام) ، بيروت ، الأناضول مع الويتها وحلب ؛ لواء القدس الشريف الذى لم يكن مرتبطا بأية إيالة وكان تابعا لنظارة الداخلية بصورة مباشرة كالإيالات . ثم تأسس بعد ذلك في جبال لبنان ، لواء جبل لبنان المستقل ذاتيا .

حجّاج كثيرون كانوا يقدمون من أوروبا إلى القدس ، كما كان ذلك في عهد الأمويين ، العباسيين ، الفاطميين ، السلجوقيين ، الزنكيين ، الأيوبيين ، المماليك كانت الدولة في 1626 تتقاضى من كل حاج 5 آقجه (12 دولارا) كرسم دخول .

كان الشام في العهد العثماني مركزا صناعيا ، وحلب مركزا تجاريا . والمدينتان ذواتا حركة وفعالية كبيرة . كان في حلب في القرن 17 ـ 4 قناصل لدول أوروبية (1619) ، وتجار من جميع أطراف العالم ومن الهند وأوروبا ، 16000 من السكان الروم الأرثوذكس ، 12000 أرمن غريغوريان ، 000 10 سرياني ، 000 10 ماروني كاثوليكي عربي ، وعدا ذلك عدد كبير جدا من العرب والأتراك ، 120 جامعا ، 40 كروانسراي (منزل مسافرين كبير) ، 355 خانا ، نحو 50 حماما عموميا ، وتحتوي الإيالة بأكملها على 000 250 عربي كاثوليكي وليفانتن (Tavernier ، 123 ـ 5 ؛ Simeon ، 154 ـ 5)

وفي عهد التنظيمات سميت الإيالة « إيالة سوريا » بدلا من تسميتها « إيالة شام » احتلت الإنكليز شام في 1 / 10 / 1918 ، وحلب في 27 / 10 / 1918 وانفصلتا عن الدولة العثمانية ، وسقطت بيروت كذلك في الشهر ذاته . أسست إيالة بيروت في 1883 بانفصالها عن إيالة سورية . كانت إيالة سورية في 1882 تتكون من ألوية شام ، بيروت ، طرابلس ، لاذقية ، عكا ، حماة ، بلقاء ، حوران . ولما كان عدد نفوس الذكور في هذه الإيالة 987 405 شخصا ، فإنه يتضح من ذلك أن عدد النفوس الكلي يبلغ نحو 000 1600 نسمة . تحتوي الإيالة على 3390 قرية و 29 قصبة، لم تصبح ناحية ، 78ناحية، 29 قضاء، 8 ألوية . كان عدد نفوس الرجال (البالغين) في مدينة شام يبلغ 605 38 (976 31 مسلما ، 1816 روميا أرثوذكسيا ، 2050 رومي كاثوليكيا ، 115 عربيا مارونيا ، 17 روميا برتستانتيا ، 54 سريانيا ، 158 سريانيا كاثوليكيا ، 123 ارمنيا غريغوريانيا ، 126 ارمنيا كاثوليكيا ، 65 أوروبيا كاثوليكيا و 115 2 موسويا) . يمكن تقدير عدد نفوس المدينة بـ 000 194 نسمة . أما عدد نفوس الرجال البالغين في الإيالة فقد كان 000 331 مسلم ، 671 38 روميا أرثوذكسيا ، 309 17 روميين كاثوليكيين ، 13800 ماروني عربي كاثوليكي ، 547 بروتستانتيا (رومي ، أرمني ، ليفانتن) ، 645 سريانيا ، 162 سريانيا كاثوليكيا ، 513 أرمنيا غريغوريا ، 217 أرمنيا كاثوليكيا ، 268 اوروبيا كاثوليكيا ، 3043 موسويا . كانت قد حدثت في الإيالة أجمعها خلال شهر آيار 1881 ، 3 جرائم قتل ، لكن حدثت خلال شهر أيلول 22 جريمة قتل ، 17 حادث سرقة ، وحادث هتك عرض واحد

كانت إيالة حلب في 1902 ، تتكون من 3 ألوية (حلب ، أورفة ، ماراش) ، 24 قضاء ، 88 ناحية ، 3769 قرية ، 415 محلة . كان لواء حلب ينقسم إلى 14 قضاء ، أورفة 5 ماراش 5 . كانت مدينة حلب مكونة من 106 محلات ، أورفة 51 ، ماراش 42 ، عينتاب 82 ، مدينة كيليس 43 محلة . كانت ولايتا غازى عنتب وهاتاي الموجودتان حاليا في تركيا ، تابعتين إلى لواء حلب المركزي ، هذا عدا أورفة وماراش . وبالنسبة لعدد نفوس عام 1899 ، فقد كان عدد نفوس الإيالة 443 858 (992 747 مسلما ، 712 51 أرثوذكسيا غريغوريانيا أرمنيا ، 212 11 كاثوليكيا أرمنيا 635 10 بروتستانتيا أرمنيا ، 8377 أرثوذكسيا روميا ، 408 8 كاثوليكيين روميين ، 395 مسلما غجريا ، 694 9 موسويا ، 4595 أجنبيا ، 773 كاثوليكيا ليفانتنيا ، 1897 كاثوليكيا مارونيا عربيا ، 2584 أرثوذكسيا سريانيا ، 164 أرثوذكسيا كلدانيا ، 18 سريانيا قديما ، مجموع المسلمين السنّة 387 78 ، ومجموع عدد غير المسلمين 854 109 كان الشام مركزا للجيش الهمايوني الخامس .

كانت الدولة قد حصلت ضرائب في 1899 ، من لواء حلب 276500 ، من أورفة 319 63 ، من ماراش 57043 ليرة ذهب . وصرفت من مجموع هذه الضرائب البالغة 863 396 ، 67153 ليرة ذهب في المنطقة التي جمعت منها الضريبة . وانتقلت البقية إلى نظارة المالية في استانبول . استحقاقات البادشاه الخاصة خارج هذا المبلغ ، أما المبالغ المصروفة على لواء الشام المركزي فإنها كانت تتعدى بكثير إيرادات هذا اللواء حيث كانت ترسل البقية من استانبول .

كان عدد النفوس في 1899 ، في مدينة حلب 561 108 وكانت المدينة تحتوي على 549 10 دارا وقصرا ، و قصر حكومي واحد ، قلعة ، تكية ، مخزن عسكرى ، مستشفين ، 19 مركز شرطة ، 106 محلات ، 169 جامعا ، 182 مسجدا ، 19 تكية ، مدرسة ثانوية ، مدرسة متوسطة عسكرية ، مدرستين متوسطين ، مدرسة صناعة ، 90 مدرسة ابتدائية ، 32 مدرسة ، 39 مكتبا لغير المسلمين ، 3 مدارس بنات ، كلية فرنسية ، 21 ضريحا مشيّدا ، 21 كنيسة وديرا ، 3 معابد لليهود ، 77 سبيلا ، 40 حماما ، 76 حنفية مياه مبنية (جشمة) ، داري توقيت ، برج ساعة واحد ، 7

مكتبات ، 7635 دكانا ومخزنا ، 23 صيدلية ، مطبعتين ، سوق تحف 113 خانا ، 29 طاحونة مائية ، 128 طاحونة تديرها حيوانات ، 109 أفران ، 2915 آلة حياكة يدوية (تزكاه) ، 4 مكابس ، 8 ورش دباغة ، 27 ورشة طبع الأقمشة ، 97 مقهى ، 129 معمل صباغة ، 12 معمل صابون ، 15 مصنع سباكة معادن ، 4 مصانع للأنسجة القطنية ، 4 معامل مشروبات كحولية ، 5 كازينوهات ، 38 حانة مشروبات ، 577 مزرعة كروم ، 373 حديقة ، 1885 عرصة ، 12 جسرا ، مستشفيين للأمراض العقلية ، 3 معامل أوان فخارية ، 20 معمل كلس ، مذبحين (سلخانة)

ومدينة أورفة في 1899 كانت تحتوى على : قصر حكومي واحد ، ثكنتين ، 3 مراكز شرطة ، مستشفى واحد ، 58 جامعا ومسجدا ، 4 تكايا ، 11 كنيسه وديرا ، معبد يهودي واحد ، 31 مدرسة ابتدائية ، مدرسة متوسطة ، 11 مدرسة ومكتبة ، 342 9 دارا وقصرا، 2052 دكانا ، 32 خانا ، 18 فرنا ، 43 حنفية مياه مبنية وسبيل ، 14 حماما ، 51 طاحونة ، معمل واحد ، 295 عرصة وحديقة ، 4 مروج .

وكانت مدينة ماراش في التاريخ ذاته تحتوى على : قصر حكومي واحد ، مخزن عسكري واحدة ، قلعة واحدة ، ثكنة واحدة ، 10 مراكز شرطة ، 55 جامعا ، 50 مسجدا ، 8 مدارس (دينية) ، 5 تكايا ، كنيسة واحدة ، مدرسة متوسطة واحدة ، 30 مدرسة ابتدائية ، مكتبة واحدة ، 9 كنائس ، ودير ، 20 مكتبا للمسيحيين ، 192 7 دارا وقصرا ، 42 محله ، 1638 دكانا ، سوق تحف واحد ، 41 فرنا ، 150 حنفية مثبتة على بناية (جشمة) ، 12 حماما ، معملي صابون ، 75 طاحونة ، 285 آلة حياكة ، 300 آلة لحياكة الأقمشة الصوفية السميكة ، 4 صيدليات ، معملي قطنيات ، معملي بكرات ، دار توقيت واحدة ، 12 خانا ، 552 حديقة .

وكانت مدينة غازى عنتب في التاريخ ذاته تحتوي على : 986 6 دارا وقصرا ، 38 جامعا ، 57 مسجدا ، 21 مدرسة ، 7 تكايا ، مدرسة متوسطة واحدة ، مدرسة أيتام واحدة ، 20 مدرسة ابتدائية ، كلية أمريكية واحدة ، 5 كنائس ، معبد يهودي واحد ، 31 حماما ، 320 2 دكانا ، 4 أسواق تحف ، 15 خانا ، 30 فرنا ، 6 ورش دباغة ، 45 مصبغة ، 11 طاحونة ، 8 معامل مشروبات كحولية ،

طاحونة واحدة تعمل بإشعال النار ، 5 معامل صابون ، مكتبة واحدة ، مستشفى واحد ، قلعة واحدة ، مخزن عسكري واحد ، مخزن عتاد واحد ، قصر حكومي واحد ، 210 2 آلة حياكة .

وكانت مدينة أنطاكية في التاريخ ذاته تحتوى على : قنصلية لدولة واحدة ، معاونية قنصلية لأربع دول ، قصر حكومي واحد ، ثكنه واحدة ، 120 جامعا ومسجدا ، 27 مدرسة ومكتبة ، 5 تكايا ، مدرسة متوسطة واحدة ، 39 مدرسة ابتدائية ، 7 مدارس للأقليات ، 3348 دارا وقصرا ، 15 كنيسه وديرا ، 5 حمامات ، 2093 دكانا ومخزنا ، 24 خانا ، 122 طاحونه ، 32 فرنا ، 30 حنفية مياه مبنية ، 11 مصنع صابون ، 29 معمل خيوط ، 520 1 مخزن غلّه (عنبر) ومخزن تبن ، 420 2 حديقة وعرصة .

ومدينة كليس في التاريخ ذاته ، كانت تحتوي على : قصر حكومي واحد ، مخزن عسكري واحد ، 4700 دار وقصر ، 34 محله ، 37 جامعا ، 14 مسجدا ، 24 تكيه ، 8 مدارس ، مدرسة متوسطة واحدة ، 25 مدرسة ابتدائية ، 4 كنائس ومعبد واحد لليهود ، 5 حمامات ، 59 طاحونه ، 3 اسواق تحف ، 3 مصانع صابون ، 31 فرنا ، 50 خانات ، 638 1 دكانا ومخزنا ، 72 مصنع بكرات ، 48 مقهى ، 10 مصابغ ، 5 خانات مشروبات ، 120 آلة حياكة ، 5 صيدليات ، 23 حنفية مياه مبنية (جشمه) .

أورد فيما يلي بعض المقتطفات من بداية المجلد 3 لأولياء جلبي الذي يبين فيه الوضع عام 1649 :

حما ، مركز لواء في إيالة طرابلس . أخذها سليم خان من المماليك كما أخذ كامل سورية وفلسطين . أصبح كوزلجه قاسم بك الذي عيّنه كأول أمير لواء ، وزيرا بعد ذلك . وقونيه لي مصلح الدين حجابي افندي الذي عيّنه أول قاض ، هو زوج أخت شيخ الإسلام كمال باشا ــ زاده . راتب الأمير 360 354 آقجه . له نحو 2000 جندي . يوجد على نهر العاص نحو 1000 دار ، سراى عرنووط محمد باشا ذو 300 غرفه وحمّامين ، 7 جوامع ، ومساجد عديدة ، عدة مدارس ، 72 مكتبا ، وتكايا ، 7 خانات ، 181 قصرا . إن جامع عبيدة بن الجراح وهو من العشرة المبشرين ، وجامع كوزلجه قاسم ، جامعان جميلان .

حمص ، مركز لواء آخر للإيالة ذاتها ، بمسافة 6 ساعات نحو جنوب حما . راتب أميرها 290 220 آقجه . تجهز حوالي 2000 جندي سباهي . قلعتها متروكة لحالها ، إذ إن البدويين امعنوا في تخريبها . تحتوي على 4 مدارس ، 7 مكاتب ، منزل مسافرين ، 3 خانات ، 3 تكايا حمام .

قطيفه ، مركز قضاء . فيها كروانسراي قوجا سنان باشا الذي يستوعب 000 10 شخص ، واسطبلاته منظمة بحيث يمكنها استيعاب 5000 حيوان . نموذج مدهش للحضارة العثمانية وسط الصحراء . يحيط به منشآت ، أقسام ومرافق (كلية) كاملة

رياق ،قلعة ، مركز لواء في إيالة شام في شمال غربي الشام . راتب أميرها 485 253 آقجه وتجهّز 150 1 جنديا سباهيا

بعلبك ، مركز قضاء في شمال شرقي رياق . قلعته موجوده . تحيط بها انقاض المدينة الفخمة

زيداني . قلعة مركز قضاء على طريق شام ـ بيروت وتليها في الخطة التالية قلعة قاسمية على البحر الأبيض التي بناها كوزلجه قاسم باشا

صور ، ميناء وقلعة على البحر الأبيض ، قضاء في لواء صيدا قصبة صغيرة تحتوي على 300 دار ، 3 محلات ، جامع . محيط القلعة 6000 ذراع وهي مدينة تير Tir القديمة

عكا ، قلعة وميناء على البحر الأبيض في أقصى الجنوب في شمال فلسطين . محاطة بـ 7 طوابق من الأسوار التي يبلغ طولها 9000 ذراع . بني فاتح قبرص قوجا سنان باشا في القلعة ، البرج الذي [illegible] محيطه 800 ذراع . فيه جامع سليمان خان وكلية قوجا سنان باشا ذات الجامع [illegible] وانسراي

صفد ، مركز قضاء آخر في شمال غربي بحيرة طبريّة . يقيم في هذا القضاء 000 80 يهودي متعصّب ينطقون العربية فقط

حيفا ، ميناء في جنوب صفد ومركز قضاء في لواء عجلون . **يافا** ، مركز قضاء في لواء غزه ، قلعة جميلة جدا في شمال غربي القدس ، ميناء فعّال يحتوي على 500

دار ، بمسافة مرحلة واحدة عن القدس وأقرب مرفأ إلى القدس . **لوط** (بالعبرية : Lydda) قضاء غزة ، يحتوي على 1000 دار ، 3 جوامع ومساجد ، تحمل اسم نبي الله لوط . **رملة** ، قلعة قريبة لها جدا ، قضاء غزة . تلي مدينة غزة بعد الاتجاه نحو الجنوب – الشرقي . وهو مركز للواء كبير في إيالة شام ، في جنوب غربي فلسطين ، وعلى باب شبه جزيرة سيناء . راتب أميره 328 508 آقجه ومخصصاته 000 40 ليرة ذهب . يجهّز اللواء 1 150 تيمارلي سباهي . مليء بالقرى المنتجة والعامرة . وما بعده صحراء . يحتوي على 1 200 دار ، 11 جامعا 59 مسجدا ، نحو 200 سبيل ، حمامين ، 600 **دكان** ، جامع قوجا سنان باشا بمنارته ذات الشرفات الثلاث ، و جامع حسين باشا ، حمّامه ومنزله ، جميل جدا . **قنيطرة** ، قضاء في جنوب غربي الشام بين شام وصفد ، شهير بكلية فاتح قبرص لالا مصطفى باشا الفخمة . **معرة النعمان** ، مركز لواء في إيالة حلب ، بين حما وحلب ، أقرب إلى حلب . راتب أمير اللواء السنوي 230 000 آقجه + 20 000 ليرة ذهب مخصصات . يرابط في اللواء 1 560 تيمارلي . شعبه تركمان وعرب . تحتوي القصبة على 800 دار ، 26 جامعا ومسجدا ، 45 دكانا ، خان ، حمّام ، مكاتب ، تكايا . ينتسب إليها الشاعر العربي الشهير أبو العلاء المعري. **باب** ، قضاء في لواء حلب المركزي ، في شمال شرقي حلب . سكانه تركمان وعرب ، 76 قرية تابعة لهذا القضاء . يحتوي على أكثر من 1000 دار ، 11 جامعا ومسجدا . فيه قبر عقيل أخي علي (كرم الله وجه)

ترجع مشاهدات أولياء جلبي هذه لسنة 1649 أما مشاهداته عن سورية وفلسطين والتي سنوردها فيما يلي ، فإنها ترجع إلى سنة 1671 (9 ، 364 – 585) :

عبرت من الأراضي الأناضولية لإيالة حلب ، إلى الأراضي السورية . المرحلة الأولى **مرج دابق** (بالعربية : مرج الدابق ، بالتركية : دابق جاييري)

أفنى السلطان سليم في هذا الموقع الجيش المملوكي مع سلطانه واسر الخليفة العباسي الأخير . سبب هذا الانتصار بسط نفوذ العثمانية على سورية وفلسطين كاملتين . حاليا قرية . **عزيز** ، مركز لواء في إيالة حلب وتسمى كذلك عزز Azez وعزاز Azaz ولعدم وجود تشكيلات التيمار في هذا اللواء ، فإن عدد خيالة المعيّة لأمير اللواء هو

1000 فقط . يتكون اللواء من 4 أقضية ونحو 300 قرية . قلعته وأولو جامع من آثار الأيوبيين . ويوجد من الأبنية العثمانية جامع آخر وعدة مساجد و 290 دكانا . يحتوي قضاؤه المركزي على نحو 70 قرية . سكان اللواء عرب وأتراك وقليل من الأكراد .

حلب الشهباء ، فتحت أبوابها لسليم خان بعد انتصار مرج دابق ، تليت الخطبة باسم الخاقان الذى دخل المدينة يوم الجمعة ، كخليفة ، بدأت الخلافة العثمانية . وجعلت على الفور مركزا للإيالة . كانت مركزا للإيالة في عهد الدولة المملوكية كذلك . منح قره جه باشا وإليها الأول مرتبة الوزارة . راتب البكلربك 760 817 آقجه ومخصصاته 000 35 سكة ذهبية . عدد جنود المعيّة 2000 جندي . يتكون لواؤها المركزي من 9 أقضية : حلب ، باب ، بوصبوح ، حنتمان ، سليمن ، ريحا ، أدلب ، بكفلون ، أنطاكيه .

أما ألوية الإيالة فهى : حلب ، كلس ، بيره جك ، معّرة ، عزز ، بالس ، مازك ، وتركمن . إن ألوية عزز ، مازك وتركمن ، لم تشكل فيها تشكيلات ألتيمار ولا توزع عليهم اراض ويتقاضون رواتب من الدولة رأسا ، ويطلق على أمثال هذه الألوية (سالسانه) . تستطيع حلب وقت القتال أن تجهّز 000 100 جندي . يتقاضى قاضي حلب راتبا قدره 500 آقجه يوميا ومخصصات سنوية قدرها 15000 ليرة ذهب . قلعة حلب إحدى أكبر وأجمل وأفخم قلاع الإمبراطورية . مازالت قائمة وتلقى اهتماما فى المحافظة عليها ، ولكن ليس لها قيمة من الناحية الحربية ، ظلّت في الداخل وبعيدة عن الحدود . تحتوي المدينة على 72 محلة . شعبها خليط من مختلف القوميات . الأكثرية العظمى من الأتراك والعرب . لكنها تحتوي كذلك على عدد من الأكراد ، الأرمن ، اليهود ، النصيريين ، اليعقوبيين وعدد كبير من الأوربيين الذين يؤمونها لغرض التجارة . يرتكز أولو جامع الذى أعلنت فيه خلافة السلطان سليم على 64 عمودا ومساحته 400 × 100 ذراع . ويوجد عدا ذلك 19 جامعا كبيرا ، جوامع صغيرة ، مساجد ، 84 مدرسة ، 217 مكتبا ، مستشفيان كبيران جدا ، 70 خانا ، 47 منها مسقوفة بالرصاص والبقية بالقرميد الأحمر ، 7 كروانسراي وأبنية مختلفة أخرى . الخانات كبيرة وعليها زحام كبير . يصلها الماء من الفرات ، ويصل ماء دجلة إلى مئات الحنفيات المشيّدة

(جشمة) في المدينة ، وإلى نحو 7000 بئر . تحتوي المنطقة على ما يقرب من 7000 بستان كروم وحدائق منظّمة بشكل جميل جدا ، وفي المدينة حديقة هنكار الخاصة بالبادشاه والتي بها قصور . أمضى فيها السلطان سليمان أحد الأشتية . هناك سوق حلب الذي يحتوي على 5700 دكان وهو من أكبر الأسواق في العالم . حركة البيع والشراء فيه كبيرة جدا . يمكن أن يعثر المرء في سوقه الخاص بالتحف على أثمن السلع في العالم . وفيه تجار يصدرون ويستوردون من والي أوروبا ، بضاعة تبلغ قيمتها 100 000 ليرة ذهبا . أهالي حلب ، أصحاب طرب ومرح يوجد مايقرب من 500 مقهى : يدوي صوت الموسيقى والرقص بحيث يسمع من كل مكان . يستوعب مقهى أرسلان 2000 شخص ، مشهور جدا ومزّين بشكل يستهوي الناظر ، لابد للقادم إلى حلب من زيارته ولو مرة واحدة يمتاز باشا سراى الموجود في القلعة الداخلية بالفخامة بين السرايات الأخرى ومخصص لإقامة الوزير - البكلربك التكية — المولوية (مولويخانه) في حلب ، أفخم تكية بين تكايا 70 طريقة . أن الباب الظلماء ، المقام الذي سلخ فيه جلد السيد نسيمي ، يزوره أناس كثيرون . ارتفع عدد نفوس المدينة حسب التعداد الذي أجراه خسرو باشا في 1533 ، إلى 400 000 نسمة . وتحتوي على قبور شخصيات تاريخية كثيرة جدا .

سرمين ، قضاء في اللواء المركزي ، في جنوب غربي حلب ، به 1000 دار ، جامع ، 7 مساجد ، 70 دكانا ، خانان ، حمامان . وتسمى كذلك سليمن . شعبها عرب . **ريحا** ، قضاء في اللواء المركزي ، بمسافة ساعة واحدة عن جنوب غربي سرمين ، به 600 دار ، جامعان ، 7 مساجد ، خانان ، حمام ، قصبة عربية ذات 70 دكانا . **بكفلون** ، تليها بعد اجتياز أشجار الزيتون مدة ساعتين . كانت قضاء ، حاليا ، ناحية سرمين ، بها 250 دارا . **ادلب** ، قضاء في لواء حلب المركزي في شمال غربي أدلب به 1345 دارا ، 3 جوامع ، 11 مسجدا ، حمامان ، 3 خانات ، مدرسة ، 6 مكاتب ، 300 دكان ، 4 مصانع صابون . المنطقة مليئة بأشجار الزيتون وصابونها جيّد . كامل شعبها عرب . **شاطر** ، مركز ناحية ، بنى فيها كوبرولو محمد باشا ، كلية عظيمة وقلعة .

لاذقية ، قلعة وميناء ومركز لواء في إيالة طرابلس . يولجه نهاية رأس شبه جزيرة

Karpas لقبرص ، لا يوجد في اللواء تشكيلات تيمار . يحتوي على 900 دار وقصر ، 3 جوامع ، 6 مساجد ، حمامين ، 3 خانات ، 3 مدارس ، 3 مكاتب ، 200 دكان ، مايقرب من 50 مخزنا مليئا بالمواد التجارية ، جسر واحد . ميناء تجارى فعال . **جبلة** مركز لواء في الإيالة نفسها ، يقع بين لاذقية وبانياس ، 360 قرية تابعة لهذا اللواء . لم تؤسس في اللواء تشكيلات تيمار . يحتوي هذا اللواء على عدد كبير من العرب الدروز . له قلعه ، لكنها خالية ، لم يخصص لها جند . ويحتوى على أكثر من 300 دار ، 3 جوامع ، 3 مساجد ، مدرسة ، 3 مكاتب ، 7 تكايا ، حمامين ، 3 خانات و 70 دكانا . يزار قبر إبراهيم أدهم بكثرة . **طرسوس** ، مركز قضاء في لواء طرابلس المركزي ، ميناء وقلعة على البحر الأبيض ، بين طرابلس وبانياس . قلعته من مخلفات الصليبيين ، وحاليا يرابط فيها 100 جندي . شيّد كوبرولو محمد باشا ، عندما كان واليا على طرابلس ، قلعة في الجزيرة الكائنة في مدخل الميناء . **حصن آباد** ، أو قلعة الحصن ، مركز قضاء في لواء طرابلس المركزي ، في جنوب طرسوس وفي شمال شرقي طرابلس ، ذو 8 نواح و70 قرية ، تحتوي قلعتها ذات الـ 500 موضع سلاح و 3 طوابق على 70 جنديا . بالقضاء 300 دار ، 45 دكانا ، جامع ، ومسجد .

طرابلس الشام (بالتركية : شام طرابلسي) ، انفصلت عن الشام قبل نصف قرن وجعلت مركزا لإيالة جديدة . من الإيالات الساليانة أى التي لاتحتوي على تشكيلات تيمار . كانت 10 ألوية . وكان حصن آباد مركز لوائها . حاليا 6 ألوية : طرابلس ، لاذقية ، كلبن ، جبلة ، معن ، قدموس . يكثر العرب من المذهب الدرزي في المنطقة الجبلية . ويكثر كذلك العرب المارونيون في هذه المنطقة وهؤلاء كاثوليك . وفيها العرب الشيعة أيضا . ويشاهد كذلك التركمان . ويشكل العرب السنّة معظم سكان الإيالة . ميناؤها فعّال ، ويؤمن ولردات كثيرة للدولة . ويشاهد السفن الإنكليزية ، الفرنسية والفلمنكية فارغة وتعود وهي بكامل حمولتها بالبضاعة . للوالي 2000 جندي معيّة . تحتوي قلعته على جنود وجامع سلطان قلاوون . وفي المدينة ، نحو 6300 دار مبنية بالحجر ، 13 جامعا ، مساجد كثيرة جدا ، 10 مدارس ، 17 مكتبا ، تكية مولوية كبيرة ، مع 7 تكايا أخرى ، 12 حماما ، سوق تحف ، 2700

دكان ، نحو 70 حنفية مياه مشيدة (جشمة) ، ميناء يستوعب ألف سفينة ، نحو 200 مخزن ، وخانات كثيرة جدا . كل الشوارع ذات رصيف ومرصوفة بالحجر الأبيض .
جبيل ، أو جبل ، قضاء في هذه الإيالة يحتوي على حوالي 100 قرية . من قرى لبنان الجبلية . تحتوي هذه الجبال على نحو 3000 جندي درزي حامل بندقية . يقدّم بكّات (أمراء) الدروز ، هؤلاء الجنود لإمره الوالي عند طلبه . مركز القضاء بطرون ، ميناء في شمال بيروت على شرم من البحر ، به 200 دار ، جامع سليم خان ، 4 مساجد ، 20 دكانا ، خان ، مكتب ، ويوجد في قلعته 50 حارسا . وعلى امتداد البحر الأبيض ، على مسافة 3 ساعات نحو الجنوب يقع نهير إبراهيم ويشكل الحدود بين إيالة طرابلس وإيالة صيدا . يقع نهر بيروت بعد مسيرة 3 ساعات بين بساتين التوت وبعد مسافة 8000 ذراع بعد اجتياز النهر ، يقع ميناء بيروت وقلعته .

بيروت ، وتسمى كذلك موز ، شهرموز أو قلعة موز . داخل خليج ، موقع جميل على البحر الأبيض . مركز لواء في إيالة صيدا . لايوجد فيها تشكيلات تيمار . لاميرها نحو 1000 جندي معيّة ، ويتبع هذا اللواء نحو 600 قرية . معظمها قرى درزية جبلية . يقوم بحراسة قلعتها التى تتجه مدافعها نحو الميناء ، 150 جنديا . يحيط بالقلعة سور طوله 450 4 ذراعا . وتحتوى على 2700 دارا ، 8 جوامع ، 30 مسجدا ، 4 حمامات ، 17 مدرسة ، 8 مكاتب ، 7 حنفيات مياه مشيدة ، 300 دكان ، 40 مقهى ، 8 خانات ، 200 مخزن قصور ، مبنية على شكل شبه سراى ، كشك سليمان خان . ينطق الشعب اللغة العربية لكنهم ينتمون إلى شتى المذاهب منهم الدروز ، الشيعة والمارونيين . إلا أن الموظفين والجيش من الأتراك . وتقع صيدا ، بعد مسيرة 9 ساعات نحو الجنوب . يسميها الأفرنج « Sidon » . وهي ميناء وقلعة على البحر الأبيض بين بيروت وصور . تكونّت هذه الإيالة في أوائل 1661 بناء على طلب كوبرولو - زاده فاضل أحمد باشا ، عندما كان واليا على الشام ، وفصلت عن إيالة شام وانقطع بذلك ارتباط إيالة شام بالبحر . لايوجد في الإيالة تشكيلات « تيمار » . وهى 6 ألوية : صيدا ، بيروت ، صفد ، عكا ، معن وترابي . راتب الوالي 000 811 آقجه ومخصصاته السنوية 250 كيسه وله 2000 جندي معيّه . يحتوي قضاؤها المركزي على 8 نواح . يحرس القلعة 200 جندي . ميناؤها وجمركها فعالآن وإيراداته كبيرة.

ترد السفن الكثيرة من أوروبا وتحمل البضائع . تحتوي على 1400 دار ، جامع سليم خان و 8 جوامع أخرى ، مساجد غير قليلة 10 مدارس ، 7 مكاتب ، 3 حمامات ، 4 خانات كبيرة جدا ، 400 دكان وعدة قنصليات أوروبية . لكنها ليست مزدحمة كبيروت . شعبها عرب . وتحتوي كذلك على أتراك وعدد قليل من اليهود . وعند السير نحو الجنوب على امتداد البحر الأبيض نجد **صور** . ويسميها الإفرنج « Tir » . أكبر ميناء بين صيدا وعكا . ناحية في قضاء صيدا المركزي . قلعته التي يبلغ محيطها 6000 ذراع ، عبارة عن أنقاض في الوقت الحاضر . تحتوي على 300 دار . شعبها كاثوليكي .

صفد ، في شمال شرقي فلسطين . مركز لواء في إيالة صيدا . راتب لوائها 373000 آقجه . يحتوي اللواء على تشكيلات تيمار . قلعتها انقاض وخالية من الجند . تحتوى على 1 300 دار شعبها من العرب واليهود . بها 8 جوامع ومساجد كثيرة ، مدرستان ، عدة مكاتب ، 7 تكايا ، 6 حمامات ، 3 خانات . باشا خان كالقلعة ذو 4 طوابق . محيطه 600 ذراع . يقال.إن عدد اليهود في المدينة سابقا كان 12000 توزعوا هنا وهناك ، انخفض عددهم الآن إلى 2000 . حركة البيع والشراء في سوق تحف سنان باشا كبيرة . عدد غرف باشا سراي 70 غرفة وكتب على السراي : بناه أمير اللواء (سنجق بك) بيري لوغلو محمد بك عام 1572 . المنطقة بكاملها مليئة بأشجار التوت والزيتون ، فيها حوالي 40 مصنعا لنوع سميك جدا من القماش يسمى (كجه) . لا يقيم الأكراد في هذه المناطق ، إلا أنه يوجد زقاقان يسكنهما الأكراد الذين جاءوا واستوطنوا هنا . الأتراك عبارة عن الموظفين ، إلا أن الجميع يحسنون التكلم بالتركية . يوجد فيه غار بيت الحزن ، الذي يقصد الكثيرون لزيارته ، ويقال إن هذا الغار هو المكان الذي مكث فيه يعقوب عليه السلام سنوات عديدة وابيضت عيناه من الحزن تحسّرا على يوسف ، ثم أبصر فيه بعد ذلك عندما ألقي عليه قميص يوسف فارتد بصيرا . وفي منعطف الطريق على مسافة 8 ساعات من صفد ، بنى قوجا سنان باشا في **عين تجّار** ، جامعا مساحته 80 × 80 ذراعا ، وكلية ذات منزل للمسافرين كالقلعة . إذ إنها ملتقى طرق شام ومصر وقدس .

نابلس ، مركز لواء في إيالة الشام . في شمال القدس بين القدس وناصره . يحتوي

على تشكيلات تيمار . راتب أميره 645 290 آقجه ، ومخصصاته 8 500 ليرة ذهب . وتتبع نحو 200 قرية لقضائه المركزي . مدينة مزدحمة تحتوي على 4000 دار . حوّل صلاح الدين لولو جامع من كنيسة إلى جامع ، مساحته 300 × 100 ذراع . البناية رفيعة وطويلة لأنها كانت كنيسة في الأصل . وتوجد 3 جوامع أخرى ، ومساجد كثيرة ، 7 مدارس مع 7 مكاتب ، 7 تكايا ، حمامان ، سوق طوله 1200 ذراع ذو 370 دكانا ، كروانسراي ذو 150 موقدا وجامع . الجامع والكروانسراي والسوق من أعمال لالا مصطفى باشا الخيرية الكبيرة .

قدس ، يسميها الأتراك « قدس شريف » والعرب « القدس » ، المسيحيون واليهود « Yerusalem » مقدس لدى كل من الأديان الثلاثة . مدينة عرش سليمان عليه السلام ، أولى القبلتين . مركز لواء في إيالة شام . تقع وسط فلسطين ، لكنها في شمال غربي بحيرة لوط وأقرب إلى وادي الشريعة منها إلى البحر الأبيض . كانت بها تشكيلات تيمار . راتب ومخصصات أميرها السنوية 485 257 + 000 20 ليرة ذهب ، وراتب قاضي القدس 500 آقجه يوميا + 000 20 ليرة ذهب سنويا . قضاؤها المركزي كبير جدا ، يحتوي على أكثر من 1000 قرية . تبلغ إيرادات الدولة السنوية من الحجاج المسيحيين القادمين من 20 إلى 25 ألف ليرة ذهب . لا يعد المسيحي حاجّا مالم يزر كنيسة قيامة . أهم يوم مقدس للزيارة لدى المسيحين ، هو عيد الفصح Paschol عيد البيض الأحمر . يفتتح كنيسة قيامة في ذلك اليوم ، أمير لواء القدس أو ملاء (قاضي القدس فقط بالمراسم وقراءة الفاتحة وسط الاحتفال الديني المسيحي بين تهليلات البطاركة . إن افتتاح مسلم لأكبر مهرجان ديني مسيحي شئ غريب ولكن ذلك يعني إشارة ضمنية لإفهام المسيحيين القادمين من جميع أرجاء العالم أن هذه الزيارة يمكن أجراؤها بكل حرية وأمان وأطمئنان ونظام كامل ، بفضل الدولة العثمانية ، كي يتعلم الأوروبيون كيفية معاملة الذين لا يدينون بدينهم . يزور الكنيسة في ذلك اليوم عدد يتراوح بين 5 إلى 10 آلاف مسيحي ويصبحون حجّاجا . ويعودون إلى أوروبا فرحين . يتقاضى قسس كنيسة قيامة ، الخراج من كل حاج ـ عدا المعوزين ـ بمقدار 5 إلى 5 . 7 ليرة ذهب . يقود الحرس العثماني الحجاج المسيحيين إلى بيت لحم الذى ولد فيه المسيح (عليه السلام) في جنوب القدس وإلى المدينتن المقدستين الخليل والناصره

ويرافقونهم عند العودة كذلك . المسيحي الذي يزور تلك الأماكن علاوة على زيارته الكنيسة ، يكون قد حج حجّا كاملا . أقضية القدس هي : المركز قدس ، الخليل في جنوبه ، كرك في الجهة الأخرى من لوط في الأردن و لجون شمال غربي رمله . إن ناظر الـ 700 وقف الموجودة في القدس مسئول أمام أفندي (قاضي) القدس . القدس من فتوحات سليم خان . شيّد القلعة الحالية لالا مصطفى باشا . تحتوي القلعة المحاطة بسور طوله 7 050 ذراعا ، على 4 040 مرمى سلاح وقبة جامع رستم باشا . داخل السور 1110 دار ، به جامع و عدة مساجد ، وعدد غير قليل من القصور والسرايات وجميعها مبنية بالحجر . المسجد الأقصى من أعظم المساجد تقديسا لدى المسلمين . يحتوي داخله على مئات السجّاد والثريات الثمينة جدا ، 7 000 قنديل وأشياء ثمينة أخرى ، كلها هدايا من كبار سلاطين الأيوبية المماليك والعثمانية . صلّى عمر (رضي الله عنه) الذى فتح القدس من البيزنطيين في المحراب الواقع في الجهة الشرقية منه . يتولى 800 شخص ، الخدمة في المسجد الأقصى . يصعد الخطيب يوم الجمعة على المنبر متقلدا سيف عمر (رضي الله عنه) ويتلو الخطبة باسم حضرة البادشاه خليفة روى زمين (الكرة الأرضية) . للمذاهب الأربعة ، 4 خطباء وكل منهم يعتلي المنبر مرة في الأسبوع بالتناوب . للمسجد 50 مؤذناً وقس على ذلك بقية الذين يقومون بالخدمات الأخرى . بنى السلطان سليمان القانوني مسجد الصخرة الموجود في زاوية المسجد الأقصى بالأموال التي حصل عليها من حصتّه الشرعية من غنائم غزوات بلغراد وموهاج . بنى المعمار الجامع حسبما وجهه البادشاه بنفسه واستعمل المرمر الأبيض . حضر المعمار سنان إلى القدس خصيصا لهذا الغرض وقد أشرف الصدر الأعظم لالا مصطفى باشا على البناء خلال ذلك ، عمود الذوآبة الوسطى في القبة البالغ طوله 12 ذراعا مكسو بطبقة سميكة جدا من الذهب . يرى لمعانه من الأرض عن بعد مرحلة واحدة . أعمدته الاثنا عشر من مرمر السوماكي (الملون) ، سجاده الحرير بمثابة ثروة كبيرة « صخرة الله » ، عبارة عن صخرة بيضاء محاطة بسياج طوله 100 ذراع . وبسبب وجود القبة فوقه ، سمي المعبد قبة الصخرة . إن هذه الساحة المقدسة التي بدأ ببنائها عمر (رضي الله عنه) وأتمها سليمان خان ، تسمى الحرم الشريف (بالتركية حرمِ شريف « بكسر حرف الميم ») . يحظر دخول غير المسلمين فيها كما هو الحال

في مكة ، المدينة ، البردة الشريفة (خرقة سعاوت) وأبو أيوب الأنصاري (أيوب) في إستانبول . صرف سليمان خان من حصّته من الغنائم 1 000 كيسة لكل من مكة ومدينة وقدس (3 000 كيسة = 120 مليون آقجة = وتعادل حوالي 2و5 / مليار دولار بالسعر الحالي الرائج) إن الـ 240 جامعا ومسجدا الموجودة في القدس وجوارها ، أكثر ابنية صغيرة ، إذ إن المسجد الأقصى كبير بدرجة يمكن أن يستوعب فيها أهالي القدس برمتهم . يحتوي على 17 مدرسة ، 40 مكتبا ، 70 تكية ، 6 خانات ، حمامات ، 3 مطابخ للمحتاجين ، 18 حنفية مشيّدة بشكل خاص (جشمة) ، 70 حوضا وفسقيه وشادروان (حوض مسقّف تحيط به حنفيات عديدة ، بني على الأكثر في الجوامع لغرض الوضوء) ، 2045 دكانا ، 4 خانات كبيرة جدا و 4 حمامات جميلة . شيّد سليمان خان 18 حنفيه وكسا جميع أرصفه شوارع المدينة وأزقتها بالحجر الأبيض المصقول . فيها معبدان لليهود و كنيستان غريغوريانية ، 3 كنائس أرثوذكسية ، ومنها كنسية قمامة ، أكثر الكنائس قداسة لدى المسيحيين . قس كنيسة قمامة ، تحت إشراف ملاء القدس . تقف قطعة عسكرية عثمانية أمام الكنيسة مدة أربع وعشرين ساعة مستعدة لتنفيذ أوامر البطريك . إذ يتجمع أمام الكنيسة دائما جمع غفير من المسيحيين القادمين من مختلف أنحاء العالم ، لا يفهم أحدهم لغة الآخر . ومن الممكن أن يتهور مسيحي أو أن يتشاجر في سبيل حصوله على قطعة صغيرة جدا من أحجار الكنيسة ، لذا فإن أمير القدس أو قاضيها فقط يمكنه فك ختم باب الكنيسة المختوم في عيد الفصح مرة واحدة في السنة ويعاد الختم مرة ثانية بعد انتهاء زيارة الحج ، ولايسمح بالدخول في الأوقات الأخرى . يختلي بداخله 300 راهب ويغلق عليهم الباب ، ويدخل إليهم طعامهم وشرابهم كل يوم من ثقب مخصص لذلك ، والراهب الكاثوليكي أو الذي ينتمي إلى مذهب آخر ، الذي يبقى داخل قمامة مختليا لمدة سنة ، يحصل على رتبة عظيمة . يتجمع داخل وخارج الكنيسة في أيام الحج 20 000 شخص . ولكي يفض خاتم باب الكنيسة للدخول فى غير أوقات الحج ، لابد من الحصول على موافقة الوزير والي (بكلربك) الشام الشخصية ، ولا يملك أمير لواء القدس تلك الصلاحية . آخر أمر كهذا ، أعطاه قبل 23 سنة والي الشام زيله لي جاووش – زاده محمد باشا ، حيث رغب الباشا الذي حضر لتفتيش القدس، في زيارة الكنيسة، وبعد انتهائه من الزيارة، جدد قاضي القدس ختم الباب

فورا ، ذلك أن داخل الكنيسة عبارة عن خزينة أرسل ملوك أوروبا المسيحية كافة منذ عصور طويلة أشياء ثمينة جدا . الثريات والقناديل التي يرجع تاريخها إلى ألف عام ، تدهش البصر . لايمكن مشاهدة ذلك في أية كنيسة أخرى ، وتحرص الدولة العثمانية جدا على عدم تهريب أية واحدة منها إلى الخارج . كان عدد سكان المدينة فى التعداد الذي جرى عام 1648 ، 54 000 . لكن إذا ما أضيف إليه عدد الزوار ، فإن العدد يزيد بطبيعة الحال .

بيت اللحم ، تقع على مقربة من جنوب القدس . يسميها المسيحيون « Bethlehem » والموسويون « Beit Lahm » . ناحية القضاء المركزي للقدس ، بها 200 دار . ولد فيها عيسى (عليه السلام) ؛ لذا فإنها تكون مزدحمة جدا بالمسيحيين القادمين من أمصار العالم المختلفة . يعودون إلى القدس في ذات اليوم بعد إتمام زيارتهم ، إذ لاتوجد فيها أماكن للمبيت . تهبط إلى الكهف الذي سمّيت القصبة باسمه بسلّم مكون من 12 درجة . له ثلاث زوايا ، يستوعب 100 شخص فقط بصعوبة . يشاهد مهد عيسى (عليه السلام) من الحجر الأحمر ومحل جلوسه من المرمر الأبيض . جعل الكهف على شكل كنيسة . صرف السلطان محمد خان قبل عدة سنوات مبالغ كبيرة من النقود لهذه القصبة واستشار علماء المسيحيين فى هذا الشأن ، وبذلك زالت صعوبة الزيارة . مسلمون كثيرون كذلك يؤمونها لغرض الزيارة . إذ إن المسلمين يؤمنون بكل الأنبياء . طريق قدس ــ الخليل ، 7 ساعات ، وقد شيّد مراد الرابع في منتصف هذا الطريق قلعة لتأمين مرور المسيحيين بأمان ، وتسمى مراديّة ، وهي عبارة عن ناحية تحتوي على مدافع وحامية مؤلفة من 90 جنديا .

خليل الرحمن (بالعبرية : Hebron) ، ويسميها العرب باختصار : الخليل ، والأتراك : خليل . مركز قضاء في لواء القدس تتبعه 75 قرية و 3 فصائل عسكرية . له قلعة تحمل اسم الخليل إبراهيم (عليه السلام) (أبو الأنبياء) . وهي من الأماكن المقدسة لدى المسلمين . والجامع الذي يحتويه شيّد كالقلعة . ويوجد على مقربة من خارجه قلعة وجامع عثمان (رضي الله عنه) . يظهر أن عدد السكان كان كبيرا في الماضي شعبها عرب سنّة ، بينهم عدد غير قليل من الأتراك واليهود . تحتوي على كروانسراي لالا

مصطفى باشا العظيم . ذو 200 غرفة واسطبل يستوعب 2 000 حيوان ، 7 مساجد ، تكيتين ، 3 حمامات ، خانين ومكاتب عديدة . وأقصى جنوبها صحراء .

عجلون ، مركز لواء في إيالة شام . يقع في أقصى شمال غربي ماوراء الأردن . وتفصل بحيرة لوط ونهر شريعة الذي يصب فيه الحدود الفلسطينية عن الحدود الأردنية . شرق النهر يسمى ماوراء الأردن ، ويسمى الشريط الذي يقع على غربه الأردن وفلسطين الأصلية ، هو الشريط السميك الذى يمتد في أقصى غربها حتى البحر الأبيض . راتب أميرها 260 000 آقجة ومخصصاته 40 كيسة . تجهّز 1200 تمارلي سباهي . عدد القرى في قضائها المركزي 140 . يسكن في المنطقة التي تحيط بجبل عجلون من 40 إلى 50 ألف تركماني . العرب السنّة وبعض الدروز يشكلون سكانها الأصليين . تحتوي قلعتها على 150 جنديا من حرس القلاع . بنى لالا مصطفى باشا خانا في الجزيرة الواقعة على بحيرة طبرية (Tiberias) .

قنيطرة مركز قضاء في اللواء المركزي للشام . في أقصى جنوب غربي سورية وفي جنوب غربي الشام . أسس القصبة على هذا المرج الذي كان مرعى للإبل في السابق ، وشيّد جميع أبنيتها دون استثناء ، فاتح قبرص الصدر الأعظم لالا مصطفى باشا عندما كان واليا على الشام مرضاة لله ومن حصته الشرعية من الغنائم . يرابط في قلعتها 300 جندي عدا الحرس . طول سورها 2700 ذراع وقلعتها 800 ذراع وتحتوي على منزل مسافرين به 170 غرفة واسطبل يستوعب 3 000 حصان ، جامع ، سوق وقف ذي 150 دكانا حجريا ، وآثار كثيرة أخرى ، كلها من الأعمال الخيرية لمصطفى باشا . أهدى 22 مصحفا إلى جامعها ، منها ما كان بخط ياقوت ، شيخ حمد الله وقرة حصاري وهيَ ثمينة إلى درجة أنه لا يمكن تقدير أسعارها . زيّن جامعها بالسجاد والخزف الثمين جدا . وخاصة أنه كان فى الاعتبار أن هذا الموقع ملتقى طرق مهم على الشارع الرئيسي الذي يصل الأناضول وسورية بمصر والحجاز . وهو على طريق الحج . لالا مصطفى باشا هو الذي فتح قبرص وكرجستان ، وحارب في اليمن ، مصر ، إيران ، قفقاسيا ، المجر ، وتقلد الولاية ، القيادة العامة والصدارة في أماكن عديدة ، له فى الأقطار العثمانية آثار خيرية لا تعد ولا تحصى .

صعصعة ، مركز قضاء في لواء الشام المركزي . أسس هذه القصبة وشيّد جميع أبنيتها الصدر الأعظم قوجا سنان باشا ، عدو لالا باشا اللدود لئلا يكون أقل شأنا من منافسه . القلعة ذات 120 غرفة واسطبلا ، منزلها الخاص بالمسافرين الذي يستوعب 2000 حصان ، جامعها الذي يضاهي جوامع الوزراء في استانبول ، كلها من خيرات سنان باشا . وبعد مسيرة ساعتين تجد ناحية داوديّة ذات 600 دار وبعدها بساعتين كذلك الشام .

شام، ولبيان شرفها يقال باللفظ العثماني « شام شريف » (بكسر حرف الميم) وهو اسم المدينة التي يطلق عليها العرب اسم « دمشق » . والقطر الذي يسميه العرب « شام » ، يسمّيه العثمانيون « سورية » . تقع المدينة في جنوب غربي القطر وقريبة من لبنان . فتحها خالد بن الوليد من البيزنط بأمر أبي بكر (رضي الله عنه) في السنة 13 للهجرة . أصبحت مركزا لعرش الخلافة الأموية خلال 661 – 750 . أخذها سليم خان في 1516 من المماليك وجعلها مركز إيالة . كانت الإيالة كبيرة جدا في القرن 16 . تقلصت الآن لانفصال إيالتي طرابلس وصيدا عنها ، وانقطعت علاقتها بالبحر (البحر الأبيض) . راتب واليها (بكلربك) مليون آقجه . وهى 12 لواء : شام ، قدس ، غزّة ، صفد ، كرك ، نابلس ، عجلون ، جلّونة ، تدمر ، قنقنوح ولواء البدوى الذي يسكنه 40 000 بدوي من الرجال ، لاتوجد تشكيلات ألتيمار في اللواءين الأخيرين . يحكم القبائل البدوية شيوخها . تحتوي الإيالة على 9065 تمار سباهي ، 2000 جندي معيّه الوالي ، ويوجد جنود معية أمير اللواء وأفراد حرس القلاع . يحرس قلعة الشام ألفا جندي ؛ 3 فصائل منها إنكشارية . يتقاضى الوالي مخصصات سنوية قدرها 40 000 ليرة ذهب . للقاضي راتب قدره 500 آقجة في اليوم + مخصصات قدرها 20000 ليرة ذهب في السنة . عدد الموظفين التابعين للقاضي والعاملين في المدينة 2000 . مدينة كبيرة جدا ولها قلعة واسعة . مساكنهم واسعة وفخمة . بنى الخليفة عبد الملك جامع أميّة (الأموي) ، وهو من أشهر جوامع العالم الإسلامي . مساحته 600 × 160 ذراعا وله 40 عمودا من المرمر الملوّن ويعتبر تحفة . يحتوي على 24 بابا ، 280 طاقة داخلية ، 280 نافذة ، 4 قباب نحو 10 000 قنديل ، و 150 عمودا وحوالي 150 طاقة في الخارج . يقوم بصيانة الجامع ، أكثر من 800 شخص . يحتوي كوك

ميدان على جامع سليمانية ذي المنارتين للمعمار سنان . جامعا عداس وسنانيه (سنان باشا) جامعان كبيران . تحتوي المدينة على 2100 جامع ومسجد وتكية ومدرسة ومكتب . توجد بين تكاياها الـ 70 تكية مولوية• شيّدت في الموضع الذي التقى فيه مولانا بشمس التبريزي وكلمه فيه . تحتوي على ما يقرب من 70 غرفة، صالة اجتماع كبرى ومشتملات أخرى . مدرسة سليمانية للمحتاجين ، مؤسستين كبيرتين بين مطابخها العامة البالغ عددها 7 . أحد مستشفياتها الثلاثة هو مستشفى سلطان نور الدين ، أحد أكبر المؤسسات الطبية في العالم الإسلامي .

تبلغ قيمة استهلاكه السنوي للأدوية ، 5000 ليرة ذهب . وقس على ذلك مصروفاته الأخرى . وهي مؤثث تأثيثا فاخرا يضارع أثاث السرايات ، عدد الخدم فيه 70 خادما . تحضر فرقة موسيقى السّاز ثلاث مرات في اليوم لعزف الموسيقى للمرضى . توجد حّمامات خاصة في مايقرب من 2000 سراي وقصر . ويوجد كذلك 240 خان تجار . بعضها كبير كالكروانسراي ، فمثلا الخاص منها بلالا مصطفى باشا يحتوي على 170 غرفة وأبواب حديدية . إيرادات خان الجمرك السنوية لخزينة الدولة تتراوح ما بين 4 إلى 5 ملايين آقجه . ومن جملة أوقاف كلية سنان باشا مقهى سنانيّة ، وهو مقهى يستحق المشاهدة حقا ، من بين مقاهيها البالغ عددها 217 ، لها 4 مسارح . تتناوب على مسارحها فرق من أرباب الموسيقى ، الرقص ، ومن أرباب الفنون الأخرى . ومقهى « منصب » في الحقيقة ليس فخما لكنه كبير جدا ، حديقته تستوعب عشرة آلاف شخص ، ويستهلك يوميا من القهوة حمل أربعة جمال . تعزف فرق مختلفة موسيقى الساز في كل من مسارحها الـ 7 . تحتوي مدينة الشام تقريبا على 20 000 دار ، قصر ، وسراي ، نصفها داخل السور والنصف الباقي في الضواحي . ويوجد على الشارع العام سوق سنان باشا ، سوق لالا سنان باشا المفتوح ومراكز الأوقاف التجارية الكبيرة . كل الأماكن مليئة بالأسواق . يتجول 200 موظف أمن في 75 شارعا و 3800 زقاق . تحتوي المدينة على 9000 موظف دولة . ماء النبع الأكثر غزارة الذي يصل إلى المدينة ، هو عين سنانية وهو من الأعمال الخيرية لسنان باشا .

صالحية ،ناحية في شمال غربي الشام ، على مسافة نصف ساعة وكأنها ملتصقة بالمدينة ، وهذه مكونة كذلك من 3000 دار .

توجد في الصالحية كلية السلطان سليم الفخمة . تحتوي على أبنية كثيرة كالجامع ، منزل مسافرين ، مستشفى ، مطبخ للمحتاجين ، مدرسة ، مكتب ، حمام ، محكمة ، وجميع سقوفها مكسوة بالرصاص ، فيها كذلك قبر الشيخ الأكبر محيى الدين العربي الذي جدّد السلطان سليم بناءه بشكل فخم للغاية . جدران 70 غرفة من غرف باشا سراي ، مكسوة بالخزف الصيني . أمر كوبرولو ـ زاده فاضل أحمد باشا ، عندما كان واليا على الشام في 1661 ، بتنسيق حديقتها الكبيرة بشكل رائع . يسكن في قضائها المركزي مع النواحي والقرى التابعة 000 600 شخص . قبور وأضرحة سلاطين ، رجال دين ودولة وعلماء عديدون ، موجودة فى الشام . تحتوي على قبور : معاوية ، الخليفة عمر ابن عبد العزيز ، أتابك نور الدين زنكي ، المتصوف الشاعر فخر الدين عراقي ، وقبور سلاطين أيوبيين عديدين ، وفيها قبر صلاح الدين الأيوبي الذي لا يضاهي . نظّفت خديجة تارهان والدة ـ سلطان ومهدت مجدّدا الطريق البري الذي يهبط من الشام إلى الحجاز في الجنوب ، وهو من أعمال الخير الكبرى .

مزيرب ، مركز قضاء حوران في اللواء المركزي للشام ، 270 قرية تابعة لهذا القضاء . الشعب ، عرب ، دروز وسنّة . **الكرك** ، مركز لواء في إيالة شام على طريق الحجاز كذلك ، قريب من ساحل بحيرة لوط الشرقي ، وأحيانا يتبع كقضاء للواء القدس . يحتوي على 70 قرية ، 200 جندي قلعته مخمسة الشكل من بناء سلطان بايبارس . يقال أن المماليك كانوا يسجنون المجرمين السياسيين في هذه القلعة ، وهى كقلعة قهقهة (آلاموت) التابعة للصفويين . وبعد ناحية **معن** ، على مسافة 16 ساعة نحو الجنوب ـ الشرقي ، تقع ناحية **عقبة** ، وهي ميناء يقع على اقصى الشمال ـ الشرقي من البحر الأحمر . تنتهي هنا الأراضي الأردنية وإيالة شام (سورية) . وبعد مرحلة 10 ساعات تقع قلعة **جكيمان** ، وبعدها تدرك البلاد العربية وحجاز .

22 ـ البلاد العربية :

كان القسم الغربي من شبه الجزيرة العربية إيالتين عثمانيتين ، غربيهما ملاصق للبحر الأحمر ، هما الحجاز واليمن . وعسير الكائنة بين الحجاز واليمن كانت تارة تتبع اليمن

وتارة تتبع الحجاز . كانت إيالة اليمن تتولى الإشراف على المشيخات الموجودة في حضرموت (اليمن الجنوبية) ، وخلال تلك الفترة تكون لواء عدن . عنيت إيالات بصرة ، بغداد ، شام ، وبخاصة إيالة لحساء ، بأمور أواسط الجزيرة العربية التي تشكل الصحراء قسمها الأعظم وبأمور قسمها المطل على خليج البصرة . ولم يتدخل أحد أبدا في حرّيات وطراز حياة القبائل البدوية ، ولكن تم القضاء على إخلالهم بالأمن وتهديدهم للطرق . تعامل المسئولون العثمانيون مع الشيوخ البدو كمراجع رسمية . كانت البلاد العربية ، المنطقة الأقل كثافة في المدن والأضعف في تشكيل المدن وإسكانها في الإمبراطورية العثمانية . لم تكن هناك مدينة كبيرة ، وكان المتوسط منها قليلا . كانت حياة البداوة المتنقلة مسيطرة أكثر من الحياة القروية .

قابلت الإدارة العثمانية حياة البدو بتفهّم . كان المسئولون العثمانيون الذين يجيدون اللغة العربية ، شعرها ، أدبها ، ثقافتها بصورة ممتازة ، يدركون أن البدويين شريحة أساسية من الشعب العربي . كان يطلق على العرب في الإمبراطورية العثمانية « ملّت نجيبة = القوم الأصيل » . كان وضع العرب ممتازا جدا في الإمبراطورية ؛ لكون الرسول ﷺ عربيا ، ولنزول **القرآن** باللغة العربية ، ولأن اللغة العربية وأدبها ، كونت ثقافة غنية جدا ، ولأن المجتمع العثماني التركي جزء لا ينفصل عن تلك الثقافة وقد تعلّم هذه الثقافة بعد لغته مباشرة . كان المتعلم للغة العربية ، يعامل معاملة متميزة جدا ويلقى احتراما فائقا في جميع أنحاء الإمبراطورية . إلا أن العرب قوم محب لوطنه بصورة فائقة ، ولا يستحسنون ترك أقطارهم . ويحتمل أنهم لم يشاركوا في الإدارة العثمانية كما ينبغي إما لهذا السبب ، وإما بسبب عدم اهتمامهم بالسلك العسكري . وكان النظام العثماني لا يجبر الناس على الدخول في السلك العسكري . أما في الأقطار العربية التي تجابه العدو مباشرة ووجها لوجه كالمغرب فإن العرب البرابرة والأندلسيين اشتركوا في الإدارة العثمانية ، وجيشها الموجود في تلك الأقطار على نطاق واسع . لا نجد هذا الوضع في المشرق . إذ لم يكن هناك احتمال لاحتلال مسيحي بالنسبة للمشرق . أما الدولة العثمانية فإنها كانت دولة إسلامية بدرجة الدول الأيوبية أو المملوكية . وبناء على ذلك ، فإنه لم يطرأ على عرب المشرق تبدّل يستحق الذكر بالنسبة لما قبل العثمانية .

أطلق العثمانيون على إيالة حجاز اسم « حبش إيالتي » ، وذلك أنه قد حدث في أوقات كثيرة أن أدمجت سواحل البحر الأحمر من السودان ، إريترة ، الصومال والحبشة وبعض أقسام الحبشة الأصلية والحجاز ، بالإيالة ذاتها . أقام والي الحبشة أو الحجاز ، أحيانا في جدة وأحيانا في مكّة ، وأحيانا في مصوّع (إريترة) ، ونادرا في سواكن (السودان) . وفي عهد التنظيمات تأسست إيالة حجاز على أن يكون مركزها مكة ، وفي 1871 (9 أيلول) تأسست إيالة يمن ، على أن يكون مركزها صنعاء . أما السودان ، أوغندة – ونحو 1870 مناطق إريترة والصومال – فقد ارتبطت بإيالة مصر .

انتهى الحكم العثماني بصورة فعلية في مكة في 29 / 10 / 1916 ، وفي المدينة في 13 / 1 / 1919 ، وفي اليمن وحضرموت في ك 2 / 1919 ، وانتهى بصورة قانونية بمعاهدة لوزان 1923 . أصبح كل من الحجاز واليمن دولتين إسلاميتين دون تعرضهما للاحتلال الأجنبي . أما حضرموت (اليمن الجنوبية) فقد دامت فيها الحماية الإنكليزية مدة طويلة . استمر حكم الأئمة الزيديين في اليمن من 15 ت 1 / 1635 إلى 9 أيلول 1871 ولم يعين لها وال .

بدأ الحكم العثماني في الحجاز في 1517 مع سلمان رئيس . تعاون ولاة وأمراء لواء العثمانية في الحجاز مع أشراف وأمراء مكة ومدينة الهاشميين في إدارة البلاد بتناسق تام . أما في اليمن فقد بدأ النفوذ العثماني فيها منذ عهد المماليك . لأنها كانت على بحر مفتوح ومهددة بالاستيلاء البرتغالي . تقلّد حسين بك أحد الأميرالات العثمانيين ، منصب أمير لواء في اليمن من 1511 حتى 28 شباط 1517 . الحقيقة أنه كان واليا على المماليك ، ولكن لأن إرساله تم من قبل الدولة ، فقد كان أسلوب تحرّكه واضحا . تم حكم اليمن الذي انتقل إلى الإدارة العثمانية بصورة رسمية في 1517 بواسطة أمراء اللواء ، أما إيالة اليمن فقد أسسها في 1541 السلطان سليمان . ورغم أن الإدارة في الحجاز كانت تجري على الأكثر بالتنسيق بين أشراف الهاشمية وولاة العثمانية بسبب انتمائهم إلى ذات المذهب ، فإن الوضع كان مختلفا في اليمن . عارض الإمام الزيدي في اليمن في كثير من الاحيان ، الحكم العثماني ، وأهدرت بذلك دماء كثير من المسلمين بلا داع ، ولم يحدث ذلك في الحجاز أبدا . بُدّل الأشراف الذين لم يتلاءموا مع الإدارة العثمانية في الحجاز

في هدوء ، حدثت مصادمات مسلحة قليلة جدا ، لكن العثمانيين لم يمسّوا بالمرة امتيازات أشراف بني قتادة . لم يتسن تأمين الوضع ذاته في اليمن بسبب وضعها الجغرافي وكونها جبلية ، وكذلك بسبب مقاومة الأئمة الزيديّة ، وقد أصاب العثمانيون الملل من جراء القضية اليمنية وتركوا إدارتها إلى الإمام مدة 236 سنة حتى 1871 . ولكن في القرن الـ 16 لم يكن بوسعهم الاستمرار في ذلك ؛ إذ لم يكن بإمكان اليمن أن تقف وحدها أمام البرتغاليين ، وقد كان بإمكان البرتغاليين الذين أسقطوا اليمن والذين حاولوا النفاذ إلى البحر الأحمر ، أن يسيطروا على جدّة . زال هذا الخطر في القرن 17 . أما في القرن 19 ، فقد بدأت تهديدات الدول الاستعمارية من جديدا .

وفي 1839 ، بدأت انكلترا لأول مرة في التدخل في شئون اليمن وذلك باستيلائها على ميناء عدن وجزيرة بريم ، وحتى إن إيطاليا بدأت كذلك في السعي في قضية اليمن ، فاضطرت الدولة العثمانية لإدارة اليمن من المركز مجدّدا إلى درجة أنها أسست في 1871 جيشا من أجل اليمن ، (الجيش السابع) . أما في الحجاز ، فكانت توجد فرقة عثمانية واحدة فقط .

ورغم أن كل هذه الأقطار العربية وامتداداتها الموجودة في آسيا وأفريقيا ، قد ضمها السلطان سليم إلى الاتحاد العثماني في 16 - 1517 ، إلا أن استتباب النظام العثماني بشكل كامل ، تم على عهد ابنه السلطان سليمان (1520 - 1566) . لم يدخل الأتراك إلى المشرق وإلي العالم العربي مع العثمانية . دخل الأتراك في خدمة الخلفاء على شكل جيوش كبيرة في العهد العباسي ابتداء من القرن التاسع لدرجة أنهم كونوا سلالات حاكمة في الأقطار كمصر . لكن التدخل التركي الأصلي بدأ مع حركة السلاجقة لحماية الخلافة العباسية السنيه والعالم الإسلامي السنّي من السيطرة الشيعيّة . أمر الخليفة العباسي في 21 رمضان 447 (15 / 12 / 1055) بتلاوة خطبة الجمعة في بغداد باسم الخاقان السلجوقي سلطان طغرل بك . أصبح الأتراك بعد السلاجقة من العناصر التي لا غنى عنها في المشرق . يلاحظ هذا الوضع بجلاء في الخوارز مشاهين ، الإلخانيين ، الجلايريين ، التيموريين ، قره قوينلولر (أصحاب الخرفان السود) ، آقوينلولر (أصحاب الخرفان البيض) ، الزنكيين ، الأيوبيين والمماليك . السلالات الثلاث

الأخيرة ، حققت التركيب العربي ـ التركي بنجاح كبير . وأخيرا ، تسلّم السلطان سليم الأقطار العربية من المماليك التي أطلقت على نفسها اسم « الدولة التركية » . وبناء على ذلك ، فإن الأتراك لم يكونوا قوما مجهولين بالنسبة للعرب عند مجيء العثمانيين ، دائما كانوا معلومين معروفين . كان العرب قد تعلموا منذ عصور كيفية تعاملهم مع الأتراك ، وكان الأتراك كذلك قد تعلموا كيفية تعاملهم مع العرب وجرّب وعلم كل منهم إمكان تعايشهم سويا بوئام تحت راية دولة إسلامية موّحدة . بالطبع حدثت مصادمات ، لكنها لم تكن مصادمات قومية . كانت إما مصادمات مذهبية، أو بين السلالات والدولة . نجد نفس الوضع بين السلالات التركية البحتة ، كما نجده كذلك بين الدول العربية ، هذا علاوة على أن مفهوم القومية بمعناه الحالي ، الذي بدأ في العالم في القرن 19 ، لم يكن موجودا خلال تلك القرون . ويضاف إلى ما تقدم أيضا أن الأتراك ، هذا الشعب العسكري ، كان قد دافع عن الدين الإسلامي بنجاح تجاه الصليبيين . ولولا ذلك ، لكان من المحتمل أن يضمحل المسلمون ، كما حدث في الأندلس ، كما أن المماليك توجوا هذا بإزالتهم بنجاح كبير من شرق البحر الأبيض (بالفرنسية : Levant) بقايا الصليبيين ، الأمر الذي يسّر للعثمانية وسطا أكثر ملاءمة . وليس هنالك شك في أن الأتراك والعثمانيين خدموا قضية انتشار الدين الإسلامي ودخول كتل كبيرة فيه .

أما في المغرب وأفريقيا الشمالية ، فقد اتضح قطعيا وبصورة جازمة أن العثمانية هي العامل في إنقاذهما من اعتناق المذهب الكاثوليكي وإنقاذ عرب المغرب من الإبادة . ولو أن التدخل العثماني في المغرب تأخر ربع قرن آخر ، لكان مصيرها مصير الأندلس ، لايوجد قطر عربي لم يتدخل فيه الأتراك . لم تغرب « المقبرة التركية » الموجودة بالقرب من قلحاط ، عن أنظار السواح الأوروبيين في أواسط القرن 19 ، وهي مقبرة الأتراك الذين كانوا يعملون بخدمة أئمة عمان في العصر 13 (**Haurt** ، **Histoire des Arabes** ، **2** ، **261**) .

لم تحقق الأقطار العربية كالحجاز واليمن بخاصة ، للدولة العثمانية أية فائدة اقتصادية ، بل إنها استنفدت الكثير من الدراهم والجنود . غير أنه كان أمرا واجبا ومحتما على الدولة الحائزة على صفة الخلافة الإسلامية ، أن تهتم بهذه الأقطار .

جهزت كل من الحجاز واليمن بالخطوط اللاسلكية ، منح عبد الحميد الثاني من جيبه الخاص 5 / 2 مليون ليرة ذهب ومدّء خط الحجاز الحديدى . لقد كان لهذا العمل أهميته ، من ناحية كونه وسيلة لإظهار الوحدة الإسلامية ، إذ تبرع له شاه إيران ، خديو مصر ، نظام حيدر آباد ، نوّابين الهند ، وحتى جماعات المسلمين في جزر اوقيانيا . كان السلطان حميد يرغب في أن يوصل الخط حتى اليمن ، ولكنه خلع .

أدركت إنكلترا أن هذا الخط إنما مدّ بغرض منع تدخلها في الأقطار العربية ؛ إذ إن خط بغداد الذي سيمتد إلى خليج البصرة ويصل حتى الكويت كان من تصميم السلطان عبد الحميد كذلك . قرر الباب العالي في 1912 ، مد خط سكة حديدية ـ زبيد ـ تعز ، عب ـ يريم ـ صنعاء ، وقد اندلعت نار الحرب مع إيطاليا التي كان لها أطماع في اليمن بقدر ما كان لها أطماع في ليبيا ، واعقب ذلك حربا البلقان والعالمية الأولى .

بنو قتادة ، هم الأشراف الموجوْدون في مكة منذ 1202 . اشتركوا في الحكم باسم الأيوبيين ، ومن 1250 إلى 1517 باسم المماليك ، وبعدها باسم العثمانيين ، أو حكموا بأنفسهم بين فترة وأخرى كل أنحاء الحجاز تقريبا وليس مكة فحسب . اعتنقوا المذهب الحنفي في 1517 لمسايرة العثمانيين ، بينما كانوا شافعيين . وكان من الطبيعي كذلك أن تهتم الدولة العثمانية بالحجاز قبل 1517 . وبالدرجة الأولى ؛ لأنها كانت ترسل في كل عام آلاف الحجاج إلى الحجاز .

الكعبة والروضة المطهرة ، لم تكونا عائدتين إلى المماليك ولا للعرب ، كانتا تعودان لكل المسلمين . كان المماليك يقومون بإدارتها باسم كل المسلمين . بدأ يلدرم بايزيد (1389 ـ 1402) بإرسال مبلغ 3500 ليرة ذهبا سنويا لتوزيعها على فقراء مدن ؛ مكة ، والمدينة ، قدس ، الخليل . ويطلق على هذا اسم « صره » . زاد مراد الثاني (1421 ـ 1451) هذا المبلغ إلى 3500 ليرة ذهب لكل من مكه والمدينة زاد ابنه السلطان محمد الفاتح (1451 ـ 1481) هذا المبلغ إلى 800 كيسه (1451).وعند فتحه استانبول (1453) ، أرسل من أموال الغنائم إلى شريف مكه مبلغ 9000 ليرة ذهبا . زاد ابنه بايزيد الثاني (1481 ـ 1512) الصّرة التي ترسل إلى مكة والمدينة ، إلى 14000

ليرة ذهب ، وعند اعتلاء ابنه السلطان سليم العرش في 1512 ، زاد المبلغ إلى 000 28 ليرة ذهب وفي 1517 عند فتحه مصر ، زاده إلى 000 200 ليرة ذهب . وهكذا فإن الدولة العثمانية ، استمرت في رعاية كل التزامات الدولة المملوكية في الحجاز واستمر ذلك حتى 1916 .

كان أحد شرفاء قتادة ، ينتخب أميرا على مكة . وكان برتبة وزير أو قاضي عسكر . تعلن إمارته بعد تلاوة المنشور المرسل من استانبول بصورة علنية وإطلاق 19 مدفعا . تعزف الموسيقى العسكرية (مهتر) أمام السراي عصرا كالوزراء الآخرين . ومع أنه يتقاضى من استانبول راتبا سنويا قدره 000 15 ليرة ذهب ، فإن نصف إيرادات جمرك جدّة ، تترك للأمير . كان للأمير جنود معيّة وهم من البدو . كان بمكة حامية عثمانية ذات مدافع وبنادق ، لكن هؤلاء الجنود لا يتلقون أوامرهم من الأمير . لا يفتر الخلاف بين شرفاء قتادة وينقلب في بعض الأحيان إلى خلاف شديد وكانت الحكومة العثمانية تحاول التأليف بينهم . وفي 1701 ، قلّصت الدولة العثمانية صلاحيات الأمير إلى درجة كبيرة وجعلت صلاحياته كصلاحيات رئيس بلدية مكة . إذ إن الحكومة العثمانية ابتداء من 1701 إلى نهاية السلطنة ، بدأت في تعيين شخصين بلقب شيخ الحرم برتبة وزير أحدهم في مكة والآخر فى مدينة ، علاوة على واليها الموجود في الحجاز . أعطيت للأول كل المهام والصلاحيات العائدة لمكة والكعبة والحرم الشريف ، وللثاني ، المهام والصلاحيات العائدة للروضة المطهرة ، وفي هذا نجد من ناحية ، المركزية التي لا تجارى في نظام الدولة العثماني ، ومن ناحية أخرى نرى حرص الدولة في الحفاظ على التقاليد ، إذ إنها لم تلغ مقام الإمارة . كلا شيخا الحرم كانا واليين فعليين لمكة والمدينة . والحامية العثمانية الموجودة في تلك المدينة وفي المنطقة المحيطة بها تابعة لأمرهما . لم يكن هناك تشكيلات التيمار في إيالتي الحجاز والحبشة . كان للأمير معيّة من زمرة الحرس والكتبة يبلغ عددهم نحو 600 . استمر الأمير برتبة وزير حتى النهاية .

كان والي مصر يرسل موكب الصرّة مع كسوة الكعبة من القاهرة إلى مكة حتى عام 1714 . ومن 1714 حتى 1916 كان موكب الصرّة يرسل من استانبول في كل عام .

تبدأ المراسم بحضور البادشاه ، ويتحرك الموكب بحيث يكون وصوله إلى مكة والمدينة في عيد الأضحى . كان ذلك احتفالا دينيا كبيرا . كانت النقود الذهبية والفضية المرسلة تحمل على ثلاثة بغال . وفي اللفتر الذي يحمله الشخص المسن والوزير المتقدم المسمى « صرّه أميني » (أمين الصرّه) أسماء وعناوين الذين ستوزع عليهم هذه المبالغ . وعند وصول الموكب إلى الشام يأخذ الوزير ، الذي يعيّن أميرا للحج « حج أميري » لتلك السنة ، مكانه في مقدمة الموكب .

يستقبل أمير مكة وشيخ الحرم ، الموكب في منى ، ويفتح الأمير الكتاب السلطاني « نامه ء همايون » بعد تقبيله ثلاث مرات ووضعه على رأسه احتراما ، ويدخل مكة على رأس القافلة ، ولقد أصبح استقبال أمير مكة ، موكب الصرّه في المدينة ، في القرن 19 عادة . آخر موكب للصرّه ، أرسل عام 1915 ، ولم يتمكن الموكب من الذهاب إلى مكة عام 1916 بسبب عصيان الأمير حسين . وآخر صرّه في 1918 ، وصلت إلى الشام ووزعت فيه . وفي 1922 ، أرسل للمرة الأخيرة السلطان وحيد الدين صدقة إلى أصحاب الحاجة في مكة والمدينة ..وبعد 1923 ، ترك الخليفة عبد المجيد الثاني هذه العادة .

كان إرسال « الكسوة » إلى الكعبة من مقتضيات واجب الخلافة . أرسل العباسيون الكساء إلى مكة حتى عام 1258 من بغداد ، وحتى 1517 من القاهرة . وأخذ بنو عثمان هذا الواجب بعد ذلك على عاتقهم . تشغل الآيات بخيوط الذهب فوق الحرير الأسود السميك جدا . كان الغطاء الأصلي (الستارة) المسمى « حجاب » يصنع من 1060 ذراعا من القماش ، وله نطاق من 50 ذراعا . يشغل عليه الآيات واسم الخليفة الذي أرسله بالخط الثلث .

كان هذا الغطاء حتى 1609 يحاك في القاهرة ، واعتبارا من ذلك التاريخ وحتى عام 1916 حيك في استانبول . يستهلك 48000 درهم من الحرير في حياكته . تعذر إرسال الصرّه والكسوة لمدة 4 سنوات من 1808 إلى 1811 .

كانت الكسوة تبدل كل عام ، يؤتى بالكسوة القديمة إلى استانبول ، وترسل إلى سراي طوبقابو بعد شهرها على الشعب باحترام كبير في جامع أيوب . تجدّد ستارة الكعبة التي تصنع من الأطلس الأخضر ، كل 7 سنوات بحيث يصادف موعد تبديلها ، وقت

الحج الأكبر . حفظت مفاتيح الكعبة في قسم الأمانات المقدّسة من سراي طوبقابو منذ 1517 .

أولّي اهتمام كبير للحفاظ على الحرم الشريف والروضة المطهرة بشكل يليق بشأن الإسلام . وقد جعل الخلفاء العثمانيون خاصة من الروضة المطهرة مكانا يليق بقدرها . جمعت الأشياء الثمينة الموجودة في الروضة في صناديق وأرسلت إلى استانبول في الحرب العالمية الأولى على يد فخر الدين باشا ، وهي موجودة حاليا بين مجموعة الأمانات المقدسة في سراي طوبقابو . أمر أحمد الأول ـ المتديّن جدا ـ في 1612 بصنع الميزاب الذهبي الشهير للكعبة المسمى « ميزاب رحمت » (ميزاب الرحمة » . علقت الماسة المسماة « شب ـ جراغ (قنديل الليل) في ناحية رأس الرسول ﷺ . كان محمد الثالث والد السلطان أحمد قد اشترى ماسة شب ـ جراغ بمبلغ 50 000 ليرة ذهبا وكان لا يخلعها من أصبعه . صُنّعت شب ـ جراغ على شكل لوحة ، وذلك بتعليق 220 ماسة إضافية على أطرافها وأرسلت إلى المدينة (حاليا في سراي طوبقابو) . وفي 1818 ، أرسل محمود الثاني إلى المدينة 3 ثريات مطعمة بالجواهر بصورة كاملة ، إضافة إلى الثلاث ثريات (اثنتان منها من الماس والأخرى من الزمّرد الخالص) الموجودة في الروضة المطهرة (جودت ، 10 ، 241 ـ 2) . صرف ابنه عبد المجيد الأول (1839 ـ 1861) من خزينته الخاصة مبلغ مليون ليرة ذهبا للعناية بالمسجد النبوي في المدينة . صرف ابنه عبد الحميد الثاني (1876 ـ 1909) مبلغا ضخما لتنظيم الروضة مجدّدا وطلا داخلها بالطلاء الأخضر .

وفيما يلي أنقل إليكم بعض المعلومات عن وضع إيالة الحجاز في 1889 لتوضيح وضع الإدارة العثمانية الأخير فيها (**حجاز ولايتي سالنامه سي** ، سنه ء هجرية : 1306 ، دفعه : 4 ، مطبعة مكة المكرمة ، ص 306) :

تعداد الإيالة التقريبي 2500 000 نسمة (الإمبراطورية بصورة عامة 42 557 617 نسمة) مركز الإيالة مكة . لغة الإيالة العربية لكن الشعب يفهم التركية كذلك . مصطفى صفوت باشا والي الحجاز وفي نفس الوقت شيخ الحرم لمكة ، عسكرى (مشير) ، حامل أوسمة عثماني ومجيدي من الدرجة الأولى ، أمير مكة الشريف عون الرفيق

باشا ، برتبة وزير ، ويحمل أوسمة الامتياز العثماني والمجيدي وكلها من النوع المرصّع . قاضي مكة أحمد مختار أفندي برتبة « استانبول » ، حامل وسام المجيدي من الدرجة الثانية . قابو كتخداسي حاجي كامل أفندي الذى يترأس الموظفين التابعين لأمر الأمير ، برتبة بالا ، حامل وسامي العثماني والمجيدي من الدرجة الثالثة . هؤلاء هم كبار الموظفين ايضا ، كان 22 موظفا يعملون في مطبعة الولاية . تطبع المطبعة الكتب والصحف باللغة العربية وباللغة التركية كذلك . 8 قضاة يعملون في محكمة التمييز . ترابط فرقة واحدة في مكة ، قائدها الفريق أحمد فيضي باشا ، حامل أوسمة العثماني والمجيدي من الدرجة الثانية . في المدينة قائد حامية برتبة فريق وبلقب « محافظ » (عثمان فريد باشا ، أوسمة العثماني والمجيدي من الدرجة الأولى) ، وهو فى ذات الوقت متصرف (والي ولاية) المدينة . تتكون الفرقة الموجودة في الحجاز من كتائب المشاة الـ 64 ، 65 ، 66 التي تتكون كل منها من 4 سرايا تتكون السرية من 4 فصائل ، سريتي مدفعية ، كتيبة درك (جندرمه) ذات 5 سرايا وفصيلتي موسيقى . تنقسم إلى لوائين . وتحتوي كتيبة الدرك على 77 ضابطاً . مجموع المدفعية 5 بطاريات و 41 ضابطا ، هذا عدا الضباط الأطباء العاملين في المستشفى العسكري في جدة تحت إشراف المقدم الدكتور هارون بك . رئيس أطباء الفرقة الدكتور محمد بك ، برتبة مقدم أيضا .

بمدينة مكة 7 جوامع ، 68 مسجدا ، قلعتان ، قصر حكومي ، محكمة ، دائرة بريد ، ثكنتان ، مستشفى عسكري ومستشفى مدني ، 3 تكايا ، 12 مقبرة ، 40 حنفية مياه مشيّدة (جشمه) وسبيل ، حمامان ، 3000 دكان ، 6500 دار ، مطبعة ، 25 مغازه (مخزن كبير) ، سوقان للتحف ، 9 خانات ، 19 رباطا (ملجأ للفقراء) ، 80 طاحونة ، 7 مطابخ للمحتاجين (عمارت) ، 6 مدارس ، مدرسة متوسطة ، مكتبتان ، دار توقيت ، 60 فرنا ، 95 مقهى ، صيدلية ، 43 مكتبا ، 17 مصنع كلس ، مذبحان (سلخانة) ، 8 معامل أواني وقوارير فخارية ، مخزن نفط ، بناية محجر صحي ، مصنعا دباغة .

الطائف ، ناحية مكة ، يسكنها شتاءً 1 500 من السكان المحليين ، بها 7 جوامع ، 7 مساجد ، مدرسة ، 4 مكاتب ، سبيل ، ثكنة ، 400 دار ، 200 دكان ، 16 كشكا ،

حمام ، 9 أفران ، 10 قصابين ، مذبحان (سلخانة) ، 3 أحواض . يزداد عدد سكانها صيفا بالقادمين من مكة .

« شيخ الحرم حضرت نبوي » في المدينة المنورة ، عسكري أيضا (المشير عادلي باشا ، أوسمة العثماني الثاني والمجيدي الأول) . القاضي محمد فوزي آفندي ، برتبة حرمين ولا أوسمة له . أمير اللواء الدكتور حسني باشا ، المفتش الصحي للمدينة (العثماني والمجيدي الرابع) « فراشت شريفة وكيلي وشيخ الخطباء » ، قاضي عسكر وهو أحمد أسعد أفندي (العثماني والمجيدي الأول) . تحتوي المدينة على 10 جوامع ومسجد ، 8 تكايا ، 17 مدرسة ، قلعة ، سراي حكومة ، مدرسة متوسطة ، 11 مكتباً ، ثكنة ، 21 سبيل ماء ، مستشفى ، دار توقيت ، 4000 دار ، 932 دكانًا ، 18 فرنا ، 26 مقهى ، 4 خانات ، حمامان ، 108 رباطات ، 10 مراكز شرطة 4 مصابغ ، 485 بستان نخيل .

ينبع ، مرفأ المدينة ، قضاء قائمقامه عسكري أيضا ، الرائد (بكباشي) نسيم بك ، يدير القضاء ومعه 19 موظفا . عدد نفوس القصبة 5000 نسمة ، وتحتوي على دار حكومة ، 3 جوامع ، 800 دار ، 300 دكان . وناحية هذا القضاء خيبر .

الوجه ، قضاء آخر للمدينة وهو مرفأ على البحر الأحمر كذلك . تحتوي القصبة على 200 دار ، جامع ، قلعة ، دار حكومة ، 20 دكاناً ، مركز حجر صحي و 2500 نسمة .

متصرف لواء جدة مدني (محمد شريف بك ، برتبة متمايز ، وسام المجيدي الثالث) . جدة ، مركز أسطول البحر الأحمر ، قائده أمير اللواء البحري موسى باشا . يتكون الأسطول من 4 سفن حربية (Corvet) و سفينة حربية (Gunboat) ، 68 ضابطا بحريا ونحو 600 جندي . تحتوي مدينة جدة على قنصلية إيرانية عامة ، قنصليات إنكلترا ، فرنسا ، هولاندا والسويد ، معاونيات قنصاليات النمسا ، اليونان ، سكانها 25000 نسمة ، وبها ، دار حكومية ، قلعة ، ثكنة ، دائرة جمرك ، دائرة ميناء ، دائرة بلدية ، دائرة حجر صحي ، مستشفى مدني ، مستشفى عسكري طاقته 100 سرير ، 6 مراكز شرطة ، دائرة بريد ، 5 جوامع ، 30 مسجدا ، 7 مقابر ، حمامان ، خزان ماء ، فسقية ذات حوض ، مخزن مياه للسفن ، مصبغة ، 4 أحواض ، حنفية مياه مشيّدة ، 3 300 دار ، 900 دكان ، 10 مخازن كبيرة ، 47 طاحونة ، 47 فرنا ، 40 مقهى

ومعمل ، 30 خانا و 12 مطعما وصيدلية وسوق للسمك ومعمل صدف ومصنعا كلس ومذبح (سلخانة) ومعمل لغاز الاستصباح ، مدرسة متوسطة ، 10 مكاتب .

الليث ، مركز قضاء في لواء جدة . تحتوي القصبة على جامع ، دار حكومة ، 50 دكانًا ، 550 داراً ، 2000 نسمة .

رابغ ، مركز ناحية تابع لهذا القضاء ، ميناء على مسافة بعيدة من جدة ، عبارة عن قلعة ، دار حكومة ، 7 آبار . 10 خزانات مياه أرضية ، 116 دارا ، 5 جوامع ، 60 دكانا و 369 نسمة من السكان المحليين والموظفين الأتراك :

دوّن في السالنامة (النشرة السنوية) أن سلاطين القرون الأخيرة ورجال الدولة في استانبول أهدوا إلى « المدينة » 22914 كتاباً باللغتين العربية والفارسية ومخطوطات باللغة التركية وقد تم تسجيلها جميعا ، كما أرسل السلطان عبد العزيز (1861 ـ 1876) إلى الروضة المطهّرة 143 سجادة من نوع أوشاق ذات قيمة كبيرة .

سافر أولياء جلبي ، في 1672 ، عندما كان في 61 من عمره ، إلى العقبة ـ المدينة ـ مكة ـ جدة وحّج . وهو يقص علينا سفرته هذه في مجلده التاسع (ص 585 ـ 825) . وتشرح لنا في السطور القليلة التالية المقتبسة منه وضع مكة والمدينة في أواسط القرن 17 :

أدركت قافلة الحج قلعة جكيمان بعد 10 ساعات من العقبة وتركت إيالة شام ، ودخلت إيالة حجاز . جلبت الماء إلى هذه المنطقة ، أسمهان سلطان الأبنة الكبرى لسليم الثاني وزوجة صوقوللو محمد باشا . يعد هذا عملا خيريا كبيرا إذ لايوجد ماء في مكان آخر طول الطريق . يطلق الأتراك على بسيط بيعتيه التي تقع على بعد مرحلتين و 20 ساعة في منتصف طريق شام ـ مكه تماما « قورو قاواق » . جدّد محمد الرابع في 1652 القلعة التي كان قد بناها نور الدين زنكي . وبعد 4 مراحل و 45 ساعة ، نجد قلعة المعظم وهو كروانسراي عظيم من بناء قوجا سنان باشا . المرحلة التالية بعد 18 ساعة هي شق العجوز . فتحت تارهان والدة ـ سلطان فيها آبار المياه . ثم تأتي المرحلة التي تليها بعد 18 ساعة ، هي حدود الكعبة وخرائب مدائن صالح ، لا يجوز لغير المسلم أن يجتاز أبعد من ذلك . وبعد 38 ساعة و 3 مراحل ، نجد بئرا

جديدا يسميها الأتراك « بني قويو » ، وقد جلبت تارهان سلطان الماء لهذه المنطقة أيضا . فيها قبر النبي هود عليه السلام . وبعد 51 ساعة و 3 مراحل ، قلعة خيبر ، لكن طريق الحج لا يمر بخيبر ، وإنما يمر بالقرب منه . والمرحلة التالية هي المدينة استقبل عشرات الالوف من الحجّاج بتحية 80 إطلاقة مدفع اطلقت من قلعة المدينة

كانت « المدينة » تسمى قبل وفاة الرسول ﷺ في 622 ، « يثرب » ، ثم سميت « مدينة النبي » ومختصرا « مدينة » ولإظهار الاحترام « المدينة المنورة » تقع في بطن الصحراء وعلى ارتفاع 639 عن مستوى البحر ، وهي المدينة المقدسة الثانية في العالم الإسلامي بعد مكة . أصبحت عاصمة للدولة الإسلامية قبل أن ينقل علي (كرم الله وجهه) مركز الخلافة إلى الكوفة . بنى قلعتها السلطان سليمان ، ويقال إن ذلك بناء على رؤيا تمثل له فيها الرسول ﷺ عام 1552 . من المعلوم أنه لا يرى الرسول عليه الصلاة والسلام في رؤياه إلا النادر من الناس .

المدينة ، مركز لواء في إيالة حبش (الحبشة) . لايجوز لأمير مكة في قانون سليمان خان أن يحضر إلى المدينة أكثر من مرة واحدة في السنة . في حالة ترفيع قاضي المدينة ، يصبح رأسا قاضي استانبول . وبموجب القانون الذي وضعه محمد خان في هذه الأيام ، فإنه لايمكن أن ينال القاضي مرتبة استانبول ، مالم يزاول القضاء في مكة أو المدينة . رغب الكثيرون في تولي قضاء الحرمين . كان الملائون في السابق لايرغبون في تولي القضاء في مكة والمدينة بسبب كونهما بعيدتين وغريبتين جدا بالنسبة لأولاد روملي . تأثر البادشاه بشدة لهذا الوضع ، وأعلن على أثر ذلك القانون الذي أسلفنا ذكره والذي يقضي بأنه لا يرفع إلى منصب قاضي عسكر من لم يرتق إلى رتبة قاضي استانبول .

يعمل مع القاضي عدد من 40 ـ 50 موظفا تابعين لأمر القاضي ، أما شيخ حرم المدينة فيتبعه 500 جندي عثماني . يطلق على أمير لواء المدينة « شيخ الحرم » ، يرسل من استانبول . يرابط في قلعته 100 جندي حمايه (محافظ) ، 80 مدفعا ، يحتوي داخل السور على 2080 دارا . محيط القلعة 3350 ذراعا . سمك السور 6 وارتفاعه 20 ذراعا

رصيف ينبع ، قضاء تابع للمدينة . ونواحيها حديدة ، صفراء دار القرى ، فدك

علي وخيبر .

تقع الروضة المطهرة داخل الجامع الكبير . لاتصلى صلاة الجمعة ولا تتلى الخطبة في جامع آخر في المدينة ، بما في ذلك مسجد سليمان خان الموجود في القلعة . يصلي الناس في وقت الحج في الشوارع التي تحيط بالجامع أيضا . زيّن الجامع وكأنه قطعة من الجنّه . بني البناء الأصلي بأمر سليمان خان ، ولكننا نرى كذلك إنجازات السلطان قيتباي ، السلطان قنصوة ، مراد الثالث وأحمد الأول . وضع مراد الثالث المنبر الحالي في 1594 . يضاء بواسطة 7000 قنديل . قبة الروضة المطهرة من بناء السلطان قايتباي . يرقد أبو بكر (رضي الله عنه) بجوار الرسول ﷺ ، وترقد فاطمة (رضي الله عنها) في قسم مجاور آخر . يُعني بتنظيف الروضة « شيخ الحرم حضرت نبوي » وهو الذي بمرتبة وزير ، مع 700 من معيّته السود . يشاهد 300 مفتاح ذهبي وفضي معلقة على جدار مقام الشيخ . المقصورة الموجودة وسط القبة تنقسم إلى أربعة أشطار ومصفوفة بالجواهر من بدايتها إلى نهايتها . يرقد الرسول ﷺ تحت المقصورة وداخل ستار القبة الأخضر . لايمكن لأي فرد أن ينفذ إلى داخل المقصورة . كل الأشياء المحيطة بالمقصورة كالشمعدانات ، القنّاديل ، المباخر ، الكلبدانات (أواني رش ماء الورد) ، مرصعة بالأحجار الكريمة . يفتح شيخ الحرم الباب بمفتاحه الذهبي مرة في السنة مع رجاله ويكنس وينظف بيده تلك المقصورة . وأبو بكر (رضي الله عنه) كذلك تحت المقصورة ، وإلى جواره عمر (رضي الله عنه) ، فاطمة (رضي الله عنها) في مكان خارج المقصورة . و لم يدفن فيها غيرهم . المقصورة محاطة بسياج على بعد ثلاثة أذرع . ويستطيع الزوار الاقتراب إلى حد هذا السياج فقط . من الممكن الالتفاف والدوران من جهات السياج الأربعة . طعمت الأرضية بآلاف الأحجار الكريمة . لذا فإنها لا تغطى بالسّجاد . تلمع آلاف الأحجار الكريمة على الثريات الموجودة في القبة . كل واحدة منها نذر لأحد السلاطين . الشمعدانات من النهب الخالص ومغطاة بالأحجار الكريمة كليا . توجد 7 شمعدانات كل واحدة منها بارتفاع قامة بشرية أهديت بالتسلسل من آتابك نور الدين ، سلطان قايتباي ، سلطان قنصوة ، السلطان ياوز سليم ، السلطان سليمان القانوني ، تيمور أوغلو أكبر شاه والسلطان

أحمد الأول . والماستان المعلقتان أمام قبر الرسول ﷺ زنة 70 قيراطا . طلا السلطان أحمد الأول داخل القبة بالذهب . دوّن على القبة اسم السلطان أحمد وأجداده حتى عثمان غازي بالخط الثلث .

تدّرس مدارس السلطان سيف الدين ، السلطان قايتباي وصوقوللو ، التحصيل العالي . توجد 202 مدرسة ، 20 مكتبا ، سوق فيه 700 دكان ، 70 سبيلا ، أكثرها من بناء السلطان سليمان و حمامان . يفتح السوق بصورة مستمرة لمدة 24 ساعة في الأشهر الثلاثة (أشهر الحج) . تبقى هذه الأبنية داخل السور . ويوجد عدا ذلك ، خارج السور مايقرب من 2000 دار ، مدرسة الخاصكية العالية ، 4 مطابخ للمحتاجين بناها العثمانيون وأعمال خيرية أخرى . وهناك كلية لكل من سليمان خان وزوجته خُرّم سلطان . يرقد في مقبرة البقيع الواقعة في شرق القلعة كبار الشخصيات الإسلامية ، الحسن (رضي الله عنه) ، بنات وزوجات الرسول ﷺ ، العباس (رضي الله عنه) ، الإمام زين العابدين (رضي الله عنه) ، ابنه الإمام محمد الباقر (رضي الله عنه) ، ابنه ، الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه) ، الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنه) ، الخليفة الأموي الوليد والعباسي الواثق وآلاف آخرون . تشاهد في **قباء** وبها 200 دار خارج المدينة ، مساجد الرسول ﷺ ، عائشة (رضي الله عنها) وعلي (رضي الله عنه) . ثم يشاهد بارك (حديقة) صوقوللو ، مسجد عثمان (رضي الله عنه) وقبر حمزة (رضي الله عنه) .

تقع **بدر** ، بعد 45 ساعة و 4 مراحل . وتقع المدينة ، بعد بدر بمسافة 97 ساعة و 7 مراحل . تشاهد الآثار العثمانية على امتداد الطريق . وسع مراد الرابع الطريق وسوّاه ، وأصلح طريق **عقبه شكر** بصورة جيّدة ووسعه . وعندما شوهدت مكة ، سمعت الموسيقى العسكرية (مهترخانة خاقاني) وهي تهز السماء والأرض بأنغامها ، وبدأت قافلة الحج في دخول المدينة .

مكة المكرمة ، في جنوب الحجاز ، أكبر مدينة في ، القطر ، والمدينة المقدسة الأولى في العالم الإسلامي . فيها الكعبة المعظمة ، الموقع المقدس الأول عند المسلمين . على ارتفاع 265 م عن مستوى البحر . وعلى غربها ، رصيفها البحري جدة وفي جنوبها الشرقي

مصيفها طائف . وبحره ، هي المرحلة التي بين مكة وجدة كان الحج الأكبر قد تحقق عند وصولنا إلى مكة ، وكان اليوم يوم جمعة . تليت الخطبة باسم السلطان محمد خان ، أولا في جامع إبراهيم (عليه السلام) الذي أعاد إنشاءه السلطان أحمد ، ومن ثم في جبل عرفات . كان السلطان أحمد ، جد سلطاننا الحالي محمد الرابع ، قد جدّد ووسّع جامع ضيف وهو أكبر جامع بين جوامع المدينة التي يبلغ عددها نحو 70 . شعب مكة ، مولع بالتسلية والطرب . تطلق الألعاب النارية في الأعياد . تستمر الموسيقى في المقاهي ليلا دون انقطاع . طلقات الألعاب النارية السماوية التي تصنع في الشام والقاهرة ، تزين سماء مكة الصافي بأشكال الفراشات المارد ، الكلب ، الحمار ، الكبش ، القلعة العديدة الألوان وأمثالها من الأشكال الأخرى . وكلما ارتفعت الطلقات ، تنقسم إلى شعب وكل شعبة منها تكوّن شكلا جديدا . إن هذا الفن الرائع خاص بالعثمانية . الاطلاقات السماوية التي شاهدتها أوروبا في ألمانيا مثلا ، كانت بسيطة بالقياس إلى تلك . كان قد حضر هذا العام إلى الحج ، العديد من رجال الدولة العثمانية . كل شريف من أشراف مكة ، اُصطحب واحدا منهم وضيّفه في داره . الشعب العثماني ، يحب شعب مكه كثيرا ويكن له الاحترام الزائد . كان المكّي الذي يذهب إلى أي مكان من الإمبراطورية ، يقابل بإكرام كبير ولا يسمح له بالإنفاق من جيبه . يتبرع الكثيرون لشعب مكة ، حتى من خارج الدولة العثمانية . يتقاضى أمير مكة من الدولة في كل يوم عرفة ومرة واحدة في السنة ، مبلغا رمزيا قدره ألف ليرة ذهب . دخله الأصلي ، هو نصف حاصل إيرادات جمركي جدة وينبع . لكن هذا ، كان لايكاد يفي بمصروفات . إذ إنه كان يقوم بإعاشة حرسه البالغ عددهم 3000 . تقوم بحماية المدينة 12 فصيلة من الجند حملة البنادق الذين يرسلون من استانبول ، وهؤلاء يتلقون أوامرهم من شيخ الحرم وليس من الأمير . المسافة إلى البحر وجدّة 12 ساعة ، التوقف مرة واحدة في منتصف الطريق . المنطقة صحراوية تماما . توجد بعض القصبات ، تحتوي كل منها على ممثل للأمير وهو من العائلة نفسها ، أي شريف . منصب قضاء مكة ، يعتبر من أكبر المناصب العلمية في الدولة .

أحيط الحرم الشريف بسور ، ولو وضع مدفع لأصبح قلعة . تتوسطه الكعبة .

الكتابة التي تعلو قوس بابها الأوسط من بقايا عهد القانوني ومن خط قره حصاري . وضعه الحالي من عمل السلطان سليمان . بنى مراد الثالث بعض الإضافات . يحتوي على 678 عمودا مرمريا ، أكثره أبيض اللون . طول أحد أضلاع الحرم الشريف 320 ذراعا . بنى المعمار سنان بأمر القانوني على جبهاته الأربع 36 + 24 + 36 + 24 = 120 قبة .

وسقّف مشتملاته من الأبنية بقبب مغطاة بالرصاص وجعلها شبيهة بمدارس إستانبول (الدينية) كان والدي درويش محمد ظلّي آغا قد صنع ميزاب الرحمة بأمر السلطان أحمد خان ، حضر والدي بنفسه إلى الكعبة وأشرف على تركيب الميزاب الذهبي (حاليا في سراي طوبقابو) . يحتوي على توقيعه . يتجمّع ماء المطر الذي يمطر على الكعبة في هذا الميزاب الذهبي وينسكب على حجر السجدة . حجر السجدة هو الموقع الذي سجد عليه الرسول ﷺ عند صلاته وإمامته للناس عند الكعبة . جعل كمحراب . وضع على طرفيه شمعدانان فضيان مكسوان بالذهب وبارتفاع قامة واحد ، مع 200 قنديل .

الحجر الأسود (وكما يلفظه الأتراك : حجر أسود « بكسر حرف الراء » ، وبالتركية : قره طاش) يقدسه المسلمون . يصعب على كثير جدا من الحجاج لمس أو تقبيل الحجر الأسود خلال موسم الحج بسبب الزحام ، قد يمكن ذلك خلال العمرة في غير موسم الحج . يقوم بتنظيف ومسح وكنس الحرم الشريف نحو 200 من حرم آغاسي وهم الموظفون المسنون الذين تقاعدوا من خدمة الحرم الهمايوني في السراي العثماني. هؤلاء لا مثيل لهم في العالم في دماثة أخلاقهم ، ورقّتهم وتدينهم ، وقد اكتسبوا تربيتهم هذه في دائرة حرم البادشاه . يؤدون أشرف خدمة .

زمزم ، نبع في الحرم الشريف ، على مسافة قريبة من الكعبة ، بارد في كل المواسم ، لذيذ الطعم ومتدفق . بنى محمد الرابع للمرة الأخيرة الباب والقوس الموجودة فوق بئر زمزم . يدلي 4 رجال بـ 4 دلاء ويسحبون الماء في كل دقيقة مرة واحدة مدة 24 ساعة . يبدلون 5 مرات في اليوم ، لا عمل لهم غير هذا . لم تنقص ولا قطرة من الماء منذ آلاف السنين .

يتلو خطبة الجمعة في الحرم الشريف أحد العلماء الكبار الرتبة . يعتلي المنبر وبيده السيف . إذ إن الرسول ﷺ فتح مكة من المشركين بالسيف . وفي البداية يذكر اسم الله ويحمده . ثم يصلي ويسلم على الرسول ﷺ . ثم يذكر الخلفاء الراشدين فردا فردا . ثم يدعو لآل عثمان ويسلسل كل ألقاب الخليفة الحالي السلطان محمد خان الرابع . ثم يتلو بالتسلسل ـ راجعا إلى الوراء ـ كل أسلاف وأجداد السلطان محمد من السلاطين ويذكر أسماءهم ، القابهم وصفاتهم ، بشكل يمكّن مستمع الخطبة من إدراك ماكانت عليه دولة بني عثمان . ويتعرف على كيفية بناء أجزاء الإمبراطورية العالمية في زمن كل سلطان . يقطع الخطيب خطبته بعد تعريفه السلطان ياوز سليم ، ولا يرجع إلى ماقبله ، ذ إن السلاطين الذين يسبقون السلطان سليم ، لم يكونوا خلفاء . يستمع 000 70 حاج لهذه الخطبة برهبة واحترام وهم بملابس الإحرام ، يرسلون التحيات والتكريمات لى خليفة روى زمين (خليفة الرسول على وجه الأرض) . كان كل المسلمين كتلة احدة . يلفظ البشر القادمون من أعراق ، لغات ، أجناس ، ألوان ، أقاليم مختلفة ، والذين ارتدى أميرهم وفقيرهم اللباس ذاته ، كلمة « آمين » لشوكة بني عثمان . كان العالم الإسلامي شامخ الرأس ، وكان ذلك بفضل استانبول . هلل 000 70 حاج تكبيرات عيد الأضحى بمقام سيكاه للموسيقي أطرى أثناء هبوط الخطيب على سلم المنبر بخطوات بطيئة جدا ، مع انتظاره فترة في كل خطوة . فى الحرم المكي يصلي الناس حول الكعبة ، ومن ثم فإنه قد يقابل الصفّ صف ، وهو أمر لايكون أبدا في الصلاة في غير الحرم المكي الشريف .

تحتوي مكة وجوارها على 740 جامعا ومسجدا ، لكن أكثرها صغير جدا . وهى المساجد الموجودة في زوايا التكايا والمدارس . وضعت محاريب في بيوت جميع الصحابة وجعلت منها مساجد . قبر خديجة (رضى الله عنها) وبيتها الذي سكنه الرسول ﷺ 27 عاما حتى الهجرة ، يفوق كل الأماكن في عدد زواره . ان بيوت الخلفاء الراشدين الأربعة ، المستقلة ، هى حاليا مساجد . تحتوي مكة على نحو 40 مدرسة . أكثر من نصفها إنجاز عثماني ، وعدد منها من بناء المعمار سنان . أكبر مدرسة هي مدرسة سليمانية ، ذات 4 كليات ، وهى مدرسة عالية ومن الأبنية الخيرية لسليمان خان ، يسميها العرب « مدرسة الأربعة » ، التكية المولوية الكائنة وسط حديقة الورود والأحواض

والفسقيات هى أكبر التكايا الموجودة البالغ عددها 78 . يُضيِّف المسافرون المارون في مطبخ التكية إرضاء لله ومحبّة لمولانا . بني بادشاه الهند تيمور أوغلو أكبر شاه كذلك تكية كبيرة . يُضيف فيها الحجّاج القادمون من الهند . يوجد 53 خانا ذو عدة طوابق . يسمون الخان « وكالة » ، وفي كل منها مابين 100 إلى 200 غرفة . إحداها ، خاص بتجار الهند فقط . وخانات الأقطار العثمانية كمصر ، العراق ، سورية ، حلب ، واليمن ، خانات مستقلة . لايكفي كل ذلك في إيواء الحجاج وقت الحج . كثير من المكيين يؤجرون بيوتهم ، وهى بدورها لا تكفي ، فينصبون الخيام .

كانت مكة تعاني شحّا كبيرا في المياه قبل السلطان سليمان . صرف هذا السلطان مبلغا كبيرا جدا وجلب ماء غزيرا جدا من مسافة مرحلة واحدة عن جبل عرفات . مياه سليمان خان ، تجرى في كل مكان . وبنى حنفيات مياه مشيّدة كثيرة ، و 70 قصرا يجهز من تلك المياه . و 700 دار بها آبار . يوجد بدستان (سوق تحف) ذو 50 دكانا وسوق ذو 1300 دكان ، 145 قصرا يحتوي على حمام خاص . وهناك كذلك عدة حمامات عامة في السوق حماما صوقوللو محمد باشا وقوجاسنان باشا جميلان . تحتوي على نحو 150 مكتبًا ، ما يقرب من 40 دارا ، للقرّاء (الحفاظ) وحوالي 40 دارا للحديث . أكثرية الدارسين في مكة هم من المسلمين القادمين من الأقطار الأجنبية . تحتوي مكة على قبور كبار الشخصيات الإسلامية وصحابيين كثيرين .

جدة ، مرفأ مكة ومركز لواء فيها . ليست محظورة على غير المسلمين . وهى على مسافة مرحلتين من غرب شمال غربي مكة . الساحل المقابل لها هو السودان . يزيد عمق البحر الأحمر في هذا القطاع (2360 م) . شيّدت قايا سلطان ابنة مراد الرابع ، على مسافة من جدة في الموقع الذي يقال إنه هبطت فيه أُمنا حواء ، 7 قباب . بنى المهندسون العثمانيون قلعة جدة في الأيام الأخيرة من عهد المماليك بأمر السلطان قانصوه . تلك السنوات تسلّط البرتغاليون على البحر الأحمر ، إلى حد جدة . ولابد للسفن التجارية التي تغدو وتروح بين الهند ومصر (السويس) ، من المرور بجدة . وهكذا تدخل ألف سفينة إلى الميناء في السنة . إيرادات جمرك السنوية 60 مليون آقجة (نحو 1.5 مليار دولار) . تأخذ الدولة نصف هذا الإيراد وتترك النصف الباقي لأمير

مكة . أمير مكة مضطر لتقسيم هذا الدخل بين جميع السادة والأشراف وإنجاز أعمال معينة في الحجاز . يُرسل أمراء اللواء إلى جدة كولاة ويتسلمون الأوامر من والي حبش . يقيم والي حبش أحيانا في جدة وليس في أفريقيا . ويأتي إلى جدة مرارا ويتفقد أحوال الحجاز . تحتوي مدينة جدة على 8 خانات ، 3 دكاكين ، دكاكين ومخازن كثيرة جدا في الميناء . لم يشيّد فيها مدرسة ، ولا مطبخ للمحتاجين ولا سوق .

ينبع البر ، قضاء مدينة ، تحتوي على 300 دار ، 75 دكاناً . ينبع الأصلية هي **ينبع البحر** وهو ميناء وقضاء المدينة . قضاء كبير ذو قلعة . قلعته ذات 12 مدفعا . يحتوي على 300 دار . الميناء ذو حركة وفعّالية . يقوم بإدارة كل من القصبتين شريف مع 500 من رجاله . لكن قاضيهم يأتي من استانبول والجند قليلون ، منشآت الميناء تحت إشراف العثمانية .

عقبة ، باب كل من الحجاز جنوبا ، وفلسطين شمالا ، ومصر غربا ، ميناء يقع على رأس البحر الأحمر الشمالي – الشرقي . بنى قلعتها ذات الـ 7 أبراج ، والـ 4 زوايا ، ومحيطها 400 ذراع ، في 1524 ، الصدر الأعظم مقبول إبراهيم باشا . وبعد مسيرة 17 ساعة ومنزلين نحو الغرب نجد على طريق علاية ، شبه جزيرة سيناء وأراضي إيالة مصر .

23 – مصر .

يطلق اسم مصر على الإيالة العثمانية الكائنة في شمال شرقي أفريقيا . أسسها السلطان سليم في 8 / 4 / 1517 . كانت تحتل الدرجة الأولى في تشريفات الدولة حتى قطعت علاقتها مع الدولة العثمانية في 19 / 12 / / 1914 . ظلّت مصر كماسة سلطانية (امبراطورية) في رأس البادشاه – الخليفة العثماني . أما في أقصى الجنوب ، فقد وسّعت الأراضي التي أسست في 1517 كلواء وأسس اوزدمير باشا والسلطان سليمان إيالة حبش في 5 / 7 / 1555 .

شعب هذه المنطقة سني – شافعي وينطق اللغة العربية . أكثرية الحنفيين ينحدرون من عائلات تزكية الأصل . الشعب شافعي المذهب ، والمذهب الحنفي كان كأنه مذهب يتبعه الارستقراطيون . توجد أقلية مسيحية حافظت على مذهبها الأرثوذكسي

والكاثوليكي ، لكنها تتكلم العربية . وهناك عرب بروتستانت 9 ٪ حاليا من نفوس مصر مسيحيون) .

خصص أولياء جلبي مجلّده العاشر المكون من 1062 صفحة لأفريقيا بصورة كاملة ، سرد فيه رحلاته إلى السودان ، إريترة ، صومالي ، وخاصة سياحته لمصر ، وقدّم تفصيلات في مئات الصحائف عن مدينة القاهرة وأنقل لكم فيمايلي بعض السطور التي دونها جلبي عن مصر خلال السنوات التي تلي 1670 :

السويس ، شرق القاهرة تماما ، ميناء على البحر الأحمر ، مركز لواء بحري . ويمكن القول بأنه عبارة عن مدينة ، ميناء ومنشآت مصانع السفن وإصلاحها . توجد خانات كبيرة لصوقوللو محمد باشا واوكوز محمد باشا جلبْ الماء من مسافة 3 ساعات . هو المحطة الأخيرة للسفن القادمة من الهند . تفرغ حمولتها فيه . وتعود بعد تحميلها بالبضائع العثمانية .

للأميرال أمير لواء السويس أسطول قوى ومصنع كبير للسفن . ويسمى كذلك قبودان (قائد) الهند ، قبودان مصر ، قبودان السويس وكذلك يسمى قائد البحر الأحمر (بحر أحمر قبوداني) وهو أهم أميرالات العثمانية الموجودين في البحار الهندية . يملك حق مخاطبة الديوان الهمايوني مباشرة ، لايتدخل القبودان دريا (مشير البحر) في أموره . وعندما تولي كتخدا إبراهيم باشا الذي أصبح صدرا أعظم بعد ذلك ، مصر (1669 – 73) ، جهّز نحو 50 سفينة لربط النيل بخليج السويس بواسطة قناة والنفاذ إلى البحر الأبيض . تحدث معه وجوه مصر حول الموضوع وأخبروه أنه في حالة تحويل مياه النيل وجعلها تصب في البحر الأحمر ، ستحرم ما يقرب من 170 مدينة وقصبة من المياه ، وسوف ينشأ عن ذلك نقص في المحصول . صرف الباشا النظر عن هذا المشروع وذهبت كل الاستعدادت التي قام بها سدى .

كانت مصر التي ألحقها السلطان سليم بالدولة العثمانية بدخوله إلى القاهرة في 22 / ك 2 / 1517 ، أهم إيالة في الدولة ، يعيّن فيها الولاة على الدوام من أبرز الشخصيات وبرتبة وزير . أسس مدينة القاهرة في القرن العاشر الخلفاء الشيعة _ الإسماعيلية الفاطمية الذين جاءوا من تونس وأطلقوا عليها اسم « مصر القاهرة = المدينة الكبيرة القاهرة » ويطلق على المدينة كذلك اسم « مصر » عوضا عن « قاهرة » . كانت عاصمة

مصر قبل الفاطميين ، هى مدينة الفسطاط التي أسسها عمرو بن العاص ، بقيت حاليا في زاوية من زوايا القاهرة وغير مأهولة . تلي أول خطبة في القاهرة في جامع قلاوون باسم السلطان سليم ، شمس الدين أفندي الذي عين في ملائية مصر وأصبح بعدها شيخا للإسلام . ذكر اسم البادشاه بدلا من اسم الخليفة العباسي خرّ السلطان سليم ساجدا سجدة الشكر عند سماعه الخطيب وهو يتلو كلمات « خادم الحرمين الشريفين السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان » . والنقود التي سكت في العام ذاته تحتوي كذلك على عبارة « سليم خان بن بايزيد خان » .

راتب والي مصر السنوي 000 247 1 آقجه ، له 1000 محافظ (جندي حراسه) ، 3000 جندي معيّة ، وكذلك 324 ضابطا تابعون له . وعدا ألوية السويس ، الإسكندرية ، دمياط ورشيد اللواتي ارتبطن كألوية بحرية بإيالة البحر الأبيض ، فإن الإيالة تنقسم إلى 17 لواء . لايرسل أمراء اللواء – عدا امراء لواء البحرية – إلى الألوية المصرية من استانبول ، وإنما يتم اختيارهم من بين بكوات المماليك المصريين ويقال لهم « كاشف » بدلا من سنجق بك (أمير لواء) ، صلاحياتهم كصلاحية أمراء في الإيالات الأخرى . كل كاشف له من 600 إلى 700 جندي معيّه هؤلاء كذلك يختارون من مماليك مصر . لاتوجد تشكيلات التيمار في مصر والضريبة التي ترسل إلى استانبول مقطوعة ، لاتتبدل في عام . يصرف القسم الأعظم من الدخل ، داخل القطر . وعدا ذلك فإن مصر مكلفة بإرسال الحبوب مع 65000 ليرة ذهبا + 600 كيسة (24 مليون آقجه) إلى الحجاز سنويا . لا تستطيع الحجاز تسيير أمورها ، إن لم تصلها هذه الحبوب والنقود . تم ترتيب كل ذلك بموجب قانون سليم خان .

يطلق على الموظف برتبة سنجق بك (أمير لواء) أو بكلربك (أمير الأمراء) الساكن في السويس والذي يقود سنويا ما يقرب من 000 40 حاج من السويس إلى الحجاز عن طريق البحر إلى جدّه « أمير حج مصر » . تعمل في البحر الأحمر حوالي 200 سفينة تجارية عثمانية . من حق أمير اللواء البحري في السويس تفتيش هذه السفن إن رغب في ذلك . الذهاب إلى الحج عن طريق البحر ، خال من المشقات يتسلم قائد السويس مخصصاته السنوية البالغة 12 كيسة ، من ميزانية مصر

يوجد في مصر نحو 40 مسئولا كبيرا من حملة شارة واحدة أو شارتين على لباس الرأس (لواء أو فريق أول) . الشخص المكلف بنقل الضريبة السنوية المسماة « خزينة مصر » بالسفينة إلى استانبول ، هو بك (أمير) من حملة شارة (توغ) واحدة ، وله 500 جندي معيّة . يقوم بحراسة مصر القديمة (الفسطاط) أحد أمراء (بك) المماليك بواسطة 500 خيال ، وآخر يحمي بولاق (شمال القاهرة) بواسطة 500 خيال كذلك ، وثالث يحمي محلة الإمام الشافعي بواسطة 500 خيال أيضا . يعبىء الوالي (بكلربك) في الحملات من ألوية الجنود المصريين ، بالقدر المطلوب منه . يستخدم الجيش المصري عند الحاجة في أماكن كأفريقيا الشرقية والبلاد العربية . يندر إرساله إلى مسافات بعيدة . أمراء لواء إسكندرية ، رشيد ودمياط ، أميرالات تابعون لأمر مشير البحر ، ستة ألوية تابعة لشمال مصر (دلتا = الوجه البحري) التي تسمى مصر السفلى : شرقي أو الشرقية (مركزها الزقازيق) ، غربي أو الغربية (طنطا) ، المنوفية (شبين الكوم) ، البحيرة (دمنهور) ، الدقهلية (منصورة) ، القليوبية (بنها) . و 8 ألوية تشكل مصر الجنوبية المسماة مصر العليا (الصعيد) : الجيزة ، بني سويف ، الفيوم ، المنيا ، جرجا (سوهاج) ، أسيوط ، أسوان ، قنا ، ويحتل في بعض الأحيان لواء الواحات وأبرم ، بدلا من الألوية الثلاثة الأخيرة وواحة صيوا تابعة للواء البحيرة ، واحتا بهاريه والفرافرة تابعة للواء المنيا ؛ أما واحتا الداخلة والخارجة فهما تابعتان للواء أسيوط . يحتوي كل لواء على مابين 300 _ 400 قرية . أهم لواء في الجنوب هو جرجا ، له 5000 جندي . يعين له أحيانا ، والي (أمير لواء) برتبة فريق أول (أمير الأمراء) له مخصصات سنوية تبلغ 200 كيسه ويرسل سنويا كمية كبيرة من الحبوب إلى القاهرة مع 380 كيسة . كانت مصر العليا سابقا مقسمة إلى 24 كاشفية (لواء) ، اختصر عددها في الوقت الحاضر .

كان دفتر دار (المسئول المالي) مصر برتبة فريق أول . يحسن المماليك فقط في مصر ، تكلم التركية وليس العربية . تعلم قسم من موظفي العثمانية التكلم باللغة العربية . لكن أكثرية الوزراء برتبة فريق أول ، لا يجيدون أية لغة عدا التركية . يفهم الشعب في المدن اللغة التركية . لكن التركية لاتستخدم ولا نفع لها في القطاع القروي .

يرسل عدد كبير من الجنود من استانبول إلى مصر ، هذا عدا الجنود المحليين وأكثرهم يرابطون في القاهرة . يرسل إنكشارية مصر كذلك من استانبول ، قائدهم بدرجة أمير لواء .

يتقاضى قاضي مصر سنويا مخصصات تتراوح مابين 200 إلى 300 كيسة ، ويخصص لمعيته نحو 100 شخص ، يتبعه أربعة مفتين من المذاهب الأربعة ، وعدا ذلك 100 موظف آخر مختصون بالأمور العدلية يتبع القاضى أيضا فصيلة من الإنكشارية و 300 محضر (شرطة عسكرية) . يسكن القاضي الذي يسمى « مصر أفنديسي » في سراى من مخلفات الفاطميين . يحكم باسم القاضي 24 نائبا (وكيل قاضي) في مختلف محلات القاهرة . يقوم قاضي مصر بالإشراف على كل القضاة الموجودين في الإيالة . تنقسم إيالة مصر إلى 76 قضاء رئيسيا وعدة أقضية صغيرة تسمى « مضافات » ، النواحي ليست ضمن هذا العدد . قضاة المحلة الكبرى ، دمياط ، رشيد ، إسكندرية ، المنصورة ، المنيا ، قضاة كبار ذوو درجة عالية . كل منهم يتقاضى راتبا يوميا قدره 500 آقجه ومخصصات سنوية تتراوح مابين 25 إلى 40 كيسة . فى القاهرة حوالي 20 000 عالم مأذون بالافتاء ، 57000 حافظ ، 12000 إمام وخطيب ، 12000 طالب أزهر ، 10 000 شيخ ودرويش . ضريبة مصر المقطوعة التي ترسل سنويا إلى استانبول هي 1 200 كيسة . عدا ذلك ، ترسل كميات كبيرة من الأطعمة كضريبة عينيّة .

تحتوي الإيالة على حوالي 8000 قرية ونحو 3800 مدينة ، قصبة ، قلعة ، وناحية . ترسل 8.1 الضرائب المحصلة في مصر إلى استانبول و 8.7 منها تصرف داخل القطر . لكن يضاف إلى ذلك البضاعة العينية التي ترسلها مصر إلى استانبول . يبلغ الدخل السنوي لمصر 61 خزينة مصرية أى 000 800 48 ليرة ذهبا . تسمى الضريبة النقدية السنوية التي ترسلها إلى إستانبول والبالغة 000 800 ليرة ذهبا « خزينة مصرية واحدة » . يصرف 7 .61 منها داخل إيالة مصر و 53 . 61 تبقى للشعب . والضريبة البالغة 8. 61 ، تزيد بقليل على 1. 8 الدخل ، ولا تعد هذه ضريبة باهظة . الضريبة العيّنة أو المقطوعة التي تعطي في السودان ، منفصلة عن دخل مصر ، واحد كيسة مصرية = 300 ليرة زهبًا . والكيسة العثمانية الواحدة التي تسمى كيسة رومي = 250 ليرة ذهبا . أن (واحد) كيسه ذهب فى جميع أنحاء الإمبراطورية تعني 250 ليرة ذهب . وفي مصر فقط 300 ليرة ذهب . ينفق القادمون إلى مصر من غير التبعة

العثمانية ، لغرض الذهاب إلى الحج أو التجارة أو المسلمين أو غير المسلمين القادمين لغرض الزيارة ، سنويا في مصر ما يقدر بـ 3 خزائن مصرية من النقود . وهذا كذلك دخل لمصر . مصروفات الشعب في مصر قليلة بالنسبة للأقطار العثمانية الأخرى . إذ لا توجد مصروفات تدفئه . القطر حار في جميع الفصول . ولذلك لاتوجد مصروفات بالنسبة للملابس الشتوية أيضا . يرتدي الشعب الملابس الخفيفة . وبسبب ازدحام الناس في شريط ضيق ، فإن المسافات ليست بعيدة . يستعمل النيل كأكبر طريق للنقل . ويؤمن السهولة في المواصلات .

24 _ القاهـــرة :

قلعة القاهرة أساسا من بقايا أواخر القرن 12 ومن بناء صلاح الدين الأيوبي رمّمت وأضيف إليها بعض الأقسام من قبل المماليك والعثمانيين . القلعة كبيرة جدا ، وتحتوي على قلعتين داخليتين . سراي الوالي ومصنع البارود داخل القلعة . بارود القاهرة ذو نوعية جيدة وأرق من البارود الإنكليزي . يعمل مصنع البارود 24 ساعة بصورة مستمرة . يوزع هذا البارود على الوحدات العسكرية الموجودة في مختلف أنحاء الدولة . سراي الوالي ، أصلا من بناء السلطان قايتباى . شيّد ولاة العثمانية في فترات متفاوتة خلال الفترة من 1555 إلى 1672 ، 5 أكشاك مستقلة داخل حديقة السراي . حكام قليلون يملكون سرايات فخمة كسراي والي مصر . كانت صالة الاستقبال التي يصعد إليها بواسطة سلم ذي 25 درجة ، صالة استقبال سلاطين المماليك . يستعمل الوالي هذه الصالة لعمله اليومي ، الصالة 80 ×15 ذراعا ومن بناء السلطان قايتباي . أما صالة الاستقبال الكبرى فهي من بناء قانصوه وتستعمل في الاحتفالات فقط . محيط السرّاي 8500 ذراع . يجلب الماء من مسافة ساعة واحدة بواسطة 313 قنطرة . جلبه صلاح الدين الأيوبي ، وجدّده السلطان قانصوه وقد بنى داماد أوكوز باشا الذي صار صدرا أعظم بعد ذلك ، خزانا للماء تحت الأرض ستوعب من الماء بقدر حمولة 20 000 جمل ، ويبدل هذا الماء من النيل في كل سنة .

أحصى بايرام باشا عدد الآبار في المدينة وضواحيها فتبين أن عددها 274 000 بئر ولكن مياهها مالحة وليست عذبة ، لاتشرب ، يغتسل بها فقط وتزود الحمامات بهذا الماء . تتكون المدينة من 740 محلة للمسلمين ، و 26000 دار . أكبر مدينة في الدولة

بعد استانبول ، والمدينة الثالثة أدرنة . العربية لغة الشعب . وهناك أتراك كثيرون ، كذلك تحتوي المدينة على 78 سرايا حقيقيا وآلاف من القصور . ان 22000 بيت من بيوتها البالغ عددها 26000 تخص المسلمين ، 4000 منها لغير المسلمين . 20 محلة ، 600 دار ، و 900 نسمة من السكان أقباط (عرب مسيحيون) . يتجمع أكثر من 6000 يهود في محلة واحدة ، بيوتهم مكونة من 5 أو 6 طوابق وأزقتهم ضيّقة إلى درجة لا تسمح بمرور حصان . مجموع نفوس 4 محلات للروم و 2 محلة للأرمن تبلغ 3000 نسمه . الأوروبيون ورعايا الدولة العثمانية الذين يقدمون إلى المدينة بصورة مؤقتة كثيرون جدا . وهكذا فإن عدد الأوروبيين الذين يقيمون في المدينة بصورة مؤقتة ، لايقل عن 6 _ 7 آلاف شخص ، ولا يعلم عدد الزوار من الرعايا العثمانية إلا الله إذ إنها مدينة تجارية كبيرة تقع قنصليات 7 دول أجنبية ، في محلة واحدة . من الممكن أن يصادف المرء فيها بشرا من جميع الأجناس . المسلمون الزنوج كثيرون . يوجد بينهم السودانيون ، الفاسيون ، قسم من الغجر . العبيد والجواري رخاص الثمن يخدمون في بيوت كثيرة ، وهم من أعراق مختلفة يتكلمون العربية في مساكن العرب ، والتركية في مساكن الأتراك . المدينة محاطة بسور طوله 393000 ذراع .

من الممكن القول ان مدينة استانبول فقط في العالم هي التي تحتوي على جوامع أكثر من القاهرة . الكثافة السكانية الكبيرة من نفوس غير المسلمين الموجودة في استانبول ، لاتوجد في القاهرة . 156 من جوامعها سلطاني (الجوامع المبنية بأمر السلطان و بثروته الخاصة) . أقدمها الجامع الذي شيّده فاتح مصر عمرو بن العاص في الفسطاط على عهد عمر (رضي الله عنه) . ولم يبن أكبر منه في العالم الإسلامي لمدة طويلة ، وهو أول جامع كبير للمسلمين . أصلحه الصدر الأعظم داماد بايرام باشا بصورة أساسية ، عندما كان واليا على مصر . بنى الفاطميون جامع الأزهر في عام 969 عندما سيطروا على مصر ، جعله صلاح الدين الأيوبي على شكل مدرسة . وزّع تلامذتها البالغ عددهم 12000 على الحجر المجاورة . يشاهد فيها طلاب من جميع الأقطار الإسلامية ، لها 9000 خزانة مليئة بالكتب . يؤمها كثير من الأناضوليين لتعلم اللغة العربية الجيّدة والدراسة فيها لعدة سنوات . يدرّس فقه المذاهب الأربعة بصورة مستقلة . أما في المدارس العثمانية ، فيدرس الفقه الحنفي أساسا ، وباختصار المذاهب الثلاثة

الباقية . أكثرية الطلاب والمدرسين شافعيون ، ويليهم الأحناف . لايمكن هنا أن يتفاهم طلاب العالم الإسلامي الذين تختلف لغاتهم الأساسية مع بعضهم إلا باللغة العربية . كان عدد الطلاب الأتراك أكثر فيما مضى . قل منذ قرن أو قرنين ؛ إذ إن الدولة العثمانية تعيّن الذين حصلوا على شهادة (رءوس) مدارس (العلمية) استانبول العالية ، موظفي دولة في سلك العلماء (العلمية) . وإن اراد متخرجو مدارس المدن الأخرى وبضمنهم الأزهر ، الانتساب لصنف العلماء ـ عدا خدمات الجوامع والإفتاء ـ ، فإن عليهم أن يؤدوا امتحانا أمام هيئة الامتحانات المشكلة في مدارس استانبول ، إذ إن المعلومات اللازمة لخدمات الدولة العثمانية الفعلية تدرّس بصورة أوسع في مدارس استانبول . لاضرورة لأداء امتحان في استانبول بالنسبة لمتخرجي المدارس العالية الذين يرغبون في البقاء في خدمات الجوامع والإفتاء ؛ إذ إنها خدمات دينية ولا علاقة لها بخدمات الدولة . للأزهر 170 مدرساً . لايحترم مدرس الأزهر في مصر وفي كل أنحاء الدولة العثمانية فحسب ، بل في العالم الإسلامي بأسره . إلا أن التدريس في الأزهر كان على النمط القديم إذا ما قيس بالتدريس في المدارس العثمانية . وهناك كثير من الطلاب الأتراك التركستانيين والسنّة الإيرانيين . يطلق على عميد الأزهر « شيخ » ، له مساعدون من المذاهب الأربعة . عدا ذلك فإنه يتولى مسئولية طلاب كل شعب أحد المدرسين . والمدرس المسئول حاليا عن الطلبة الأتراك هو مصطفى أفندي .

الحقيقة أن الجامع الذي بناه أحمد بن طولون والي مصر التركي في القرن 19 في الفسطاط ، جامع فخم . مساحته 220 × 120 ذراعا ، ارتفاعه 40 ذراعا ، يبدو وكأنه قلعة ، يستند على 90 عمودا ، له 160 نافذه و ستّة أبواب . مر قره حصارى ، أكبر خطاطي العثمانية بهذا الموقع أثناء ذهابه إلى الحج وخط **بسملة** على يسار جدار المحراب ، تدهش الرائي . إذ إن طول الكتابة 40 ذراعا ، طول كل حرف ألف فيها 8 أذرع . والجوامع التي ترجع إلى فترة المماليك الأولى فخمة كذلك . جامع الخليفة حاكم ، سلطان بيبرس ، سلطان مؤيد ، سلطان حسن ، سلطان قانصوه ، سلطان برقوق ، سلطان قلاوون ، سلطان جنبلاط ، اوزبك بك وجامع الخليفة عبد العزيز هي من بدائع الفن المعماري المملوكي ، وجوامع الأيوبيين التي بنيت في الفترة بين الفاطميين والمماليك جميلة كذلك . وقد بنى العثمانيون كذلك جوامع ومساجد كثيرة . دوّن

في السجلات أن كامل إيالة مصر تحتوي على 46000 مسجد . لم أتمكن من معرفة العدد الموجود منها في القاهرة . مضى 150 عاما على فتح العثمانية لمصر . شاهدت جميع الجوامع و 29 من مساجد العثمانية وصليت فيها أكثرها أبنية جميلة . لا يوجد بينها من كان بدرجة عظمة جوامع المماليك ولكنها ظريفة وتذكر بجو استانبول . وأساسا فإنه لم تكن هناك حاجة إلى جامع كبير ، إذ إن بمصر 356 جامعا سلطانيا .

عندما خرجت القاهرة عن كونها عاصمة للدولة المملوكية ، قل عدد سكّانها بالنسبة لما كانت عليه في السابق ، يبدو أن القطر المصري كان يحتوي سابقا على 3600 مدرسة عالية ومتوسطة . غير موجودة حاليا . لكل جامع سلطاني مدرسته ، ومعظمها مدارس عالية . لم يبن أى بادشاه عثماني جامعا أو مدرسة في مصر . إذ لم تكن هنالك حاجة لذلك . لكن الوزراء والوجهاء العثمانيين شيّدوا مدارس جديدة ، حيث كان أكثرها قد أشرف على الانهدام في أواخر العهد المملوكي . أجمل المدارس العثمانية في القاهرة ، هي التي بناها كل من سليمان باشا ، إسكندر باشا وداود باشا . وتسمى المدارس التي تعلم الحديث « دار الحديث » . يوجد منها في القاهرة 860 دارا . لكن أكثرها أبنية صغيرة تحتوي على مدرس واحد وعدة طلاب . يوجد في القاهرة أكثر من 50 000 مدرس من الذين تخرجوا في تلك الدور . بينهم من حفظ 20 إلى 30 ألف حديث مع سلسلة رواتها . حفظ الحديث منتشر جدا في مصر وهناك كثيرون ممن حفظوا صحيحي مسلم والبخاري من البداية حتى النهاية. ويطلق على المدارس التي تعلم ترتيل القرآن وتخرج الحفاظ « دار القراء » . تحتوي القاهرة على 370 دارا للقراء و 700 مدرس . الحفظ أساس في التعليم المصري . حفظ العميان يكون أقوى . لايوجد في أي بلد آخر عميان بقدر ماهو موجود في مصر . لكن الوضع لايختلف بالنسبة لغير العميان . يوجد 2015 مكتبا ، وقد اتضح أنه في العصور الأخيرة تم إغلاق 2000 مكتب (مدرسة إبتدائية) لعدم توافر الطلاب . عدد المكاتب في جميع أنحاء مصر 6176 . أكثرية المكاتب خاصة بالطلاب العرب وتدرس اللغة العربية . وتدرّس التي تخص الأطفال الأتراك منها ، اللغة التركية .

بالقاهرة 360 تكية وزاوية (تكية صغيرة) . شعب مصر محب جدا للطرق ، 200 تكية من مجموع 1060 تكية خاصة بالطريقة البدوية ، 300 000 مصري ينتمون إلى هذه الطريقة في مصر ، مركزها طنطا . تحتوي كامل مصر على أكثر من 2000 تكية . يلي

ذلك الطريقة الرفاعية . لها 100 000 مريد في البلد . مركزها ، التكية الكائنة في أسفل جامع السلطان حسن . وتكية اوقجولر (النّبالة) مشهورة كذلك .

الطرق التركية ، تخاطب المثقفين ولا تخاطب الشعب . وتأتي على رأسها الكلشنية . بنى إبراهيم الكلشني في 1534 ، مركز تكية الطريقة في القاهرة . يرتادها كثير من العرب الراغبين في تعلم اللغتين التركية والفارسية . الحقيقة أن الدراويش كلهم أتراك جميعهم يجيدون العربية والفارسية هناك في هذه الطريقة مجال واسع للموسيقى . الموسيقى وألفاظها تركية . تختلف عن الموسيقى المصرية . قبر الشيخ كلشني ، قرب التكية . أوقف السلطان سليم الذي يعرفه شخصيا ، وكذلك ابنه السلطان سليمان ، أوقافا كثيرة لهذه التكية . للشيخ ثلاثة دواوين شعر مختلفة باللغات التركية الفارسية والعربية . والتكية البكتاشية الموجودة في القلعة تكيه عظمى كذلك . يقيم فيها على الأغلب ، الجنود العثمانيون لكثرة مناهجها التركية . وتكية عظمى أخرى في القاهرة ، هي التكية المولوية عشاقها على الأكثر من الطبقة العليا من العثمانيين والمماليك . الكل يرغب في مشاهدة أحتفال السماع الذي تجريه كل أسبوع .

قيل لي إنه كان في حينه لكل جامع في القاهرة نحو 700 مطبخ للمحتاجين (عمارت) ، وأن هذا العدد هبط عند دخول السلطان سليم إلى المدينة إلى 156 . حاول العثمانيون المحافظة على هذا العدد . أكثرها من أعمال المماليك الخيرية . وقسم منها عثماني . عدد الحمامات العامة الموجودة في المدينة 53 بناها كلها تقريبا العثمانيون . إذ لم يكن الحمام على الطراز العثماني شائعا هنا . بعضها حمامات مزدوجة . ولكن قيل لي أن هناك أكثر من 9000 قصر تحتوي على حمامات خاصة وبعض السرايات تحتوي على 4 أو 5 حمامات . الحطب والأخشاب ، نادر وثمين في مصر ، يرد إليها من الخارج ، وحتى من الأناضول . يستعمل الروث الحيواني في الوقود بدلا من الحطب في مواقد الحمامات .

في المدينة نحو 850 خانا صغيرا و 32 خانا كبيرا . معدّل الغرف في الخانات الكبيرة نحو 300 . مثلا ، خان الخليل مساحته ، 100 ×100 ذراع ، به 4 طوابق ، ذو جامع ويحيط به 200 دكان مبني بالحجر . **ومعظم الخانات** الكبيرة بناء عثماني . سوق التحف

المصري مشهور عالميا ومن الممكن أن يبتاع منه أغلى وأندر الحاجات في العالم . بنى مؤخرا ذو الفقار كتخدا في 1672 خانا مساحته 150 × 80 ذراعا ذا 3 طوابق ، يحيط به سوق . خان الأسرى ذو الـ 300 غرفة ، هو مركز مبيعات العبيد والجواري ومن الممكن أن تجد فيه العبيد والجواري من كل الأجناس وبجميع الأوصاف . خان بهار ، يمكن أن يقال عنه إنه مركز عالمي لتجارة التوابل (البهارات) . ترد التوابل القادمة من أندونيزيا ، الهند ، الحبشة واليمن وتوزع على الأقطار العثمانية ويباع الفائض منها إلى أوروبا . تجبي الحكومة من هذا الخان ضريبة سنوية قدرها 2000 كيسة (80 مليون آقجه) . توجد 4 مستشفيات كبيرة ومستشفيات أصغر منها . أشهرها مستشفى السلطان قلاوون . مساحتها 150 ×150 ذراعا ، كامل الأرضية من المرمر الأبيض المصقول ، ذو حوض . صيدليته ، مؤسسة عظيمة إلى درجة انها تبيع أدويتها إلى كل الأقطار العثمانية وأوروبا . تحتوي المدينة على مايقرب من 4000 حنفية داخل بناية (جشمه) ، سبيل للمياه المجانية ، أحجار محفورة (أحواض) يتجمع فيها الماء لتشرب منه الحيوانات والطيور (يالاق) ، حنفيات عامة . أكثرها من الأعمال الخيرية للمتقاعدين من آغوات الحرم الهمايوني في استانبول الذين فضّل معظمهم السكن في القاهرة لقضاء بقية أعمارهم فيها .

8900 زقاق لها أبواب ، وأبواب الأزقة هذه يقوم الحراس بإغلاقها ليلا . في المدينة 17 شارعا مفتوحة للمرور ليلا . يتجول صوباشي (ضابط أمن) القاهرة ليلا مع 6 ـ 700 من رجاله . وضع الأمن هنا يختلف عما هو عليه في استانبول . الفقر المدقع والغنى المفرط جنبا إلى جنب . الشعب محب للراحة والكسل . إذ إن المناخ حار حقا . أسست المدينة في جانب الضفة الشرقية من النيل . وتسمى ضفتها الغربية الجيزة وتوجد فيها جزر على النيل ، بها 18 جسرا ، وعدد الجسور الموجودة على النيل في القطر كله 346 جسرا . ويسمى العرب الجسر أحيانا ، « قنطرة » ، والحوض « بركة » . أطرافها مليئة بالأشجار ، والأماكن اللطيفة . تزوّد المدينة من مياه الأحواض الكبيرة في مواسم هبوط مياه النيل . وعند إرتفاعها تنتفي الحاجة إليها . المسلّة الحجرية القائمة في بركة عين الشمس ، من بقايا المصريين القدامى ومليئة بالكتابات العجيبة ، لاأحد يتمكن من قراءتها .

يطلق على شمال القاهرة « بولاق » ، وهي مدينة طولها 500 2 ذراع وعرضها يتراوح بين 300 إلى 800 ذراع . مرفأ كبير للقاهرة على النيل ، 000 10 سفينة مسجلة وفي سجل مدير ميناء بولاق . المدينة مكونة من 45 محلة ، 700 6 دار ، 56 جامعا ، 304 مساجد . جامع السطان بيبرس الكائن داخل سوق السلطاني العظيم من أعظم وأفخم الأبنية . وعلى الساحل ، الجامع الذي بناه الصدر الأعظم قوجا سنان باشا عندما كان واليا . ذو قبة واحدة بني على نمط إستانبول ككل الأبنية العثمانية ، كأنه نسخة مصغرة لجامع السلطان سليم في استانبول . لاتوجد في الابنية العثمانية النقوش المتشابكة جدا الموجودة في الجوامع الأيوبية والمملوكية . تعتبر المبالغة في الزينة حراما بالنسبة للعثماني . توجد في بولاق 20 مدرسة ، نحو 40 مكتباً ، 6 تكايا ، 73 خانا أكبر التكايا هي التكية الكلشنيّة . يحتوي الميناء على 200 مخزن طول محيط بعضها 600 ذراع ، تمتلىء بالبضاعة المستوردة من آسيا ، 1600 دكان ، 200 منها في سوق سنان باشا . معمل سفن بولاق كبير ، محيطه 000 2 ذراع ، كدّس فيها الخشب الذي جلب من الأناضول الجنوبية ولبنان . كأنه الجبال . وأدوات السفن مكدسة كذلك . أمين مصنع السفن تابع لاميرال السويس . قصر سبتيّة الجميل ذو 7 طوابق في شمال المدينة ، وسط الحدائق ، مخصص لاستراحة الوالي (البكلربك) يومًا واحدا في الأسبوع تحتوي مرتفعات قايتباى قرب بولاق على 1000 دار ، 11 سرايا ، 70 دكانا ، 17 جامعا ، 70 مسجدا . يعتقد إنها كانت في السابق 000 10 دار . فيها جامع وكلية قايتباي ، وخان ذو 200 غرفة . يقوم 200 شخص بخدمات صيانة الجامع . السلطان قايتباي ، أشهر سلاطين المماليك في الاعمار ، له 700 عمل خيري 300 منها في الحجاز . وبالقرب منه تتسلسل جوامع سلطان برقوق ، سلطان أشرف ، سلطان إينال ، سلطان جقمق ، سلطان فرج ، سلطان قانصوه ، سلطان طومان باي . بعضها ذو 3 شرفات ومنارتين . تسمى المنطقة التي بها جامع قانصوه عادليّة .

الاسم الأصلي للمدينة التي يطلق عليها أسماء مصر عتيقة ، مصر قديمة ، اسكي مصر ، اسكي قاهرة هو فسطاط . وهي ضاحية للقاهرة وملتصقة بها . أسسها عمرو ابن العاص فاتح مصر . يتضح من مناطقها غير المسكونة المترامية الأطراف أنها كانت

كبيرة جدا . حاليا تحتوي على 4 600 دار . ميناء على ساحل النيل يمر بها سنويا 10 000 سفينة لها قلعة محيطها 2 000 ذراع . تشاهد أنقاض أكثرية الـ 270 جامعا التي كانت تحتويها . فيها جامع عمرو . شيّد عابد بك كذلك جامعا في 1660 . لايزال جامعا الملك الطاهر وسلطان جقمق قائمين . تحتوي على 3 مدارس ، 20 مكتباً ، 10 تكايا ، خانين ، حمام ، 10 مقاه . يقال إنه كان بها نحو 700 قصر وسراي . تشكل جزيرة الروضة الكائنة وسط النيل قسما من القاهرة .

تعزف الموسيقى العسكرية (مهترخانة خاقاني) في 45 موقعا من الإيالة المصرية ، والطبل السلطاني الكبير (كوس سلطاني) في نحو ألف موقع . تفتح سنويا أبواب السد الذي يزود الحوض الكبير ـ الذي يسمى مقياس ـ بماء النيل . تقام احتفالات كبيرة في ذلك اليوم . تطلق المدافع والبنادق . يرعى الوالي الوزير الاحتفال ويضحّي لذلك بـ 200 خروف و50 بعيرا . يرمي في النيل 2 000 كلّة (قطعة من السكر كبيرة الحجم) من السكر البلوري وحمولة 80 بعيرا من الخبز وأطعمة أخرى . عادة لا معنى لها ، لكن شعب مصر متمسك بها ؛ لأنه يتشاءم إن لم يفعلها .

لايؤمن العثمانيون بمثل هذه المعتقدات ، إلا أن مبدأ الإدارة العثمانية الذي لايتغير ، هو عدم التدخل في عادات الشعب في كل قطر ما لم تكن ضارة بمصلحة الدولة . يذهب الوزير ليلا إلى قصر أم المقياس ويشرف على مراسم تحية نحو 2 000 سفينة مزيّنة بالأنوار تمر من أمامه على النيل لتحيّته . تعلو أصداء الموسيقى من كل دار ، فالمصريون يعشقون الموسيقى . تعزف هيئة موسيقية بحضور الوزير . إن السفن التي تطلق قذائف الألعاب النارية السماوية في شهر تموز بسبب صفاء الجو في ذلك الشهر ، من الأمور التي تستحق المشاهدة ، فانقسام كل قذيفة إلى 3 أشطار مختلفة بفواصل معيّنة من الزمن واندفاعها بألوان خلابة ، وانقسام كل قطعة إلى أربعين أو خمسين قطعة وارتفاعها إلى أعلى ثم هبوطها حتى الأرض يبدو عملا فنيا كبيرا . أطلقت مئات الألوف من القذائف السماوية في تلك الليلة بحضور الباشا . للقذائف أنواع عديدة ، ولكل نوع اسم خاص . ويطلق على النوع الذي يهبط إلى الماء ثم يرتفع ثانية سبعة أو ثمانية مرات « سمكي » ، وسير القذيفة داخل الماء بسرعة كأنها سابحة شيء جميل حقا . تظهر من كل قذيفة أشكال

مختلفة عند ارتفاعها في الجو . دامت الاحتفالات سبعة أيام بلياليها . أطلقت خلال أسبوع قذائف تبلغ قيمتها 5000 ليرة ذهب . استأجر بعض الناس دورا ساحلية بسعر 50 ليرة ذهب لأسبوع واحد لمشاهدة الاحتفالات على النيل بصورة أوضح . ان أكبر لإطلاقات هي التي ترسم في السماء شكل القلعة بكامل تفرعاتها ، الواحدة منها تكلف 300 ليرة ذهب أكل وشرب عدد كبير من الناس بحيث أنفق 4 ملايين آقجه خلال أسبوع واحد . يشترك المسئولون في الأيام الثلاثة الأولى من الاحتفال ، ويستمر الشعب في الاحتفال أربعة أيام أخرى

يجري النيل كاملا داخل أراضي العثمانية . لكن منابعه في أعماق أفريقيا . توجد تماسيح كثيرة . وفي مصر ينزل المطر مرة أو مرتين في السنة . ولولا وجود النيل وفيضانه ، لحدثت مجاعة ، ولما تمكن الشعب من تأمين عيشه .

تحتوي القاهرة على 643 مقهى . بينها التي تستوعب 1000 شخص وذات فرق موسيقية كبيرة . يباع التبغ في أكثر من 1000 دكان . وتباع القهوة في 70 دكانا . توجد 200 حانة مشروبات ، 75 محلا لصنع وبيع البوظة (مشروب غير كحولي يصنع من عصير بعض الحبوب) . في المدينة أكثر من 3 000 مهندس معماري 600 عامل في 70 فرنا ، 3800 تاجر كبير ، 600 دكان قصّاب ، 600 مطعم ، 206 محلات لبيع الكباب ، 70 محلا لبيع (الحلويات المصنوعة من الحليب) ، 60 جرّاحا ، 40 طبيباً ، 290 صيدليا ، 350 صرافا ، 12 ساعاتيا ، أكثر من 2000 صائغ ، 3200 حلاّق ، 700 موسيقي محترف ، 2000 مومس ، 300 من مروجات الفحش من النساء المسنّات ، 9000 مسئول لهم تجمعات خاصة فيما بينهم . تحتوي القاهرة على 40 000 حمار . الكل يركبون الحمير . و 300 لص سجّلوا في سجل سوابق الأمن .

لايمكن إحصاء قبورالشخصيات الشهيرة المدفونة في القاهرة . يرقد الإمام الشافعي في القاهرة . محلّة كبيرة جدا مسماة باسمه . زيّن قبره بأشياء ثمينة جدا . لايسمحون باقتراب أحد من الضريح . يوجد بجواره جامع سلطاني وكلية . يرقد سلاطين مصر الأيوبيون ، سلاطين المماليك ، خلفاء مصر العباسيين في قبور فخمة . الستار الذهبي والذي يغطي ضريح الخليفة المستنجد الذي لايزال موجودا هدية من السلطان محمد

الفاتح . وفي القاهرة كذلك قبور كثيرة لرجال العثمانية وقبور 3 وزراء ماتوا خلال ولايتهم على مصر . ولا يمكن إحصاء رجال الدين ، التصوّف ، العلم والفن المدفونين في القاهرة .

25 _ مصر السفلى :

غادرت القاهرة في 7 / 8 / 1672 متوجها نحو طنطا . شبرا ، ضاحية القاهرة ، بها 1000 دار ، 7 جوامع .

زفتة ، مركز قضاء في لواء الغربية ، ميناء على النيل تتبعها 70 قرية ، بها 500 دار ، 3 جوامع ، 7 تكايا .

ميت غمر مركز قضاء في لواء المنصورة ذو 4000 دار ، يقع على الساحل الشرقي الآخر من النيل . بها 9 جوامع ، 35 مسجدا ، 7 مدارس ، 12 مكتبا ، 7 خانات ، 600 دكان .

منوف : مركز قضاء يتبعه 320 قرية ، و 18 محلة ، 3 جوامع ، 3 مدارس ، 40 مكتبا ، 7 خانات ، 400 دكان ، حمامان .

طنطا ، أحيانا مركز لواء غربية وأحيانا قضاء له ، تقع وسط الدلتا وعلى أحد فروع النيل . فيه قبر السيد أحمد البدوي . بها 500 1 دار ، 8 جوامع ، 32 مسجدا ، 7 مكاتب ، 7 خانات . بنى السلطان قايتباي جامعا فخما ذا منارتين . قبر البدوي مليء بالأشيا الثمينة . **محلة مرحوم** ، قضاء في المنوفية وأحيانا مركز لواء له ، يتبعها 70 قرية ، 000 2 دار ، جامعان ، 38 مسجدًا ، 200 دكان ، 7 خانات ، 8 مكاتب .

آبيار ، مركز قضاء ذو 150 قرية في اللواء ذاته ، 000 3 دار ، 3 جامع ، 37 مسجدا ، 3 تكايا ، 200 دكانا .

نهاريّة ، مركز قضاء ذو 700 دار ، 13 جامعا ، 27 مسجدا في اللواء ذاته

أبو علي ، قضاء ذو 800 دار ، جامعين ، 7 مساجد ، خانين ، 50 دكاناً .

دسوق ، مركز قضاء في لواء غربيّة . فيه جامع سلطان قايتباي و 5 مساجد .

دمنهور ، مركز لواء البحيرة . يقع في الجنوب _ الشرقي من الإسكندرية . كان جانبه الشرقي صحراء ، وجميع البدويين في البادية تحت إشراف هذا اللواء . يحتوي قضاؤه المركزي على 360 قرية و 7 نواحي . وفيه 500 5 دار ، 14 جامعا سلطانيا ، 63 جامعا ومسجدا ، 7 تكايا ، 3 مدارس ، 40 مكتباً ، 680 دكانا ، 8 خانات ، 254 مصنعا . فيه جامع سلطان قايتباى ، وهو جامع كبير .

حوش عيسى ، مركز قضاء في لواء بحيرة ، يقع في غرب دمنهور . به 2 000 دار ، جامع ، 10 مساجد ، 360 دكاناً .

إسكندرية ، تقع في أقصى غرب الدلتا ، على البحر الأبيض ، أكبر ميناء لمصر و أحد أشهر مدن التاريخ . أسسها قبل الميلاد في أواخر القرن الرابع فاتح مصر الإسكندر الأكبر . صغرت كثيرا بالنسبة للسابق بعد أن أخذت القاهرة المكانة الأولى . وبينما كانت الإسكندرية عاصمة لمصر في الفتح الإسلامي ، أسس عمرو بن العاص مدينة الفسطاط التي نقلت العاصمة إلى القاهرة . مازالت أنقاض فنار الإسكندرية تشاهد حاليا . أحد الألوية البحرية الثلاثة لإيالة البحر الأبيض الواقعة على السواحل المصرية . أمير لوائها أميرال تابع لمشير البحر . محيط قلعتها 11700 ذراع ، ذات 175 برجا . تحتوي المدينة على 3 075 دارا ، 680 دكانا ، سوق تحف ، 6 خانات ، 27 جامعا ، 53 مسجدا ، 6 حمامات ، 130 مخزن مياه أراضي . فيها 4 قنصليات أوروبية ، 85 جامعا ومسجدا مهدما ومغلقا ، أخذ السكان على مر العصور ينتقلون منها إلى القاهرة . وفي مدخل الميناء توجد قلعة سلطان قايتباي ، سراية وجامعة . قلعة صغيرة محيطها 850 ذراعا ، ذات 3 طوابق ، طرفاها بحر ، وذات 55 مدفعا صغيرا . قيزيل قولة (البرج الأحمر) ، 300 ذراع ، من بناء سلطان جقمق . ويوجد في شرقها قلعة أخرى أصغر منها محيطها 200 ذراع من بناء السلطان قايتباي . جدار كاسر الأمواج الموجود أمام المرفأ من بناء قيليج علي باشا الذي كان أمير لواء فيها . وعلى مسافة من الميناء توجد ثكنة جنود البحرية (لوند) ، وجميعها ليست أبنية محليّة . أغلب الأتراك ، بعد القاهرة ، يسكنون في هذه المدينة . قلعة أبو قير تقع على البحر كذلك وهي موقع للدفاع عن الميناء الذي يحمل اسمها أيضا . بناها الصدر الأعظم سليمان باشا عندما كان واليا على مصر . تحتوي هذه القلعة على 300 جندي حراسة ، وعدا ذلك جنود مدفعية وعتاد كبير و 70 مدفعا . فنار عظيم يضيء كل يوم ويشاهد على بعد 100 ميل . أبو قير ، ناحية الإسكندرية وجزء من المدينة .

إدفو ، مركز قضاء في لواء رشيد ، يقع على جنوب ـ شرقي رشيد . به 4 000 دار ، جامعان ، 18 مسجدا ، 3 خانات ، 300 دكان .

رشيد ، أحد الألوية البحرية الثلاثة في مصر ، تابع لإيالة البحر الأبيض . شمال شرقي الإسكندرية ، مرفأ على البحر الأبيض . أميره برتبة أميرال ، تابع لمشير البحر . يوجد حاليا في هذا المنصب أحد فرقاء أول البحر . يحتوي اللواء على 4 أقضية و 76 قرية ، 10960 دارا للمسلمين أكثرها ذات 5 _ 6 طوابق ، 1060 دارا للمسيحيين واليهود . حاليا أكثف سكانا من الإسكندرية ؛ إذ إنها مركز تجاري كبير . ترد إليها وتصدر منها البضاعة عن طريق البحر . يعمل نحو 2000 تاجر في هذا العمل . تحتوي على مايقرب من 200 جامع ومسجد ، وحوالي 7 خانات عمل ، 7 مدارس ، نحو 70 مكتبا ، سوقين للتحف كل واحد منهما ذو 100 دكان ، بها أيضا 3040 دكانا ، 70 مقهى ، 240 طاحونة ، 70 حانة مشروبات ، 5 حمامات ، أكثر من 6000 مخزن بضائع ، مصنع صباغة تابع للدولة . المدينة ذات 610 أزقة ، إن الخانات التي بناها الصدور العظام الذين تقلدوا ولاية مصر وعلى رأسها التي شيّدها داماد أوكوز باشا ، كخادم سليمان باشا ، داود باشا حافظ أحمد باشا ، قوجا سنان باشا ، كل منها في الحقيقة عبارة عن كروانسراي (منزل مسافرين كبير) . بنى قلعة رشيد سلطان بيبرس في أواخر القرن 13 ، وسّعها قايتباي في أواسط القرن 15 وأضاف إليها جامعا ، وفي 1595 أضاف وزير علي باشا إليها طابقا آخر ، تحتوي على نحو 100 مدفع .

محلة متوبس ، مركز قضاء في لواء الغربية يتبعه 70 قرية ، به 3 000 دار ، 5 جوامع ، 70 مسجدا وتكية ، 200 دكان .

سنديون ، مركز قضاء في اللواء ذاته ، وأحيانا مركز لواء ، ذو 80 قرية ، 3000 دار ، نحو 200 دكان .

فوّة ، احيانا قضاء واحيانا مركز لواء تابع للغربية . يحتوي على 4000 دارا ، 12 جامعا ، 40 مسجدا .

شيراحيس ، مركز قضاء ذو 2 000 دار ، جامعين ، 10 مساجد في لواء بحيرة .

ميت جناح ، قضاء في الغربية به 2000 دار ، جامعان ، 20 مسجدا .

صح ، مركز قضاء آخر في الغربية ذو 2000 دار ، جامعين ، 20 تكية .

نقلة ، قضاء في البحيرة به 2 000 دار ، 3 جوامع ، 20 مسجدا .

امبابة ، مركز لواء الجيزة . يقع على الساحل الغربي من النيل ، وتواجهه محلة شبرا في القاهرة . تبقى الجيزة في الجنوب وهي مقابلة للفسطاط في الجانب المواجه . الرأس الشمالي لجزيرة الجزيرة ، مواجه لامبابة . يقيم حاليا فيها أمير لواء جيزة ، والحقيقة

أن امبابة عبارة عن ناحية لقضاء الجيزة المركزي . كما أنها ، إحدى ضواحي القاهرة . تحتوي على 5000 دار ، 8 جوامع ، نحو 70 مسجدا ، مدارس عديدة ، نحو 20 مكتبا و 20 معمل أصباغ تابعا للدولة .

البرلّس ، مركز قضاء في لواء دمياط ، يحتوي على أكثر من 300 دار . ويتبعه 70 قرية . يقع بين رشيد ودمياط . **بلطيم** ، ناحيته وميناؤه . **سنانيه** ، ناحية أخرى له وهي التي أسسها قوجا سنان باشا ، تحتوي على 300 دار ، 3 جوامع ، خانانين .

دمياط ، مركز أحد الألوية البحرية الأربعة الموجودة في مصر . تابعة لإيالة البحر الأبيض (آق دنيز) أى إلى مشير البحر . ميناء على البحر الأبيض . يقع على الرأس الشمالي _ الغربي من الخليج المغلق تقريبا والمسمى بحيرة المنزلة وفي شمال شرقي المنصورة . اشتهرت عالميا بأرزها . يكون أميرها في بعض الأحيان برتبة فريق أول بحري . تعد مع الوية اسكندرية ورشيد البحرية سواحل الدلتا في البحر الأبيض ، إذ لم تربط الدولة العثمانية سواحل البحر الأبيض لمصر ، بإيالة مصر ، وجعلتها تابعة لإيالة البحر الأبيض . وأدمجت أحيانا مع لواء رشيد . تدخل الميناء سنويا نحو 500 سفينة ، وتبلغ إيراداتها من ضريبة الجمارك ما يقارب 250 كيسة . **قضاؤها** المركزي عبارة عن 3 نواحٍ و 16 قرية . جميع أطرافها بحر . تحتوي المدينة على 40 محلة ، 260 زقاقا ، 50 جامعا ومسجدا ، 7 كنائس ، أكثر من 2000 دكان ، وحوالي 3000 مخزن . يزرع الأرز فقط ، والثروة السمكية جيدة . تشتهر بصناعة المنسوجات . إن هذه المدينة التي يسكنها نحو 000 300 نسمة تلي القاهرة في القطر المصري ، فيها 600 دار لغير المسلمين 1 . 9 منها لليهود ، بها جامع سلطان قايتباي ومدرسته التي يتلقى فيها أكثر من ألف من طلبة العلوم الدينية تحصيلهم العالي ، عدا ذلك 6 مدارس ، 11 تكية ، 18 خانا ، 4 حمامات ، 32 مقهى ، 6 منها يستوعب كل واحد منها ألف عميل . أكثرية الخانات من بناء العثمانيين . تحتوي القلعة على جامع سليم خان ونحو 30 مدفعا . شرع داماد أوكوز محمد باشا فى بناء قلعة جديدة على ساحل النيل ، لكنه لم يتمكن من اتمامها . تحتوي المدينة أيضا على تكية مولوية وتقع قلعة تنة Tine وجامع سليم خان على مسافة 7 ساعات . تحتوي على 30 مدفعا . **عِريش** ، ناحية في لواء سيناء وهي نهاية أفريقيا وأقصى شمالها _ الشرقي . وتجاهها آسيا .

فرسكور ، مركز قضاء في لواء دمياط . في شمال غربي المنصورة . يحتوي على 1 100 دار ، 6 جوامع ، 11 مسجدا ، 300 دكان ، 3 خانات . **شربين** ، مركز قضاء في لواء الغربية ذو 40 قرية . يحتوي على 1 700 دار ، 7 جوامع ، نحو 50 مسجدا ، عدة مدارس ، تكايا ، 54 دكانا .

المنصورة مركز لواء ، يقع على شرق الدلتا وعلى ساحل أحد فروع دلتا النيل ، بين طنطا ودمياط . سمّيت هذه البلدة « منصورة » في 1235 بعد انتصار الأيوبيين على الصليبيين الذين أحتلوا المنصورة بعد دمياط واجلائهم عن مصر . في اللواء 787 قرية ، قصبة ، مدينة . يدفع اللواء للدولة سنويا ضرائب تبلغ 3 000 كيسة مصرية . يحتوي قضاؤها المركزي على 320 قريه . والمدينة عبارة عن سوق أسبوعية يجتمع فيها مابين 40 ـ 50 الف شخص ، بها 9000 دار ، قصر وسراي ، 14 جامعا ، 291 مسجدا ، 6 ، مدارس ، 70 مكتباً ، 40 سبيلا ، حمامان ، 18 خانا ، 40 مقهى ، 1 150 دكانا ، 7 مصانع زيوت ، 75 طاحونه . ويوجد كذلك 22 خاناً للمسافرين . الجامع الكبير الذي تبلغ مساحته 180 × 180 ذراعا ، من بناء السلطان الصالح الأيوبي ، أصلحه جوربة جي في 1671 .

المنزلة ، قضاء المنصورة . قريب من الأراضي الآسيوية وشبه جزيرة سيناء . تحتوي المنطقة المجاورة لخليج البحر الأبيض الذي يسمى بحيرة المنزلة على 1000 دار ، 8 جوامع ، 62 مسجدا ، 1 مدرسة ، 6 مكاتب ، 7 اسبله ، 8 مقاه ، 180 دكانا . **سمنود** ، مركز أحد أقضية الغربية ، تتبعه 47 قريه ، يقع على مقربة من جنوب غربي المنصورة . به 1300 دار ، 3 جوامع ، 3 مساجد ، 12 مكتبا ، 7 أسبلة ، حمام ، 51 دكانا .

المحلة الكبرى ، أو محلة الكبير ، مركز لواء في الغربية . يقع بين منصورة ودمنهور ، في منتصف الدلتا ، وقليلا نحو الشمال . يمنح أمير لوائه مرتبة فريق أول على الأغلب . تحت إمرة الأمير 2000 جندي ومخصصاته السنوية 150 كيسه ، وإن كان قاضيا يتقاضى راتبا يوميا قدره 500 آقجه ومخصصات سنويه تترواح مابين 40 إلى 50 كيسه مصرية . يحتوي اللواء على 370 قرية . ينقسم داخل المدينة إلى 3 نواح . المحلة مدينة كبيرة تحتوي على 16000 دار ذات طوابق عديدة و 78 محلة . ونحو 70 جامعا ، 70 مسجدا ، 16 مدرسة ، مايقرب من 70 تكيه ، 200 سبيل ، 46 خزان مياه أرضيا ، 5 حمامات ، حوالي 200 مكتب ، 2345 دكانا ، 48 مقهى ، نحو 200 مصنع زيوت ، 380 طاحونه ، 10 أفران ، 77 خانا ، 7 كنائس في محلتين للأقباط وحوالي 1000 دار

تعداد قضائها المركزي 000 600 نسمة ، وهى مدينة عربية صرفة . الأتراك القاطنون فيها ، عائلات الموظفين . بني جعفر آغا في 1674 جسرا على النيل ذا 3 قناطر . شكل أولو جامع الحالي الموجود في المدينة يرجع إلى السلطان بيبرس .

قليوب ، مركز لواء قليوبية ، ويمكن اعتباره كذلك الضاحية الشمالية للقاهرة ، يتبعه 280 قرية . يتقاضى أمير اللواء سنويا مبلغ 100 كيسة . مدينة جميلة تحتوي على 2000 دار ، 7 جوامع ، 33 مسجدا ، 20 مكتباً ، 8 خانات ، 7 مقاه ، 200 دكان . المرجح أنها كانت في الماضي أكثر نفوسا .

الجيزة ، تقع على الساحل الغربي للنيل ومواجهة للفسطاط (مصر العتيقة = اسكي مصر) ، وهى في الحقيقة شطر مدينة القاهرة الباقي في الضفة المقابلة ، لكنه جعل مركزا للواء مستقل عن لواء القاهرة المركزي . يعتبر هذا اللواء في مصر العليا (الجنوبية) وهو أقصى شمال مصر العليا الذي يجاور الدلتا (السفلى = مصر الشمالية) . تقع أهرام سقارة في جنوب المدينة وتواجهها مدينة منفيس عاصمة مصر القديمة ، وفي جنوبها تقع **حلوان**. منفيس وحلوان تابعتان للواء القاهرة ، وهي رأس الطرف الجنوبي للقاهرة . تحتوي الجيزة على 1000 دار ، 3 جوامع ، 37 مسجدا ، خانين ، 6 مقاه ، 7 مكاتب ، 8 أسبلة ، 3 تكايا ، حمام . أكبر الأهرامات الفرعونية موجودة في الجيزة وسط الصحراء ويجاورها تمثال أبو الهول الجبّار . Sphin . **خانكة** ، مركز قضاء ذو 150 قرية . يحتوي على جامع سلطان أشرف ، و 8 جوامع أخرى . **بلبيس** ، مركز لواء الشرقية في شمال شرقي القاهرة . هذا اللواء يغطي شرق الدلتا ويحدّه شرقا برزخ السويس . وتبدأ سيناء أو باسم مركزها **العريش** بعد البرزخ . يحدها شمالا خليج المنزلة على البحر الأبيض . وجنوبا نحو الغرب لواء قليوبية ، وغربا لواء المنصورة ، يحتوي لواء بلبيس على 340 قرية . مخصصات ألبك (الأمير) 70 كيسة . بها جامع سلطان محمد ، 5 جوامع أخرى ، 81 مسجدا ، 15 خانا . قلعتا **قرائم وصالحيّة** ناحيتان لهذا اللواء تحتويان على قلاع وجوامع السلطان قايتباي . أسس الثانية منهما ، سلطان صالح .

26 _ مصر العليا

تسمى **مصر الجنوبية** « **مصر العليا** » ، وهى وادي النيل الذي يبدأ من جنوب دلتا النيل (السفلى = **مصر الشمالية**) **ويمتد** إلى النوبة والسودان . تبدأ مصر العليا اعتبارا من جنوب **القاهرة وتمتد نحو الجنوب** . الوادي عبارة عن ساحلي النيل وماعداه صحراء . تعتبر محلة الجيزة **للقاهرة والتي** تبقى في غرب النيل ، ضمن مصر العليا . **تشمل** مصر العليا **كذلك** عدة واحات بعيدة عن النيل . وجنوب لواء الجيزة ، هو لواء بني سويف .

بني سويف ، مركز لواء على النيل . يحده شمالا لواء الجيزة ، جنوبا لواء المنيا . تقع مدينة بني سويف في منتصف المسافة بين القاهرة والمنيا تماما ، **تتبعها 740 قرية** . توجد في المدينة وحدة إنكشارية تابعة لآغا الإنكشارية في القاهرة ، **هذا عدا 1000** جندي مع أمير اللواء . وتحتوي على نحو 5000 دار ذات عدة طوابق ، سراي ، 6 جوامع ، نحو 80 مسجدا ، 9 مدارس ، مايقرب من 40 مكتبا ، 20 سبيلا ، 10 خانات 10 مقاهي ، 10 مصانع صباغة ، نحو 500 دكان ، ليس لها سوق تحف . جامع طاسلاق _ زاده أحمد آغا بناء جديد وعلى أسلوب استانبول . **فشنة** أو الفشن ، هى آخر قضاء لهذا اللواء نحو الجنوب فيه 60 قرية عبارة عن 7 محلات ، 3 جوامع ، 4 مساجد ، 7 أسبلة ، 6 مكاتب ، 4 خانات وعدة تكايا . ويبدأ لواء المنيا على مقربة من جنوب ناحية **سمالوط** .

المنيا ، مركز لواء يعيّن له أحيانا أمير لواء بمرتبة أمير أمراء (**بكلربك**) . **يحتوي قضاؤه** المركزي على 8 نواح و 220 قرية . تقع المدينة على ضفة النيل ، بين بني سويف وأسيوط . تحتوي على 6000 دار ذات عدة طوابق ، 6 جوامع ، 99 مسجدا ، نحو 70 قصرا ، أكثر من 100 سبيل ، 11 خانا ، 300 دكان و 3 تكايا . جامع عمر (رضي الله عنه) (90 × 60) الذي حوّل من كنيسة ، بناه عمرو بن العاص باسم خليفته . وبجواره مدرسته العالية .

أشمونين ، يتبعها 40 قرية ، بها 300 دار ، جامع . **ملوي** ، تتبعها 60 قرية ، 4500 دار ، 5 جوامع ، 35 مسجدا ، 400 دكان ، 38 مصنع سكر ، 57 طاحونة ، 3 خانات ، 7 مقاه ، 7 مكاتب ، مركزي قضاء في المنيا **صنبو** ، يتبعها 67 قرية وبها 1000 دار ، 3 جوامع ، وله أيضا قضاء . **منفلوط** ، مركزا قضاء كبير في لواء المنيا . نحو 300 قرية تابعة له . محيطه 1000 ذراع في الضفة الغربية من النيل مدينة كبيرة تحتوي على 600 8 دار ، ذات عدة طوابق ، 8 جوامع ، 30 مسجدا ، 8 مدارس ، 47 مكتبا ، 70 سبيلا ، 8 خانات ، نحو 1000 دكان ، حمام ، 190 طاحونة ، 20 مقهى . محلة واحدة للمسيحيين وواحدة للموسويين . وعلى مسافة 6 ساعات نحو الجنوب على غرب النيل تقع أسيوط .

أسيوط ، في منتصف مصر تماما . مركز لواء ذو 420 قرية ويحتوي قضاؤها المركزي على 105 قرى بها مايقرب من 800 4 دار ذات عدة طوابق ، 9 جوامع ، 17 مسجدا ، 6 تكايا ، 10 مدارس ، نحو 40 مكتبا ، حمام ، 70 سبيلا ، 7 مقاه ، 360 دكانا . يعتقد أنه كان بها في السابق 27000 دار وتعدادها 000 146 جامع أُميّة ، من بقايا عهد عمر (رضي الله عنه) . شيّد أمير لوائها الحالي يوسف بك ، الجامع الجديد الذي تبلغ مساحته 50 × 50 ذراعا . **أبو تيج و طهطا** ، مركزا قضاء على الساحل الغربي من النيل بين أسيوط وسوهاج . أولها يتبعها 80 قرية ، وبها 2000 دار ، 3 جوامع ، 4 مساجد . جنوب أسيوط بمسافة 6 ساعات . أما طهطا فقد أصبحت حاليا مركزا للواء صغير . بها 2000 دار ، 9 جوامع ، 61 مسجدا ، تكيتان ، حمام ، 20 سبيلا ، 3 خانات وعلى مسافة قريبة من النيل . **جزيرة** ، قضاء آخر ذو 200 قرية . **سوهاج** أو باللهجة المصرية سوهاك مركز لواء صغير يقع على الساحل الغربي من النيل **وأخميم** مواجه له في الساحل المقابل للنهر . يتبعها نحو 300 قرية 160 منها في قضائها المركزي . تحتوي المدينة على 160 2 دارا ، 6 جوامع ، 44 مسجدا ، 18 تكية ، 7 مدارس ، 17 مكتبا ، 20 سبيلا ، 6 خانات ، حمام ، 100 دكان . اثنان من الجوامع جوامع سلطانية ، بنى أحدها آبيك أول سلطان مملوكي . **منشيّة** ، أو المنشاة ، تقع كذلك على الساحل الغربي للنيل ، على مسافة 7 ساعات من جنوب شرقي سوهاج ،

مركز قضاء يتبعه 67 قرية . يحتوي على 2000 دار ، 3 جوامع أحدها سلطاني ، 17 مسجدا ، 200 دكان ، 7 مقاه ، خانين ، 3 مكاتب ، 7 أسبلة .

جرجا أو باللهجة المصرية كركا Girga ، على مسافة 3 ساعات جنوب المنشاة وعلى الساحل الغربي للنيل ، جنوب شرقي سوهاج ، مركز لواء كبير يتولى إدارته الباشوات ذوي الشارتين (طوغ) في الرأس . لأمير هذا اللواء صلاحية تفتيش كل الألوية في مصر العليا باسم الوزير والى مصر إذ إن والي مصر لايترك القاهرة مالم يكن هناك حادث مهم . وعند عزل أمير اللواء الذي يتقاضى راتبا قدره 600 000 آقجه يعين على الأغلب في وظيفة أمير حج مصر ، يتبع اللواء 1070 قريه . يحصل أمير اللواء كذلك على مخصصات سنوية قدرها 300 كيسه مصرية ، ويتقاضى قاضيها راتبا يوميا قدره 300 آقجه ومخصصات سنوية قدرها 3000 ليرة ذهب ، تتبع قضاءها المركزي 180 قرية . (تحتوي على مصر العليا على 6170 قرية) . تحتوي المدينة على 10068 دارا ، 11 جامعا ، 53 مسجدا ، 12 مدرسة ، 18 مكتبا ، 9 تكايا ، 7 أسبلة ، 1200 ساقية ، 2000 بئر ، حمامين ، 860 دكانا . 3 من جوامعها بناء عثماني وقد جيء للجامع الذي بناه شهيد محمد بك عام 1634 بالخزف من ايزنك . أكبر جامع هو الجامع الذي بناه أحد سلاطين الأيوبيين ومساحته 60 × 60 ذراعا . موقع كثير البركة . سعر الخروف الذي يزن ما بين 40 ـ 50 آقة ، 15 بارة (جزء من الأربعين من القرش) وفي رمضان يبلغ سعره 20 بارة ، سعر الجمل الواحد 300 بارة ، سعر 2 آقة خبز دقيق نقي 1 بارة ، سعر 3 آقة خبز أسمر 1 بارة ، سعر أردب الحنطة نصف ليرة ذهب ، أردب الشعير 10 بارة ، يباع العبد الحبشي بسعر يتراوح بين 7,5 إلى 10 ليرة ذهب . لكن البضائع كالأقمشة الممتازة والأدوات المصنوعة من النحاس ترد من الأناضول وهي غالية الثمن . مكثت 11 يوما في جرجا . منح لي أمير لوائها أوزبك باشا 400 ليرة ذهب ، كان من أمراء المماليك .

بلابيش ، مركز قضاء ذو 70 قرية ، به 60 دارا فقط ، وجامع . **فاو** ، مركز قضاء يقع على مسافة 8 ساعات نحو الجنوب على الساحل الشرقي (الشمالي) من النيل فيه 1300 دار ، جامعان ، 7 تكايا . يقال إنه كان في السابق مركز لواء .

قنا ، مركز قضاء في شمال الساحل (الشرقي) من النيل ، مركز لواء سابق . كان تابعا لجرجا . به 7 جوامع ، 20 مسجدا ، 7 تكايا ، مدرستان ، 150 دكانا ؛ 7 خانات متوسطة سوق كبير واحد ، 7 مقاه ، حمام . كان حسن آغا قد صرف في 1664 مبلغ 5000 ليرة ذهب وشيّد جامعا جديدا .

القصير أو قص تفع على مسافة 10 ساعات من جنوبه في الساحل الشرقي من النيل ، بين قنا والأقصر . وهي من الأماكن النادرة التي نجد بها قلعة في مصر العليا . قلعتها من بناء سلطان بيبرس ، لها 17 مدفعا ونحو 200 جندي حراسة تحتوي على 60 قرية ، 800 دار ، 4 جوامع ، 22 مسجدا ، 6 مكاتب عدة تكايا و 20 سبيلا . فيها جامع الخليفة العباسي المستكفي الذي مات منفيا فيها في 1305 . تبعد القصير عن مرفأ مدينة يتبع مسافة 300 ميل ، وعن مرفأ جدة 360 ميلا . تخرج البضائع التجارية من الصحراء إلى ساحل البحر الأحمر وتنقل إلى هذه الموانى الحجازية .

الأقصر ، في شرق النيل . شمالها إحدى أكبر المدن العالمية الميّتة (عاصمة مصر القديمة طيبة وكرنك) . مركز قضاء تابع لجرجا في جنوب غربي القصير ويرجح أنه كان لواء في السابق . يحتوي على 1200 دار ، وهو أثر قديم مليء بالأنقاض . نقلت الأعمدة الأربعة العظيمة الموجودة في جامع سليمانية في إستانبول من هذه الخرائب وأرسلت إلى إستانبول . به 3 جوامع ، 17 مسجدا تكثر التماسيح جدا في النيل في هذه المنطقة مناخها جميل لكن شعبها فقير . الأراضي المليئة بالأحجار الكبيرة الكائنة في شرق ناحية **كولمبو** ؟ تحتوي على كهوف كثيرة تسمى جبل تمساح . تكدّست في الكهوف الآلاف من جثث التماسيح المحنطة الواحدة فوق الأخرى أكفانها من ألياف النخيل ، ولم تتعفن .

أسوان ، يقع على ساحل النيل الغربي ، على مقربة من شمال الشلال الأول ، هو قضاء جرجا ، وأحيانا مركز لواء . يتبعه 60 قرية ، وقلعة ذات 20 مدفعا ، 150 جندي حراسة ودار للموسيقى العسكرية (مهترخانة) . تحتوي على 1600 دار . يتّضح من الأنقاض الموجودة في المنطقة أنها كانت كبيرة فيما مضى . يستخرج الزمرد من الأراضي الجبلية في جنوب المدينة . وعلى مسافة 15 دقيقة ، توجد إحدى أكبر الأشجار في العالم ، استراح السلطان قايتباي تحت ظلها سابقا

يحتوي النيل على 6 شلالات . الأول فقط في الأراضي المصرية والبقية في نوبية « النوبة » (السودان الشمالية) . الشلال الأول ، في جنوب أسوان رأسا . تحصى الشلالات من الشمال إلى الجنوب . **أزرق** ، مركز قضاء أسوان ، يحتوي على 1 200 دار ، 26 جامعا ومسجدا ، 6 مكاتب ، 7 أسبلة ، 24 دكانا ، وعلى مسافة قريبة جدا من جنوبه **ابرم** أو أقصر ابرم ، تقع على الساحل الشرقي من النيل ، بنى قلعتها التي يبلغ محيطها 800 ذراع ذات الشكل المخمس ، أودمير باشا . تحتوي القلعة على 40 مدفعا ، جامع السلطان سليمان ، به 80 دارا ، و 200 جندي عثماني يرسلون من القاهرة . تشاهد في ابرم قصور رجال العثمانية القدامى الشبيهة بالسراي ؛ إذ إن كثيرا من المذنبين السياسيين نفوا من إستانبول إلى ابرم ، بعضهم مات فيها ، وآخرون صدر العفو عنهم وعادوا إلى إستانبول . **ابرم** ، هي آخر قلعة تعود للدولة العثمانية في الجنوب في مصر . وتشكل ناحية **توسكي** أو توشكا التي في جنوب ابرم ، نهاية الأراضي المصرية . وفي أقصى جنوبها تبدأ النوبة بقصبة **فرس** ثم يليه وادي حلفا . المسافة بين ابرم ووادي حلفا 8 ساعات . يجري النيل في هذه المنطقة نحو الجنوب الشرقي . السودان تابعة لإيالة مصر ، لكن سواحل البحر الأحمر ، تدخل ضمن إيالة حبش .

إسنا ، مركز قضاء كبير في لواء جرجا ، يقع على الساحل الغربي من النيل . عبارة عن قلعة ، 500 دار ، 11 جامعا ومسجدا . جامع عمر (رضي الله عنه) من بقايا فتح مصر . **فاو** ، مركز القضاء الكبير لجرجا يقع على الساحل الجنوبي (الغربي) من النهر مواجه لقنا . يحتوي على 100 دار ، 7 جوامع ومساجد . **فرشوط** ، مركز قضاء كبير على مقربة من الشمال _ الغربي لفاو وقريب من الساحل الجنوبي (الغربي) للنيل ، تابع لجرجا . يتبعه 70 قرية ، وبه 800 دار ، 11 جامعا ومسجدا . **سمحود** ، مركز قضاء كبير تابع لجرجا بالقرب من غرب فرشوط ، على الساحل الغربي (الجنوبي) للنيل ، فيه 2000 دار ، 3 جوامع ، 17 مسجدا ، **برديس** ، مركز قضاء كبير لجرجا يقع بين سمحود وجرجا ، قريب جدا من الساحل الجنوبي (الغربي) للنيل ، يحتوي على 50 قرية ، 800 دار . **ألواح** ، مركز قضاء كبير تابع لجرجا وأحيانا لمنفلوط وسط أنقاض مدينة قديمة ، وبه جامع ، 17 مسجدا ، 3 مدارس ، 17 مكتبا ، 7 تكايا ، 3 خانات ، 356 دكانا ، 40 سبيلا ، مركز صناعة المنسوجات .

الفيوم ، اسمها الكامل مدينة الفيّوم ، مركز لواء . على مسافة ليست قريبة من الساحل الغربي للنيل ، داخل واحة واسعة . وعلى مقربة من جنوبه الشرقي ، مدينة بني سويف . وسط الصحراء . يحد اللواء من ناحية النيل لواء بني سويف ، شمالا لواء الجيزة ، جنوبا لواء جرجا . يحتوي على 110 قرى . يظن أنه كانت يتبعه سابقا 360 قرية . مدينة كبيرة لها 67 محلة ، 11 جامعا ، 39 مسجدا وأكثر من 9000 دار ، 7 مدارس ، 40 مكتباً ، حمامان ، 16 خانا ، 900 دكان . جامع قايتباي البالغ مساحته 70 × 70 ذراعًا فخمًا جدا .

يزور الفيوم عدد كبير من الناس على أنها مدينة يوسف (عليه السلام) . **اطفح** ، مركز قضاء كبير في لواء بني سويف في شمال شرقي المدينة ، موقع صغير عبارة عن 26 قرية .

مكث أولياء جلبي في القاهرة مدة 10 سنوات حتى عام 1683 . وهى المدينة التي سكنها أطول مدة بعد إستانبول . عاد إلى استانبول في 1683 وهو في الـ 72 من عمره وتوفي في السنة التالية 1684 . ويمكننا أن نكوّن فكرة عن تعداد المدن المصرية إذا ما ضربنا أعداد اللور التي ذكرها لنا × 10 ، وهكذا يمكن أن نقدر تعداد القاهرة 463000 ، دمياط 300 000 ، المحلة الكبرى 160 000 ، رشيد 109000 ، جرجا 100680 ، الفيوم 90600 ، المنصورة 90000 ، في السودان سنّارة 90000 ، منفلوط 86000 ، في السودان دنقلة 60 000 ، المنيا 60000 ، دمنهور 55000 ، بني سويف 50000 ، أسيوط 48000 ، ملوي 45000 ، فوة 40000 ، ادفو 40000 ، ميت غمر 40000 ، في السودان دنقلة العجوز 36000 ، إسكندرية 33750 ، في السودان ارباجي 37000 ، آبيار 30000 ، الفشن 30000 ، في السودان لولو 30000 ، متوبس 30000 ، سنديون 30000 ، سوهاج 21600 و 14 مدينة أخرى تعداد كل منها 20000 نسمة .

27 _ السودان .

وادي حلفا ، قريبة جدا إلى ضفة النيل الشرقية . ونحو الجنوب بمسافة قليلة ، الشلال الثاني ، وبعد مسيرة 7 أيام هبوطا نحو الجنوب على امتداد النيل بين الغابات البكر تقع قلعة **ساي** . توجد جزيرة مواجهة لها داخل النيل في الساحل الجنوبي

(الشرقي) من النيل بين وادي حلفا ودنقلة . بني أوزدمير أوغلو عثمان باشا قلعة في هذه الجزيرة . تحتوي القلعة حاليا على 70 مدفعا و 450 جنديا عثمانيا . يبدلون سنويا بالجنود الذين يجلبون من القاهرة . القضاء مركزي ، ولكن لايمكن معرفة ما إذا كان لواء أم إيالة ، عند النظر إلى حدوده يسيطر هذا القضاء على أواسط السودان وعلى المناطق حتى حدود الحبشة . 450 جنديا عثمانيا موجودون داخل جزيرة . هى أكبر قلعة للدولة العثمانية على النيل في أقصى الجنوب . تحتوي على جامع سليمان خان ، مكتب اوزدمير باشا ، 22 دكانا، بيوت للجنود . شعبها مسلم من قبيلة بني حلفه . يتكلمون بالعربية . لكن غلب عليهم الدم الزنجي . المنطقة صحراوية وعلى بعد مسافة 20 مرحلة من مصوع يدرك مركز إيالة الحبشة . وللذهاب من ساي إلى مصوّع لابد من اجتياز الصحارى ، والغابات واتخاذ ترتيبات الحماية الجيدة من أخطار الأسود ، النمور ، الفيلة ، الكركدان والنسور . كان الجنود قد اصطادوا في قلعة ساي 3 أسود ، كانوا يطعمونهم اللحم . أوغلت في السير إلى الجنوب داخل الصحراء على امتداد النيل . حاكم قلعة **مغرق** ، حسن بك . هو قائد ملك الفونج (مملكة سنّار) لكنه يتبع أوامر العثمانية . ملك الفونج ، تابع لوالي مصر . له 17 قلعة و 17000 جندي من حملة المزارق . يرسل سنويا ضريبته إلى القاهرة . استضافني الملك المالكي المذهب واهداني نابي فيل . أرسلت أحدهما إلى قائد قلعة ساي العثماني . وقلعة **تنّارة** Tinnare التي تقع على مسافة يومين نحو الجنوب تخضع للملك ذاته . يسيطر هنا قائد القلعة كور حسين بك ، على نحو 40 ـ 50 ألفا من السكان بقوة قوامها 800 جندي من حملة المزارق ، كان من ضباط العثمانية القدامى . كانت القلعة تحتوي على المنجنيق بدلا من المدفع . وتسيطر قلعة **سهسة** الواقعة على مسافة 4 ساعات نحو الجنوب على ما بين 40-50 ألفا من السكان . وتقع **نازنارنيته** ، على مسافة 3 ساعات نحو الجنوب ، وبعد مسيرة 7 ساعات تصل إلى قلاع **ماديه** ، وهى على النيل وكالسابقات .

تقع **حفير** ، بعد مسافة قصيرة من الشلال الثالث على الساحل الشرقي (الجنوبي) للنيل وتواجهه جزيرة داخل النيل ، قلعة مملكة الفونج (مملكة سنّار) . يرابط في القلعة 1000 خيال وتحتوي على عدة مدافع قديمة ، أكثر من 1000 دار ، خانين ، نحو 50 تكية ، مطبخ للمحتاجين ، 6 مكاتب ، حمام ، مدرسه ، 20 مدرسة ، 130 دكانا . شعبه شافعي المذهب . احصيت 4 جوامع و 16 مسجدا . كنا نتجول مع قافلة عثمانية تتألف من 800 شخص . استقبلنا محافظ القلعة بكل احترام . اجتزنا قلعة **كانندي** ،

نحو الجنوب وبعد 7 ساعات تقع قلعة **نافرى** الأخيرة ، كانت قضاء يسكنه 000 40 نسمة و 1000 جندي . أكرمنا قائدها المسمى كمال الدين . وبعد مسيرة 17 ساعة ، وصلنا قلعة **شندي** ، في ساحل النيل . كنا لانزال في مملكة الفونج . كانت قرونة الكركدان ، أشجار الأبنوس ، أنياب الفيلة ، جلود التماسيح مكدسة كالجبال في السوق . وتقع **دانيكا** (Dongola) بعد مسيرة يوم واحد . كانت هذه المنطقة إمارة في مملكة الفونج (مملكة سنّار) . اجلسني الأمير على يمينه واكرمني لكوني رئيسا للقافلة العثمانية . هذه المنطقة تابعة أيضا للعثمانية . لكنهم لايملكون الدراهم النقدية ضرائبهم عينية . وصلنا **هانكوج** ، وهذه أيضا تابعة لمملكة سنّار . أراد قائد القلعة الزنجي تقبيل يدي ، لكنني رفضت . دهشت عندما خاطبني بالتركية . إذ إننا لم نسمع التركية من أى شخص محلّي منذ دخولنا ساي . وإذا به كان قد تعلم التركية عندما كان في شبابه في أسوان . شاهدت في هانكوج 6 مدافع بدائية . كان كل من يشاهد كتاب والي مصر ، يقف على قدميه ويطأطيء رأسه احتراما وخضوعا . إذ إن والي مصر ، يعني امبراطور أفريقيا في هذه المناطق . أما البادشاه ، فإنه ظل الله ولا أمل لهم في التوصّل إليه . لكنهم كانوا فقط يعلمون أنهم رعايا حاكم يتّصف بتلك الصفات .

قلعة **تومبوسو** ، مركز قضاء على ساحل النيل **يسكنه** 000 20 نسمة، أهدى لي فيها فيللا . قلعة **شقراوى** على مسافة 9 ساعات نحو الجنوب ، مركز قضاء يسكنه 000 50 نسمة . قلعة **حفير** (حفير مملكة سنّار) على مسافة 10 ساعات نحو الجنوب ، مركز قضاء سكانه 000 60 نسمة . اجتزنا نحو الجنوب قلاع **مشو** ، **تومبول** ، **فردانيه** ، **دفنه** ، **اركو** ، **بتني** ، **ارتد** ، **ايرمش** اللواتي تبعد إحداها عن الأخرى مرحلة واحدة . كل واحدة منها مركز لقضاء . ثم واصلنا اجتياز النيل نحو الجنوب ووصلنا قلعة **جيريه** ، وقلعة **ختّاق** مركز قضاء ، سكانه 000 100 نسمة ، ووصلنا إلى قلاع **كولي**، بقر ، دنقلة القديمة (دنقلة العجوز) التي تبعد كل منها عن الأخرى مسافة مرحلة واحدة . كانت قلعة على الساحل الشرقي من النيل فيها 650 دارا ، 7 جوامع ، 9 مساجد ، 6 مكاتب و في الضواحي (خارج القلعة) 3000 دار . كانوا ينطقون بالعربية بشكل معقد يصعب فهمه . استمعنا إلى خطبة الجمعة التي تليت باسم سلطاننا . كانوا يأكلون لحم الزرافة . اطعموني منها . والمرحلتان القادمتان هما قلعتا

سرتاقوسي و زكاوه . **عفات** أو عفاريت ، موقع في شمال النيل (شرقه) وعلى الضفة المواجهة له ، قصبة الدبّة . هذه المنطقة هى أقصى جنوب زاوية منعطف النيل العريض جدا وبعد هذه النقطة يجري النيل نحو الشمال ـ الشرقي وليس نحو الجنوب ، ثم يعود فيتوجه ثانية نحو الجنوب . اجتزنا قلعتي **كنيسه و آبكر** (Abdum) . تقع الأخيرة على الساحل الجنوبي (الغربي) للنهر ، فيها 200 دار . قلعة **دفّارة** ، التي بناها سلطان آيبك في 1250 بعد مرحلتين . المراحل القادمة هى قلاع **ملك ادريس** ، بها 700 دار ، **غرّى** ، **الكون** ، **كوسراي** ، فيها 700 دار ، **حلة الملك** ذات 600 دار ، **نوجى** ذات 200 دار ، وبعد الشلال الرابع قلعة **ارباجي** . ارباجي ، مدينة مزدحمة ، فيها 3700 دار ، لها 7 جوامع . يحكمها أخو ملك الفونج خان جرجيس Kan Cerecis ، يسيطر على 640 000 نسمة . تسلم كتاب الوالي بعد أن انتصب على قدمية وقبّله ووضعه على رأسه . قدّم لي كيسا مليئا بالأحجار الكريمة وزنجيتين بكرا و 3 عبيد سمر اللون . وقدمت أنا له فيلي وتخلصت من عبء ثقيل . إذ إن هذا الفيل كان يأكل حمولة 100 بعير من الحشيش ويشرب الماء كأنه يوشك أن يقضي على ماء النيل . المرحلة الثانية قلعة **عطشان** على الساحل الغربي ، بها 600 دار . صادفت فيها 3 تجّار أتراك من قره مان أسرهم البرتغاليون أثناء نقلهم البضائع من الهند إلى سواكن وقد تخلّصوا من الأسر بعد اصطدام السفينة البرتغالية بساحل أفريقيا وغرقها . عاشوا فى شدة 7 أعوام في افريقيا . اتخذت كل التدابير لايصالهم سالمين إلى القاهرة ؛ حيث الذهاب من القاهرة إلى قره مان سهل . سرّوا كثيرا واوشكوا أن يقبلوا يدي . والمراحل التالية هى قلاع **بقيس** ، **حلة الركابي** ، **حلة الجندي سور** . تقابلت مع ملك الفرنج في الأخيرة منها والتي يحتوي على 1000 دار . استقبلني الملك وامسك بيدي وخاطبني باللغة العربية . قبّل كتاب وزير مصر ووضعه على رأسه . **ذهبنا مع الملك إلى قلعة سنّارة (11 /12 / 1672)** ، تركنا النوبة (**السودان الشماليه) خلفنا ، كانت هذه المنطقة هى السودان الأصلية** . مدينة عرش الملك . كانت الخطبة تتلى باسم سلطاننا . **كان الشعب ينكبّ على الأرض عند مرور الملك . محيط قلعة سنّارة 3000 ذراع ، تحتوي على 8000 دار بسيطة . أكبر مدينة في السودان تقع على الساحل الغربي من النيل الأزرق (البحر الأزرق) . في المنطقة قبائل رحّل لون بشرتهم اسمر غامق قريب من**

بون الزنوج . يتكلمون اللغة العربية كما يتكلمون اللغات المحليّة . لا محل للغة التركية هناك . وللتفاهم باللغة التركية ، يستلزم الأمر الوصول إلى سواحل البحر إلى السودان والحبشة . كان بالقلعة 50 مدفعا عثمانيا من نوع شاهي وبنادق ، لكنها كانت قديمة جدا . شاهدت 8 جوامع ، وما يقرب من 40 مسجدا . الشعب مالكي المذهب وهناك أيضا كثير من الشافعيين . لم تكن النسوة يستترن . إذ المناخ حار جدا ، ولا عيب فى عدم الاستتار . كان بينهن الجميلات جدا . أجسامهن رقيقة بديعات التكوين ، ورغم أن لباسهن كان يكشف عن أجزاء من أجسامهن ، فإن أحدا لم يكن يلتفت لينظر إليهن . كلهم مسلمون . بقيت في سنّارة 40 يوما وقضينا وقتا ممتعا مع الملك في رمضان . قدّم لي هدايا كثيرة جدا ، وأرسل كذلك إلى وزير مصر إبراهيم باشا ـ الذي أصبح بعد ذلك صدرا أعظم ـ من السلع الثمينة ملء قافلة ، وهى ضريبته السنوية .

المحطات بعد سنّاره ، هى قلعة أبسوكا ، أبو تمير ، بها 2000 دار ، 7 جوامع ، بورروش ، مركز إحدى الولايات في مملكة سنّار (فونجستان) ، سكانها 500 000 نسمة . ولأول مرة في حياتي شاهدت فيلين لونها أبيض . بعد ذلك ، بروسته ، وهى قلعة ومركز لمنطقة سكانها 600 000 نسمه في مملكة سنّار . وتليها قلعة دونكوده ، وتتكون من 6000 دار حجرية . شهدت هنا رجم أحد الرجال بتهمة هتك العرض . وبعد مرحلتين ، اصطدنا في وادي شلجلان 70 فيلا ، 16 كركدانا ، آلافا من النمور ، حمارا مخططا زرافة وحيوانات أخرى . ومع ذلك ، لم نتمكن من إصابة واحد من مئة ألف من مخلوقات هذه الصحراء . حيوانات الصيد كانت كثيرة لدرجة لاتصدق . وبعد مرحلتين تقع رميله ، بها 1000 دار ، 7 جوامع 121 دكانا . وصلنا جرسينكا التابعة لمملكة الفونج بعد مسيرتنا 7 مراحل على امتداد نهر النيل . حاكمها شان الله خان ، كان يرسل ضريبته إلى الملك وهي حمولة 40 فيلا و 100 جمل من البضائع .

وهكذا نزلنا من النيل الأبيض (البحر الأبيض) إلى الجنوب والي أقصى جنوب السودان . تنتهي المناطق الإسلامية في هذا الموقع وتبدأ قبائل عبدة الأصنام . ينقسم إلى فروع ويستمر نحو الجنوب . ينبع النيل من بحيرة كبيرة جدا ، تسكن بجوارها سبعة أقوام يرتاد السكان المحليون هذه البحيرة مدينة قمر تقع على جبل قمر في البحيرة الكبرى ، يقال إنها من بناء سليمان (عليه السلام) . وعلى مسافة 7 مراحل من

البحيرة نحو الغرب ، المحيط الهندي . قلّت حاليا القوافل التي تتاجر بين البحيرة الكبرى والمحيط والسودان ومصر ، وحتى القوافل التي تذهب إلى فاس لمدة 5 أشهر ، إذ تسلّط البرتغاليون على سواحل المحيط . وعندما تشاهد القبائل التي تحيط بالبحيرة الكبرى شخصا ابيض اللون تذبحه وتطبخه وتأكله . عدنا إلى سنّارة ثانية بعد 45 يوما من مغادرتنا إياها . مكثنا قليلا وتوجهنا إلى الجنوب ، ثم إلى الشمال ، ثم الشمال _ الشرقي . **أرباجي** ، تبعد عن سنّاره 3 أيام .

28 _ إيالة الحبشة (حبش) .

أسست إيالة ابرم بين مصر الجنوبية والنوبه ، لفترة من الزمن . انضمت إلى إيالة مصر ثانية قبل مرور سنين (13/ 2 / 1584- 26 / 12 / 1585) . كانت 4 ألوية (ابرم ، محاس ، قصير ، الواح) يتقاضى أميرها 000 1300 آقجه سنويا . قصير ، رصيف بحري على ساحل البحر الأحمر . تحتوي ابرم على مناجم الزمرّد .

كانت إيالة الحبشة على أيام مراد الثالث (1574 - 95) 10 ألوية (المركز مصوع ، سواكن ، عقيق ، حركيك (Arkiko) ، سام ، بور ، ماترو ، هنديه (Hindibe) ، صراوه ، آنديا) . اصدر الديوان في 1582 قرارا بصرف مخصصات إضافية قدرها 000 40 ليرة ذهبا لإصلاح القلاع الموجودة في إيالة الحبشة ، وهذا يشكل نموذجا للمبالغ المصروفة للأقطار النائية لأغراض إعمارية _ سياسية . كلف والي اليمن اوزد مير باشا (1548-54) بتولي إيالة الحبش بعد تأسيسها في 5 / 7 / 1555 . توفي في دباروا عن عمر يناهز الـ 60 . حمل ابنه اوزدمير أوغلو عثمان باشا _ صار فيما بعد صدرا أعظم _ الذي أخذ مكانه في 1560 ، نعش ابيه إلى مصوّع . بنى هناك قبرا وجامعا وكلية . اهتدت إلى الإسلام على يد هذين الحاكمين ، قبائل كثيرة من الاقوام الحبشية . وكما أصبح المسلمون في اريتره ، نتيجة لهذه السياسة العثمانية ، أكثرية ساحقة ، كذلك أسلمت مناطق كثيرة في الهضاب الحبشة . هزم ومات الملك Glavdevos في الحرب الميدانية في 1559 . وبالرغم من مساندة البرتغاليين لهم بالأسلحة النارية ، لكونهم مسيحيين (أرثوذكسا يعقوبيين) ، لم يتمكن ملوك الحبشة من مقاومة العثمانية .

وقد انهزم (20 / 4 / 1562) ميناس (1559 - 1563) أخو الملك المقتول الذي أخذ مكانه في الحرب الميدانية اندرتا Enderta أمام اوزدمير اوغلو . أسر والي اليمن الملك ميناس هذا ، سحق والي الحبشة (14 / 12 / 1579 - 21 / 12 / 1582) خضر باشا ، الجيش الحبشي في الحربين الميدانيتين Harikko (1580) و Debarva (1582) . انسحب الاحباش المسيحيون نحو الجنوب والجنوب ـ الغربي . استولت العثمانية على قسم كبير من الحبشة . ايقن ملوك الحبش أنه ليس بإمكانهم الوقوف أمام العثمانيين بالأسلوب القديم . أسسوا وحدة حبشية من حملة البنادق . اطلقوا على قائد الوحدة التي أسسوها اسم « باشا » وعلى ضباطها اسم « آغا » . أعطوا صلاحية تأسيس أول وحدة مدفعية في الجيش الحبشي ، إلى ضابط مدفعي تركي قديم اسمه عبدي آغا . وأطلقوا على هذا الضابط الذي منحوه قيادة هذه الوحدة « عبدي باشا »

Pank hurst, Fire - Arms in Ethiopia Prior tothe Nineteneth Century, Ethiopia)
Observer, 3 Adis Ababa 1968 p. 214)

كان الباب العالي قد جعل من البحر الأحمر ، حتى عام 1778 بحرا عثمانيا مغلقا و لم يفتحه للتجارة العالمية . واعتبارا من ذلك التاريخ ، سمح للسفن التجارية الإنكليزية بالدخول إلى البحر الأحمر ، والمرور بالموانى العثمانية التي بين ضفتي آسيا وافريقيا .

رفض قصي أمير كوندار على أيام السلطان عبد العزيز (1861 - 1876) الخضوع لملك الحبشة في الوقت الذي كان فيه خاضعا للعثمانية . كوندار ، تقع على مقربة من شمال بحيرة تانا . وبذلك سيطرت العثمانية ، عدا اريترة ، على تيكرة Tigre ، وحتى على القسم الأكبر من امهارا ، وتبعت إمارة حرار المسلمة في شرق أديس أبابا ، العثمانية كذلك . ذهب رءوف باشا في 1875 إلى هرر وانهى هذه الإمارة ودخلت المنطقة في إدارة العثمانية المباشرة . وافقت انكلترا في 1877 على أن تكون الصومال الشمالية حتى رأس دانته (بالعربية رأس الخافون Hafun) والواقع على خط العرض 10° ، أراضي عثمانية . لكن الصومال الجنوبية (الشرقية) اعتبارا من هذه النقطة وحتى كينيا ، كانت تحت السيطرة العثمانية . ونحو 1876 ، كان الحكم العثماني يشمل كل الأراضي التي تمتد إلى البحيرات الكبيرة (أوغندا) ، الصومال والكونغو (زائير) . كان جعفر

مظهر باشا في 1867 ، قد رفع العلم العثماني على رأس الخافون (رأس دانته) . ثم وصل مختار باشا إلى النقطة ذاتها . وهي الرأس الذى في أقصى شرق القارة الأفريقية (خط طول 51°) . فصل الباب العالي الرصيف البحري زيلا Zeyla الواقع على مقربة من جنوب جيبوتي ، من إيالة اليمن وتركه لإياله مصر لقاء 15 000 ليرة ذهبًا ، كانت الأراضي الواقعة بين زيلا ومصوع أي جيبوتي وأريترة تابعة لإيالة الحجاز . أما الساحل من مصوع نحو الشمال ، فقد كان تابعا لإيالة مصر . استولت انكلترا التي احتلت رصيف عدن البحري وجزيرة بريم الصغيرة في 1839 على رصيف بربره البحري في 1884 . كان أملها سدّ باب المندب . وفي 1885 فصل الباب العالي زيلا عن مصر وألحقها بإيالة اليمن كقضاء . احتلت فرنسا في 1888 رصيف تاجورا البحري وشرعت في تكوين مستعمرة الصومال الفرنسي (جيبوتي) . أما إيطاليا فإنها احتلت في 1884 رصيف آساب البحري ووطئت أفريقيا الشرقية . وفي 1885 دخلت وحدة إيطالية يساندها الإنكليز إلى ميناء مصوّع . أنزلت العلم التركي ورفعت العلم الإيطالي . أرسلت الوحدة العثمانية الموجودة فيها إلى مصر ، وهكذا خرجت سواحل البحر الأحمر من السيطرة الكاملة للعثمانية ، حيث تمكنت إنكلترا وإيطاليا وفرنسا من اتخاذ مواقع لها في تلك السواحل . لكن الأوروبيين لم يتمكنوا من القضاء على السيطرة الكاملة للعثمانية على السواحل الآسيوية (الشرقية) للبحر ولم يتمكنوا من الحصول على ساحل فيها . استمر وضع العثمانية في هذا الجانب حتى عام 1916 بل وحتى 1919 ، ولم يتمكن الأورويون بعد هذا التاريخ من الحصول على شيء يذكر ، إذ تأسست ملكيات العربية السعودية واليمن . لم تتمكن إيطاليا من الحصول على اريترة ، إلا بعد جهود كبيرة في 1896 . ثم أسست مستعمرة الصومال الجنوبية (الشرقية) (1910) . لم يكن هناك اتصال بين مستعمرتيها ، إذ كان يفصل بينهما الصومالان الإنكليزي (الشمالي) والفرنسي (جيبوتي) . كانت السواحل الجنوبية للصومال الإيطالي ترجع لسلطنة زنجبار (الأرصفة البحرية كسمايو ، مرقا ، مقاديشو الخ .) . استأجر الإيطاليون في البداية هذه الأرصفة من زنجبار ثم سيطروا عليها فعليا . لم تنتقل كسمايو لحيازة الإيطاليين إلا في 1905 . ساندت انكلترا إيطاليا في سياستها هذه .

كانت السياسة الأفريقية لعبد الحميد الثاني مستندة على السياسة الإسلامية أكثر من استنادها على عرض القوة العسكرية ، وتعتبر بعثة الفريق الأول عظم ـ زاده

صادق مؤيد باشا الأفريقيه نموذجا لذلك ، كان هذا الشخص رئيسا لمرافقي البادشاه وأحد أفراد عائلة عظم ـ زاده (بالعربية : آل العظم) الشهيرة التي سكنت الشام . حضر مع معيّته إلى هرر 1896 ، بلغ الأحباش المسلمين تحية حضرة خليفة روى زمين (وجه الأرض ، الكرة الأرضية) السلطانية ، كانت هرر مدينة تجارية فعّالة يسكنها 40 000 نسمة ومركز مسلمي الحبشة . كانت تحتوي كذلك على أتراك أناضوليين استوطنوا فيها وأصبحوا من رعايا الحبشة . قبل الباشا في أديس أبابا استقبل Menelik الثاني الباشا في أديس أبابا ، أفاد ملك أو امبراطور الحبشة الباشا بأن رعيّته ينقسمون إلى نصفين مسيحيين ومسلمين ، وأن كليهما يعاملان بالتساوى ومنحه وسام ختم سليمان من الدرجة الأولى ، ومنح الباشا مرتبة رأس (أمير) وهى مرتبة لم تمنح لأى أجنبي من أعلى الرتب حتى الآن (19 / 5 /1896) . يسرد الباشا تفاصيل بعثته التي دامت 3 أشهر في كتابه **حبش** سياحتنامه سى ، أما القسم السرى منها فقد قدمه إلى البادشاه ، وهو موجود حاليا في تقاريره المحفوظة في الأرشيف العثماني . وأرسل صادق باشا ، إلى الصحراء الكبرى مرتين في 1884 و 1893 لإجادته اللغة العربية ولمعرفته أفريقيا بصورة جيدة . ويشرح لنا تفاصيل بعثه هذه في كتابه المعنون **بر عثمانلي ضابطنك آفريقيا صحراي كبير كده سياحتي** . كان الباب العالي ، يعتبر الأطفال المولودين من أب عثماني ولأم حبشية ، من الرعايا العثمانيين ويمنحهم جواز السفر التركي . كانت الحكومة الحبشية تعتبر هؤلاء من رعايا الحبشة ولا توافق على غير هذا ، لكنها لم تكن تستطيع المعارضة بصورة علنيّة . يظهر من ذلك أن الحبشة تهاب العثمانية بقدر ماتهابها الدول الأوروبية . وبقبول إمبراطورية فاس الحماية الفرنسية في 1912 ، لم تبق في أفريقيا دولة مستقلة عدا الحبشة وليبيريا .

أنشأت فرنسا التي ابتاعت منطقة أوبوك العثمانية من أحد الشيوخ المحليين الصوماليين في 1863 رصيفا بحريا فيها في 1883 وأسست في 1888 ، قصبة جيبوتي . لكنها لم تتمكن من توسيع منطقتها . وكأن الحبشة تركت للنفوذ الإيطالي . كانت انكلترا وفرنسا اللتان تريدان فصل إيطاليا عن اتفاق ألمانيا ـ اوستريا ، قد تغاضتا عن ذلك . اعتلى العرش بعد وفاة Menelik ، حفيده Yasu البالغ عمره 17 عاما (11 / 12 / 1913) . اهتدى إلى الإسلام . وهب البناء المقابل لسراياه في أديس أبابا إلى القائم بالأعمال العثماني وأخذ

يتحرك بموجب توصيات مظهر بك السياسي العثماني الذي يمثل الخليفة . شيّد الجوامع . لم يعترف عبد الحميد الثاني بصورة قطعية باقتسام الصومال واريتره بين ثلاث دول أجنبية . لم تترك هذه الأقطار ، إلا فيما بعد بمعاهدة لوزان 1923 . ولم يعترف الباب العالي في العهد المشروطي كذلك باحتلال هذه الأقطار . لكن الحرب العالمية الأولى كانت قد اسدلت ستار الخاتمة على مسرح السياسة الأفريقية العثمانية .

ذكر رئيس الدولة الصومالي محمد سياد بري في بيان له في 1978 ما يلي : الآثار العثمانية قائمة في كل مكان في الصومال . القلاع التركية واستحكامات المدفعية لازالت قائمة كما هي . ان قواتنا المليشية ، مازالت تستفيد منها . قسّم الأوروبيون قطرنا عندما أخذوه من العثمانيين إلى خمسة أقسام (ترجمان ، 7 / 8 / 1978) الأقسام الخمسة التي عناها رئيس الدولة هى الصومال الإنكليزي ، الصومال الإيطالي ، الصومال الفرنسي ، إيالة أكوان التي يعيش فيها القوم الصومالي في الحبشة ، والشريط الشمالي ـ الشرقي لكينيا وتتكون الصومال الحالية من اتحاد الاثنين الأولين الصوماليين الايطالي والإنكليزي . نفذ الاستعماريون الأوروبيون عملية التجزئة هذه في كل قطر سلبوه من العثمانية .

أنقل فيما يلي بعض السطور من جولة أولياء جلبي في الحبشة :

يقع وادي كوز بعد مسيرة 8 أيام من آرباجي . يحتوي الوادي على قرى كثيرة جدا . يقدر عدد السكان في هذه القرى ب 40 000 نسمة . كان لديهم جامع . وصلنا مدينة بوريغا بعد اجتيازنا دمبيه في 6 أيام عن طريق جبل ترجاش ذي الغابات الأبنوسية . وبهذا كنا قد خرجنا من مملكة الفونج بعد اجتيازنا نهر عطبرة نحو الشرق . قلعة نازدي ، تقع بعد مرحلتين من بوريغا . ملك دمبيه تابع لوالي الحبشة كتبعية ملك الفونج لوالي مصر . نازدي تابعة لهذا الملك . عبارة من 2000 دار قصبية ، جامعين . تنتهي أراضي دمبيه على مسافة مرحلة من البحر الأحمر . وتبدأ بعد ذلك مباشرة الأراضي التابعة لإيالة الحبشة . إذ شوهد البحر الأحمر في اليوم التالي . دنقلاب ، مركز ناحية يقيم فيها 100 000 حامي ، قريبة إلى البحر . ناحية القضاء المركزي سواكن وتواجهها جزيرة لؤلؤ . عبارة عن 3000 دار قصبيّة . يستخرجون اللؤلؤ من البحر ، ومنها ما حجمه قدر البندقة . عشر اللؤلؤ المستخرج عائد للدولة . والمرحلة التالية وادي أتله الذي يعيش فيه 40 000 من الرحّل . المنزل التالي ميناء قسم وبعد 3 أيام ، سواكن .

سواكن ، أكبر مرفأ للسودان . يواجهه في ضفة البلاد العربية ، مرفأ قنفذه لعسير . المسافة بينه وبين جده قريبة . أخذ والي مصر سليمان باشا سواكن من ملك دمبيه خلال سفره إلى الهند (حزيرا 1538) . ثم عيّن اوزدميرا بك بعد عودته من الهند أمير لواء لها . فتح اوزدمير بك الحبشة مبتدئا بهذا الموقع ومتجها نحو الجنوب وأصبح أول وال على إيالة حبش . حاليا مركز لواء في إيالة حبش . يقيم البكلربك (الوالي) في مصوّع ولكنه يتردد كثيرا على سواكن وجدّه كذلك ويمكث فيها مدة طويلة . الإيالة التي تبدأ من سواحل البحر الأحمر والتي تنتهي بها إيالة مصر ، تمتد حتى تشمل الأراضي حتى خط الاستواء . يحكم والي الحبشة الحجاز وعسير الواقعتان على الجهة المقابلة ، ويشرف على حكام الحبشه العديدين ومن يفهم ملك دمبيه أيضا . يحتوي مرفأ سواكن في الرصيف على بناية كبيرة للجمارك وبجواره باشسراى ، جامع اوزدمير باشا ، مساجد ، مخازن نحو 180 جنديا في قلاعها الثلاث ، وعدا ذلك فلأمير اللواء 500 جندي . هو بناء وليست مدينة للإقامة .

كيف Kif ، من فتوحات اوزدمير باشا ، مركز لواء ، موقع صغير عبارة عن 300 داو . يقع بين سواكن ومصوّع . يعتقد أنه كان اكثف سكانا عندما كان مركز قضاء . ميناء . يحتوي على جامع واحد ، مساجد ، فيه حوالي 50 دكانا ومخزنا . قريب إلى سواكن . هبطنا من سواكن نحو الجنوب ـ الغربي على امتداد البحر الأحمر جزر دهلق ، مجموعة كبيرة من الجزر الصغيرة . تواجه مصوّع . جزيرتها الكبيرة ومركزها يحمل اسم دهلق . ميناء دهلق مواجه لميناء مصوع . أحدهما يقابل الآخر . وهو من فتوحات أوزدمير باشا . مركز قضاء في لواء مصوّع المركزي . يستخرج اللؤلؤ . به جامع واحد ومساجد ، جمرك ، ونحو 50 مخزنا . وتدرك مصوّع بعد مسافة 6 أميال .

مصوّع ، مركز إيالة حبش . أكبر مرفأ في الحبشة . يتقاضى والي الحبشة 1 200 000 آقجه راتبا ، وهى من الإيالات الكبيرة . هى الإيالة السادسة في ترتيب التشريفات ، السابعة ، هى إيالة الشام . في الإيالة 110 قلعات . تشكل الدولة المحلية التابعة ، القسم الأعظم من الإيالة . تجبي الخزينة من الضرائب من هذه الإيالة 80 مليون آقجه . ترسل بعض الدول ضرائبها بصورة مستقلة وبعضها الآخر يحصل

الضرائب منها الجنود الذين يرسلهم الوالي . لم تشاهد أية جماعة محلية تثور ضد الجيش . تجوّل اوزدمير باشا مع ابنه عثمان باشا في هذه الأقطار قبل أكثر من عصر يرافقهم 40 000 جندي . لم تنس أقطار أفريقيا الشرقية هذا الحادث . لايشك أحد في إمكانات البادشاه في إرسال مثل هذا الجيش مرة ومرات ، وهذا هو سبب النجاح في إدارة أقطار يفوق حجمها حجم الأناضول مرات عديدة ، بمثل هذا العدد القليل من الجند . يلبّي فورا أمر الوزير والي حبش ، الذي يرسله بواسطة خيال بسيط إلى أبعد الأماكن . مناخ مصوّع حار إلى درجة لا تصدّق . ولعدم رغبة أي قاضٍ في المجيء من استانبول إلى هذا المكان ، فإن الوالي عند قدومه من استانبول يستصحب معه القاضي والمسئولين الآخرين ويستبدلهم بالقدامى . مصوّع جزيرة تبعد مسافة مرمى مدفع عن الساحل . تحتوي المدينة على 1600 دار بسيطة ، جامع لوزدمير باشا ، 6 مساجد ونحو 100 خان ، ومخزن في الرصيف . قبر (1560) اوزدمير باشا الذي تولى الإدارة مدة 5 سنوات ، مجاور للجامع بناه ابنه عثمان باشا . يرقد موستارلي مصطفى باشا الذي تولى الإدارة مدة 11 عاما في القبر ذاته (1665) . يمكن العثور على كل سلع المناطق الاستوائية ، آسيا وأفريقيا في نحو 100 دكان . ترد إليها سفن تجارية كثيرة . جميع أصحاب السفن من العرب والأتراك ، بسبب منع دخول المسيحيين إلى البحر الأحمر . يتسلم قاضي مصوّع راتبا يوميا يتراوح مابين 300 إلى 500 آقجه ومخصصات سنوية تبلغ 500 ليرة ذهبا . إن عدد سكان الأقطار التابعة لوالي حبش ، عشرة ملايين نسمة تقريبا .

• قلعة **هاركوفا** أو غاركوكو ، ميناء في جنوب غربي مصوّع . قضاء في لواء مصوّع . أحد الأقضية الـ 20 الكائنة في القسم الواقع في القارة الأفريقية من إيالة حبش . الأقضية التي بتولى إدارتها الحكام المحليون ، لاتدخل ضمن هذا التعداد . بالقلعة 200 جندي ، 700 دار حجرية بسيطة ، سوق ذو 27 دكانا ، جامع اوزدمير باشا ، 7 مساجد وتكية . وادي **فوله** بعد مسيرة يومين وميناء **هندية** (حنفيلا) يقع بعد الهبوط نحو الجنوب ـ الشرقي . ألحقت كقضاء لمصوّع ، بينما كانت مركزا للواء . تحتوي على جامع اوزدمير باشا ، قلعة ، مسجدين ، 10 مدافع . شيّد اوزدمير باشا في **طوزله**

(طوز = ملح) على مسافة 3 مراحل ، **قلعة صغيرة** . ناحية يسكنها 10 000 نسمة . محجر ملح كبير **بهلوله** (بلول) ، ميناء من فتوحات اوزدمير باشا . كان قد خربها البرتغاليون في السابق . تقع مواجهة لميناء مها اليماني على ساحل آسيا المقابل وقرب مضيق باب المندب . يحتوي هذا القضاء على مايقرب من 150 000 نسمة . **زيلا** ، ميناء في الصومال خارج باب المندب والبحر الأحمر ، على الجنوب ـ الغربي من خليج عدن . بداية المحيط . طرد اوزدمير باشا البرتغاليين منها وفتحها . لها قلعة كبيرة مخمسة الشكل طول محيطها 5 700 ذراع . محفوظ ، ميناء لها يستوعب 2000 سفينة وفيه 70 مدفعا . مركز قضاء وأكبر قلعة في الإيالة ، تحتوي على 1 000 دار ، وفي المدينة قنصلا إنكلترا والبرتغال ، **شهرشا** ، مركز قضاء سكانه مابين 40 ـ 50 000 نسمة . وبعد مسيرة 6 أيام ، تقع **قلعة وكات** ، من فتوحات اوزدمير باشا ، مركز ناحية وميناء ، به 1000 دار . وبعد مسيرة يوم واحد **هديّه** ، مركز ناحية ذو 6000 دار بسيطة ، 3 جوامع . وفي اليوم التالي **رازدين** ، وبعد مسيرة يوم واحد **فرّان** ، وتدرك **مقديشو** (موكاديشو) بعد مسيرة 4 أيام . في أقصى الجنوب وهى تحت حكم العثمانية المباشر ، وجنوبه ، مرتبط بالعثمانية عن طريق التبعيّة . مقديشو ، قريبة جدا من خط الاستواء (2°) ، ميناء على المحيط الهندي . على طريق زنجبار . ينطق الشعب باللغة المحلية لكن العربية شائعة كذلك . يسيطر المذهب المالكي .

29 ـ المغرب .

يحتوي المغرب على إيالات الجزائر ، تونس ، وطرابلس (ليبيا) البحرية والأقطار المحلية التابعة . كانت أهمها إيالة الجزائر. ومما زاد في أهميتها اسطولها القوى ، ووجودها في أقصى الغرب وجها لوجه أمام إسبانيا التي كانت من أكبر أعداء الدولة العثمانية . أود أن أدون بعض المعلومات عن النظام العثماني في هذه الإيالة كمثال :

كان أسطولها هو القوة الأصلية للإيالة . كان الشباب المتطوعون القادمون من الأناضول الغربية يشكلون جنود البحرية (لوند) . كان والي الجزائر الفريق الأول البحري ، يقود أسطول الجزائر إلى منطقة العمليات المطلوبة في البحر الأبيض ، بموجب أمر مشير البحر . ولضرورة وجود قوّة بريّة ، تكوّنت في الجزائر قوّة مشاة تتألف من 6000 شخص وسميّت « يني جرى » (انكشارية) تأسيسها على غرار تشكيلات

الإنكشارية تماما . ولم يكن لها أية علاقة مع حامية (أوجاق) الإنكشارية الموجودة في استانبول . لم يكونوا دوشيرمه (الأطفال المسيحيون الذين يؤخذون فى صغرهم ويربون على النظام الإنكشارى) . بل من الشباب القادمين من الأناضول الغربية . كان لآغا الإنكشارية الجزائرى ممثلون في ازمير ، انطاليه واستانبول . كان هؤلاء يقومون بإرسال المتطوعين الذين يرغبون في الذهاب إلى الجزائر . يصبح الشاب القادم إلى الجزائر جنديا بحريا ، بعد انتسابه إلى سرية انكشارية (أورطة) وتدريبه فيها لمدة 3 سنوات برتبة « عجمي أوغلان » (شاب مستجد) . يقيم في غرف الثكنة التي تستوعب كل منها 3 أشخاص . يتدرج الضباط في المراتب ابتداء من الجندية ويمكنهم الارتقاء والوصول إلى منصب آغا الإنكشارية . كان يرسل أحيانا إلى الجزائر ، آغا (قائد) انكشارى من ضباط الإنكشاريه الموجودين في استانبول . كانت رتبة الآغا ، أمير لواء . يعين على الأكثر في هذه الترتبة معاونه العقيد المسمى « كتخدا » . يتزوج الإنكشاريون في الجزائر أما بفتاة تركية أو محلية (عربية أو بربرية) . بإمكان الطفل المولود من أم تركية أن يكون انكشاريا . أما الطفل المولود من أم محلية والذي يتكلم التركية كذلك ، فيدعى « قول أوغلو » (ابن الجاريه) . تم تشكيل صنف مشاة منفصل من أبناء الجوارى . كانت امتيازات هؤلاء أقل . وبينما كان صنف البحارة (لوند) مسيطرا على البلاد في القرن 16 ، تبدل الوضع في القرن 17 ، وزاد نفوذ الإنكشارية وقول أوغللري (أبناء الجواري) . لعدم كفاية هذين الصنفين من المشاة ، كان يستفاد من المتطوعين وخاصة وحدات الخيالة ومن مهاجرى الأندلس والقبائل البربرية وكان هؤلاء يدعون عند الحاجة فقط لأنهم كانوا يحاربون بأسلوبهم الخاص وليس بالأسلوب العثماني . لا يرغب العرب في سكني المدن العسكرية ، وكانوا يحيون حياة مرفهة من خلال الانتعاش التجاري الذي أوجده الأتراك .

لاتعين استانبول آغا الانكشارية ، وإنما يعينه والي الجزائر. يكون الوالي بطبيعة الحال مرتبطا بالصدر الأعظم ، لكنه كان أكثر ارتباطا بمشير البحر بالوالي بسبب إدارته إيالة بحرية وحيازته أسطولا . وإذا كان مشير البحر ، في ذات الوقت واليا (بكلربك) على الجزائر ، فإنه يحكم الإيالة بواسطة وكيل له . ضعف بعد ذلك نفوذ الولاة المرسلين من استانبول . أصبح الجنرالات الذين يعينون بلقب « دابي » والذين يتدرجون في

المراتب من ضباط الإنكشارية ، هم حكام الإيالة الفعليون . انقلب التنافس الكبير الموجود بين الانكشارية وجنود البحرية (لوندلر) إلى حالة خصام . كانت المدفعية ثلاثة أقسام المدفعية البحرية ، مدفعية القلاع والمدفعية السيارة .

إيالة الجزائر البحرية ، التي تمتلك قوة عسكرية ، بحرية واقتصادية على مستوى ملكية أوروبية متوسطة الوضع ، كانت تنقسم إلى 5 ألوية بحرية يديرها أمراء ألوية : اللواء المركزي جزائر ؛ اللواء الشرقي ومركزه قسنطينة ؛ اللواء الغربي الذي أصبح مركزه حتى عام 1701 مزونة ، وحتى عام 1791 مسكرة ، وبعد هذا التاريخ وهران (أوران) ، وفي الجنوب لواء تيتري مركز ميديا ولواء تلمسان على حدود فاس . تأسست كذلك ، بين فترة وأخرى ، ألوية أخرى مثل بجايه وتنس . كان لواء تيترى يشرف على القبائل البربرية في منطقة قبيلية الجبلية وعلى الصحراء الكبيرة في الجنوب . يختار الإداريون الذين يتولّون إدارة الأقضية ويطلق عليهم اسم « قائد » ، أو رؤساء النواحي الذين يطلق عليهم اسم « شيخ » من المحليين على الأغلب . وتوجد قيادات مستقلة ذاتيا تابعة إلى الوالي رأسا ، وكان هؤلاء في الجنوب في الجبال والصحراء .

المفتون المالكيون والحنفيون الموجودون في مدينة الجزائر ، هم الذين يختارون المفتين الآخرين . كان الشعب مالكيا سواء من العرب المستوطنين في المدينة والما اجرين من الأندلس أو من القبائل البربرية . أما المذهب الحنفي ، فقد كان مذهب الأتراك ، وقول أوغللرى (أبناء الجوارى) ومذهب الذين اعتنقوا هذا المذهب بتأثير من كليهما .

يقيم الوالي في سراي جنينه ويترأس مجلس الإيالة أيام الثلاثاء ، ولايشترك في اجتماعات المجلس الذي يجتمع في الايام الأربعة الأخرى . كان المجلس يجتمع ـ عدا أيام الجمع والثلاثاء ـ 5 أيام في الأسبوع . يحضر المجلس كل من قاضي الجزائر ، الدفتردار (الموظف المالي للإيالة) ، آغا الانكشارية ، آغا العرب الذي يرعى شئون السكان المحليين ، الموظف المختص بالأمور الإدارية والمالية للأسطول (يالي وكيلخرجي) ، موظف الخزينة الذي يعنى بالأملاك الأميرية ، موظف بيت المال الذي يرعى شئون الأوقاوف (بيت المالجي) ، وهم حنفيون كبقية الموظفين المرسلين من استانبول ، وعدة أشخاص آخرون .

رئيس بلدية الجزائر الذي يطلق عليه اسم « شيخ البلد » ، كان يعيّن على الأغلب من بين أشراف العرب الحضريين ، كانت تلك المدينة أكبر مدينة في القارة الأفريقية والإمبراطورية في ذلك العصر ، وقد وصل عدد سكانها لفترة من الزمن مع الضواحي إلى 150 000 نسمة . معظم السكان الأتراك وأبناء الجواري كانوا يسكنون في مدينة الجزائر . والبقية هم العرب والبرابرة المستعربون أو الذين لم يستعربوا بعد والعرب المهاجرون من الأندلس ومايقارب 2000 يهودي ، التجار الأوروبيون وعشرات الألوف من العبيد ذوي الألوان والأعراق المختلفة . كان لشيخ البلد 3 أعوان : قائد العيون المختص بأمور إسالة الماء ، قائد الزبل المختص بأمور التنظيف والحرس والشئون الإعمارية . وقائد الوثّان الذي يقوم بالإشراف على الشئون الإجتماعية والاعاشة . كان 8 من ضباط الشرطة الذين يطلق عليهم « جاووش » هم المسئولون عن أمن المدينة ، لايحملون أي سلاح لكنهم كانوا مطاعين بشكل مطلق . وفي جالة طلبهم مساعدة من أحد أفراد الشعب ، كان يتعين على ذلك أداء المهمة المطلوبة . يسكن في الشريط الساحلي مع الضواحي البعيدة وفي الـ 10 000 بستان الموجودة في الداخل وبضمنها 25000 مزرعة و 12000 دار ، ما يقرب من 300 000 نسمة .

كانت الدولة العثمانية في القرن 16 تساند انكلترا وخاصة فرنسا لئلا تكونا لقمة سائغة لإسبانيا ــ ألمانيا . تم إبلاغ فرنسا في 1564 ، بإمكان فتحها قنصلية في مدينة الجزائر . لم تفتح فرنسا قنصلياتها إلا في 1576 . اعقبتها انكلترا في 1580 . وفتحت القنصليات الأخرى في القرنين 17 و 18 .

ومع مرور الزمن ، حصل العثمانيون الموجودون في الجزائر ، على الاستقلال الذاتي . كانوا يتحرشون بدول كثيرة من بينها جارتهم الغربية فاس دون أن يتلقوا أمرا من استانبول . استدعى سلطان فاس في 1785 السفير العثماني اسماعيل افنيدي ، وشكا اليه أن والي الجزائر رغم أنه تابع للبادشاه ، يقوم بأعمال تعارض مصالح فاس (فائق رشيد أونات (nameler) (Sefaref ، 140) .

وفد الأتراك بالملايين من الأناضول إلى المغرب خلال ثلاثة عصور . لكن هؤلاء كلهم رجال معظمهم شباب عزّب . لم تذهب إلى أفريقيا الشمالية ــ عدا مصر ــ أية

امرأة من الأناضول الغربية . تزوج الأتراك بالفتيات المحليّات . كثر المولّدون الهجناء من الأتراك ـ العرب الذين يطلق عليهم اسم قول اوغلوا في جميع أنحاء أفريقيا وعلى سبيل المثال ، في أواخر القرن 19 ، كان ربع سكان تلمسان التابعة للحكم الفرنسي والقريبة من فاس ، قول اوغلو (Yver ، IA ، 12 ، 395 ب) . اصرّ الأتراك الخلّص الدم ، على عدم منح أولادهم الذين من اصلابهم (قول اوغلو) وظائف تعادل وظائفهم . إذ كانت الرغبة في حصر الحكم في مجال اضيق . كان أولاد الجوارى يعتبرون أنفسهم اتراكا ويعادون آباءهم الذين يصرّون على عدم اسناد الوظائف العالية لهم ، لم يكن هؤلاء بمستطيعين التطبّع بالمجتمع العربي بصورة تامة . من الواضح أن هذه السياسة العنصرية التي لا ترى في أى قطر آخر والتي تظهر كأنها خاصة بالمغرب ، معارضة للسياسة العثمانية العامة . ولكنها جرت بهذا الشكل و لم تتمكن استانبول من التدخل ، لأنها لم تكن في العصور التي ازداد فيها جدا عدد ابناء الجوارى (قول اوغللري) ، تتدخل في شئون هذه الإيالات إلا في أضيق الحدود . ذلك في الوقت الذي كان يشك في عقلية من يسأل أي شخص تركي في استانبول عن قومية أمه وحاليا كذلك . ولو تعرض خليفة روى زمين (خليفة الكرة الأرضية) لمثل هذا السؤال لما أمكنه الإجابة إلا بأن أمه مسلمة .

ومن الأمور الأكيدة ، أن العثمانية جلبت الإعمار والإسكان إلى المغرب والأمن أيضا بالقياس إلى الأدوار السابقة . وجلبت الرفاهية كذلك . والأهم جدا من كل هذا ، أنها حالت دون اعتناق الشمال الأفريقي ، الكاثوليكية ونطقه باللغة الاسبانية والقطلونية والبرتغاليه . أسس بربروس خير الدين باشا بالذات مدينة بليده وعند دخول (28 / 9 / 1555) الفريق الأول (بكلربك) صالح باشا إلى بجايه (الفرنسية : Bauige) بعد أن احتلها الاسبان مدة 45 عاما ، شاهد بتأثر أن هذه المدينة التي فقد استاذه اوروج رئيس فيها ذراعه اليسرى عند مواجهته الاسبان ، أصبحت مدينة كاثوليكة و لم يبق لها علاقة بالإسلام ، رغم أنها كانت سابقا المدينة التي يقيم فيها السلاطين الحفصيون وعندئذ اتخذ تدابيره فورا . وفي 1542 ، جاء بربروس ـ زاده حسن باشا الأول إلى بسكره في الصحراء ، وفي 1552 صالح باشا ، وفي القرن 18 والي

قسطنطينة صالح بك وحاولوا تعليم البدويين أسلوب التعامل مع الدولة (J . Despois, EI[2],I, 1284 b) . كان أمير لواء فيزان لإيالة طرابلس مسئولا عن كل الدول المحلية في افريقيا الوسطى حتى نيجيريا . كان يقوم بحماية التابعين للعثمانية ، يقدم لهم السلاح ، ويتبع سياسة خاصة مختلفة تجاه الذين لا يتبعون العثمانية . كان البادشاه في الربع الثالث من القرن 19 يصادق على حكم سلطان بورنو في نيجيريا ، سلطان دارفور في السودان على حدود تشاد وعلى كثير من أمثالهم . تقلد أمين باشا الولاية في أوغندا التي كانت تسمى إيالة خط الأستواء ، مدة 5 . 16 سنة (7 / 5 / 1876 - 23 / 10 / 1892) .

من المؤكد أن الذي انقذ الإسلام ووطد الحكم العثماني في شمال افريقيا ، هو أوروج رئيس . وقد أتم عمله أخوه بربروس خير الدين باشا وطرغد باشا وصالح باشا اللذان حضرا إلى المغرب كضباط بحريين لاوروج رئيس وغيرهم . اعترف الجميع باقتدار العثمانية في كامل افريقيا . وفي أواخر القرن 19 ، تمكنت الدول الأوروبية ، الاستعمارية التبشيرية ، دون أدنى حياء ، من رفع العلم العثماني ذي الهلال والنجمة والدخول إلى المناطق الأفريقية النائية . إذ إن القبائل المحليّه ، كانت تقتل البيض الذين ليسوا أتراكا . كانوا يشكون في نيّاتهم . إذ إنهم كانوا قد قبضوا على ملايين من مواطنيهم وساقوهم كعبيد إلى الأقطار الأخرى . كانت تشاد الشمالية المسماة « بوركو » في القرن 16 ، أراضي تتبع لواء فيزان . كانت لاتزال حتى عام 1911 ، في قصبتي بوركو و بارداي ، حامية عثمانية مرسلة من استانبول . ولكن عندما احتلت إيطاليا ليبيا ، اعطيت بوركو إلى فرنسا ولم تعط لايطاليا . بينما كانت في إيالة طرابلس ، وهذا هو منشأ إدعاءات ليبيا الحالية حول تشاد (Charles le Coeur ، EI ، 1 ، 1296 ب) .

كانت إيالة طرابلس في 1593 ، تتكون من ألوية طرابلس ، بنغازى ، فزّان ، جربه ، سفسقس ومناسطر . الألوية الثلاثة الأخيرة ، لدى تونس حاليا ، وتشكل وسط جنوب تونس . أعطيت هذه الألوية الثلاثة بعد ذلك إلى إيالة تونس . احتل العثمانيون لمرات عديدة جزر مالطة وكوزو ، لكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على قلعة مالطة ، إلا أن السلطان عبد العزيز (1861 - 1876) اشترى أراضي في مالطه وبنى فيها جامعا ومقبرة للشهداء . وهى ساحة الكولف التي تواجه نادي Marsa (بالعربية : مرسى

ميناء) وهو الموقع الذي استشهد فيه أكبر عدد من العثمانيين في حصار مالطة عام 1565 . لايزالون يعثرون على عظام بشرية ونقود عثمانية كلما حفرت الأرض (Ernle Bradford ، 95) .

كانت ليبيا في 1908 ، 5 ألوية ؛ المركز طرابلس الغرب ، حمص ، جبل غريب ، فزّان وبنغازي . أقضية اللواء المركزي : المركز طرابلس (نواحيه : المركز ، تاجورا ، حفاره ، زنزور) ، النواحي الأربعة (مركزها هاني) نواحيه : هاني ، منشيّه ، ساحل ، رفيعات ، علاونه) ، غريان (نواحيه : المركز طرخوخة ، زاوية ، زوارة عزيزية) ، عرفّلا (نواحيه : المركز ، عجيلات ، نيجات ومركزه جوش) . _ أقضية لواء حمص : المركز ، مسّوراتا ، ظلّتين ، مصالته ، سرت (نواحيه : المركز ، تفوركا ، تابيه) . _ أقضية لواء جبل غريب : المركز قصيبة (نواحيه : المركز ، حوض ، ككلة ، مزدة ، زنتان ، يفرين) ، كدامس ، نالوط ، فساطو (مركزه جادو) . _ أقضية لواء فزّان : المركز مرزق (نواحيه : المركز ، سبتة ، وادي عتبة ، زيلة ، قطرون ، وادي الشرقي ، وادي الغربي) ، سكنه ، شاطىء ، غات (نواحيه : المركز ، جانت ، بركه) ، تيبور شاده (المركز برادي) (هذا القضاء حاليا لدى تشاد . _ أقضية لواء بنغازي المستقل : المركز (نواحيه : المركز ، برأسا ، سلوك ، قمص ، برسيس) ، درنة (نواحيه : المركز ، طبرق ، بومبا ، قّبه ، سلّوم) ، برج (نواحيه : المركز ، حاسة ، درسة) ، جالو ، اوجلّة ، كفره ، جدابيّه (نواحيه : المركز ، برقة) .

قضاء غات Gaat ، تأسس على أيام ولاية مصطفى عاصم باشا في 1875 بإرساله وحدات عسكرية واحتلاله له . إذ كانت موضوع خلاف مع فرنسا . وقد تأسس قضاء تيرشاده الذي بقي حاليا لدى دولة تشاد باحتلاله في 1881 لئلا ينتقل إلى حوزة فرنسا .

كانت إيالة طرابلس _ عدا لواء بنغازي _ تحتوي في 1908 على 24 مدرسة متوسطة وابتدائية تركية للذكور والإناث تدّرس باللغة التركية ، مدارس ومكاتب كثيرة جدا على الطراز القديم تدّرس باللغة العربية ، 3 مدارس متوسطة لليهود للذكور ، 2 للاناث

و 9 ابتدائية مدرسة إيطالية واحدة . مدرستين تدرسان باللغة الفرنسية للذكور و 2 للإناث . أما في لواء بنغازي ، فكانت توجد 12 مدرسة متوسطة وابتدائية تدرس بالتركية ، 39 مدرسة تدرس بالعربية ومدرسة واحدة تركية للمعلمين ، 3 مدارس للبنات بالتركية ، مدرسة موسوية واحدة ، مدرسة إيطالية للبنات ، مدرستين فرنسيتين واحدة للبنات والأخرى للذكور .

كان في 1890 في مدينة طرابلس 9 جوامع ، 18 مسجدا ، 3 مدارس ، مدرسة متوسطة ، مدرستان ابتدائيتان عدة مكاتب في المحلات ، 6 تكايا ، 13 خانا ، 2490 دارا ، 1075 دكانا ، 40 مغازة (مخزن كبير)، 4 حمامات ، 5 كنائس ، 7 معابد لليهود ، 27 مقهى ، 72 طاجونة ، مصنعا صابون ، 3 صيدليات ، 20 فرنا ، مستشفى ، 82 حانة مشروبات (**سالنامه ولايت طرابلس غرب ، 1305 ، ص** 135) .

وبينما كانت بنغازى أحد ألوية الإيالة انفصلت وأصبحت لواء مستقلا . وانقطعت علاقتها بطرابلس وارتبطت بوزارة الداخلية . وهكذا انقسمت ليبيا في الحقيقة إلى وحدتين . كانت الفرقة 15 في ليبيا تابعة إلى القيادة العليا دون ارتباطها بأى جيش . كانت هذه الفرقة في 1900 تتألف من : لواءى المشاة التاسع واللواء الثلاثين (الكتائب 57 , 58 , 59, 60) ، لواء خيالة واحد (الكتائب 37 و 38) ، اللواء المدفعي 15 ، سرية مدفعية قلعة طرابلس (3 بطاريات) ، سرية الرماة 15 . وإضافة إلى ذلك جنود قول أوغللرى المنظمون في كتيبتي رديف . وبذلك فإن القوة العسكرية العثمانية في ليبيا ، كانت في الحقيقة فيلقا واحدا . وفي 1895 ، نظم الوالي نامق باشا بأمر عبد الحميد الثاني ، قول أوغللرى وجعلهم كتيبتين . جميع ضباطهم كانوا قول أوغلو (أبناء الجواري) من الليبيين . إلا أن رتب ضباطهم كانت معتبرة في كتائبهم فقط . يلاحظ أن هذه التشكيلات شبيهة بكتائب خيالة حميديه الخفيفة التي تأسست في الأناضول . وفي 1910 ، سحبت نظارة الحربية هذه الفرقة القوية من ليبيا وأرسلتها إلى اليمن . وبذلك تحقق الاحتلال الإيطالي .

بدأ الاحتلال الإيطالي ، في الوقت الذي استدعى فيه والي ليبيا الذي كان أحد

المارشالات في عهد السلطان حميد إلى استانبول ، ولم يكن بكر سامي بك الذي عين بدلا منه ، قد تحرك بعد من استانبول . وكان العقيد الركن نشأت بك يقوم بالألوية كوكيل في قطر تبلغ مساحته ضعفي مساحة تركيا الحالية . وبعد أن تم إنزال الإيطاليين 40 000 جندي بمساندة كامل أسطولهم ، تمكنت سفينة درنة القادمة من استانبول من إنزال 25000 طلقة بندقية وعتاد و 100 جندي تركي في 26 أيلول . كان اليهود الليبيون يتجسسون لحساب الإيطاليين منذ سنين ، قاموا بإرشاد الإيطاليين . اضطر رئيس بلدية طرابلس قره مانلي حسونة باشا إلى تسليم المدينة يوم 5 ت 2 . إذ لم يكن في مركز تلك الإيالة الكبيرة غير 100 جندي مشاة ، وعدة بطاريات وبعض وحدات من الدرك .

وفي 1915 ، عندما دخلت إيطاليا الحرب العالمية إلى جانب الحلفاء وضد الدولة العثمانية ، أرسل الباب العالي إلى ليبيا عددا كبيرا من الاسلحة والجند . ظل الإيطاليون محصورين في بضعة قصبات ساحلية . كان قائد جبهة القوات العثمانية في ليبيا الفريق الأول الشهزاده عثمان أفندي حفيد السلطان مراد الخامس . وعند وقف العثمانية لإطلاق النار في هدنه مونترو ، كان حفيد عثمان غازي في البطن الـ 22 ، لايزال مسيطرا على ليبيا . حاول إقناع الباب العالي بعدم تركه للقطر بموجب أحكام الهدنة . تباطأ مدة من الزمن ، لكنه عاد أخيرا إلى استانبول يائسا . كانت الأيام الأولى من عام 1919 . كان هو آخر قائد مظفر لبني عثمان . انقطع ارتباط القارة الأفريقية بالدولة انسحبت الآن الدولة العظمى التي لعبت دورا مهما في التاريخ والتي امتدت حدودها على ثلاث محيطات ، إلى مابين نهر مريج وجبل آغري وبدأت في صراع الحياة والموت .

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾

(آل عمران ، 3 ، 26) .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس